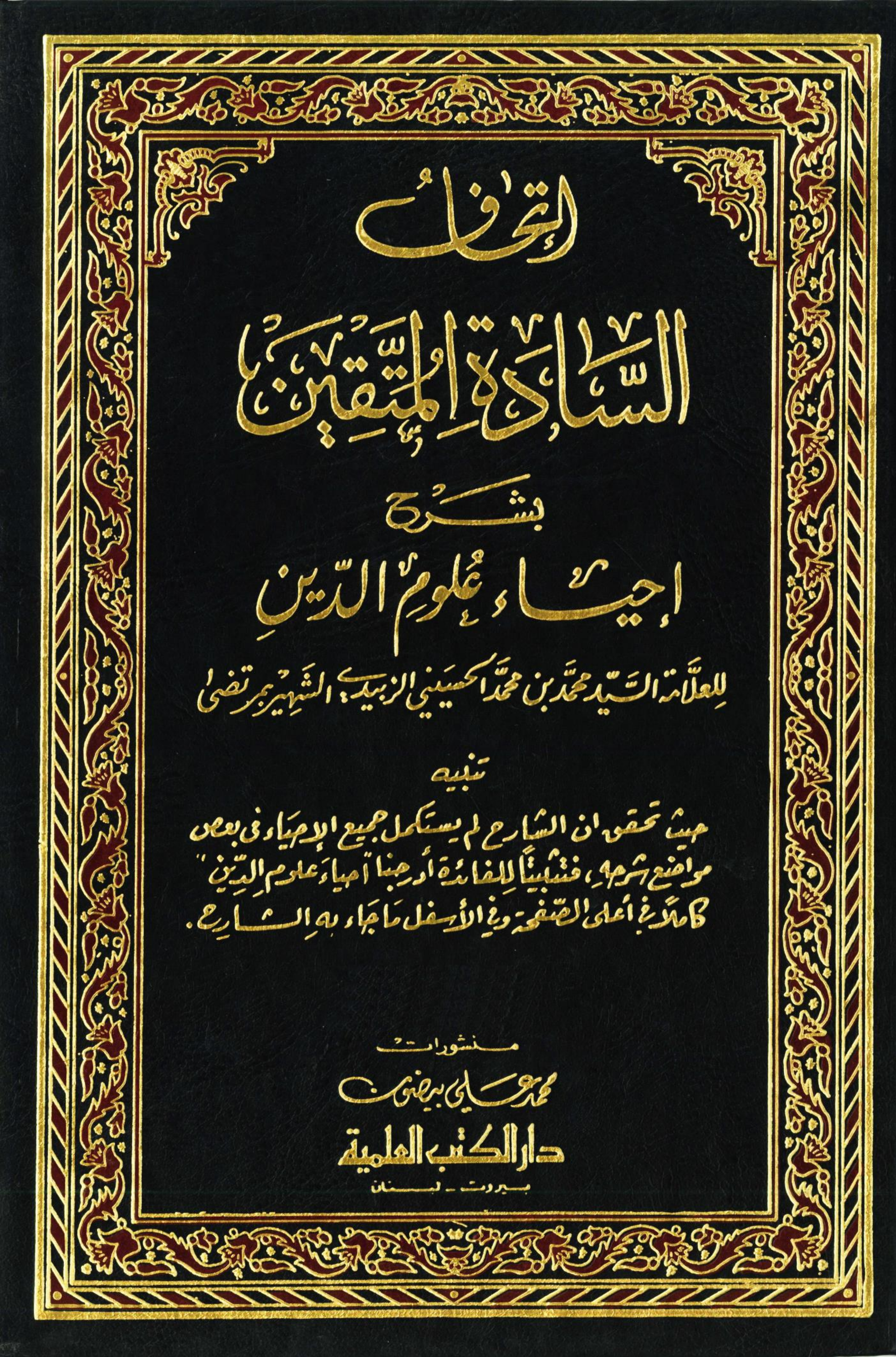
إتحاف
السادة المتقين
بشرح
إحياء علوم الدين
للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
تنبيه
حيث تحقق ان الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض
مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا "إحياء علوم الدين"
كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إتحاف السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي
الشهير بمرتضى
المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتنبيها للفائدة أدرجنا إحياء علوم الدين كاملا في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

الجزء الثامن

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة،
كتاب عجائب القلب، كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق.

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الله ناصر كل صابر الحمد لله الذي لا يستفتح بأفضل من اسمه كلام، ولا يستنجح بأحسن من صنعه مرام، الوهاب المنان، متبع الإحسان بالإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، سيد البشر، الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الوافي عهده، الصادق وعده، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المخصوصين بعلوّ الهمة، والحائزين الفضائل الجمة، صلاة تشرق اشراق البدور، وتتردد تردد أنفاس الصدور، وسلم وكرّم، وشرّف وعظم، وبعد فهذا شرح:

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

وهو التاسع من الربع الثاني من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام بحر العلوم الزاخر، الجامع لأنواع المفاخر، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، سقى الله ثراه صوب غيث رحمته المتوالي، يشرح ظاهر ألفاظه، ويلوح بالتنبيه على مسارح ألحاظه، ويفسر مدارج تحقيقاته المهمة، ويكشف عن معضلات مباحثه المدلهمة، على وجه رائق يسهل طريق المفاد، ونهج شائق يتوسط للوصول إلى المراد، والله أسأل أن يمدنا بمنائح نفحاته، ويعيد علينا من نوافح بركاته، وهو الموفق لا إله غيره ولا خير إلا خيره.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** واسَتفتح به كتابه تيمنا باسمه الكريم واقتفاء لآثار حبيبه الرسول الكريم، ثم قفاه بقوله:

(الحمد لله) جمعاً بين الآثار ورعاية لسياق الأخبار، وفي كل من الجملتين كلام تقدم بعضه في الكتب السالفة من هذا الكتاب واشتهرت مباحثها بين أولي الألباب **(الذي لا تستفتح الكتب)** جمع كتاب وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه **(إلا بحمده)** أي ثنائه عليه

ورفده، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده.

أما بعد؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوّة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستسرى

بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله. والاستفتاح الاستبداء استفعال من الفتح الذي هو إزالة الانغلاق والأشكال أي لا تكون مبدوءة إلا بذكره، **(ولا تستمنح النعم)** أي لا تستعطى والاستمناح استفعال من المنح بفتح فسكون وهو العطاء، والنعم بكسر ففتح جمع نعمة **(إلا بواسطة كرمه ومجده)** والكرم إفادة ما ينبغي لا لغرض والمجد سعة الكرم، فمن كان واسعاً في كرمه تستمنح منه الرغائب وجليل العطايا فكان سعة كرمه صارت واسطة للطلب، **(والصلاة)** والسلام **(على سيدنا محمد رسوله وعبده)** أشار به إلى وجهي النبوة فمن حيث الحق وجه العبودية ومن حيث الخلق وجه الرسالة والعبودية أشرف المقامات، ولذا ذكر بها في جملة آي من القرآن، وإليه أشار الشاعر:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائيا

وذكر الصلاة غير مقرونة بالسلام فيه اختلاف بين العلماء، وقد تقدمت الإشارة إليه في أول كتاب العلم. **(وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده)** طيبهم الله تعالى وطهرهم من كل دنس ورجس حتى صارت صلاحيته لأهليته وقرابته وصحبته.

(أما بعد: فإن الأمر بالمعروف) وهو ما قبله العقل وأقره الشرع ووافقه كرم الطبع، **(والنهي عن المنكر)** وهو ما ليس في رضا الله تعالى من قول أو فعل **(هو القطب الأعظم في الدين)** وأصل القطب هو الخط المستقيم الواصل من جانب الدائرة إلى الجانب الآخر بحيث يكون وسطه واقعاً على المركز، **(وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين)** يقال: بعث له وإليه وابتعث وبعثه أيضاً وابتعثه وجهه، والمهم من الأمور ما قصد إليه ببذل الهمة والغرض من بعثة الأنبياء إصلاح أمور الدنيا وأمور الآخرة، فاصلاح أمور الآخرة بمعرفة الله تعالى وتلقي شرائعه التي شرعها الله لعباده وإصلاح أمور الدنيا بانتظام معايشهم واتفاقهم على كلمة الحق وحسن معاملتهم، وكل ذلك لا يتم إلا بائتمار المعروف بينهم والإنتهاء عن كل ما نهى الله عنه وأنكره، **(ولو طوى بساطه)** وهو كناية عن الإعراض عنه، **(وأهمل)** أي ترك **(علمه وعمله)** أي معرفته بحدوده وأركانه والعمل به **(تعطلت النبوة)** أي شعائرها، **(واضمحلت الديانة)** أي انمحى أثرها **(وعمت الفترة)** أي السكون والهدوّ **(وشاعت الضلالة)** أي ظهرت **(واستسرى الفساد)** أي طار شرره وقوي وفي نسخة انتشر أي ظهر، **(واتسع**

الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنّة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها ، وها نحن نشرح علمه في أربعة أبواب .

الخرق) على راقعه **(وخربت البلاد)** باختلاف كلمة أهلها ، **(وهلك العباد)** بتعدي القوي على الضعيف **(وإن لم يشعروا بالهلاك)** لانغماسهم في بحر الحيرة **(إلى يوم التناد)** أي القيامة حيث ينادي بعضهم بعضاً ، **(وقد كان)** أي وجد ووقع **(الذي خفنا)** منه **(أن يكون)** فما يسع إلا النطق بكلمة الاسترجاع **(إنا لله وإنا إليه راجعون)** هذا قاله المصنف في رأس الخمسمائة ، فكيف لو أدرك زماننا ونحن على رأس المائتين بعد الألف ولا قوة إلا بالله ، ثم شرع يبين ما حق له به الاسترجاع فقال: **(إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه)** أي انطمس أثر العامل به وكذا العالم بقوانينه وحدوده ، **(وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه)** فلم يبق إلا اسمه ، **(واستولت على القلوب مداهنة الخلق)** فيرى أحدهم منكراً يقدر على دفعه فلا يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو لقلة مبالاته في الدين ، **(وانمحت عنها مراقبة الخالق)** جل جلاله **(واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات)** أي ارسلوا نفوسهم في اتباع ما تميل وتنزع إليه من مستلذات الشهوات من غير داعية الشرع **(استرسال البهائم)** في مراعيها ، **(وعز على بساط الأرض)** أي وجهها أي قل وندر وجود **(مؤمن صادق)** في إيمانه كامل في إحسانه ممن **(لا تأخذه في الله)** أي لأجله **(لومة لائم)** وعذلة عاذل **(فمن سعي في تلافي)** أي تدارك **(هذه الفترة وسد هذه الثلمة)** بالضم أي الخلل الواقع فيه كثلمة الحائط **(إما متكفلاً بعلمها)** بأن يعلم الناس بما أعطاه من بيان قوانينها ورسومها وحدودها إن لم يكن أهلاً للعمل بها ، **(أو متقلداً لتنفيذها)** وإمضائها إن كان قادراً على ذلك **(مجدداً لهذه السنة الدائرة)** أي المندثرة **(ناهضاً)** أي قائماً **(بأعبائها)** أي بإثباتها **(ومتشمراً في إحيائها)** أي مجتهداً **(كان مستأثراً)** أي مخصوصاً **(من بين الخلق)** أي من دونهم **(بإحياء سنة أفضى الزمان)** أي أهله **(إلى اماتتها ومستبداً)** أي مشتغلاً **(بقربة)** أي طاعة **(تتضاءل)** أي تتصاغر **(درجات القرب دون)** البلوغ إلى **(ذروتها)** أي أعلاها ، والمراد بدرجات القرب هي المقامات التي يعطى العبد في سلوكه إلى الله تعالى ، ويخصص بكثير من الصفات التي يصح أن

الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته.

الباب الثاني: في أركانه وشروطه.

الباب الثالث: في مجاريه وبيان المنكـرات المألوفة في العادات.

الباب الرابع: في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

يوصف الحق بها فكل مقام منها عن درجة وهي أعلى من التي فارقها. **(وها نحن نشرح هلم ذلك في أربعة أبواب) :**

(الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته) المفهومة من الآيات والأخبار.

(الباب الثاني: في أركانه وشروطه) .

(الباب الثالث: في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات) الجارية بين الناس.

(الباب الرابع: في أمر الأمراء والسلاطين) ومن في معناهم **(بالمعروف ونهيهم عن المنكر) .**

الباب الأول

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه: الآيات والأخبار والآثار.

أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿ولتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخيْر ويأمرون بالمعروفِ وينْهَوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: ١٠٤] ففي الآية بيان الايجاب، فإن قوله تعالى: ﴿ولتكن﴾ أمر وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل

الباب الأول

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(**و**) في بيان (**فضيلته والمذمة في إهماله**) وتركه.

(**فأما الدليل على وجوبه بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه**) يريد بالأمة الجماعة يجمعها أمر إما دين أو زمن أو مكان واحد، فإنهم كلهم كالمجمعين عليه وإن لم يصرح به بعضهم والمراد بالعقول السليمة هي الكاملة من أصل الفطرة السالمة من النقص: (**الآيات**) القرآنية (**والأخبار**) النبوية (**والآثار**) المنقولة عن الأصحاب والاتباع ومن بعدهم.

(**أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة**) أي جماعة (**يدعون إلى الخير**) أي يرشدون الناس إلى الخير (**ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** ففي هذه الآية الإيجاب، (**فإن قوله تعالى: ﴿ولتكن﴾ أمر**) وأصله تكون فلما دخلت لام الأمر سقطت الواو (**وظاهره الإيجاب**) كما هو المتبادر من صيغ الأمر المؤكدة باللام، (**وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾**) أي لا غيرهم والفلاح كما تقدم هو الظفر وإدراك البغية. فالدنيوي هو إدراك السعادة التي تطيب بها الحياة والأخروي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل. (**وفيها بيان أنه**) أي الأمر بالمعروف (**فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام به أمة**) أي

قال: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة. وقال تعالى: ﴿ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللهِ آناء الليلِ وهم يسجدون★ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمُرون بالمعروفِ ينهَوْن عن المنكرِ ويسارِعُونَ في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤] فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال تعالى: ﴿والمُؤْمِنون والمُؤمنات بعضُهُم أولياءُ بعض يأمُرُون بالمعروفِ وينهَوْنَ عَنِ المُنْكرِ ويقيمون الصلاة﴾ [التوبة: ٧١] فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية. وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذين كَفَروا من بني إسرائيلَ على لسان داودَ وعيسى ابن مريمَ ذلك بمَا عَصوا وكانوا يعتدونَ★ كَانُوا لا يَتَنَاهُونَ عَن مُنْكرٍ فعلُوه لَبِئْسَ ما كَانُوا يفعلون﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] وهذا غاية التشديد إذ علق استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر، وقال عز وجل:

جماعة من الناس (**سقط الفرض عن الآخرين**) من الذين لم يقوموا (**إذ لم يقل: كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال: ﴿ولتكن منكم أمة﴾**) ومن للتبعيض: (**فإذاً مهما قام به واحد**) من القوم (**أو جماعة**) منهم (**سقط الحرج**) والإثم (**عن الآخرين واختص الفلاح**) أي وصفه (**بالقائمين به المباشرين له**) بتنفيذه وإجرائه (**وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون**) فلم يقم به أحد منهم (**عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة**) أي ألبتة (**وقال تعالى: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾** فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (**وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ فقد نعت** المؤمنين) في هذه الآية (**بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية. وقال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود**) يعني الزبور (وعيسى ابن مريم) يعني في الإنجيل (**ذلك بما عصوا**) رسلهم (**وكانوا يعتدون**) أي يتجاوزون الحدود. ثم بين اعتداءهم فقال: (**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وهذا غاية التشديد**) ونهاية التهديد (**إذ علق استحقاقهم للعنة**) التي هي الطرد والإبعاد من رحمة الله

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمعروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس. وقال تعالى: ﴿فلما نَسُوا ما ذُكِّروا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السوءِ وأخذنا الذين ظَلَمُوا بعذابٍ بئيس بما كانُوا يفسقون﴾ [الأعراف: ١٦٥] فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضاً، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إنْ مكنَّاهُم في الأرض أقامُوا الصَّلاة وآتَوا الزَّكاة وأمَرُوا بالمعرُوفِ ونَهَوْا عن الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١] فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين، وقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البرِّ والتَقْوَى ولا تَعَاونُوا على الإثْمِ والعُدْوان﴾ [المائدة: ٢] وهو أمر جزم. ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان، وقال تعالى: ﴿لولاَ ينهاهُمُ الربَّانِيُّونَ والأحْبَارُ عَن

تعالى (**بتركهم النهي عن المنكر**) أخرج الطبراني من حديث أبي موسى الأشعري رفعه قال: «إن من كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل فيهم الخطيئة فنهاه الناهي تعزيراً فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ والذي نفس محمد بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق إطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم».

(**وقال تعالى**) مخاطباً لهذه الأمة: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾ **وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة. وقال تعالى:** ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به**) وأعرضوا عنه (**أنجينا الذين ينهون عن السوء**) وهو المنكر من الفعل والقول (**وأخذنا الذين ظلموا**) أنفسهم بمخالفتهم لأوامر الحق (**بعذاب بئيس**) أي شديد (**بما كانوا يفسقون**﴾ **فبين**) في هذه الآية (**أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن المنكر**) وفي بعض النسخ بالسوء، **ويدل ذلك على** الوجوب أيضاً وقال تعالى: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾ **فقرن ذلك بالصلاة والزكاة**) وهو من عمد الإسلام (**في نعت الصالحين والمؤمنين. وقال تعالى:** ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ **وهو أمر جزم، ومعنى التعاون الحث عليه**) أي ليعن بعضكم بعضاً في الخير، (**وتسهيل طرق الخير**) بالمعاونة (**وسد سبل الشر والعدوان**) أي التعدي (**بحسب الإمكان**) أي القدرة. (**وقال تعالى:** ﴿**لولا ينهاهم الربانيون**) أي العلماء المنسوبون إلى العلم الإلهي (**والأحبار عن قولهم الإثم**) أي المنكر (**وأكلهم السحت**) وهو الحرام الصرف الذي

قولهم الإثْمَ وأكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يصنعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] فبيَّـن أنهم أثموا بترك النهي. وقال تعالى: ﴿فلَولاَ كَانَ من القُرُونِ مِنْ قبلكم أولوا بقية ينهَون عَنِ الفسادِ في الأرض ﴾ [هود: ١١٦] الآية. فبين انه أهلك جميعهم إلا قليلاً منهم كانوا ينهون عنِ الفساد، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا كُونُوا قوّامين بالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أنْفُسِكُم أو الوالديْـنِ والأقْـربينَ﴾ [النسـاء: ١٣٥]، وذلـك هـو الأمـر بالمعروف للوالدين والأقربين، وقال تعالى: ﴿لا خيرَ في كثير مَن نَجْوَاهُم إلاَّ مَنْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناسِ ومن يفعلْ ذلك ابتغاء مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلِحُوا بينهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] الآية. والإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة

فيه الرشوة (لبئس ما كانوا يصنعون﴾) ومثله قوله تعالى: ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ [المائدة: ٤٢] قال الواحدي: أجمعوا على أن المراد بالسحت هنا الرشوة في الحكم. وقالوا نـزلـت الآية في حكام اليهود كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم. وقال الحسن في هذه الآية: تلك الحكام يسمعون الكذب ممن يكذب في دعواه عندهم ويأتيهم برشوة فيأخذونها ويأكلونها سمعوا كذبه وأكلوا رشوته.

(فبين أنهم أثموا بترك النهي) عما كانوا يفعلونه **(وقال تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض فبين أنه هلك جميعهم)** لسكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **(إلا قليلاً كانوا ينهون عن الفساد في الأرض﴾)** وهو كل منكر شرعاً وعرفاً **(وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط)** أي العدل **(شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين. وقال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾)** فوعد بالأجر العظيم الذي هو الجنة كما في حديث أنس مرفوعاً لمن أمر بالمعروف والإصلاح ومنعهم عن الفساد والاختلاف. وأخرج البيهقي من حديث أبي أيوب مرفوعاً قال: « يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة ترضي الله ورسوله بموضعها؟ قلت: بلى. قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا ».

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: كنت جالساً مع محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال له القوم: أين كنت؟ فقال: أصلحت بين قوم، فقال محمد بن كعب: أصبت لك مثل أجر المجاهدين، ثم قرأ الآية ﴿لا خير في كثير﴾ إلى آخرها.

(وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾ الآية) إلى آخرها **(والإصلاح)** في الآية التي قبلها وهنا **(نهي عن البغي)** الذي هو تجاوز الحق إلى الباطل أو ما

فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال: ﴿فَقَاتِلُوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات: ٩] وذلك هو النهي عن المنكر.

وأما الأخبار، فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: وتتأوّلونها على خلاف تأويلها ﴿يا أيها الذين آمَنُوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » . وروي عن أبي ثعلبة الخشني: أنه سأل رسول الله

يجاوره من الأمور المشتبهات، **(وإعادة إلى الطاعة)** والانقياد، **(فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء)** أي ترجع **(إلى أمر الله﴾ وذلك هو النهي عن المنكر)** فهذه الآيات بمناطيقها تارة وبمفاهيمها أخرى قد دلت على إيجاب الأمر بالمعروف تارة وعلى فضله أخرى.

(وأما الأخبار) وهي كثيرة أيضاً **(فمنها ما روي عن أبي بكر)** الصديق **(رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها)** بعد أن استخلف: **(يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتتأوّلونها على خلاف تأويلها ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده »)** هذا الحديث تقدم ذكره في أول كتاب العزلة مبسوطاً وبين سياقيهما تفاوت فإنه سبق له في كتاب العزلة بلفظ: قام أبو بكر خطيباً وقال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وهي ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإنكم تضعونها غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » وهذا السياق هو الذي أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والعدني، وابن منيع والحميدي في مسانيدهم، والأربعة وصححه الترمذي وأبو يعلى والكجي في سننهم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حيان، والدارقطني في الإفراد وابن منده في غرائب شعبه، وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة كلهم من طريق قيس بن أبي حازم. قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه فذكره، والذي ساقه المصنف هنا هو أقرب إلى حديث جرير البجلي مرفوعاً فيما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد « ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصي أمنع منه وأعز لا يغيرون عليه إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب » ولفظ ابن مردويه من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: خطب أبو بكر الناس فكان في خطبته قال رسول الله ﷺ: « يا أيها الذين آمنوا لا تتكلوا على هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إن الذاعر ليكون في الحي فلا يمنعوه فيعمهم الله بعقاب » وله

ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقال: «يا أبا ثعلبة مُر بالمعروف وانهِ عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم» قيل: بل منهم يا رسول الله قال: «لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعواناً». وسئل ابن مسعود

أيضاً من حديث ابن عباس قال: قعد أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ يوم سمي خليفة رسول الله فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم مد يده فوضعها على المجلس الذي كان النبي ﷺ يجلس عليه من منبره، ثم قال: سمعت الحبيب وهو جالس في هذا المجلس يتأول هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ثم فسرها فكان تفسيره لنا أن قال: «نعم ليس من قوم عمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال: أن لا أكون سمعته من الحبيب صمتا».

وأخرج أبو ذر الهروي في الجامع من طريق قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق وقرأ هذه الآية في المائدة ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم أو ليعمنكم الله بعقاب وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب العزلة.

(**وروي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه**) في اسمه أقوال وهو ممن بايع تحت الشجرة منسوب إلى جده حسين بن لاي وذكر في كتاب الحلال والحرام (**أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقال: «يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم» قيل: بل منهم يا رسول الله. قال: «بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعواناً»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طريق أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه عليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أيام الصبر الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر

رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال: إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وقال رسول الله ﷺ :

خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» وفي رواية للحاكم بعد قوله مؤثرة وأمراً لا بد لك من طلبه فعليك نفسك ودعهم وعوامهم، وفيه أيضاً صبر فيهن كقبض على الجمر.

وقد روي مثل ذلك من حديث معاذ بن جبل أنه قال يا رسول الله: أخبرني عن قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ الآية. وقال «يا معاذ مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل امرىء برأيه فعليكم أنفسكم لا يضركم ضلالة غيركم فهو من ورائكم أيام صبر المتمسـك فيها بدينه مثل القابض على الجمر فللعامل منهم يومئذ مثل عمل أحدكم اليوم كأجر خمسين منكم» قلت يا رسول الله: خمسين منهم؟ قال: «بل خمسين منكم أنتم» أخرجه ابن مردويه.

(وسئل ابن مسعود) رضي الله عنه **(عن تفسير هذه الآية فقال: إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)**.

أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ كلهم من طريق الحسن عنه أنه سأله رجل عن قوله: ﴿عليكم أنفسكم﴾ فقال: أيها الناس إنه ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال: فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم الآية.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عنه في قوله ﴿عليكم أنفسكم﴾ الآية قال: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما لم يكن من دون ذلك السيف والسوط، فإذا كان ذلك كذلك فعليكم أنفسكم. وروى مثله عن الضحاك عن ابن عباس أخرجه ابن جرير من طريق جويبر عنه.

وأخرج عبد بن حميد، ونعيم بن حماد في الفتن، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طريق أبي العالية قال: كنا عند ابن مسعود فوقع بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك، فإن الله تعالى يقول ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فسمعها ابن مسعود فقال: مه لم يجيء تأويل هذه الآية بعد إن القرآن أنزل حيث أنزل فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض، فمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية.

وقد روي بمثل تفسير ابن مسعود عن غيره من الصحابة ومن بعدهم قيل لابن عمر: لو جلست

« لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم. وقال ﷺ: « يا أيها

في مثل هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال ﴿عليكم أنفسكم﴾ فقال: إنها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله ﷺ قال: « ألا فليبلغ الشاهد الغائب ». فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم. أخرجه ابن جرير وابن مردويه.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير من طريق قتادة عن رجل قال: كنت في خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبي ﷺ، فإذا فيهم شيخ حسبت انه قال أبيّ بن كعب فقرأ (**عليكم أنفسكم**) فقال: إنما تأويلها في آخر الزمان.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق قتادة عن أبي مازن قال: انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة فإذا قوم جلوس فقرأ أحدهم (**عليكم أنفسكم**) فقال أكثرهم: لم يجيء تأويل هذه الآية اليوم.

وأخرج ابن جرير عن جبير بن نفير قال: كنت في حلقة فيها أصحاب النبي ﷺ وإني لأصغر القوم نتذاكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت: أليس الله يقول ﴿عليكم أنفسكم﴾ فأقبلوا عليَّ بلسان واحد فقالوا: أتنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت، ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلام حدث السن، وإنك انتزعت آية لا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت.

وأخرج ابن مردويه من حديث أبي سعيد الخدري قال: ذكرت هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال نبي الله ﷺ « لم يجيء تأويلها لا يجيء تأويلها حتى يهبط عيسى ابن مريم عليه السلام ». وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول أن رجلاً سأله عن هذه الآية فقال: إن تأويل هذه الآية لم يجيء بعد إذ اهاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك بنفسك لا يضرك حينئذ من ضل إذا اهتديت ».

(وقال ﷺ « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم ») قال العراقي: رواه البزار من حديث عمر بن الخطاب، والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف، وللترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال: « أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » قال: هذا حديث حسن اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة أخرجه الخطيب أيضاً، وحديث حذيفة أخرجه كذلك أحمد والبيهقي.

(معناه: تسقط مهابتهم عن أعين الأشرار فلا يخافونهم) ولا يكون لكلامهم وقع في

الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم ». وقال ﷺ: « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي ». وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس ». وقال ﷺ: « إياكم والجلوس على الطرقات ». قالوا ما لنا بدّ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: « فإذا أبيتم إلا ذلك فاعطوا الطريق حقها » قالوا: وما حق الطريق؟ قال: « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ». وقال

قلوبهم. (**وقال ﷺ « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجيب لكم »**) قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ « مروا وانهوا » وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى. وفي إسناده لين اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم.

(**وقال ﷺ « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي »**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس مقتصراً على الشطر الأوّل من حديث جابر باسناد ضعيف. وأما الشطر الأخير فرواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحي بن عطاء مرسلاً أو معضلاً ولا أدري من يحي بن عطاء اهـ.

قلت: لفظ الديلمي « ما أعمال العباد كلهم عند المجاهدين في سبيل الله إلا كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر » وهكذا رواه أيضاً أبو الشيخ ابن حيان من حديث أنس، وأما يحي بن عطاء فليس له ذكر، ووجد بخط الحافظ ابن حجر في هامش الكتاب لعله يحي عن عطاء. قلت: فلا يكون الحديث معضلاً وينظر من يحي هذا الذي روى عن عطاء.

(**وقال ﷺ « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال: رب وثقت بك وفرقت من الناس »**) أي خفت منهم. قال العراقي: رواه ابن ماجه باسناد جيد وقد تقدم.

(**وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات. قالوا**): يا رسول الله (**ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: فإذا أبيتم ذاك فأعطوا الطريق حقها. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر**) أي عن المحارم (**وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد اهـ.

ﷺ : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله تعالى ». وقال ﷺ : « إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ». وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم؟ » قالوا: وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ». قالوا: وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: « كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر » قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ».

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود وعند بعضهم « إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها » الحديث.

(وقال ﷺ « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكراً لله تعالى ») رواه عبد بن حميد والترمذي وقال: غريب، وابن ماجه وابن أبي الدنيا في الصمت، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن المنذر وابن السني والطبراني في الكبير، وابن شاهين في الترغيب في الذكر والعسكري في الأمثال، والحاكم والبيهقي كلهم من طريق محمد بن عبدالله بن يزيد بن حسين قال: دخلت على سفيان الثوري نعوده ومعنا سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفيان: أعد عليَّ الحديث الذي كنت حدثتنيه عن أم صالح قال: حدثتني أم صالح بنت صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ فساقه. فقال محمد بن يزيد: ما أشد هذا الحديث، فقال سفيان: وما شدة هذا الحديث إنما جاءت به امرأة عن امرأة هذا في كتاب الله عز وجل، أما سمعت الله عز وجل يقول ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء: ١١٤] فهو هذا بعينه الحديث وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال ﷺ « إن الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ») قال العراقي: رواه أحمد من حديث عدي بن عميرة وفيه من لم يسم، والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه اهـ.

قلت: ولفظ أحمد: لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يرى المنكر بين ظهرانيهم، وفي آخره: فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة. وأخرجه الخطيب في رواة مالك من طريق ابن مسلمة عن أبيه عن النبي ﷺ مثله.

(وروى أبو أمامة) عدي بن عجلان **(الباهلي)** رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ انه قال: « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم؟ قالوا: إن ذلك لكائن يا رسول**

قالوا : وما أشد منه ؟ قال : « كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً » قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون » قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : « كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ » قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . يقول الله تعالى بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » . وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوماً فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوماً فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه » . قال : وقال رسول الله ﷺ : « لا ينبغي لامرىء شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقاً هو له » . وهذا الحديث

الله ؟ قال : نعم . والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . يقول الله تعالى بي) أي بعظمتي وجلالي **(حلفت لأتيحن)** أي لأقدرن **(لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله : إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصراً على الأسئلة الثلاثة الأول ، وأجوبتها دون الآخرين وإسناده ضعيف أيضاً اهـ .

قلت : وقد أخرج أبو عثمان الصابوني في المائتين : حدثنا حديثاً عن أنس يشبه سياقه إلا أن المراجعة فيه من سلمان وهو طويل جداً وقد أمليته في جملة الأمالي الشيخونية .

(وعن عكرمة عن ابن عباس) رضي الله عنه **(قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوماً)** أي من غير وجه شرعي **(فإن اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوماً فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه »)** قال العراقي : رواه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن . **(قال)** ابن عباس : **(وقال رسول الله ﷺ « لا ينبغي لامرىء شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به فإنه لم يقدم أجله ولم يحرمه رزقاً هو له »)** . قال العراقي : رواه البيهقي من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله ، وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد « لا يمنعن رجلاً هيبته للناس أن يقول الحق إذا علمه » اهـ .

يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال: « اللعنة تنزل على من حضر » ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذاراً بأنه عاجز. ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير، وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق. ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم، ورأوا الفتن ولم يؤمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه، فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم، ثم قرأ: ﴿ ففِرُّوا إلى الله إني لَكُم مِنهُ نَذيرٌ مبينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠] قال: ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام لتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه، ويسألها أين أمرت فتخبره. وليس بنبي. وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » ومعنى الحديث

(**وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة**) أي مساكنهم ومجامعهم (**وحيث يشاهد المنكر ولا يقدر على تغييره**) بيده أو بلسانه (**فإنه قال: « اللعنة تنزل على من حضره » ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذار بإنه عاجز**) عن دفعه، (**ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة**) عن الناس (**لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع**) والحمامات (**وعجزهم عن التغيير، وهذا يقتضي الهجرة للخلق**) أي مهاجرتهم، (**ولهذا قال عمر بن عبد العزيز**) الأموي رحمه الله تعالى: (**ما ساح السوّاح في الأرض وخلوا دورهم وأولادهم**) أي تركوها بما فيها وتركوا العيال (**إلا لمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد الدرس، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم**) أي بالحق، (**ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تغير بهم**) أي على يدهم، (**وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه**) لكونهم معهم، (**فرأوا أن مجاورة السباع**) الضارية في الأجمات (**وأكل البقول**) المباحة (**خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم، ثم قرأ**) قوله تعالى: ﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ **قال: ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة**) من السر (**ما جعل لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فيا بلغنا أن الملائكة**) عليهم السلام (**لتتلقاهم فتصافحهم والسحاب والسباع يمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها**) أي السحاب: (**أين أمرت؟ فتخبره وليس بنبي**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: « من حضر معصية فكرهها**

أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه، فأما الحضور قصداً فممنوع بدليل الحديث الأوّل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: « ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حواري فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنّة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون، فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة نفر ينكرون ما يعملون، فقام أحدهم فقال: إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم

فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها ») قال العراقي: رواه ابن عدي وفيه يحيى بن سليمان. قال البخاري: منكر الحديث، ولأبي داود نحو من حديث العرس بن عميرة اهـ.

قلت: ومن حديث أبي هريرة رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورواه أيضاً البيهقي وضعفه ولفظهم في الموضعين « فكأنما » بدل « فكأنه ».

(ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة) داعية **(أو يتفق جريانه بين يديه)** من غير أن يكون له علم بذلك، **(فأما الحضور قصداً فممنوع بدليل الحديث الأوّل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حواري)** أي أنصار. **(فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنّة نبيهم، فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر ويقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك إسلام »)** قال العراقي: رواه مسلم نحوه اهـ.

قلت: وكأنه يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري رفعه فيما رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه بلفظ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وقد رواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وابن حبان، ورواه النسائي بلفظ: « من رأى منكراً فغيره بيده فقد بريء ومن لم يستطع ان يغيره بيده فغيره بلسانه فقد بريء ومن لم يستطع ان يغير بلسانه فغيره بقلبه فقد بريء » وذلك أضعف الإيمان. وسيأتي للمصنف في الباب الثاني.

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان) فيمن مضى **(أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة نفر ينكرون)** عليهم **(بما يعملون فقام أحدهم فقال: إنكم تعملون كذا**

ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبّهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل، ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبّهم فسبوه فاعتزل ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني. ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني. ثم ذهب ثم قام الرابع فقال: اللهم إني لو نهيتهم لعصوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب. قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قيل يا رسول الله: أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال: «نعم» قيل: بمَ يا رسول الله؟ قال: «بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى». وقال جابر بن عبدالله، قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر فيّ

وكذا) يعني من المعاصي **(فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون)** أي لا ينكفون **(عن أعمالهم)** القبيحة، **(فسبّهم)** بلسانه **(فسبّوه وقاتلهم)** بيده **(فغلبوه)** فاعتزل عنهم، **(ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم)** عن المعاصي **(فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني، ثم ذهب. ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبّوه فاعتزل)** عنهم **(ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني)** وفي نسخة: لقاتلوني **(ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل)** عنهم **(ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب، ثم قام الرابع فقال: اللهم إني لو نهيتهم عصوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني. قال ابن مسعود)** بعد أن ساق حديثهم: **(كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله)** وقد روي عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل﴾ الآية [المائدة: ٧٨]. ما يقارب هذا السياق تقدمت الإشارة إليه، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه، **(قيل: يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال «نعم» قيل: بم يا رسول الله؟ قال «بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى»)**. قال العراقي: رواه البزار والطبراني بسند ضعيف.

(وقال جابر بن عبد الله) الأنصاري رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ «أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها. قال)** الراوي **(فقال)** الملك: **(يا رب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين. قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم**

ساعة قط ». وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: « **عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء، قالوا يا رسول الله: كيف؟ قال: لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر** ». وعن عروة عن أبيه قال: قال موسى ﷺ: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي. والذي يغضب إذا أتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه، فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قلّ الناس أم كثروا، وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف. وقال أبو ذر الغفاري، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: « نعم يا أبا بكر إن لله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من

يتغير في ساعة قط ») وفي نسخة لم يتمعر. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال: المحفوظ من قول مالك بن دينار.

(وقالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء. قالوا: يا رسول الله كيف؟ قال: لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر »). قال العراقي: لم أقف عليه مرفوعاً. وروى ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر، والصغاني: أوحى الله إلى يوشع بن نون أني مهلـك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم. قال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يؤاكلوهم ويشاربوهم اهـ.

قلـت: وجد بخط الحافظ ابن حجر في هامش الكتاب ما لفظه: هذا ذكره الغزالي في الباب الذي بعد هذا، وأغفل الشيخ التنبيه عليه. قلت: قد ذكر هذه القصة في الآثار كما سيأتي قريباً.

(وعن عروة) بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي القرشي أبي عبد الله المدني الفقيه **(عن أبيه)** أحد العشرة المبشرة رضي الله عنه **(قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يتسارع إلى هواي كما يتسارع النسر)** وفي بعض النسخ: النسيم **(إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي)** أي ثدي أمه وفي نسخة بالناس **(والذي يغضب إذا أتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قلّ الناس أم كثروا)** رواه الطبراني في الأوسط، **(وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف)** أي كلما كان الخوف على النفس شديداً كانت فضيلة الحسبة أكثر.

(وقال أبو ذر) جندب بن جنادة **(الغفاري)** رضي الله عنه: **(قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم**

الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ ». فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ومن هم؟ قال: « هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله » ثم قال: « والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغر ات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوّج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له: أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر؟ كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ». وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل؟ قال: « رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ». وقال الحسن البصري

يا أبا بكر إن لله تبارك وتعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء يرزقون يمشون على الأرض يباهي الله عز وجل بهم الملائكة ويزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة للنبي ﷺ » فقال أبو بكر: يا رسول الله ومن هم؟ قال « هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله تعالى والمبغضون في الله تعالى » قال: « والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوّج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له: أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر؟ كلما التفت إلى واحدة منهن ذكرت له كل مقام أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ») قال العراقي الحديث بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر.

(وعن أبي عبيدة بن الجراح) رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرة **(قلت: يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله تعالى؟ قال « رجل قام إلى والٍ جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش »)** قال العراقي: رواه البزار إلى قوله « فقتله ». وهذه الزيادة منكرة، وفيه أبو الحسن غير منسوب لا يعرف اهـ.

قلت: وأخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي عبيدة بن الجراح مرفوعاً « قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أوّل النهار فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبادهم فأمروهم

رحمه الله: قال رسول الله ﷺ: «أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك. فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر».

وأما الآثار. فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم. وسئل

ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً في آخر النهار، فهم الذين ذكرهم الله تعالى ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ الآيات.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرسلاً **(قال رسول الله ﷺ «أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فهو الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر»)**. قال العـراقي: لم أره من حديث الحسن وللحاكم في المستدرك وصحح اسناده من حديث جابر «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» اهـ.

قلـت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ والضياء في المختارة من حديث جابر.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر») قال العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسنـد ضعيف. وأما حديث عمر فأشار إليه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بقوله: وفي الباب ورواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلاً اهـ.

وقد وردت في فضل الأمر بالمعروف أخبار كثيرة توجد مفرقة في كتب الحديث، وقد اعتنى بجمعها جماعة من المحدثين: منهم الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا فأتى بما لا مزيد عليه، فمن أراد الزيادة فعليه بكتاب الأمر بالمعروف له.

(وأما الآثـار فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم.

وقد أخرجه عبد بن حميد من حديث معاذ مرفوعاً في حديث طويل فيه «والذي نفسي بيده

حذيفة رضي الله عنه عن ميت الاحياء فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه. وقال مالك بن دينار: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوماً وقد غمز بعض النساء فقال: مهلاً يا بنيّ مهلاً وسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلاناً الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلاً يا بني مهلاً. وقال حذيفة: يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم، وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم».

(وسئل حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه **(عن ميت الأحياء. فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق خلاد بن عبد الرحمن أن أبا الطفيل حدثه أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس ألا تسألوني عن ميت الأحياء ثم ساق الحديث. وفيه: فمن الناس ينكر بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده وشعبة من الحق ترك، ومنهم من ينكر بقلبة كافاً يده ولسانه وشعبتين من الحق ترك. ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا لسانه فذلك ميت الأحياء.

(وقال) أبو يحيى **(مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى فيما رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني علي بن مسلم، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالكاً يقول: **(كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى النساء والرجال منزله فيعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل)** قال: **(فرأى بعض بنيه يوماً وقد غمز بعض النساء فقال: مهلاً يا بني مهلاً)** يا بني **(قال: فسقط عن سريره وانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه)** ولفظ الحلية إلى نبيهم **(أن أخبر فلاناً الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً ما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلاً يا بني مهلاً)** يا بني.

(وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه: **(يأتي على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم)**، والذي في الحلية لأبي نعيم من طريق أبي البختري، عن أبي عمر ـ يعني زاذان ـ قال: قال حذيفة: ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر.

(وأوحى الله عز وجل إلى يوشع بن نون) أحد أنبياء بني اسرائيل وهو المراد من قوله

خيارهم وستين ألفاً من شرارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم. وقال بلال بن سعد: إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة. وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني: كيف منزلتك من قومك؟ قال: حسنة. قال كعب: إن التوراة لتقول غير ذلك. قال: وما تقول؟ قال: تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه. فقال: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم. وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له: لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم. فقال: أرهب إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكت رهبت أن آثم، وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أوّل

تعالى: وإذ قال موسى لفتاه (**إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الاخيار؟ قال: انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم**) رواه ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمرو والصغائي كما ذكره العراقي وسبقت الإشارة إليه قريباً.

(**وقال بلال بن سعد**) بن تميم الأشعري أبو عمر الدمشقي ثقة عابد تقدمت ترجمته: (**إن المعصية إذا أخفيت عن الناس لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت**) أي ظهرت لهم (**فلم تغير أضرت بالعامة. وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني**) الزاهد الشامي اسمه عبدالله بن ثوب رحل إلى النبي ﷺ فم يدركه وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية: (**كيف منزلتك من قومك؟ قال: حسنة. قال كعب: إن التوراة**) أي الكتاب الذي أنزل على سيدنا موسى عليه السلام (**لتقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه. قال: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم**) يعني نفسه. وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى ابن لهيعة. حدثنا ابن هبيرة أن كعباً كان يقول: إن حكيم هذه الأمة أبو مسلم الخولاني.

(**وكان عبدالله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما (**يأتي العمال**) أي يدخل على ولاة الأمر (**ثم قعد عنهم**) أي ترك الدخول عليهم (**فقيل له: لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم**) أي لعلهم يجدون تأثيراً لكلامك في أنفسهم. (**قال: ارهب**) أي أخاف (**إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكت رهبت**) أي خفت (**أن آثم**) أي أقع في الإثم، (**وهذا يدل على ان من عجز عن الأمر بالمعروف**) والنهي عن المنكر (**فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ليستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه**) أي بمحضر منه.

(**وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد**

ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم. فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر فجعل أعلاه أسفله. وقال سهل بن عبدالله رحمه الله: أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوّش الزمان، فهو ممن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه، فقد جاء بما هو الغاية في حقه. وقيل للفضيل: ألا تأمر وتنهي؟ فقال: إن قوماً أمروا ونهوا فكفروا، وذلك انهم لم يصبروا على ما أصيبوا. وقيل للثوري: ألا تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فقال: إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به، فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه.

بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله) والقلب المنكوس لا خير فيه.

(وقال) أبو محمد **(سهل بن عبد الله)** التستري رحمه الله تعالى: **(أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوّش الزمان)** أي اضطرابه **(فهو ممن قام لله تعالى في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** أي تعلقه بدينه والتثبت عليه مما يقوم مقام القيام بالأمر بالمعروف. **(معناه: إنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام به، وأنكر أحوال الغير بقلبه، فقد جاء بما هو الغاية في حقه. وقيل للفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(ألا تأمر وتنهي؟ فقال: إن قوماً أمروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما أصيبوا)** فأداهم ذلك إلى الوقوع في الكفر. **(وقيل للثوري)** سفيان رحمه الله تعالى: **(ألا تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فقال: إذا انبثق)** وفي نسخة. انفتق **(البحر)** أي هاج واشتد هيجانه **(فمن يقدر أن يسكنه. فقد ظهر بهذه الأدلة)** من الكتاب والسّنة والأثر **(أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب)** على المسلمين **(وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه)**.

الباب الثاني

في أركان الأمر بالمعروف وشروطه

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة: المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب. فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط.

الركن الأوّل: المحتسب:

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة، فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه.

الباب الثاني

قي أركان الأمر بالمعروف وشروطه

(اعلم أن الركن في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة) اعلم أن الحسبة بالكسر يكون اسماً من الاحتساب بمعنى إدخار الأجر عند الله تعالى لا يرجو ثواب الدنيا، ويكون من الاحتساب بمعنى الاعتداد بالشيء، ويكون من الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر فيه ومنه قولهم: فلان حسن الحسبة في الأمر نقله الأصمعي، وهو المراد هنـا وليس هو من احتساب الأجر، فإن احتساب الأجر فعل الله لا غير حققه صاحب المصباح وغيره. **(المحتسب)** بكسر السين، **(والمحتسب عليه)** بفتحها، **(والمحتسب فيه)** بالفتح أيضاً، **(ونفس الاحتساب، فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط)** يأتي بيانها.

(الركن الأول: المحتسب) بكسر السين، **(وله شروط وهو أن يكون مكلفاً)** أي ملزماً ما فيه كلفة أي مشقة، **(مسلماً)** أي متصفاً بالإسلام، **(قادراً فيخرج منه المجنون)** المطبق على عقله **(والصبي)** لأنه لم يتوجه عليهما التكليف **(والكافر)** خرج من قيد الإسلام، **(ويدخل فيه آحاد الرعايا)** من العامة. **(وإن لم يكونوا مأذونين)** من ولاة الأمور، **(ويدخل)** في هذا الشرط **(الفاسق والرقيق والمرأة)** لوجود التكليف والإسلام والقدرة، **(فلنذكر وجه اشتراط ما شرطناه ووجه اطراح ما طرحناه)**.

أما الشرط الأوّل: وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه ، فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به انه شرط الوجوب ، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى أن الصبي المراهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي ، فإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث انه ليس بمكلف ، فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ، ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية . نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته ، فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضرّ به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر .

وأما الشرط الثاني: وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوّ له .

(أما الشرط الأوّل: وهو التكليف فلا يخفي وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر) وهذا يرشد إلى أن المراد بالتكليف هو إلزام ما فيه كلفة لا طلب ما فيه كلفة كما قاله الباقلاني ، **(وما ذكرناه أردنا به أنه شرط الوجوب)** أي لا يجب عليه إلا إذا وجد فيه ذلك الشرط ، **(فاما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل)** فقط ، **(حتى أن الصبي المراهق للبلوغ)** بالسن أو الاحتلام **(المميز وإن لم يكن مكلفاً)** بالعقل **(فله إنكار المنكر في الجملة وله أن يريق الخمر)** من الدنان ، **(ويكسر)** آلات **(الملاهي وإذا فعل ذلك نال به)** من الله تعالى **(ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث انه ليس بمكلف)** . وهذا يدل على أنه إذا منع لوجه آخر فهذا شيء آخر غير داخل في البحث ، **(فإن هذه قربة)** إلى الله تعالى **(وهو)** أي المذكور **(من أهلها كالصلاة)** لما ورد في الخبر « مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً **(والإمامة فيها)** أي في الصلاة كالتراويح ، **(وسائر القربات)** كذلك **(وليس حكمه حكم الولايات)** العامة **(حتى يشترط فيها التكليف ، ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية . نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر)** باراقة وكسر مثلاً **(نوع ولاية وسلطنة ؛ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك)** الحربي **(وإبطال أسبابه وسلب أسلحته)** إذا تمكن منه ، **(فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضرّ به)** فإذا كان هذا جائزاً فإراقة الخمر وكسر الملاهي جوازه بطريق الأولى ، **(فالمنع من الفسق)** وأسبابه **(كالمنع من الكفر)** .

(وأما الشرط الثاني: وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا) أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **(نصرة للدين)** وإقامة لأركانه ، **(فكيف يكون من أهله من هو جاحد)** أي منكر **(للدين وعدوّ له)** هذا لا يتصوّر أصلاً .

وأما الشرط الثالث: وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا: ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى: ﴿أتأمرون النَّاس بالبرِّ وتنسَوْنَ أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿ كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٣] وبما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهي عن الشر ونأتيه ». وبما روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ﷺ: عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني. وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة، والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح، فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره؟

ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟

(**وأما الشرط الثالث: وهو العدالة فقد اعتبرها قوم**) من العلماء (**وقالوا: ليس للفاسق أن يحتسب**) أي ليس بأهل لذلك (**وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد**) في الآيات والأخبار (**على من يأمر بما لا يفعله**) هو (**مثل قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ وقوله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**) ففيهما وعيد شديد ونكير وتهديد على من يأمر بشيء ولا يأتي به. (**وبما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض**) أي تقطع (**شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخيرولا نأتيه وننهي عن الشر ونأتيه »**) وفي رواية: « فقلت لجبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ». رواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية، وأيضاً من حديث أنس وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. (**وبما روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام**) : يا عيسى (**عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا الحسين بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن محمد بن معاوية، حدثنا سليمان بن داود القزاز، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فذكره.

(**وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير**) وإرشاده (**فرع للإهتداء**) فمن لم يكن مهدياً في نفسه كيف يكون هادياً لغيره. (**وكذلك تقويم الغير فرع الاستقامة**) فالمستقيم في نفسه يمكن أن يقوم غيره، (**والاصلاح**) للغير (**زكاة عن نصاب الصلاح**) في النفس (**فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره**) هذا كقولهم.

(**ومتى يستقيم الظل والعود أعوج**) هو مصراع بيت من بحر الطويل. والأثر تابع للمؤثر لا محالة.

وكل ما ذكروه خيالات. وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول: هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلاً عمن دونهم، والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا، والقرآن العظيم دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية، وكذا جماعة من الأنبياء، ولهذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينهِ عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء، فأعجب مالكاً ذلك من سعيد بن جبير، وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز

(وكل ما ذكروه) من هذا الجنس من الأدلة **(خيالات)** وتخبيطات، **(وإنما الحق)** الصريح **(أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول: هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها)** دقيقها وجليلها؟ **(فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع)** أوّلاً **(ثم حسم لباب الاحتساب)** وسدّ له **(إذ لا عصمة للصحابة)** رضوان الله عليهم وهم أشرف الخلق بعد النبي ﷺ، **(فضلاً عمن دونهم)** في المقام والرتبة **(والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا، والقرآن دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية)** كقوله تعالى ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١] **(وكذا جماعة من الأنبياء عليهم السلام)** كداود عليه السلام. وكأخوه يوسف الصديق عليهم السلام على القول بنبوّتهم، وقد عقد القاضي عياض في كتابه الشفاء فصلاً لإثبات عصمتهم، وأنه مذهب أهل السنّة والجماعة، وكذا أبو الحجام البلوي في كتابه ألف باء، وأجابوا عما وقع في القرآن في المواضع التي وقع فيها نسبتهم إلى المعاصي فالأنبياء معصومون والاولياء محفوظون. وقال الراغب: العصمة فيض إلهي يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر، حتى يصير كمانع له من باطنه وإن لم يكن منعاً محسوساً واياه عني بقوله تعالى ﴿ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤] وقد روي أن يوسف عليه السلام رأى صورة أبيه وهو عاض على إبهامه فأحجم وليس ذلك بمانع ينافي التكليف كما توهمه بعض المتكلمين، فإن ذلك كان تصوّراً منه وتذكراً لما كان قد حذره منه، وعلى هذا قال ﴿لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [يوسف: ٢٤] ومن عصمة الله تعالى أن يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه اهـ.

وقد تطلق العصمة ويراد بها الحفظ وعليه خرجوا قول أبي الحسن الشاذلي قدس سره في حزبه الصغير: نسألك العصمة في الحركات الخ أي الحفظ من الوقوع في المعاصي، وفيه كلام أوردته في شرحي على الحزب الكبير له فراجعه.

(ولهذا قال سعيد بن جبير) التابعي رحمه الله تعالى: **(إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء)** فإنه ما منا من لا يكون فيه شيء، **(فأعجب مالكاً)** بن أنس الإمام رحمه الله تعالى **(ذلك)** القول **(من سعيد بن جبير)** أي

للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول: وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر؟ فإن قالوا لا خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام، ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله ﷺ ولا بعده، فإن قالوا: نعم، فنقول: شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا؟ فإن قالوا: لا. قلنا: فما الفرق بينه وبين لابس الحرير؟ إذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير؟ فلا فرق، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه، وإنما يمنع عما فوقه، فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب؟ بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول: يجب عليَّ الانتهاء والنهي، فمن أين يلزمني من العصيان بأحدهما أن أعصي الله تعالى بالثاني؟ وإذا كان النهي واجباً عليّ فمن أين يسقط وجوبه بإقدامي؟ إذ يستحيل أن يقال: يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب، فإذا شرب سقط عنه النهي.

استحسنه. **(وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير)** وهو محرم **(أن يمنع من الزنا وشرب الخمر)** وهما أيضاً محرمان، **(فنقول: هل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويقاتلهم ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر؟ فإن قالوا: لا)** فقد **(خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر، والفاجر وشاربي الخمر وظالمي الأيتام و)** مع ذلك **(لم يمنعوا من الغزو)** مع الكفار **(لا في عصر رسول الله ﷺ ولا بعده)** في عصر الخلفاء الراشدين وبعد عصرهم إلى زماننا هذا. **(فإن قالوا: نعم)** له ذلك. **(فنقول: شارب الخمر هل له المنع من القتل أو لا؟ فإن قالوا: لا. قلنا: فما الفرق بينه وبين لابس الحرير إذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب)** كبيرة **(بالنسبة إلى لبس الحرير؟ فلا فرق. وإن قالوا نعم)** له المنع من القتل **(وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم)** على شيء فلا يمنع غيره **(عن مثله ولا عما دونه، وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكّم)** بلا دليل، **(فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل، فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب؟ بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول: يجب علي الانتهاء والنهي، فمن أين يلزمني بالعصيان في أحدهما ان أعصي الله بالثاني؟ إذ كان النهي واجباً علي فمن أين يسقط وجوبه بإقدامي)** على الشرب؟ **(إذ يستحيل أن يقال: يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب، فإذا شرب سقط عنه النهي)** ولم يقل به أحد.

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب لي السحور والصوم جميعاً، ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر، فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه، فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول. والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحباً وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير، وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير، فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم.

وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤدياً أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعاً. فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقاباً ممن نهى ولم ينته. كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة.

وأما الحسبة فليست شرطاً في الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما.

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقال: إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها، فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول: أنت

(**فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقول القائل: الواجب علي الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل، و**) كذلك في الصوم والسحور (**فأنا أتسحر وإن لم أصم لأن المستحب لي السحور والصوم جميعاً**) وهذا في التطوّع (**ولكن يقال: أحدهما مرتب على الآخر، فكذلك تقويم الغير**) وإصلاحه (**مرتب على تقويم نفسه**) وإصلاحها، (**فليبدأ**) بنفسه في التقويم (**ثم بمن يعول**) يشير إلى الخبر المشهور في النفقة « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ». (**والجواب**) عن هذا (**إن التسحر**) إنما يراد للصوم (**ولولا الصوم لما كان التسحر محبوباً**) ومطلوباً، (**وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا إصلاح النفس**) يراد (**لإصلاح الغير، فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم**) محض.

(**وأما الوضوء والصلاة فهو لازم. فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤدياً أمر الوضوء**) فقط، (**وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعاً، فليكن**) على هذا (**من ترك النهي والانتهاء أكثر عقاباً ممن نهى**) غيره (**ولم ينته**) بنفسه. (**كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة، فأما الحسبة فليست شرطاً في الانتهاء والائتمار**) فافترقا (**فلا مشابهة بينهما**).

(**فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقال إذا زنا الرجل بامرأة وهي مكرهة**) أي أكرهها على الفعل بها (**مستورة الوجه، فكشف وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا**

مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم، وها أنا غير محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم.
فالجواب: أن الحق قد يكون شنيعاً، وأن الباطل قد يكون مستحسناً بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات، فإنا نقول قوله لها في تلك الحالة: «لا تكشفي وجهك» واجب أو مباح أو حرام؟ فإن قلتم أنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق، وإن قلتم أنه مباح فإذاً له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة؟ وإن قلتم: إنه حرام. فنقول: كان هذا واجباً فمن أين حرم بإقدامه على الزنا؟ ومن الغريب أن يصير الواجب حراماً بسبب ارتكاب حرام آخر.

وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين:

أحدهما: أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم، وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعني فتنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا، وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التي هي أخبار عن كائن يصدق فيه المخبر، وهذا

ويقول: أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم، وما أنا بمحرم لك فاستري وجهك) عني، (**فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم؟ والجواب)** عن هذا (**أن الحق قد يكون شنيعاً**) مستقبحاً، (**وأن الباطل قد يكون مستحسناً بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات؟ فإنا نقول قوله لها في تلك الحالة «لا تكشفي وجهك»**) أو استري وجهك (**واجب أو مباح أو حرام**) لا يخلو من أحد الثلاثة؟ (**فإن قلتم إنه واجب فهو الغرض**) المطلوب (**لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق، وإن قلتم إنه مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة؟ وإن قلتم انه حرام فنقول: كان هذا واجباً فمن أين حرم باقدامه على الزنا. ومن الغريب أن يصير الواجب حراماً بسبب الحرام وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها فهو لشيئين**).

(**أحدهما ترك الأهم**) أي أشده اهتماماً له (**واشتغل بما هو مهم**) فلذلك نفرت عنه الطباع، (**وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعني**) أي ما لا يعتنى به (**فتنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم**) وفرق بين المهم والأهم كما أنه فرق بين المهم وبين غير المهم، (**كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا**) وفي نسخة على: الزنا (**وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة**) في اخوانه، (**ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أشد وأفحش من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر، وهذا الاستبعاد في**

الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب، وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته، فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره، فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث أنه ترك الأكثر لا من حيث أنه أتى بالأقل، فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئاً، إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر، ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه، وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث أنها حسبة مستنكرة.

الثاني: أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أوّلاً. ونحن نقول: من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ، إذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه، ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام، فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر، وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعاً، وإذا كان فاسقاً فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له: فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه

النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب، وأنه لو اغتاب) رجلاً **(أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته، فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره. فاشتغالة بالأقل عن الأكثر مستنكر بالطبع من حيث أنه ترك الاكثر لا من حيث أنه أتى بالأقل، فمن سرق فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس)** ولم يطلبها **(نفرت منه الطباع)** وأنكرته **(ويرى مسيئاً)** في فعله، **(وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام، فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه، وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة)**.

(الثاني: أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ) والنصيحة: **(وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أوّلاً)** أي لا ينفع، **(ونحن نقول: من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ)** اللساني، **(إذ لا فائدة في وعظه)** ذلك، **(فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه)** أي لا يكون لكلامه فائدة مع وجود الفسق، **(ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام)** فلم يكن واجباً عليه، **(فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعاً، وإذا كان)** المحتسب **(فاسقاً فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال: فإنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع**

مقهوراً بالحجة، وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقاً، كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقاً، فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ، وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالإنكار فنقول: ليس له ذلك أيضاً. فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظي قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه، وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر وهذا غاية الإنصاف والكشف في المسألة، وأما الآيات التي استدلوا بها فهو إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم، ولكن أمرهم دل على قوّة علمهم وعقاب العالم أشد لأنه لا عذر له مع قوّة علمه. وقوله تعالى: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢] المراد به الوعد الكاذب. وقوله عز وجل: ﴿وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] إنكار من حيث أنهم نسوا أنفسهم لا من حيث أنهم أمروا غيرهم، ولكن ذكر أمر الغير استدلالاً به على علمهم وتأكيداً للحجة عليهم. وقوله: « يا ابن مريم عظ نفسك » الحديث هو في الحسبة بالوعظ. وقد

عن قهره بالفعل مع كونه مقهوراً بالحجة، وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقاً، كما أن من يذب الظالم) أي يدفعه **(عن آحاد المسلمين ويهمل أباه)** أي يتركه **(وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه للمسلم عن كونه حقاً)** في حد نفسه، **(فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف بفسقه لأنه لا يتعظ)** أي لا ينجع فيه وعظه لما عرفه منه **(وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالإنكار فنقول: ليس له ذلك أيضاً. فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظي قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه، وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمور وكسر)** آلات **(الملاهي وغيرها إذا قدر)** على ذلك، **(وهذا غاية الانصاف والكشف في)** هذه **(المسألة)** وليس وراء ذلك تحقيق، **(وأما الآيات التي استدلوا بها فهي إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم، ولكن أمرهم دل على قوّة علمهم وعقاب العالم أشد)** لما في الخبر: « ويل للجاهل مرة وللعالم سبع مرات » **(لأنه لا عذر له مع قوّة علمه وقوله تعالى ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ المراد به الوعد الكاذب)** يعد بلسانه أن يفعل شيئاً فلا يفعل. **(وقوله تعالى ﴿وتنسون أنفسكم﴾ إنكار)** عليهم **(من حيث أنهم نسوا أنفسهم لا من حيث انهم أمروا غيرهم، ولكن ذكر أمر الغير استدلالاً به على علمهم وتأكيداً للحجة عليهم. وقوله تعالى)** في خطابه لعيسى عليه السلام: **(يا ابن مريم عظ نفسك الحديث)** الخ. **(هو في الحسبة بالوعظ. وقد سلمنا ان**

سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله: « فاستحي مني » لا يدل على تحريم وعظ الغير، بل معناه استحي مني فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال: احفظ أباك ثم جارك وإلاَّ فاستحي.

فإن قيل: فليجز للكافر الذمي أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزني لأن قوله لا تزن حق في نفسه، فمحال أن يكون حراماً عليه، بل ينبغي أن يكون مباحاً أو واجباً؟

قلنا: الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث أنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، وأما مجرد قوله: « لا تزن » فليس بمحرم عليه من حيث أنه نهي عن الزنا ولكن من حيث أنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمتحكم عليه. والفاسق يستحق الإذلال، ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالذل منه، فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول: إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث أنه نهي، بل نقول: إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن.

الشرط الرابع: كونه مأذوناً من جهة الإمام والوالي، فقد شرط قوم هذا الشرط

وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه، ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم، كما يقال: احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحي) فحفظ أبيه هو الأهم وحفظ الجار هو المهم.

(فإن قيل فليجز للكافر الذمي أن يحتسب على المسلم إذ رآه يزني لأن قوله: لا تزنِ حق في نفسه فمحال أن يكون حراماً بل ينبغي أن يكون مباحاً أو واجباً؟)

(قلنا) في الجواب عنه: **(الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسليط عليه فيمنعه من حيث أنه تسليط عليه وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)** أي بالتسلط عليه، **(وأما مجرد قوله: « لا تزن »)** أيها المسلم **(فليس بمحرم عليه من حيث أنه نهي عن الزنا، ولكن من حيث أنه إظهارَ دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال، ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالذل منه)** لكفره. **(فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلاَّ فلسنا نقول: إن الكافر يعاقب بسبب قوله « لا تزن »)** يا مسلم **(من حيث أنه نهي، بل نقول: إذا لم يقل لا تزن يعاقب إن رأينا خطاب الكَفار بفروع الدين)** وهي مسألة مشهورة في الأصول، وقد أشرنا إليها في كتاب « الحلال والحرام ». **(وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات)** أي الكتب المصنفة في الفقه **(ولا يليق)** تطويله **(بغرضنا الآن)**.

(الشرط الرابع: كونه مأذوناً من جهة الإمام والوالي) من طرفه، **(فقد شرط قوم هذا**

ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة، وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكراً فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له، والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا: لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم. وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا، بل جوابهم أن يقال لهم: إذا جاؤوا إلى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف، وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق، لأن الإمام الحق بعد لم يخرج.

فإن قيل: في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقاً فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالي وصاحب الأمر؟ فنقول: أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم، وأما آحاد المسلمين

الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة، وهذا الاشتراط فاسد لأن الآيات القرآنية والاخبار) النبوية **(التي رويناها)** منها ما تقدم ومنها ما سيأتي **(تدل)** بظاهرها **(على أن كل من رأى منكراً فسكت عنه عصى الله عز وجل أينما رآه وكيفما رآه على)** وجه **(العموم)** والشمول، **(فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام)** له **(تحكم لا أصل له، والعجب أن)** طائفة **(الروافض)** قد **(زادوا على هذا فقالوا: لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم)** ويعنون به المهدي المنتظر وقد شرطوا العصمة للأئمة الاثني عشر، وجعلوا إجماع آل البيت حجة كما هو مذكور في كتب الأصول في بحث الإجماع. **(وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا)** أي يخاطبوا **(بل جوابهم أن يقال لهم: إذا جاؤوا إلى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم وأموالهم: أن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهي عن المنكر، وطلبكم لحقكم من جملة المعروف، وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج)** وأنتم تنتظرونه ما صبروا حتى يخرج.

(فإن قيل: الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقاً فينبغي أن لا يثبت لأحد الرعية إلا بتفويض من الوالي وصاحب الأمر) وهو المطلوب، **(فنقول)** في الجواب: **(أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم،**

فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج إلى إذن الوالي وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل، وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي.

وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي.

أولها: التعريف.

والثاني: الوعظ بالكلام اللطيف.

والثالث: السب والتعنيف. ولست أعني بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجري هذا المجرى.

والرابع: المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه.

والخامس: التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه

وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج إلى تفويض) من والٍ **(كعز التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل)** عن المنكر **(ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج إلى إذن الوالي، وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل، وذلك يكفي فيه مجرد الدين، فكذلك النهي)** يقاس عليه.

(وشرح القول في هذا أن فعل الحسبة له خمس مراتب كما سيأتي بيانه).

(الأول: التعريف) بأن يعرف من كان جاهلاً.

(والثانية: الوعظ) والنصح **(بالكلام اللطيف)** اللين.

(والثالثة: السب والتعنيف ولست أعني بالسب الفحش) في القول **(بل)** يكفيه **(أن يقول)** له **(يا جاهل يا أحمق)** يا بليد **(ألا تخاف من الله عز وجل وما يجري هذا المجرى).**

(والرابعة: المنع بالقهر بطريق المباشرة) بالفعل **(ككسر)** آلات **(الملاهي واراقة الخمر)** على الأرض **(واختطاف الثوب الحرير من لابسه)** وإزالته عنه **(واستلاب الشيء المغصوب منه ورده على صاحبه).**

(والخامسة: التخويف) والتحذير **(والتهديد بالضرب)** بأن يقول: لاضربنك أو لأوجعنك

كالمواظب على الغيبة والقذف، فإن سلب لسانه غير ممكن، ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب، وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال وسائر المراتب، لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام، إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظراً - سيأتي - أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام، وأما التجهيل والتمحيق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق، بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر كما ورد في الحديث، فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه، وكذلك كسر الملاهي وإراقة الخمور، فإنه تعاطي ما يعرف كونه حقاً من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام. وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر - سيأتي - واستمرار عادات السلف على الحسبة على الوفاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض، بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضياً به فذاك، وإن كان ساخطاً

ضرباً **(أو بمباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه)** من المنكر **(كالمواظب على الغيبة والقذف)** في المحصنات، **(فإن سلت)** أي نزع وفي بعض النسخ: سلب بالباء الموحدة **(لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج إلى استعانة)** بالغير **(وجمع أعوان من الجانبين وينجر إلى)** خصام و**(قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الإمام إلا المرتبة الخامسة)** المذكورة، **(فإن فيها نظراً سيأتي)** بيانه. **(أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام)** لما تقدم بيانه. **(وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف)** والمبالاة **(من الله تعالى وما يجري ذلك فهو كلام صدق، والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر. كما ورد في الحديث)** يشير إلى ما رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً: «أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر» أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: حديث حسن قاله العراقي:

قالت: وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه أيضاً، والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة، ورواه أحمد أيضاً والنسائي والبيهقي أيضاً من حديث طارق بن شهاب.

(فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته) أي رغماً على أنفه، **(فكيف يحتاج إلى اذنه)** وتفويضه؟ **(وكذلك كسر)** آلات **(الملاهي وإراقة الخمور مما يعرف كونه حقاً من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام)** أي إذنه. **(فأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد ينجر إلى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي)** بيانه **(واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة)** والأئمة **(قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض)** والإذن، **(بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضياً به فذاك، وإن كان ساخطاً له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه،**

له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه، فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه، ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة.

كما روي أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل: إنما الخطبة بعد الصلاة. فقال له مروان: ترك ذلك يا فلان. فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. قال لنا رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فلينكره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنهم؟ وروي أن المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبدالله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له: انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه؟ وقد قال الله تعالى: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ [الحج: ٢٥] من جعل لك هذا؟ فنظر في وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم فقال: أعبدالله بن مرزوق؟ قال: نعم، فأخذ فجيء به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في

فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه، ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة) في عصرهم.

(كما روي أن مروان بن الحكم) بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي رابع خلفائهم، قام بالأمر سنة أربع وستين، فبقي أربعة أشهر ومات، ثم تولى بعده عبدالله بن الزبير بمكة **(خطب قبل صلاة العيد، فقال له رجل: إنما الخطبة بعد الصلاة. فقال مروان: ترك ذلك يا أبا فلان، فقال أبو سعيد)** الخدري رضي الله عنه وكان حاضراً هناك: **(أما هذا)** الرجل **(فقد قضى ما عليه)** من الحق. **(قال لنا رسول الله ﷺ: «من رأى منكراً فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»)** رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وقد تقدم قريباً، **(فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحته، فكيف يحتاج إلى إذنهم؟ وروي أن المهدي)** محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس **(لما قدم مكة)** في أيام خلافته **(لبث ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس)** أي طردهم **(عن البيت، فوثب عبدالله بن مرزوق)** وفي بعض النسخ مسروق وهو من موالي بني العباس **(فلببه بردائه)** أي جعله في عنقه، **(ثم)** جمعه و**(هزه وقال له: انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد)** أو القرب؟ قال الله تعالى: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ **(حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه ومن جعل لك هذا؟ فنظر)** المهدي **(في وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم، فقال: أعبدالله بن مرزوق؟ قال: نعم فأخذ)** في الحال **(فجيء به الى بغداد**

العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرساً عضوضاً سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال: ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه، وأخذ المهدي المفتاح عنده، فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأوذن به المهدي فقال له: من أخرجك؟ فقال: الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال: ما تخاف أن أقتلك؟ فرفع عبدالله إليه رأسه يضحك وهو يقول: لو كنت تملك حياة أو موتاً فما زال محبوساً حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة. قال: وكان قد جعل على نفسه نذرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها.

وروي عن حبان بن عبد الله قال: تنزه هارون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هارون: قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال: فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودي، فقال للخادم: جئنا بعودها. قال: فجاء بالعود فوافق شيخاً يلقط النوى فقال:

فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة) فتنكره قلوبهم، **(فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب)** ويخدمها، **(وضموا إليه فرساً عضوضاً)** تعض من قربها **(سيء الخلق ليعقره الفرس)** فيكفي المؤونة، **(فلين الله له الفرس المذكور)** أي ذلله له. **(قال: ثم صيره إلى بيت وأخذ المهدي المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأوذن به)** أي أعلم به **(المهدي فقال: من أخرجك؟ فقال: الذي حبسني. قال: فضج المهدي وصاح وقال: ما أخاف شيئاً إلا أن أقتلك)** كذا في بعض النسخ، وفي أخرى بحذف: «إلا» وفي بعضها: وقال اما تخاف أن أقتلك. **(فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول: لو كنت تملك حياة أو موتاً)** أي لكنت تفعل ذلك، **(فما زال محبوساً حتى مات المهدي ثم خلوا عنه)** أي تركوه، **(فرجع إلى مكة قال: وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة)** أي ناقة، **(فكان يعمل في ذلك حتى نحرها)** ووفى بنذره أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء.

(وروي عن حبان بن عبدالله) هكذا في النسخ بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المشددة، وفي بعضها بفتح الحاء وتشديد التحتية. قال الذهبي في الديوان: حيان بن عبد الله أبو حبلة الدارمي قال الفلاس: كذاب **(قال: تنزه هارون الرشيد بالدوين)** كأمير اسم موضع منتزه بالعراق وفي نسخة بغير نون، وفي أخرى بالدومتين مثنى دومة، **(ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر)** يكنى أبا أيوب وهو في النسب عم هارون **(فقال)** له **(هارون: قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها. قال: فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها. فقال: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودي. فقال للخادم: جئنا بعودها. قال: فجاء بالعود**

الطريق يا شيخ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال: احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين. فقال له صاحب الربع: ليس ببغداد أعبد من هذا، فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين، فقال له: اسمع ما أقول لك، ثم دخل على هارون فقال: إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود، فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في الدجلة. فقال: لا. ولكن نبعث إليه ونناظره أوّلاً فجاء الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: نعم. قال: اركب. قال: لا. فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر، فقيل لهارون: قد جاء الشيخ. فقال للندماء: أي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر؟ فقالوا له: نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى، فقال له الخادم: أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين. فقال: من هذا عشائي الليلة، قال: نحن نعشيك. قال: لا حاجة لي في عشائكم. فقال هارون للخادم:

فوافق) الخادم **(شيخاً يلقط النوى)** من الأرض، **(فقال)** الخادم: **(الطريق يا شيخ)** أي نح عن الطريق، **(فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض)** فانكسر، **(فأخذه الخادم فذهب به إلى صاحب الربع)** أي المنزل، **(فقال: احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين)** أي مطلوبه، **(فقال له صاحب الربع: ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين؟ فقال له: هو ما أقول لك، فدخل على هارون فقال: إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له: الطريق فرفع رأسه فرأى العود فضرب به الأرض، فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في الدجلة. فقال: لا ولكن نبعث إليه نناظره أولاً)** أي فإن رأيناه على الحق لم نقتله، **(فجاء الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: نعم. قال: اركب قال: لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر، فقيل لهارون قد جاء الشيخ. فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدّامنا من المنكر حتى يدخل الشيخ أو نقوم إلى مجلس ليس فيه منكر؟ فقالوا: بل نقوم إلى مجلس ليس فيه منكر أصلح، فقاموا إلى مجلس آخر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين. قال: من هذا عشائي الليلة إن شاء الله تعالى. قال: نحن نعشيك. قال لا حاجة لي في عشائك. فقال هارون له: أي شيء تريد منه؟**

أي شيء تريد منه؟ قال: في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين. فقال: دعه لا يطرحه، قال: فدخل وسلم وجلس فقال له هارون: يا شيخ ما حملك على ما صنعت؟ قال: وأي شيء صنعت؟ وجعل هارون يستحي أن يقول كسرت عودي، فلما أكثر عليه قال: إني سمعت أباك وأجدادك يقرأون هذه الآية على المنبر: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ [النحل: ٩٠]، وأنا رأيت منكراً فغيرته. فقال: فغيره فوالله ما قال إلا هذا، فلما خرج أعطى الخليفة رجلاً بدرة وقال: اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئاً وإن رأيته لا يكلم أحداً فأعطه البدرة، فلما خرج من القصر إذ هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحداً فقال له: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة. فقال: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يعالج قلعها من الأرض. وهو يقول:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... هموماً كلما كثرت لديهِ
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليهِ

قال: في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين. فقال: دعه لا يطرحه. قال: فدخل فسلم وجلس، فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت؟ قال: وأي شيء صنعت وجعل هارون يستحي أن يقول: كسرت عودي) أي استحياء من إضافة العود إليه، وكان يمكنه أن يقول لأي شيء كسرت عود امرأة أو عود فلانة أو عود جماعة، **(فلما أكثر عليه. قال: إني سمعت أباك وأجدادك يقرأون هذه الآية على المنبر: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ ورأيت منكراً فغيرته. قال: فغيره فوالله ما قال إلا هذا)** لأنه غلبت عليه هيبة الحق فلم ينطق إلا بخير، وهذه كرامة للشيخ المذكور وأمر بخروجه، **(فلما خرج أعطى لرجل بدرة)** أي صرة فيها دراهم **(فقال: إتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين)** كذا **(وقال لي)** كذا فلا تعطه شيئاً وإن رأيته يكلم أحداً فاعطه البدرة، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها) حتى أخرجها، **(ولم يكلم أحداً فقال له: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة. قال: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها. ويروى)** في هذه القصة **(أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الأرض وهو يقول:**

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... هموماً كلما كثرت لديهِ
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليهِ

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليهِ

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يميناً وشمالاً بالسياط فوقفت فقلت: يا حسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبدالله الكلابي قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك وها أنت يخبط الناس

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليهِ)

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن عمران، حدثنا أبو حاتم عن عمرو بن خالد: سمعت مسلم بن ميمون الخواص يقول:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
فدع عنك الفضول تعش حميداً وخذ ما كنت محتاجاً إليه

(وعن سفيان) بن سعيد **(الثوري رحمه الله تعالى قال: حج المهدي)** محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي **(في سنة ست وستين ومائة)** من الهجرة. قال العراقي: هذا ليس بصحيح، فإن الثوري توفي سنة إحدى وستين اهـ.

قلت: وهو كما قال ففي طبقات ابن سعد: واجتمعوا على أنه أي سفيان توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة.

(فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون) أي يضربون **(يميناً وشمالاً بالسياط)** ليتسع المحل ويتمكن من الرمي، **(فوقفت وقلت: يا حسن الوجه حدثنا أيمن بن نابل)**[1] الحبشي أبو عمران المكي نزيل عسقلان مولى أبي بكر الصديق. قال الفضل بن موسى: قال لي سفيان الثوري: يا فضل هل لك في لقاء أبي عمران؟ فإنه ثقة فلقيته، فإذا حبشي طوال ذو مشافر مكفوف. وقال ابن معين: شيخ ثقة. وقال عباس الدوري: كان شيخاً عابداً فاضلاً يحدث عنه بزهد وفضل. وقال النسائي: لا بأس به. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق إلى الضعف ما هو. وقال الدارقطني: ليس بالقوي خالف الناس ولو لم يكن إلا حديث التشهد، وخالفه الليث بن سعد وعمرو بن الحرث، وزكريا بن خالد عن أبي الزبير. وقال ابن عدي: وأرجو أن أحاديثه لا بأس بها صالحة، روى له البخاري متابعة والترمذي والنسائي وابن ماجه **(عن قدامة بن عبد الله)** بن عمار بن معاوية العامري **(الكلابي)** يكنى أبا عبد الله صحابي شهد حجة الوداع. وله رواية قليلة، وكان بنجد روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه **(قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي وابن ماجه اهـ.

---

(١) في كتاب الإحياء: «حدثنا أيمن عن وائل» بدلاً من «أيمن بن نابل».

بين يديك يميناً وشمالاً . فقال لرجل : من هذا ؟ قال : سفيان الثوري . فقال : يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا ؟ فقال : لو أخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه . قال : فقيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين . فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى ، وقد روي عن المأمون أنه بلغه أن رجلاً محتسباً يمشي في الناس

(وها أنت يخبط الناس بين يديك يميناً وشمالاً فقال) المهدي **(لرجل : من هذا ؟ فقال :)** هو **(سفيان الثوري ، فقال لسفيان :لو كان المنصور)** يعني أباه أبا جعفر حياً **(ما احتملك على هذا . فقلت : لو أخبرك المنصور بما لقي)** من الله **(لأقصرت عما أنت فيه . قال : فقيل له إنه قال لك : يا حسن الوجه ، ولم يقل لك يا أمير المؤمنين ، فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى)** هكذا أورد المصنف هذه القصة تبعاً لغيره ، وقد عرفت أن سفيان توفي قبل هذه المدة بخمس سنوات ، ولكن ثبت أنه اختفى من المهدي حين طلبه ، وأنه كان ذلك بسبب أمره بالمعروف عليه ، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى الحسن بن شجاع قال : قال أبو نعيم قدم المهدي مكة وسفيان الثوري بها فدعاه فقال له سفيان : احذر هذا كاتباً كان بجنبه قال : وقال له سفيان اتق الله واعلم أن عمر بن الخطاب حج فانفق ستة عشر ديناراً قال : وحدثه بحديث أيمن فقال : حدثني أبو عمران ولم يذكر أيمن ، فقيل : كيف لم يذكر أيمن قال : لعله يدعي فيفزع الرجل ، قلت : فبان بهذا أن للقصة المذكورة أصلاً ، وإنما الغلط جاء من التاريخ وكانت تولية المهدي سنة ثمان وخمسين ، فلعل حقه سنة ستين فتأمل ذلك .

وأخرج أبو نعيم أيضاً من طريق سفيان بن عيينة قال : قال سفيان الثوري دخلت على المهدي فرأيت ما قد هيأه للحج . فقلت : ما هذا ؟ حج عمر بن الخطاب فانفق ستة عشر ديناراً . ومن طريق الفريابي عن سفيان الثوري قال : دخلت على المهدي فقلت بلغني أن عمر بن الخطاب أنفق في حجه اثني عشر ديناراً ، وأنت فيما أنت فيه مغضب . وقال : تريد أن أكون في مثل الذي أنت فيه ؟ قال : قلت فإن لم تكن في مثل الذي أنا فيه ففي دون ما أنت فيه . ومن طريق أبي أحمد الزبيري قال : كنت بمسجد الخيف مع سفيان الثوري والمنادي ينادي : من جاء بسفيان فله عشرة آلاف . ومن طريق ابن مهدي عن سفيان قال طلبت أيام المهدي فهربت فأتيت اليمن فكنت أنزل في حي ثم ذكر باقي القصة . ومن طريق محمد بن مسعود عن سفيان قال : أدخلت على المهدي بمنى فلما سلمت عليه بالإمرة قال لي : أيها الرجل طلبناك فاعجزتنا والحمد لله الذي جاء بك فارفع إلينا حاجتك ، فقلت : قد ملأت الأرض ظلماً وجوراً فاتق الله ، وليكن منك في ذلك غير . قال : فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال : ارفع إلينا حاجتك . قال : قلت أبناء المهاجرين ومن معهم بإحسان بالباب ، فاتق الله وتوصل إليهم حقوقهم قال : فطأطأ رأسه ، فقال : أيها الرجل ارفع إلينا حاجتك . قلت : وما أرفع حدثني إسماعيل بن أبي خالد قال : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر ديناراً وأرى ههنا أموراً لا تطيقها الجبال .

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأموراً من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه، فلما صار بين يديه قال له: إنه بلغني انك رأيت نفسك أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك، وكان المأمون جالساً على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب: ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت، فلم يفهم المأمون مراده. فقال: ماذا تقول؟ حتى أعاده ثلاثاً فلم يفهم، فقال: أما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع، فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبّله وخجل ثم عـاد وقال: لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا ـ أهل البيت ـ ونحن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ [الحج: ٤١] فقال: صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف﴾ [التوبة: ٧١] الآية. وقال رسول الله ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقد

(**وقد روي عن المأمون**) عبد الله بن هارون العباسي (**أنه بلغه أن رجلاً محتسباً يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأموراً من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له: إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك، وكان المأمون جالساً على كرسي ينظر في كتاب أو قصة**) رفعت إليه، (**فأغفله**) أي الكتاب الذي كان ينظر فيه (**فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال**) ذلك الرجل (**المحتسب: إرفع قدمك عن اسم الله تعالى ثم قل ما شئت**) أن تقول، (**فلم يفهم المأمون مراده**) لكونه كان غافلاً. (**فقال: ماذا تقول؟ حتى أعاده ثلاثاً فلم يفهم**) مراده، (**فقال: أما رفعت**) اسم الله تعالى (**أو أذنت لي حتى أرفع، فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه فقبله**) احتراماً له (**وخجل**) من ذلك، (**ثم عاد**) إلى الكلام (**وقال: لـمَ تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم**) في كتابه العزيز: (**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ فقال**) الرجل: (**صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن**) في الأرض بالخلافة (**غير أنا أعوانك**) أي أنصارك (**وأولياؤك فيه لا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء** بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ الآية. **وقال رسول الله ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »**) قال

مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنّة رسوله ، فإن انقدت لهما شكرت لمن أعانك لحرمتها وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فإن الذي إليه أمرك وبيده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً فقل الآن ما شئت ، فأعجب المأمون بكلامه وسرّبه وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامضِ على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا ، فاستمر الرجل على ذلك . ففي سياق هذه الحكايات بيـان الدليـل على الاستغنـاء عـن الإذن .

فإن قيل : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ والرعية على الوالي مطلقاً كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والأستاذ على التلميذ ، والسلطان على الرعية أو بينهما فرق ؟ فاعلم أن الذي نراه انه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ، ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول: قد رتبنا للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف ، وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخريان ، وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه ؟ هذا فيه نظر ، وهو بأن يكسر مثلاً عوده ويريق

العراقي : متفق عليه من حديث أبي موسى ، وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة **(وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن انقدت لهما شكرت لمن أعانك)** عليهما **(لحرمتها ، وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما ألزمك منهما فإن الذي إليه أمرك وبيده عزك ، وذلك)** وهو الله جل جلاله **(قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً فقل الآن ما شئت ، فأعجب المأمون بكلامه)** ورضي له **(وسرّبه وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف)** وينهي عن المنكر ، **(فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا)** وإذننا ، **(فاستمر الرجل على ذلك .ففي سياق هذه الحكـايـات بيـان الدليـل على الاستغنـاء عـن الأذن)** ممن له ولاية أمر .

(فإن قلت : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد ، والعبد على السيد ، والزوجة على الزوج ، والتلميذ على الأستاذ ، والرعية على الوالي مطلقاً كما يثبت للوالد على الولد ، والسيد على العبد ، والزوج على الزوجة ، والأستاذ على التلميذ ، والسلطان على الرعية أو بينهما فرق؟ فاعلم أن الذي نراه أنه يثبت أصل الولاية ، ولكن بينهما فرق في التفصيل ، ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول : قد رتبنا) فيما سبق **(للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف)** ولين القول ، **(وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد)** والزجر ، **(ولا بمباشرة الضرب)** بالفعل **(وهما الرتبتان الأخريان ، وهل له الحسبة بالرتبة الخامسة حيث يؤدي إلى أذى الوالد**

خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معيناً ـ ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته، ويكسر أواني الذهب والفضة، فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام. والأظهر في القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط، فإن كان المنكر فاحشاً وسخطه عليه قريباً كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر، وإن كان المنكر قريباً والسخط شديداً كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير، فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره، فهذا كله مجال النظر.

فإن قيل: ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل

وسخطه) عليه؟ **(هذا فيه نظر)** ووجه النظر أن رضا الوالد مطلوب على كل حال، **فهل** يقدم على الاحتساب والاحتساب أيضاً مأمور به؟ فهل يقدم عليه، ولو أدى ذلك إلى السخط فصار الأمر ملتبساً ثم بين ما به يتأذى ويسخط؟ فقال: **(وهو بأن يكسر مثلاً عوده)** الذي يضرب به للغناء، **(ويريق خمره ويحل الخيوط من ثيابه المنسوجة من الحرير، ويرد إلى الملاك ما يجده في بيته)** وتحت حوزته **(من المال الحرام الذي غصبه)** من إنسان **(أو سرقة)** من حرز مثله، **(أو أخذه عن إدرار ورزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معيناً)** لا مجهولاً، **(أو يبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر أواني الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب)** باليد **(والسب)** باللسان، **(ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد ذلك حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل والحرام والأظهر في القياس أنه يثبت للوالد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك)** وهو أقيس القولين، **(ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط)** فإن كلاً منهما يختلف قلة وكثرة وخفة وثقلاً، **(فإن كان المنكر فاحشاً وسخطه عليه قريباً كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر، فإن كان المنكر قريباً والسخط شديداً كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير، فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر)** أي محل جولان النظر فيه.

(فإن قيل: ومن أين قلتم ليس له) أي للولد **(الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى**

والأمر بالمعروف في الكتاب والسنّة ورد عاماً من غير تخصيص؟ وأما النهي عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول: قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه في الزنا حداً ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه، بل لا يباشر قتل أبيه الكافر، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابلته.

وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى. وهذا الترتيب أيضاً ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج، فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح، ولكن في الخبر أنه «لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها». وهذا يدل على تأكيد الحق

ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاماً) أي بصيغة العموم **(من غير تخصيص)** لشخص دون شخص، **(وأما النهي عن التأفيف والإيذاء)** في قوله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أفٍّ﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾ [الإسراء: ٢٣] **(فقد ورد وهو)** مسلم لكنه **(خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات)** فلا يقاس ذلك على هذا **(فنقول: قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء في العموم إذ لا خلاف)** بين العلماء **(في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه حداً)** وفي نسخة بالزنا **(ولا أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابلة)** كل ذلك لهيبة الأب. **(وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع)**. قال العراقي لم أجد فيه إلا حديث: «لا يقاد الوالد بالولد» رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وابن الجارود والدارقطني وقال: سنده ضعيف ورواه الدارقطني أيضاً في الإفراد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قال البيهقي في المعرفة: وإسناده صحيح، وروى الحاكم والبيهقي من حديث عمر بلفظ: «لا يقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده».

(فإذا لم يكن له إيذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هي منع جناية مستقبلة متوقعة بل أولى، وهذا الترتيب أيضاً ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن ورد في الخبر أنه «لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها») تقدم في النكاح. **(وهذا يدل على تأكيد الحق أيضاً)** وحديث عمر الذي تقدم قريباً لا يقاد مملوك من مالكه كذلك صريح في لزوم حق السيد على العبد، **(وأما الرعية مع**

أيضاً. وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح، فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث أن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيبته وإسقاط حشمته، وذلك محذور ورد النهي عنه، كما ورد النهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه أيضاً محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه، وذلك مما لا يمكن ضبطه. وأما التلميذ والاستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه. وروي أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده؟ فقال: يعظه ما لم يغضب فإن غضب سكت عنه.

السلطان فالأمر فيه أشد من الوالد فليس معه إلا التعريف والنصح) اللطيف، **(فأما الرتبة الثالثة ففيه نظر من حيث أن الهجوم على أخذ الأموال)** المغصوبة **(من خزائنه وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر الخمور في بيته يكاد يفضي إلى خرق)** حجاب **(هيبته وإسقاط حشمته)** من أعين الرعية **(وذلك محذور ورد النهي عنه)** وفي ذلك قوله ﷺ « من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فإن قبلها قبلها وإلاّ كان أدى الذي عليه والذي له ». رواه الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري، وقال: صحيح الإسناد، وتعقب وقد رواه أيضاً الطبراني في الكبير، ورواه البيهقي عن عياض بن غنم، وهشام بن حكيم معاً، ومن ذلك قوله ﷺ « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله » رواه الترمذي عن أبي بكرة وحسنه، ورواه الطبراني في الكبير بزيادة « ومن أكرم سلطان الله في الأرض أكرمه الله عز وجل ». وعند أحمد والبخاري والروياني والبيهقي « من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله في الدنيا أهانه الله يوم القيامة ». **(كما ورد النهي عن السكوت عن المنكر)** في أخبار تقدم ذكرها، **(فقد تعارض فيه أيضاً محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش المنكر)** وعدمه، **(ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه)** لاختلافه بحسب المواقع والأحوال والأشخاص والأزمان. **(وأما التلميذ والاستاذ، فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه، فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه)** ليكون عاملاً بعلمه. **(وروي أنه سئل الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(عن الولد كيف يحتسب على والده فقال: يعظه)** بلطف **(ما لم يغضب)** عليه **(فإن غضب سكت عنه)** دفعاً لمحذور المخالفة.

الشرط الخامس: كونه قادراً ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا. واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروهاً يناله، فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكروهاً، ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليلتفت إلى معنيين، أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعاً، والآخر: خوف مكروه. ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال.

أحدها: أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع. نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا لحاجة مهمة أو واجب، ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنْكرات؛ فتلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون عذراً في حق من يقدر على الهرب من الإكراه.

(**الشرط الخامس: كونه قادراً**) غير عاجز (**ولا يخفى أن العاجز**) عن الاحتساب (**ليس عليه حسبة إلا بقلبه**) وذلك أضعف المراتب، (**إذ كل من أحب الله فيكره معاصيه وينكرها**) على كل حال، (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**جاهدوا الكفار بأيديكم**) إن استطعتم (**فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا**). والإكفهرار: إظهار صورة الغضب في الوجه. (**واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي الذي هو عدم القوّة في الظاهر، بل يلتحق ما يخاف عليه مكروهاً يناله في الحال والمآل، فذلك في معنى العجز**) ولو كان قوياً. (**وكذلك إذا لم يخف مكروهاً**) يناله، (**ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليلتفت إلى معنيين أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعاً والآخر مكروهاً يناله ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال**).

(**أحدها: أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه**) ولا يؤثر فيهم (**ويضرب**) في الحال (**إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة**) حينئذ، (**بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد**) ذلك المنكر، (**ولا يخرج إلا لحاجة مهمة**) ضرورية: (**أو**) لأداء (**واجب**) كصلاة جمعة، (**ولا تلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة**) منها رأساً. (**إلا إذا كان يرهق إلى الفساد**) في دينه، (**أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة**) حينئذ (**إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون عذراً في حق من يقدر على الهرب من الإكراه**) فإن القادر على الهروب من الالجاء إلى مكروه ساقط لعذر.

الحالة الثانية: أن ينتفي المعنيان جميعاً بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة.

الحالة الثالثة: أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروهاً فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها، ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين.

الحالة الرابعة: عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها، ويريق الخمر أو يضرب العود الذي في يده ضربة مختلفة فيكسره في الحال، ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه، فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب. ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل «كلمة حق عند إمام جائر» ولا شك في أن ذلك مظنة الخوف ويدل عليه أيضاً ما روي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال: سمعت من بعض الخلفاء كلاماً فأردت أن أنكر عليه وعلمت أني أقتل، ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت أن يعتريني التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل.

(الثانية: أن ينتفي المعنيان بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار) حينئذ، **(وهذه هي القدرة المطلقة)** عن القيود.

(الثالثة: أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروهاً) يناله، **(فلا تجب الحسبة)** في هذه الحالة **(لعدم فائدتها، ولكن يستحب لإظهار شعار الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين)**.

(الرابعة: عكس هذه ،وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله كمن يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر أو يضرب العود) للغناء **(الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر، ولكنه يعلم)** ويتحقق **(أنه يرجع إليه فيضرب رأسه)** أو جسده، **(فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب، ويدل عليه الخبر الذي أوردناه)** آنفاً **(في قول كلمة حق عند إمام جائر)** وإنه أفضل الصدقات، **(ولا يشك في أن ذلك مظنة الخوف)** من الإتلاف، **(ويدل عليه ما روي عن أبي سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى **(أنه قال: سمعت من بعض الخلفاء)** يعني من بني أمية **(كلاماً)** فيه موضع الإنكار، **(فأردت أن أنكر)** عليه ذلك **(وعلمت أني أقتل)** إن تكلمت، **(ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت أن يعتريني التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل)** نقله صاحب القوت.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] قلنا: لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس التهلكة ذلك، بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه. وقال البراء بن عازب: التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب عليّ. وقال عبيدة: هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيراً حتى يهلك. وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً له ذلك في الحسبة، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز، فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة. وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم

(فإن قيل فما معنى قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التّهلكة﴾) أي الهلاك وهذا الذي ذكرته إلقاء إلى الهلاك؟ **(قلنا: لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار يقاتل، وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالفة لموجب الآية وليس كذلك، فقد قال ابن عباس)** رضي الله عنهما: **(ليس التهلكة ذلك)** وهو أن يرمي المجاهد نفسه في صف الكفار ويقاتل كما تظنون، **(بل)** المراد به **(ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه)** هكذا هو في سائر النسخ وما أراه إلا تصحيفاً، فإن المروي عن ابن عباس قال: ليس التهلكة أن يقاتل الرجل في سبيل الله ولكن ترك النفقة في سبيل الله. هكذا أخرجه الطبراني وابن جرير وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عنه، وروي مثله عن حذيفة بلفظ: ولكن الامساك عن النفقة في سبيل الله أخرجه سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر. وأخرجه البخاري وقال: نزلت في النفقة. وأخرجه لبن جرير عن عكرمة قال: نزلت في النفقات في سبيل الله. فقول المصنف ترك النفقة إما غلط من النساخ أو تصحيف فتأمل.

(وقال البراء بن عازب) الأنصاري رضي الله عنهما **(هو أن يذنب)** العبد **(الذنب ثم يقول: لا يتاب عليّ)** أي لا تقبل توبتي أخرجه الفريابي، وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والحاكم وصحح بلفظ: هو الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر الله لي، وروي مثله عن النعمان بن بشير أخرجه ابن مردويه وابن المنذر والطبراني والواحدي بسند صحيح. **(وقال عبيدة)** بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي تابعي كبير مخضرم فقيه ثبت كان شريح إذا أشكل عليه شيء سأله، مات قبل السبعين وهو بفتح العين المهملة وكسر الموحدة **(هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيراً حتى يهلك)** أخرجه ابن جرير عنه مرسلاً، **(وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً ذلك في الحسبة)** إذ كل منهما جهاد، **(ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز، فذلك حرام داخل تحت عموم آية التهلكة)** فإنه القى بيده إلى هلاك نفسه، **(وإنما جاز له الإقدام)** على صفهم **(إذا علم أنه يقاتل إلى أن**

جرأته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم، فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين، وأما إن رأى فاسقاً متغلباً وعنده سيف وبيده قدح، وعلم أنه لو نكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجهاً وهو عين الهلاك، فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثراً ويفديه بنفسه. فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراماً. وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة، وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه. فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر، وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر، ولكن كان ذلك سبباً لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الإنكار على الأظهر، لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقاً لا من زيد أو عمرو، وذلك بأن يكون مثلاً مع الإنسان شراب حلال ـ نجس بسبب وقوع نجاسة

يقتل أو علم انه يكسر) بهجومه **(قلب الكفار لمشاهدتهم جرأته)** وقوّة قلبه **(واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة)** بهم **(وحبهم للشهادة في سبيل الله)** تعالى، **(فتنكسر به)** شوكتهم فيكون سبباً لفشلهم ورعبهم، **(فكذلك يجوز للمحتسب)** أن يفعل مثله، **(بل يستحب)** له **(أن يعرض نفسه للضرر أو القتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر)** من أصله، **(أو كسر جاه الفاسق أو تقوية قلوب أهل الدين، فأما إن رأى فاسقاً متغلباً وحده وعنده سيف)** أو خنجر أو سكين **(وبيده قدح)** خمر **(وعلم)** منه **(أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته)** بالسيف أو جرحه بالخنجر أو السكين. **(فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجهاً وهو عين الهلاك، فإن المفهوم أن يؤثر في الدين أثراً يفديه بنفسه، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر)** ظاهر **(فلا وجه له، بل ينبغي أن يكون حراماً، وإنما يستحب إذا قدر على دفع المنكر أو ظهر لفعله فائدة)** تعود على المسلمين، **(وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه)** أي على نفسه **(فإن علم أنه يضرب معه من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه)** ممن ينتمي إليه بالمحبة، **(فلا يجوز له الحسبة، بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلاّ بأن يفضي إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر، ولكن كان ذلك سبباً لمنكر آخر يتعاطاه غير المحسب عليه فلا يحل له الإنكار على الأظهر)** من القولين، **(لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقاً لا من زيد أو عمرو، وذلك بأن يكون مثلاً مع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه، وعلم**

فيه ـ وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لإراقة ذلك. ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلاً لمنكر. وأما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون. وليس ببعيد، فإن هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن، ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغيير، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح إنساناً وأكله فلا معنى لهذه الحسبة. نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه. فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول: العامي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة، فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر إلى اجتهاد فالعامي إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي، إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلاً لها لقصور معرفته أو قصور ديانته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله.

أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لإعوازهم الشرب الحلال) أي احتياجهم إليه **(فلا معنى لإراقة ذلك، ويحتمل)** في هذه الحالة **(أن يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلاً لمنكر. وأما شرب الآخر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه عن ذلك المنكر، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس ببعيد)** عن المدرك **(فإن هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغيير فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها)** وفي نسخة: حتى يأكلها، **(وعلم أنه لو منع منها لذبح إنساناً وأكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك وجه)** إذ هو اخف مما لو منعه لذبح انساناً أو قطع طرفه. **(فهذه دقائق)** من المسائل **(واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله. ولهذه الدقائق نقول للعامي: ينبغي أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة)** أي الواضحة من المناكر، **(كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد، فالعامي: إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي)** لأمور المسلمين، **(إذ ربما ينتدب له من ليس أهلاً له لقصور معرفته)** في العلم **(أو قصور ديانته فيؤدي إلى وجوه)** شتى **(من الخلل، وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك)** قريباً.

فإن قيل: وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لا تفيد حسبته، فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه؟ قلنا: الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن، والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخر، وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعاً أنه لا يفيد، فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهاً فقد اختلفوا في وجوبه، والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة، وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثني عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالإجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لعينه بل للمأمور، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه، فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب.

فإن قيل: فالمكروه الذي تتوقع إصابته إن لم يكن متيقناً ولا معلوماً بغالب الظن، ولكن كان مشكوكاً فيه، أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه، فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا

(**فإن قيل: وحيث أطلقتم العلم**) وفي نسخة القول (**بأن يصيبه مكروه**) من حسبته (**أو أنه لا تفيد حسبته، فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه؟ قلنا: الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم**) وفي حكمه (**وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن**) عند التعارض، (**ويفرق بين العلم والظن في موضع آخر وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعاً أنه لا يفيد فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد، ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهاً فقد اختلفوا في وجوبه**) فقيل لا يجب، وقيل: يجب. (**والأظهر**) من القولين (**وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقع**) أي نفعه لوجود الاحتمال (**وعمومات الأمر بالمعروف**) والنهي عن المنكر في الآيات والأخبار (**تقتضي الوجوب بكل حال، ونحن إنما نستثني عنه بطريق التخصيص. أما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر**) بالمعروف (**ليس يراد لعينه بل للمأمور، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه، فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب**) لاحتمال الجدوى.

(**فإن قيل: فالمكروه الذي تتوقع إصابته إن لم يكن متيقناً معلوماً بغالب الظن، ولكن كان مشكوكاً فيه**) أي في إصابته، (**أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل انه يصاب بمكروه، فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا**

يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه؟ قلنا: إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب، وإن غلب أنه لا يصاب وجب، ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب، فإن ذلك ممكن في كل حسبة، وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر، فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه، والمكروه هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقعاً، وهذا هو الأظهر. ويحتمل أن يقال: انه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه، والأوّل أصح نظراً إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف.

فإن قيل: فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجرأة، فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريباً حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه، والمتهوّر الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى أنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه، فعلى ماذا التعويل؟ قلنا: التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج، فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوّة وتفريط. والتهوّر إفراط في القوّة وخروج عن الاعتدال

يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه) فلا يجب؟ **(قلنا: إن غلب على الظن أنه يصاب)** بمكروه **(لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب)** عملاً بغلبة الظن في الموضعين **(ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب، فإن ذلك ممكن في كل حسبة وإن شك فيه من غير رجحان، فهذا محل النظر)** للفقيه. **(فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات)** القرآنية والحديثية، **(وإنما يسقط بمكروه، والمكروه هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقعاً، وهذا هو الاظهر. ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه)** في الحال والمآل، **(والأول أصح نظراً إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف.**

فإن قيل: فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجـرأة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريباً حتى كأنه يشاهده) بعينه حاضراً **(ويرتاع منه)** أي يخاف، **(والمتهوّر الشجاع يبتعد وقوع المكروه بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى أنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه، فعلى ماذا التعويل)** والاعتماد؟ وهذا الذي ذكره في الشجاع صحيح. وأما الذي يرى البعيد قريباً فقد يكون ذلك عن جبن وخلع وضعف قلب فهو مسلم أيضاً، ولكن قد يصدر ذلك عن كثرة التجارب ومتانة الرأي وصدقه فلا يحكم لصاحبه أنه جبان فليتأمل في ذلك؟ **(قلنا: التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوّة)** الغريزية **(وتفريط)** وفسره الراغب بأنه هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي، **(والتهوّر إفراط في القوّة وخروج عن الاعتدال بالزيادة)** وقال

بالزيادة وكلاهما نقصان، وإنما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة. وكل واحد من الجبن والتهوّر يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط أو افراط، فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجرأة؟ فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرأته جهله، وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالماً بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه، ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوّته في الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين. وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف، ويزول الجهل بالتجربة، ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفاً حتى يصير معتاداً إذ المبتدىء في المناظرة والوعظ مثلاً قد يجبن عنه طبعه لضعفه، فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف، فإن صار ذلك ضرورياً غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات، ولذلك قد نقول على رأي: لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا

الراغب: هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بها يقدم على أمور لا تنبغي وكلاهما نقصان. **(وإنما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة)** وهي هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بين التهوّر والجبن بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، **(وكل واحد من الجبن والتهوّر قد يصدر تارة عن نقصان العقل، وتارة عن خلل في المزاج بتفريط وإفراط، فمن اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجـرأة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرأته)** وإقدامه **(جهله، وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالماً بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه، ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله)** وتضعيفه **(وتحليل قوّته في الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين)** فإنهما تفريط وإفراط، **(وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسته الفعل المخوف منه تكلفاً حتى يصير)** طبعاً **(معتاداً إذ المبتدىء في الوعظ والمناظرة مثلاً قد يجبن عنه طبعه لضعفه، فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف)** وهذا مشاهد في سائر الصنائع العملية، **(فإن صار ذلك ضرورياً غير قابل للـزوال بحكـم استيلاء الضعـف على القلـب فحكـم ذلـك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن الواجبات، ولذلك قد نقول على رأي: لا يجب ركوب البحر لأجل)** أداء **(حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر)** بحيث يغشى عليه وتغلب عليه الصفراء، **(ويجب على من لا يعظم خوفه منه)**

يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة.

فإن قيل: المكروه المتوقع ما حده؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدحه فيه، فما حدّ المكروه الذي يسقط الوجوب به؟ قلنا: هذا أيضاً فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة، ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه.

فنقول: المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور: أما في النفس فالعلم، وأما في البدن فالصحة والسلامة، وأما في المال فالثروة، وأما في قلوب الناس فقيام الجاه؟ فإذاً المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه. ومعنى الجاه ملك قلوب الناس، كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض ـ وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع

وهذا إذا لم يكن طريقه إلى مكة إلا من البحر وإلا فالبرّ يقدم. (**فكذلك الأمر في وجوب الحسبة**).

(**فإن قيل: فالمكروه المتوقع ما حدَّه؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة**) يسمعها، (**وقد يكره ضربة، وقد يكره طول لسان المحتسب في حقه بالتعنيف بالغيبة، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد** يكون منه **أن يكره السعاية إلى السلطان أو يقدح فيه في مجلس من يتضرر بقدحه، فما حدّ المكروه الذي يسقط الوجوب به؟ قلنا: هذا أيضاً فيه نظر غامض**) أي دقيق (**وصورة منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه، فنقول: المكروه نقيض المطلوب** ومطالب **الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور: إما في النفس فالعلم**) لأن الإنسان لم يتميز عن البهائم إلا بالعقل ولم يشرف إلا بالعلم، ومن شرف العلم أن كل حياة انفكت منه فهي غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودة فإن الحياة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الإحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتألم مما يخالفه فيهرب منه، وذلك أحسن المعارف، وحاجة الإنسان إلى العلم أكثر من حاجته إلى المال لان العلم نافع لا محالة ونفعه دائم في الدنيا والآخرة. (**وأما في البدن فالصحة والسلامة**) من الأمراض الطارئة والأسقام العارضة، (**وأما في المال فالثروة**) أي الكثرة، (**وأما في قلوب الناس، فقيام الجاه فإذاً المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه. ومعنى الجاه ملك قلوب الناس**) وتسخيرها، (**كما أن معنى الثروة ملك الدراهم**) وجعلها في حوزته (**لأن قلوب الناس وسيلة إلى**) بلوغ (**الاغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة**) إلى ذلك، (**وسيأتي تحقيق**

إليه في ربع المهلكات ـ وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به. ويكره في هذه الأربعة أمران، أحدهما: زوال ما هو حاصل موجود، والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود، أعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله. فرجع المكروه إلى قسمين:

أحدهما: خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصاً في ترك الأمر بالمعروف أصلاً.

معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربع المهلكات) إن شاء الله تعالى، **(وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه وأقاربه والمختصين به)** وملخص القول فيه أن النعم الموهوبة والمكتسبة مع كثرتها تنحصر في خمسة أنواع.

الاوّل: السعادة الاخروية وهي أعلاها وأشرفها وهي أربعة أشياء بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر. ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها، وأصول ذلك أربعة أشياء: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الانصاف، ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة أشياء: الصحة والقوّة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالانسان وهي أربعة أشياء: المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى تحصيل ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل، وذلك بأربعة أشياء: هدايته ورشده وتسديده وتأييده، فجميع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضرباً ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط، واعلم أن كل ما أعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة والأشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة الأحوال. فمنها: ما هو نافع في جميع الأحوال وعلى كل وجه، ومنها: ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه، وربما يكون ضره أكثر من نفعه، فحق الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس.

(ويكره في هذه الأربعة أمران، أحدهما: زوال ما هو حاصل موجود، والآخر: امتناع ما هو منتظر مفقود أعني اندفاع ما يتوقع وجوده) كما قال الشاعر:

كل يحاول حيلــة يـــرجـــو بها دفـــع المضرة واجتلاب المنفعـــة
والمرء يغلــط في تصرف حـــالــه فلـربما اختـــار العنـــاء على الدعـــة

(ولا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله، فرجع المكروه إلى قسمين).

(أحدهما: خوف امتناع المنتظر) حصوله، **(وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصاً في ترك**

ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة، أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه خوفاً من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه، وأما الصحة فتركه الإنكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلاً وهو لابس حريراً خوفاً من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة. وأما المال: فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ويترك مؤاساته. وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاهاً في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية.

وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضرراً مجاز، وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر، كما إذا كان محتاجاً إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب، ويعلم أن في تأخره شدة الضنى به وطول المرض وقد يفضي إلى الموت، وأعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم، فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص

الأمر بالمعروف أصلاً. ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة. أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه) ممن ينتمي إليه تحصيلاً للعلم منه أو خدمة أو محبة **(خوفاً من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه)** أو خدمته. **(وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلاً وهو لابس حرير)** أو راكب على مركب فضة أو ذهب **(خوفاً من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة)** بسبب معالجته. **(وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ويترك مواساته. وأما الجاه: فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها)** في قضاء حاجاته **(في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية.**

وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة، فإن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضرراً مجاز، وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل) أصلي **(ولا يستثنى عن هذا شيء إلا ما تتحقق إليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد على محذور السكوت)** لو سكت **(على المنكر كما إذا كان محتاجاً إلى الطبيب لمرض ناجز)** قد حلّ به الحال، **(والصحة منتظرة من معالجة الطبيب)** إن عالجه، **(ويعلم أن في تأخره شدة الضنى به وطول المرض)** وامتداد زمنه، **(وقد يفضي إلى الموت)** إن ترك المعالجة. **(وأعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء)** في الوضوء والغسل **(والعدول إلى التيمم)** كما سبقت

في ترك الحسبة، وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلاً بمهمات دينه ولم يجد إلاّ معلماً واحداً ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره، وعلم أن المحتسب عليه قادر عن أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعاً له أو مستمعاً لقوله، فإذاً الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور، ولا يبعد أن يرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين. وأما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد، ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله إلى طلب إدرار حرام أو مات جوعاً. فهذا أيضاً إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص له في السكوت. وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلاً إلى دفع شره إلا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر، ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير.

فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الأمر فيها منوط

الإشارة إليه في كتاب سر الطهارة وفي كتاب آداب السفر. **(فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص في ترك الحسبة، وأما في العلم: فمثل أن يكون جاهلاً بمهمات دينه ولم يجد إلا معلماً واحداً)** في البلد الذي هو فيه، **(ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره)** اما العجـز حسي أو معنوي، **(وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعاً له أو مستمعاً لقوله، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور، والسكوت على المنكر محذور، فلا يبعد أن يرجح أحدهما)** على الآخر **(ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين)** فإن نظر إلى التفاحش رجح جانب الإنكار وإن نظر إلى الجهل بالدين ولا سبيل لإزالته رجح جانبه على الانكار. **(وأما في المال: فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه)** وإدراره عنه، **(وافتقر في تحصيله إلى طلب إدرار حرام)** من مواضع الشبهة **(أو مات جوعاً، فهذا أيضاً إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص في السكوت)** عن الحسبة. **(وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير)** الرجل الكثير الشر **(ولا يجد سبيلاً إلى دفع شره)** وأذاه عنه **(إلا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر، ولو احتسب عليه)** وأنكر فعله **(لم يكن واسطة ووسيلة له)** عند السلطان: **(فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم عليه أذى الشرير)**.

فهذه أمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها) عن الضرر الحقيقي، **(ولكن الأمر**

باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالآخر، ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع، فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق، ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه إنه الدين أو الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضراً عند الله ولو في فلتة خاطر أو لفتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد.

وأما القسم الثاني؛ وهو فوات الحاصل: فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلاّ فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره، وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال. وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد. وأما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضرباً مؤلماً يتأذى به في

فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه) عند الاشتباه، **(ويزن أحد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بمجرد الهوى والطبع)** النفسيين، **(فإن رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة)** وهي الملاينة والملاطفة، **(وإن رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة)** ولذا كانت المداراة محمودة ومنه قول الشاعر:

كان لا يدري مداراة الورى ومداراة الورى أمر مهم

والمداهنة مذمومة لما فيها من قلة المبالاة بالدين وترجيح لجانب الهوى، **(وهو أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق)** وتأمل بتحقيق، **(ولكن الناقد بصير)** مطلع، **(فحق كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله تعالى مطلع على باعثه وصارفه إنه الدين أو الهوى)** أي أيهما، **(وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضراً عند الله ولو في فلتة خاطر أو لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد)** جل جلاله وعم نواله.

(أما القسم الثاني: وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة) المذكورة **(إلا العلم، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه)** يكون سبباً لفواته وليس ذلك بمحال، **(وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره، وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال)** كذا في النسخ والأولى والجاه بدل قوله والمال. **(وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد)** فإن أشرف المقتنيات ما إذا حصل لم يغب ولم يحتج في فضله إلى حفظة وأعوان فكان نافعاً عاجلاً وآجلاً ومطلقاً وفي كل حال وكل زمان وكل مكان، وذلك هو العلم. وقد تقدمت الإشارة لذلك في شرح حديث كميل بن زياد عن علي في كتاب العلم. **(وأما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب،**

الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يستحب له ذلك ـ كما سبق ـ وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر. وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه، فهذا أيضاً يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن لا يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حدّ في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيف ألمها في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد، وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن. وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضرباً غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسوّد وجهه ويطاف به، وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب. وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة، كالطواف به في البلد حاسراً حافياً فهذا يرخص له في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع، وهذا مؤلم للقلب ألماً يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة.

الثانية: ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة، فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل،

فكل من علم أنه يضرب ضرباً مؤلماً يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يستحب له ذلك كما سبق) قريباً. **(وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب فهو في الجروح وفي القطع والقتل أظهر، وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه، فهذا أيضاً يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يفدي دينه بدنياه)** وفي بعض النسخ: بأن يقوي دينه بدنياه، **(ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به)** أي لا يعتبر **(كالحبة من المال)** إذا أخذت **(واللطمة الخفيف ألمها في الضرب وحد في الكثرة يتيقن اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد، وعلى المتدين أن يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما أمكن)** له ذلك **(وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضرباً غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس)** أي بمحضر منهم **(أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه)** بالفحم **(ويطاف به)** أو يركب على جمل ويدار به مع المناداة عليه، **(وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب** وهذا له درجات فالصواب أن **يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسراً حافياً)** أي مكشوف الرأس من غير نعل في رجله، **(فهذا يرخص في السكوت)** عن الحسبة **(لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألماً يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة)**.

(الثانية: ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة، فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل،

وكذلك الركوب للخيول. فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها. أو كلف المشي راجلاً وعادته الركوب. فهذا من جملة المزايا. وليست المواظبة على حفظها محمودة. وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر. وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان. وأما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة، ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة، وعلم انه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضاً معصية في حق المغتاب، ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار، وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره، والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها، فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب

وكذا الركوب للخيول، فلو علم أنه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب) بذلة **(لا يعتاد هو مثلها أو كلف المشي راجلاً وعادته الركوب، فهذا من جملة المزايا)** الزائدة **(وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ المروءة محمود، فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر، وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل)** والتبليد **(والتحميق)** أي نسبته إلى الجهل والبلادة والحمق **(والنسبة إلى الرياء والنفاق)** وفي نسخة: البهتان **(وأما في غيبته بأنواع الغيبة، فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة)** أي احتياج، **(ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه أو تعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا ينفك الحسبة عنه)** ولا بد من مثن عليك وقادح **(إلا إذا كان المنكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب، ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب لزيادة المعصية، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه)** الحسبة، **(لأن غيبته أيضاً معصية في حق المغتاب، ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار، وقد دلت العمومات)** في الآي والأخبار **(على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها)** وعدم المداهنة فيها، **(فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد**

ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له. وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره، ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره، فإذاً ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر، وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضاً وليس له ذلك إلا برضاهم. فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاماً منه بواسطتهم، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها، فإن إيذاء المسلمين محذور، كما أن السكوت على المنكر محذور، نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض.

فإن قيل: فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما

ظهر في الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل) بالثياب والركوب **(وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له)** في الشرع. **(وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره، ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره، فإذاً ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب، فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر)** آخر، **(وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء لمسلم أيضاً وليس له إلا برضاهم، فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه)** من عشيرته وقبيلته **(فليتركه وذلك كالزاهد)** في الدنيا **(الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان، ولكنه يقصد أقاربه انتقاماً منه بواسطتهم، فإن كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها، فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت عن المنكر محذور)** والأرجح ترك إيذاء المسلمين. **(نعم إن كان لا ينالهم الأذى في مال ونفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب، فهذا فيه نظر)** هل يجوز السكوت أم لا؟ **(ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض)** كما تقدم.

(فإن قيل: فلو قصد الإنسان قطع طرف من) أعضاء **(نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا**

يؤدي إلى قتله فهل يقاتله عليه؟ فإن قلتم: يقاتل، فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفاً من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضاً؟ قلنا: يمنعه عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه، بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية، وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية، وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنَّا نفدي درهماً من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية، وإنما المقصود دفع المعاصي.

فإن قيل: فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسماً لباب المعصية؟ قلنا: ذلك لا يعلم يقيناً ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية، ولكنا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه، فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه.

فإذاً المعصية لها ثلاثة أحوال:

احداها: أن تكون متصرمة، فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد.

بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل) له أن (**يقاتله عليه؟ فإن قلتم: يقاتل، فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفاً من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضاً؟ قلنا**) في الجواب: (**يمنعه عنه**) أي عن قطع طرف (**ويقاتله**) عليه (**إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية، وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله**) ويجر إليه، (**فإنه جائز**) شرعاً (**لا على معنى أنا نفدي درهماً من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلم معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية، وإنما المقصود دفع المعاصي**) فليتفطن لهذا.

(**فإن قيل: فلو علمنا أنه لو خلي بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسماً لباب المعصية**) لئلا يتأتى منه ذلك؟ (**قلنا: ذلك لا يعلم يقيناً ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه، فإن قاتلنا**) على الدفع (**قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه، فإذاً المعصية لها ثلاثة أحوال**).

(**أحدها: أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير، وهو إلى الولاة**) للأحكام (**لا للآحاد**) من الرعية.

الثانية: أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر، فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها، وذلك يثبت للآحاد والرعية.

الثالثة: أن يكون المنكر متوقعاً كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر، فهذا مشكوك فيه، إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح، فأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة، وقد أقدم على السبب المؤدي إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار، وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج، فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية، وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية، وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالباً بحيث لا يقدر على

(**الثانية: أن تكون راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود**) للغناء (**والخمر**) للشرب، (**فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها**) في الفحش (**وذلك يثبت للآحاد والرعية**) وفي نسخة من الرعية.

(**الثالثة: أن يكون المنكر متوقعاً**) في المستقبل (**كالذي يستعد لكنس المجلس وتزيينه**) بالفرش وجمع الرياحين (**لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر، فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق**) أي يمنع عنه مانع (**فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح**) ولين الكلام، (**فإما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة**) وأنه من شأنه ذلك (**وقد أقدم على السبب الذي يؤدي إليه ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الإنتظار وذلك كوقوف الأحداث**) أي الشباب المغتلمين (**على أبواب حمام النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فإنهم، وإن لم يضيقوا الطريق**) على المارة (**لسعته فيجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من المواضع**) المذكورة (**ومنعهم من الوقوف**) فيها (**بالتعنيف والضرب، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية، وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة**) بالأجنبية (**في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الإنسان بها لوقوع المعصية غالباً**

الانكفاف عنها ، فإذاً هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظـرة .

(الركن الثاني: للحسبة ما فيه الحسبة) :

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد ، فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها .

(الأوّل: كونه منكراً) ، ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا ، لأن المنكر أعم من المعصية ، إذ من رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه ، وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أم بهيمة فعليه أن يمنعه منه . وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه ، وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال ، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية ، وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر ، بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي

بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها) والمعنى أنها من شأنها أن تحمله على المعصية ولو لم تكن المعصية موجودة في الراهنة ، وهكذا القياس في كل مفعلة كالمجبنة والمبخلة وأشباههما ، **فإذاً هو** على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظره .

الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة:

(وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها) .

(الأول: كونه منكراً ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع) أي أنكره الشرع وحذر من الوقوع فيه **(وعدلنا من لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر ، فعليه أن يريق خمره ويمنعه)** من الشرب ، **(وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة ، فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس ، بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه ، وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال ، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية)** ولذلك اخترناه هنا **(وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة)** من المعاصي **(فلا تختص الحسبة بالكبيرة)** وفي نسخة بالكبائر **(بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر إلى النسوة الأجنبيات كل ذلك)** معدود **(من الصغائر ،**

الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة.

الشرط الثاني: أن يكون موجوداً في الحال، وهو احترازاً أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر، فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ، وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم، وربما صدق في قوله. وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق، وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة، وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه.

الشرط الثالث: أن يكون المنكر ظاهراً للمحتسب بغير تجسس، فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه، وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة ـ وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة ـ وكذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر

ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي) بيانه **(في كتاب التوبة)** إن شاء الله تعالى.

(الشرط الثاني: أن يكون موجوداً في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلى الآحاد) من الرعية، **(وقد انقرض المنكر)** بل ذلك إلى الولاة كما تقدم **(واحتراز)** أيضاً **(عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ)** والنصحة، **(فإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم)** وهو لا يجوز، **(وربما صدق في قوله وربما لا يقدم)** على ما عزم عليه **(لعائق)** أي مانع، **(وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها)** آنفاً **(وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء)** أو على ممرهن إلى الحمام ذهاباً وإياباً **(وما يجري مجراه)**.

(الشرط الثالث: أن يكون المنكر ظاهراً للمحتسب بغير تجسس) وتفتيش، **(فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه)** بقوله: ﴿ولا تجسسوا﴾ **(وقصة عمر)** بن الخطاب **(وعبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنهما **(فيه مشهورة)** أخرجها عبد الرزاق في المصنف وعبد بن حميد، والخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق المسور بن مخرمة، **(وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة)** والمعاشرة، **(وكذلك ما روي أن عمر)** رضي الله عنه **(تسلق دار رجل)** أي تسور الحائط ولم يدخل من الباب، **(فرآه**

عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه. فقال: وما هي؟ فقال قد قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢] وقد تجسست. وقال تعالى: ﴿وأْتوا البيوت من أبوابها﴾ [البقرة: ١٨٩] وقد تسوّرت من السطح. وقال: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ [النور: ٢٧] وما سلمت. فتركه عمر وشرط عليه التوبة، ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه؟ فأشار علي رضي الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد. وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها.

فإن قلت: فما حد الظهور والاستتار؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من

على حالة مكروهة فأنكر) عليه **(فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله)** تعالى **(مرة واحدة فقد عصيته من ثلاثة أوجه فقال: وما هي؟ فقال: قد قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسست. وقال)** تعالى: **(﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ وقد تسورت من السطح وقال)** تعالى: **(﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ وما سلمت فتركه عمر)** رضي الله عن **(وشرط عليه التوبة)** أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق ثور الكندي، ولفظه: إن عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغني فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال: يا عدوّ الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين. لا تعجل عليّ أن أكوت عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثة. قال: ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسست. وقال: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ وقد تسورت عليّ ودخلت علي بغير إذن. وقال الله: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ قال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم فعفا عنه وخرج وتركه وقد تقدم في كتاب الصحبة.

(ولذلك شاور) عمر رضي الله عنه **(الصحابة)** وهو **(على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد)** على مرتكبه؟ **(فأشار علي رضي الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد)** وسكت عمر ورجع إلى قوله: **(وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم)** على المسلم **(من كتاب)** آداب **(الصحبة فلا نعيدها)** ثانية.

(فإن قلت: فما حد الظهور والاستتار؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية) فإنه هو التجسس المنهي عنه. قال مجاهد: لا تجسسوا يعني خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة. فإذاً إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة، فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة. وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل. والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فإذا رؤي فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة. فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر. إذ الفاسق محتاج أيضاً إلى الخل وغيره، فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان حلالاً لما أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تكثر. وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر. والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور. وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقيقاً. فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف، وقد أمرنا بأن نستر ما

(إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار، فمن سمع ذلك فله الدخول) في الدار **(وكسرها)** أي المزامير والأوتار، **(وكذلك إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعه أهل الشوارع)** أي الطرق المسلوكة **(فهذا إظهار موجب للحسبة فإذاً إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فإذا فاحت رائحة الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يقصد بالاراقة، وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب، فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر)** وفي بعض النسخ أواني الخمر وظروفه **(في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي)** أي آلاتها. **(فإذا رؤي فاسق وتحت ذيله شيء فلا يجوز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة)** تدل عليه، **(فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج إلى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان حلالاً)** وفي نسخة خلا **(لما أخفاه لأن الاغراض في الإخفاء مما تكثر)** وتختلف، **(وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر، والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور)** فوجوده كاف، **(وكذلك العود)** المطرب **(ربما يعرف بشكله)** فإنه غريب في الآلات **(إذا كان الثوب الساتر له رقيقاً)** شفافاً **(فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور، بل هو مكشوف. وقد أمرنا بأن نستر ما ستره الله وننكر على من أبدى لنا**

ستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته. والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع، وتارة بحاسة الشم، وتارة بحاسة البصر. وتارة بحاسة اللمس، ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضاً تفيد العلم فإذاً إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر. وليس له أن يقول: أرني لأعلم ما فيه، فإن هذا تجسس. ومعنى التجسس طلب الإمارات المعرفة فالإمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الإمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلاً.

الشرط الرابع: أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه. فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية. ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الأرحام وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد. نعم لو رأى الشافعي شافعياً يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر، والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى

صفحته) رواه البخاري من قول عمر رضي الله عنه. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي شيبة وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود برجل فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمراً. فقال عبد الله: إنا نهينا عن التجسس، ولكن أن يظهر لنا شيء نأخذ به.

(والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع، وتارة بحاسة البصر، وتارة بحاسة اللمس، ولا يمكن تخصيص ذلك بحاسة البصر، بل المراد العلم وهذه الحواس أيضاً تفيد العلم) إفادة البصر إياه، **(فإذاً إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول: أرني لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس)** وهو منهي عنه، **(ومعنى التجسس طلب الإمارات المعرفة)** عنه، **(فالإمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الإمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلاً)** إذ هو داخل في معنى التجسس.

(الشرط الرابع: أن يكون كونه منكراً معلوماً) للناس **(بغير اجتهاد ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه، فليس للحنفي)** المذهب **(أن ينكر على الشافعي)** المذهب **(أكله الضب والضبع)** وهما حيوانان معروفان تقدم الكلام عليهما **(و)** كذا أكله **(متروك التسمية)** عمداً **(ولا على الشافعي)** المذهب **(أن ينكر على الحنفي)** المذهب **(شربه النبيذ الذي ليس بمسكر و)** كذا **(تناوله ميراث ذوي الأرحام، و)** كذا **(جلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد)** مما هو معلوم من مذهبيهما. **(نعم لو رأى الشافعي شافعياً يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته، فهذا في محل النظر وإلا ظهر أن**

أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره، ولا أن الذي أدى اجتهاده في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده، بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل، فإذاً مخالفته للمقلد متفق على كونه منكراً بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه، وهو انه يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا نكح بغير ولي بأن يقول له: الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك إن كانت صواباً عند الله، وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له: إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه، أو لا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك. ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلاً امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوّجه أبوه إياها في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته، فهو في الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة. فينبغي أن

له الحسبة والإنكار) عليه في ذلك. **(إذ لم يذهب من المحصلين)** للعلم **(أحد إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره)** إلا أن وافق اجتهاده، **(ولا أن الذي أدى اجتهاده الى التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء)** واعتقد فيه ذلك **(أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد)** ويختار **(من المذاهب أطيبها عنده)** وأوفقها لرأيه، **(بل على كل مقلد)** بكسر اللام **(اتباع مقلده)** بفتح اللام **(في كل تفصيل)** من مسائل مذهبه، **(فإذاً مخالفته)** أي المقلد **(للمقلد في)**مسألة من المسائل **(متفق على كونه منكراً بين المحصلين)** من أهل العلم **(وهو عاص بالمخالفة)** له **(إلا أنه يلزم من هذا أمر)** هو أغمض منه، **(وهو أن يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا)** رآه قد **(نكح بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق، ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن لم يكن صواباً عند الله)** تعالى، **(وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب)** والضبع **(ومتروك التسمية)** عمداً. **(وغيره ويقول له: إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أو)** لا تعتقد ذلك و**(لا تقدم عليه)** لأنه **(على خلاف معتقدك، ثم ينجر هذا إلى أمر آخر في المحسوسات وهو أن يجامع أصم مثلاً)** وهو فاقد حاسة السمع **(امرأة على قصد الزنا، وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوّجه إياها أبوه منه في صغره ولكنه ليس يدري، وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته، فهو في الاقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص)** لله تعالى ومؤاخذ به **(ومعاقب عليه في الدار الآخرة**

يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث أنه حلال في علم الله قريب من حيث أنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ، ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ، ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع - أعني باللسان - لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثاً ، وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكراً ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون . وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكراً عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل ، فيلزم من عكس هذا أن يقال : ما ليس بمنكر عند الله وإنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه ، وهذا هو الأظهر والعلم عند الله . فتحصل من هذا أن الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وأن الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكراً باتفاق المحتسب والمحتسب عليه . وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة ، وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ ترجيح المخالف فيها أن رأى أنه لا

فينبغي أن يمنعه منه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث أنه حلال في علم الله) تعالى **(قريب من حيث أنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله، ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غيره، وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك، ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن)** لوجود الصفة ، **(فإذا رآه يجامعها فعليه المنع من ذلك أعني باللسان)** لا باليد ، **(لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به)** لعدم وجود الصفة عنده ، **(والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثاً)** أي طلاقاً بائناً **(وكونهما)** أي الزوجين **(غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكراً)** في نفسه ، **(ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون)** بامرأة أجنبية . **(وقد بينا أنه يمنع منه ، فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكراً عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله)** تعالى ، **(وإنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر)** من الأقوال **(والعلم عند الله)** ، **(فتحصل من هذا أن الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي ، وإن الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكراً باتفاق المحتسب والمحتسب عليه ، وهذه مسائل فقهية دقيقة)** المدرك **(والاحتمالات فيها متعارضة)** وإطلاق القول بالترجيح فيها عسر ، **(وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ المخالف فيها أن رأى)** واعتقد

يجري الاحتساب إلا في معلوم على القطع . وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا : لا حسبة إلا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراماً ، ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهدين ، إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره أن الاستدبار هو الصواب . ورأي من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلاً ، فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به .

فإن قلت : إذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لأنه يرى أنه حق ، فينبغي أن لا يعترض على المعتزلي في قوله : ان الله لا يرى وقوله : إن الخير من الله والشر ليس من الله ؟ وقوله : كلام الله مخلوق ؟ ولا على الحشوي في قوله : إن الله تعالى جسم وله صورة وأنه مستقر على العرش ، بل لا ينبغي أن يعترض على الفلسفي في قوله : الأجساد لا تبعث وإنما تبعث النفوس ، لأن هؤلاء أيضاً أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق .

(**أنه لا يجري الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون**) من العلماء (**وقالوا : لا حسبة إلا في مثل الخمر والحرير**) لاتفاقهم على حرمة كل منهما (**وما يقطع بكونه حراماً**) ولم يختلف فيه فهذا مذهب جماعة من العلماء ، (**ولكن الأشبه عندنا**) معاشر الشافعية (**أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة**) معلومة معينة (**بالدلالات الظنية، ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لأجل ظن غيره أن الاستدبار هو الصواب**) ، وأما (**رأي من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد**) بهوى نفسه ، فإنه (**غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلاً ، فهذا مذهب لا يثبت**) عند أهل المعرفة (**وإن ثبت فلا يعتد به**) عند أهل العلم.

(**فإن قلت: إذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بغير ولي لأنه يرى أنه حق فينبغي أن لا يعترض على المعتزلي في قوله: إن الله لا يرى، وقوله: إن الخير من الله والشر ليس من الله، وقوله: في كلام الله مخلوق**) وغير ذلك من الأقوال التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة ، (**وعلى الحشوي في قوله أن الله جسم وله صورة وأنه مستقر على العرش، بل لا ينبغي أن يعترض على الفلسفي في قوله: الأجساد لا تبعث، وإنما تبعث النفوس لأن هؤلاء أيضاً أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق**) ومن يخالفهم على الباطل واستدلوا على ذلك بآيات وأخبار ما عدا الفلسفي فإنما استدلالهم بالعقل فقط .

فإن قلت: بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضاً ظاهر، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلي ينكرها بالتأويل، فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسألة النكاح بلا ولي ومسألة شفعة الجوار ونظائرهما؟ فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب. وهي أحكام الأفعال في الحل والحرمة، وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لا يعلم خطأهم قطعاً بل ظناً، وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحداً كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى، فهذا مما يعلم خطأ المخطىء فيه قطعاً ولا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض وجه، فإذاً البدع كلها ينبغي أن تحسم أبوابها وتنكر

(فإن قلت: بطلان مذهب هؤلاء ظاهر، فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح) يشير إلى حديث لا نكاح إلا بولي، وقد تقدم الكلام عليه، وكذا من يخالف نص الآية كقوله: ﴿ولا تأكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام: ١٢١] **(أيضاً ظاهر، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى. والمعتزلي ينكرها بالتأويل، فكذلك ثبتت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي، كمسألة النكاح بلا ولي، ومسألة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم أن المسائل تنقسم الى ما يتصور أن يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي أحكام الأفعال في الحل والحرمة، وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لا يعلم خطأهم قطعاً بل ظناً)**. اعلم أنه اختلف العلماء في أن كل مجتهد مصيب أم المصيب واحد، ومعناه أن كل من حكم بحكم واقعة فهل هو حكم بما أمره الله أم لا؟ والخلاف مبني على أن لكل واقعة حكماً متعيناً في نفس الأمر أم لا: بل يتعين باجتهاد المكلف واختياره، فإن كان لم يكن المصيب إلا واحداً وإن لم يكن كلهم مصيباً، وعلى أن لكل حكم دليلاً قطعياً أم ظنيا فإن كان عليه دليل ظني فلا يكون المصيب إلا واحداً، وإن كان قطعياً كان الكل مصيباً لامتناع الخطأ في القطعي. والمختار عند الشافعي أن لكل واقعة حكماً متعيناً في نفسه، وعليه دليل ظني فيلزم أن لا يكون الكل مصيباً بل المصيب واحد، وله أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، والمخطىء له أجر الاجتهاد فقط ولا يكون آثماً بحيث الخطأ فيه، وهذا القول أعني كل مجتهد مصيب منقول عن الأشعري والقاضي وجمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة، ولهم في ذلك تفصيل واختلاف محله كتب الأصول.

(وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحداً كمسألة الرؤية والقدر، وقدم الكلام، ونفي الصورة، والجسمية والاستقرار. فهذا مما يعلم خطأ المخطىء فيه قطعاً فلا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض عبرة) أشار بهذا القسم إلى ما عرف عندهم أنه ليس كل

على المبتدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق، كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد.

فإن قلت: فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله، اعترض عليك القدري أيضاً في قولك الشر من الله، وكذلك في قولك: إن الله يرى، وفي سائر المسائل إذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع، وكل يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعاً فكيف يتم الاحتساب؟ فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول: ينظر إلى البلدة التي فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان، وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنَّة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب إلا بنصب السلطان، فإذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره، وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره، فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة

مجتهد في العقليات مصيباً بل الحق فيها واحد، فمن أصابه أصاب ومن فقده أخطأ وقال العنبري والجاحظ: كل مجتهد فيها مصيب أي لا إثم عليه، وهما محجوجان بالإجماع كما نقله الآمدي.

(فإذاً البدع كلها ينبغي أن تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم، وإن اعتقدوا أنها الحق) عندهم **(كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم، وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق)** عندهم **(لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد)** فإنما يعلم ظنا.

(فإن قلت: فهما اعترضت على القدري في قوله: الشر ليس من الله اعترض عليك القدري أيضاً في قولك الشر من الله، وكذلك في قولك: إن الله يرى، وفي سائر المسائل) المختلف فيها. **(إذ المبتدع محق في نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعاً، فكيف يتم الاحتساب؟ فاعلم أننا لأجل هذا التعارض نقول ننظر إلى البلاد التي فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان)** لقيام شوكة السنة، **(وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة)** كما هو في غالب بلدان العجم **(وكان في الاعتراض تحريك فتنة)** وإثارة شر **(بالمقابلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب إلا بنصب من السلطان، فإذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة)** عن إظهار البدعة **(كان له ذلك وليس لغيره)** من الآحاد من غير إذن، **(فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة**

الآحاد فيتقابل الأمر فيه. وعلى الجملة فالحسبة في البدعة أهم من الحسبة في كل المنكرات، ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا ينجر إلى تحريك الفتنة، بل لو أذن السلطان مطلقاً في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه، وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط.

(الركن الثالث: المحتسب عليه) : وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكراً، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً، ولا يشترط كونه مكلفاً إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه، وإن كان قبل البلوغ لا يشترط كونه مميزاً إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة لوجب منعه منه. نعم من الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره. ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضاً مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل.

الآحاد فيتقابل الأمر فيه. وعلى الجملة فالحسبة في البدع أهم من الحسبة في كل المنكرات) سواها، **(ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيه ولا ينجر إلى تحريك الفتنة)** وإثارة الفساد، **(بل لو أذن السلطان مطلقاً في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق، أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه)** من عند أنفسهم **(ولم يتقابل الأمر فيه، وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط).**

الركن الثالث المحتسب عليه:

(وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكراً، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً. ولا يشترط كونه مكلفاً إذ بينا آنفاً أن الصبي إذا شرب الخمر منع منه واحتسب عليه، وإن كان قبل البلوغ. ولا يشترط كونه مميزاً إذ بينا كذلك، أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة لوجب منعه من ذلك) لأنه في الجملة منكر في حق كل من الصبي والمجنون ولو لم يميز ولم يعقل، **(نعم من الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره، ولكن لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل، فإن ذلك أيضاً مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح، وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل.**

فإن قلت: فاكتف بكونه حيواناً ولا تشترط كونه إنساناً، فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة؟ فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه لها إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر. والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين، أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية. والثاني: حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى، فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين. والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين، ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة، بل حفظ مال المسلم، إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات، ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظاً للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط، فإنا لا

فإن قلت: فاكتف بكونه حيواناً ولا تشترط كونه إنساناً فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة) فيعد ذلك أيضاً من المحتسب عليه؟ **(فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه له إذ الحسبة عبارة عن المنع من منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر)** وملابسته **(ومنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة لحق الله، وكذا منع الصبي عن شرب الخمر)** إنما هو رعاية لحق الله، **(والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقّين: أحدهما لحق الله تعالى فإن فعله معصية)** إذ قد نهي عن إتلاف مال الغير، **(والثاني: حق المتلف عليه فهما علتان)** مستقلتان **(تنفصل إحداهما عن الاخرى)** أي قد توجد إحداهما ولا توجد الأخرى، **(فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية)** وهي مخالفة أمر الله تعالى **(وسقط حق المجني عليه بإذنه)** أي بسبب إذنه **(فيثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أتلفت)** زرع الغير **(فقد عدمت المعصية، ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين)** وهو إتلاف مال الغير **(ولكن فيه دقيقة وهو إنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة، بل)** نقصد **(حفظ مال المسلم)** وهو أكيد **(إذ البهيمة لو أكلت منه أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات)** ولا محذور فيه، **(ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه من غير تعب)** ولا مشقة ظاهرة **(وجب ذلك علينا حفظاً للمال، بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحته)** أي العلو **(قارورة)** زجاج **(لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة)** لانه مال

نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة، ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر، وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب، بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهاً له من حيث أنه إنسان محترم، فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها إلا المحققون، فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر، إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك. وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث.

فإن قلت: فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان، فهل يجب عليه إخراجها؟ وكل من رأى مالاً لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه؟ فإن قلتم: إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره طول عمره. وإن قلتم: لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير؟ فنقول: هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك، فذلك القدر واجب في حقوق المسلم، بل هو أقل درجات

مسلم **(لا لمنع الجرة من السقوط لأنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر، وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية)** أي التي فعل بها **(أو الخمر المشروب، بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهاً له من حيث هو إنسان محترم، فهذه لطائف دقيقة)** المدرك **(لا يتفطن لها إلا المحققون، فلا ينبغي أن يغفل عنها)** فإنها من المهمات، **(ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير، وفي غير ذلك وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث)** قريباً إن شاء الله تعالى.

(فإن قلت: فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان) فرعته، **(فهل يجب عليه إخراجها)** من ذلك الزرع؟ **(وكل من رأى مالاً لمسلم أشرف على الضياع)** والتلف **(هل يجب عليه حفظه)** أم لا؟ **(فإن قلتم: إن ذلك واجب، فهذا تكليف شطط)** وجور **(يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره)** أي مذللاً **(طول عمره، وإن قلتم: لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير)** وحفظه؟ **(فنقول)** في الجواب: **(هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز)** أي المختصر **(فيه أن نقول: مهما قدر)** الإنسان **(على حفظه عن الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقص في جاهه)** بسبب كلام الناس فيه **(وجبت عليه ذلك، فذلك القدر واجب في حقوق**

الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة، وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام، فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام، بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه، فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعي في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه. نعم الإيثار مستحب وتجشم المصاعب لأجل المسلمين قربة، فأما إيجابها فلا. فإذاً إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك، فإهمال تعريفه وتنبيهه كإهماله تعريف القاضي بالشهادة، وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال: إن كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم إلا قدر درهم مثلاً وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه

المسلم) وفي نسخة في حقوق المسلمين بعضهم على بعض، **(بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلم)** على المسلم **(كثيرة، وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام لأن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام)** إذ تترتب عليه فائدة تفضي إلى أخيه المسلم، **(بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم)** بأن غصبه أو أنكره، **(وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك)** أي أداء الشهادة، **(وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع)** عن مال أخيه بحيث **(لا ضرر على الدافع فيه)** ولا تعب، **(فأما إن كان عليه تعب وضرر في مال أو جاه لم يكن يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه. نعم الإيثار مستحب)** أثنى الله عليه في كتابه **(وتجشم المصاعب)** أي تحمل المشقات **(لأجل المسلمين قربة)** إلى الله تعالى، **(فاما إيجابها فلا فإذاً إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه)** السعي في ذلك إذ لم يكلف الله نفساً إلا وسعها. **(ولكن إذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع)** من نومه **(وهو نائم)** أو بإعلامه وهو غافل **(يلزمه ذلك، فإهمال تعريفه بالتنبيه)** أو الإعلام **(كإهماله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه)** بل يأثم تاركها. **(ولا يمكن أن يرعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال إن كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم)** من الزرع **(إلا قدر درهم مثلاً، وصاحب الزرع يفوته مال كثير)** إن أبقيت تلك البهائم، **(فيرجح جانبه لأن الدرهم الذي هو له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف، فلا سبيل للمصير إلى ذلك، فأما**

كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف، ولا سبيل للمصير إلى ذلك، فأما إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير، فهذا يجب المنع منه، وإن كان فيه تعب ما، لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية، وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي. والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب. ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرنا من درجات المحذورات التي يخالفها المحتسب.

وقد اختلف الفقهاء في مسألتين: تقربان من غرضنا، إحداهما: أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة؟ والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ؟ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال: إن كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها، أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط، وإن كانت في مضيعة، نظر. فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت

إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير، فهذا يجب المنع وإن كان فيه تعب ما) أي نوع تعب، **(لأن المقصود)** الذي يتعب لحصوله **(حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في ترك المعاصي)** مهما استطاع **(كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها)** من حيث هي هي **(في تركها تعب)** ومشقة ومخالفة الهوى والنفس، **(وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس)** وهي الأصل الأصيل **(وهي غاية التعب)** لأنه في مخالفته إياها كالمجاهد للعدو **(ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخالفها المحتسب.**

وقد اختلف الفقهاء في مسألتين تقربان من غرضنا. إحداهما: أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة) وهي كرطبة اسم الذي يجده ملقى فيأخذه؟ قال الأزهري: وهذا قول جميع أهل اللغة وحذاق النحويين. وقال الليث: هي بالسكون ولم أسمعه لغيره، واقتصر ابن فارس والفارابي على فتح القاف ومنهم من يعد السكون من لحن العوام، **(والملتقط مانع)** لها **(من الضياع)** والتلف **(وساع في الحفظ)** لها على صاحبها **(والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال: إن كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط)** للصوفية **(يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط، وإن كان مضيعة)** مفعلة وهي المفازة المنقطعة. وقال ابن جني: هو الموضع الذي يضيع فيه الإنسان. قال الشاعر:

وهـو مقيم بـدار مضيعـة ... شعـاره في أمـوره الكسـل

ومنه يقال: ضاع يضيع ضياعاً إذا هلك، وفيه لغة أخرى وهي مضيعة على وزن معيشة.

بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك، لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك. وحقه بسبب كونه إنساناً محترماً، والملتقط أيضاً إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله. فإن كانت ذهباً أو ثوباً أو شيئاً لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف، فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين. فقائل يقول: التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طلباً للثواب. وقائل يقول: إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين، فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به، فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة، وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في الهاجرة وشدة الحر، فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر، فإن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا

(نظر، فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل) وحبال تربط بها، **(فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنساناً محترماً، والملتقط أيضاً إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله، وإن كان)** الملتقط **(ذهباً)** في كيس أو في طرف منديل **(أو ثوباً)** مرمياً **(أو شيئاً لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف)** سنة، **(فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول: التعريف والقيامة بشرطه)** على ما هو مذكور في محله **(سنة تعب، فلا سبيل إلى الزامه ذلك إلا أن يتبرع)** من عند نفسه، **(فيلتزم طالباً للثواب وقائل يقول: إن هذا القدر من التعب مستصغر)** أي قليل **(بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين)** فإنها مؤكدة **(فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى)** لأجل أداء الشهادة لما فيه من المشقة **(إلا أن يتبرع بذلك)** وفي نسخة إلا أن تبرع به، **(وإذا كان مجلس القاضي في جداره)** أو قريباً منه **(لزمه، وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد)** وكان البلد متسعاً **(وأحوج إليه في الهاجرة)** أي وسط النهار **(وعند شدة الحر)** بدون الهاجرة وذلك في البلاد التي يشتد فيها الحر كالحجاز واليمن والحبشة. **(فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر)** فإن كان في البلاد الباردة وطلب منه المشي إلى آخر البلد يلزمه لعدم التعب، وإن أحوج إليه في وقت نزول الثلج والبرد الكثير أو المطر الكثير، أو كان الطريق فيها وحل كثير لم يلزمه وينظر مع ذلك إن كان الشاهد راكباً على دابة ولم يحصل له التعب يلزمه، **(فإذاً الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالي به، وطرف في**

يشك في أنه لا يبالي به، وطرف في الكثرة لا يشك في أنـه لا يلزم احتماله، ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر، وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها، إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة، ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل.

(الركن الرابع: نفس الاحتساب):

وله درجات وآداب: أما الدرجات، فأوّلها التعرف، ثم التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب. وتحقيقه، ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود.

(أما الدرجة الأولى): وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه، لا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار، ولا أن يستخبر مـن جيرانـه ليخبروه بما يجري في داره. نعـم لـو أخبره

الكثرة لا يشك في أن لا يلزم احتماله، ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة) وهي التي دام اشتباهها زماناً طويلاً يقال: مرض مزمن وهو الدائم الملازم الذي أعيت عنه الأطباء **(التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة، ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه)** أي يوقعه في الريبة **(إلى ما لا يريبه)** عملاً بقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». **(فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل)** ولم يذكر المصنف المسألة الثانية التي تقرب من الغرض.

الركن الرابع: نفس الاحتساب:

(وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف، ثم التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه، ثم شهر السلاح) أي إبرازه من بيته **(ثم الاستظهار)** أي طلب التقوية **(فيه بالأعوان وجمع الجنود)**.

(أما الدرجة الأولى: وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه، وهو) بعينه **(التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار)** والمزامير والجلاجل، **(ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار، ولا أن يستخبر من جيرانـه)** اللاصقين لـداره **(ليخبروه بما يجري في داره)** فكل ذلك تتبع للعورات، **(وقد ورد فيه وعيد شديد كما تقدم في آداب**

عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلاناً يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمراً أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان، ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه، وإن أخبره عدلان أو عدل واحد. وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادتـه، ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال. والأولى أن يمتنع لأن له حقاً في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه إلا بشاهدين، فهذا أولى ما يجعل مرداً فيه. وقد قيل أنه كان نقش خاتم لقمان: الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت.

(الدرجة الثانية) : التعريف فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله، وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود، فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولو رضي بأن لا يكون مصلياً لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف، وذلك لأن في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء،

الصحبة). نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار **(بأن فلان يشرب الخمر أو في داره خمر أعده للشرب، فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان)** ففيه شروط. الاول: أن يكون ذلك من غير استخبار، والثاني: أن يكون المخبر عدلين لا عدلاً واحداً. والثالث: كون الاخبار وقع على شربه حالاً لا على شربه في الماضي وإذا أخبر أن الخمر في الدار فشرط فيه أن يكون قد أعده للشرب فخرج ما إذا لم يكن كذلك، بل كانت أمانة لذمي عنده، فإذا وجدت هذه الشروط فله الدخول من غير استئذان، **(ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه، وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة)** المراد به **(من تقبل روايته دون شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال، والأولى أن يمتنع)** عن الهجوم **(لأن له حقاً في أن لا يتخطى داره بغير إذنه)** وفي تخطيه إسقاط لحقه، **(ولا يسقط حق المسلم على ما ثبت عليه حقه)** شرعاً **(إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مرداً فيه)** أي يرد عليه ففي كل منهما إسقاط الحق، **(وقد قيل: إنه كان نقش خاتم لقمان)** عليه السلام **(الستر لما عاينت)** أي شاهدت بعينك **(أحسن من إذاعة)** أي إفشاء **(ما ظننت)** ففهم منه أن الستر على المسلم فيما عاينه منه أولى بكل حال.

(الدرجة الثانية: التعريف. فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله) أي بسبب جهله، **(وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي)** أي المنسوب إلى سواد البلد أي ريفه، والمراد به الفلاح **(يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذا ليس بصلاة، ولو رضي بأن لا يكون مصلياً لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف)** واللين **(من غير عنف)** وزجر، **(وذلك لأن في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء،**

وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور، لا سيما بالشرع. ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل؟ وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله؟ والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن، وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله، ولا في اختياره إزالته وتحسينه، والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله، ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره، وإذا كان التعريف كشفاً للعورة مؤذياً للقلب فلا بدّ وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له: إن الإنسان لا يولد عالماً ولقد كنا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء، ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود، وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فإن إيذاء المسلم حرام محذور، كما أن تقريره على المنكر محذور،

وقلما يرضى الإنسان أن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع، ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل) ويتغير مزاجه، **(وكيف يجتهد في مجاحدة الحق)** أي مناكرته بعد معرفته **(خيفة أن تنكشف عورة جهله)** بين الناس **(والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية)** وهي السوأتان، **(لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن)** إذ هو كالمطية للنفس، **(وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم لأنه خلقة ولم يدخل)** وفي بعض النسخ لأنه خلقة لم يدخل **(تحت اختياره حصوله ولا تحت اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله)** ويكثر تأسفه وتندمه **(ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره)** لا سيما إذا انتفع به، **(وإذا كان التعريف كشفاً للعورة)** الباطنة **(مؤذياً للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق)** ولين الكلام **(فنقول:)** له في تعريفه **(أن الإنسان لا يولد عالماً)** وإنما العلم بالتعلم، **(ولقد كنا أيضاً)** مثلك **(جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء)** وأرشدونا، **(ولعل قريتك خالية من أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود)** وعدم الالتفات والعبث بالشيء، **(فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف)** له **(من غير إيذاء، فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور، وليس من العقلاء من يغسل**

وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق. وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علماً ويصير لك عدوّاً إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جداً.

(الدرجة الثالثة) : النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكراً كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين، أو ما يجري مجراه. فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة وهي أن العالم يرى ـ عند التعريف ـ عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التمييـز بشرف العلم،

الدم بالدم أو بالبول)، وإنما يغسل بما يطهره كالماء. **(ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه، فقد غسل الدم بالبول على التحقيق، وأما إذا وقعت على خطأ)** منه **(في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علماً ويصير لك عدواً)** بردك عليه، **(إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم)** ولا يحقد في باطنه عداوة لك **(وذلك عزيز جداً)**.

(الدرجة الثالثة: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى، وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصرَّ عليه) وواظب **(بعد أن عرف كونه منكراً كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه، فينبغي أن يوعظ)** وينصح **(ويخوّف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فيها)** أي في كل ما ذكر من الشرب والظلم والاغتياب، **(ويحكى له سيرة السلف)** الصالحين **(وعادة المتقين)** في أثناء حكايات وأمثال ومناسبات، **(وكل ذلك بشفقة ولطف من غير غضب وعنف بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية)** مع الإصرار عليها **(مصيبة على نفسه إذا المسلمون كنفس واحدة)** فإذا روعي هذا القدر مع التعريف كان سبباً لقبول قوله والانحياز إليه. **(وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها)** ويستحفظ منها **(فإنها مهلكة)** أي تحمله على الهلاك، **(وهو أن العالم يرى عند التعنيف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التمييز)** على الغير **(بشرف العلم وإذلال**

وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه. ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل. وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته، فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين. أحدهما: من جهة دالة العلم، والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة، وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه، وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه، فإن كانت الحسبة شاقة ثقيلة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفي بغيره فليحتسب، فإن باعثه هو الدين، وإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره، فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى فيه وليحتسب أولاً على نفسه. وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني. وقيل لداود

صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل) ونهاية الحماقة. **(وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة)** أي مخوفة **(وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه)** المستكنة فيها، **(وفتح بصيرته بنور هدايته)** فاستبصر ولم يتبع سبيل الغرور، **(فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين. أحدهما من جهة دالة العلم)** فإن النفس تبتهج بلذة العلم وتفرح به، **(والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة، وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية المتداعية إلى الشرك الخفي)** الذي هو أخفى من دبيب النمل، **(وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه)** ليدرك وزنها **(وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه)** بإعانة الله وتوفيقه، **(أو باحتساب غيره)** من إخوانه **(أحب إليه من امتناعه باحتسابه)** فليمتحن نفسه بذلك، **(فإن كانت الحسبة شاقة ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفي بغيره فليحتسب فإن باعثه هو الدين)** والأجر على قدر المشقة، **(فإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه)** ومتدل بحبل غرور للشيطان، **(فيتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله)** وليراقبه، فإنه ناقد بصير مطلع على السرائر، **(وليحتسب أولاً على نفسه)** ثم على غيره، **(وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس**

الطائي رحمه الله: أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ فقال: أخاف عليه السوط . قال: إنه يقوى عليه ، قال: أخاف عليه السيف . قال: إنه يقوى عليه . قال: أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب .

(الدرجة الرابعة) : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادىء الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح ، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام ﴿أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [الأنبياء : ٦٧] ولسنا نعني بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله: يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله ، وكقوله: يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى ، فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى ، بل كل من ليس بكيّس فهو أحمق ، والكيِّس من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة حيث قال: « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع

وإلاَّ فاستحى مني) أخرجه صاحب الحلية في ترجمة مالك بن دينار ، وقد تقدم قريباً . **(وقيل لداود)** بن نصير **(الطائي رحمه الله تعالى: أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ فقال: أخاف عليه السوط)** أي الضرب به . **(قال: إنه يقوى)** . قال: أخاف عليه السيف . **(قال: إنه يقوى . قال: أخاف عليه الداء الدفين)** أي المكتوم في القلب وهو **(العجب)** أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن موسى الأنصاري ، حدثنا محمد بن أبي داود : سمعت سندوية الغسال قال: قيل لداود الطائي فذكره .

(الدرجة الرابعة: السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ، وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف) أي إذا رآه لم يمتنع بلطيف القول ولينه عدل إلى تعنيفه بالقول الخشن ، (و) كذلك **(عند ظهور مبادىء الإصرار)** على المعصية **(والاستهزاء بالوعظ والنصح ، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾)** وذلك بعد أن نصحهم باللطف فأبوا إلا الإصرار على الكفر فقال ما قال . **(ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب ، بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله: يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله . يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى)** من الألفاظ الدالة على ما فيه من الأوصاف القبيحة ، **(ولولا حمقه ما عصى الله تعالى ، بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس)** على وزن سيد **(من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة حيث قال: « الكيس من دان نفسه)** أي أذلها واستعبدها يعني جعل نفسه مطيعة منقادة لأوامر ربها ، **(وعمل لما بعد الموت)** قبل نزوله ليصير على نور من ربه ، **(والأحمق)**

نفسه هواها وتمنى على الله ».

ولهذه الرتبة أدبان: أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف، والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه، بل يقتصر على قدر الحاجة فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه، بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والإزراء بمحله لأجل معصيته، وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له.

(الدرجة الخامسة): التغيير باليد، وذلك ككسر الملاهي وإراقة الخمر وخلع

كـذا في النسخ وفي رواية العاجز، وفي أخرى بلفظ الفاجر بالفاء **(من أتبع نفسه هواها) فلم** يكفها عن الشهوات ولم يمنعها من مقارفة المنكرات، **(وتمني على الله)** زاد في رواية الأماني بتشديد الياء جمع أمنية أي فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه لا يعتذر ولا يرجع، بل يتمنى على الله العفو والجنة مع الإصرار وترك التوبة والاستغفار.

قال الطيبي: قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأي وللعاجز القادر ايذاناً بأن الكيس هو القادر، وأن العاجز هو السفيه. قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والحاكم في الإيمان والعسكري والقضاعي كلهم من حديث ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد. قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري قال الذهبي: لا والله أبو بكر واهٍ اهـ.

وقال ابن طاهر: مدار الحديث عليه وهو ضعيف جداً قال العسكري: هذا الحديث فيه رد على المرجئة واثبات للوعيد. وقال سعيد بن جبير: الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء المغفرة.

(ولهذا الرتبة أدبان. أحدهما: أن لا يقدم عليه إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف، والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل لما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة) مما يناسب الحال والوقت والشخص فلا بدّ من مراعاة ذلك، **(فإن علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره)** ولا تمنعه **(فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازراء بمحله لأجل معصيته، وإن علم أنه لو تكلم ضرب)** في الحال، **(ولو اكفهّر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه)** ذلك **(ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب)** أي يعبس **(وجهه ويظهر له الانكار)**.

(الدرجة الخامسة: التغيير باليد وذلك ككسر) آلات **(الملاهي والصور وإراقة الخمر**

الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير، وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالساً وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض، فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة.

وفي هذه الدرجة أدبان:

أحدهما: أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك، فإذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره، وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه، فإن في الوقوف على حد الكسر نوع عسر، فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله.

الثاني: أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في

وخلع الحرير عن رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه)، وفي الأخير خلاف لأبي حنيفة فإنه أجازه لما فيه من الاستهانة فلا يكون منكراً، (**ودفعه عن الجلوس على مال الغير، وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله، وإخراجه من المسجد إذا كان جالساً وهو جنب**) إن علم ذلك منه، (**وما يجري مجراه ويتصوّر ذلك في بعض المعاصي دون بعض. فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدم على مباشرة تغييرها، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة، وفي هذه الدرجة أدبان**).

(**أحدهما: أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه المشي**) على رجليه (**في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد**) وهو جنب، (**فلا ينبغي أن يأخذه ويجره**) على الأرض، (**وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي**) والصور (**وحل دروز الثوب الحرير**) وهي العقود التي تربط بها مواضع من الثوب على البدن وهي في بلاد العجم بمنزلة الازرار في هذه البلاد، (**فلا ينبغي أن يباشر بنفسه**) فإن لم يقدر فعليه المباشرة، (**فإذاً في الوقوف على حد الكسر نوع عسر**) ومشقة، (**فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه**) أي من لا منع (**في فعله**).

(**الثاني: أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه، وهو أن لا يأخذ بلحيته**

الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده، فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه، وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط، ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر. وحدّ الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء. وفي إراقة الخمور يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلاً، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلاً بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل إلى إراقة الخمر، فإذاً لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه، ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها، فهذا عذر، وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله، فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظروف الخمر، وحيث كانت الإراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان.

في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فإن) فيها زيادة الاذى في حق المسلم، و **(زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق الثوب الحرير)** الذي على رأسه أو بدنه، **(بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى، بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر، وحدّ الكسر أن يصير إلى حالة يحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء)**. وأما الحرق ففيه ضياع للمال، **(وفي إراقة الخمور يتوقى كسر الأواني)** التي فيها الخمر **(إن وجد إليه سبيلاً، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر، فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر)** أي تبطل قيمة الظروف، وإن كانت مثمنة بسبب ما فيها. **(إذ صار الظرف حائلاً بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح ليتوصل إلى إراقة الخمر، فلا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه، ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس)** لا يهراق الخمر إلا في مدة، **(ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه)** من الإراقة **(فله كسرها)** عاجلاً. **(فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم، ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه أشغاله، فله أن يكسر فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظروف الخمر وحيث تكون الإراقة متيسرة)** أي مسهلة **(بلا كسر، فإذا كسر)** وفي نسخة: متيسرة كالكسر فكسر **(لزمه الضمان)** فإنه اتلاف مال.

فإن قلت: فهلا جاز الكسر لأجل الزجر؟ وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل، والعقوبة تكون على الماضي، والدفع عن الحاضر الراهن. وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق. وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية. نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه وأقول: له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجراً. وقد فعل ذلك في زمن رسول الله ﷺ تأكيداً للزجر، ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة. فإذا رأى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك. وإذا كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية.

فإن قلت: فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي؟ فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع

(فإن قلت: فهلا جاز الكسر لأجل الزجر؟ وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل) لئلا يقع في المعصية ثانياً والعقوبة تكون عن المعاصي والدفع عن الحاضر الراهن في الحال، **(وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن)** جرم **(لاحق وذلك)** موكول **(إلى الولاة)** للأمور **(لا إلى الرعية)** كما سبق. **(نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه)** وتكون المصلحة دينية، **(فأقول له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجراً)** وتأديباً، **(وقد فعل ذلك في زمن رسول الله ﷺ تأكيداً للزجر)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي طلحة أنه قال: يا نبي الله اشتريت خمر الأيتام في حجري قال: «اهرق الخمر واكسر الدنان» وفيه ليث ابن أبي سليم والأصح رواية المروي عن السدي عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عنده قاله الترمذي. **(ولم يثبت نسخه، ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة)** لقرب عهدهم بتحريم الخمر، **(فإذا رأى الوالي باجتهاده مثل تلك الحالة جاز له مثل ذلك، وإن كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية)** لقصورهم من ذلك.

(فإن قلت: فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي بها يشربون) المسكرات **(ويعصون)** الله تعالى، **(وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى)** تلك **(المعاصي: فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن المصالح)** الشرعية، **(ولكنا لا نبتدع المصالح)** ابتداعاً **(بل نتبع فيها)** اتباعاً، **(وكسر ظروف الخمر**

فيها . وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة ، وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها . وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه ، بل نقول لو أريقت الخمور أولاً فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للخمر ، فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها .

فكأن الفعل المنقول عن العصر الأوّل كان مقروناً بمعنيين ؛ أحدهما : شدة الحاجة إلى الزجر ، والآخر : تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها . وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما . ومعنى ثالث : وهو صدوره عن رأي صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه . فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها .

(الدرجة السادسة) : التهديد والتخويف ؛ كقوله : دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك وما أشبهه ، وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق

قد ثبت) بالخبر المتقدم عند شدة الحاجة **(وتركها بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً)** للحكم **(بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها)** . فإن عادت العلة عاد الحكم وإن زالت زال فالحكم من أصله ثابت ، **(فإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه)** فلا يدركونه ، **(بل نقول : لو أريقت الخمور أولاً فلا يجوز كسر الإناء بعدها)** أي بعد الإراقة ، **(بل جاز كسرها تبعاً للخمر . فإذا خلت عنها)** فكسرت فهو إتلاف مال **(إلا أن تكون)** تلك الظروف **(ضارية)** أي متعوّدة **(بالخمر لا تصلح)** لشيء **(إلا لها)** ولو وضع فيها شيء آخر لفسد ولم ينتفع به .

(فكأن الفعل المنقول عن العصر الأول) من جواز كسرها **(كان مقروناً بمعنيين . أحدهما : شدة الحاجة إلى الزجر ، والآخر : تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها ، وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما)** وهما موجودان في قوله ﷺ لأبي طلحة في الحديث السابق « اهرق الخمر واكسر الدنان » . **(ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأي صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً مؤثر فلا سبيل إلى الغائه)** أي تركه . **(وهذا المعنى أيضاً موجود في حديث أبي طلحة فهذه تصرفات دقيقة)** المدارك **(فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها)** ليكون على بصيرة تامة في احتسابه .

(الدرجة السادسة : التهديد والتخويف كقوله : دع عنك هذا) أي اتركه **(أو لأكسرن رأسك)** أو الذي فيه عيناك **(أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك)** فيفعل بك كذا وكذا لأمور

الضرب اذا أمكن تقديمه. والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه، كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام، وإن قاله عن غير عزم فهو كذب. نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال، وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه. وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتألفه بين الضرتين، وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه، فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص. وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف في الوعيد كرم، وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل، وهذا غير مرضي عندنا فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعداً كان أو وعيداً، وإنما يتصوّر هذا في حق العباد، وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد ليس بحرام.

يعددها عليه، (**وذلك ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه**) فإنه يفيد به المنع عما هو فيه والانزجار، (**والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله: لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم**) جازم (**فهو حرام**) لأن كلاً من الضرب والنهب والسبي لا يجوز له، (**وإن قاله عن غير عزم فهو كذب**) وهو محذور إلا ما استثني. (**نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه**) ولكن (**إلى حد معلوم يقتضيه الحال**) والوقت والمصلحة، (**وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن**) في القلب، (**إذا علم أن ذلك مما يقمعه ويردعه**) أي يزجره، (**وليس ذلك من الكذب المحذور**) الممنوع، (**بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل**) في كلامه (**في إصلاحه بين شخصين**) متخاصمين (**وتأليفه بين الضرتين**) وبين المرأة وزوجها، والضرة: امرأة زوجها. والجمع ضرات على القياس وسمع ضرائر. (**وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا**) الذي نحن فيه (**في معناه**) أي مقاس عليه، (**فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص**) بخلوصه عن المعاصي. (**وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس**) من المتكلمين (**أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل**) مراعاة للاصلح (**لأن الخلف في الوعيد كرم، وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل**) وإليه أشار الشاعر بقوله:

فإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

(**وهذا غير مرضي عندنا**) معشر أهل السنّة والجماعة، (**فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعداً كان أو وعيداً، وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في**

(الدرجة السابعة) : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع ، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف . والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الاداء بالحبس ، فإن أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على أداء الحق وكونه معانداً فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه . وكذلك المحتسب يراعي التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلاً على امرأة أو كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له : خل عنها أو لأرمينك . فإن لم يخل عنها فله أن يرمي ، وينبغي أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعي فيه التدريج . وكذلك يسل السيف ويقول : اترك هذا المنكر أو لأضربنك . فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن . ولا فرق في ذلك بين ما

الوعد ليس بحرام) ولا يكون قادحاً إلا إذا عزم عليه مقارناً موعده . أما إذا كان عازماً ثم عرض له مانع أو بدا له رأي ، فهذا لا يكون قادحاً . ونقل أبو البقاء الأحمدي في شرح البخاري عن العلماء : أنه يستحب الوفاء بالوعد بالهبة وغيرها استحباباً مؤكداً ويكره إخلافه كراهة تنزيه لا تحريم ، ويستحب إخلاف الوعيد إذا كان المتوعد به جائزاً ولا يترتب على تركه مفسدة .

(الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة) أي المشقة **(والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع ، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف)** أي يمتنع . **(والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق)** شرعاً **(إلى الأداء)** لصاحبه **(بالحبس فإن أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على أداء الحق وكونه معانداً)** في دفع الحق **(فله أن يلزمه الأداء بالضرب)** المؤلم **(على التدريج كما يحتاج إليه)** وفي نسخة : إذا احتاج إليه ، **(وكذلك المحتسب يرعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح ، وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلاً على امرأة)** يريد الفعل بها ، **(أو على مزمار وهو يضرب به وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جرار مانع فيأخذ قوسه)** ويضع فيها السهم **(ويقول : خل عنها)** أو عنه **(أو لأرمينك)** بهذا السهم ، **(فإن لم يخل عنها)** وأصرَّ على فعله **(فله أن يرمي)** عليه بسهم ، **(وينبغي أن لا يقصد)** برميه **(المقتل)** كالعنق والبطن وغيرهما ، **(بل الساق والفخذ وترعى فيه التدريج ، وكذلك يسل السيف ويقول : اترك هذا المنكر أو لأضربنك)** بهذا السيف ، **(وكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في**

يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين.

وقالت المعتزلة: ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد.

(الدرجة الثامنة) : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح. وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا. فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام فقال قائلون: لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد.

وقال آخرون: لا يحتاج إلى الإذن ـ وهو الأقيس ـ لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثواني إلى ثوالث. وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب. والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف، ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه. ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعاً لأهل الكفر. فكذلك قمع أهل الفساد

ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله) تعالى **(وبين ما يتعلق بالآدميين)**. هذا مذهب أهل السنة.

(وقالت المعتزلة: ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام) اللطيف **(أو بالضرب)** باليد أما شهر السلاح فلا، **(ولكن ذلك للامام لا للآحاد)** من الرعية.

(الدرجة الثامنة: أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى) مساعدة **(أعوان يشهرون السلاح، وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه)** ويشهرون السلاح **(ويؤدي)** ذلك **(إلى أن يتقابل الصنفان ويتقاتلا)** كما وقع ذلك كثيراً في بلاد خراسان بين أهل السّنة والشيعة فالقتال أبداً بينهما يستمر. **(فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام فقال قائلون: لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن)** وإثارة المحن **(وهيجان الفساد وخراب البلاد)**، وقد عم الخراب بسبب هذه الفتن في كثير من بلاد خراسان حتى صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً. **(وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن)** من الإمام **(وهو الأقيس، لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف)** حسبما عرف **(وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثواني)** تجر **(إلى ثوالث، وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب)** في التدافع **(والتضارب يدعو إلى التعاون، فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف. ومنتهاه تجنيد الجنود)** وحشد العساكر **(في)** رضا الله تعالى **(ودفع معاصيه)** بكل ممكن. كيف **(ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعاً لأهل الكفر)** والفساد،

جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد. فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله. والمحتسب المحق إن قتل مظلوماً فهو شهيد. وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة. فلا يغير به قانون القياس بل يقال: كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه. فالمسألة إذاً محتملة - كما ذكرناه - فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق.

بيان آداب المحتسب:

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات. ونذكر الآن جملها ومصادرها، فنقول: جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم. والورع. وحسن الخلق.

أما العلم. فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه.

والورع: ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه. بل ربما يعلم أنه

وإطفاء لفتنتهم حتى تكون كلمة الله هي العليا. (**فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل**) في مناضلته عن الإسلام فهو شهيد، (**فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه**) ومعاصيه (**لا بأس بقتله**) قياساً على الكافر (**والمحتسب المحق**) المناضل عن الدين (**إن قتل مظلوماً فهو شهيد**) وهو قياس صحيح، (**وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة**) وإنما يكون ذلك غالباً عن العصبيات الجاهلية، (**فلا يغير به قانون القياس، بل يقال: كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع بيده**) إن أمكنه وبلسانه (**وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه**) وأنصاره. (**فالمسألة إذاً محتملة كما ذكرناه. فهذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها والله الموفق**).

بيان آداب المحتسب:

اعلم أنا (**قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات. ولنذكر الآن جملها ومصادرها**) وما تنشأ منها، (**فنقول: جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم، والورع، وحسن الخلق**).

(**أما العلم: فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ومواقعها**) وذكر المواقع ثانياً تكرار، (**وليقتصر على حد الشرع فيها**).

(**والورع**): معطوف على قوله (**و**) العلم (**لينزعه**) أي ليمنعه وفي نسخة: ليردعه (**عن**

مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعاً ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض. وليكن كلامه ووعظه مقبولاً فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جرأة عليه.

وأما حسن الخلق: فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه. والعلم والورع لا يكفيان فيه، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق. وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب. وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله. وإلاّ فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه. بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم.

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات. وإن فقدت لم يندفع المنكر. بل ربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها، ودلّ

مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعاً، ولكن يحمله عليه) أي على الإسراف **(غرض من الاغراض)** فإذا لم يكن الورع لم يمتنع عنه **(وليكون)** معطوف على قوله لينزعه. أي إنما شرطنا الورع في المحتسب ليكون **(كلامه ووعظه مقبولاً)** عندهم، **(فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب)** ويضحك عليه، **(ويورث ذلك جرأة عليه)**.

(وأما حسن الخُلق: فليتمكن به من الرفق واللطف، وهو أصل الباب وأساسه، والعمل والورع لا يكفي فيه) من غير حسن الخلق، **(فإن الغضب إذا هاج)** ضرره وأثر في الجسم في الحال **(لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه)** ودفعه **(ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق. وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب)**، ومهما قدر على ضبطها رجى له حسن الخلق فإن سوء الخلق إنما يطرأ من سوء ملكته لهما وبذلك يتم الورع، **(وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله. وإلاّ فإذا أصيب عرضه أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه)** ولم يملكها عن الانتقام. **(بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم)**.

(فهذه الصفات الثلاث بها) إذا اجتمعت **(تصير الحسبة من القربات)** إلى الله تعالى **(وبها تندفع المنكرات. فإن فقدت لم يندفع المنكر. وربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها)** فلا بد من العلم ليعرف المجاوزة في الحدود ولا بد من الورع ليحمله على العمل بما علمه، ولا بد من حسن الخلق ليملك به نفسه، **(ودل على هذه الآداب قوله**

على هذه الآداب قوله ﷺ: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه». وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيهاً مطلقاً بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم. قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلاَّ هلكت وقد قيل:

ﷺ: **«لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه»)** قال العراقي: لم أجده هكذا، وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف» اهـ.

قلت: ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس بلفظ: «أمره ذلك بمعروف» وفيه سلم بن ميمون الخواص أورده الذهبي في الضعفاء رواه عن زافر وقال ابن عدي: لا يتابع على حديثه رواه عن المثير بن صباح قال النسائي: متروك عن عمرو بن شعيب مختلف فيه، وقد روى الديلمي أيضاً من حديث أبان عن أنس مرفوعاً بلفظ هو أقرب لسياق المصنف: «لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم فيما يأمر عالم فيما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى».

وفي القوت: حدثنا عن أبي الربيع الصوفي قال: دخلت على سفيان بالبصرة فقلت: يا أبا عبد الله إني أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على المخنثين ونتسلق عليهم الحيطان فقال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم كيلا يفروا، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً وعاب أفعالنا. فقال واحد من أدخل هذا؟ فقلت: إنما دخلت على الطبيب أخبره بدائي، فانتفض سفيان وقال: إنما هلكنا إذ نحن سقمى فسمينا أطباء، ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من فيه ثلاث خصال. فساقها، وفيه رفيق وعدل وعالم.

(وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيهاً مطلقاً فيما يأمر به وينهى عنه، وكذا الحلم) لا يشترط فيه أن يكون فيه على الإطلاق، بل فيما يأمر به وينهى عنه والخصال المذكورة عند المصنف العلم والورع وحسن الخلق. وفي حديث أنس: «الرفق والعلم والعدالة» فالرفق يرجع إلى حسن الخلق، لأنه ثمرته، والورع يرجع إلى العدالة: وحديث ابن عمرو: «فليكن أمره بمعروف» أي برفق ولين والرفق احدى الصفات الثلاث.

(قال الحسن البصري) رحمه الله تعالى: **(إذا كنت ممن يأمر الناس بالمعروف فكن من آخذ الناس به)** أي أكثرهم أخذاً بالمعروف، **(وإلا هلكت)** وذلك لأنه يدخل تحت الوعيد في قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] **(وقد قيل)** في معنى ذلك:

لا تلُم المرءَ على فِعْلــــهِ وأنــت منســوبٌ إلى مثلــهِ
مَـنْ ذَمَّ شَيْئــاً وأتــى مثلــه فــإنما يُــزْرى على عقلــهِ

ولسنا نعني بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعاً بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس. فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله. فقال ﷺ: «بل مُرُوا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله». وأوصى بعض السلف بنيه فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر

(لا تلم المرء على فعلــه وأنــت منســوب إلى مثلــه
مــن ذم شيئــاً وأتــى مثلــه فــإنما يــزرى على عقلــه)

(ولأبي العتاهية) إسماعيل بن القاسم بن سويد الشاعر المشهور، وأبو العتاهية لقبه وكنيته أبو إسحاق أو كنيته لا لقبه فيه خلاف أوردته في شرحي على القاموس فراجعه.

تــدل على التقــوى وأنــت مقصر أيــا مــن يــداوي النــاس وهــو سقيم
وإن امــرأً لم يجعــل البر كنــزه ولــو كــانــت الدنيــا لــه لعــديم

وفي هذا الباب كلام كثير للشعراء **(ولسنا نعني بهذا أن الآمر يصير ممنوعاً)** عن الأمر بالمعروف **(بالفسق)** أي لأجله وبسببه، **(ولكن يسقط أثره عن القلوب)** ووقعه فيها **(بظهور فسقه للناس)** فيكون ضحكة لهم. **(وقد روي عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه **(قال: قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه كله. فقال ﷺ: «بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله»)** قال العراقي: رواه الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه اهـ.

قلت: والراوي عنه ابنه عبد السلام بن عبد القدوس ضعيف أيضاً. والمعنى أنه يجب ترك المنكر وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر، ولهذا قيل للحسن: فلان لا يعظ ويقول: احلف أن أقول ما لا أفعل. قال: وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحداً بمعروف ولم ينه عن منكر، ولو توقف الأمر والنهي على الاجتناب لرفع الأمر بالمعروف وتعطل النهي عن المنكر وانسد باب النصيحة التي حث الشارع عليها.

(وأوصى بعض السلف بنيه وقال: إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف) وينهى عن المنكر **(فليوطن نفسه على الصبر)** أي على الأذى ليثبتها عليه والمراد به الصبر على مكروه يسمعه ممن

وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى. فإذاً من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر. ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف. فقال حاكياً عن لقمان: ﴿يا بنيَّ أقمِ الصَّلاة وأْمُر بالمعروفِ وانهَ عن المنكرِ واصبرْ على ما أصابك﴾ [لقمان: ١٧].

ومن الآداب، تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة، فقد روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكراً، فدخل الدار أوّلاً وأخرج السنور، ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب: لا أعطيتك بعد هذا

يحتسب عليه، **(وليثق بالثواب من الله)** عز وجل **(فمن وثق بالثواب من الله)** عز وجل **(لم يجد مس الأذى)** والمكروه.

قلت: المراد ببعض السلف هنا عمرو بن حبيب الخطمي وكانت له صحبة، فإنه أوصى بنيه وقال: يا بني إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء إنه من يحلم على السفيه يسر بحلمه، ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف الخ. هكذا أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخطيب في التلخيص عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمرو بن حبيب.

(فإذاً من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر) على الأذى، **(ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف)** والنهي عن المنكر **(فقال)** في كتابه العزيز **(حاكياً عن لقمان)** عليه السلام: **(﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك)** إن ذلك من عزم الأمور﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير في قوله: ﴿وأمر بالمعروف﴾ يعني التوحيد ﴿وانه عن المنكر﴾ يعني الشرك ﴿واصبر على ما أصابك﴾ في أمرهما يقول: إذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر وأصابك في ذلك أذى وشدة فاصبر عليه إن ذلك يعني هذا الصبر على الأذى فيهما من عزم الأمور أي من جد الأمور التي أمر الله بها.

(ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه) والعلائق هي الزوائد التي تتعلق إليها النفوس وتألفها وتنفرد بها فيكثر خوفه على انقطاعها عنه **(وقطع الطمع عن الخلائق)** مما في أيديهم أو يكتسب بواسطة جاههم **(حتى تزول عنه المداهنة)** معهم، **(فقد روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور)** من أسماء الهر، **(وكان يأخذ من قصاب)** أي جزار **(كل يوم شيئاً من الغدد)** جمع غدة بالضم **(لسنوره فرأى على القصاب منكراً فدخل الدار أولاً وأخرج السنور، ثم جاء واحتسب على القصاب)** وأنكر عليه ذلك المنكر، **(فقال له القصاب: لا أعطيك**

شيئاً لسنورك ، فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك . وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة . قال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال : حسنة ، قال : ان التوراة تقول ، إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه . فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم .

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال : يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى : ﴿فقولا لَهُ قولاً ليِّناً لعله يتذكَّر أو يخشى﴾ [طه : ٤٤] فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد روى أبو أمامة : أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي ﷺ : « قربوه أدن »

بعد هذا شيئاً لسنورك. فقال: ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع عنك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة) لخوف المداهنة ، **(ومن طمع أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم يتيسر له الحسبة)** فإنه يستحي أن يقابلهم بما يكرهون فتمقته قلوبهم . **(قال كعب)** الأحبار **(لأبي مسلم الخولاني)** رحمهما الله تعالى : **(كيف منزلتك بين قومك ؟ قال : حسنة . قال : إن التوراة تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه . فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم)** وهذا القول قد تقدم للمصنف قريباً .

(ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون) عبد الله بن هارون العباسي **(إذ وعظه واعظ)** حين دخل عليه وعنف **(له في القول)** أي أغلظ **(فقال : يا رجل ارفق)** في وعظك **(فقد بعث الله من هو خير منك)** يعني موسى عليه السلام مع أخيه هارون عليه السلام **(إلى من هو شر مني)** يعني فرعون مصر ، **(وأمره بالرفق فقال: ﴿فقولا)** الخطاب له ولأخيه **(له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾)** وقد روي عن ابن عباس في تفسير قوله : ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي كنياه أي لا تنطقوا باسمه . أخرجه عبد بن حمد وابن المنذر ، وعن علي مثل ذلك أخرجه ابن أبي حاتم ، وروي عن الحسن أنه قال : أي اعوز إليه قولاً له إن لك رباً ولك معاداً وإن بين يديك جنة وناراً . **(فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم)** وسلامه **(وقد روى أبو أمامة)** عدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه : **(إن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أتأذن لي)** وفي نسخة ائذن لي **(في الزنا ؟ فصاح الناس به)** إذ رأوا ما يخالف الأدب **(فقال النبي ﷺ « قربوه)** أي اتركوه **(أدن)** مني يا

فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «أتحبه لأمك؟» فقال: لاجعلني الله فداك، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك»؟ قال: لاجعلني الله فداك، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لأختك». وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد: لاجعلني الله فداك، وهو ﷺ يقول: «كذلك الناس لا يحبونه» وقالا جميعاً في حديثيهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهِّر قلبه واغفر ذنبه وحصِّن فرجه» فلم يكن شيء أبغض إليه منه ـ يعني من الزنا ـ.

وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل: ما أخذ منهم إلا دون حقه، ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان: يا أبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين. وقال حماد بن سلمة: إن صلة بن أشيم مرّ عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال: دعوني أنا أكفيكم،

غلام» (**فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ: «أتحبه لأمك»؟ فقال: لا. جعلني الله فداك. قال: «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك» قال: لا جعلني الله فداك. قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لأختك». وزاد ابن عوف**) أي عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضي الله عنهم (**أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد: لا جعلني الله فداك، وهو ﷺ يقول: «كذلك الناس لا يحبونه» وقالا جميعاً في حديثيهما أعني ابن عوف والراوي الآخر**) وهو أبو أمامة (**فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه» فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني من الزنا**) قال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

(**وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان**) أي عطاياه. (**فقال الفضيل:**) إن له حقاً في بيت مال المسلمين (**ما أخذ منهم إلا دون حقه، ثم خلا به**) الفضيل (**وعذله**) أي لامه (**ووبخه**) أي قال له مثلك من يأخذ من جوائزهم. (**فقال سفيان: يا أبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين**) ففيه دليل على أنه ينبغي أن يكون النصح بلين وفي خلوة عن الناس.

(**وقال حماد بن سلمة**) بن دينار البصري الخراز. قال ابن معين ثقة، وقال شهاب بن المعمر البلخي: كان حماد يعد من الأبدال، وعلامة الأبدال أن لا يولد لهم. تزوج سبعين امرأة فلم يولد له توفي سنة ١٧٧. روى له الجماعة والصواب حماد بن زيد كما هو نص الحلية: (**أن صلة بن اشيم**) أبا الصهباء العدوي رحمه الله تعالى من تابعي البصريين ومشاهيرهم لقي عدة من الصحابة وروى عن ابن عباس وغيره، (**مر عليه رجل أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة،**

فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من ازارك. فقال: نعم وكرامة، فرفع ازاره فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال: لا ولا كرامة وشتمكم. وقال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبدالله بن محمد ابن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس: تنحّوا عن ابن أخي، ثم قال: إليّ يا ابن أخي فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه، ثم قال له: امض معي، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه: بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهمّ

فقال: دعوني أنا أكفيكم فقال له: يا ابن أخي لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك. فقال: نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا يوسف بن يعقوب النجيري، حدثنا الحسن بن المثنى، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا ثابت أن صلة وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بـألسنتهم أخذاً شديداً. فقال صلة: دعوني اكفيكم أمره، فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قال: أحب أن ترفع إزارك. قال: نعم ونعم عين فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم.

(وقال) أبو بكر **(محمد بن زكريا)** بن دينار البصري **(الغلابي)** منسوب إلى غلاب ككتاب أحد أجداده كما قاله ابن الأثير عروبي عن عبدالله بن رجاء الغداني، وعنه سليمان بن أحمد الطبراني وغيره. وقال الذهبي في الضعفاء قال الدارقطني: هو بصري يضع الحديث: **(شهدت عبدالله بن محمد)** هكذا في النسخ، وصوابه: عبيدالله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر التيمي القرشي وقيل له **(ابن عائشة)** والعائشي والعيشي نسبة إلى عائشة بنت طلحة لانه من ذريتها ثقة جواد مات سنة ثمان وعشرين ومائة، روى له أبو داود والترمذي والنسائي **(ليلة، وقد خرج من المسجد بعد)** صلاة **(المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت بالناس فاجتمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس: تنحوا عن ابن أخي، ثم قال: إلي يا ابن أخي فاستحيا الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له: امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه: بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به، فلما أفاق)** من سكره **(ذكر له ما جرى**

بالانصراف، فقال الغلام: قد أمر أن تأتيه؛ فأدخله عليه فقال له: أما استحييت لنفسك؟ أما استحييت لشرفك؟ أما ترى من ولدك؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله تعالى عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب، فقال: إدن مني، فقبَّل رأسه وقال: أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث. وكان ذلك لبركة رفقه ثم قال: إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكراً فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون. وعن الفتح بن شخرف قال: تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره، وكان الرجل شديد البدن، فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مرَّ بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض، ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقاً كثيراً ومضت المرأة لحالها فسألوا ما حالك؟ فقال: ما أدري! ولكني حاكني شيخ وقال لي: إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل،

فاستحيا وبكى وهم بالانصراف، فقال الغلام) الموكل به: **(قد أمر)** رب المنزل **(أن تأتيه فأدخله عليه، فقال له: أما استحييت لنفسك؟ أما استحييت لشرفك؛ أما ترى من ولدك من أشياخ قريش فاتق الله وانزع عما أنت فيه)** من المعصية، **(فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله)** عز وجل **(عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ)** المسكر **(ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب)** إلى الله تعالى. **(فقال: ادن مني فقبل رأسه وقال: أحسنت يا بني)** إذ تبت إلى الله تعالى، **(فكان الغلام بعد ذلك يلزمه)** في مجالسه **(ويكتب الحديث)** وحسن حاله، **(فكان ذلك ببركة رفقه)** معه، **(ثم قال)** ابن عائشة: **(إن الناس يأمرون بالمعروف)** وينهون عن المنكر **(ويكون معروفهم منكراً، فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون)** وقد جاء في حديث مرفوع عن عائشة: «عليكم بالرفق فإنه ما كان في شيء إلا زانه». رواه مسلم. وعند ابن لال من حديث معاذ: «عليك بالرفق والعفو في غير ترك الحق».

(وعن الفتح بن شخرف) تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(قال: تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره)** أي ضربه بذلك السكين، **(وكان الرجل شديد اليدين)** أي صاحب قوة، **(فبينا كذلك والمرأة تصيح في يده)** وفي نسخة من شدة يده **(إذ مر بشر بن الحرث)** الحافي رحمه الله تعالى، **(فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل إلى الأرض ومضى بشر فدنوا من الرجل و)** إذا هو **(يترشح عرقاً)** كثيراً، **(ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكن حاكني شيخ وقال**

فضعفت لقوله قدماي وهبته هيبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل؟ فقالوا له: هو بشر بن الحرث، فقال: واسوأتاه كيف ينظر إلي بعد اليوم؟ وحمّ الرجل من يومه ومات يوم السابع، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة. وقد نقلنا فيها آثاراً وأخبـاراً في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالإعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها، والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه.

لي: إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل، فضعفت لقوله قدمي وهبته هيبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل. فقالوا له: ذلك بشر بن الحرث. فقال: واسوأتاه فكيف ينظر إلي بعد اليوم؟ وحم الرجل من يومه) من شدة هيبته وخجله **(ومات يوم السابع)** رحمه الله تعالى. **(فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيه آثاراً وأخباراً في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة، فلا نطول بالإعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه، والله الموفق.**

الباب الثالث

في المنكرات المألوفة في العادات

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك:

(منكرات المساجد) :

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة، فإذا قلنا: هذا منكر مكروه. فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام، إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه. وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقاً فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظوراً.

الباب الثالث

في المنكرات المألوفة في العادات

أي قد ألفتها العادات وهي من المنكرات **(فنشير إلى جمل منها ليستدل على أمثالها)** وأشباهها ونظائرها **(إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك) .**

منكرات المساجد:

أضيفت إليها لكونها تقع فيها:

(اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة، فإذا قلنا هذا منكر مكروه، فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام إذا لم يعلم الداعل أنه مكروه فيجب ذكره له، فإن للكراهة حكماً في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه، وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقاً) بغير قيد **(فنريد به المحظور)** ، وهو المسمى عند أصحاب أبي حنيفة بكراهة التحريم تراد من لفظ المكروه إذا كان مطلقاً ، **(ويكون السكوت عليه مع القدرة محظوراً) .**

فمما يشاهد كثيراً في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث، فيجب النهي عنه إلا عند الحنفي الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة، إذ لا ينفع النهي معه. ومن رأى مسيئاً في صلاته فسكت عليه فهو شريكه ـ هكذا ورد به الأثر ـ وفي الخبر ما يدل عليه، إذ ورد في الغيبة أن المستمع شريك القائل، وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها، أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه.

ومنها: قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح. فإن كان المعتكف في المسجد يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه، لأن هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها، فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها. وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلاً أو عن الكسب الذي هو طعمته، فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا، وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له

(**فمما يشاهد كثيراً في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث**) المروي عن وائل بن حجر على ما تقدم ذكره في كتاب الصلاة، (**فيجب النهي عنه إلا للحنفي**) المذهب (**الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة**) وفي خلاف مشهور في مذهب أبي حنيفة والقول المفتى به عن أبي يوسف وجوب التعديل في الأركان، (**إذا لا ينفع النهي معه**) فإنه لا يقبل ذلك ولا يعده منكراً (**ومن رأى مسيئاً في صلاته فسكت عليه فهو شريكه**) في الحرمة. (**هكذا ورد الأثر**) عن بعض الصحابة. (**وفي الخبر**) النبوي (**ما يدل عليه إذ ورد في الغيبة أن المستمع شريك القائل**) ولفظ الحديث: «المغتاب والمستمع شريكان في الإثم» وقد تقدم في الصوم، (**وكذلك كل ما يقدح**) في صحة الصلاة (**من نجاسة على ثوبه**) أو بدنه أو موضع الصلاة (**لا يراها أو انحراف عن**) سمت (**القبلة بسبب ظلام أو عمى**) البصر، (**فكل ذلك تجب الحسبة فيه**) ويجب إرشاده بذلك.

(**ومنها: قراءة القرآن باللحن**) أي بالخطأ (**يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح**) وتكراره له حتى يعرفه (**فإن كان المعتكف في المساجد**) في أكثر الأحوال (**يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك**) من النهي عن التلحين في القراءة وتلقين الصحيح، (**ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فإن هذا أفضل من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض**) إذ لا يتم الفرض إلا به (**وهي**) مع ذلك (**قربة تتعدى فائدتها**) للغير (**فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها**) ولا تتعدى، (**وإن كان ذلك يمنعه من الوراقة**) مثلاً (**و**) عن (**الكسب الذي هو طعمته فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا، وإن احتاج إليه**) أي

فيسقط الوجوب عنه لعجزه، والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادراً على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرأه لحناً، فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها، وإن كان الأكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ، ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره. ولمنعه سراً منه أيضاً وجه، ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأساً والله أعلم.

ومنها: تراسل المؤذنين في الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين، أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر، بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات. فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها. فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها. وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن

إلى الكسب **(لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه)** وكذا إذا كان دخله لا يفي بخرجه ولو اشتغل بالحسبة لفاته دخل يومه يسقط الوجوب عنه، **(والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادراً على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فهو عاص به، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرأه لحناً فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها)** بالشدات والمدات، **(وإن كان الأكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس به أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره)** ممن في طرف المسجد، **(ولمنعه سراً منه، أيضاً وجه، ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته)** وغاية جهده، **(وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى بذلك بأساً والله أعلم)** وذلك لأنه قد بذل مجهوده وأنسه بالقراءة وشرفه عليها كاف في المقام فلا يمنع منها.

(ومنها: تراسل المؤذنين في الأذان وتطويلهم في كلماته) ومنه قولهم: لا تراسل في الأذان إذ لا متابعة فيه، والمعنى لا اجتماع فيه، وهو أن يجتمعوا على الأذان يبتدىء هذا ويمد صوته فيقبض ويسكت ويأخذ غيره في مد الصوت ويرجع الأول، وهكذا إلى أن ينتهي وهو منهي عنه، **(وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين أو انفراد واحد بأذان، ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها)** إياهم وإرشادهم إلى ما يسن في الأذان وآدابه، **(وإن صدرت عن معرفة)** أي بعدها **(فيستحب المنع منها والحسبة فيها، وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع منه فذلك**

يمنع من الأذان بعد الصبح، فذلك مشوّش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعوّل على أذانه في صلاة وترك سحور، أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح.

ومن المكروهات أيضاً، تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة، إما من واحد أو جماعة، فإنه لا فائدة فيه، إذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنَّة الصحابة والسلف.

ومنهـا: أن يكون الخطيب لابساً لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم، أو ممسكاً لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب، وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض. ومن قال انه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهوداً في العصر الأوّل، ولكن إذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروهاً ولكنه ترك للأحب.

مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه في صلاة وترك سحور) للصائم، **(أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح)** كما يعمل ذلك في شهر رمضان، وقد كان له ﷺ مؤذنان: أحدهما يؤذن قبل الصبح لينبه النائم ويرجع القائم وهو بلال، والثاني لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت وهو ابن أم مكتوم.

(ومن المكروهات أيضاً تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحدأوجماعة فإنه لا فائدة فيه إذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينتبه غيره) ولا أخال ذلك معمولاً به في غالب الأقطار، ولعل ذلك كان موجوداً في زمان المصنف في ديار خراسان، **(فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف)**.

(ومنها: أن يكون الخطيب لابساً لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم) وهو الحرير الخام، **(أو ممسكاً)** بيده **(لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب، وأما مجرد)** لبس **(السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض)** كما ورد به الخبر. **(ومن قال أنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهوداً في العصر الأول)** بل الذي أحدث لبس السواد أبو مسلم الخراساني في دولة المنصور، **(ولكنه إذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروهاً، ولكنه ترك للأحب)**.

ومنها : كلام القصّاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة . فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه ؛ إما للكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة . قال الله تعالى لنبيه : ﴿ فأعْرِضْ عنهم حتّى يخُوضُوا في حديث غيرِهِ ﴾ [الأنعام : ٦٨] ومهما كان كلامه مائلاً إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصي ، وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله وبرحمته وثوقاً يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ، ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم ، بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه : لو نادى مناد يوم القيامة ، ليدخل النار كل الناس إلاَّ رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نادى مناد : ليدخل الجنة كل الناس إلاَّ رجلاً واحداً ، لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ومهما كان الواعظ شاباً متزيناً للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والإشارات والحركات وقد

(ومنها :) أي ومن منكرات المساجد **(كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة)** مما ليس في سيرة السلف ، **(فالقاص إن كان يكذب في أخباره)** للحاضرين **(فهو فسق والإنكار عليه واجب)** لئلا يعتمد على ما يذكره ، **(وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجب حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه)** في بدعته ، **(إما للكافة)** أي جميع من حضر المجلس **(إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه)** ممن يقرب منه ، **(فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة)** ولا إقرارها **(قال الله تعالى لنبيه)** ﷺ : **(﴿ فأعرض عنهم)** أي من المشركين وكانوا يخوضون في الشرك **(حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ ومهما كان كلامه مائلاً إلى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي)** أي حملهم على ارتكابها ، **(وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله ورحمته وثوقاً)** واعتماداً **(يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم)** خصوصاً للعامة الذين لم يستحكموا عقائدهم ، **(بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج)** من الرجاء ، **(وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء ، كما قال عمر رضي الله عنه)** فيما رواه الإسماعيلي في مناقبه ، **(ولو نادى منادٍ يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ، ولو نادى منادٍ ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل)** نقله صاحب القوت ، **(ومهما كان الواعظ شاباً متزيناً للنساء في ثيابه وهيئته)** بأن يكحل عينيه ويمشط لحيته ويصقل خديه وهو مع ذلك **(كثير الأشعار)** المناسبة للمجلس **(والإشارات)** بعينه **(والحركات)** يميناً وشمالاً ، **(وقد**

حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين، وإلاَّ فلا يزداد الناس به إلا تمادياً في الضلال. ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضاً مظنة الفساد، والعادات تشهد لهذه المنكرات، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها: إن رسول الله ﷺ ما منعهن من الجماعات، فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن. وأما اجتياز المرأة في المسجد مستترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازاً أصلاً. وقراءة القراء بين يدي الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه يغيّر نظم القرآن، ويجاوز حدّ الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف.

ومنها: الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات، وكقيام السؤال

حضر مجلسه النساء، فهذا منكر يجب المنع منه، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح) فإن الشيطان يجد إذ ذاك سبيلاً لوضع فخوخه ومصايده، (**ويبين ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ**) على العامة (**إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين، وإلا فلا يزداد الناس به إلا تمادياً في الضلال**) واستطالة في الشهوات. (**ويجب أن يضرب بين النساء والرجال حائل**) أي مانع (**يمنع من النظر**) من الطرفين، (**فإن ذلك أيضاً مظنة الفساد**) بل أصل البلاء من النظر، (**والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة**) مع الأئمة، (**ولمجالس الذكر**) والوعظ (**إذا خيف الفتنة بهن إذ**) وفي نسخة: فقد (**منعتهن**) عن المساجد (**عائشة رضي الله عنها فقيل لها أن رسول الله ﷺ ما منعهن من الجماعات**) أي من حضورها؟ (**فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن**) المساجد. أخرجه البخاري ومسلم وخصوصاً إذا خرجت المرأة إلى المسجد متزينة معطرة مكحلة فهي في حكم الزانية كما ورد في الخبر. (**فأما اجتياز المرأة بالمسجد متسترة**) بثيابها من رأسها إلى قدمها (**فلا يمنع منه**) لأمن الفتنة ولكونها مجتازة لا مستقرة (**إلا أن الأولى أن لا يتخذ المسجد مجازاً**) للسلوك فيه (**أصلاً**) وما جاز منه فعلى قدر الضرورة بأن يكون المسجد له بابان. ولها حاجة داعية إلى الباب الثاني، فلا بأس بمرورها فيه تارة، (**وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ**) على الأرض أو على الكراسي (**مع التمديد**) المفرط وهو تمطيط الحروف حتى تتجاوز عن مخارجها الأصلية (**والألحان**) الغنائية (**على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل**) المأمور به (**منكر**) قبيح (**مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف**) منهم أحمد بن حنبل كما في القوت.

(**ومنها: الحلق**) أي اتخاذها (**يوم الجمعة**) وهي جمع حلقة (**لبيع الأدوية**) والعقاقير

وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه، فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيساً وكذباً، كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه. بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام.

ومنها: ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة، فهذا في المسجد أيضاً لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصلين ويشوّش عليهم صلاتهم، فإن لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة، فإن اتخذ المسجد دكاناً على الدوام حرم ذلك ومنع منه. فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة. كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه، وليكن هذا المنع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من

(والأطعمة) والفواكه **(والتعويذات)** والمصنوعات من الحلي والخرز، **(وكقيام السؤال)** في وسط الصفوف أو على الأبواب، **(وقراءتهم)** القرآن **(ونشيدهم الأشعار وما يجري مجراه. فهذه الأشياء منها ما هو حرام)** وفي نسخة: محرم **(لكونه تلبيساً أو كذباً)** وتمويهاً **(كالكذابين من طرقية الاطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بالتلبيس على الصبيان والسوادية)** والنساء، **(فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه)** وخصوصاً في المسجد فإنه لم يبن لذلك، **(بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب)** من عيوبه **(على المشتري فهو حرام)** وقد تقدم ذلك في كتاب تدبير المعاش.

(ومنها: ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة) والفواكه، **(فهذا في المسجد أيضاً لا يحرم إلا بعارض وذلك بأن يضيق المكان على المصلين)** ويزاحمهم، **(ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه)** فإن المساجد لم تبن لذلك، **(ولكن شرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة)** لا على الدوام، **(فإن اتخذ المسجد مكاناً على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار)** وقد تقدم الكلام عليه في الكتاب الذي قبله، **(فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه)** سداً للذريعة، **(ولكن هذا المنع)** موكول **(إلى الوالي)** للأمر في ذلك البلد، **(أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي فإنه**

قبل الوالي لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد. وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه أن ذلك يكثر.

ومنها: دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد، ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب، ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعباً وصار ذلك معتاداً فيجب المنع منه، فهذا مما يحل قليله دون كثيره، ودليل حل قليله ما روي في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد» ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعباً لمنعوا منه، ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكراً حتى نظر إليه، بل أمرهم به رسول الله ﷺ لتبصرهم عائشة تطييباً لقلبها إذ قال: «دونكم، يا بني أرفدة» كما نقلناه في كتاب السماع. وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له، أو شتمهم أو نطقهم بما هو فحش، أو تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره. وأما المجنون الهادىء الساكن

يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوف ان ذلك يكثر).

(**ومنها: دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد**) فإن هؤلاء مسلوبو الاختيار لا يتحفظون على أنفسهم فليجتنب دخولهم فيه (**ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب**) وأمن مع ذلك من التلويث، (**ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت عليه**) أي على لعبه (**إلا إذا اتخذ المسجد ملعباً وصار ذلك معتاداً فيجب المنع، فهذا يحل قليله دون كثيره، ودليل حل قليله دون كثيره ما روي في الصحيحين**) للبخاري ومسلم (**«أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة**) وهم (**يزفنون**) أي يرقصون (**ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد**) أي عيد فطر (**في المسجد»**) تقدم في كتاب السماع والوجد مفصلاً. (**ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعباً لمنعوا منه**) صيانة للمسجد، (**ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكراً حتى نظر إليه**) بنفسه تعلماً للأمة وتنبيهاً لهم بأن في هذا الدين فسحة، (**بل أمرهم به ﷺ لتنظر عائشة**) رضي الله عنها (**تطييباً لقلبها**) لصغر سنها (**إذ قال «دونكم يا بني أرفدة»**) وهم الحبشة (**كما نقلناه في كتاب السماع**) والوجد وذكرنا هناك ما يتعلق به. (**وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له**) بنحو مخاط أو بول أو غير ذلك (**أو شتمهم ونطقهم بما هو فحش أو تعاطيهم لما هو منكر**) وفي نسخة لأمر هو منكر. (**في صورته ككشف العورة وغيرها**) فإن هذا من شأنهم في الأغلب، فإن خشي شيء من ذلك وجب المنع. (**فأما المجنون الهادىء الساكن الذي**

الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد . والسكران في معنى المجنون ، فإن خيف منه القذف ـ أعني القيء ـ أو الإيذاء باللسان وجب إخراجه . وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه ، وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة . وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المساجد ؛ ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الخمر أشد .

فإن قال قائل : ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجراً . قلنا : لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلاً ، فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة . وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين ، فأما لمجرد الرائحة فلا . نعم إذا كان يمشي بين الناس متمايلاً بحيث

قد علم بعادته سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد) لزوال العلة **(والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه القذف أعني القيء والإيذاء باللسان وجب اخراجه . وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه)** لعدم ثبات عقله ، **(وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة تفوح)** منه **(فهو منكر مكروه شديد الكراهة)** فيجب أن يمنع من الدخول ، **(وكيف لا ومن أكل الثوم فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المسجد)** فقد روى البخاري ومسلم وابن حبان من حديث جابر « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الأنس » وروى أحمد ومسلم من حديث أبي سعيد « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنا في المسجد » وروى عبد الرزاق والطبراني من حديث العلاء بن خباب بمثل رواية الشيخين عن جابر إلى قوله « فلا يقربن مسجدنا وزاد يعني الثوم » ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث معقل بن يسار بلفظ « فلا يقربن مصلانا » وزاد الطبراني من حديث المغيرة إلا عن عذر وقد روي أيضاً مثل هذا في حق البصل والكراث والفجل ، **(لكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الخمر أشد)** من الثوم والبصل .

(فإن قال قائل : ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجراً) له . **(قلنا : لا)** يضرب ولا يزجر **(بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلاً)** يعني ما يقال له ، **(فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد)** من الرعية ، **(بل هو)** موكول **(إلى الولاة وذلك عند إقراره)** بنفسه **(أو شهادة شاهدين ، فأما مجرد الرائحة فلا)** لجواز أن يكون أكل العنب المحمض في الخل فإنه إذا تجشأ تشم منه رائحة تشبه رائحة النبيذ المسكر . **(نعم إذا كان يمشي بين الناس متمايلاً)** يميناً وشمالاً **(بحيث يعرف**

يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعاً له عن إظهار أثر السكر، فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها، وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها، فإن كان مستتراً مخفياً لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه. والرائحة قد تفوح من غير شرب، بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع، فلا ينبغي أن يعول عليه.

(منكرات الأسواق):

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في المرابحة، وإخفاء العيب. فمن قال: اشتريت هذه السلعة مثلاً بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذباً فهو فاسق. وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه، فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكاً له في الخيانة وعصى بسكوته. وكذا إذا علم به عيباً فيلزمه أن ينبه المشتري عليه وإلا كان

سكره) بقرينة أحواله، **(فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد)** وفي إقامة الحدود في المساجد اختلاف بين العلماء **(منعاً من إظهار أثر السكر، فإن اظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستتراً مخفياً)** لحاله **(لأثره، فلا يجوز أن يتجسس عليه)** كما تقدم. **(والرائحة قد تفوح)** وتظهر **(من غير شرب إما بالجلوس في موضع)** فتعبق في ثيابه **(و) (اما بوصوله إلى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يعوّل عليه)** اعلم أن إقامة حد الشرب بمجرد الرائحة هو مذهب مالك، وحكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستدل عليه بفعل ابن مسعود فيما أخرجه الشيخان والنسائي من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود قرأ سورة يوسف بحمص فقال رجل: ما هكذا أنزلت فدنا منه عبد الله فوجد منه رائحة الخمر فقال: أتكذب بالحق وتشرب الرجس لا أدعك حتى أجلدك حداً. قال: فضربه الحد وقال: والله لهكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ وهو رواية عن أحمد إذا لم يدع شبهة. وذهب أبو حنيفة والثوري والشافعي وأحمد في المشهور عنه إلى أنه لا يجب الحد بذلك، وحملوا هذا الحديث على أن الرجل اعترف بشرب الخمر بلا عذر ومجرد الريح لا يدل على شيء لاحتمال النسيان والاشتباه والاكراه، والله أعلم.

منكرات الأسواق:

اعلم أن **(من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في المرابحة وإخفاء العيب)** في السلع، **(فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلاً بعشرة وأربح فيها درهماً وكان كاذباً)** وفي نسخة وقد بعته بربح درهم وهو كاذب **(فهو فاسق. وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكاً له في الخيانة وعصى)** الله عز وجل **(بسكوته)** فإنه يعد ذلك من المداهنة، **(وكذا إذا علم به عيباً)** أي شيئاً من عيب **(يلزمه**

راضياً بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام، وكذا التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالي حتى يغيره.

ومنهـا: ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء في المعاطاة. ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه. وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود. وكذا في الربويات كلها وهي غالبة. وكذا سائر التصرفات الفاسدة.

ومنهـا: بيع الملاهي وبيع أشكال الحيوانات المصورة في أيام العيد لأجل الصبيان، فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي، وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة، وكذلك بيع ثياب الحرير، وقلانس الذهب والحرير، أعني التي لا تصلح إلا للرجال، أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه إلا الرجال، فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة الذي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم

أن ينبه المشتري عليه) أي على ذلك العيب، **(وإلاَّ كان راضياً بضياع مال أخيه)** المسلم **(وهو حرام، وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه)** إن قدر **(أو دفعه إلى الوالي حتى يغيره)** فيثاب على ذلك.

(ومنها: ترك) الصيغتين **(الإيجاب والقبول)** في البيع والشراء **(والاكتفاء بالمعاطاة)** فيه على ما عرف حكمه في كتاب تدبير المعاش، **(ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه)** فيجب على الشافعي أن ينكر على الشافعي إذا رآه كذلك، ولا يجب عليه أن ينكر على الحنفي لأنه يرى جوازه، **(وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس)** على ما تقدم ذكرها في البيوع **(يجب الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود)** أو مبطلة على رأي، فإن الحنفي يفرق بين الشروط المفسدة وبين المبطلة على ما تقدم بحثه في البيوع، **(وكذا في الربويات كلها وهي غالبة)** في الاسواق، **(وكذا سائر التصرفات الفاسدة)** فإنه يجب الانكار فيها.

(ومنها: بيع الملاهي) أي آلاتها كالعود والقانون والطنبور والربابة، **(وبيع أشكال الحيوانات المصوّرة في أيام العيد لأجل الصبيان)** أي لعبهم بها، **(فلذلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي)** بخلاف ما إذا كانت صور القصور والأشجار، **(وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة)** سواء كانت صحوناً أو أباريق أو قماقم أو مباخر أو ظروفاً أو أغطية، **(وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير. أعني التي لا تصلح إلا للرجال ويعلم بعادة البلد أنه لا يشتريه إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور)** يجب المنع **(عنه، وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة)** المستعملة **(المقصورة)** المغسولة **(التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها واستعمالها، ويزعم انها جديدة)** يوهمهم بذلك ولا سيما إذا

أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب. وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يؤدي إلى الالتباس. وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك يطول إحصاؤه. فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره.

(منكرات الشوارع):

فمن المنكرات المعتادة فيها: وضع الأسطوانات، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار، وإخراج الرواشن والأجنحة، ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة، وإن لم يؤد إلى ضرر أصلاً لسعة الطريق فلا يمنع منه. نعم يجوز وضع

نشيت وصقلت، **(فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو)** الذي لا يتبين **(وما يؤدي إلى الالتباس)** فإنه حرام، وقد سئل عنه الإمام أحمد قال فأجاب كذلك نقله صاحب القوت، ولفظه: قال أبو بكر المروزي سألت أبا عبد الله رفاء يرفو الوسائط والإنماط للتجار، وهم يبيعون ولا يخبرون بالرفو. قال: يعمل العمل الذي يتبين لا الخفي الذي لا يتبين إلا لمن يثق به، **(وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك)** كثير **(يطول إحصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره)** وجملة من ذلك ذكرها ابن الحاج في المدخل.

منكرات الشوارع:

وهي الطرق العامة شرعت لسلوك الناس ومرورهم فيها لحاجاتهم. **(فمن المعتاد فيها وضع الاسطوانات)** جمع اسطوانة وهي الأعمدة سواء كانت من حجر أو خشب، أو بناء **(وبناء الدكات)** جمع دكة وهي الموضع المرتفع المبني من طين وآجر أو حجر أو خشب، وفي نسخة الدكاك وفي بعض النسخ الدكاكين **(متصلة بالأبنية المملوكة)** للغير، **(و)** كذا **(غرس الأشجار و)** كذا **(إخراج القوابيل)** جمع قابول هو الساباط. قال صاحب المصباح: هكذا استعمله الغزالي، وتبعه الرافعي ولم أظفر بنقل فيه اهـ.

قلت: ما أنكره صاحب المصباح يمكن توجيهه على كلام العرب، فإنهم يقولون: انزل بقبل هذا الجبل محركة أي سفحه ومرتفعه من أصله كالسند، وقد أشرت إليه في شرحي على القاموس وفي بعض النسخ الرواشن.

(والأجنحة) جمع جناح وهو على التشبيه بجناح الطير الذي هو بمنزلة اليد من الإنسان. **(ووضع الخشب و)** وضع **(أحمال الحبوب والأطعمة)** والبقول **(على الطرق، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة)** بها، **(وإن لم يؤد إلى ضرر أصلاً لسعة الطريق فلا يمنع منه)** لزوال العلة. **(نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة)**

الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت، فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه. وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب. وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة، والمرعي هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات.

ومنها: سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدّها وضمها بحيث لا تمزق، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع، وإلاَّ فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك. نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل. وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه. وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوّث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه، بل حقه أن يتخذ في دكانه مذبحاً فإن في ذلك تضييقاً بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات، وكذلك طرح

والثياب (**في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت**) في كل يوم من دقيق وأرز وحنطة وفول وشعير وخضراوات، (**فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة**) من الناس، (**ولا يمكن المنع منه، وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق**) على المارة (**وينجس المجتازين**) بالبول والروث (**منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب**) ويلتحق بذلك تسيير الدواب فيها إن لم يكن داخل البيت واسعاً، (**وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة**) الداعية، (**والمرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها دون سائر الحاجات**) في العادة، فلا ينبغي لأحد من المارة أن يضايق أحداً منهم في المرور لأن كلاً منهم له حق فيها على وجه الاشتراك.

(**ومنها: سوق الدواب وعليها الشوك بحيث تمزق الثياب، فذلك منكر إن أمكن شدّها وضمها بحيث لا تمزق الثياب، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع**) أو طريق خال من الناس ولا ولي للولاة أن يأمروا بتلك الأحمال أن يدخلوا بها ليلاً أو في وقت الهاجرة حيث يقيل الناس أو في أوّل النهار قبل طلوع الشمس (**وإلاَّ فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إليه**) لافرانهم. (**نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل**) إلى البيوت، (**وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقها منكر يجب منع الملاك منه**) ويؤمر بتخفيفها، (**وكذلك القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت**) أي في مقابلته، (**ويلوث الطريق بالدم**) والفرث (**منكر يجب المنع منه، بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحاً**) أي موضعاً معدّاً للذبح، (**فإن ذلك تضييق**) على المارة (**وإضرار بسبب ترشيش النجاسة**

القمامة على جواد الطرق، وتبديد قشور البطيخ. أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات، وكذلك إرسال المياه من الميازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب، أو يضيق الطريق، فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذ العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر، ولكن ليس يختص به شخص معين، إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد، والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق، وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها، وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط، وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه، وإن كان لا يؤذي إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان تضييق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعوداً يضيق الطريق، فكلبه أولى بالمنع.

وإضرار بسبب استقذار الطباع للقاذورات، وكذلك طرح القمامة) وفي نسخة الكناسة وفي معناها الحيوان الميت من هرة أو دجاجة أو غيرهما **(على جوادّ الطريق)** وفي نسخة جوانب الطريق، **(وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق)** للأقدام **(والتعثر)** بالأذيال. **(كل ذلك من المنكرات)** وفي كل ذلك ما ذكر من التضييق والأضرار، **(وكذلك إرسال الماء من المزاريب)** وهي مسايل المياه من السطوح **(المخرجة من الحائط في الطرق الضيقة، فإن ذلك ينجس الثياب أو يضيق الطريق فلا يمنع منه في الطريق الواسعة إذ العدول عنه)** إلى ممر آخر **(ممكن، فأما ترك مياه الطرق والأوحال)** عقيب الأمطار **(و)** ترك **(الثلوج في الطرق)** في البلاد الشمالية **(من غير كسح)** وكنس **(فذلك منكر، ولكن ليس يختص به شخص معين)** بل على العامة **(إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحداً والماء الذي يجتمع على الطريق من مزراب معين، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة، فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها إلا الوعظ)**، ويلحق بهذا كسح ما زاد في الطرق على وجه الأرض كل سنة بسبب مشي الناس لتساوي الطريق ويرفع ما نشر، وهذا كذلك حسبة عامة يكلف كل إنسان ما حاذى منزله له أو دكانه كما هو معروف في شوارع القاهرة. **(وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس)** ويعقرهم **(فيجب منعه منه، وإن كان لا يؤذي إلا بتنجيس الطريق، وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه أن ينام على الطريق أو يقعد قعوداً يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع)** لأن الشوارع إنما جعلت مشتركة المنافع لعامة الناس.

(منكرات الحمامات) :

منهـا : الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر ، فإن كان الموضع مرتفعاً لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر . فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوّه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان .

ومنهـا : كشف العورات والنظر إليها . ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها .

ومنهـا : الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل، ولكن لا يكون محظوراً إذا لم يخش من حركة الشهوة .

منكرات الحمامات:

وهي كثيرة. (**منها : الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر**) فإنه منكر ، (**فإن كان الموضع مرتفعاً لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر**) ليس فيه ذلك ، (**فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوّه وجهها ويبطل به صورتها**) قال صاحب القوت: حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل: الرجل يكتري البيت يرى فيه التصاوير ترى أنه يحكه؟ قال: نعم. قلت: فإذا دخلت حماماً فرأيت فيه صورة ترى أن أحك الرأس؟ قال: نعم. وقال أحمد بن عبد الخالق: حدثنا أحمد بن الحجاج قال: قلت لأبي عبد الله أليس الصورة إذا كان يد أو رجل، فقال عكرمة: يقول كل شيء له رأس فهو صورة. (**ولا يمنع من تصوير الأشجار وسائر النقوش سوى الحيوانات**) وفي نسخة: سوى صورة الحيوان.

(**ومنـها : كشف العورات والنظر إليها**) قصداً ، (**ومـن جملتهـا كشـف الدلاك عـن الفخذ وما تحت السرة في تنحية الوسخ**) بالكيس ، (**بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مسّ عورة الغير حرام كالنظر إليها**) .

(**ومنها : الانبطاح على الوجه**) والبطن (**بين يدي الدلاك ليتعاطى غمس الأفخاذ والأعجاز**) وسائر البدن ، (**فهذا مكروه وإن كان مع حائل**) كالكيس ونحوه ، (**ولكن لا يكون محظوراً إذا لم يخش من حركة الشهوة**) من الطرفين، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب

وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش. فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز كشف العورات للرجال؟

ومنهـا: غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة، وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل، فإنه منجس للماء، إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية، ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف؛ وهو أن يقول له: إنا نحتاج أن نغسل اليد أوّلاً ثم نغمسها في الماء، وأما أنت فمستغن عن إيذائي وتفويت الطهارة عليَّ، وما يجري مجرى هذا، فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر.

ومنهـا: أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر، ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فإنه يفضي إلى

سر الطهارة، **(وكذلك كشف العورة للحجام والفصاد الذمي، فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذميات في الحمام، فكيف يجوز كشف العورة للرجل)**؟ وهذه العبارة من قوله: وكذلك كشف العورة إلى هنا موجودة في بعض النسخ ساقطة من أكثرها.

(ومنها: غمس الأيدي و) إدخال الأواني النجسة في المياه القليلة التي في حياض الحمامات، **(وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل، فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك)** رحمه الله تعالى فإنه عنده طهور لا ينجسه، شيء. **(ولا يجوز الإنكار فيه على المالكية)** إن جمع بينه وبينهم فيه، **(ويجوز على الحنفية والشافعية)** فإنهم يقولون بتنجيس ذلك الماء القليل، **(وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف، وهو أن يقول: إنا نحتاج أن نغسل اليد أوّلاً ثم نغمسها)** أو نغسل الطاس أوّلاً ثم نغمسه **(في الماء. وأما أنت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة عليَّ)** هذا إذا كان المالكي عارفاً بالخلاف والوفاق، فإذا نبه على مثل هذا يتنبه ويرجع إلى ما هو موافق عليه، وأما إذا كان غير عارف بمذهب الغير فهذا التنبيه والارشاد لا يوضح له المقام بل ربما يتصلب لتأييد مذهبه فيرجع الأمر إلى خصومة ويفوت أصل المقصود. **(هذا وما يجري مجراه من ألفاظ اللطف والرفق فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر)** لأنه يؤدي إلى ضرر.

(ومنها: أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملس مزلقة) للأقدام لكثرة استعمالها **(يتزلق بها الغافلون فهو منكر يجب قلعه وإزالته)** وإثبات ما ليس فيه تزليق، والأولى حفرها ونقشها. **(وينكر على الحمامي إهماله فإنه يؤدي إلى السقطة وقد تؤدي**

السقطة؛ وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه، وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر، ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه، وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي، إذ حقه تنظيف الحمام، والوجه إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول، وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة، والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها. وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك.

(منكرات الضيافة) :

فمنها: فرش الحرير للرجال فهو حرام. وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة أو ذهب، أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة.

ومنها: إسدال الستور وعليها الصور.

إلى انكسار عضو) من الأعضاء **(وانخلاعه)** أو رهله، **(وكذلك ترك السدر والصابون المزلق)** للأقدام **(على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك)** أو تركه ولم ينظفه باتباع ماء عليه، **(وخرج فتزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه، وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان مردد بين الذي تركه)** وخرج، **(وبين الحمامي إذ على الحمامي)** وفي نسخة: إذ حقه **(تنظيف الحمام والوجه)** في المسألة **(إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول، وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ إعادة تنظيف الحمام كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك)** وفي نسخة فلا نطول بإعادتها.

منكرات الضيافة:

(فمنها: فرش الحرير للرجال فهو حرام) قال صاحب القوت: حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سألت ابا عبد الله عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج أترى أن يقعد عليه أو يقعد في بيت آخر؟ قال: يخرج. قد خرج أبو أيوب وحذيفة، وقد روي عن ابن مسعود قلت: فترى أن يأمرهم؟ قال: نعم. فيقول هذا لا يجوز، **(وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة أو ذهب أو الشرب)** منها **(أو استعمال ماء الورد)** منها **(أو مما رأسه منها، وكذلك تعليق الستور وعليها الصور)** قال صاحب القوت بسنده المذكور إلى أبي بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى إلى الوليمة من أي شيء يخرج؟ فقال: خرج

ومنهـا: سماع الأوتار أو سماع القينات.

ومنهـا: اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره. ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج، ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات. وأما الصور التي على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكراً، وكذا على الأطباق والقصـاع، لا الأواني المتخذة على شكل الصور، فقد تكون رؤوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه. وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف، وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها. ومهما كان الطعام حراماً، أو كان الموضع مغصوباً أو كانت الثياب المفروشة حراماً فهو من أشد المنكرات، فإن كان فيها من

أبو أيوب حين دعاه ابن عمر. فرأى البيت قد ستر ودعـي حذيفة فخرج وإنما رأى شيئاً من زي الأعاجم.

قلـت: فإن لم يكن البيت مستوراً ورأى شيئاً من فضة فقال: ما كان يستعمل يعجبني أن يخرج قال: قلت لأبي عبد الله فالرجل يدعى ويرى المكحلة رأسها مفضض قال: هذا يستعمل فأخرج منه إنما رخص في الضبة أو نحوها فهو أسهل. قال وقلت لأبي عبد الله إن رجلاً دعا قوماً فجيء بطست فضة أو إبريـق فكسره فأعجب أبا عبد الله كسره. قال وقلت لأبي عبد الله: الرجل يدعى فيرى عليه التصاوير. قال: لا ينظر إليه. قلت: فقد نظرت إليه. قال: إن أمكنك خلعه خلعته.

(ومنها: سماع الأوتار أو سماع القينات) فإنه منكر مسقط لوجوب الدعوة.

(ومنها: اجتماع النساء على السطوح) وفي الرواشن المشرفة على مقاعد الرجال **(للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة بينهم، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره)** بلسانه ثم بيده، **(ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج)** عن ذلك المجلس **(ولم يجز له الجلوس)** فيه **(فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات، وأما الصور)** المنسوجة **(على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكراً وكذا على الأطباق والقصاع)** وأواني الشرب **(لا الأواني المتخذة على شكل الصور، فقد تكون رؤوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه. وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف)** بين العلماء، **(وقد خرج أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(عن الضيافة بسببها)** قال صاحب القوت: حدثت عن أحمد بن عبد الخالق، حدثنا أبو بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: دعانا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكنا نختلف إلى عناق فإذا مكحلة فضة فخرجت فاتبعني جاعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم، **(ومهما كان الطعام)** المدعو إليه **(حراماً فهي من أشد المنكرات فإن كان فيهم من يتعاطى شرب الخمر وحده، فلا يجوز الحضور إذ**

يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور، إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق، وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك، وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله، وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة. فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر. والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه إن كان مميزاً لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: « هذان حرام على ذكور أمتي » وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر ـ لا لكونه مكلفاً ولكن لأنه يأنس به، فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه ـ فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده، فيكون ذلك بذراً للفساد يبذر في صدره، فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ. أما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه، والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز، نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف. ولا أرى رخصة في

لا يحل حضور مجالس الشرب) وإن كان **(مع ترك الشرب)** لأنه في حكم الراضي به، **(ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرته للفسق)** اتفاقاً **(وإنما في مجالسته بعده)** أي بعد صدور المباشرة منه، **(وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله)** فليطلب من هناك؟ **(وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة)** داعية، **(فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر، والصحيح إن ذلك منكر يجب إخراجه منه)** ونزعه **(إن كان)** الصبي **(مميزاً لعموم قوله ﷺ: « هذان)** يعني الحرير والذهب **(حرامان على ذكور أمتي)** حل لأناثها ». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي، وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل. **(وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفاً ولكن لأنه يأنس به)** ويألفه ويعتاد عليه، **(فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه)** لأنه يصير طبيعة له فلا يكاد يفارقه، **(فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذراً للفساد يبذر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ)**، وكذلك سائر المنهيات ينبغي أن يجنب عنها الصبيان نظرا للضراوة والاعتياد. **(أما الصبي الذي لا يميز فيصعب معنى التحريم فيه)** أي في حقه، **(ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله تعالى)** ومذهب أبي حنيفة وأصحابه المنع مطلقاً سواء كان مميزاً أولاً، **(والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز)** أي فيضعف معنى التحريم فيه. **(نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف)** بل بالاقتصار على القدر المحتاج إليه، **(ولا أرى رخصة في تثقيب**

تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها ، فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان ، والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي المخانق والأسورة كفاية عنه . فهذا وإن كان معتاداً فهو حرام والمنع منه واجب ، والاستئجار عليه غير صحيح ، والأجرة المأخوذة عليه حرام ، إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ، ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة .

ومنها : أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته ، فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد ، فإن كان لا يقدر عليه لم يجز ، فإن كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله . وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه ، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح ـ أعني ما يقل منه ـ فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح . وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات ،

أذن الصبية لأجل حلق الذهب) ولا تثقيب الأنف لأجله كما يفعله أهل الحجاز ، **(فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص ، فلا يجوز)** التثقيب **(إلا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان)** والخفاض ، **(والتزين بالحلق غير مهم)** في الشرع **(بل في التقريط بتعليقه على الأذن)** من فوق **(وفي المخانق)** وهي القلائد التي تعلق في العنق ، **(وفي الأسورة كفاية عنه ، فهذا وإن كان معتاداً)** في النساء **(فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة)** . والمشهور أن السيدة سارة أم إسحاق عليه السلام لما غضبت على هاجر أم إسماعيل عليه السلام حلفت لتقطعن من أطرافها فثقبت أذنها وأنفها وخفضتها لأجل اليمين فبقي ذلك سنّة ولم يثبت أن النبي ﷺ نهى عنه فهذا وجه الرخصة .

(ومنها : أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته) ويحمل الناس عليها **(فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرّد فإن كان لا يقدر عليه)** أي على الرد عليه لضعفه في الاحتجاج **(لم يجز)** الحضور ، **(وإن كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك)** يأتي **(بالحكايات في أنواع النوادر)** بحسب المناسبات ، **(فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار)** عليه ، **(وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعني ما يقل منه)** ويندر ، **(فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد منه التلبيس)** على الناس ،

كقول الإنسان مثلاً : طلبتك اليوم مائة مرة ، وأعدت عليك الكلام ألف مرة ، وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به . وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات .

ومنها : الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر ، بل في المال منكران : أحدهما : الإضاعة . والآخر : الإسراف .

فالإضاعة : تفويت مال بلا فائدة يعتدّ بها كإحراق الثوب وتمزيقه ، وهدم البناء من غير غرض ، وإلقاء المال في البحر ، وفي معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب . وفي أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعاً فصارت كالمعدومة .

وأما الإسراف : فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات ، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة .

والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول : من لم يملك إلا مائة دينار مثلاً ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه منه

(فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلاً : قد طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت الكلام عليك الف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق) ، وإنما هو من باب المبالغة الجارية على الألسن ، **(فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به ، وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى .

(ومنها الاسراف في الطعام والبناء فإنه منكر وفي المال منكران . أحدهما : الإضاعة والآخر الإسراف .

فالاضاعة : تفويت مال بلا فائدة يعتدّ بها كإحراق الثوب) في النار **(وتمزيقه ، وهدم البناء من غير غرض ، وإلقاء المال في البحر)** بلا موجب ، **(وفي معناه صرف المال إلى النائحة)** في الموت **(و)** إلى **(المطرب)** في الأفراح **(و)** كذا صرفه **(في أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعاً فصارت كالمعدومة)** حكماً .

(وأما الاسراف : فإنه يطلق تارة لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات ، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة) والكثرة .

(والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال) والأشخاص **(فنقول : من لم يملك إلا مائة دينار ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع في وليمة)** لأصحابه **(فهو**

قال تعالى: ﴿ولا تَبْسُطْها كلَّ البسْطِ فتقْعُدَ ملوماً محسوراً﴾ [الإسراء: ٢٩] نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئاً لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء. وقال تعالى: ﴿ولا تُبَذِّر تبذيراً ★ إن المبذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧] وكذلك قال عز وجل. ﴿والذين إذا أنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧] فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه، ويجب على القاضي أن يحجر عليه، إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوّة في التوكل صادقة؛ فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر. ومن له عيال أو كان عاجزاً عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله. وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضاً إسراف محرم، وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة، ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة، فكذا الدور، وكذلك القول في التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه، ويصير إسرافاً باعتبار حال الرجل وثروته، وأمثال هذه المنكرات كثير

مسرف يجب منعه منه قال الله تعالى) خطاباً لحبيبه ﷺ: **(ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً)** يلوم نفسه على ما فات من ماله **(محسوراً)** ذهب ماله كله. قيل: **(أنزل هذا في رجل كان في المدينة قسم جميع أمواله ولم يبق شيئاً لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء)** وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هذا في النفقة يقول لا تجعلها مغلولة لا تبسطها بخير ولا تبسطها كل البسط يعني التبذير. **(وقال تعالى: ﴿ولا تبذّر تبذيراً★ إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين﴾ وكذلك قال عز وجلّ: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾)** وأخرج ابن عدي والبيهقي عن أبي الدرداء رفعه « من فقهك رفقك في معيشتك » وأخرج البيهقي عن ابن عمر رفعه « الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة » وأخرج أحمد في الزهد عن يونس بن عمير قال: كان يقال الاقتصاد في المعيشة يلقي عنك نصف المعيشة. **(فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه، ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوّة في التوكل صادقة، فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر)** والخير، **(ومن له عيال وكان عاجزاً عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله)** بل يبقي شيئاً لعياله، **(وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو إسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام، لأن التزين من الأغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها، مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة، فكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب والأطعمة، فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافاً باعتبار حال الرجل وثروته)** أي كثرة ماله، **(وأمثال**

لا يمكـن حصرهـا ، فقس بهذه المنكـرات المجـامـع . ومجالس القضـاة ودواويـن السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محظور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها .

(المنكرات العامة) :

اعلم أن كل قاعد في بيته ـ أينما كان ـ فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بـالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيـف في القـرى والبـوادي ؟ ومنهـم الأعـراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية . وواجب على كل فقيه ـ فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ـ أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ، ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلاَّ عم الحرج الكافة أجمعين .

هذا كثيرة لا يمكن حصرها) في موضع واحد **(فقس بهذه منكرات المجامع)** وهي مواضع تجتمع فيها الناس . **(ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ، ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محظور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر)** منها .

المنكرات العامة:

(اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد) الحاضرة **(فكيف في القرى والبوادي)** النائية ، **(ومنهم الأعراب والأكراد والتركمان وسائر أصناف الخلق)** وبعضهم كالهمج ، **(وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم)** ويصحح عقائدهم ، **(وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفايـة أن يخرج إلى من يجاوز بلده من أهل السواد)** أي الريف . **(ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم)** مما أوجب الله عليهم ، **(ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ولا يأكل أطعمتهم ، فإن أكثرها مغصوبة)** من حقوق الناس ، **(فإن قام به واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلاَّ عمّ الحرج الكافة)** وشملهم **(أجمعين)** .

أما العالم فلتقصيره في الخروج. وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم.

وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلاَّ فهو شريك في الإثم. ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها. ولعمري الإثم على الفقهاء أشدّ لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق، لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمراً لا بد منه في صلاح الخلق. وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء. وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم وكذا النهي. وكل من تيقن أن في السوق منكراً يجري على الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت، بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج، لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر

(أما العالم فلتقصيره في الخروج، وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم. وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره) بما تعلمه، **(وإلاً فهو شريك في الإثم. ومعلوم ان الإنسان لا يولد)** من بطن أمه **(عالماً)** بالشرع، **(وإنما)** العلم بالتعلم ومن هنا **(يجب التبليغ على أهل العلم، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها)** ووجب عليه تبليغه إياها لغيره، **(ولعمري الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بضاعتهم أليق)** وأنسب، **(لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم)** التي هم بازائها **(لبطلت المعايش)** في الناس لاحتياج بعضهم إلى بعض فيها، **(فهم قد تقلدوا أمراً لا بد منه في صلاح الخلق)** من جهة المعاش، **(وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ)** بواسطة شيوخه الذين تلقى عنهم ذلك، **(فإن العلماء هم ورثة الأنبياء)** ورثوا منهم علماً ولم يورثوا ديناراً ولا درهماً وقد تقدم الكلام في كتاب العلم. **(وليس للإنسان منهم أن يقعد في بيته)** معتزلاً عنهم **(ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي)** ولا يسعه التأخر عن ذلك. **(وكذلك كل من رأى منكراً)** من مناكر الشرع **(على الدوام)** وفي بعض النسخ، وكذلك كل من تيقن أن في السوق منكرا يجري على الدوام **(أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره)** باليد أو باللسان، **(فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج، فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو يحترز عن مشاهدته ويقدر على)** تغيير **(البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه)** أي

عليه، وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح، فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهل بيته، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده، ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم، وهكذا إلى أقصى العالم، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد، وإلاَّ حرج به على كل قادر عليه قريباً كان أو بعيداً، ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله على تجزئة الأوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه.

على تغييره، (**وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر**) إذا كان (**من غير غرض صحيح، فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات**) الشرعية، (**ثم يعلم ذلك أهل بيته**) زوجته وولده وخادمه، (**ثم يتعدى عند الفراغ منهم إلى جيرانه**) ممن يعاشره ويجتمع عليه طرفي النهار، (**ثم إلى أهل محلته**) ممن يخالطوه ويخالطهم، (**ثم إلى أهل بلده**) عموماً، (**ثم إلى السواد**) أي الريف (**المكتنف لبلده**) أي المحيط به، (**ثم إلى البوادي من الأكراد والعرب**) والتركمان (**وغيرهم**) من الأجلاف. (**وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد**) لأنه فرض كفاية (**والا حرج به كل قادر عليه**) قريباً كان أو بعيداً، (**ولا يسقط الحرج**) عنه (**ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات**) وتقسيمها (**في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي فروض الكفايات، ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه، والله أعلم**).

الباب الرابع
في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوّله التعريف، وثانيه الوعظ، وثالثه التخشين في القول، ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة. والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما: التعريف والوعظ. وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر، وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدّى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه. فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة. قال رسول الله ﷺ: «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى

الباب الرابع
في أمر الأمراء والسلاطين

ومن في معناهم (**بالمعروف ونهيهم عن المنكر**).

اعلم أنا (**قد ذكرنا**) آنفاً (**درجات الأمر بالمعروف وأن أوّله التعريف**) بعد التعرف، (**وثانيه الوعظ**) والنصح، (**وثالثه التخشين في القول**) من غير فحش، (**ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة، والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاولتان وهما التعريف والوعظ. وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر**) مما قبله، (**وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا تخاف الله**) أو يا من لا يستحي من الله (**وما يجري مجراه**) من الكلمات الخشنة، (**فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه**) ومثاب عليه، (**فلقد كان من عادة السلف**) الصالحين (**التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة**) وهي دم القلب، (**والتعرض لأنواع العذاب**) من الحبس والتنكيل والضرب (**لعلمهم بأن ذلك شهادة**) في سبيل الله تعالى. (**قال رسول الله ﷺ: «خير**

إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك ». وقال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ». ووصف النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق »، ولما علم

الشهداء) أي من هذه الأمة **(حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام)** جائر **(فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك »)** أي لأجل أمره ونهيه. قال العراقي: رواه الحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الاسناد وتقدم في الباب قبله اهـ.

قلت: ولكن بلفظ « سيد الشهداء » وقد تعقبه الذهبي بأن فيه حفيداً العطار لا يدري من هو اهـ.

وقد رواه كذلك الديلمي والضياء المقدسي وقد روي نحوه عن ابن عباس عند الطبراني بسند ضعيف، وقد روى الحاكم أيضاً هذا الحديث مقتصراً على الجملة الأولى بلفظ « سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب » وقال فيه أيضاً صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي بأن فيه الفضل بن صدقة أبا حماد قال النسائي متروك.

(وقال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ») تقدم في الباب قبله انه رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد، وتفصيل الكلام فيه أن أبا داود رواه في الملاحم من سننه من طريق محمد بن حجادة عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر » ورواه الترمذي في الفتن من جامعه من هذا الوجه بلفظ « إن من أعظم الجهاد » وذكره بدون أو أمير جائر وقال: إنه حسن غريب وهو عند ابن ماجه في الفتن أيضاً باللفظ الأوّل بدون أو أمير جائر، وأخرجه كذلك من طريق حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى فقال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأله فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال: اين السائل؟ قال: أنا يا رسول الله قال: « كلمة حق عند سلطان جائر » وقد علم من ذلك ان الذي أورده المصنف هو سياق حديث أبي أمامة بعينه لا حديث أبي سعيد كما يفهم من تخريج الحافظ العراقي أخرجه البيهقي في الشعب. قال: وله شاهد مرسل باسناد جيد، ثم ساق ما أخرجه النسائي في البيعة من سننه من طريق علقمة بن مرثد عن طارق بن شهاب قال: سئل رسول الله ﷺ أي الجهاد أفضل؟ قال: « كلمة عدل عند امام جائر » وطارق له رواية فقط فلذلك كان حديثه مرسلاً والله أعلم.

(ووصف النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق ») قال العراقي: رواه الترمذي بسند ضعيف مقتصراً على آخر الحديث من حديث علي « رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً تركه الحق وماله من صديق » وأما أوّل الحديث فرواه الطبراني أن عمر قال لكعب الاحبار: كيف تجد

المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله. وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف، وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام، ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم.

فمنها: ما روي من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر قريش حين

نعتي في التوراة: قال: أجد نعتك قرناً من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم اهـ.

قلت: أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد يعني الطبراني، حدثنا عبد الرحمن بن حاتم، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عثمان بن كثير، عن محمد بن مهاجر، عن العباس ابن سالم، حدثني عمر بن ربيعة، عن مغيث الأوزاعي، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى كعب فقال له: يا كعب كيف تجد نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قرن من حديد لا يخاف في الله لومة لائم.

وحدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا غندر عن الأعمش، عن أبي صالح قال: قال كعب لعمر: إنا نجدك شهيداً إنا نجدك إماماً عادلاً ونجدك لا تخاف في الله لومة لائم. قال: هذا لا أخاف في الله لومة لائم فأنى لي بالشهادة.

(ولما علم المتصلبون في الدين) أي الأشداء فيه **(أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك)** الكلام **(إذا قتل)** لأجل كلامه **(فهو شهيد)** ويبعث في زمرة الشهداء عند الله في يوم القيامة **(كما وردت به الأخبار)** التي تقدم ذكر بعضها **(قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين على أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى محتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله تعالى)** لا يبالون في الله لومة لائم، ولا يلتفتون إلى كثرتهم وتواطئهم ولا يكترثون لممانعتهم ولمقاطعتهم متكلين على من هو منشئهم وكافيهم مستنصرين بمن هو قاصمهم وشانئهم، **(وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف، وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام)** فأغنانا عن الإعادة، **(ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم)**.

(فمنها: ما روي من انكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر قريش)

قصدوا رسول الله ﷺ بالسوء. وذلك ما روي عن عروة رضي الله عنه قال: قلت لعبدالله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشاً نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته، فقال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل. سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا - فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول قال، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام ثم مضى، فمرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال: «أتسمعون يا معشر قريش: أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح» قال: فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى ان أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى انه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً فوالله ما كنت جهولاً قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال

صناديدهم **(حين قصدوا رسول الله ﷺ بالسوء)** والمكر **(وذلك ما روي عن عروة)** بن الزبير **(قال: قلت لعبد الله بن عمرو)** بن العاص رضي الله عنهما **(ما أكثر ما رأيت قريشاً نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته فقال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر)** أي في حجر الكعبة **(فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفّه أحلامنا)** أي عقولنا أي نسبها إلى السفه **(وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على عظيم أو كما قالوا)** خوفاً من زيادة في الكلام أو نقص، **(فبينما هم في ذلك)** الكلام **(إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول، قال)** الراوي: **(فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ)** أي تغير وجهه الشريف بما غمزوه **(ثم مضى)** طائفاً **(فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها حتى وقف، ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح)** أي بالقتل. **(قال)** الراوي: **(فأطرق القوم)** أي طأطأوا رؤوسهم إلى الأرض حتى **(ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع)** وهو مثل لشدة الإطراق، **(حتى أن أشدهم فيه وقيعه ليرفؤه)** أي يسكنه **(بأحسن ما يجد من القول)** وألينه، **(حتى أنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا**

بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا؟ أنت الذي تقول كذا؟ لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك» قال: فلقد رأيت منهم رجلاً أخذ بمجامع ردائه قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول ـ وهو يبكي ـ ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ قال: ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه.

وفي رواية أخرى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟

معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم) أي فاتحكم وواجهكم **(بما كنتم تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا لما بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم. قال: فيقول رسول الله ﷺ «نعم أنا الذي أقول ذلك» قال)** الراوي: **(فلقد رأيت منهم رجلاً أخذ بمجامع ردائه)** أي ولببه **(قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشدّ ما رأيت قريشاً بلغت منه قط)** قال العراقي: رواه البخاري مختصراً، وأورده ابن حبان بتمامه اهـ.

(وفي رواية أخرى، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط) أحدأشراف قريش **(فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فجاء أبو بكر)** رضي الله عنه **(فأخذ بمنكبه)** أي عقبة **(ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)**؟ رواه البخاري في الصحيح.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة: حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر أتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له غدائر فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم. قال: فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي

وروي أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له: يا معاوية إنه ليس من كدّك ولا من كدّ أبيك ولا من كد أمك. قال: فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم: مكانكم! وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل» وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم انه ليس من كدّي ولا من كدّ أبي فهلموا إلى عطائكم.

وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال: كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال: فغاظني ذلك منه، فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟

بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت ذا الجلال والإكرام.

(وروي أن معاوية) بن أبي سفيان **(رضي الله عنه حبس العطاء)** عن أهله مرة وكان على المنبر، **(فقام إليه أبو مسلم الخولاني)** عبد الله بن ثوب بن خيار تابعي من أهل الشام نزلها في أيام معاوية وكان صاحب كرامات، **(فقال له: يا معاوية إنه)** أي المال **(ليس من كدك ولا من كدّ أبيك ولا من كدّ أمك. قال)** الراوي: **(فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم: مكانكم)** أي لا تفارقوا **(ثم)** غاب عنهم، ثم **(خرج عليهم)** وصعد المنبر **(فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «الغضب من الشيطان)** لأنه ناشيء عن وسوسته واغوائه فأسند إليه لذلك **(والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء)** وفي رواية وإنما يطفىء النار، **(فإذا غضب أحدكم فليغتسل» وإني دخلت)** المنزل **(فاغتسلت. وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدي ولا كدّ أبي فهلموا إلى عطائكم غداً إن شاء الله تعالى)** قال العراقي: هذا الحديث بقصته رواه أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه اهـ. قلت: وكذلك رواه ابن عساكر في التاريخ.

(وروي عن ضبة بن محصن العنزي) بسكون النون البصري ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي حديثاً واحداً **(قال: كان علينا أبو موسى)** عبد الله بن قيس **(الأشعري)** رضي الله عنه **(أميراً بالبصرة)** ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **(وكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وأنشأ)** بعد ذلك **(يدعو لعمر)** بن الخطاب رضي الله عنه **(قال: فغاظني)** أو أغضبني **(ذلك، فقمت إليه فقلت له: أين أنت عن صاحبه)** يعني أبا بكر رضي الله عنه؟ **(تفضله عليه فصنع ذلك**

فصنع ذلك جمعاً ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول: إن ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي. فكتب إليه عمر: أن أشخصه إليّ قال: فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إليّ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة، فقال لي: لا مرحباً ولا أهلاً. قلت: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته؟ فقال: ما الذي شجر بينك وبين عاملي؟ قال: قلت الآن أخبرك به. إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعاً ثم كتب إليك يشكوني. قال: فاندفع عمر رضي الله عنه باكياً وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟ قال: قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين. قال: ثم اندفع باكياً وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم، قال:

أما الليلة؛ فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره،

جمعاً، ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول) في شكواه: **(إن ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي، فكتب إليه عمر)** رضي الله عنه **(أن اشخص به إلي)** أي وجهه إلي **(فاشخصني إليه فقدمت فدققت عليه الباب فخرج إليّ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة بن محصن العنزي. قال فقال: فلا مرحباً ولا أهلاً. قلت: أما الرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل ولا مال فبماذا استحللت اشخاصي من بصرتي)** وفي نسخة من البصرة **(بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته. قال: فما الذي شجر بينك وبين عاملي قال: قلت الآن أخبرك به انه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له: أين أنت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعاً. ثم كتب إليك يشكوني قال: فاندفع عمر رضي الله عنه باكياً وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي غفر الله لك قال: قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين. قال: ثم اندفع باكياً وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم. قال:**

أما الليلة: فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فتبعه أبو بكر وجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه، ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال

فقال رسول الله ﷺ: « ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من أفعالك » فقال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك، لآمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت؛ فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتدّ به حتى أتى فم الغار فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، قال: فدخل فلم ير فيه شيئاً فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه، وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول له: « يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا » فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته.

وأما يومه، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحاً فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس وأرفق بهم. فقال لي: أجبار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟ فبماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي، فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال:

رسول الله ﷺ: « ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من أفعالك » فقال: يا رسول الله اذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك. قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت، فلما رأى أبو بكر) رضي الله عنه **(أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار)** الذي في جبل ثور، **(فأنزله فقال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال: فدخل فلم يجد به شيئاً فحمله وأدخله في الغار، وكان في الغار، خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر)** رضي الله عنه **(قدمه مخافة أن يخرج منهن شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه وجعلن)** أي الحيات والأفاعي **(يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر)** أي تسيل **(على خديه من ألم ما يجده، ورسوله ﷺ يقول: « يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا » فأنزل الله عليه سكينته أي الطمأنينة لأبي بكر. فهذه ليلته.**

وأما يومه، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب) وهم ثمان قبائل منهم، **(فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحاً)** أي أقصر في نصيحته، **(فقلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس)** أي خذهم بالإلفة **(وارفق بهم. فقال: أجبار في الجاهلية)** أي شديد الأسر **(خوار في الإسلام)** أي ضعيف فارغ؟ **(فبماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي)** أي انقطع نزوله **(فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ**

فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر. فهذا يومه. ثم كتب إلى أبي موسى يلومه.

وعن الأصمعي قال: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس

لقاتلتهم عليه)، والعقال بالكسر قيل المراد به الحبل الذي تعقل به الناقة، وإنما ضرب مثلاً لتقليل ما عساهم أن يمنعوه لأنهم كانوا يخرجون الإبل إلى الساعي ويعقلونها بالعقل حتى يأخذها كذلك، وقيل: المراد به نفس الصدقة فكأنه قال: لو منعوني شيئاً من الصدقة ومنه يقال دفعت عقال عام **(قال: فقاتلنا عليه، فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه، ثم كتب إلى أبي موسى)** الأشعري **(يلومه)** فيما فعله.

قال العراقي: رواه البيهقي هكذا بطوله في دلائل النبوة بإسناد ضعيف، وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق، واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلفظ آخر، ولهما من حديثه قال: قلت يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف نقاتل الناس الحديث اهـ.

قلت: وأما حديث سد الخرق بقدمه فأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني لأدخل قبلك فإن كان وجيئة أو شيء كانت بي قبلك. قال: «ادخل» فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلما رأى حجراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الحجر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي حجر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «أين ثوبك يا أبا بكر» فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي ﷺ يده فقال: «اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة» فأوحى الله إليه أن الله تعالى قد استجاب لك.

(وعن الأصمعي) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي الباهلي البصري صاحب النحو واللغة والأخبار والغريب والملح والنوادر. كان أحمد وابن معين يثنيان على الأصمعي في السنة. وقال الشافعي: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. قال ابن معين: هو ثقة، وقال أبو داود: صدوق توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة، روى له مسلم في مقدمة كتابه، وأبو داود في تفسير أسنان الإبل من السنن والترمذي في حديث أم زرع **(قال: دخل عطاء بن أبي رباح)** واسمه أسلم القرشي الفهري أبو محمد المكي مولى آل أبي خيثم عامل عمر بن الخطاب على مكة. قال ابن المديني: أبوه مولى حبيبة بنت ميسرة بن أبي خيثم، وانتهت إليه الفتوى في زمانه بمكة، وكان أعور أشل أفطس أعرج أسود ثم عمـي بعـد. تـوفي سنة ١١٤ روى له الجماعة، **(على عبد الملك بن مروان)** بن الحكم الأموي **(وهو جالس على**

على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ـ فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: أجل أفعل، ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف!

وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً: قف على الباب فإذا مرّ بك رجل فأدخله عليَّ ليحدثني. فوقف الحاجب على الباب مدة فمرّ به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له: يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين، فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد! قال: فغضب الوليد على حاجبه وقال له: ويلك أمرتك أن تدخل إليَّ رجلاً

سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في) أيام **(خلافته، فلما بصر به قام إليه)** وسلم عليه **(وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار: فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فماحاجتك؟ فقال: مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج، فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف هذا وأبيك الشرف)** مكذا أخرجه المزني في تهذيب الكمال في ترجمة عطاء إلا أنه قال في الأخير هذا وأبيك السؤدد بدل الشرف.

(وروي أن الوليد بن عبد الملك) بن مروان الأموي **(قال لحاجبه يوماً قف على الباب فإذا مر بك رجل عليه سمت حسن فأدخله علي ليحدثني، فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه، فقال له: يا شيخ ادخل على أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز)** ابن عمه، **(فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد! قال: فغضب الوليد على حاجبه فقال له:**

يحدثني ويسامرني فأدخلت إليَّ رجلاً لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي. فقال له حاجبه: ما مرّ بي أحد غيره، ثم قال لعطاء: اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: بلغنا أن في جهنم وادياً يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله، وكان جالساً بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشياً عليه، فقال عمر لعطاء: قتلت أمير المؤمنين، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له: يا عمر إن الأمر جد فجد، ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي.

وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب، فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: تكلم، قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله؟ فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة

ويلك أمرتك أن تدخل إلي رجلاً يحدثني ويسامرني فأدخلت إليّ رجلاً لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي) وهو أمير المؤمنين، **(فقال له حاجبه: ما مر بي أحد غيره، ثم قال لعطاء: اجلس)** فجلس، **(ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء أن قال: بلغنا أن في جهنم وادياً يقال له: «هبهب» أعده الله لكل إمام جائر في حكمه)** ولفظ ابن الأثير في النهاية يسكنه الجبارون، **(فصعق الوليد من قوله، وكان جالساً بين يدي عتبة باب المجلس فوقع إلى قفاه إلى جوف المجلس مغشياً عليه، فقال عمر)** بن عبد العزيز لعطاء: **(قتلت أمير المؤمنين، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال: يا عمر إن الأمر جد فجد)** أي اجتهاد، **(ثم قام عطاء وانصرف)** قال الراوي: **(فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي)** أخرجه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء.

(وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب) وكان من فصحاء زمانه **(فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له: تكلم. فقال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله. فبكى عبد الملك)** لقوله **(ثم قال: رحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون)** أي يعظ بعضهم بعضاً ويوصي بعضهم بعضاً. **(فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من**

الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت.

ويروى عن ابن عائشة أن الحجّاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه، ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل، فقال الحجاج: مرحباً بأبي سعيد إليّ إليّ ثم عاد بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقاً من شره. والحسن ساكت عاض على إبهامه، فقال: يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتاً؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [البقرة: ١٤٣] فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان؟ فأقول: ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها. وأقول: إن كانت لعلي هناة فالله

أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما دمت حياً) وهذا قد أورده المصنف في كتاب الحلال والحرام.

(ويروى عن ابن عائشة) وهو عبيد الله بن محمد التيمي القرشي تقدم ذكره قريباً **(أن الحجاج)** بن يوسف **(دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه)** وفي نسخة فدخلوا عليه **(ودخل الحسن)** بن يسار **(البصري آخر من دخل، فقال الحجاج)** له: **(مرحباً بأبي سعيد إلي إلي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه)** أي تكلم فيه بسوء، **(ونلنا منه مقاربة له)** أي تقرباً إليه بموافقته في رأيه، **(وفرقاً)** أي خوفاً **(من شره، والحسن ساكت عاض على إبهامه، فقال)** الحجاج: **(يا أبا سعيد مالي أراك ساكتاً؟ قال: ما عسيت أن أقول. قال: أخبرني برأيك في أبي تراب)** هي كنية علي رضي الله عنه كناه بها النبي ﷺ. **(قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فعليّ ممن هدى الله من أهل الإيمان؟ فأقول: ابن عم رسول الله وختنه على ابنته)** فاطمة الزهراء رضي الله عنها، **(وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها)** أي يمنعها **(عليه، ولا أن يحول بينه وبينها. فأقول: إن كانت لعلي)** رضي الله عنه

حسبه والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا . فبسر وجه الحجاج وتغيّر وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي : فأخذت بيد الحسن فقلت : يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره ، فقال : إليك عني يا عامر ، يقول الناس : عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه . ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت أو سكت فسلمت ؟ قال عامر : يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن : فذاك أعظم من الحجة عليك وأشد في التبعة . قال : وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال : أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على هذا ؟ قال : ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿ليبيننه للناس ولا يكتمونه﴾ قال : يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك .

وحكي أن حطيطاً الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم سل عما بدا لك فإني عاهدت الله ـ عند المقام ـ على ثلاث خصال : إن سئلت

(هناة فالله حسيبه والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا . فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا : قال عامر) بن شراحيل (الشعبي) وكان من جلة من حضر ذلك المجلس ، (فأخذت بيد الحسن فقلت : يا أبا سعيد) لقد (أغضبت الأمير وأوغرت صدره) أي أدخلت فيه وغراً وهو شدة الحر (قال) الحسن : (إليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة) وفي نسخة فقيه أهل الكوفة ، (أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت ، وإن سكت فسلمت . قال عامر : يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن : فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة . قال) ابن عائشة في رواية أخرى : (وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه . قال : أنت تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال) الحسن : (نعم) أنا قلت (قال) الحجاج : (ما حملك على هذا) القول ؟ (قال : ما أخذ الله على العلماء من المواثيق) والعهود ﴿ليبيننه للناس ولا يكتمونه﴾ قال) الحجاج : (يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك) وسيأتي للمصنف بأبسط من ذلك في أواخر كتاب ذم الجاه وحب المال ، وأتم مما هنا فراجعه .

(وروي أن حطيطاً الزيات) وكان من القوالين بالحق لا يخاف في الله لومة لائم (جيء به إلى الحجاج) بن يوسف (فلما دخل) عليه (قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم سل عما بدا لك فإني عاهدت الله على المقام) وفي نسخة عند المقام (على ثلاث خصال : إن سئلت لأصدقن ، وإن

لأصدقن، وإن أبتليت لأصبرنّ، وإن عوفيت لأشكرنّ. قال: فما تقول فيَّ؟ قال: فأقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة؛ قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول إنه أعظم جرماً منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه. قال: فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب. قال: فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً. قال: فقيل للحجاج إنه في آخر رمق فقال: أخرجوه فارموا به في السوق. قال جعفر: فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له: حطيط ألك حاجة؟ قال: شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات ـ وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه.

وروي أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً، ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال: هما هذان، هذا رجل أهل الكوفة ـ يعني الشعبي ـ وهذا رجل أهل البصرة ـ يعني الحسن ـ فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن، فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين

ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن. قال فما تقول فيَّ؟ قال: أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة) بالكسر أي التهمة الباطلة. **(قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول أنه أعظم جرماً منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياه. قال فقال الحجاج)** لأتباعه: **(ضعوا عليه العذاب)** فعذبوه بأنواع العذاب. **(قال)** الراوي: **(فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً. قال: فقيل للحجاج أنه في آخر رمق. قال: أخرجوه)** من الحبس **(فارموا به في السوق)** إهانة له. **(قال جعفر)** راويه: **(فأتيته أنا وصاحب له فقلنا: حطيط ألك حاجة؟ قال: شربة ماء فأتوه بشربة)** فشرب، **(ثم مات. وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله تعالى)** أخرجه ابن أبي الدنيا.

(وروي أن عمر بن هبيرة) والي العراق من قبل بني أمية وتقدم ذكره في مناقب أبي حنيفة من كتاب العلم **(دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها، فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده فيه علماً، ثم أقبل على الحسن البصري فسأله فقال: هما هذان. هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي، وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن، وأمر الحاجب فأخرج الناس وخلى الشعبي والحسن، فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو** إني **أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها**

على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي أن أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين إني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إليّ أن لا ترده فلا أستطيع ردّ أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة. فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت؟ قال الشعبي: فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطىء ويصيب. قال: فسّر بقولي وأعجب به ورأيت البشر في وجهه وقال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمون على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعية فلم يحطها

ورجل مأمور على الطاعة، وقد ابتليت بالرعية ولزمني حقهم، فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم من النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة) أي الجماعة من الرجال **(من أهل الديار الأمر)** الذي أكره **(أجد عليهم فيه)** لأجل ما يبلغني عنهم مما أكره، **(فأقبض طائفة)** أي جزءاً **(من عطائهم فأضعه في بيت المال)** تأديباً لهم **(ومن نيتي أن أرد عليهم)** عطاءهم، **(فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك من النحو فيكتب إلي)** أن **(لا ترده)** إليهم **(فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور)** التي تقع لي **(والنية فيها على ما ذكرت؟ قال الشعبي: فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والد)** وأنت بمنزلة ولده والوالد **(يخطىء)** على ولده **(ويصيب: قال: فسر بقولي وأعجب به، ورأيت البشر في وجهه. قال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول: إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل)** مأمون **(على الطاعة)** والانقياد لأوامره **(ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة)** بن حبيب بن عبد شمس **(القرشي)** العبشمي يكنى أبا سعيد **(صاحب رسول الله ﷺ)** أسلم يوم الفتح وغزا خراسان في زمن عثمان، وهو الذي افتتح سجستان وكابل، ورجع إلى البصرة ونزلها، وبها مات سنة خمسين وصلى عليه زياد بن أبي سفيان روى له الجماعة **(يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»)** قال العراقي: رواه البغوي في معجم

بالنصيحة حرم الله عليه الجنة » ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين إني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إليَّ أن لا ترده فلا أستطيع ردّ أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين، والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه، يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك. يا ابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله، وأن أمر الله فوق كل أمر وأنه لا طاعة في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين. فقال ابن هبيرة: اربع على ظلعك أيها الشيخ واعرض عن ذكر أمير المؤمنين، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم

الصحابة بإسناد لين، وقد اتفق عليه الشيخان بنحو من رواية الحسن بن معقل بن يسار اهـ.

قلت: وروى عبد الرزاق في المصنف، وأحمد، والطبراني، وابن عساكر من حديث معقل بن يسار بلفظ: « من استرعى رعية فلم يحطهم بنصيحة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة مائة عام » وعند الخطيب عنه بلفظ: « من استرعى رعية فغشها لقي ربه وهو عليه غضبان » وعنده أيضاً من حديث ابن سمرة بلفظ: « أيما راع استرعى رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء » ويروى أيضاً عن الحسن مرسلاً بلفظ: « من استرعاه الله رعية فمات وهو غاش لها أدخله الله النار » هكذا رواه الشيرازي في الألقاب.

(وتقول: إني ربما قبضت من عطاياهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين إني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين، والله أحق أن يطاع ولا طاعة في معصية الله عز وجل. فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه) أي ارمه. **(يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك. يا ابن هبيرة إن الله يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله، وإن أمر الله فوق كل أمر وأنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأس الله الذي لا يرده عن القوم المجرمين: فقال ابن هبيرة)** للحسن: **(اربع على ظلعك أيها الشيخ، واعرض عن ذكر أمير المؤمنين فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل، وإنما**

وصاحب الحكم وصاحب الفضل، وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته. فقال الحسن: يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد. يا ابن هبيرة إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلاً يغرك ويمنيك، فقام ابن هبيرة؛ وقد بسر وجهه وتغير لونه. قال الشعبي: فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته. فقال: إليك عني يا عامر. قال: فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا، فكان أهلاً لما أدى إليه وكنا أهلاً أن يفعل ذلك بنا. فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف. وما شهدنا مشهداً إلا برز علينا. وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم. قال عامر الشعبي: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطاناً بعد هذا المجلس فأحابيه. ودخل محمد بن

ولاه الله تعالى ولاية أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته، فقال الحسن: يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد. يا ابن هبيرة إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلاً يغرك ويمنيك، فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه. قال الشعبي: فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته. فقال: إليك عنّي يا عامر. قال: فخرجت إلى الحسن التحف والطرف) من الهدايا **(وكانت له المنزلة)** العالية **(واستخف بنا وجفينا، فكان أهلاً لما أدى إليه، وكنا أهلاً أن يفعل بنا ذلك، فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي)** الجيد **(بين المقاريف)** جمع مقرف كمحسن الذي أصوله ردية. **(وما شهدنا مشهداً إلا برز علينا)** أي ظهر. **(وقال)** ما قال **(لله عز وجل، وقلنا)** ما قلنا **(مقاربة لهم)** أي تقربا لخاطرهم. **(قال الشعبي: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطاناً بعد هذا المجلس فأحابيه)**.

وقد روى هذه القصة المزني في تهذيب الكمال في ترجمة الحسن من طريق علقمة بن مرثد قال: لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهراً أو نحوه، فجاء عمر فسلم ثم جلس معظماً لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إلي كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة. فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير قد سمعت ما قال الشعبي. قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظاً غليظاً لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك. يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن

واسع على بلال بن أبي بردة فقال له: ما تقول في القدر؟ فقال: جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم، فإن فيهم شغلاً عن القدر.

وعن الشافعي رضي الله عنه قال: حدثني عمي محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد

عبد الملك ولن يعصمك يزيد من الله. يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله عز وجل إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بنظرة مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك. يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا والله عن الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة. يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاماً خوفك الله تعالى، فقال ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد. يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد وأني لك مع يزيد على معاصي الله وكلك الله إليه. قال: فبكى عمر وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهم بإذنهما وجوائزهما فأكثر منها للحسن، وكان في جائزة الشعبي بعض إقتار فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.

(ودخل) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** تقدم ذكره **(على بلال بن أبي بردة)** بن موسى الأشعري قاضي البصرة وأميرها، روى له البخاري في الأحكام تعليقاً، وروى له الترمذي حديثاً واحداً **(فقال له: ما تقول في القدر؟ قال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم فإن فيهم شغلاً عن القدر)** وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا عبد الله بن صالح البخاري، حدثنا سليمان بن أبي شيخ، حدثنا عتبة بن المنهال البصري قال: قال بلال بن أبي بردة لمحمد بن واسع: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أيها الأمير إن الله عز وجل لا يسأل يوم القيامة عباده عن قضائه وقدره إنما يسألهم عن أعمالهم.

(وقال الإمام) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع **(الشافعي رضي الله عنه حدثني عمي محمد بن علي)** بن شافع المطلبي، روى عن ابن عم أبيه عبد الله بن علي بن السائب والزهري. وعنه سبط إبراهيم بن محمد الشافعي، والإمام محمد بن إدريس الشافعي ووثقه، ويونس ابن محمد المؤدب، روى له أبو داود والنسائي وهو المراد في الحكاية التي رواها المزني قال: سمعت الشافعي يقول: رأيت علي بن أبي طالب في النوم فسلم علي وصافحني وخلع خاتمه فجعله في اصبعي قال: وكان لي عم ففسرها لي فقال: أما مصافحتك لعلي فأمان من العذاب، وأما خلع خاتمه وجعله في أصبعك فيبلغ اسمك ما بلغ اسم علي في الشرق والغرب **(قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر)** المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الخليفة، **(وفيه ابن أبي ذؤيب)** هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحرث بن أبي ذؤيب، واسمه هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي

قال: فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن زيد، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال: فسأله، فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟ فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثيرو الأذى لهم، فقال أبو جعفر: قد سمعتم، فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد، فقال: يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد؟ فقال: أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه، فقال: قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح؟ فقال: يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك. فقال: ما تقول فيّ؟ قال: تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: أسألك بالله، ألا أخبرتني. قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك؟ قال: والله لتخبرني، قال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله، وأشهد أن الظلم ببابك فاش. قال: فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال

العامري. أبو الحرث المدني، روى عن الزهري، ونافع مولى ابن عمر وسعيد المقبري، والطبقة روى عنه آدم بن أبي إياس، وأسد بن موسى، وحجاج الأعور، وشبابة، وعبد الله بن وهب، وأبو نعيم الفضل بن دكين، ووكيع، ويحيى القطان وغيرهم. وكان يشبه سعيد بن المسيب. قال أحمد: هو ثقة صدوق. وقال الشافعي: ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث وابن أبي ذؤيب، وقال النسائي: هو ثقة. وقال الواقدي: كان من رجال الدهر صواماً وقوالاً بالحق مات بالكوفة منصرفاً من بغداد سنة ١٥٩ روى له الجماعة **(قال: وكان والي المدينة)** من قبل أبي جعفر **(الحسن بن زيد)** بن الحسن بن علي بن أبي طالب روى عن أبيه وعكرمة، وعنه مالك وزيد بن الحباب ولي المدينة وهو والد الست نفيسة رضي الله عنها توفي سنة ١٦٨. **(قال: فأتى الغفاريون)** وهم قبيلة أبي ذر الغفاري، **(فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن زيد، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال: فسأله)** عنهم **(فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟ فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس)** أي يتعمون فيها **(كثيرو الأذى لهم، فقال أبو جعفر)** للغفاريين: **(قد سمعتم)** ما قال فيكم ابن أبي ذؤيب **(فقال الغفاريون: سله عن الحسن بن زيد. فقال: يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد؟ فقال: أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه. فقال: قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح. فقال: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك. فقال: ما تقول في قال: تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: أسألك بالله إلا أخبرتني. قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك. قال: والله لتخبرني. قال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله، وأشهد أن الظلم ببابك فاش)** أي ظاهر. **(قال: فحبا أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له: أما والله لولا أني جالس**

له: أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك! قال: فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم، قال: فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي، قال: فبلغنا ان ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له: يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي، فقال: يغفر الله لك يا أبا عبدالله كلنا مهدي كلنا كان في المهد.

ههنا لأخذت فارس والروم والديلم منك بهذا المكان. قال، فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما **(فأخذا الحق وقسما بالسوية واخذا بأقصى فارس والروم وأصغرا)** أي أذلا **(آنافهم)** جمع أنف **(قال: فخلى أبو جعفر قفاه وخلا سبيله. وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي. قال: فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له: يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي. فقال: يغفر الله لك أبا عبد الله. كلنا مهدي كلنا كان في المهد)** فالياء فيه للنسبة لا أنها اصلية.

وفي التهذيب للمزني بسنده إلى أبي بكر المروزي قال: قيل لأحمد من أعلم مالك أو ابن أبي ذؤيب؟ فقال: ابن أبي ذؤيب في هذا أكبر من مالك. وابن أبي ذؤيب أصلح في بدنه، وأروع ورعاً وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين، وقد دخل ابن أبي ذؤيب على أبي جعفر فلم يهله أن قال له الحق. قال: الظلم فاش ببابك وأبو جعفر قال. وقال حماد بن خالد: ما كان ابن أبي ذؤيب ومالك في موضع عند سلطان إلا تكلم ابن أبي ذؤيب بالحق والأمر والنهي ومالك ساكت، وإنما كان يقال ابن أبي ذؤيب، وسعد بن إبراهيم أصحاب أمر ونهي، فقيل له: ما تقول في حديثه؟ قال: كان ثقة في حديثه صدوقاً رجلاً صالحاً ورعاً. وقال يعقوب بن سفيان الفارسي: ابن أبي ذؤيب قرشي ومالك يماني. وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، ومعه ابن أبي ذؤيب ومالك فدعا ابن أبي ذؤيب فاقعده معه على دار الندرة عند غروب الشمس فقال له: ما تقول في الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة؟ قال: إنه ليتحرى العدل. فقال له: ما تقول في مرتين أو ثلاثاً. فقال: ورب هذه البنية إنك جائر، فأخذ الربيع بلحيته فقال له أبو جعفر: كف عنه يا ابن اللخناء وأمر له بثلاثمائة دينار. وقال محمد بن القاسم بن خلاد، قال ابن أبي ذؤيب للمنصور: يا أمير المؤمنين قد هلك الناس فلو أعنتهم مما في يديك من الفيء قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح.

وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال: بعث إليَّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة ردّ عليّ واستجلسني ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟ قال: قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم. قال: فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول لك. قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ قال: قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به. قال: فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول

فقال ابن أبي ذؤيب: فقد سد الثغور وجيش الجيوش وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك. قال: ومن هو خير مني ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه والسيف بيد المسيب والعمود بيد مالك بن الهيثم فلم يعرض له، والتفت إلى محمد بن إبراهيم فقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز. وقال أيضاً: لما حج المهدي دخل مسجد النبي ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذؤيب، فقال المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين، فقال: ابن أبي ذؤيب: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال المهدي: دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي.

(و) روي (**عن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو**) بن أبي عمرو إمام أهل الشام في زمانه في الفقه والحديث، وكان يسكن دمشق خارج باب الغراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحوّل إلى بيروت فسكنها مرابطاً إلى أن مات بها سنة ١٥٧ من آخر خلافة أبي جعفر المنصور، وكان قد جمع العبادة والورع بالحق. (**قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل**) أي ساحل بيروت (**فأتيته فلما وصلت إليه**) وسلمت عليه بالخلافة ردّ عليَّ السلام (**واستجلسني**) أي طلب مني الجلوس، (**ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عني يا أوزاعي؟ قال: قلت وما الذي يريد أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم، فقلت: فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول لك. قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له. قال: قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به. قال: فصاح بي الربيع**) يعني حاجبه (**وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام، فقلت يا أمير المؤمنين: حدثني مكحول**) هو ابن مسلم الشامي أبو عبد الله فقيه الشام، وكانت داره بدمشق عند طرق سوق الأحد، ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام، رأى أبا أمامة الباهلي وأنساً وسمع واثلة، وغيره مات سنة ١١٣. روى له مسلم والأربعة (**عن عطية بن بشر**) المازني صحابي، وهو أخو عبد الله بن بشر، روى عنه مكحول وسليم بن عامر روى له أبو داود وابن ماجه (**قال: قال رسول الله ﷺ «أيما**

الله ﷺ : « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثماً ويزداد الله بها سخطاً عليه » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله ﷺ : « أيما وال مات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة » . يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولاّكم أموركم لقرابتكم من رسول الله ﷺ ، وقد كان بهم رؤوفاً رحيماً مؤاسياً لهم بنفسه في ذات يده محموداً عند الله وعند الناس. فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط له فيهم قائماً ولعوراتهم ساتراً لا تغلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب. تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء. يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ـ أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ـ وكل له

عبد جاءته من الله موعظة) وهي التذكير بالعواقب **(في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر)** زاده الله من تلك النعم **(وإلاَّ كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثماً ويزداد الله عليه بها سخطاً »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وفيه أحمد بن عبيد بن ناصح اهـ.

قلت: ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ، والبيهقي في الشعب، وقد وقع في نسخ الجامع الصغير للجلال السيوطي عن عطية بن قيس وهو غلط. والصواب عطية بن بشر كما ذكرنا ولم يتنبه لها الشارح.

(يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن عطية بن بشر) رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ « أيما والٍ بات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ. وروى ابن عساكر من حديث معقل بن يسار « أيما راع غش رعيته فهو في النار » .

(يا أمير المؤمنين! من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي ليَّن قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من نبيكم ﷺ ، فقد كان بهم رؤوفاً رحيماً مؤاسياً بنفسه لهم في ذات يده محموداً عند الله وعند الناس، لحقيق أن تقوم له فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط) أي العدل **(له فيهم قائماً ولعوراتهم ساتراً لا يغلق عليك دونهم الأبواب، ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس)** أي تحزن **(بما أصابهم من سوء. يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ـ أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ـ وكل له عليك نصيب من العدل**

عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه. يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروّع بها المنافقين، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعباً؟ فكيف بمن شقق أبشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه؟ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً لم يتعمده، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً. فدعا النبي ﷺ الاعرابي، فقال: «اقتص مني». فقال الاعرابي: قد

فكيف بك إذا انبعث منهم فئام) بكسر الفاء أي جماعة **(وراء فئام)** أي وراء جماعة **(ليس منهم أحد إلا يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه)**.

(يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم) اللخمي الأزدي أبو القاسم. روى عن أبي ادريس الخولاني وعدة وله مقاطيع ويرسل كثيراً، وعنه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وخلق وثق، وفي موته أقوال الصحيح أنه سنة ١٣٥. روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه **(قال: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروّع بها)** أي يخوّف **(المنافقين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعباً)** أي خوفاً. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وهو مرسل، وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين اهـ. قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ **(فكيف بمن شقق أبشارهم)** أي جلودهم **(وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغشيهم الخوف منه)**.

(يا أمير المؤمنين: حدثني مكحول عن زياد بن جارية) بالجيم التميمي الدمشقي ويقال: زيد، ويقال يزيد يقال له صحبة وثقة النسائي، روى له عن حبيب بن مسلمة، وعنه مكحول وعطية بن قيس، روى له أبو داود وابن ماجه. قال الذهبي: أنكر تأخير الجمعة إلى العصر، فأدخل الخضراء وذبح وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك **(عن حبيب بن مسلمة)** بن مالك بن وهب القرشي الفهري المكي مختلف في صحبته نزل الشام، والراجح ثبوت صحبته، لكنه كان صغيراً وله ذكر في الصحيح في حديث ابن عمرو مع معاوية. روى عن النبي ﷺ، وأبي ذر، وعنه زياد بن جارية وابن مليكة. قيل: شهد اليرموك أميراً روى له أبو داود وابن ماجه مات بأرمينية أميراً عليها لمعاوية سنة ١٤٢. **(أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص في خدشة خدش)** وفي نسخة في خدشة خدشه **(اعرابياً لم يتعمده)** أي لم يقصد خدشه عمداً **(فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال:**

أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبداً ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير. يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ: « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها ». يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك. يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] قال: الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟ يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات

« اقتص مني » فقال الاعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبداً ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ اقتص من نفسه، وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه: طعن رسول الله ﷺ في خاصرة أسيد بن حضير فقال: « أوجعتني » قال: « اقتص » الحديث قال: صحيح الاسناد اهـ. قلت: ورواه كذلك من سياق ابن أبي الدنيا البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ.

(يا أمير المؤمنين: رض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء من رواية الاوزاعي معضلاً لم يذكر إسناده، ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لقب اهـ.

قلت: وجدت بخط الحافظ السخاوي على طرة هذا الكتاب: بل الراوي شك هل قال قاب أو قيد اهـ.

ولفظ الحلية هنا لقاب، وروى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض ».

(يا أمير المؤمنين! إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك. يا أمير المؤمنين: أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك) عبد الله بن عباس: ﴿يا ويلتنا **(ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك)** هكذا أخرجه ابن مردويه، وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال: الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة القهقهة بذلك. **(فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن. يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو ماتت سخلة)** قال: تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن

ضائعة لخشيت أن أسأل عنها . فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟ يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص : ٢٦] قال الله تعالى في الزبور : يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوّتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة . يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء . يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه . يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن

والمعز ساعة تولد والجمع سخال **(على شاطىء الفرات)** بالعراق **(لخشيت أن أسال عنها)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو شعيب الحراني ، حدثنا يحي بن عبد الله البابلي ، حدثنا الاوزاعي ، حدثني داود بن علي قال: قال عمر : لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة . **(فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك)** .

(يا أمير المؤمنين: أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك) عبد الله بن عباس: **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ قال : يا داود إذا أقعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هـوى)** أي ميـل نفس **(فلا تميلن نفسك)** وفي نسخة فلا تتمنى في نفسك **(أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه)** أي يفوز ويظفر ، **(فأمحوك من)** ديوان **(نبوّتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة . يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء)** بالكسر جمع راعي **(كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا)** أي يرشدوا **(الهزيل)** أي الضعيف **(على الكلأ والماء)** .

(يا أمير المؤمنين! إنك بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه) وهي الولاية على الناس ، فإنها أمانة يقلدها الإنسان في عنقه فهو مسؤول عنها يوم القيامة .

(يا أمير المؤمنين! حدثني يزيد بن يزيد بن جابر) الازدي الشامي الدمشقي أخو عبد الرحمن بن يزيد . قال ابن معين والنسائي : ثقة وقال أبو داود : هـو من ثقات الثقات أجازه الوليد بخمسين ألف دينار وذكر للقضاء فإذا هو أكبر من القضاء ، وذكره أبن حبان في كتاب الثقات ، وكان من خيار عباد الله وهو من أمثل أصحاب مكحول . قال الهيثم بن عدي : مات في خلافة ابي العباس قال : ولا أظنه إلا قد ادرك أبا جعفر وقال خليفة وغيره : مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة . وقال ابن سعد : سنة أربع روى له مسلم حديثاً واحداً وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، **(عن عبد**

جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً. فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟ قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسناً نجا بإحسانه وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفاً» فقال له عمر رضي الله عنه: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما. فقالا: نعم سمعنا من رسول الله ﷺ. فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها. فقال أبو ذر رضي الله عنه: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض.

الرحمن بن عمرة الأنصاري) كذا في النسخ وتبعه العراقي سهواً. والصواب عن عبد الرحمن بن أبي عمرة كذا هو في نسخ الحلية وهو الأنصاري البخاري المدني القاضي واسم أبي عمرة عمرو بن محصن. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وروى له الجماعة. وقال الذهبي في الكاشف: روى عن عثمان وعبادة، وعن شريك بن أبي نمر وعبد الرحمن ابن أبي الموالي (**أن عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه (**استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟ قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «ما من والٍ يلي شيئاً من أمور الناس إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه فيوقف على جسر من النار**) يحتمل أنه أراد به الصراط، ويحتمل غيره والواقف به بعض الملائكة أو الزبانية (**ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد ليحاسب فإن كان محسناً نجا بإحسانه وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفاً»**) لأنه لما خرق حرمة من قلده الله أمره من عباده واستهان بهم وخان فيما جعل أميناً عليه ناسب أن ينخرق به الجسر والجزاء من جنس العمل وهذا وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد، (**فقال له عمر: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان**) رضي الله عنهما، (**فأرسل إليهما عمر فسألهما. فقالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ، فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها. فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء من هذا الوجه، ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن سفيان ابن الحكم عن أبي وائل: أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكره أخصر منه، وأن بشراً سمعه من النبي ﷺ ولم يذكر فيه سلمان اهـ.

قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني، ثم قلت: يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي ﷺ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها» نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى الله إليه: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا عباس ويا صفية عمة النبي ويا فاطمة بنت محمد إني لست أغني عنكم من الله شيئاً ان لي عملي ولكم عملكم»، وقد قال عمر بن

قلت: ومن الوجه الذي رواه ابن أبي الدنيا رواه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ. وأما حديث بشر بن عاصم فرواه ابن عساكر في التاريخ مرفوعاً بلفظ «أيما والٍ ولي من أمور المسلمين شيئاً وقف به على جسر جهنم فيهتز به الجسر حتى يزول كل عضو منه» وفي أمالي أبي القاسم بن بشر أن من حديث علي «أيما وال ولي أمر أمتي بعدي أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلاً نجاه الله بعدله وإن كان جائراً انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يتخرق الصراط فأوّل ما يتقى به أنفه وحرّ وجهه».

(قال فأخذ) أبو جعفر **(المنديل فوضعه في وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني، ثم قلت: يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس)** بن عبد المطلب رضي الله عنه **(النبي ﷺ إمارته على مكة والطائف أو اليمن، فقال له النبي ﷺ: «يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها»)** قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء هكذا معضلاً بغير إسناد، ورواه البيهقي من حديث جابر متصلاً، ومن رواية ابن المنكدر مرسلاً. وقال: هذا هو المحفوظ مرسل اهـ.

قلت ورواه هكذا معضلاً البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ، ورواه ابن سعد كذلك عن محمد بن المنكدر مرسلاً، وكذلك عن الضحاك بن حمزة مرسلاً، وأما المعضل فمن رواية ابن المنكدر عن جابر.

(نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى الله إليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فقال) ﷺ: **(«يا عباس ويا صفية عمة النبي ويا فاطمة ابنة محمد إني لست أغني عنكم من الله شيئاً لي عملي ولكم عملكم»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا هكذا معضلاً، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلاً دون قوله «لي عملي ولكم عملكم». اهـ.

قلت: ورواه معضلاً كذاك في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ، ورواه

الخطاب رضي الله عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم. وقال: الأمراء أربعة فأمير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده» وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً. وقد بلغني يا أمير

أحمد وابن سعد والطبراني من طريق علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: يا رسول الله علمني شيئاً ينفعني الله به. قال: «يا عباس أنت عمي وإني لا أغني عنك من الله شيئاً ولكن سل ربك العفو والعافية».

وروى البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ «يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من النار فإني لا أملك لك شيئاً. يا صفية بنت عبد المطلب يا صفية عمة رسول الله اشتري نفسك من النار ولو بشق تمرة. يا عائشة لا يرجع من عندك سائل ولو بظلف محرق».

وروى البزار من طريق سماك بن حذيفة عن أبيه رفعه قال: «يا فاطمة بنت رسول الله اعملي لله خيراً فإني لا أغني عنك من الله شيئاً يوم القيامة، يا عباس يا عم رسول الله اعمل لله خيراً فإني لا أغني عنك من الله شيئاً يوم القيامة» الحديث. وقال البزار: لا نعلم لحذيفة ابناً يقال له سماك إلا في هذا الاسناد، وروى الترمذي من حديث عائشة وقال حسن غريب بلفظ «يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا بني عبد المطلب إني لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم».

(**وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل**) أي محكمه (**أريب العقد**) أي شديده (**لا يطلع منه على عورة**) أي قبيحة (**ولا يخنو على حرة**) هكذا في النسخ وفي بعضها ولا يخف منه على حرمة وفي أخرى ولا يحنو، (**ولا تأخذه في الله لومة لائم، وقال**) أيضاً: (**الامراء أربعة: فأمير قوي ظلف**) أي منع (**نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه**) أي منعها (**وارتع عماله**) أي خلاهم يرتعون (**لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله**) تعالى، (**وأمير ظلف عماله**) أي منعهم من الرتع (**وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله ﷺ «شر الرعاء رعاء الحطمة فهو الهالك وحده». وأمير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً**) قال العراقي: هكذا رواه ابن أبي الدنيا عن الاوزاعي معضلاً. ورواه مسلم من حديث عائذ بن عمر والمزني متصلاً اهـ.

قلت: ورواه معضلاً كذلك البيهقي، وأبو نعيم، وابن عساكر. ورواه متصلاً أيضاً أحمد، وأبو عوانة، وابن حبان، والطبراني في الكبير.

المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له: يا جبريل صف لي النار فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذنوباً من شرابها صبّ في مياه الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلت، ولو أن رجلاً ادخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه، فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟» قال: أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء: يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل

(**وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار**) وفي نسخة بمنافيخ وفي نسخة العراقي بمسالح النار، (**فوضعت على النار تسعر**) أي تسجر وتقاد (**ليوم القيامة**) أي لأجله (**فقال: يا جبريل صف لي النار! فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهيبها**) كذا في النسخ وفي بعضها لا يضيء لهبها ولا جمرها، وفي أخرى ولا يطفأ جمرها ولا لهبها (**والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذنوباً**) أي دلواً (**من شرابها صب في مياه الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله**) عز وجل (**وضع على جبال الأرض لذابت وما استقلت**) أي ما احتملت، (**ولو أن رجلاً دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشوّه خلقه وعظمه» فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل لبكائه. فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم بكيت يا جبريل أنت وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه» قال: «أخاف أن أبتلي بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي. فأكون قد أمنت مكره، فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر ملائكة السماء»**) قال العراقي: رواه

محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة »، وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين. يا أمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه. فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك. ثم نهضت فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله، فقال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة. قلت: افعل إن شاء الله. قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك.

بطوله ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء هكذا معضلاً بغير اسناد اهـ. **قلت**: وكذلك البيهقي وأبو نعيم، وابن عساكر.

(وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم إن كنت تعلم، أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين. يا أمير المؤمنين: إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله تعالى التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه) فقد روى ابن لال والخرائطي من مساوىء الأخلاق من حديث عائشة « من التمس محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذاماً. **(فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت)** أي تحركت للقيام، **(فقال)** أبو جعفر: **(إلى أين؟ فقلت إلى الولد)** كذا في النسخ ولفظ الحلية إلى البار **(والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى قال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثل هذا)** وفي نسخة بمثلها **(فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة. قلت: افعل إن شاء الله تعالى. قال محمد بن مصعب)** بن صدقة القرقساي بقافين ومهملة وهو راوي هذا الحديث عن الاوزاعي، وقد روى أيضاً عن أبي بكر بن أبي مريم، وروى عنه يعقوب الدورقي والرمادي والحرث فيه ضعف مات سنة ثمان ومائتين روى له الترمذي وابن ماجه، **(فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله. وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا، وعرف)** أبو جعفر **(المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك)** وفي الحلية في ردّه.
قال العراقي: قصة الاوزاعي هذه مع المنصور وموعظته له وفيه عشرة

وعن ابن المهاجر قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجاً فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة ليصلّي بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له: أجب أمير المؤمنين فصلّى ركعتين واستلم

أحاديث مرفوعة وهي بجملتها. رواها ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح. قال ابن عدي: يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق اهـ.

قلت: وقد أورد هذه القصة بتمامها البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ كلاهما في ترجمة الاوزاعي. ولفظ الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن يزيد الحوطي فيما أرى، حدثنا محمد بن مصعب القرقساي ح.

وحدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي واللفظ له، حدثنا محمد بن محمد بن سليمان ومحمد بن مخلد قالا: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، عن محمد بن مصعب القرقساي، عن الاوزاعي قال: بعث إلى أبو جعفر أمير المؤمنين فساقها إلى آخرها كسياق المصنف حرفاً بحرف.

(وعن ابن المهاجر) هو محمد بن مهاجر بن أبي مسلم الأنصاري الشامي مولى أسماء بنت يزيد الأشهلية قال أحمد وابن معين وأبو داود: ثقة وله أحاديث كبار حسان. وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان متقناً روى عن نافع وربيعة بن يزيد وعنه أبو مسهر والوحاظي، مات سنة سبعين ومائة، روى له الجماعة إلا البخاري **(قال: قدم أمير المؤمنين)** أبو جعفر **(المنصور)** عبدالله بن محمد بن علي **(مكة حاجاً فكان يخرج من دار الندوة)** أي محل نزول الخلفاء وهو الموضع الذي كانت قريش تتشاور فيه **(إلى الطواف بالبيت في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه)** واعلموه بالوقت **(وأقيمت الصلاة ليصلي بالناس)** إماماً **(فخرج ذات ليلة حين أسحر)** أي دخل في السحر، **(فبينا هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين فصلّى ركعتين واستلم**

الركن وأقبل مع الرسول فسلّم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل، فقال له: أنت آمن على نفسك. فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت. فقال: ويحك! وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي؟ قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم، وبعثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعواناً ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين

الركن، وأقبل مع الرسول فسلّم عليه فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله) في الملتزم **(من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت)** أي ملأت **(مسامعي ما أمرضني وأقلقني)** أي أورثني المرض والقلق؟ **(فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها، وإلاّ اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل. فقال له: امنتك على نفسك)** لا تخف فيما تقوله. **(فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت)** يا أمير المؤمنين، **(فقال: وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء)** أي الذهب والفضة **(في يدي والحلو والحامض في قبضتي)** أي ملكي؟ **(قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم)** أي جعلك راعياً لهم **(فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر)** يعني الأبنية، **(وأبواباً من الحديد وحجبة)** عليها **(معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها)** أي في تلك البيوت **(عنهم، وبعثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها، واتخذت وزراء وأعواناً ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن أحسنت لم يعينوك)** فهم وزراء سوء، **(وقوّيتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف القدر ولا أحد)** من هؤلاء **(إلا ولهم في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر**

استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك، تجبى الأموال ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا؟ فائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمـراً إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفاً منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه، فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير، فما بقاء الإسلام وأهله

الذين **استخلصتهم لنفسك وآثرتهم)** أي اخترتهم **(على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك تجبى الأموال)** من مواضعها **(ولا تقسمها)** على أربابها. **(قالوا هذا قد خان الله)** في مال الله، **(فما لنا أن لا نخونه وقد سخر لنا. فائتمروا)** أي تشاوروا **(على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أرادوا، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمراً)** من الأمور **(إلا أقصوه)** أي أبعدوه **(حتى تسقط منزلته ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم)** أي خافوهم، **(وكان أوّل من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليقووا به على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة)** أي المال الكثير **(من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطـانك وأنت غافل فإن جاء متظلم)** يشكو ظلامته **(حيل بينه وبين الدخول إليك)** أي منع، **(وإن أرادوا رفع قصة إليك عند ظهورك)** للناس **(وجدوك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم)** وهو صاحب ديوان المظالم، **(فإن جاء ذلك الرجل المتظلم فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته، وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفاً منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه)** بعلل كثيرة، **(فإذا جهد وأخرج وظهرت)** أنت **(صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره)** وعبرة لمن يعتبر، **(وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغيّر فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؟ ولقد كانت بنو أمية)** قبلك،

على هذا، ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف، ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي: يا أهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف، ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه: ما لك تبكي لا بكت عيناك؟ فقال: أما أني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي، ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته. ثم قال: أما إن كان قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم. فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوماً فينصفه. هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة، إن قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء، وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبراً فيمن كان

(وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته فينصف) ويؤخذ بيده، **(ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي: يا أهل الإسلام فيبتدرونه)** ويقولون: **(ما لك ما لك؟ فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف له)** أي يأخذ له الإنصاف، **(ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين)** وهي أقصى بلاد الهند، **(وبها ملك)** كافر **(فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم)** أي ثقل سمعه **(حتى لا يسمع شيئاً فجعل يبكي فقال له وزراؤه: مالك تبكي لا بكت عيناك؟ فقال: أما إني لست أبكي على المصيبة)** يعني ذهاب السمع **(لم نزلت بي، ولكن المظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته. اما إن كان ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم فكان يركب الفيل)** الحيوان المعروف **(في طرفي النهار هل يرى مظلوماً فينصفه. هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت)** بحمد الله تعالى **(مؤمن بالله وابن عم نبي الله)** ﷺ. **(لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فإنك لا تجمع المال إلا لواحد من ثلاثة. إن قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال وما من مال إلا ودونه نفس شحيحة تحويه)** أي تضمه، **(فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي، وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبراً**

قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح. يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع بالملك الذي خوّلك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا؟ فبكى المنصور بكاء شديداً حتى نحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئاً ثم قال: كيف احتيالي فيما خوّلت فيه ولم أرَ من الناس إلا خائناً؟ قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين. قال: ومن هم؟ قال: العلماء. قال: قد فروا مني. قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك، ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حلّ وطاب واقسمه

فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة) أي المال (**والضعف حين أراد الله بكم ما أراد. وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم**) أي أعظم (**من الغاية التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح.**)

(**يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع بالملك الذي خوّلك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم، وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك، فماذا ترى إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب؟ هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه**) أي بخلت (**من ملك الدنيا**)؟ قال: (**فبكى المنصور بكاء شديداً حتى انتحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئاً، ثم قال**) له: (**كيف احتيالي فيما خولت فيه ولم أر من الناس إلا خائناً؟ قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الاعلام المرشدين. قال: من هم؟ قال: العلماء. قال: قد فروا مني. قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمّالك، ولكن افتح الباب، وسهّل الحجاب، وانتصر للمظلوم من الظالم، وامنع المظالم، وخذ الشيء**

بالحق والعدل، وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل. وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي: عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظاً شديداً، فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلّى ثم قال: يا ذا الرجل أما تتقي الله؟ قال: بلى. قال: أما تعرفه؟ قال: بلى. قال: فانطلق معي إلى الأمير فقد آلى أن يقتلني إن لم آته بك. قال: ليس لي إلى ذلك من سبيل. قال: يقتلني. قال: لا. قال: كيف؟ قال: تحسن تقرأ، قال: لا، فأخرج من مزود كان معه رقاً مكتوباً فيه شيء فقال: خذه فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج. قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا الشهداء. قلت: رحمك الله قد أحسنت إليَّ فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله؟ قال: من دعا به مساء وصباحاً هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقاً ولا يموت إلا شهيداً. تقول: «اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، وكانت وساوس

مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل) أي السوية. (**وأنا ضامن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل**). فبينما هم في هذا (**وجاء المؤذنون**) يؤذنونه بالصلاة (**فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم، ثم قال للحرسي: عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظاً شديداً، فخرج الحرسي يطلب الرجل، فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب**) من تلك الجبال المطيفة بمكة (**فقعد حتى صلّى، ثم قال: يا ذا الرجل أما تتقي الله؟ قال: بلى. قال: أما تعرفه؟ قال: بلى قال: فانطلق معي فقد آلى**) أي حلف (**أن يقتلني إن لم آته بك. قال: ليس إلى ذلك سبيل. قال: يقتلني. قال: لا. قال: كيف؟ قال: تحسن تقرأ؟ قال: لا**) أحسن القراءة (**فأخرج من مزود**) بالكسر مثل الجراب يوضع فيه الزاد (**كان معه رقاً فيه مكتوب شيئاً. فقال: خذه فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج. قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا الشهداء. قلت: رحمك الله قد أحسنت إليَّ فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله. قال: من دعا به مساء وصباحاً هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوّه وكتب عند الله صديقاً ولا يموت إلا شهيداً. تقول: اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء، وعلوت بقدرتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما**

الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك. اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً. اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً وأنك المحسن إليّ وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودّد إليّ بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فعد بفضلك وإحسانك عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم. قال: فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي همّ غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلي وتبسم ثم قال: ويلك تحسن السحر؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ، فقال: هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال: قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك الخضر عليه السلام.

فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك. إجعل لي من كل همّ أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً) وفي بعض النسخ بعد فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً. **(اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً وإنك المحسن إليَّ وإني المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودّد إليَّ بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك، فعد بفضلك وإحسانك علي انك أنت التوّاب الرحيم)** ولا بأس أن يزيد بعد ذلك وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. وقد أورده الشهاب البوني في كتابه شمس المعارف في ذكر خواص اسمه اللطيف وزاد بعده أنك قلت وقولك الحق الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز. **(قال)** الحرسي: **(فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين، فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إليَّ وتبسم ثم قال: ويلك تحسن السحر! فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ. فقال: هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال: قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم، ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك الخضر عليه السلام)**.

وقد أورد الحافظ ابن حجر في الإصابة هذه القصة في ترجمة الخضر عليه السلام مختصرة جداً وفيه: أن أبا جعفر المنصور سمع رجلاً يقول في الطواف: أشكو إليك ظهور البغي والفساد فدعاه ووعظه وبالغ ثم خرج فقال: اطلبوه فلم يجدوه فقال: ذلك الخضر.

وفي كتاب الدعاء للطبراني قصة أخرى من طريق محمد بن المهاجر الذي ساق المصنف هذه

وعن أبي عمران الجوني قال: لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مؤاخياً لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه

القصة عنه فقال: حدثنا يحي بن محمد الحمَّار، حدثنا المعلى بن حرمي، عن محمد بن المهاجر البصري، حدثني أبو عبدالله بن التوأم الرقاشي أن سليمان بن عبد الملك أخاف رجلاً وطلبه ليقتله، فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف إلى منزل ذلك الرجل يطلبونه فلم يظفر به، فجعل الرجل لا يأتي بلدة إلا قيل له كنت تطلب ههنا. فلما طال عليه الأمر عزم أن يأتي بلدة لا حكم لسليمان فيها فذكر قصة طويلة، فبينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء إذا هو برجل يصلي قال: فخفته ثم رجعت إلى نفسي فقلت: والله ما هي راحلة ولا دابة. قال: فقصدت نحوه فركع وسجد ثم التفت إليَّ فقال: لعل هذا الطاغي أخافك. قلت: أجل. قال: فما منعك من السبع؟ قلت: يرحمك الله وما السبع؟ قال: قل سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان القديم الذي لا بادىء له، سبحان الدائم الذي لا نفاد له، سبحان الذي كل يوم هو في شان، سبحان الذي يحي ويميت، سبحان الذي خلق ما نرى وما لا نرى، سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم، ثم قال: قلها. فقلتها وحفظتها، والتفت فلم أر الرجل. قال: وألقى الله في قلبي الأمن ورجعت راجعاً من طريقي أريد أهلي. فقلت: لآتين باب سليمان بن عبد الملك، فأتيت بابه فإذا هو يوم إذنه وهو يأذن للناس، فدخلت وإنه لعلى فرشه فما عدا أن رآني فاستوى على فراشه، ثم أومأ إليَّ فما زال يدنيني حتى قعدت معه على الفراش، ثم قال: سحرتني وساحر أيضاً مع ما بلغني عنك. فقلت: يا أمير المؤمنين ما أنا بساحر ولا أعرف السحر ولا سحرتك. قال: فكيف؟ فما ظننت أنه يتم ملكي إلا بقتلك. فلما رأيتك لم أستقر حتى دعوتك فأقعدتك معي على فراشي ثم قال: أصدقني أمرك فأخبرته. قال: تقول أبو سليمان الخضر والله الذي لا إله إلا هو علمكها اكتبوا له أمانة وأحسنوا جائزته واحملوه إلى أهله.

﴿ **وعن أبي عمران الجوني**) ويقال الجويني الحافظ متأخر سكن بغداد وهو ثقة وليس هو أبا عمران عبد الملك بن حبيب الجويني فإنه قديم الوفاة قبل زمان سفيان وهارون مات سنة ثمان وعشرين ومائة فليتنبه لذلك. (**قال: لما ولي هارون الرشيد الخلافة**) وذلك في سنة سبعين ومائة، وتوفي سفيان سنة إحدى وستين ومائة. ففي سياق هذه الحكاية نظر ولعلها وقعت لأبيه المهدي فإنه تولى الخلافة سنة ثمان وخمسين والثوري حي فلينظر ذلك. (**زاره العلماء فهنوه بما صار إليه وفيه وفتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية**) أي العطايا الواسعة، (**وكان قبل ذلك**) أي قبل أن يلي الخلافة (**يجالس العلماء والزهاد، وكان يظهر النسك والتعفف، وكان مؤاخياً لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً**). اعلم أن ولادة هارون في سنة تسع

فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد: يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله، واعلم أني قد واخيتك مؤاخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على أفضل المحبة والإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبواً لما أجد لك في قلبي من المحبة. واعلم يا أبا عبدالله إنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني، وإني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت إليك كتاباً شوقاً مني إليك شديداً، وقد علمت يا أبا عبدالله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل. فلما كتب

وأربعين ومائة، فكان عمره إذ مات سفيان ثلاث عشرة سنة إلا شهراً. وقوله: قديماً يدل على أن هذه المؤاخاة كانت قبل الخلافة مدة، فلا نقول إلا أنه قبل الخلافة بخمس سنين، فكيف يؤاخي سفيان وهو ابن ثمان سنين وهو محجور عليه في دار الخلافة، وسفيان ليس له اختلاف إلى دار الخلافة، بل مشرد من بلد إلى بلد خوفاً من أبيه المهدي وجده المنصور، فمن تأمل هذه التواريخ وجد الحكاية مفتعلة إلا أن يكون ذلك للمهدي أو للمنصور فيسلم، **(فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق إليه هارون ليخلو به ويحدثه)** على عادته **(فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه، فاشتدّ ذلك على هارون فكتب إليه كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه)** في الله ورسوله **(سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد، يا أخي قد علمت أن الله تعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله، واعلم أني واخيتك مؤاخاة لم أصرم منها حبلك ولم أقطع عنها ودّك)** وصرم الحبل كناية عن قطع الودّ ثم بينه بقوله: **(وإني منطو لك على أفضل المحبة والإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله)** يعني الخلافة **(لأتيتك ولو حبواً)** على الركب **(لما أجد لك في قلبي من المحبة. واعلم يا أبا عبد الله إنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه)** من أمر الخلافة إما في اخوانه فمسلم، وإما في اخوان سفيان ففيه مجازفة لأنهم من أهل الآخرة ليس لهم هم في تهنئة أمير ولا دخول في مثل هذه الأحوال فما زاره إلاّ من كان مثله في الحرص على الدنيا والتكالب، **(وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية)**. نعم فتح وأعطى ولكن لأرباب الملاهي والقيان واشتغل بحظ النفس ولذة الهوى، **(ما فرحت به نفسي وقرت به عيني)** وكان قرّة عينه في الشرب والسماع **(وإني استبطأتك)** أي انتظرت بطؤك عني، **(فلم تأتني وقد كتبت كتاباً شوقاً مني إليك شديداً، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل)** أي أسرع إلينا والتكرار

الكتاب التفتِ إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال: علي برجل من الباب، فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال: يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور، ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فألق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به، فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد. قال: فأقبلت إلى المسجد فلما رآني قام قائماً وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير. قال عباد: فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة، فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته، فسلمت فما رفع أحد إليّ رأسه وردوا السلام عليّ برؤوس الأصابع، فبقيت واقفاً فما منهم أحد يعرض عليَّ الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني إليهم فقلت: إن المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب إليه، فلما رأى الكتاب ارتعد

للتأكيد، **(فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده)** من الأصحاب والخدم **(فإذا كلهم يعرفون سفيان وخشونته فقال: علي برجل من الباب)** أي من خدمة الباب **(فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني، فقال: يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور، ثم أسأل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالق كتابي هذا إليه، وعِ بسمعك وقلبك جميع ما يقول)** أي احفظ **(فاحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به، فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها، ثم سأل عن سفيان فقيل له: هو في المسجد. قال: عباد: فأقبلت إلى المسجد فلما رآني قام قائماً. وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير. قال عباد: فوقعت الكلمة من قلبي)** موقعاً عظيماً، **(فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلاة قال: فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت، فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص)** من شدّة الخوف والخجل كأنهم **(قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد إليَّ رأسه وردّوا السلام عليَّ برؤوسهم)** وفي نسخة: برؤوس الأصابع الإشارة بالسلام بالرأس أو باليد بدعة حدثت بعد العصر الأوّل، وكيف يجوز لأصحاب سفيان أن يتركوا ردّ السلام باللسان هذا بعيد عن مثلهم، **(فبقيت واقفاً فما منهم أحد يعرض عليَّ الجلوس، وقد علاني من هيبتهم الرعدة وقد مددت عيني إليهم فقلت: إن المصلي هو سفيان)** أي عرفته بالفراسة، **(فرميت**

وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال: يأخذه بعضكم يقرؤه فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده. قال عباد: فأخذه بعضهم فحلّه كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضّه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب، فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه. فقيل له: يا أبا عبدالله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي؟ فقال: اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبقى شيء مسّه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له: ما نكتب؟ فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان. أما بعد؛ فإني قد كتبت إليك أعرفك إني قد صرمت حبلك وقطعت ودّك وقليت موضعك فإنك قد جعلتني شاهداً عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت إليّ تشهدني على نفسك. أما

بالكتاب إليه، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد عنه كأنه حية عرضت له في محرابه، فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده) وفي نسخة يقلبه بيده **(ثم دحاه)** أي رماه **(إلى من كان خلفه)** من أصحابه **(وقال: يأخذه بعضكم يقرؤه فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده. قال عباد: فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضّه)** أي كسر خاتمه **(وقرأه، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه واكتبوا للظالم في ظهر كتابه فقيل له: يا أبا عبد الله إنه خليفة)** في الأرض، **(فلو كتبت إليه في قرطاس نقي)** أي خالص عن الكتابة **(فقال: اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به)** أي ناراً، **(ولا يبقى شيء مسه الظالم عندنا فيفسد علينا ديننا، فقيل له: ما نكتب؟ فقال: اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم؛ من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري إلى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الإيمان أما بعد؛ فإني كتبت إليك اعرّفك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودّك وقليت موضعك)** أي ابغضته والمراد بالموضع توليته للخلافة، **(وأنك قد جعلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت عليه من مال بيت المسلمين فأنفقته في غير حقه وانفذته)** أي أهلكته **(في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلت وأنت ناء)** أي بعيد **(حتى كتبت إليَّ تشهدني على نفسك. اما أني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك، وسنؤدي**

إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غداً بين يدي الله تعالى . يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام ؟ أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشدّ يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جواباً وللبلاء جلباباً واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً . يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ، يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ، ويسرقون ويقطعون السارق ؟ أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟ فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى : ﴿أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ [الصافات : ٢٢] أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ،

الشهادة عليك غداً بين يدي الله تعالى . يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم . هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ، أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والايتام) ؟ وهؤلاء المذكورون هم أهل الحقوق في بيوت أموال المسلمين . **(هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشدَّ يا هارون مئزرك وأعد للمسألةجواباًوللبلاء جلباباً ، واعلم انك ستقف بين يدي الحكم العدل)** وتسأل **(فقد رزئت في نفسك)** أي أصبت **(إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً ، يا هارون قعدت على السرير ولبست الوثير)** أي اللين **(وأسبلت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم اقعدت أجنادك الظلمة دون حجابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدّون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق . أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس؟ فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكها إلا عدلك وإنصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سائق وإمام إلى النار ،**

كأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة، فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها. واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية، فاتق الله يا هارون واحفظ محمداً ﷺ في أمته وأحسن الخلافة عليهم، واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزوّد زاداً نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتاباً بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام.

قال عباد: فألقى إليّ الكتاب منشوراً غير مطوي ولا مختوم، فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت: يا أهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم: يا قوم من يشتري رجلاً هرب من الله إلى الله؟ فأقبلوا إليَّ بالدنانير والدراهم فقلت: لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية، قال: فأتيت بذلك ونزعت ما كان عليّ من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافياً راجلاً فهزأ بي من

وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المشاق) أي المتاعب، **(وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة على سيئآتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة، فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها. واعلم أني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية، فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمداً ﷺ في أمته وأحسن الخلافة عليهم. واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزوّد زاداً نفعه)** في عاقبته، **(ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإني احسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته، فإياك وإياك أن تكتب إلي كتاباً بعد هذا)** تطلب فيه اللقاء والنصح، **(فلا اجيبك عنه والسلام)**

(قال عباد: فألقى إليّ الكتاب منشوراً غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة، وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت: يا أهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم: يا قوم من يشتري رجلاً هرب من الله إلى الله فأقبلوا إلي بالدنانير والدراهم فقلت: لا حاجة لي في المال، ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية) مما تعمل بالبصرة **(قال: فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون)** وهو الحصان الرومي **(وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافياً راجلاً فهزأ**

كان على باب الخليفة. ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائماً وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل. ما لي وللدنيا ما لي وللملك يزول عني سريعاً، ثم ألقيت الكتاب إليه منشوراً كما دفع إليّ. فأقبل هارون يقرأه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشهق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره. فقال هارون: اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه، وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه. ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله. فرحم الله عبداً نظـر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غداً من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق.

وعن عبدالله بن مهران قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به، فلما جاء

بي من كان على باب الخليفة فاستؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائماً وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل ما لي وللدنيا) ما لي **(والملك يزول عن سريعاً، ثم القيت الكتاب إليه منشوراً كما دفع إلي، فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره، فقال هارون: اتركونا يا عبيد الدنيا، المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه، وأن سفيان أمة وحده)** أي لا يشبهه أحد في وصفه، **(فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله تعالى)** سنة ثلاث وتسعين ومائة، **(فرحم الله عبداً نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غداً من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى، والله ولي التوفيق)**.

(وعن عبدالله بن مهران قال: حج) هارون **(الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً، ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس)** يتفرجون **(وخرج بهلول)** المجنون هو بهلول بن عمرو الصيرفي كذا في تعجيل المنفعة للحافظ ابن حجر قال: وذكره الخطيب في رواة مالك فقال: بهلول بن عمرو بفتح العين، قلت: وفي المغني للذهبي هو بهلول بن عبيد روى عن مالك وأرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ١٩٢، **(فيمن خرج)** من النظارة **(فجلس بالكناسة والصبيان)** حوله **(يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به، فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته:**

هارون نادى بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال: لبيك يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبدالله العامري قال: رأيت النبي ﷺ منصرفاً عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وتواضعك في سفرك. هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك. قال: فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله. قال: نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف في جماله كنت في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار. قال: أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة. فقال: اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها. قال: يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال: يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك. قال: فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني قال: فأسبل هارون السجاف ومضى.

يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال: لبيك يا بهلول) لبيك يا بهلول. **(فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبدالله العامري)** تقدم ذكرهما قريباً في قصة سفيان مع المهدي **(قال: رأيت النبي ﷺ منصرفاً من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك)** رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه دون قوله: « منصرفاً من عرفة » وإنما قالوا يرمي الجمرة وهو الصواب، وقد تقدم في الباب الثاني. **(وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك. قال: فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله. قال: نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله مع الأبرار قال: احسنت يا بهلول ودفع إليه الجائزة قال: اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها. قال: يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال: يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك. قال: فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني. قال: فأسبل هارون السجاف ومضى).**

ولفظ ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ثمان وثمانين ومائة: أن الرشيد حج فيها فكانت آخر حجة حجها ثم ساق بسند له إلى محمد بن الحسن الحراني عن أحمد بن عبدالله القزويني، عن الفضل ابن الربيع قال: حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا بهلول يهذي. قلت: اسكت فهذا أمير

وعن أبي العباس الهاشمي عن صالح بن المأمون قال: دخلت على الحرث المحاسبي رحمه الله فقلت له: يا أبا عبدالله هل حاسبت نفسك؟ فقال: كان هذا مرة، قلت له فاليوم؟ قال: أكتم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسي ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها. ولقد كنت ليلة قاعداً في محرابي فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم عليّ ثم قعد بين يدي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهاداً فأي شيء عملك قال: قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد. قال: فصاح وقال: ما علمت أن أحداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته. قال الحرث: فأردت أن أزيد عليه فقلت له: أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم؟ قال: فصاح صيحة غشي عليه منها فمكث عندي يومين لا يعقل، ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فعلمت إزالة عقله، فأخرجت له ثوباً جديداً وقلت

المؤمنين فسكت، فلما حاذاه قال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبدالله العامري قال: رأيت النبي ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رث ولم يكن ثَمَّ ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ثم أنشده:

فهب أن قد ملكت الأرض طرا ... ودان لك العباد فكان ماذا
أليس غداً مصيرك جوف قبر ... ويحثو الترب هذا ثم هذا

(**وعن أبي العباس الهاشمي من ولد صالح بن المأمون**) العباسي (**قال: دخلت على الحرث**) بن أسد (**المحاسبي رحمه الله تعالى فقلت له: يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك؟ فقال: كان هذا مرة. قلت له: فاليوم؟ قال: أكاتم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله فأضن بها**) أي أبخل (**أن تسمعها نفسي، ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها، ولقد كنت ليلة**) من الليالي (**قاعداً في محرابي، فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهاداً فأي شيء عملك؟ قال: قلت كتمان المصائب**) عن الغير، (**واستجلاب الفوائد**) من السير. (**قال: فصاح وقال: ما علمت أحداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صنعته. قال الحرث: فاردت أن أزيد عليه، فقلت له: أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم، فمن أين تعرفهم؟ قال: فصاح صيحة غشي عليه**) منها، (**فمكث عندي يومين لا يعقل، ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له ثوباً جديداً وقلت: إن هذا لكفني**

له: هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك. فقال: هات الماء فاغتسل وصلى، ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له: أين تريد؟ فقال لي: قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال: يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم أستغفر الله من تقصيري فيك أما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك؟ وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب، فأقبل عليه المأمون وقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظاً فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم. قال: فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفاً في ذلك الثوب ومنادٍ ينادي: من ولي هذا فليأخذه. قال الحرث: فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله. فأقمت في مسجد بالمقابر محزوناً على الفتى فغلبتني عيناي، فإذا هو بين وصائف لم أرَ أحسن منهن وهو يقول: يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم. قلت: وما فعلوا؟ قال: الساعة يلقونك فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت: من أنتم؟ قالوا: الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للأمر والنهي وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده.

قد آثرتك به فاغتسل) وألبس هذا الثوب **(وأعد صلواتك)** التي ذهبت عليك، **(فقال: هات الماء)** فأتيته الماء **(فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له: أين تريد؟ فقال: قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المأمون)** وهو يومئذ خليفة **(فسلم عليه فقال: يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم. استغفر الله من تقصير فيك، أما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك. وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب، فأقبل عليه المأمون وقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي، فلم أجد لنفسي حظاً فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم)** يعني به الشهادة على قول الحق. **(قال: فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفاً في ذلك الثوب ومناد ينادي: من ولي هذا فليأخذه، قال الحرث: فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله)** قال: **(فأقمت في مسجد بالمقابر محزوناً على الفتى فغلبتني عيناي فإذا هو بين وصائف)** أي الجواري **(لم أر أحسن منهن وهو يقول: يا حارث أتيت والله الكاتمين، الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم قلت: وما فعلوا؟ قال: الساعة يلقونك، فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت: من أنتم؟ قالوا)**: الكاتمون أحوالهم **(حرك هذا)** الفتى **(كلامك له فلم يكن في قلبه)** مما وصفت شيء **(فخرج للأمر والنهي، وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده)**.

وعن أحمد بن إبراهيم المقري قال: كان أبو الحسين النوري رجلاً قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالقار «لطف» فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه «بلطف» فقال للملاح: إيش في هذه الدنان؟ قال: وايش عليك امض في شغلك. فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشاً إلى معرفته فقال له: أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان. قال: وايش عليك أنت والله صوفي فضولي، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه؟ فقال النوري: وهذا خمر؟ قال: نعم. قال: أحب أن تعطيني ذلك المدري فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: أعطه حتى انظر ما يصنع فلما صارت المدري في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دناً دناً حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ

(**وعن أحمد بن إبراهيم المقري قال: كان أبو الحسين**) أحمد بن محمد (**النوري**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (**رجلاً قليل الفضول**) في الكلام (**لا يسأل**) أحداً (**عما لا يعنيه**) أي لا يهمه (**ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيَّره ولو كان فيه تلفه**) أي هلاكه، (**فنزل ذات يوم إلى مشرعة**) أي مورد من موارد الدجلة (**تعرف بمشرعة الفحامين**) يتطهر للصلاة (**إذ رأى زورقاً**) أي سفينة صغيرة (**وفيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالقار**) وهو الزفت الذي تطلى به السفن: (**«لطف» فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه: «بلطف». فقال للملاح**) وهو خادم السفينة: (**إيش**) أي أي شيء (**في هذه الدنان؟ قال: وإيش عليك امض في شغلك. فلما سمع النوري من الملاح هذا القول إزداد تعطشاً**) أي شوقاً (**إلى معرفته. فقال له: أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان. قال: وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي**) تتكلم فيما لا يعنيك. (**هذا خمر للمعتضد**) بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، وهو السادس عشر من الخلفاء بويع له سنة خمس وأربعين ومائتين ومات سنة تسع وثمانين ومائتين عن سبع وأربعين سنة (**يريد أن يتمم به مجلسه. فقال النوري**) للملاح: (**وهذا خمر؟ قال: نعم. قال: أحب أن تعطيني ذلك المدري**) وهو بالكسر المجداف (**فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: اعطه المدري حتى انظر ما يصنع فلما صار المدري في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها**) أي تلك الدنان (**حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً والملاح يستغيث**) ويصيح (**إلى أن ركب صاحب الجسر**) وهو الحاكم المولى من طرف الخليفة، (**وهو يومئذ ابن بشر أفلح**) كذا في النسخ، وفي بعضها مؤنس الأفلح، وفي أخرى يونس،

ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد، وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله. قال أبو الحسين: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه، فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب. قال: ومن ولاك الحسبة؟ قلت: الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين. قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إليّ وقال: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه. قال: فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه إليّ وقال: كيف تخلّص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن؟ فقال: هات أخبرني، فقلت: يا أمير المؤمنين إني أقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبراً على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأوّل وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال. فقال المعتضد: اذهب فقد اطلقنا يدك غيِّر ما أحببت أن تغيره من المنكر. قال أبو الحسين: فقلت يا أمير المؤمنين بغض إليّ التغيير لأني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي، فقال

(فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد، وكان المعتضد) صعباً **(سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس أنه سيقتله. قال أبو الحسين)** النوري: **(فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي من حديد وبيده عمود يقلبه، فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب. قال: من ولاك الحسبة؟ قلت: الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين. قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إليَّ وقال: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه)** وفي نسخة: قد قصرت عنه **(قال: فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه إليَّ وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ قلت: في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمين إن أذن لي. قال: هات اخبرني. فقلت: يا أمير المؤمنين إني أقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد جلال الحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني، فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فعجزت)** وفي بعض النسخ: فاستشعرت **(نفسي كبراً على أني أقدمت على مثلك فمنعت، ولو أقدمت عليه بالحال الأولى وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال. فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدك)** وأذنا لك **(غيّر ما أحببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين)** النوري: **(فقلت يا أمير المؤمنين بغض التغيير إلي لأني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير شرطياً. فقال المعتضد: ما حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر**

المعتضد: ما حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجي سالماً فأمر له بذلك. وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد.

بإخراجي) من المدينة (**سالماً**) في نفسي (**فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة، فكان أكثر أيامه بها خوفاً أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد**) أي خوفاً من كثرة الشفاعات فإنه إذا فتح بابها سده عسر (**فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد**) سنة ٢٨٩، (**ثم رجع النوري إلى بغداد**) ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى.

اعلم أن مواعظ الخلفاء والملوك كثيرة قد ذكر المصنف بعضها في كتاب الحلال والحرام، كقصة سليمان بن عبد الملك مع أبي حازم حين دخل المدينة وغيرها، وقد جمع منها حافظ الدنيا أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب مستقل سماه مواعظ الخلفاء، وكذلك ابن الجوزي في كتاب سماه المصباح المضيء، ومن طالع كتاب الحلية لأبي نعيم الحافظ وجد منها شيئاً كثيراً، وقد انتخبت بعض حكايات من منهاج القاصدين لابن الجوزي.

فمنها: قال سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعالمه. اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك فإن خير القول ما صدقه الفعل، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، ولا تخف في الله لومة لائم. قال عمر: ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟ قال: من ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك.

ومنها: قال قتادة خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه الجارود، فإذا امرأة بارزة على ظهر الطريق فسلم عليها فردت عليه أو سلمت عليه فرد السلام. فقالت: هيه يا عمر أعرفك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر. فقال الجارود: هيه قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيتـه. فقال عمر: دعها أما تعرف هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سماواته، فعمر والله أحرى أن يستمع كلامها.

ومنها: دخل فتى من الأزد على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية، واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ومن الآخرة إلا قرباً وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك أن يلحقك الطالب وأنا وما نحن فيه وأنت زائل والذي صائرون إليه باق إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ومنها: قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظني. فقال: انضجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون فيك فدعه الآن.

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى إلى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فليّنها وأزال قساوتها. وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا. ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن

ومنها: وقال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج الناس بما يضرهم وما ينفعهم، وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم، فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة ولا لما كرهوا جنة، واقتسم ما أجمعوا من لم يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن محقون يا أمير المؤمنين أن ننظر إلى تلك الأحوال التي نغبطهم بها فنخلفهم فيها وإلى الأعمال التي نتخوف عليهم فيها فنكف عنها، فاتق الله وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم. ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله عز وجل: إذ رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

(**فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين**) إيثاراً لإقامة حق الله تعالى لأنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ويحوطهم من سطوتهم، (**ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة**) في سبيله ولأجله، (**فلما أخلصوا لله**) وفي بعض النسخ: فيه (**النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها**) فإن الكلام إذا خرج من القلب وقع على القلب، وكان محمد بن واسع بجنبه واعظ يعظهم فقال يوماً: مالي أراكم لا تبكون ولا تخشعون ولا تتعظون؟ فقال محمد: يا فلان أما إنهم إنما أتوا من قبلك أي لم تعظ نفسك أولاً ولم تهذبها، فكيف يؤثر كلامك فيهم؟ ولقد كانت الملوك والأمراء من قبل يعرفون حق العلم وفضله فيصبرون على بعض هؤلاء المواعظ. (**وأما الآن**) فالذي أراه الهرب منهم والحذر من الدخول عليهم، (**فقد قيدت الأطماع**) الدنيوية (**ألسن العلماء**) فأخرستها، (**فسكتوا**) وصمّت آذانهم فلم يسمعوا. (**وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم**) للمباينة بينها، (**فلم ينجحوا**) أي لم يفلحوا، (**ولو صدقوا الله وقصدوا حق العلم لأفلحوا**) وفازوا. (**ففساد الرعية بفساد الملوك**) أي اختلال أحوال الرعية بظلم الملوك وجورهم وأخذ الأموال منهم عدواناً، (**وفساد الملوك بفساد العلماء**) فإنهم إذا جاروا على الرعية لم يمنعهم عن ذلك إلا العلماء لما أخذ الله عليهم ذلك ولهيبة العلم وجلالته تذعن لقولهم الملوك ولذا قيل:

إن الأكـــابـــر يحكمـــون على الورى ۝ وعلى الأكـــابـــر تحكـــم العلماءُ

استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، **فكيف على الملوك والأكابر؟** والله المستعان على كل حال.

تم كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه:

(وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه) فما من أحد منهم إلا ويطلب لنفسه الثروة والسعة في المعيشة وكذلك يطلب الجاه عند الملوك لقضاء حاجته، **(ومن استولى عليه حب الدنيا)** من المال والجاه **(لم يقدر على الحسبة على الأراذل)** والعامة لعدم هيبته على قلوبهم، **(فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان على كل حال)** يعني أن الهروب منهم الآن أولى، وأنه إن قدر له لقاؤهم اقتنع بلطف الموعظة حسب لسببين. أحدهما: يتعلق بالمحتسب وهو سوء قصده وميله إلى الدنيا والرياء فلا يخلص له احتسابه، والثاني: يتعلق بالمحتسب له فإن حب الدنيا قد شغل الأكثرين عن ذكر الآخرة، وتعظيمهم الدنيا أنساهم تعظيم العلماء، وليس للمؤمن إن يذل نفسه. وهذا آخر الكلام في شرح كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

قال المؤلف: فرغت من تسويده في آخر ساعة من نهار الثلاثاء تاسع ذي القعدةسنة١١٩٩، وكتب الفقير أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله زلله وبلغه أمله حامد الله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر، الحمد لله مفيض المواهب على الإطلاق، مولى الرغائب بالأغداق، الذي لا خير إلا من يديه، ولا فضل إلا من لديه، أحمده سبحانه حمداً استمطر به سحاب كرمه الغيداق، وأستغفره من ذنوب أحاطت إحاطة الرباق وعمت عموم الاستغراق، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله وضع الآجال وقسم الأرزاق، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صاحب النجيب والبراق، والطرف الكحيل والخد الأسيل، والثغر البرّاق، الذي بعثه لتتميم مكارم الأخلاق، وهدى به السبيل فلا يحيد عنه غير أهل الشقاق والنفاق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وورثته وحزبه، وسلم ما تحركت الأغصان بالأوراق، وهبت الرياح بالعشي والإشراق، وبعد فهذا شرح:

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وهو العاشر من الربع الثاني من كتاب الإحياء لحجة الإسلام، مجدد دين الملك العلام، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره، وأفاض علينا بره، سلكت شعابه، ورضت صعابه، وخضت لججه، وأثبت حججه، حتى وضح السبيل، وصفا السلسبيل وراق الزلال، وامتدت الظلال، وعمرت ربوعه، وانبطت نبوعه، وبانت مساربه، وحليت مشاربه، وإلى الله أرغب في حسن التوفيق لمراضيه ومحابه، وأن يلحقني بالمنعم عليهم من صديقيه وأحبابه، إنه بكل فضل جدير، وعلى ما يشاء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **بسم الله الرحمن الرحيم** اقتداء بالقرآن واستفتاحاً باسمه الذي هو فاتحة كل عنوان واتباعاً لخبر سيد ولد عدنان ﷺ ما دارت الأزمان.

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً.

أما بعد: فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب وهي مغارس

(الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه) أي جعل كل شيء في مرتبته وهو المعبر عنه بالإحسان أشار به إلى قوله تعالى: ﴿الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ [الفرقان: ٢] أي حده بحده الذي يوجد من حسن وقبح ونفع وضر وغيرهما حسبما اقتضت حكمته، **(وأدب نبيه ﷺ)** بأن أعطاه رياضة النفس وحلاه بأحسن الأخلاق.

أخرج العسكري في الأمثال من طريق النسائي عن أبي عمارة عن علي رضي الله عنه قال: قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا: أتيناك من غوراء تهامة وذكر خطبتهم وما أجابهم النبي. قال: فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وإنك لتكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره، فقال: « إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر ». والسدي ضعيف.

هذا: وفي أدب الإملاء لأبي سعيد بن السمعاني من حديث ابن مسعود رفعه: « إن الله أدبني فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق » وسنده منقطع، وفي الدلائل لثابت السرقسطي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما رأيت أنعم منك فمن أدبك؟ قال: « أدبني ربي ونشأت في بني سعد ».

(وزكى أوصافه) الدالة على ذاته أي نماها **(وأخلاقه)** الباطنة أي طهرها بحيث صدرت عنها الأفعال الحسنة بسهولة، **(ثم اتخذه صفيه)** أي مختاره من خلقه **(وحبيبه)** وخليله **(ووفق للاقتداء به)** أي اتباع طريقته **(من أراد تهذيبه)** أي هدايته وخلوصه من الردى **(وحرم التخلق بأخلاقه)** أي منع عنه **(من أراد)** أي سبق في إرادته الأزلية **(تخييبه)** أي تخسيره وإضلاله واكتفي عن جملة الصلاة بما تقدم له في أوله من ذكره في الفقرة الثانية بقوله ﷺ.

(أما بعد: فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن) عنوان كل شيء بالضم ما يستدل به عليه ويضمر، والمعنى أن البواطن يستدل عليها بالظواهر فإن كانت جارية على وفق الاستقامة فالظواهر تتبعها، **(وحركات الجوارح)** الظاهرة **(ثمرات الخواطر)** الباطنة إن حسناً فحسناً وإن سيئاً فسيئاً **(والأعمال نتيجة الاخلاق)** فإن الخلق بالضم عبارة عن هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً

الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتحليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساوئها. ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية. ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب، ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها وإعادتها، فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلاً فصلاً محذوفة الأسانيد ليجتمع فيه من الآداب تجديد الإيمان وتأكيد بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدراً، فكيف مجموعها؟ ثم أضيف إلى

وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً أو الأفعال القبيحة سميت الأفعال خلقاً سيئاً، فالأعمال كلها إنما هي نتائج للأخلاق تختلف باختلافها، (**والآداب رشح المعارف**) أي أن الآداب في الظاهر إنما ترشح عن بحر المعارف، فإن وجدت المعارف رشحت منها رشحاً تبعث صاحبها على الكمال في الآداب (**وسرائر القلوب**) أي ما تسره القلوب وتضمره وتكنه (**هي مغارس الأفعال وينابعها**) أي هي محل ظهورها ومنشؤها، (**وأنوار**) تلك (**السرائر هي التي تشرق على الظواهر**) أي تلوح عنها أنوارها (**فتزينها وتحليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساوئها ومن لم يخشع قلبه**) بجلال الله وعظمته (**لم تخشع جوارحه**). روى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة أنه ﷺ رأى رجلاً يعبث في صلاته فقال: « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » (**ومن لم يكن صدره مشكاة للأنوار الإلهية**) والمشكاة بالكسر كوة في الحائط يوضع فيها المصباح، (**لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية، ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها** استخراجها من جميع هذه الكتب المذكورة) والآتية، (**ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد أتى على جملة من الآداب**) مفرقة في مواضع منها، (**فاستثقلت تكريرها وإعادتها**) ثانياً، (**فإن طل الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة**) أي مجافاة (**المعادات**) المكررات فالأول مصدر عاداه يعاديه معاداة وهاؤه مربوطة، والثانية: جمع سالم للمعاد وهو الذي أعيد ثانياً في الذكر وتاؤه مطوّلة وبينهما جناس، (**فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه**) الشريفة (**المأثورة عنه**) أي المنقولة (**بالإسناد**) عن فلان عن فلان (**فأسردها مجموعة فصلاً فصلاً محذوفة الإسناد**) وفي نسخة الأسانيد (**ليجتمع فيه مع الآداب تجديد الإيمان**) وتطريته (**وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع**) والجزم (**بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة**

ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشيم ومنتزعاً عن آذان الجاحدين لنبوّته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين. ولنذكر فيه أولاً بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه، ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه، ثم بيان كلامه وضحكه، ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام، ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس، ثم بيان عفوه مع القدرة، ثم بيان إغضائه عما كان يكره، ثم بيان سخاوته وجوده، ثم بيان شجاعته وبأسه، ثم بيان تواضعه، ثم بيان صورته وخلقته، ثم بيان جوامع معجزاته وآياته ﷺ.

وأجلهم قدراً) وأفضلهم مقاماً، **(فكيف مجموعها؟ ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه)** الباطنة **(ذكر خلقته)** الظاهرة **(ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار)** ودلت عليها الآثار ونقلتها الثقات من الأخيار **(ليكون ذلك معرباً)** أي مبيناً **(عن)** وفي بعض النسخ معرفاً **(مكارم الأخلاق والشيم)** جمع الشيمة بالكسر وهي الغريزة والطبيعة والجبلة وهي التي خلق الإنسان عليها **(ومنتزعاً عن آذان الجاحدين)** أي المنكرين **(لنبوته)** ﷺ **(صمام الصمم)** الصمام بالكسر ما يسد به فم القارورة ونحوها، وهو ما يجعل في فمها سداداً والصمم بطلان حاسة السمع وبينهما جناس، **(والله تعالى ولي التوفيق)** وهو الهداية والإرشاد **(للاقتداء بسيد المرسلين)** ﷺ **(في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه)** جل وعز **(دليل المتحيرين)** أي مرشدهم من حيرتهم إلى ما يخلصهم منها **(ومجيب دعوة المضطرين)** أي الملجئين إلى المشقة والهلاك، وفيه أن العبد وإن علت منزلته فهو دائم الاضطرار لأن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد إذ هو ممكن وكل ممكن مضطر إلى ممد يمده، وكما أن الحق هو الغني المطلق فالعبد مضطر إليه أبداً، ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله قوماً اضطروا إليه عند وجود أسباب ألجأتهم إلى الاضطرار، فلما زالت زال اضطرارهم.

(ولنذكر أولاً بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه) التي جبل عليها، **(ثم بيان جملة من آدابه)** الظاهرة**(وأخلاقه)** الباطنة، **(ثم بيان كلامه وضحكه، ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام، ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس، ثم بيان عفوه)** عن الجاني **(مع القدرة)** على الانتقام منه، **(ثم بيان إغضائه)** أي مسامحته **(عما كان يكره، ثم بيان سخاوته وجوده، ثم بيان شجاعته وبأسه)** في الحروب، **(ثم بيان تواضعه، ثم بيان صورته وخلقته)** الظاهرة، **(ثم بيان جوامع معجزاته وآياته)** الباهرة **(** ﷺ **)** إجمالاً وتفصيلاً.

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً ﷺ بالقرآن:

كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه: « اللهم حسن خلقي وخُلقي »

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً ﷺ بالقرآن:

اعلم أنه (**كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال**) الضراعة بالفتح اسم من التضرع والابتهال هو التضرع إلى الله تعالى، وهو إظهار الضراعة أي الذل بين يدي الله تعالى (**دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب**) الظاهرة (**ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه: « اللهم حسن خلقي وخلقي »**) الأول: يفتح فسكون، والثاني بضمتين واحد الأخلاق أي لا تقوى على تحمل أثقال الخلق والخلق بمحض العبودية والرضا بالقدر ومشاهدة الربوبية. وقال الطيبي: ويحتمل أن يراد به طلب الكمال وإتمام النعمة عليه بإكمال دينه، وفيه إشارة إلى ما سيأتي من قول عائشة: كان خلقه القرآن وأن يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة ولفظها: « اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي » وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان اهـ.

قلت: ووهم من زعم أنه أبو مسعود ولفظه: ولفظ أحمد: كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى المرآة قال: « اللهم أحسنت » الخ وفي رواية: « اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي » وفي أخرى « فأحسن خلقي » وتمسك بهذا الحديث من قال إن حسن الخلق غريزي لا مكتسب، والمختار أن أصول الأخلاق غرائز التفاوت في الثمرات وهو الذي به التكليف، وروى ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث أنس رفعه: « كان إذا نظر وجهه في المرآة قال: الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فحسنها وجعلني من المسلمين » وروى أبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس رفعه: « كان إذا نظر في المرآة قال: الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي وزان مني ما شان من غيري ».

(**و**) كان ﷺ (**يقول: « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك. وقال الترمذي اللهم إني أعوذ بك اهـ.

قلت: وقطبة بن مالك هو عم زياد بن علاقة روى عنه زياد، ولفظ الترمذي وكذا الطبراني في الكبير: « اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء » ولفظ الحاكم: « اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء » ومنكرات الأخلاق كحقد وبخل وحسد وجبن ونحوها. ومنكرات الأعمال الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب وسرقة ونحوها. ومنكرات الأهواء الزيغ والانهماك في الشهوات أي المستلذات والمستحسنات عند النفس لأنه شغل

ويقول: « اللهم جنبني منكرات الأخلاق » فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خُلُقه القرآن.

قال سعد بن هشام: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن.

عن الطاعة يؤدي إلى الأشر والبطر. ومنكرات الأدواء من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء وذات جنب. فهذه كلها نوائب الدهر فهو يقول: أعوذ بك من نوائب الدهر، وعطف العمل على الخلق، والهوى على العمل، والداء عليه وإن كان الكل على الأول من باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفعه. وقال الطيبي: والإضافة إلى المعرفتين الأوليين إضافة الصفة إلى الموصوف. قال الحكيم الترمذي: وإنما استعاذ من هذه الأربع لأن ابن آدم لا ينفك عنها في منقلبه ليلاً ولا نهاراً. ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكراً غير متعارف فيما بينهم، فذلك الذي يشار إليه بالأصابع في ذلك، ومنه يعظم الوبال وذكر هذا مع عصمته تعليم لأمته.

(فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله عز وجل ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فأنزل عليه القرآن وأدبه) وتقدم ما يتعلق بهذه الآية في كتاب الأوراد والأدعية، **(فكان خلقه القرآن)**.

(قال سعد بن هشام) بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس بن مالك، روى عن أبيه وعائشة. وعنه زرارة بن أوفى والحسن وحميد بن هلال. قال النسائي: ثقة. وذكر البخاري أنه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله، روى له البخاري حديثاً واحداً والباقون: **(دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)** أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده إلى غير ذلك. وقال القاضي: أي خلقه كان جميع ما فصل في القرآن فإن كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه، فكان القرآن بيان خلقه. وقال في الديباج: معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته. وقال السهروردي في العوارف: فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشم الراوي الحضرة الإلهية أن يقول: كان متخلّقاً بأخلاق الله تعالى فعبر الراوي عن المعنى بقوله: كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستراً للحال بلطف المقال، وذا من وفور العقل وكمال الأدب، وبذلك عرف أن كمالات خلقه لا تتناهى كما أن معاني القرآن لا تتناهى وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر اهـ.

قال العراقي: رواه مسلم ووهم الحاكم في قوله إنهما لم يخرجاه اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأبو داود.

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان: ١٧] وقوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] وقوله: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور: ٢٢]، وقوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت: ٣٤]، وقوله: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثمٌ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات: ١٢] ولما كسرت رباعيته وشج يوم أُحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول: « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم » فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨] تأديباً له على ذلك.

(وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ وقوله تعالى: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ وقوله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ وقوله تعالى: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ وقوله تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ وقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ وقوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ وقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾) وأمثال ذلك. وهي كثيرة وفي أدب الإملاء لابن السمعاني من حديث ابن مسعود رفعه: « أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ الآية ». وأخرج القشيري نحوه في التحبير.

(ولما كسرت رباعيته) وهو على وزن ثمانية السن التي بين الثنية والناب والجمع رباعيات بالتخفيف أيضاً **(وشج)** وجهه **(يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه)** ولفظ أنس: وجعل يمسح وجهه **(ويقول: « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم » فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾)** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس وذكره البخاري تعليقاً اهـ.

وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأوّل بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به، ولذلك قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده، ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى: ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ [القلم: ٤] فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه، ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف

قلت: وكذلك رواه ابن إسحاق في سيرته من طريق حميد عن أنس، ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به. وعند ابن عائذ من طريق الاوزاعي قال: بلغنا أن النبي ﷺ لما جرح يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه وقال: «لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء» ثم قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». وفي المواهب اللدنية: جرح وجهه عبد الله بن قميئة، وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد، وهو الذي كسر رباعيته. وروى ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وان ابن قميئة جرح وجنته، فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته وفي رواية: وهشموا البيضة على رأسه. وعند الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قميئة رسول الله ﷺ فشج وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال ﷺ، وهو يمسح الدم عن وجهه: «أقمأك الله» فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل يقطمه حتى قطعه قطعة قطعة. وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: ضرب وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله تعالى شرها كلها. قال في فتح الباري: وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة **(تأديباً له على ذلك)**.

(وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تنحصر، وهو ﷺ المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن فتأدب به وأدب الخلق به، ولذلك قال) ﷺ: **(«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت: رواه مالك في الموطأ بلاغاً عن النبي ﷺ بلفظ: «إنما بعثت» وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة مرفوعاً. منها ما أخرجه أحمد ني مسنده، والخرائطي في أول مكارم الأخلاق من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «صالح الأخلاق» ورجاله رجال الصحيح، وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر مرفوعاً بلفظ: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال».

(ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق) وفي بعض النسخ في حسن الخلق **(بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق)** وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً **(فلا نعيده هنا ثم لما**

إليه ذلك فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ثم بيّن رسول الله ﷺ للخلق ان الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها . قال علي رضي الله عنه: يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة . فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال: نعم وما هو خير منه لما أتي بسبايا طيء

أكمل الله خلقه أثنى عليه فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه) وأعم إحسانه، (**ثم انظر إلى عميم فضله كيف أعطى ثم أثنى، فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**) وقد أشار السهروردي إلى ذلك في العوارف فقال: وما انطوى عليه من جميل الأخلاق لم يكن باكتساب ورياضة، وإنما كان في أصل خلقته بالجود الإلهي والإمداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنواره من قلبه إلى أن وصل لأعظم غاية وأتم نهاية. (**ثم بين رسول الله ﷺ للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق**) وفي لفظ معالي الأخلاق (**ويبغض سفسافها**) وفي لفظ ويكره، وفي آخر: إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها والسفساف بالفتح ما يطير من غبار الدقيق والتراب إذا نشر، والمراد حقيرها ورديئها أي من اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه ومن تخلق بالأوصاف الردية كرهه، وقد خلق سبحانه لكل من القسمين أهلاً لما أن بني آدم تابعون للتربة التي خلقهم منها، فالتربة الطيبة نفوسها علية كريمة مطبوعة على الجود والسعة واللين والرفق لا كزازة ولا يبوسة فيها، والتربة الخبيثة نفوسها التي خلقت منها مطبوعة على الصعوبة والشح والحقد وما أشبه. وقد علم مما تقرر أن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بهاغيرهمن الحيوانات والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة، فحينئذ ترتفع همته إلى العالم الرضواني وتنساق إلى الملأ الروحاني.

قال العراقي: رواه البيهقي من حديث سهل بن سعد متصلاً ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً ورجالهما ثقات اهـ.

قلت: ولفظ معالي الأخلاق رواه الطبراني في الكبير باللفظ الأخير من حديث الحسين بن علي ابن أبي طالب، وفيه خالد بن إلياس ضعيف.

(**وقال علي**) بن أبي طالب (**رضي الله عنه: يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال: نعم، وما هو خير منه لما أتي سبايا طيء**) القبيلة المعروفة، وكان ذلك في ربيع الأول سنة تسع من الهجرة في سرية علي رضي الله عنه إلى القلس بفتح القاف وسكون اللام وهو اسم صنم لطيء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، وعند ابن سعد مائتي رجل فهدمه وغنم سبياً ونعماً وشيئاً (**وقعت جارية في**

وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي. فقال ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق» فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن

السبي) وهي سفانة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم **(فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي)** تعني به حاتم بن عدي بن الحشرج فإنه كان ساد قومه بالجودِ والسخاء والمروءة وحسن الخلق كما قالت: **(وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني)** أي الأسير **(ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط)** وأخباره في ذلك مشهورة. **(أنا ابنة حاتم الطائي، فقال)** ﷺ: «**(«يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه)** أي لأنه مات في الجاهلية قبل البعثة **(خلوا عنها)** أي لأنها كانت مربوطة بحبل خوفاً من الفرار **(فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق»)** فأطلقوها فأسلمت وكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي. وعند ابن سعد أن الذي كان سباها خالد بن الوليد. **(فقام أبو بردة)** هانىء **(بن نيار)** بكسر النون بعدها تحتيه خفيفة ابن عمرو بن عبيد بن كلاب بن غنم بن هبيرة البلوي حليف الأنصار صحابي -وهو خال البراء بن عازب، وقيل عمه شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. ويقال في اسمه الحرث بن عمرو، وقيل مالك بن هبيرة. مات سنة إحدى وأربعين وقيل بعدها روى له الجماعة. **(فقال: يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق»)** قال العراقي: الحديث المرفوع منه رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسند ضعيف اهـ.

قلت: روى القصة بطولها وفيها الحديث المذكور الخرائطي في مكارم الأخلاق قال الحافظ في الإصابة: وفي سنده من لا يعرف. وقال محمد بن إسحاق في المغازي أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم في سبايا طيء فقدم بها على رسول الله ﷺ فجعلت في حضيرة بباب المسجد فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فقال: «ومن وافدك». قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفار من الله ورسوله» ومضى حتى مر ثلاثاً. قالت: فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه. فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي منّ الله عليك. قال: «قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك فآذنيني» فسألت عن الرجل الذي أشار إلي فقيل علي بن أبي طالب وقدم ركب من بلى فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: قدم رهط من قومي. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة فخرجت

الأخلاق ». وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: « إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ». ومن ذلك حسن المعاشرة، وكرم الصنيعة، ولين الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم براً كان أو فاجراً، وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت ـ مسلماً كان أو كافراً ـ وتوقير ذي الشيبة المسلم، وإجابة الطعام، والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين النَاس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاحتيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم. قال أنس رضي الله عنه: فلم

حتى قدمت على أخي فقال: ما ترين هذا الرجل، قلت أرى أن تلحق به، قال الحافظ في الإصابة. قال ابن الأثير: كذا رواه يونس ولم يسم سفانة وسماها غيره، ورواه عبد العزيز بن أبي رواد بنحوه. وزاد: وكانت أسلمت وحسن إسلامها. وأخرجه أبو نعيم من طريقه وأخرج قصته الطبراني وسماها.

(وعن معاذ بن جبل) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: « إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال » ومن ذلك)** أي من محاسن الأعمال **(حسن المعاشرة)** مع الناس، **(وكرم الصنيعة)** أي حسنها، **(ولين الجانب)** وهو كناية عن التواضع، **(وبذل المعروف)** وهو اسم عام جامع للخير كله وبذله اعطاؤه وقيل المراد به القرض، **(وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم براً كان أو فاجراً، وتشييع جنازة المسلم)** أي المشي خلفها حتى تدفن **(وحسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان أو كافراً، وتوقير ذي الشيبة المسلم)** أي تعظيمه، **(وإجابة)** الداعي لدعوة **(الطعام والدعاء عليه والعفو)** عمن اجترأ عليه **(والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف)** وفي بعض النسخ واذهب الإسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف **(كلها)** وتقدم الكلام على المعازف في الكتاب الذي قبله واختلافهم فيها **(وكل ذي وتر وكل ذي دخل)** وهما بفتح فسكون التاء وكسر دال دخل لبني تميم وفتحها لأهل الحجاز وفيه خلاف أوردته في شرحي على القاموس، **(والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاحتيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم)** قال العراقي: الحديث بطوله لم اقف له على أصل ويغني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث.

يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشاً ـ أو قال عيباً، أو قال شيناً ـ إلا حذرناه ونهانا عنه. ويكفي من ذلك كله هذه الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية. وقال معاذ: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح، وأنهاك أن تسب حكيماً أو تكذّب صادقاً أو تطيع آثماً أو تعصي إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية». فهكذا

(قال أنس) بن مالك **(رضي الله عنه: فلم يدع)** ﷺ **(نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها، ولم يدع غماً أو قال عيباً ولاشيناً إلا حذرناه ونهانا عنه، ويكفي من ذلك كله هذه الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية)** قال العراقي: لم أقف له على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع اهـ.

قلت: والذي يظهر لي من سياق المصنف أن الحديث المتقدم هو من رواية أنس عن معاذ فتأمل. وأخرج ابن النجار في تاريخه من طريق الحرث العطلي عن أبيه قال: مر علي بن أبي طالب بقوم يتحدثون فقال: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر المروءة فقال: أوما كفاكم الله عز وجل ذاك في كتابه إذ يقول: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ فالعدل الإنصاف والإحسان التفضل فما بقي بعد هذا. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحبونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها.

(وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه: **(أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيماً أو تكذب صادقاً أو تطيع آثماً أو تعصي إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية»)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد وتقدم في آداب الصحبة اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو بكر بن أبي عاصم، ثنا يعقوب بن حميد، ثنا إبراهيم بن عيينة، عن إسماعيل بن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ انطلق وارحل راحلتك ثم

أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار:

فقال: كان ﷺ أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف النـاس. لم تمس

ائتني أبعثك إلى اليمن، فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن رسول الله ﷺ، فأخذ بيدي ثم مضى معي فقال: يا معاذ إني أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلماً أو تكذب صادقاً أو تصدق كاذباً، أو تعصي إماماً عادلاً. يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر واحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية».

رواه ابن عمر نحوه أخبرناه الحسن بن منصور الحمصي في كتابه، ثنا الحسن بن معروف، ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، ثنا أبي عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما أراد النبي ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن ركب معاذ ورسول الله ﷺ يمشي إلى جانبه يوصيه فقال: «يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق أوصيك بتقوى الله» وذكر نحوه. وزاد: «وعد المريض واسرع في حوائج الأرامل والضعفاء وجالس الفقراء والمساكين وانصف الناس من نفسك وقل الحق ولا تخف في الله لومة لائم».

قلت: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريـق ركـن، عـن عبـد الله الدمشقـي، عـن مكحول الشامي عن معاذ فذكره بطوله مع زيادة قال: والمتهم به ركن. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال النسائي، والدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. قلت: والذي ساقه أبو نعيم ليس فيه ركن. (**فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب**.

بيان جملة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار:

(**فقال: كان ﷺ أحلم الناس**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عبد الرحمن بن إبزي: «كان رسول الله ﷺ من أحلم الناس» الحديث وهو مرسل، وروى أبو حاتم وابن حبان من حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن سعنة من أحبار اليهود، وقول زيد لعمر بن الخطاب: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فقد اختبرهما الحديث اهـ.

قلت: روى هذه القصة أيضـاً الطبراني، والحاكم، وابـن حبـان، والبيهقـي، وأبـو الشيـخ في

الأخلاق كلهم من الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عن عبد الله بن سلام قال: قال زيد بن سعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمراً إلى أجل فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع ثوبه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل؟ فقال عمر: أي عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربتك بسيفي رأسك ورسول الله ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي. اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته ففعل، فقلت: يا عمر كل علامات النبوة كنت قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما فذكرهما، ثم قال: أشهدك. إني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، ورجال الإسناد موثقون، وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ومداره على محمد بن السري الراوي له عن الوليد، وثقة ابن معين ولينه أبو حاتم. وقال ابن عدي: محمد كثير الغلط. قال الحافظ في الإصابة: وقد وجدت لقصته شاهداً من وجه آخر لكن لم يسم فيه. قال ابن سعد: حدثنا يزيد، ثنا جرير بن حازم، حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهودياً قال: فما كان بقي من نعت محمد في التوراة إلا رأيته إلا الحلم فذكر القصة. وقال الواسطي لما سئل لأي شيء كان رسول الله ﷺ أحلم الخلق؟ قال لأنه خلق روحه أولاً فوقع له صحة التمكين والإستقرار.

(و) كان ﷺ (أشجع الناس) قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: ولفظها: «كان ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس» والاقتصار على هذه الثلاثة من جوامع الكلم فإنها أمهات الأخلاق إذ لا يخلو كل إنسان من ثلاثة قوى الغضبية وكمالها الشجاعة، والشهوية وكمالها الجود، والعقلية وكمالها النطق بالحكمة.

(و) كان ﷺ (أعدل الناس) قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته ﷺ لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، وفيه: قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: وفي هذا الحديث قبل جملة لا يقصر معتدل الأمر غير مختلف، والمعنى أن جميع أقواله وأفعاله على غاية الاستواء والاعتدال، وهي مع ذلك محفوظة عن أن يصدر منه فيها أمور متخالفة المحامل متناقضة الاواخر والأوائل، وقوله: لا يقصر عن الحق من التقصير والقصور أي في سائر أحواله حتى يستوفيه لصاحبه، وإن علم منه شحاً فيه ولا يعطى فيه رخصة ولا تهاوناً ولا يجاوزه أي فلا يأخذ أكثر منه، وهذا شأن العدل، ومنهم من فسر الجملتين بقوله: أي لا إفراط فيه ولا

يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى

تفريط فيه، وهذا هو معنى العدل إذ هو الأمر المتوسط بينهما. ومعنى أعدل الناس أي أكثرهم عدلاً.

(و) كان ﷺ (**أعف الناس**) أي أكثرهم عفة وهي بالكسر حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة ولذلك قال: (**لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه**). قال العراقي: رواه الشيخان من حديث عائشة «ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا يد امرأة يملكها» اهـ.

قلت: أخرجه البخاري عن محمود بن غيلان، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري عن عائشة. وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق بلفظ قال معمر: فأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال: «ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها». وأخرجه البخاري تعليقاً ومسلم والنسائي وابن ماجه من طريق يونس بن يزيد عن الزهري، وفيه قالت عائشة: «ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام» قالت عائشة: «ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلاَّ بما أمره الله عز وجل وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً» هذا لفظ مسلم. وأخرجه مسلم وأبو داود من طريق مالك عن الزهري «ما مس رسول الله ﷺ بيده امرأة قط إلا أن يأخذ عليها فإذا أخذ عليها فأعطته قال اذهبي فقد بايعتك». والمفهوم من الأخبار انه ﷺ لم تمس يده قط يد امرأة غير زوجاته وما ملكت يمينه لا في مبايعة ولا في غيرها، وإذا هو لم يفعل ذلك مع عصمته وانتفاء الريبة في حقه فغيره أولى بذلك، والظاهر أنه كان يمتنع من ذلك لتحريمه عليه، فإنه لم يعد جوازه من خصائصه. وقد قال الفقهاء من أصحاب الشافعي وغيرهم: أنه يحرم مس الأجنبية ولو في غير عورتها كالوجه وإن اختلفوا في جواز النظر حيث لا شهوة ولا خوف فتنة، فتحريم المس آكد من تحريم النظر، ومحل التحريم ما إذا لم تدع إلى ذلك ضرورة وإلا فقد أجازوه، ودخل فيما لا يملكه المحارم، وذلك على سبيل التورع، وليس ذلك ممتنعاً في حقه ﷺ وإن اقتضت عبارة النووي في الروضة امتناعه حيث قال: ويحرم مس كل ما جاز النظر إليه من المحارم، وحكى الأسنوي في المهمات الجواز وإليه يشير قول المصنف أو تكون ذات محرم منه، والذي ذكره الرافعي وغيره أنه لا يجوز للرجل مس بطن أمه ولا ظهرها ولا أن يغمز ساقها ولا رجلها ولا أن يقبل وجهها وقد يكون لفظ الحديث من العموم المخصوص أو يدعي دخول المحارم فيما لا يملك مسه لأن المراد يملكه الاستمتاع به وهو بعيد.

(و) كان ﷺ (**أسخى الناس**) أي أكثرهم سخاء. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس «فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة» الحديث ورجاله ثقات. وقال صاحب الميزان: أنه منكر وفي الصحيحين من حديثه «كان ﷺ أجود الناس» واتفقا عليه من حديث ابن عباس وقد تقدم في الزكاة اهـ.

الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاجَ إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله، لا يسأل شيئاً إلا

قلت: حديث أنس تقدم قريباً وفي حديث آخر سنده ضعيف «أنا أجود بني آدم» وهو بلا ريب أجودهم مطلقاً كما أنه أكملهم في سائر الأوصاف ولأن جوده لله تعالى في إظهار دينه، بل كان بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم، وكان جوده ﷺ كله لله تعالى وفي ابتغاء مرضاته.

(لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط فإن فضل) أي بقي شيء **(ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل)** أي أتاه فجأة **(لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فدك لرسول الله ﷺ أربع قلائص، وكانت عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفى دينه ورسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده وفيه قال: فضل شيء؟ قلت: نعم ديناران. قال: أنظر أن تريحني منهما فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما، فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني، حتى إذا كان في آخر النهار جاءه راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذ صلّى العتمة دعاني قلت: ما فعل الذي قبلك؟ فقال: قد أراحك الله منه فكبّر وحمد الله شفقة من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم اتبعه حتى جاء أزواجه. الحديث.

وللبخاري من حديث عقبة بن الحرث ذكرت وأنا في الصلاة تبراً فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته. ولابن عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلاً. كان لا يقيل مال عنده ولا يبيته.

(ولم يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويوضع باقي ذلك في سبيل الله) قال العراقي: متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب، وقد تقدم في الزكاة اهـ.

ولا تعارض بينه وبين ما روي عنه أنه ﷺ كان لا يدخر قوت غد» رواه أبو داود والترمذي فإن معناه لنفسه وإما لعياله، فقد كان يدخر لهم قوت سنة على أنه مع ذلك كان تنوبه أشياء يخرج منها ما ادخر لهم، فلا تنافي بين ادخاره ومضى الزمن الطويل عليه وليس عنده شيء له ولا لهم، ويشير إلى ذلك سياق المصنف فيما بعد حيث قال.

(ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه) قال العراقي: رواه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد وللبخاري من حديثه أن الرجل الذي سأله الشملة فقال له القوم سألته إياها وقد علمت انه

أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن،

لا يرد سائلاً الحديث. ولمسلم من حديث أنس «ما سئل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه» وفي الصحيحين من حديث جابر «ما سئل شيئاً قط فقال لا» اهـ.

قلت: ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ «لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت» ولله در القائل حيث يقول يمدحه ﷺ:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعمُ

وروى أحمد من حديث ابن أسيد الساعدي كان لا يمنع شيئاً يسأله. وكان ﷺ يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي عطاء تعجز عنه الملوك. كما سيأتي للمصنف تفصيله. ومن ذلك مما لم يذكره جاءته امرأة يوم حنين أنشدته شعراً تذكره أيام رضاعه في هوازن فردّ عليهم ما قيمته خمسمائة ألف ألف. قال ابن دحية: وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله.

(**ثم يعود على قوت عامه**) الذي ادخره لعياله (**فيؤثر منه**) على نفسه وعياله (**حتى لربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم ياته شيء**) قال العراقي: هذا معلوم ويدل عليه ما رواه الترمذي، وابن ماجه، والنسائي من حديث ابن عباس «أنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله». وقال ابن ماجه: بثلاثين صاعاً من شعير وإسناده جيد. وللبخاري من حديث عائشة «توفي ودرعه مرهونة عند يهودي» اهـ.

قلت: هذا اليهودي هو أبو الشحم والجمع بين الروايتين أنه أخذ منه أوّلاً عشرين ثم عشرة ثم رهنه إياها على الجميع، فمن روى العشرين لم يحفظ العشرة الأخرى، ومن روى الثلاثين حفظها على أن روايتها أصح وأشهر. فكانت أولى بالاعتبار. وهذا يدل على غاية تواضعه ﷺ. إذ لو سأل مياسير أصحابه في رهن درعه لرهنوها على أكثر من ذلك، فإذا ترك سؤالهم وسأل يهودياً ولم يبال بأن منصبه الشريف يأبى أن يسأل مثل يهودي في ذلك، فدل على غاية تواضعه وعدم نظره لحقوق مرتبته، وفيه دليل على ضيق عيشه ﷺ، لكن عن اختيار لا عن اضطرار لأن الله تعالى فتح عليه في أواخر عمره من الأموال ما لا يحصى، وأخرجها كلها في سبيل الله وصبر هو وأهل بيته على مر الفقر والضيق والحاجة التامة.

(**وكان**) ﷺ (**يخصف النعل**) أي يصلحها بترقيع وخرز، (**ويرقع الثوب**) أي يضع لما وهى منه رقعة أخرى يخيطها به، (**ويخدم في مهنة أهله**) المهنة بالكسر وأنكرها الأصمعي وقال: الكلام بالفتح يقال: هو في مهنة أهله أي في خدمتهم، وخرج في ثياب مهنته أي في ثياب خدمته التي يلبسها في أشغاله وتصرفاته. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة «كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته» ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو الشيخ بلفظ «ويرقع الثوب». وللبخاري من حديث عائشة كان يكون في مهنة أهله اهـ.

وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها، ويأكلها ولا يأكل الصدقة،

قلت: وروى الترمذي في الشمائل كان يفلي ثوبه أي يلقط ما فيه من القمل ونحوه، وظاهر ذلك أن نحو القمل كان يؤذي بدنه الشريف إلا أن يقال لا يلزم من التفلية وجوده بالفعل. ونقل ابن سبع أنه لم يكن القمل يؤذيه تعظيماً له. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة «كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه».

(ويقطع اللحم معهن) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً فأمسكت وقطع رسول الله ﷺ، أو قالت فأمسكه رسول الله ﷺ وقطعنا. وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حز له رسول الله ﷺ من سواد بطنها.

(وكان) ﷺ **(من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد)** قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها» اهـ.

قلت: ورواه كذلك الترمذي في الشمائل، والعذراء: البكر لأن عذرتها وهي جلدة بكارتها باقية. والخدر بالكسر ستر يجعل لها في جنب البيت تكون فيه وحدها حتى عن النساء وهي فيه أشد حياء منها خارجه إذ الخلوة مظنة وقوع الفعل بها، فعلم أن المراد الحالة التي تعتريها عند دخول أحد عليها فيه لا التي تكون عليها حين انفرادها أو اجتماعها بمثلها فيه، وفيه شأن عظيم في حيائه ﷺ وأن الحياء من الأوصاف المحمودة المطلوبة المرغب فيها، وقد جمع له ﷺ الغريزي والمكتسب الذي هو مناط التكليف، فكان في الغريزي أشد حياء من البكر في خدرها، ومن ذلك ما روي أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد.

(و) كان ﷺ **(يجيب دعوة العبد والحر)** قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس «كان يجيب دعوة المملوك» قال الحاكم: صحيح الإسناد.

قلت: بل ضعيفه، وللدارقطني في غرائب مالك، والخطيب في أسماء رواة مالك من حديث أبي هريرة «كان يجيب دعوة العبد إلى أي طعام دعي، ويقول: لو دعيت إلى كراع لأجبت» وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر. وهذه القطعة الأخيرة عند البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم، وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل اهـ.

(و) كان ﷺ **(يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها)** قال العراقي: روى البخاري من حديث عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»

ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وينفذ الحق وإن

وأما ذكر جرعة اللبن وفخذ الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدح من اللبن إلى النبي ﷺ وهو واقف بعرفة فشربه، ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله ﷺ اهـ.

قلت: والذي رواه البخاري من جهة قبول الهدية والإثابة عليها رواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي في السنن، وفي الشمائل ومعنى يثيب عليها أي يجازي عليها فيسن التأسي به ﷺ، ولكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها وندب الإثابة حيث لم يظن المهدى إليه أن المهدي إنما أهدى له حياء لا في مقابل، فأما إذا ظن أن الباعث عليه إنما هو الإثابة فلا يجوز له إلا أن أثابه بقدر ما في ظنه مما تدل عليه قرائن حاله، وقد تقدم البحث في ذلك في باب هدايا الامراء.

(و) كان ﷺ (**يأكلها**) أي الهدية (**ولا يأكل الصدقة**) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وقد نقدم وروراه أحمد والطبراني من حديث سلمان، وورواه ابن سعد من حديث عائشة.

(و) كان ﷺ (**لا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين**) هكذا في النسخ، وفي نسخة العراقي: لا يستكبر أن يمشي مع المسكين. وقال: رواه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح، وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصحبة، وورواه الحاكم أيضاً من حديث أبي سعيد، وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ولفظ النسائي «كان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين» وبهذا يظهر أن الذي في سياق المصنف من ذكر الأمة تحريف من النساخ، والصواب الأرملة، ثم وجدت في البخاري أن كانت الأمة لتأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وعند أحمد فتنطلق به في حاجتها، وعنده أيضاً كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت.

(و) كان ﷺ (**يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه**) قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة وفيه: وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: ومعناه لا تغضبه العوارض المتعلقة بها الناشئة عن غلبة الهوى والنفس واستيلاء الشيطان على القلب بتزيين زخارفها الزائلة الفانية عنده، حتى يؤثرها على الكمالات الباقية، وكيف تغضبه وهو ما كان خلق لها أي للتمتع بلذاتها وشهواتها. وقوله: لم يقم لغضبه أي لم يقاومه شيء لأنه إنما يغضب للحق وهو لا قدرة للباطل على مقاومته، وقوله: لا ينتصر لها أي لأنه ليس فيه حظ من حظوظها وشهواتها، وإنما تمحضت حظوظه وأغراضه وارادته لله فهو قائم بها ممتثل لما أمره به فيها.

عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه. عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: أنا لا أنتصر بمشرك، ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوّون به، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع. يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم

(وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه) أشار به إلى قصة أبي جندل بن سهل بن عمرو وهي عند البخاري في قصة الحديبية، وذكرها في الشروط مطوّلة كذا وجد بخط الحافظ ابن حجر في طرة كتاب شيخه وقد أغفله العراقي **(عرض عليه)** ﷺ **(الانتصار بالمشركين على المشركين، وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: إنّا لا ننتصر بمشرك)** وفي نسخة إنا لا ننتصر بالمشركين أو قال بمشرك. قال العراقي: رواه مسلم من حديث عائشة خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان تذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت لأنفعك وأصيب معك قال له: تؤمن بالله ورسوله؟ فقال: لا. قال: فارجع فلن نستعين بمشرك الحديث اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بلفظ « إنا لا نستعين بمشرك » ورواه أحمد أيضاً والبخاري في التاريخ من حديث خبيب بن سياف بلفظ « إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ». وروى البيهقي من حديث أبي حميد الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أُحد حتى جاوز ثنية الوداع إذا كتيبة خشناء قال: « من هؤلاء »؟ قال: عبد الله بن أبيّ في ستمائة من مواليه بني قينقاع. قال « وقد أسلموا »؟ قالوا: لا. قال: « فليرجعوا إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ».

(ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف) أي لم يجر **(عليهم ولا زاد على مر الحق)** أي لم يتجاوز عن الحق الذي هو مر **(بل وداه)** أي القتيل من عنده **(بمائة ناقة، وأن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوّون به)** قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج، والرجل الذي وجده مقتولاً هو عبد الله بن سهل الأنصاري.

(وكان) ﷺ **(يعصب الحجر على بطنه من الجوع)** قال العراقي متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق، وفيه: فإذا رسول الله ﷺ قد شدَّ على بطنه حجراً. وأغرب ابن حبان فقال في صحيحه: إنما هو الحجزة بضم الحاء وآخره زاي جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك. ويرد عليه ما رواه الترمذي من حديث أبي طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين ورجاله كلهم ثقات اهـ.

حلال وإن وجد تمراً دون خبز أكله ، وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير

قلت : وقد استشكل بما في الصحيحين أنه ﷺ قال « لا تواصلوا » . قالوا : إنك تواصل . قال : « إني لست كأحدكم إني أطعم وأسقى » وفي رواية « يطعمني ربي ويسقيني » وبهذا تمسك ابن حبان في حكمه ببطلان الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان يجوع ويشد الحجر على بطنه من الجوع . قال : وإنما هو الحجز بالزاي وهو طرف الإزار . وما يغني الحجر عن الجوع ويجاب بأن هذا خاص بالمواصلة ، فكان إذا واصل يعطى قوة المطاعم والمشارب ، أو يطعم ويسقى حقيقة على الخلاف في ذلك ، وأما في غير حالة المواصلة فلم يرد فيه ذلك ، فوجب الجمع بين الأحاديث بحمل الأحاديث الناصة على جوعه على غير حالة المواصلة .

وروى ابن أبي الدنيا أصاب النبي ﷺ جوع يوماً فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ، ثم قال : « ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة » الحديث . وفي الصحيح من حديث جابر « إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية فقالوا للنبي ﷺ : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً الحديث وقد رواه أيضاً أحمد والنسائي فقد علم بما تقرر أن الصواب صحة الأحاديث ، وقد ردّ الضياء المقدسي قول ابن حبان المتقدم في رسالة عدّ فيها أوهاه ، وعد ذلك من جلتها ، وحكمة شد الحجر أنه يسكن بعض ألم الجوع لأن البطن إذا خلا ضعف صاحبه عن القيام بتقوس ظهره ، فاحتيج لربط الحجر لشده وإقامة صلبه ، ومما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ أنه مع تألمه بالجوع ليضاعف له الأجر حفظ قوّته ونضارة جسمه حتى أنه من رآه لا يظن به جوعاً . بل كان جسمه الشريف مع ذلك يرى أشد نضارة ورونقاً من أجسام المترفهين بنعيم الدنيا .

(يأكل ما حضر) يه (ولا يرد ما وجد) وفي كتاب الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقري من رواية الأوزاء قال : قال رسول الله ﷺ « ما أبالي ما رددت به » عنى الجوع وهذا معضل قاله العراقي .

قلت : وقد رواه ابن المبارك في الزهد ، عن الاوزاعي كذلك .

(ولا يتورّع من مطعم حلال) ففي الترمذي من حديث أم هانىء قالت : دخل عليَّ النبي ﷺ فقال : « أعندك شيء » قلت : لا إلا خبز يابس وخل ، فقال : « هاتي » الحديث . ولمسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا : ما عندنا إلا خل فدعا به . الحديث .

(وإن وجد تمراً دون خبز أكله) روى مسلم والترمذي من حديث أنس قال : رأيته مقعياً يأكل تمراً . وروى أبو داود من حديث أنس قال : « كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه يخرج السوس منه » .

(وإن وجد شواء أكله) روى الترمذي في السنن وصححه . وكذا في الشمائل من حديث أم سلمة أنها خرجت إليه جنباً مشوياً فأكل منه . الحديث .

أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله، لا يأكل متكئاً ولا على خوان، منديله باطن قدميه، لم يشبع من

(وإن وجد خبز بر أو شعير أكله) وروى الشيخان من حديث عائشة « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله » لفظ مسلم وفي رواية له « ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين » وللطبراني في الكبير من حديث ابن عباس « كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير » وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث ابن عباس « كان أكثر خبزهم الشعير » وروى الترمذي في الشمائل « كان يدعى إلى خبز الشعير والاهالة السنخة ».

(وان وجد حلواً أو عسلاً أكله) وروى الشيخان والأربعة من حديث عائشة « كان يحب الحلواء والعسل والحلواء يمد ويقصر كل ما فيه حلاوة فالعسل تخصيص بعد تعميم ». وقال الخطابي الحلواء يختص بما دخلته الصنعة. وقال ابن سيده: هي ما عولج من الطعام بحلو وقد تطلق على الفاكهة. وقال الثعالبي في فقه اللغة: إن حلواءه ﷺ التي كان يحبها هي المجيع وهي تمر يعجن بلبن. وقال الخطابي: لم تكن محبته ﷺ للحلواء على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزع النفس، وإنما كان ينال منها إذا حضرت نيلاً صالحاً فيعلم بذلك انها تعجبه.

(وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به) وروى الشيخان من حديث ابن عباس « أن النبي ﷺ شرب لبناً فدعا بماء فمضمض ».

(وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله) روى الحاكم من حديث أنس قال: « كان يأكل الرطب ويلقي النوى في الطبق » وروى النسائي من حديث عائشة قالت: « كان يأكل الرطب بالبطيخ » وإسناده صحيح ولفظ الترمذي « كان يأكل البطيخ بالرطب » وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر وزاد أبو داود والبيهقي في حديث عائشة، ويقول: « يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا » وروى الطبراني في الأوسط والحاكم وأبو نعيم في الطب من حديث أنس قال « كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة إليه ».

(لا يأكل متكئاً) تقدم في الباب الأوّل من كتاب آداب الأكل، وروى أحمد من حديث ابن عمر « وكان لا يأكل متكئاً ولا يطأ عقبه رجلان » **(ولا يأكل على خوان)** تقدم أيضاً في الباب المذكور وهو بالكسر ويضم المائدة عليها طعام معرب يعتاد بعض المترفهين والمتكبرين الأكل عليه احترازاً عن خفض رؤوسهم فالأكل عليه بدعة لكنها جائزة.

(منديله باطن قدمه) قال العراقي: لا أعرفه من فعله، وإنما المعروف فيه ما رواه ابن ماجه من حديث جابر: كنا زمن رسول الله ﷺ قليلاً ما نجد الطعام، فإذا وجدناه لم تكن لنا مناديل

خبز بر ثلاثة أيام متوالية، حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً يجيب الوليمة ويعود المرضى، ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس، أشد الناس

إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (**لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله عز وجل**) رواه الشيخان من حديث عائشة « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله » وقد تقدم قريباً. (**إيثاراً**) منه للغير (**على نفسه لا فقراً وبخلاً**) لأن الله تعالى فتح عليه في أواخر عمره من الأموال ما لا يحصى. وأخرجها كلها في سبيل الله وصبر هو وأهل بيته على الفقر والضيق والحاجة التامة. (**يجيب الوليمة**) وهي طعام العرس وتقدم قوله « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أن كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب وإسناده ضعيف وقد تقدم قريباً. (**ويعود المرضى**) حتى لقد عاد غلاماً يهودياً كان يخدمه وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الإسلام فاسلم الأول وقصته في البخاري، وروى أبو داود من حديث عائشة كان يعود المريض وهو معتكف، (**ويشهد الجنائز**) روى الترمذي وابن ماجه وضعفه والحاكم وصححه من حديث أنس قال: كان يعود المريض ويشهد الجنائز، ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف وقال: صحيح الإسناد. وفي الصحيحين وغيرهما عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز. منها: حديث جابر عندهما قال: مرضت فأتاني النبي ﷺ يعودني، وأبو بكر رضي الله عنه وهما ماشيان. الحديث، وقد أخرجه الشيخ أبو داود.

(**ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس**) قال العراقي: رواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة « كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رأسه من القبة فقال: انصرفوا فقد عصمني الله ». قال الترمذي: غريب. وقال الحاكم صحيح الإسناد (**أشد الناس تواضعاً**) اعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع وهو التذلل والتخشع إلا إذا أدام تجلي نور الشهود في قلبه لأنه حينئذ يذيب النفس ويصفيها عن غش الكبر والعجب فتلين وتطمئن للحق والحق يمحو آثارها ويسكن وهجها ونسيان حقها والذهول عن النظر إلى قدرها، ولما كان الحظ الأوفر من ذلك لنبينا ﷺ كان أشد الناس تواضعاً وحسبك شاهداً على ذلك أن الله سبحانه خيره بين أن يكون ملكاً نبياً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً، ومن ثم لم يأكل متكئاً بعد، وقال: « آكل كما يأكل العبد حتى فارق الدنيا » ولم يقل لشيء فعله أنس خادمه أف قط وما ضرب أحداً من عبيده وإمائه وهذا أمر لا يتسع له الطبع البشري لولا التأييد الإلهي.

قال العراقي: روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته ﷺ متواضع في غير ذلة وسنده ضعيف، وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه. منها: عند النسائي من حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين. الحديث وقد تقدم اهـ.

تواضعاً وأسكنهم في غير كبر، وأبلغهم في غير تطويل، وأحسنهم بشراً، لا يهوله شيء

قلت: ومنها ما روي عن عائشة ما كان أحسن خلقاً منه ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال « لبيك » وكان يركب الحمار ويردف خلفه. وفي مختصر السيرة للطبري أنه كان ركب حماراً عرياً إلى قباء، ومعه أبو هريرة فقال: أحملك. فقال: ماشئت يا رسول الله، فقال اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك به ﷺ فوقعا جميعاً، ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعاً، ثم ركب فقال له مثل ذلك فقال: لا والذي بعثك بالحق ما رميتك ثالثاً، وإنه كان في سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال رجل عليّ ذبحها، وقال آخر عليّ سلخها، وقال آخر عليّ طبخها. فقال ﷺ « علي جمع الحطب » فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل. فقال « قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره ان أتميز عليكم وإن الله تعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه » اهـ.

وروى ابن عساكر القصة الأخيرة مختصرة، وروى أيضاً أنه ﷺ كان في الطواف فانقطع شسع نعله فقال بعض أصحابه: ناولني أصلحه لك. فقال: « هذه اثرة ولا أحب الأثرة » وفي الشفاء انه ﷺ خدم وفد النجاشي فقال له أصحابه: نكفيك. فقال: انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب ان أكافئهم » فكل هذه الأخبار دالة على شدة تواضعه ﷺ.

(وأسكنهم) أي أكثرهم سكوناً (في غير كبر) قال العراقي: روى أبو داود، وابن ماجه من حديث البراء، فجلس وجلسنا كأن على رؤوسنا الطير ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، وفي الشمائل للترمذي أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، وفي الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك من حديث أبي سعيد الخدري دائب الإطراق وسنده ضعيف أي دائم السكون، وقوله: كأنما على رؤوسهم الطير كناية عن كونهم عند كلامه ﷺ على غاية تامة من السكوت والإطراق وعدم الحركة والالتفات، أو عن كونهم مهابين مدهوشين في هيئته أن كلامه عليه أبهة الوحي وجلالة الرسالة، وأصل ذلك أن سليمان عليه السلام كان إذا أمر الطير بأن تظلل أصحابه غضوا أبصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة أو عن كونهم متلذذين بكلامه، وأصل ذلك أن الغراب يقع على رأس البعير يلقط عنه صغار القردان فيسكن سكون راحة ولذة ولا يحرك رأسه خوفاً من طيرانه عنه، وهذه الحالة لهم إنما هي من تخلقهم بأخلاقه ﷺ إذ كان ﷺ لكمال استغراقه بالمشاهدة في سكون دائم وإطراق ملازم.

(وأبلغهم) أي أكثرهم بلاغة في الكلام (من غير تطويل) قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه البخاري ووصله مسلم زاد الترمذي: ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه. وله في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير.

(وأحسنهم بشراً) قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب:

من أمور الدنيا، ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانياً ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس، وخاتمه فضة، يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر، يردف خلفه

« كان ﷺ دائم البشر سهل الخلق ». الحديث. وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء: « ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ: » وقال: غريب. قلت: وفيه ابن لهيعة.

(**لا يهوله شيء من أمور الدنيا**) يقال: هاله الشيء إذا راعه وأعجبه. قال العراقي: روى أحمد من حديث عائشة: « ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا دو تقى » وفي لفظ له: « ما أعجب النبي ﷺ ولا أعجبه شيء من الدنيا إلا أن يكون منها ذو تقى » وفيه ابن لهيعة.

(**ويلبس ما وجد**) من غير قيد (**فمرة**) يلبس (**شملة، ومرة برد حبرة يمانية، ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس**) قال العراقي: روى البخاري من حديث سهل بن سعد: جاءت امرأة ببردة. قال سهل: « هل تدرون ما البردة؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها، وفيه فخرج علينا وأنها لإزاره ». الحديث. ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ صلّى في شملة قد عقد عليها » فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه، وللشيخين من حديث أنس: « كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبسها الحبرة » ولهما من حديث المغيرة وعليه جبة من صوف ضيقة الكمين.

(**وخاتمه فضة**) متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتماً من فضة (**يلبسه في خنصره الأيمن**) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس: « أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة في يمينه » وللبخاري من حديثه فإني لأرى بريقه في خنصره ولان التختم فيه نوع تشريف وزينة واليمين بهما أولى وأحق، وبه قال أبو حنيفة والشافعي (**و**) تارة في خنصره (**الأيسر**) لبيان الجواز. روى مسلم وأحمد عن أنس: « كان خاتمه ﷺ في هذه » وأشار لخنصر يساره. ورواه أبو داود من حديث عمر: « كان ﷺ يتختم في يساره » وهو مذهب مالك ورواية عن أحمد، وقد انتصر بعضهم لافضلية التختم في اليسار حتى قال بعض الحفاظ: التختم بها مروي عن عامة الصحابة والتابعين. والجواب: إن حديث التختم في اليمين رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي: قال محمد يعني البخاري هذا أصح شيء عن النبي ﷺ في هذا الباب، وإذا كان حديثه أصح، وكان هو الموافق للمعروف من حاله ﷺ أنه كان يؤثر اليمين بكل ما فيه تكريم وزينة فلا محيد عن اعتماد أفضلية التختم في اليمين.

(**يردف خلفه عبده**) أردف ﷺ أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس، ومن حديث أسامة، وأردفه مرة أخرى على حمار، وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس، ومن حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه (**أو غيره**) أردف الفضل بن

عبده أو غيره، يركب ما أمكنه مرة فرساً ومرة بعيراً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشي راجلاً حافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل

عباس من المزدلفة، وهو في الصحيحين أيضاً من حديث أسامة، ومن حديث ابن عباس، والفضل بن عباس، وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة قاله العراقي، وروى أبو داود وغيره أن قيس بن سعد صحبه راكباً حمار أبيه فقال له: اركب فأبى، فقال له: اما أن تركب واما أن تنصرف، وفي رواية اركب أمامي، فصاحب الدابة أولى بمقدمها. وتقدم ركوب أبي هريرة خلفه على حمار عري وهو متوجه إلى قباء عن السيرة الطبرية قريباً.

(**يركب ما أمكنه مرة فرساً**) روى الشيخان من حديث أنس ركوبه ﷺ فرساً لأبي طلحة ولمسلم من حديث سمرة ركوبه الفرس عرياً حين انصرف من جنازة ابن الدحداح، ولمسلم من حديث سهل بن سعد كان للنبي ﷺ فرس يقال لها اللخيف، (**ومرة بعيراً**) روى الشيخان من حديث البراء ومن حديث ابن عباس: «طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير» (**ومرة بغلة شهباء**) روى الشيخان من حديث البراء: «رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء يوم حنين» (**ومرة حماراً**) روى الشيخان من حديث أسامة: «أنه ﷺ ركب على حمارٍ أكاف». الحديث، (**ومرة راجلاً**) أي ماشياً على الرجل وروى الشيخان من حديث ابن عمر: «كان يأتي قباء راكباً وماشياً» (**ومرة حافياً**) أي بلا نعل، (**ومرة بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة**) روى مسلم من حديث ابن عمر في عيادته ﷺ لسعد بن عبادة فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في السباخ، (**يحب الطيب**) وفي نسخة زيادة: والرائحة الطيبة، (**ويكره الرائحة الرديئة**) وفي نسخة الروائح الرديئة.

اعلم أنه ﷺ كان طيب الرائحة دائماً وإن لم يمس طيباً، ومن ثم قال أنس: ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، وروى أبو يعلى والبزار بسند صحيح: «أنه ﷺ كان إذا مر من طريق وجد منه رائحة المسك» وقال: «مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق، ومع ذلك كان يحب الطيب والروائح الطيبة». روى النسائي والطبراني والخطيب من حديث أنس: «حبب إليّ النساء والطيب» ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، وروى أبو داود والحاكم من حديث عائشة: «أنها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف فلبسها فلما عرف وجد ريح الصوف فخلعها وكان تعجبه الريح الطيبة» لفظ الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولابن عدي من حديث عائشة: «كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة».

(**ويجالس الفقراء**) روى أبو داود من حديث أبي سعيد جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين أن بعضهم ليستتر ببعض من العري وفيه «فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه

في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، لا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر إليه ، يمزح ولا يقول إلا حقاً ،

فينا » الحديث . ولابن ماجه من حديث خباب : « وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا » الحديث في نزول قوله تعالى : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ [الأنعام : ٥٢] الآية وإسنادهما حسن ، **(ويؤاكل المساكين)** روى البخاري من حديث أبي هريرة قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها ، فإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، **(ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم)** روى الترمذي في الشمائل من حديث علي الطويل في صفته ﷺ ، وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، وفيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم .الحديث . وللطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فالقى إلي كساء ثم أقبل على أصحابه ثم قال : « إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه » ورواه الحاكم من حديث معبد بن خالد الأنصاري نحوه وقال : صحيح الإسناد .

(ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم) روى الحاكم من حديث ابن عباس : « كان يجل العباس إجلال الوالد والوالدة » وله من حديث سعد بن أبي وقاص : « أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علياً فقال : ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله عز وجل أخرجكم وأسكنه » . قال في الأول صحيح الإسناد وسكت في الثاني ، وفيه مسلم الملائي وهو ضعيف . قال العراقي : فآثر علياً لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدراً والله أعلم .

قلت : ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه : في مسند أحمد ما يدل على أن إبقاء باب علي لكونه لم يكن له باب غيره اهـ .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد : « لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر » .

(لا يجفو على أحد) روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس : « قلما يواجه رجلاً بشيء يكرهه » وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلاً استأذن عليه وسلم فقال : « بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول » .الحديث . **(ويقبل معذرة المعتذر إليه)** متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه : « طفق المخلفون يعتذرون إليه فقبل منهم علانيتهم » .الحديث **(يمزح)** أحياناً **(ولا يقول إلا حقاً)** رواه أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند الترمذي بلفظ قالوا : إنك تداعبنا . قال : « إني لا أقول إلا حقاً » وقال : حسن قاله العراقي .

اعلم أنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق حتى يظن كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه ، وهذا ميدان ليس فيه إلا واجب أو

يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات

مستحب، ولو لم يكن من مباسطته لهم إلا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك وتألفهم حتى يزول ما عندهم من هيبته فيقدرون على الاجتماع به والأخذ عنه. كان ذلك هو الغاية العظمى في الكمال. والحاصل أن المداعبة لا تنافي الكمال بل هي من توابعه ومتماته إذا كانت جارية على القانون الشرعي بأن يكون على وفق الصدق والحق. ويقصد تألف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور والرفق عليهم والمنهي عنه من المزاح إنما هو الإفراط فيه والدوام عليه لأنه يورث كثرة الضحك وقسوة القلب والإعراض عن ذكر الله تعالى، وعن التفكر في مهمات الدين، بل ربما يؤول كثيراً إلى إيذاء وحقد وسقوط المهابة والوقار ومزاحه ﷺ من جميع هذه الأمور يقع منه على جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسته بعض أصحابه فهو بهذا القصد سنة وما قال بعضهم إلا ظهر أنه مباح لا غير فضعيف إذ الأصل في أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسي به فيها إلا الدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين هذا. وقد ألقى الله سبحانه عليه المهابة ولم يؤثر فيه مزاحه ولا مداعبته، فقد قام رجل بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال: «هوّن عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة» فنطق الرجل بحاجته.

وروى مسلم من حديث عمرو بن العاص صحبت رسول الله ﷺ ما ملأت عيني منه قط حياء وتعظيماً له ولو قيل لي صفه لما قدرت فإذا كان هذا حاله وهو من أجلاء أصحابه فما ظنك بغيرهم ومن ثم لولا مزيد تألفه ومباسطته لهم لما قدر أحد منهم أن يجتمع به هيبة وخوفاً منه سيما عقب ما كان يتجلى عليه من مواهب القرب وعوائد الفضل، لكن كان لا يخرج إليهم بعد ركعتي الفجر إلا بعد الكلام مع عائشة أو الاضطجاع بالأرض، إذ لو خرج إليهم على حالته التي تجلى بها من القرب في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك مما يكل اللسان عن وصف بعضه لما استطاع بشر أن يلقاه، فكان يتحدث معها أو يضطجع بالأرض ليستأنس بجنسه أو بجنس أصل خلقه وهي الأرض ثم يخرج إليهم بحالة يقدرون على مشاهدتها رفقاً بهم ورحمة لهم.

(ويضحك من غير قهقهة) روى الشيخان من حديث عائشة: «ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهواته إنما كان يتبسم» وللترمذي من حديث عبد الله بن الحرث ابن جزء «ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً» وقال: صحيح غريب ولفظه في الشمائل: لا يضحك إلا تبسماً وله في الشمائل أيضاً من حديث هند بن أبي هالة «جل ضحكه التبسم» وقوله إلا تبسماً جعله من الضحك مجاز إذ هو مبدؤه فهو كجعل السنة من النوم، ومعنى قوله: فتبسم ضاحكاً من قولها أي شارعاً في الضحك إذ هو انبساط الوجه، حتى تظهر الأسنان من السرور، ثم إن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة، وإلا فالضحك وإن كان بلا صوت فهو التبسم.

عليه فيصبر، وكان له لقاح وغنم يتقوّت هو وأهله من ألبانها، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بدّ

وروى الترمذي في الشمائل من حديث أبي ذر في حديث ساقه وفيه: « ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه » قيل المراد منه المبالغة في كونه ضحك فوق ما كان يصدر عنه، وفيه دليل على أن الضحك في مواطن التعجب لا يكره ولا يخرم المروءة إذا لم يجاوز الحد المعتاد ولا ينافي هذا ما مر من حديث عائشة لأنها إنما نفت رؤيتها. وأبو ذر أخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافي، والحاصل من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في أغلب أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك. والمكروه من ذلك الإكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يذهب الوقار.

(يرى اللعب المباح فلا ينكره) روى الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم: « دونكم يا بني أرفدة » وقد تقدم في كتاب السماع. **(ويسابق أهله)** رواه أبو داود والنسائي في الكبر وابن ماجه من حديث عائشة في الباب الثالث من كتاب النكاح، **(ترفع الأصوات عليه)** هكذا في النسخ، وعند العراقي عنده **(فيصبر)** قال العراقي: روى البخاري من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١] اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن المنذر وابن مردويه، وروى البخاري وابن المنذر أيضاً، والطبراني عن ابن أبي مليكة. قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب من بني تميم فساقه. وأخرجه الترمذي من هذا الطريق قال: وحدثني عبد الله بن الزبير به وأخرجه ابن جرير مثله.

(وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها) روى محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات من حديث أم سلمة: « كان عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبن ـ أو قالت أكثر عيشنا ـ كانت لرسول الله ﷺ بالغابة ». الحديث وفي رواية له: « كانت لنا اعنز سبع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الجمد ومرة أحد أو يروح بهن علينا، وكانت لرسول الله ﷺ لقاح بذي الجدر فيثوب إلينا ألبانها بالليل ». الحديث وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع: « كانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد ». الحديث. ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة: « لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد فإن ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة » الحديث.

(وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس) روى محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت: « كان خدم النبي ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد

له منه من صلاح نفسه، يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً، قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر، وفي رعاية الغنم يتيماً لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة

أعتقهن كلهن» وإسناده ضعيف. وروي أيضاً أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله ﷺ فذكر بركة أم أيمن، وزيد بن حارثة، وأبا كبشة، وآنسة، وشقران، وسفينة وثوبان، ورباحاً ويساراً وأبا رافع وأبا مويهبة ورافعاً اعتقهم كلهم وفضالة ومدعماً وكركرة. وروى أبو بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف: «كان ﷺ يأكل مع خادمه» ولمسلم من حديث أبي اليسر «أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون». الحديث.

(لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه لصلاح نفسه) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي: «كان إذا آوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة». الحديث.

(يخرج إلى بساتين أصحابه) تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خروجه ﷺ إلى بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

(لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً) روى البخاري من حديث سهل بن سعد: «مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح».الحديث. وفيه: «فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا حري أن خطب إن لا ينكح». الحديث. وفيه: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» ولمسلم من حديث أنس: «أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل».

(قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي) منسوب إلى بطن الأم (لا يكتب ولا يقرأ) تقدم الكلام فيه في كتاب العلم. (نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيماً لا أب له ولا أم) إذ كانا قد توفيا من قبل أن يكبر، (فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه الفوز والنجاة في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول) هذا كله معروف معلوم، فروى الترمذي في الشمائل من حديث علي في صفته: «وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه».الحديث . وفيه فسألته عن سيرته في جلساته فقال: «كان دائم البشر

والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول. وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يا رب العالمين.

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه:

مما رواه أبو البختري قالوا: ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا

سهل الخلق لين الجانب». الحديث وفيه: «كان لا يخزن لسانه إلا فيما يعنيه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من المراء والإكثار وما لا يعنيه». الحديث وقد تقدم بعضه. وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت: ٤٨] الآية قال: كان نبي الله ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وقد تقدم في العلم وللبخاري من حديث ابن عباس: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٤٠] ولأحمد وابن حبان من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جعفراً قال للنجاشي: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث. ولأحمد من حديث أبيّ بن كعب: إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، فإذا كلام فوق رأسي. الحديث. وللبخاري من حديث أبي هريرة كنت أرعاها أي الغنم على قراريط لأهل مكة، ولأبي يعلى وابن حبان من حديث حليمة إنما كنا نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيماً.

تتمة:

قال الحليمي في شعب الإيمان من تعظيمه ﷺ أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيراً، ومن ثم أنكر بعضهم إطلاق الزهد في حقه، ولقد قيل لمحمد بن واسع: فلان زاهد. فقال: وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها. ونقل السبكي عن الشفاء، وأقره أن فقهاء الأندلس أفتوا بقتل من استخف بحقه ﷺ، فسماه أثناء مناظرته باليتيم، وزعم أن زهده لم يكن قصداً ولو قدر على الطيبات لأكلها. وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء أنه ﷺ لم يكن فقيراً من المال قط ولا حاله حال فقير، بل كان أغنى الناس بالله تعالى قد كفى أمر دنياه في نفسه وعياله، وكان يقول في قوله: «اللهم أحيني مسكيناً» المراد به استكانة القلب لا المسكنة الشرعية، وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك. **(وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين)** أي استجب **(رب العالمين)**.

بيان جملة أخرى من أخلاقه:

الزكية وشمائله السنية **(وآدابه)** المرضية. **(مما رواه أبو البختري)** سعيد بن فيروز الطائي مولاهم. قال ابن معين: ثبت، وقال أبو زرعة وأبو حاتم وابن معين أيضاً ثقة. زاد أبو حاتم صدوق. قال ابن معين: لم يسمع من علي شيئاً. وقال أبو داود: لم يسمع من أبي سعيد، وقال هلال

جعل لها كفارة ورحمة، وما لعن امرأة قط ولا خادماً بلعنة، وقيل له وهو في القتال: لو لعنتهم يا رسول الله فقال: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً » وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له، وما ضرب بيده أحداً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك. وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا

ابن خباب: كان من أفاضل أهل الكوفة. قال أبو نعيم مات في الجماجم سنة ثلاث وثمانين روى له الجماعة **(قالوا: ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة)** وفي نسخة العراقي إلا جعلها الله. وقال: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأي المؤمنين شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة. وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك له كفارة يوم القيامة.

(وما لعن امرأة قط ولا خادماً بلعنة) قال العراقي: المعروف ما ضرب مكان لعن كما هو متفق عليه من حديث عائشة، وللبخاري من حديث أنس: « لم يكن فحاشاً ولا لعاناً » وسيأتي الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى، **(وقيل له وهو في القتال: لو لعنتهم يا رسول الله؟ قال: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً »)** رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وروى البخاري في التاريخ بلفظ: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً. **(وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له)** روى الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت فادع عليها، فقيل: هلكت دوس. فقال: « اللهم اهدِ دوساً وأتِ بهم » ولما أذاه المشركون يوم أحد وكسروا رباعيته وشجوا وجهه وشق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعيت عليهم؟ فقال: « إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة اللهم اغفر لقومي أو أهد قومي فإنهم لا يعلمون ».

(وما ضرب بيده أحداً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله) رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي: « ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد ولا ضرب خادماً ولا امرأة وما رأيته منتصراً من مظلمة ظلمها ما لم تنتهك محارم الله ». وفي المتفق عليه من حديث عائشة نحو ذلك. وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة. وروى الحاكم: « ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر أي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسأل مأثماً ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى فيكون لله فينتقم ».

(وما خُيِّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك). أي إما بأن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الأخف أو

قام معه في حاجته. وقال أنس رضي الله عنه: والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه «لم فعلته؟» ولا لامني نساؤه إلا قال: «دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر» قالوا: وما عاب رسول الله ﷺ مضجعاً، إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له

في قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد، وإما بأن يخيره المنافقون أو الكفار فعلى هذا قوله إلا أن يكون فيه اثم الخ. رواه البخاري والترمذي في الشمائل والطبراني من حديث عائشة، ولفظ البخاري: «ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه» ولفظ الترمذي: «مأثماً» ولفظ الطبراني: «ما لم يكن لله فيه سخط».

(وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته) روى البخاري تعليقاً من حديث أنس: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، ووصله ابن ماجه وقال: وما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت من المدينة في حاجتها. وقد تقدم قريباً. وتقدم أيضاً حديث ابن أبـي أوفى: ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي لهما حاجتهما.

(وقال أنس) خادمه رضي الله عنه **(والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله إلا قال: «دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر»)** روى الشيخان من حديثه: ما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته، وروى أبو الشيخ في كتاب الأخلاق من حديث له قال فيه، ولا أمرني فتوانيت فيه فعاتبني عليه فإن عاتبني أحد من أهله قال: «دعوه فلو قدر شيء كان» وفي رواية له: كذا قضى.

(قالوا: وما عاب رسول الله ﷺ مضجعاً أن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، والمعروف ما عاب طعاماً ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب: «ليس بفظ» إلى أن قال: «ولا عياب» رواه الترمذي في الشمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة. وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس: «ما عاب عليَّ شيئاً قط». وفي الصحيحين من حديث ابن عمر اضطجاعه على حصير، وللترمذي وصححه من حديث ابن مسعود: «نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه». الحديث اهـ.

قلت: وقد رواه الطبراني عنه بأبسط من ذلك وهو أنه دخل عليه في غرفة كأنها بيت حمام. أي لشدة حرها وهو نائم على حصير أثر في جنبه فبكى فقال: ما يبكيك يا عبد الله؟ قال يا رسول الله كسرى وقيصر ينامون على الديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير، وقد أثر بجنبك! فقال: فلا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة. وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه ﷺ نظير ذلك، لكن بزيادة لم يكن عليه غير إزار وأنه كان مضطجعاً على خصفة وأن بعضه لعلى التراب.

اضطجع على الأرض، وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأوّل فقال: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام، يأتزر على وسطه هو ومن معه رعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه. وكذلك نعته في الإنجيل.

(وقد وصفه الله تعالى في التوراة) الذي أنزل على موسى عليه السلام **(قبل أن يبعثه)** بمدة طويلة **(في السطر الأول فقال: محمد رسول الله عبدي المختار)** أي اخترته من بين عبادي **(لا فظ ولا غليظ ولا صخاب)** من الصخب بالصاد والسين والخاء محركة هو الضجر واضطراب الأصوات للخصام **(في الأسواق)** أي لأنه ليس مما ينافس في الدنيا وجمعها حتى يحضر الأسواق لذلك. فذكرها إنما هو لكونها محل ارتفاع الأصوات لذلك لا لإثبات الصخب في غيرها أو لأنه إذا انتفى فيها انتفى في غيرها بالأولى، والمراد بالمبالغة هنا أصل الفعل.

(ولا يجزي بالسيئة السيئة) ولما كان ذلك موهماً أنه ترك الجزاء عجزاً فاستدركه بقوله: **(ولكن يعفو)** أي بباطنه **(ويصفح)** يعرض بظاهرة امتثالاً لقوله تعالى ﴿فاعف عنهم واصفح إنّ الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣] **(مولده بمكة وهجرته بطابة)** وهو من أسماء المدينة المنوّرة **(وملكه بالشام)** المراد به الإقليم **(يأتزر على وسطه)** أي يستعمل الإزار كما هو من عادة العرب **(هو ومن معه)** من أصحابه، **(رعاة للقرآن والعلم)** أي حملة لهما وحفظة يرعونهما حق الرعاية بالفهم والحفظ والعمل بما فيه، **(يتوضأ على أطرافه)** أي يغسل أطرافه عند الوضوء.

أخرج البيهقي في الدلائل من حديث فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل « والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزاً للأميين أنت عندي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر » الحديث. وفي لفظ له « ولا صخاب في الأسواق » وفيه « ولكن يعفو ويصفح » رواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح. ورواه البيهقي نحو ذلك من حديث عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار وفيه « ولكن يعفو ويغفر ويتجاوز ».

ومن طريق محمد بن ثابت بن شرحبيل عن أم الدرداء أنها سألت كعباً عن صفته ﷺ في التوراة فقال: « نجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق » الحديث. ورواه من طريق المسيب عن نافع عن كعب قال الله عز وجل لمحمد ﷺ عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. وأخرجه البيهقي من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سنان عن بعض عمومته وآبائه أنه كانت

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ، وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه ثم شدّ قبضته عليها، وكان لا يقوم ولا

عندهم ورقة يتوارثونها عن الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وفيها لامة تأتي في آخر الزمان يبلون أطرافهم ويتزرون على أوساطهم. الحديث.

(**وكذلك نعته في الإنجيل**) من جهة بعثته ومهاجرته وما خصه الله من أوصافه. أخرج البيهقي في الدلائل من طريق العيزار بن حريث عن عائشة قالت «إن رسول الله ﷺ مكتوب في الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح» وقد ذكر ذلك صاحب الشفاء وغيره وأوسع شراحه الكلام فيه، وروى الترمذي في الشمائل من حديث عائشة «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح».

(**وكان من خلقه**) ﷺ (**أن يبدأ من لقيه بالسلام**) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام، وكذلك روى الطبراني والبيهقي. وفي لفظ. «ويبتدر» بدل «يبدأ».

(**ومن قاومه**) وفي بعض النسخ فاوضه (**لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف**) رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوّة من حديث علي، ولابن ماجه من حديث أنس «كان إذا لقي الرجل فكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف» ورواه الترمذي نحوه، وقال: غريب.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أنس بلفظ «كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه».

(**وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ**) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس الذي قبله: «كان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع» وقال غريب قاله العراقي.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ «وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها ثم لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها منه».

(**وكان**) ﷺ (**إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشابكه ثم شدّ قبضته**) ووى أبو داود من حديث أبي ذر: «وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه؟ قال: ما لقيته قط إلا صافحني». الحديث وفيه: الرجل الذي من عنزة ولم يسم. وسماه البيهقي في الأدب عبد الله، ورويناه في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة

يجلس إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال: «ألك حاجة؟» فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته، وكان أكثر جلوسه أن

قال: «شبك بيدي أبو القاسم ﷺ» وهو عند مسلم بلفظ «أخذ رسول الله ﷺ بيدي، قاله العراقي.

قلت: وقد وقع لنا مسلسلاً بالمشابكة من طريق أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز المكي «وشبك بيدي».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن طالب «وشبك بيدي» قال: حدثنا أبو عمر عبد العزيز بن الحسن ابن بكر بن عبد الله بن الشرود الصغاني «وشبك بيده» قال: شبك بيدي أبي، وقال: أبي شبك بيدي أبي، وقال: شبك بيدي ابراهيم بن أبي يحيى قال: شبك بيدي صفوان بن سليم قال: شبك بيدي أيوب بن خالد قال:شبك بيدي عبد الله بن رافع قال: شبك بيدي أبو هريرة قال: شبك بيدي أبو القاسم ﷺ وقال: خلق الله سبحانه وتعالى الأرض يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الأثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة.

وقد روي عن عبد العزيز بن الحسن بن بكر جماعة على المتابعة محمد بن أحمد بن سعيد الفامي، ومحمد بن إبراهيم بن زوزان الحارثي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن إبراهيم بن فيل الأنطاكي، ومحمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة البغدادي، ومحمد بن محمد مهدي القشيري، وأحمد بن علي بن الحسن المقري، وخيثمة بن سليمان الاطرابلسي. وآخرون. ورواه كذلك عن بكر بن عبدالله بن الشرود أيوب بن سالم، وعن إبراهيم بن أبي يحيى محمد بن همام. وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم كما أشار إليه العراقي رواه من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريح، عن إسماعيل بن ابراقية، عن أيوب بن خالد. وقول المصنف بدأه بالمصافحة أي بعد السلام لما روى الطبراني في الكبير من حديث جندب «كان إذا لقي أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم» وقوله: ثم شد قبضته. قال بعض الشيوخ: أراد بذلك زيادة المحبة وتأكيدها، وقد وقع لنا كذلك مسلسلاً في بعض طرق المصافحة.

(**وكان**) ﷺ (**لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى**) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته وقال علي: ذكر بالتكبير، ويفهم من عموم حديث «كان يذكر الله على كل أحيانه». (**وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلاَّ خفف صلاته وأقبل عليه فقال: «ألك حاجة»؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: ولكن روى أحمد في مسنده عن رجل من الصحابة قال: كان مما يقول للخادم «ألك حاجة» وهذا يدلّ إذا جاءه الخادم ووجده في الصلاة كان يخفف ويقبل عليه بالسؤال عن الحاجة،

ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه، لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس، وما رؤي قط مادًّا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست

وهو من جملة مكارم الأخلاق إذ لا يأتيه في ذلك الوقت إلا لحاجة فإذا طول في الصلاة فقد أوقعه في الانتظار.

(وكان) ﷺ **(أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة)** روى أبو داود والترمذي في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري « كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيده » وإسناده ضعيف، وللبخاري من حديث ابن عمر « رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيده » قاله العراقي.

قلت: وحديث أبي سعيد رواه أيضاً البيهقي وفيه « احتبى بيديه ». ورواه البزار وزاد: « ونصب ركبتيه » وفي بعض نسخ أبي داود إذا جلس في المسجد. وقول العراقي. وإسناده ضعيف أشار به إلى أنهم رووه من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفاري عن إسحاق الأنصاري عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن ابي سعيد. قال أبو داود الغفاري: منكر الحديث. وقال الذهبي في المهذب: أنه ليس بثقة. وقال الصدر المناوي في ربيح عن أحمد: أنه غير معروف، ثم الاحتباء هو جمع الساقين إلى البطن مع الظهر باليدين عوضاً عن جمعها بالثوب. وفي بعض الأخبار أن الاحتباء حيطان العرب، فإذا أرادوا الاستناد احتبوا لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار.

(ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه) روى أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر « كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل » الحديث. **(لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس)** رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل.

(وما رؤي) ﷺ **(قط مادّاً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه)** قال العراقي: رواه الدارقطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال: باطل. والترمذي وابن ماجه لم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف.

(وكان) ﷺ **(أكثر ما يجلس مستقبل القبلة)** وكان يحث أصحابه بذلك ويقول « أكرم المجالس ما استقبل به القبلة » كما رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي من حديث ابن عمر.
(وكان) ﷺ **(يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا**

بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل، وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة، قال الله تعالى: ﴿ فبما رحمةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُم ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩] ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، ويكني من لم تكن له كنية

رضاع يجلسه عليه) إكراماً له وتأليفاً لقلبه. روى الحاكم وصحح إسناده من حديث أنس دخل جرير بن عبد الله على النبي ﷺ وفيه فأخذ بردته فألقاها إليه فقال «اجلس عليها يا جرير» الحديث. وفيه «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة، وللطبراني في الكبير من حديث جرير فألقى إليَّ كساءه. ولأبي نعيم في الحلية فبسط إليَّ رداءه وأما من بينه وبينه قرابة فروى الخرائطي في مكارم الأخلاق عن محمد بن عمير بن وهب خال النبي ﷺ أن عميراً يعني أباه جاء والنبي ﷺ قاعد فبسط له رداءه فقال: اجلس على ردائك يا رسول الله؟ قال: «نعم فإنما الخال والد». وإسناده ضعيف. ويروى عن القاسم عن عائشة أن الأسود بن وهب خال النبي ﷺ استأذن عليه فقال: «يا خال أدخل» فبسط رداءه، وكذا وقع لأمه وأخيه وأبيه من الرضاعة كما هو مذكور في السير..

(وكان) ﷺ **(يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته)** وهي المفرشة لا المخدة، **(فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل)** أي يقبل تقدم في الثالث من آداب الصحبة. **(وما استصفاه أحد إلا ظن انه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للمجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة)** رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل وفيه: «ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه» وفيه «ومجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة».

(قال) الله **(تعالى)** ممتناً عليه في كتابه العزيز: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾** فحلاه بحسن الاخلاق ثم امتن عليه بذلك. يقال: رجل فظ غليظ القلب أي شديد، وقد فظ فظاظة إذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه والانفضاض التفرق.

(ولقد كان) ﷺ **(يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم)** ففي الصحيحين في قصة الغار من حديث ابي بكر: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» ولأبي يعلى الموصلي من حديث سعد بن أبي وقاص فقال: «من هذا أبو إسحاق». فقلت: نعم. **(ويكني من**

فكان يدعى بما كناه به، ويكني أيضاً النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء لهن الكنى، ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضا، وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس، ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات، وكان إذا قام من مجلسه قال: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا

لم تكن له كنية) بأكبر أولاده وتارة وإن لم يولد له، **(فكان يدعى بما كناه به)** تبركاً بكنيته الشريفة. روى الحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر: يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله ﷺ؟ قال عمر: إنه لأوّل يوم كناني فيه بأبي حفص وقال: صحيح على شرط مسلم. وفي الصحيح أنه قال لعلي: يا أبا تراب، وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حسن وجد مغصاً في بطنه الحديث يريد علياً، وله أيضاً من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له. وروى الترمذي من حديث أنس قال: كناني رسول الله ﷺ ببقلة كنت أجتنيها يعني أبا حمزة. قال: حديث غريب، ولابن ماجه أن عمر قال لصهيب: ما لك تكتني وليس لك ولد؟ قال: كناني رسول الله ﷺ بأبي يحيى، وللطبراني من حديث أبي بكرة تدليت ببكرة من الطائف، فقال النبي ﷺ « فأنت أبو بكرة ».

(وكان) ﷺ (يكني أيضاً النساء اللاتي لهنّ الأولاد، واللاتي لم يلدن يبتدىء لهنّ الكنى) روى الحاكم من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي ﷺ، فقال: « يا أم أيمن قومي إلى تلك الفخارة » الحديث ولابن ماجه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيت غيري قال: « فأنت أم عبد الله » وفيه مولى الزبير لم يسم، ورواه أبو داود بإسناد صحيح نحوه، وللبخاري من حديث أم خالد أن النبي ﷺ قال لها « يا أم خالد هذا سناه » وكانت صغيرة. **(ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم)** ففي الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأخ له صغير: « يا أبا عمير ما فعل النغير ».

(وكان) ﷺ (أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً) هذا من المعلوم، ويدل على ذلك إخباره ﷺ « أن بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ». ورواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري وقال: حديث حسن وهو ﷺ خير بني آدم وسيدهم، وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة وقد تقدم.

(وكان) ﷺ (أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس) هذا من المعلوم، وروينا في الجزء الأوّل من فوائد أبي الدحداح من حديث علي في صفة النبي ﷺ « كان أرحم الناس بالناس » الحديث بطوله. **(ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات)** لأنهم كانوا على غاية الخضوع والتأدّب والإطراق كأنما على رؤوسهم الطير. رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل. **(وكان) ﷺ (إذا قام من مجلسه قال: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله**

إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » ثم يقول: « علمنيهن جبريل عليه السلام ».

بيان كلامه وضحكه ﷺ:

كان ﷺ أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً ويقول:

أنا أفصح العرب، وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ، وكان نزر الكلام

إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » ثم يقول « علمنيهن جبريل عليه السلام ») أخبرناه عمر ابن أحمد بن عقيل عن أحمد بن محمد عن زين العابدين بن عبد القادر الطبري عن أبيه أخبرني جدي يحيى ابن مكرم، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا الشهاب الحجازي، أخبرنا أبو الفضل العراقي، أخبرنا عمّر بن عبد العزيز، أخبرنا أحمد بن محمد الحلبي، أخبرنا يوسف بن الخليل، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أخبرنا الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا عبدالله بن جعفر، ثنا إسماعيل بن عبدالله، ثنا سعيد بن الحكم، ثنا خلاد بن سليمان، حدثني خالد بن أبي عمران، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلساً ولا تلا قرآناً ولا صلّى إلا ختم ذلك بكلمات. فقلت: يا رسول الله أراك ما تجلس مجلساً ولا تتلو قرآناً ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات؟ قال: « نعم من قال خيراً كن طابعاً له على ذلك الخير، ومن قال شراً كانت كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك » أخرجه النسائي في اليوم والليلة، عن محمد بن إسماعيل بن عسكر، عن سعيد بن الحكم به، فوقع لنا بدلاً له عالياً. وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك من حديث رافع بن خديج، وقد تقدم في الأذكار والدعوات.

بيان كلامه وضحكه ﷺ:

(كان ﷺ أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً ويقول: « انا أفصح العرب ») روى أبو الحسن الضحاك في الشمائل وابن الجوزي في الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة: كان رسول الله ﷺ من أفصح العرب وكان يتكلم بكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم. وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري: « أنا أعرب العرب » وإسناده ضعيف، وللحاكم من حديث عمر قال قلت يا رسول الله « ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا » الحديث. وفيه علي بن الحسين بن واقد مختلف فيه، وفي كتاب الرعد والمطر لأبن أبي الدنيا في حديث مرسل أن أعرابياً قال للنبي ﷺ ما رأيت الذي هو أفصح منك. **(وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ)** روى الحاكم من حديث ابن عباس وصححه « كلام أهل الجنة عربي » وروى الطبراني في الأوسط من طريق شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبي هريرة رفعه « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » وسنده ضعيف.

(وكان) ﷺ **(نزر الكلام)** أي قليله عند الحاجة إليه سيأتي بعد هذا من حديث عائشة،

سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخـرزات نظمن. قالت عائشة رضي الله عنها: كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزراً وأنتم تنثرون الكلام نثراً. قالوا: وكان أوجز الناس كلاماً وبذاك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد، وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضاً بين كلامه

(**سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار**) وهو الرجل الكثير الكلام، (**وكان كلامه كخرزات النظم**) روى الطبراني من حديث أم معبد، وكان منطقه خرزات نظم ينحدرن حلواً لمنطق لا نزر ولا هذر وقد تقدم. وفي الصحيحين من حديث عائشة: كان يحدثنا حديثاً لوعدَّه العاد لأحصاه.

(**قالت عائشة رضي الله عنها« كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا »**) رواه البخاري ومسلم. (**« كان كلامه نزراً وأنتم تنثرون الكلام نثراً »**) رواه الخلعي في فوائده من حديث عائشة بإسناد منقطع، (**قالوا: وكان**) ﷺ (**أوجز الناس كلاماً، وبذلك جاءه جبريل عليه السلام وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد**) من المعاني، (**وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير يتبع بعضه بعضاً بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه**) قال العراقي رَوى عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع، والدارقطني من حديث ابن عباس بإسناد جيد « أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً » وشطره الأول متفق عليه. قال البخاري: بلغني في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك، وللحاكم من حديث عمر المتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها. وروى الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة: كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « بعثت بجوامع الكلم » ولأبي داود من حديث جابر « كان في كلامه ﷺ ترتيل أو ترسيل » وفيه شيخ لم يسم، وله وللترمذي من حديث عائشة « كان كلام النبي ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه » وقال الترمذي « يحفظه كل من جلس إليه » وقال النسائي في اليوم والليلة « يحفظه من سمعه » وإسناده حسن اهـ.

قلـت: روى العسكري في الأمثال من طريق سليمان بن عبد الله النوفلي، عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً » وهو مرسل في سنده من لم يعرف، وللديلمي بلا سند من حديث ابن عباس مثله بلفظ « أعطيت ». والحديث بدل الكلم. وعند البيهقي في الشعب من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة أن عمر مرّ برجل يقرأ كتاباً من التوراة فذكر الحديث، وفيه فقال ﷺ « إنما بعثت فاتحاً وخاتماً وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه واختصر لي الحديث اختصاراً » وللطبراني من طريق أبي الدرداء قال: جاء عمر وذكره، ولأبي يعلى من طريق خالد بن عرفطة قال: كنت عند عمر فجاءه رجل فذكره وفيه قوله ﷺ: « يا أيها الناس قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصاراً » وأصل الحديث من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة بلفظ « أعطيت فواتح » وفي لفظ « مفاتيح » وفي آخر « جوامع

توقف يحفظه سامعه ويعيه، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة. وكان طويل السكون لا يتكلم في غير حاجة، ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق، ويعرض عمن تكلم بغير جميل، ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره وكان إذا سكت

الكلم ونصرت بالرعب» ومن حديث سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي هريرة بلفظ «أعطيت جوامع الكلم» وفي لفظ «بعثت بجوامع الكلم» ومن طريق أبي موسى مولى أبي هريرة عن مولاه بلفظ «أوتيت جوامع الكلم» ومن طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ «أعطيت» ومن حديث عطاء بن السائب عن أبي جعفر عن أبيه عن علي في حديث «أعطيت خمساً» ففيه «وأعطيت جوامع الكلم» وفي حديث أبي موسى الأشعري «أعطيت فواتح الكلم وخواتمه» ونص البخاري في الصحيح فيما رواه عن ابن شهاب قال: بلغني في جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمم في الواحد والأمرين ونحو ذلك. وحاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني. وقال سليمان بن عبد الله النوفلي: كان يتكلم بالكلام القليل يجمع فيه المعاني الكثيرة، وقال غيره: يعني القرآن بقرينة قوله بعثت والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني، وقال آخر القرآن وغيره مما أوتيه في منطقه فبان به من غيره بالإيجاز والإبلاغ والسداد، ودليل هذا كان يعلمنا جوامع الكلم وفواتحه.

(وكان) ﷺ (جهير الصوت) قال العراقي: روى الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر بينما نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري: يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ عن نحو من صوته هاؤم» الحديث وقال أحمد في مسنده: وأجابه نحواً مما تكلم به. الحديث فقد يؤخذ منه أنه ﷺ كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائماً، وقد يقال لم يكن جهوري الصوت، وإنما رفع صوته رفقاً بالاعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر. (أحسن الناس نغمة) روى الشيخان من حديث البراء: ما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه.

(وكان) ﷺ (طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة) وبذلك وصف أبدال هذه الأمة لا يتكلمون إلا عن ضرورة. رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة. (ولا يقول المنكر) من القول وحاشاه من ذلك، (ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق) روى أبو داود من حديث عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش. وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ باصبعه إلى فيه وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق». ورواه الحاكم وصححه. (ويعرض عمن تكلم بغير جميل) روى الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل يتغافل عما لا يشتهي الحديث، (ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره) فمن ذلك قوله ﷺ لامرأة رفاعة: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» رواه

تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة. ويقول: « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه » وكان أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتعجباً مما تحدثوا به وخلطاً لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه،

البخاري من حديث عائشة، ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض « خذي فرصة ممسكة فتطهري بها » الحديث.

(وكان) ﷺ (إذا سكت تكلم جلساؤه) كذا في سائر النسخ، وبخط الحافظ ابن حجر إذا جلس، (ولا يتنازع عنده في الحديث) أي لا يتخاصم فيه. رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل « إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ». أي ذلك من عظيم أدبهم في حضرته ﷺ، وخضوعهم بين يديه وإجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له لشهودهم عليّ شأنه وكمال مرتبته وتخلقهم بأخلاقه ﷺ، (ويعظ بالجد والنصيحة) روى مسلم من حديث جابر « كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم » الحديث، (ويقول « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض ») روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر، وباسناد حسن أن القرآن يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض، وفي روايه للهروي في ذم الكلام: إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، وفي رواية له: « أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض » (« فإنه نزل على وجوه ») ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب: أن هذا القرآن أنزل على سبعة احرف.

(وكان) ﷺ (أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجود أصحابه وتعجباً مما حدثوا به وخلطاً لنفسه بهم) روى الترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ. وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم، وللترمذي في الشمائل من حديث علي يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه. ولمسلم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم، (ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه) أي أضراسه. وقيل: أربع آخر الاسنان كل منهم يسمى ضرس العقل لأنه لا ينبت إلا بعد البلوغ، وقيل: أنيابه، وقيل: ضواحكه وفي القاموس هي أقصى الأسنان أو الأنياب أو التي على الأنياب أو الأضراس. قيل: ضحكه وإلى أن يبدو آخر أسنانه بعيد من شيمته. فلذا قيل: المراد المبالغة في كون ضحكه هذا فوق ما كان يصدر، ويؤيده قول الجوهري حتى بدت نواجذه إذا استغرب منه، قد جاء ذلك في المتفق عليه من حديث ابن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار، وفي قصة الحبر الذي قال: إن الله يضع السموات على اصبع، ومن حديث أبي هريرة في قصة المجامع في رمضان وغير ذلك، وفي كل ذلك دليل على أن الضحك في مواطن التعجب سيما ما هو في مثل تعجبه ﷺ لا يكره ولا يخرم المروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد، وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً له قالوا : ولقد جاءه اعرابي يوماً وهو عليه الصلاة والسلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا : لا تفعل يا اعرابي فإنا ننكر لونه فقال : دعوني فوالذي بعثه بالحق نبياً لا أدعه حتى يتبسم ، فقال : يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعاً أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففاً وتنزهاً حتى أهلك هزالاً أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعاً آمنت بالله وكفرت به ؟ قالوا : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : « لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين » قالوا : وكان من أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة ،

(**وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً له**) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل « جلّ ضحكه التبسم » . (**قالوا : وقد جاءه أعرابي**) أي من سكان البادية (**يوماً وهو ﷺ متغير**) لونه (**ينكره أصحابه فأراد أن يسأله**) في شيء (**فقالوا : لا تفعل يا أعرابي ، فإنا ننكر لونه . فقال : دعوني فوالذي بعثه بالحق نبياً لا أدعه حتى يبتسم ، فقال يا رسول الله : بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعاً . أفترى لي بأبي وأمي أن أكف عن ثريده تعففاً وتنزهاً حتى أهلك هزالاً أم أضرب**) اليد (**في ثريده حتى إذا تضلعت شبعاً**) أي امتلأت (**آمنت بالله**) وحده (**وكفرت به**) يعني الدجال ؟ (**قالوا : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : « لا بل يغنيك الله بما أغنى به المؤمنين »**) . قال العراقي : وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ، ويرده قوله ﷺ في المتفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة حين سأله أنهم يقولون أنه معه جبل خبز ونهر ماء . قال : « هو أهون على الله من ذلك » وفي رواية لمسلم يقولون معه جبال من خبز ولحم الحديث . نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود المتفق عليهما « أن معه ماء وناراً » الحديث (**قالوا : وكان**) ﷺ (**من أكثر الناس تبسماً**) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء : ما رأيت أحداً أكثر تبسماً منه ، وقد تقدم قريباً ، (**وأطيبهم نفساً**) روى الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة : « كان من أضحك الناس وأطيبهم نفساً » ولا ينافيه ما تقدم من أنه كان لا يضحك إلا تبسماً لأن التبسم كان أغلب أحواله ، أوكل راو روى بحسب ما شاهد ، أو أوّلاً كان لا يضحك ، ثم صار آخراً لا يضحك إلا تبسماً . وروى ابن عساكر من حديث أنس « كان من أفكه الناس » . (**ما لم ينزل عليه قرآن أو تذكر الساعة أن يخطب بخطبة عظة**) . روى الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر : « كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكاً » وفيه ابن أبي ليلى وهو سيء الحفظ ، ولأحمد من حديث علي أو الزبير كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يبتسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه ، وفيه عبد الله بن سلمة مختلف فيه ،

وكان إذا سرّ ورضي فهو أحسن الناس رضاً فإن وعظ وعظ بجد وإن غضب ـ وليس يغضب إلا لله ـ لم يقم لغضبه شيء، وكذلك كان في أموره كلها، وكان إذا نزل به الأمر فوّض الأمر إلى الله، وتبرأ من الحول والقوّة واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه واعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

ورواه يعلى من حديث الزبير من غير شك، وللحاكم من حديث جابر: «كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه» وهو عند مسلم «كان إذا خطب».

(وكان) ﷺ (إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا) في الصحيحين في حديث كعب بن مالك قال: وهو ينزف وجهه من السرور، وفيه: وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه. الحديث. وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر: «كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه كان إذا رضي كأنما يلاعط الجدر وجهه» وإسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار، **(وإن وعظ وعظ بجد)** أي من غير تهاون، **(وإن غضب ولم يكن يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها)** روى مسلم من حديث جابر: «كان إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه» الحديث. وللترمذي في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة: لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. وقد تقدم.

(وكان ﷺ إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله) تعالى **(وتبرأ من الحول والقوة)** إلى حول الله وقوته، **(واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وأرزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»)** قال العراقي: لم أقف لأوله على أصل، وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة: كان النبي ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فاعطنا منها ما يرضيك عنا» وفيه ولهان بن خبير ضعفه الأزدي، وأن لمسلم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل: «اهدني لما اختلف فيه» إلى آخر الحديث.

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام:

كان ﷺ يأكل ما وجد، وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف، والضفف ما كثرت عليه الأيدي، وكان إذا وضعت المائدة قال: «بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة». وكان كثيراً إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي إلاَّ أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وكان لا يأكل الحار

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام:

(كان ﷺ يأكل ما وجد) تقدم قريباً، **(وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف والضفف)** محركة **(ما كثرت عليه الأيدي)** قال العراقي: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل من حديث جابر بإسناد حسن: «أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي» ولأبي يعلى من حديث أنس: «لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم إلا على ضفف» وإسناده جيد اهـ.

قلت: وحديث جابر رواه أيضاً ابن حبان والبيهقي والضياء.

(وكان) ﷺ (إذا وضعت المائدة قال: «بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة») قال العراقي: أما التسمية فرواها النسائي من رواية من خدم النبي ﷺ ثمان سنين أنه سمع رسول الله ﷺ إذا قرب إليه طعاماً قال: «بسم الله» الحديث وإسناده صالح، وأما بقية الحديث فلم أجده.

(وكان) ﷺ (كثيراً إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجمع المصلي) في حال صلاته **(إلا أن الركبة تكون فوق الركبة، والقدم فوق القدم ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»)** قال العراقي: رواه عبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب معضلاً أن النبي ﷺ كان إذا أكل احتفز وقال: «آكل كما يأكل العبد» الحديث. وروى ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال: «إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وأفعل كما يفعل العبد». وروى أبو الشيخ في الأخلاق بسند جيد من حديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكىء أورده في صفة أكل رسول الله ﷺ، وللبزار من حديث ابن عمر: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» ولأبي يعلى من حديث عائشة: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وإسنادهما ضعيف اهـ.

قلت: ويروى بسند حسن أهديت للنبي ﷺ شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابي ما هذه الجلسة؟ فقال: «إن الله جعلني كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً» وإنما فعل ذلك رسول الله

ويقول: «إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه» وكان يأكل مما يليه،

ﷺ تواضعاً لله تعالى، ومن ثم قال: «إنما أنا عبد» الخ. وفي خبر مرسل أو معضل عن الزهري أتى النبي ﷺ ملك لم يأته قبلها فقال إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً أو نبياً ملكاً، فنظر إلى جبريل كالمستشير له، فأومأ إليه أن تواضع. فقال: «لا بل عبداً نبياً» قال: فما أكل متكئاً ووصله النسائي قال: ما رؤي النبي ﷺ يأكل متكئاً قط. والسنة أن يجلس جاثياً عى ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى. قال ابن القيم: ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه، ويضع ظهر اليمنى على بطن قدمه اليسرى تواضعاً لله عز وجل وأدباً بين يديه. قال: وهذه الهيئة أنفع الهيئات للأكل وأفضلها لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه.

(وكان) ﷺ (لا يأكل) الطعام **(الحار ويقول: «إنه غير ذي بركة وإن الله تعالى لم يطعمنا ناراً فأبردوه»)** قال العراقي: روى البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أتي النبي ﷺ يوماً بطعام سخن فقال: «ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم» ولأحمد بإسناد جيد، والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث خولة بنت قيس، وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فنفضها لفظ الطبراني والبيهقي. وقال أحمد: فأحرقت أصابعه فقال حسن، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: «أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة». وله فيه وفي الصغير من حديثه أتي بصحفة تفور فرفع يده منها وقال: «إن الله لم يطعمنا ناراً» وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: حديث الطبراني في الأوسط رواه من طريق هشام بن عمار، حدثنا عبد الله بن أبي زيد البكري، عن ابن أبي ذؤيب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة وحديثه فيه وفي الصغير معاً رواه من طريق هشام عن البكري المذكور قال: حدثنا يعقوب بن محمد بن طحلاء المدني، حدثنا بلال ابن أبي هريرة عن أبيه فساقه. وفي لفظ فأشرع يده فيها ثم رفع يده وقال: لم يرو عن بلال إلا يعقوب ولا عنه إلا عبد الله تفرد به هشام وبلال قليل الرواية عن أبيه اهـ.

والبكري ضعفه أبو حاتم. ولابن ماجه من طريق علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: «أتي يوماً بطعام سخن فأكل منه فلما فرغ قال: الحمد لله ما دخل» وساقه كسياق البيهقي وروى الديلمي من طريق عبد الصمد بن سليمان، عن قزعة بن سويد، عن عبد الله ابن دينار، عن ابن عمر مرفوعاً: «أبردوا بالطعام فإن الحار لا بركة فيه». ولأبي نعيم في الحلية من طريق يوسف بن أسباط عن صفوان بن سليم عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يكره الكي والطعام الحار ويقول: عليكم بالبارد فإنه ذو بركة ألا وأن الحار لا بركة له». وللطبراني في الكبير بسند فيه من لم يسم عن جويرية أن النبي ﷺ كان يكره الطعام حتى يذهب فوره ودخانه. وأما حديث خولة فرواه كذلك ابن منده في معرفة الصحابة كلهم من طريق معاذ بن رفاعة بن رافع

ويأكل بأصابعه الثلاث، وربما استعان بالرابعة، ولم يكن يأكل باصبعين ويقول: « إن

عنها وفيه بعد قوله فقبضها وقال: « يا خولة لا نصبر على حر ولا برد » الحديث لفظ البيهقي والطبراني.

(وكان) ﷺ (يأكل مما يليه) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وسماه في رواية له، وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري. وقال البيهقي: تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب، ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه اهـ.

قلت: وروى البخاري في التاريخ عن جعفر بن أبي الحكم مرسلاً كان إذا أكل لم تعد أصابعه ما بين يديه. ورواه أبو نعيم في المعرفة عن الحكم بن رافع بن يسار، ورواه الطبراني في الكبير عن الحكم بن عمرو الغفاري، وروى الخطيب من حديث عائشة: كان إذا أتي بطعام أكل مما يليه، وإذا أتي بالتمر جالت يده ثم أن الأكل مما يلي الآكل على الندب على الأصح، وقيل: على الوجوب لأنه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره والنهمة. وانتصر له السبكي ونص عليه الشافعي في الرسالة ومواضع من الأم ومحل الكراهة أو الحرمة إن لم يعلم رضا من يأكل معه، وإلا فلا لما ثبت أنه ﷺ كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة كما سيأتي لأنه علم أن أحداً لا يكره ذلك ولا يستقذره، ومن أجاب بأنه كان يأكل وحده مردود بأن أنساً كان يأكل معه، على أن قضية كلام الأصحاب أن الأكل مما يليه سنة وإن كان وحده. ويفهم من خبر عائشة السابق التفصيل في الطعام والتمر، وفيما إذا كان الطعام لوناً واحداً فلا يتعدى الأكل مما يليه، وإذا كان أكثر يتعداه ولا ضرر في نحو التمر ولا تقذر وبحث بعضهم التعميم غفلة عن المعنى وعن السنة والله أعلم.

(ويأكل بأصابعه الثلاث) الإبهام والسبابة والوسطى. قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي في الشمائل ولفظهم جميعاً: كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها. ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: « رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام والتي تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام ». (وربما استعان بالرابعة) قال العراقي: رويناه في الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك، وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلاً: « كان النبي ﷺ يأكل بالخمس » اهـ.

قلت: حديث عامر بن ربيعة رواه أيضاً الطبراني في الكبير ولفظه: « كان يأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة » وأما مرسل الزهري فمحمول على المائع وذلك لأن الاقتصار على الثلاث محله إن كفت والإ فكما في المائع زاد بحسب الحاجة.

(ولم يكن) ﷺ (يأكل باصبعين ويقول: « إن ذلك أكلة الشياطين ») قال العراقي:

ذلك أكلة الشيطان » . وجاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال : « ما هذا يا أبا عبدالله » قال : بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل في البرمة ، ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذا الطعام طيب » . وكان يأكل

رواه الدارقطني في الإفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف : « لا تأكل باصبع فإنه أكل الملوك ولا تأكل باصبعين فإنه أكل الشياطين » الحديث اهـ .

قلت : ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بلفظ : « لا تأكلوا بهاتين » وأشار بالإبهام والمشيرة « كلوا بثلاث فإنها سنة ولا تأكلوا بالخمس فإنها أكلة الأعراب » .

(**و**) يروى أنه ﷺ (**جاءه عثمان بن عفان**) رضي الله عنه (**بفالوذج**) وهو اسم أعجمي لنوع من الحلواء (**فأكل منه وقال : « ما هذا يا أبا عبد الله »**) قال ابن عبد البر يكنى أبا عبد الله وأبا عمرو كنيتان مشهورتان وأبو عمرو أشهرهما . قيل : إنه ولدت له رقية بنت رسول الله ﷺ ابناً فسماه عبد الله واكتنى به ومات ثم ولد له عمرو فاكتنى به إلى أن مات . قال : وقد قيل أنه كان يكنى أبا ليلى (**قال : بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة**) وهي بالضم قدر من فخار (**ونضعها على النار حتى نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة**) أي لبابها (**إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل ثم نسوطه**) أي نحركه بالسوط (**حتى ينضج**) أي يستوي (**فيأتي كما ترى فقال ﷺ : « إن هذا طعام طيب »**) قال العراقي : المعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص . رواه البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال : أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل النقي والعسل الحديث . وقال : هذا منقطع . وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة وعليها غرارتان وفيه فإذا دقيق وسمن وعسل وفيه ثم قال لأصحابه : كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص . وأما خبر الفالوذج فرواه ابن ماجه بإسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال : أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : إن أمتك تفتح عليهم الأرض ويفاض عليهم من الدنيا حتى أنهم ليأكلون الفالوذج . قال النبي ﷺ : « وما الفالوذج » قال : يخلطون السمن والعسل جيمعاً . قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لا أصل له اهـ .

قلت : أخرجه ابن الجوزي من طريق ابن أبي الدنيا قال : حدثني إبراهيم بن سعد الجوهري ، ثنا أبو اليمان ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن يحيى عن ابن عباس فذكره . وفي رواية أخرى بزيادة فشهق النبي ﷺ شهقة . قال : وهذا حديث باطل لا أصل له ، ومحمد بن طلحة قد ضعفه يحيى بن معين ، وعثمان بن يحيى الحضرمي . قال الأزدي : لا يكتب حديثه عن ابن عباس ، وقال النسائي إسماعيل بن عياش ضعيف . قلت : وهذا القدر الذي ذكره لا يوجب أن يكون الحديث باطلا لا أصل له . كيف وقد أخرجه ابن ماجه . وغاية ما يقال أن إسماعيل بن

خبز الشعير غير منخول، وكان يأكل القثاء بالرطب، وبالملح، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب، وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر، وربما أكله بالرطب،

عياش إذا روى عن غير الشاميين فلا يحتج بحديثه، وفرق بين أن يقال ضعيف وأن يقال باطل، والعجب من الحافظ العراقي كيف سكت عن التعقب عليه.

(وكان) ﷺ (**يأكل خبز الشعير غير منخول**) من نخالته وفي هذا تركه ﷺ التكلف والاعتناء بشأن الطعام فإنه لا يعتني به إلا أهل البطالة والغفلة. قال العراقي: رواه البخاري من حديث سهل بن سعد اهـ.

قلت: ورواه مسلم والترمذي نحوه.

(وكان) ﷺ (**يأكل القثاء بالرطب**) قال الكرماني: الباء للمصاحبة أو للملاصقة وإنما يفعل ذلك لأن الرطب حار رطب في الثانية يقوي المعدة الباردة لكنه سريع التعفن مورث للسدد، والقثاء بارد رطب في الثانية منعش للقوى ملطف للحرارة ففي كل منهما إصلاح للآخر. قال العراقي: متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والأربعة إلا النسائي ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «رأيت النبي ﷺ في يمينه قثاء وفي شماله رطب وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة» وسنده ضعيف.

(و) كان ﷺ يأكل القثاء (**بالملح**) لكونه يدفع ضرره قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره. ورواه ابن عدي وفيه عباد بن كثير متروك. (وكان) ﷺ (**أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب**) البطيخ معروف وبتقديم الطاء على الباء لغة فيه، وهل المراد به الأصفر أو الأخضر، مختلف فيه، كان يأكل هذا بهذا رفعاً لضرر كل منهما بالآخر قال العراقي: روى أبو نعيم في الطب النبوي من رواية أمية بن زيد العبسي أن النبي ﷺ يحب من الفاكهة العنب والبطيخ. وروى ابن عدي من حديث عائشة: «فإن خير الفاكهة العنب» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: وقد روى ابن عدي هذا الحديث الذي ساقه المصنف بهذا اللفظ في ترجمة عباد بن كثير الثقفي وهو ضعيف وساقه أيضاً الذهبي في ميزانه في ترجمته ونقل تضعيفه عن جماعة وكذلك أبو عمر النوقاني في كتاب البطيخ من حديث أبي هريرة.

(وكان) ﷺ (**يأكل البطيخ بالخبز**) قال العراقي: لم أره وإنما وجدت أكله العنب بالخبز في حديث عائشة عن ابن عدي بسند ضعيف. (و) يأكل تارة (**بالسكر**) قال العراقي: ان أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور. فهو الحديث الآتي بعده، وإن أريد بالسكر الذي هو بطبرزد فلم أر له أصلاً في حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقاني في كتاب البطيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ أكل بطيخاً بسكر، وفيه موسى بن إبراهيم المروزي كذبه يحيى بن معين اهـ.

ويستعين باليدين جميعاً، وأكل يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ

قلت: قال في المصباح: السكر نوع من الرطب شديد الحلاوة. قال أبو حاتم في كتاب النخلة: نخل السكر الواحدة سكرة. وقال الأزهري: التمر نخل السكر وهو معروف عند أهل البحرين: فإن كان المراد بالسكر هنا هو الطبرزدي فيتعين أن يكون المراد بالبطيخ هو الأصفر، فإنه الذي يؤكل به مع احتمال إرادة الأخضر إلا أن ابن حجر ذكر في شرح الشمائل أن النبي ﷺ لم ير السكر وما ورد بأنه حضر ملاك بعض الأنصار فنثر على العروس بالسكر واللوز فلا أصل له.

(وربما أكله بالرطب) قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي من حديث عائشة وحسنه الترمذي، ولابن ماجه من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمي بلفظ: «البطيخ بالرطب» وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب من حديث أنس: «كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة إليه» فيه يوسف بن عطية الصفار مجمع على ضعفه. وروى ابن عدي من حديث عائشة: «كان أحب الفاكهة إلى رسول الله ﷺ الرطب والبطيخ» وهو ضعيف أيضاً اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر بلفظ: «كان يأكل البطيخ بالرطب» وروى الطيالسي من حديث جابر بسند حسن: «كان يأكل الخبز بالرطب ويقول هما الأطيبان» وهذا يؤيد قول من قال: إن المراد بالبطيخ هو الأصفر. وروى أبو داود والبيهقي من حديث عائشة: «كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا» قال ابن القيم: في البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شيء غير هذا الحديث الواحد.

(ويستعين باليدين جميعاً) قال العراقي رواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر. قال: آخر ما رأيت رسول الله ﷺ في إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه، وتقدم حديث أنس في أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث اهـ.

قلت: وتقدم أيضاً أكله القثاء بالرطب بيديه من رواية الطبراني في الأوسط بنحوه، قال العراقي: ولا يلزم من هذا لوثبت أكله بشماله فلعله كان يأخذ بيده اليمنى من الشمال رطبة رطبة فيأكلها مع ما في يمينه فلا مانع من ذلك.

(وأكل) ﷺ (يوماً رطباً كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت به شاة أشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة) قال العراقي: هذه القصة رويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وروى الحاكم في الأطعمة من حديث أنس كان يأكل الرطب ويلقي النوى على الطبق. وقال: صحيح على شرطهما وأقره الذهبي.

وانصرفت الشاة، وكان ربما أكل العنب خرطاً يرى رؤاله على لحيته كخرز اللؤلؤ، وكان أكثر طعامه الماء والتمر، وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميها الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول: « هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل ». وكان يأكل الثريد باللحم والقرع. وكان يحب

(وربما أكل العنب خرطاً) يقال: خرط العنقود وأخرطه إذا وضعه في فمه وأخذ حبه وخرج عرجونه عارياً. وفي رواية ذكرها ابن الأثير خرصاً بالصاد بدل الطاء أي من غير عدد، **(يرى رؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو)** أي الرؤال بالضم **(الماء الذي يتقطر منه)** قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه الطبراني في الكبير هو والعقيلي من طريق داود بن عبد الجبار، عن ابن الجارود، عن حبيب بن يسار، عن ابن عباس رفعه: « كان يأكل العنب خرطاً » قال العقيلي: داود ليس بثقة ولا يتابع عليه، وأخرجه البيهقي في الشعب من طريقين ثم قال: ليس فيه إسناد قوي، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب بل هو ضعيف.

(وكان أكثر طعامه) ﷺ **(التمر والماء)** قال العراقي: روى البخاري من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء.

(وكان) ﷺ **(يتمجع اللبن بالتمر ويسميها الأطيبين)** قال العراقي: روى أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال: دخلت على رجل وهو يتمجع لبناً بتمر وقال: ادن فإن رسول الله ﷺ سماهما الأطيبين. ورجاله ثقات وإبهام الصحابي لا يضر اهـ. قلت: المجيع كامير تمر يعجن بلبن وقد جاء ذكره في فقه اللغة للثعالبي وأنه ﷺ كان يحبه وتقدم من حديث جابر كان يأكل الخربز بالرطب ويقول: هما الأطيبان.

(وكان أحب الطعام إليه) ﷺ **(اللحم ويقول: هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال: سمعت من علمائنا يقولون، كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم الحديث وللترمذي في الشمائل من حديث جابر: أتانا النبي ﷺ في منزلنا فذبحنا له شاة فقال: « كأنهم علموا أنا نحب اللحم ». وإسناده صحيح. ولابن ماجه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف « سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم » اهـ.

قلت: قصة جابر وقعت في غزوة الخندق، وسيأتي ذكرها عند ذكر المعجزات وهي طويلة أشار إليها الترمذي في الشمائل بقوله. وفي الحديث قصة. وقال الزهري: أكل اللحم يزيد سبعين قوة. وقال الشافعي: أكله يزيد في العقل، وعن علي رضي الله عنه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن

القرع ويقول: «إنها شجرة أخي يونس عليه السلام». قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول: «يا عائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين». وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد، وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله، وكان إذا أكل اللحم لم يطأطىء رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رفعاً ثم ينتهشه انتهاشاً

تركه أربعين صباحاً ساء خلقه. وروى أبو نعيم في الطب من حديث علي: «سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم». ورواه البيهقي من حديث بريرة بزيادة: «وسيد الشراب». الحديث بطوله. وروى الحاكم في تاريخه من حديث صهيب بزيادة ثم الأرز.

(**وكان ﷺ يأكل الثريد باللحم والقرع**) رواه مسلم من حديث أنس، وروى أبو داود والحاكم من حديث ابن عباس «كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز والثريد في الحيس». (**وكان**) ﷺ (**يحب القرع**) وهو الدباء (**ويقول إنها شجرة أخي يونس عليه السلام**) قال العراقي: روى النسائي وابن ماجه من حديث أنس كان النبي ﷺ يحب القرع، وقال النسائي: الدباء وهو عند مسلم بلفظ يعجبه، وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء اهـ.

قلت: وروى الترمذي في الشمائل من حديث أنس: «كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة» وعند أحمد كما عند مسلم «كان يعجبه القرع» وقوله تعالى: ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ [الصافات: ١٤٦] قالوا: هي الدباء.

(**قالت عائشة رضي الله عنها كان**) ﷺ (**يقول: «يا عائشة إذا طبختم قدراً فاكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين**) قال العراقي: رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي من حديثها ولا يصح. (**وكان** ﷺ (**يأكل لحم الطير الذي يصاد**) قال العراقي: روى الترمذي من حديث الحسن قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: «اللهم آتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير» فجاء علي فأكل معه. قال: حديث غريب. قلت: وله طرق كلها ضعيفة. وروى أبو داود والترمذي واستغربه من حديث سفينة قال: أكلت مع النبي ﷺ لحم حبارى.

(**وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله**) قال العراقي: هذا هو الظاهر من أحواله، فقد قال: «من تبع الصيد غفل» رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس وقال الترمذي: حسن غريب، وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد أو يطلب الصيد وهو ضعيف جداً.

(**وكان**) ﷺ (**إذا أكل اللحم لم يطأطىء رأسه إليه ورفعه إلى فيه رفعاً ثم ينتهسه انتهاساً**) روى أبو داود من حديث صفوان بن أمية قال: كنت آكل مع النبي ﷺ فآخذ اللحم من العظم فقال: «ادن العظم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ» وللترمذي من حديثه: «انهس اللحم نهساً

وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف، ومن القدر الدباء، ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة، ودعا في العجوة بالبركة وقال: «هي من الجنة وشفاء من السم والسحر»، وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي

فإنه أهنأ وأمرأ» وهووالذي قبله منقطع وللشيخين من حديث أبي هريرة: «فتناول الذراع فنهس منها نهسة» الحديث قاله العراقي والنهس: والإنتهاس الأخذ بمقدم الأسنان.

(وكان) ﷺ **(يأكل الخبز والسمن)** متفق عليه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته الحديث، وفيه: ثم أكل النبي ﷺ. وفي رواية ابن ماجه وضعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح ولأبي داود وابن ماجه من حديث ابن عمر وددت أن غدى خبزة بيضاء من برة سمراء مبلغة بسمن. قال أبو داود: منكر.

(وكان) ﷺ **(يحب من الشاة الذراع والكتف)** روى الشيخان من حديث أبي هريرة قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه. الحديث. وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله ﷺ الكتف، وإسناده ضعيف. ومن حديث أبي هريرة لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف وتقدم. قاله العراقي.

قلت: وروى أحمد وأبو داود وابن السني وأبو نعيم كلاهما في الطب من حديث ابن مسعود كان أحب الفراق إليه ذراعي الشاة. وحديث ابن عباس المذكور رواه أيضاً أبو نعيم في الطب. وروى أبو داود أيضاً من حديث ابن مسعود بلفظ: كان يعجبه الذراع، ولابن السني وأبي نعيم في الطب من حديث أبي هريرة: كان يعجبه الذراعان والكتف.

(ومن القدير) أي المطبوخ في القدر **(الدباء)** تقدم حديث أنس قبل هذا بستة أحاديث كان يحب الدباء، ولأبي الشيخ من حديث أنس: كان أعجب الطعام إليه الدباء **(ومن الصباغ الخل)** روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب الصباغ إلى رسول الله ﷺ الخل وإسناده ضعيف قاله العراقي. قلت: ورواه كذلك أبو نعيم في الطب والمراد به ما يصبغ الخبز فيكون إداماً له وقد ورد نعم الإدام الخل.

(ومن التمر العجوة) روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس بسند ضعيف كان أحب التمر إلى رسول الله ﷺ العجوة قاله العراقي. قلت: وكذا رواه أبو نعيم في الطب، والمراد بالعجوة عجوة المدينة وهي أجود التمر وألينه وألذه. **(ودعا)** ﷺ **(في العجوة بالبركة وقال: «هي من الجنة»)** يريد المبالغة في الاختصاص بالمنفعة والبركة فكأنها منها. **(وشفاء من السم والسحر)** قالَ العراقي: روى البزار والطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن الاسود قال: كنا

يقال لها الرجلة، وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول، وكان لا يأكل من الشاة سبعاً:

عند رسول الله ﷺ في وفد سدوس فأهدينا له تمراً وفيه حتى ذكرنا له تمراً فقلنا له هذا الجذامي، فقال: بارك الله في الجذامي، وفي حديقة خرج هذا منها الحديث. قال أبو موسى المدني: قيل هو تمر أحمر، وللترمذي النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة العجوة من الجنة وهي شفاء من السم. وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبّح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر اهـ.

قلـت: وروى أبو نعيم في الطب بسند ضعيف من حديث بريدة العجوة من فاكهة الجنة، وروى أحمد وابن ماجه والحاكم والديلمي من حديث رافع بن عمر، والمزني: العجوة والصخرة والشجرة من الجنة، ولابن النجار من حديث ابن عباس «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم» الحديث. وأما حديث أبي هريرة الذي أورده العراقي فقد رواه أيضاً أحمد، ويروى عن أبي سعيد الخدري وجابر، رواه كذلك أحمد والنسائي وابن ماجه وابن منيع والديلمي، وعندهم كلهم زيادة. والكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين. قال الزمخشري: العجوة تمر بالمدينة من غرس رسول الله ﷺ. وقال الحليمي: معنى كونها من الجنة أن فيها شبهاً من ثمار الجنة في الطبع، فلذلك صارت شفاء من السم. وقال السمهودي: لم يزل أطباق الناس على التبرك بالعجوة وهو النوع المعروف الذي يأثره الخلف عن السلف بالمدينة ولا يرتابون في ذلك. وأما حديث «من تصبح كل يوم» الخ فقد رواه كذلك أحمد وأبو داود كلهم من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه.

(وكان) ﷺ (يحب من البقول الهندبا والباذروج) هو الريحان القرنفلي وهو الضيمران **(والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة)**. قال العراقي: روى أبو نعيم في الطب من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فإنه ما من يوم إلاّ وهو يقطر عليه قطرة من قطر الجنة، وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة اهـ. قلت: في سند حديث ابن عباس عمرو ابن أبي سلمة ضعفه ابن معين وغيره. قال العراقي: وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثاً. وأما الرجلة: فروى أبو نعيم في الطب من رواية ثوير قال: مرَّ النبي ﷺ بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها فبرئت فقال رسول الله ﷺ «بارك الله فيك انبتي حيث شئت أنت شفاء من سبعين داء». أدناها الصداع وهو مرسل ضعيف.

(وكان) ﷺ (يكره الكليتين) تثنية كلية وهي من الاحشاء معروفة، والكلوة بالواو لغة لأهل اليمن وهما بضم الأوّل. قالوا: ولا تكسر. وقال الازهري: الكليتين للإنسان ولكل حيوان وهما منبت زرع الولد **(لمكانهما من البول)** أي لقربهما منه فتعافهما النفس، ومع ذلك يحل أكلهما وإنما قال لمكانهما من البول لأنهما كما في التهذيب لحمتان حمراوان لاصقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين فهما مجاوران لتكوّن البول أو تجمعه. قال العراقي: رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بسند ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدولي أحد الكذابين اهـ. قلت: وكذلك رواه ابن السني في كتاب الطب النبوي.

الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك، وكان لا يأكل الثوم

(**ولا يأكل من الشاء**) جمع شاة والشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثى (**سبعاً**) مع كونها حلالاً (**الذكر والأنثيين**) أي الخصيتين (**والمثانة**) وهي مجمع البول (**والمرارة**) وهي ما في جوف الحيوان فيها ماء أخضر. قال الليث: المرارة لكل ذي روح إلا البعير فلا مرارة له، (**والغدد**) جمع غدة بالضم وهي لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم يتحرك بالتحريك (**والحياء**) ممدود الفرج من ذوات الخف والظلف قاله ابن الأثير، (**والدم**) غير المسفوح لأن الطبخ السليم يعاف هذه الأشياء وليس كل حلال تطيب النفس لأكله، (**ويكره ذلك**) قال الخطابي: الدم حرام إجماعاً وعامة المذكورات معه مكروهة لا محرمة، وقد يجوز أن يفرق بين القرائن التي جمعها نظم واحد بدليل يقوم على بعضها فيحكم له بخلاف حكم صواحباتها وردّه أبو شامة بأنه لم يرد بالدم هنا ما فهمه الخطابي، فإن الدم المحرم بالإجماع قد انفصل من الشاة وخلت منه عروقها، فكيف يقول الراوي: كان يكره من الشاء يعني بعد ذبحها سبعاً، والسبع موجودة فيها وأيضاً فمنصبه ﷺ يجل عن أن يوصف بأنه كره شيئاً هو منصوص على تحريمه على الناس كافة، وكان اكثرهم يكرهه قبل تحريمه ولا يقدم على أكله الا الجفاة في شظف من العيش وجهد من القلة، وإنما وجه هذا الحديث المنقطع الضعيف أنه كره من الشاة ما كان من أجزائها دماً منعقد مما يحل أكله لكونه دماً غير مسفوح. كما في خبر أحل لنا ميتتان ودمان فكأنه أشار بالكراهة إلى الطحال والكبد مما ثبت أنه أكله والله أعلم.

قال العراقي: رواه ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف، ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسلاً اهـ. قلت: رواه ابن عدي من طريق فهد بن نسر، عن عمر بن موسى بن وجيه، عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال البيهقي: بعد أن أخرجه من طريقه وعمر ضعيف ووصله لا يصح اهـ.

وقال ابن القطان: عمر بن موسى متروك وقد جزم عبد الحق بتضعيفه وتبعه العراقي، وأما مرسل مجاهد فأخرجه البيهقي عن سفيان عن الأوزاعي عن واصل بن أبي جميلة عنه، ورواه أبو حنيفة الإمام عن واصل بن أبي جميلة، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف.

(**وكان**) ﷺ (**لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث**) قال العراقي: رواه مالك في الموطأ عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسلاً وهو عند الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس. وفي الصحيحين من حديث جابر أتى ببدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحاً الحديث. وفيه فإني أناجي من لا تناجي ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه. وقال: لكني أكرهه من أجل ريحه اهـ.

قلت: ويقاس على هؤلاء الفجل وكل بقلة كريهة. وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة

ولا البصل ولا الكراث، وما ذم طعاماً قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره، وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمها، وكان يلعق بأصابعه الصحفة ويقول: آخر الطعام أكثر بركة، وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمرّ،

آخر طعام أكله ﷺ فيه بصل، ولا ينافي في ما تقدم من الأخبار لأن محله في النيء على أن الأصح نيء هذه مكروه عليه وليس بمحرم، وروى أبو نعيم في الحلية. والخطيب في التاريخ عن أنس: كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث من أجل أن الملائكة تأتيه وإنه يكلم جبريل.

(وما ذم) ﷺ **(طعاماً قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه)** وهذا قد تقدم بلفظ: ما عاب والذم والعيب مترادفان، **(وإن عافه لم يبغضه إلى غيره)** ففي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال: «كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي». **(وكان)** ﷺ **(يعاف الضب والطحال ولا يحرمها)** أما الضب ففي الصحيحين من حديث ابن عباس «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه» ولهما من حديث ابن عمر «لست بآكله ولا محرمه» وأما الطحال فروى ابن ماجه من حديث ابن عمر «أحلت لنا ميتتان ودمان. وفيه: وأما الدمان فالكبد والطحال» وللبيهقي موقوفاً على زيد بن ثابت إني لا آكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي انه لا بأس به اهـ.

قلت: وروى ابن صصري في أماليه كان لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها.

(وكان) ﷺ **(يلعق الصحفة)** التي فيها الطعام **(ويقول: آخر الطعام أكثر بركة)** قال العراقي: روى البيهقي في الشعب من حديث جابر في حديث قال فيه ولا يرفع القصعة حتى يلعقها أو يلعقها، فإن آخر الطعام فيه البركة. ولمسلم من حديث أنس: أمرنا ان نسلت الصحفة. قال «إن أحدكم لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه» اهـ.

قلت: وفي بعض روايات مسلم من حديث جابر «فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة» وأما حديث جابر الذي رواه البيهقي، فقد رواه أيضاً ابن حبان بلفظ «ولا ترفع الصحفة حتى تلعقها فإن في آخر الطعام البركة». وروى أحمد والترمذي وابن ماجه والبغوي والدارمي وابن أبي خيثمة وابن السكن وابن شاهين وابن قانع والدارقطني من حديث قبيشة الخير الهذلي مرفوعاً «من أكل في قصعة ولحسها استغفرت له». قال الترمذي والدارقطني غريب، وأورده بعضهم تستغفر القصعة للاحسها.

(وكان) ﷺ **(يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر. فلم أقف له على أصل اهـ. قلت: والمعنى يبالغ في لعقها وكأنه أخذ ذلك من رواية الترمذي في الشمائل كان يلعق أصابعه ثلاثاً أي يلعق كل اصبع ثلاث مرات.

وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: إنه لا يدرى في أي الطعام البركة، وإذا فرغ قال: « الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت

(وكان) ﷺ (لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: لا يدري في أي الأصابع البركة) قال العراقي: روى مسلم من حديث كعب بن مالك: أن النبي ﷺ كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها. وله من حديث جابر « فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة » وللبيهقي في الشعب من حديثه « لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له » اهـ.

قلت: روي في هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وزيد بن ثابت وأنس، فلفظ حديث ابن عباس « إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها » رواه كذلك أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه. وحديث جابر مثله بزيادة « فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ». رواه كذلك أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه. وأما حديث أبي هريرة فلفظه « إذا أكل أحدكم طعاماً فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة » رواه كذلك أحمد ومسلم والترمذي، ورواه كذلك الطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت، ورواه كذلك الطبراني في الأوسط عن أنس. قال ابن حجر في شرح الشمائل الأكمل أن يلعق كل اصبع ثلاثاً متوالية لاستقلال كل فناسب كمال تنظيفها قبل الانتقال إلى البقية، فيبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلويثاً إذ هي أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أوّل ما ينزل الطعام ثم بالسبابة ثم بالابهام لما روى الطبراني في الأوسط رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى، ثم التي تليها ثم الابهام. وعند مسلم: إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه لأنه لا يدري في أي طعامه البركة. وفي هذه الأخبار الرد على من كره اللعق استقذار، ومن ثم قال الخطابي: عاب قوم افسد عقولهم الترفه لعق الأصابع، وزعموا أنه مستقبح كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي لعق بالأصابع والصحفة جزء مما أكلوه فإذا لم يستقذر كله فلا يستقذر بعضه، وليس فيه أكثر من مصها بباطن الشفة ولا يشك عاقل أن لا بأس بذلك، وقد يدخل الإنسان اصبعه في فيه فيدلكه ولم يستقذر ذلك أحد اهـ. ملخصاً.

ويؤيده ان الاستقذار إنما يتوهم في اللعق أثناء الأكل لأنه يعيدها في الطعام وعليها آثار ريقه، وهذا غير سنة. واعلم أن الكلام فيمن استقذر ذلك من حيث هو لا مع نسبته للنبي ﷺ وإلا خشي عليه الكفر إذ من استقذر شيئاً من أحواله ﷺ مع علمه بنسبته إليه كفر، ثم قوله: أو يلعقها غيره أي ممن لا يتقذره من نحو ولد وخادم وزوجة يحبونه ويتلذذون بذلك منه فإن في ذلك بركة.

(و) كان ﷺ **(إذا فرغ)** من الطعام **(قال: « اللهم لك الحمد »)** لأن الطعام نعمة

فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ». وكان إذا أكل الخبز

والحمد عقيب النعم يقيدها ويؤذن باستمرارها وزيادتها، فلذلك أتى ﷺ بتلك الصفات البليغة تحريضاً لأمته على التأسي به في ذلك فقال: (« **أطعمت واشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور**) أي غير مجحود بفضله ونعمته (**ولا مودّع**) بتشديد الدال مع فتحها أي غير متروك ومع كسرها أي حال كوني غير تارك له ومعرض عنه فمآل الروايتين واحد وهو دوام الحمد واستمراره (**ولا مستغنى عنه** ») بفتح النون قيل عطف تفسير إذ المتروك المستغنى عنه وفيه نظر، بل فيه فائدة لم تستفد من سابقه هنا وهي إنه لا استغناء لأحد عن الحمد لوجوبه ان من تركه لفظاً يأثم به على أنه إن أتى به في مقابلة النعمة أثيب عليه ثواب المندوب. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث الحرب بن الحرث بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو صحابي أزدي، والحديث المذكور من رواية محمد بن أبي قيس عن عبد الأعلى عنه، ورواه أحمد عن رجل من بني سليم له صحبة ولفظه: كان إذا فرغ من طعامه قال « اللهم لك الحمد أطعمت وسقيت وأشبعت وأرويت فلك الحمد غير مكفور ولا مودّع ولا مستغنى عنك » قال الحافظ ابن حجر: وفيه عبد الله بن عامر الأسلمي فيه ضعف من قبل حفظه وسائر رجاله ثقات.

قال العراقي: وللبخاري من حديث أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال « الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفي ولا مكفور » وقال مرة « الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا » اهـ.

قلت: وروى الجماعة إلا مسلماً من حديث أبي أمامة كان إذا رفع مائدته قال « الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا » وفي رواية الترمذي وابن ماجه وإحدى روايات النسائي « الحمد لله حمداً » وفي لفظ للنسائي « اللهم لك الحمد حمداً » وعن أبي سعيد الخدري ان النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » رواه الأربعة واللفظ لأبي داود وابن ماجه ولفظ الترمذي كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال فذكر نحوه. وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: « الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوّغه وجعل له مخرجاً » رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، وعن أبي هريرة قال: دعانا رجل من الانصار من أهل قباء يعني النبي ﷺ فانطلقنا معه فلما طعم وغسل يده أو يديه قال: « الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودّع ولا مكافي ولا مكفور ولا مستغنى عنه. الحمد لله الذي أطعم من الطعام وأسقى من الشراب وكسا من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً الحمد لله رب العالمين » رواه النسائي واللفظ له. والحاكم وابن حبان في صحيحهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وروى ابن أبي شيبة من مرسل سعيد بن جبير أنه ﷺ كان إذا فرع من طعامه قال « اللهم أشبعت وأرويت فهنيتنا ورزقتنا فاكثرت

واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه، وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات، وكان يمص الماء

وأطبت فزدنا ». وروى الحاكم من حديث أبي الهيثم بن التيهان فإذا شبعتم فقولوا « الحمد لله الذي هو أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل ».

(وكان) ﷺ (إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً) قال العراقي روى أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف « من أكل من هذه اللحوم شيئاً فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذي من حذاءه » اهـ.

قلت: ورواه ابن عدي في الكامل بلفظ « إذا أكل أحدكم طعاماً فليغسل يده من وضر اللحم » واسناده ضعيف أيضاً وعليه يحمل ما رواه أحمد والطحاوي والطبراني وابن عساكر من حديث سهل ابن الحنظلية رفعه « من أكل لحماً فليتوضأ أي فليغسل يده من وضره أي زهومته ودسمه، وتقدم قريباً حديث أبي هريرة دعانا رجل من الأنصار وفيه فلما طعم وغسل يده أو يديه، **(ثم يمسح بفضل الماء على وجهه)**.

(وكان) ﷺ (يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات، ولمسلم من حديث أنس: « كان إذا شرب تنفس ثلاثاً » اهـ.

قلت: وروى ابن السني من حديث نوفل بن معاوية كان يشرب بثلاثة أنفاس يسمي الله في أوّله ويحمد الله في آخره، وروى أيضاً الطبراني من حديث ابن مسعود كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يسمي عند كل نفس ويشكر عند آخرهنَّ. قال النووي: ضعيف وهذا يدل على أنه إنما يشكر مرة واحدة بعد فراغ الثلاث، وفي الغيلانيات من حديث ابن مسعود: كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يحمد على كل نفس ويشكر عند آخرهنَّ، وروى أحمد والشيخان والأربعة من حديث أنس: « كان إذا شرب تنفس ثلاثاً ويقول هو أهنأ وامرأ وأبرأ » وروى الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس « كان إذا شرب تنفس مرتين » أي في أثناء الشرب فيكون قد شرب ثلاث مرات وسكت عن التنفس الأخير لكونه من ضرورة الواقع فلا تعارض بينه وبين ما قبله من الثلاث.

(وكان) ﷺ (يمص) الماء **(مصاً)** قال العراقي: روى البغوي والطبراني وابن عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضاً ويشرب مصاً اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن السني وأبو نعيم في الطب وكلهم من طريق بشير بن كثير عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب، عن بهز وهو القشيري. قال البغوي: وليس له إلاّ هذا الحديث وهو منكر، وفي الإصابة ورواه بعضهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه فقيل: إن ابن المسيب سمعه

مصاً ولا يعب عباً، وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه، فإن كان من على يساره أجلّ رتبة قال للذي على يمينه: «السنّة أن تعطي فإن أحببت آثرتهم»، وربما كان يشرب

منه فأرسله الراوي عنه فظنه بعضهم صحابياً، ولكن روي في بعض طرقه عن جد بهز وهو معاوية فسقط لفظ جد من الراوي، وبالجملة فاسناده مضطرب ليس بالقائم، ورواه أيضاً في السنن عن ربيعة بن أكثم، وكذا العقيلي كلاهما من طريق علي بن ربيعة عن ابن المسيب عنه وهو أيضاً ضعيف.

(ولا يعب عباً) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم سلمة: كان لا يعب ولأبي الشيخ من حديث ميمونة لا يعب ولا يلهث وكلها ضعيفة. اهـ.

قلت: لفظ حديث أم سلمة عند الطبراني كان يبدأ بالشراب إذا كان صائماً، وكان لا يعب فيشرب مرتين أو ثلاثاً وفيه يحي الحماني وهو ضعيف، وروى سعيد بن منصور وابن السني، وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الشعب من مرسل ابن أبي حسين «إذا شرب أحدكم فليمص مصاً ولا يعب عباً فإن الكباد من العب». وروى الديلمي من حديث علي «إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ولا تشربوه عباً فإن العب يورث الكباد» وروى أبو داود في مراسيله عن عطاء بن أبي رباح «إذا شربتم فاشربوا مصاً وإذا استكتم فاستاكوا عرضاً.

(وربما كان) ﷺ **(يشرب بنفس واحد حتى يفرغ)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف، وللحاكم من حديث أبي قتادة وصححه «إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد» ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم.

(وكان) ﷺ **(لا يتنفس في الإناء)** أي في جوفه **(بل ينحرف عنه)** لأنه يغير الماء إما لتغير الفم بالمأكول وإما لترك السواك وإما لأن النفس يصعد ببخار المعدة. قال العراقي: روى الحاكم من حديث أبي هريرة «لا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم يتنفس» قال: حديث صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وروى ابن ماجه والطبراني من حديث ابن عباس «كان لا ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الإناء» وأما ما روي عن ابن مسعود: كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً فمعناه أن يشرب ثم يزيله عن فمه ويتنفس ثم يشرب ثم يفعل كذلك ثم يشرب ثم يفعل كذلك.

(وكان) ﷺ **(يدفع فضل سؤره)** أي ما بقي من الشراب **(إلى من على يمينه)** قال العراقي: متفق عليه من حديث انس اهـ. قلت: ومن ثم قال ﷺ «الايمن فالايمن أو الأيمنون فالأيمنون» واستفيد منه تقديم الأيمن ندباً ولو صغيراً مفضولاً.

(فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه «السّنة أن تعطي فإن أحببت آثرتهم») قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن سعد اهـ. قلت: وروي عن ابن عباس

بنفس واحد حتى يفرغ، وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه، وأتي بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: « شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد »، ثم قال ﷺ: « لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله »، وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب، وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب.

قال: « دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله. فقال لي: الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالداً، فقال: ما كنت أوثر على سؤرك أحداً » الحديث. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: واللفظ له هذا حديث حسن وروى النسائي هذا القدر المذكور.

(وأتي) ﷺ **(بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: « شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد » ثم قال ﷺ « لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه »)** قال العراقي: رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة الخ وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك في الأطعمة من حديث أنس قال: « أتي النبي ﷺ بقعب فيه لبن وعسل فأبى أن يشربه وقال: إدامان في إناء لا آكله ولا أحرمه » قال الحاكم: صحيح ورده الذهبي في التلخيص وقال: بل منكر واهٍ. وقال الهيتمي: عقب عزوه للحاكم فيه عبد الكبير بن شعيب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ بن حجر في طريق الطبراني راو مجهول. وأما قوله « من تواضع لله رفعه » فرواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، ورواه ابن النجار بزيادة، ومن اقتصد أغناه الله. وروى ابن منده وأبو عبيد من حديث أوس بن خولى بزيادة ومن تكبر وضعه الله. وروى أبو الشيخ من حديث معاذ بلفظ « من تواضع تخشعاً لله رفعه الله » وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر في أثناء حديث « إني قد أوحي إليَّ ان تواضعوا ولا يبغي أحد على أحد فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضع نفسه رفعه الله » الحديث.

(وكان) ﷺ **(في بيته أشد حياء من العاتق)** يقال: عتقت المرأة خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوج فهي عاتق بلاهاء. روى الشيخان والترمذي من حديث أبي سعيد « كان أشد حياء من العذراء في خدرها » وقد تقدم. **(لا يسألهم طعاماً)** يعتنيه **(ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه)** وفي بعض النسخ: وما أطعموه **(قبل وما سقوه شرب)** والمراد بعدم سؤاله إياهم طعاماً يتشهاه لنفسه، وأما مطلق السؤال فقد ثبت. قال العراقي: روى مسلم من حديث عائشة أنه قال لها ذات يوم هل عندكم شيء؟ قالت: فقلت ما عندنا شيء. الحديث. وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال: ما هو؟ قلت: حيس. قال: هاتيه، وفي رواية

بيان آدابه وأخلاقه في اللباس:

كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير

قريبه، وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعمينيه، ولأبي داود هل عندكم طعام، وللترمذي أعندك غداء، وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأتي بخبز وأدم من أدم البيت، فقال: ألم أر برمة على النار فيها لحم؟ الحديث. وفي رواية لمسلم «لو صنعتم لنا من هذا اللحم» الحديث. فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والعرض والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم.

وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه، ولأبي داود من حديث أم هانىء فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته فشرب منه، وإسناده حسن.

(وكان) ﷺ (ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه) قال العراقي: روى أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ومعه عليّ وعليٌّ ناقةٌ ولنا دوال معلقة، فقام رسول الله ﷺ فأكل منها الحديث. واسناده حسن، وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من في قربة معلقة قائماً الحديث.

بيان آدابه وأخلاقه ﷺ في اللباس:

(كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك) قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزاراً مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت: في هذا قبض النبي ﷺ، وفي رواية إزاراً غليظاً. ولهما من حديث أنس: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية» الحديث لفظ مسلم. وقال البخاري «برد نجراني» ولابن ماجه بسند ضعيف من حديث ابن عباس «كان رسول الله ﷺ يلبس قميصاً قصير اليدين والطول» ولأبي داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث أم سلمة «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص» ولأبي داود من حديث أسماء بنت يزيد كانت يد كم رسول الله ﷺ إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل ذلك حديث الجبة والشملة والحبرة اهـ.

قلت: ومن ذلك ما رواه الشيخان، وأبو داود، والنسائي من حديث أنس «كان أحب الثياب إليه الحبرة» ولفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه «كان يلبس قميصاً فوق الكعبين مستوى الكمين بأطراف أصابعه، وقد أخرجه كذلك ابن عساكر في التاريخ، وروى الحاكم من حديثه «كان قميصه فوق الكعبين وكان كمه مع الأصابع» وروى ابن سعد من مرسل يزيد بن أبي حبيب كان يرخي الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه.

ذلك، وكان يعجبه الثياب الخضر، وكان أكثر لباسه البياض ويقول: «ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم»، وكان يلبس القباء المحشوّ للحرب وغير الحرب، وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه، وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك إلى نصف الساق، وكان قميصه مشدود الإزار وربما حل

(وكان) ﷺ (يعجبه الثياب الخضر) أغفله العراقي وقد روى أبو الشيخ، وأبو نعيم في الطب من حديث أنس «كان أحب الألوان إليه الخضرة» أي من الثياب وغيرها لأن الخضرة من ثياب الجنة. قال ابن بطال: وكفى به شرفاً موجباً للمحبة، ورواه كذلك البزار، وأخرج ابن عدي والبيهقي عن قتادة قال: خرجنا مع أنس إلى أرض فقيل: ما أحسن هذه الخضرة؟ فقال أنس: كنا نتحدث أن أحب الألوان إلى النبي ﷺ الخضرة.

(وكان) ﷺ (أكثر لباسه البياض ويقول «البسوها وكفنوا بها موتاكم») قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس «خير ثيابكم البيض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم» قال الحاكم: صحيح الإسناد، وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة «عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم» لفظ الحاكم. وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الترمذي حسن صحيح اهـ.

قلت: حديث ابن عباس أخرجه أيضاً الطبراني بتقديم وتأخير وزيادة، وخير إكحالكم الإثمد ينبت الشعر ويجلو البصر، وحديث سمرة أخرجه كذلك أحمد وابن سعد والروياني والطبراني والبيهقي والضياء بزيادة فإنها من خير ثيابكم.

(وكان ﷺ يلبس القباء المحشو) بالقطن أو الصوف **(وغير المحشو)** قال العراقي: روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة «أن النبي ﷺ قدمت عليه أقبية من ديباج مزررة بالذهب» الحديث، وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها البخاري قال: فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب الحديث، ولمسلم من حديث جابر: «لبس النبي ﷺ يوماً قباء ديباج أهدي له ثم نزعه» الحديث.

(وكان) ﷺ (له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه) قال العراقي: روى أحمد من حديث أنس أن أكيدردومة أهدي إلى النبي ﷺ جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها، والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند الترمذي وصححه والنسائي أنه لبسها، ولكنه قال: بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب.

(وكانت ثيابه) ﷺ (كلها مشمرة وفوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق) قال العراقي: روى أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله ﷺ إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق

الإزار في الصلاة وغيرها ، وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها

ذلك وإسناده ضعيف، وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس: « كان يلبس قميصاً فوق الكعبين » الحديث. وهو عند ابن ماجه بلفظ قميصاً قصير اليدين والطول وسندهما ضعيف، وللترمذي في الشمائل من رواية الأشعث قال: سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي ﷺ وفيه فإذا إزاره إلى نصف ساقيه، ورواه النسائي وسمى الصحابي عبيد بن خالد واسم عمة الأشعث رهم بنت الأسود ولا تعرف اهـ.

قلت: عبيد بن خالد السلمي البهيزي، وقيل: عبيدة، وقيل عبدة شهد صفين مع علي قال له النبي ﷺ: « لو رفعت إزارك كان أبقى وأنقى » قاله شيبان النحوي عن أشعث بن أبي الشعثاء عن عمته عن عتيك قال: خليفة كنيته أبو عبد الله من ساكني الكوفة أدرك زمن الحجاج وقال ابن أبي حاتم: اسمه عبيدة.

(وكان) ﷺ (قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها) قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي في الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن إياس قال: أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة فبايعناه وأن قميصه لمطلق الازرار، وللبيهقي من رواية زيد بن أسلم قال: رأيت ابن عمر يصلي محلول أزراره فسألته عن ذلك فقال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله. وفي العلل للترمذي أنه سأل البخاري عن هذا الحديث فقال: أنا أتقي هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راوية عن زيد بن أسلم. قلت: تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه اهـ.

قلت: وجدت بخط الشمس الداودي كذا في الأصل، والوليد لم يلحق زيد بن أسلم وإنما رواه عن زهير بن محمد أيضاً كذا في أصل ابن خزيمة في كتاب الصلاة اهـ. وبخط الشمس الشامي تحته، وكذا أخرجه ابن حبان والحاكم من الوجه الذي أخرجه عنه ابن خزيمة، وكذا أخرجه البيهقي والحاكم وكذا في مسند البزار وغيره اهـ.

قال العراقي: وللطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي مختبياً محلل الازرار.

(وكانت له) ﷺ **(ملحفة)** بكسر الميم الملاءة تلتحف بها المرأة **(مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها)** قال العراقي: روى أبو داود والترمذي من حديث قيلة بنت مخرمة قالت: رأيت النبي ﷺ وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران. قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان. قلت: ورواته موثقون ولأبي داود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها لحديث ورجاله ثقات اهـ.

قلت: وروى الخطيب في تاريخه في ترجمة نوح القوسي من حديث أنس: « كان له ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران يدور بها على نسائه فإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء، وإذا كانت ليلة هذه

وحدها، وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره، وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد» وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه، وربما أمَّ به الناس على الجنائز، وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفاً به مخالفاً بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ، وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدي

رشتها بالماء» وسنده ضعيف. والورس: نبت أصفر يزرع باليمن يصبغ به، أو المراد صنف من الكركم أو يشبهه وفيه حل لبس المزعفر والمورس وفيه اختلاف عند العلماء.

(وربما لبس) ﷺ **(الكساء وحده ما عليه غيره)** قال العراقي: رواه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي ﷺ صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به الحديث. وفي رواية البزار في كساء. **(وكان له)** ﷺ **(كساء ملبد يلبسه)** قال العراقي: روى الشيخان من رواية أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: في هذين قبض رسول الله ﷺ وقد تقدم. **(ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد»)** رواه البخاري من حديث عمر: «إنما أنا عبد» ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعاً معضلاً «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلاً قاله العراقي. قلت: وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر: «من لبس الصوف وانتعل بمخصوف» الحديث وفيه «أنا عبد بن عبد آكل أكلة العبد وأجلس جلسة العبد» الحديث.

(وكان له) ﷺ **(ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة)** قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فإذا انصرف طويناهما إلى مثله ويرده حديث عائشة عند ابن ماجه ما رأيته يسب أحداً ولا يطوى له ثوب اهـ.

قلت: ويمكن الجمع بينهما بأن يستثني أي غير ثوبي الجمعة، وسيأتي أنه كان له برد أخضر للجمعة خاصة.

(وربما لبس) ﷺ **(الإزار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه)** قال العراقي: روى الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله، فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وللبخاري من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب، وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتحفاً به ورداؤه موضوع وفيه: رأيت النبي ﷺ يصلي هكذا. **(وربما أم به الناس على الجنائز)** قال العراقي: لم أقف عليه، **(وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفاً به مخالفاً بين طرفيه)** يدل له حديث جابر السابق قبله، **(ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ)** قال العراقي: روى أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ يصلي في ثوب واحد،

ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك، ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة: بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ فقال: «كسوته» فقالت: ما رأيت شيئاً قط كان أحسن من بياضك على سواده، وقال أنس: وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقداً بين طرفيها، وكان يتختم، وربما خرج

فقلت: يا أم حبيبة أيصلي النبي ﷺ في الثوب الواحد؟ قالت: نعم، وهو الذي كان فيه ما كان يعني الجماع. ورواه الطبراني في الأوسط.

(وكان) ﷺ **(ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك)** قال العراقي: روى أبو داود من حديث عائشة: «أن النبي ﷺ صلى في ثوب بعضه علي» ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط وعليه بعضه إلى جنبه، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة: رأيت النبي ﷺ وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي ﷺ ونصفه على عائشة وسنده ضعيف.

(ولقد كان له) ﷺ **(كساء أسود فوهبه)** لآخر **(فقالت له أم سلمة)** رضي الله عنها: **(بأبي أنت وأمي)** يا رسول الله **(ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ قال: «كسوته» فقالت: ما رأيت شيئاً قط كان أحسن من بياضك على سواده)** قال العراقي: لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة: خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرجل أسود، ولأبي داود والنسائي صنعت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها.الحديث. وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت بياض النبي ﷺ وسوادها ورواه الحاكم بلفظ: «جبة» وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(ربما رأيته)** ﷺ **(يصلي بنا الظهر في شملة عاقداً بين طرفيها)** قال العراقي: رواه البزار وأبو يعلى بلفظ «صلى في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه» وللبزار «خرج في مرضه الذي مات فيه مرتدياً بثوب قطن فصلى بالناس» وإسنادهما صحيح، ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت: «صلى في شملة قد عقد عليها» وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا، وأشار سفيان إلى قفاه وفي خبر الغطريف فعقدها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف.

(وكان) ﷺ **(يتختم)** رواه الشيخان من حديث ابن عمر وأنس قاله العراقي، ولفظهما كان يتختم في يمينه، وكذلك رواه الترمذي عن ابن عمر، ورواه مسلم والنسائي عن أنس، ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر، وروى ابن عدي عن ابن عمر بزيادة ثم حوله في يساره، وكذلك رواه ابن عساكر عن عائشة، وروى مسلم عن أنس: «كان يتختم في يساره» وكذلك رواه أبو داود عن ابن عمر، وعند الطبراني من حديث عبد الله بن جعفر: «كان

وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء، وكان يختم به على الكتب ويقول: الخاتم على الكتاب خير من التهمة، وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها، وربما لم تكن العمامة فيشد

يتختم بالفضة» **(وربما خرج)** ﷺ **(وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء)** قال العراقي: رواه ابن عدي من حديث واثلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطاً وزاد الحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف اهـ.

قلت: حديث ابن عمر هذا أخرجه أبو يعلى من طريق سالم بن عبد الأعلى بن الفيض، عن نافع عنه أن النبي ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في اصبعه خيطاً ليذكرها، وكذا هو في رابع الخلعيات وسالم ضعيف جداً. وقال الدارقطني في الافراد أنه تفرد به ورواه ابن سعد في الطبقات والحكيم الترمذي في النوادر بلفظ: «كان إذا أشفق من الحاجة ينساها ربط في خنصره أو خاتمه الخيط» ويروى عن رافع بن خديج قال: رأيت في يد النبي ﷺ خيطاً فقلت: ما هذا قال: «استذكر به» رواه الدارقطني في الافراد وقال: تفرد به غياث بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن الحرث عن عياش بن أبي ربيعة عن سعيد المقبري عنه.

(وكان) ﷺ **(يختم به على الكتب)** روى الشيخان من حديث أنس: «لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قالوا أنهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة» الحديث وللنسائي والترمذي في الشمائل من حديث ابن عمر: «اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه» وسنده صحيح. **(ويقول: الخاتم على الكتاب خير من التهمة)** قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وكان) ﷺ **(يلبس القلانس)** جمع قلنسوة فعنلوة بفتح العين وسكون النون **(تحت العمائم)** جمع عمامة **(و)** تارة يلبسها **(بغير عمامة)** والظاهر أنه كان يفعل ذلك في بيته، وأما إذا ظهر للناس فالظاهر أنه كان لا يخرج إلا بعمامة فوق القلنسوة، **(وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها)** الظاهر أنه كان يفعل ذلك عند عدم تيسر ما يستتر به أو بياناً للجواز. قال العراقي: رواه الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر: «كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء» ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس: «كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر وربما وضعها بين يديه إذا صلى» وإسنادهما ضعيف، ولأبي داود والترمذي من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس. قال الترمذي: غريب وليس إسناده بالقائم اهـ.

قلت: وحديث ابن عباس أخرجه أيضاً الروياني وابن عساكر بلفظ: «كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم ويلبس العمائم بغير قلانس وكان يلبس القلانس اليمانية وهي البيض المضربة ويلبس ذوات الآذان في الحرب، وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترته بين يديه وهو

العصابة على رأسه وعلى جبهته، وكانت له عمامة تسمى: السحاب، فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول ﷺ: «أتاكم علي في السحاب» وكان إذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامنه، ويقول: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس» وإذا

يصلي» وحديث ابن عمر الذي أورده أولاً تفرد به عبد الله بن خراش وهو ضعيف وقال العراقي في شرح الترمذي: أجود إسنـاد في القلانس ما رواه أبو الشيخ عن عائشة: «كان يلبس القلانس في السفر ذوات الآذان وفي الحضر المضمرة» يعني الشامية.

(وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته) قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس صعد النبي ﷺ المنبر قد عصب رأسه بعصابة دسماء الحديث. **(وكانت له)** ﷺ **(عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي)** رضي الله عنه، **(فربما طلع علي فيها فيقول** ﷺ: **«أتاكم علي في السحاب»)** قال العراقي: رواه ابن عدي، وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جداً ولأبي نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث اهـ.

قلت: ومن هنا اشتبه على الرافضة، فزعموا أن المراد بالسحاب التي في السماء فقالوا: هو حي ورفع في السحاب وهذا من ضلالهم وجهلهم بالسنة.

(وكان) ﷺ **(إذا لبس ثوباً)** أي إذا أراد لبسه **(يلبسه من قبل ميامنه)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه اهـ.

قلت: الميامن جمع ميمنة والمراد بها هنا جهة اليمين. وقال الهروي: أي كان يخرج يده اليمنى من الثوب، وقال الطيبي: بميامنه أي بجانب يمينه أي فيندب التيامن في اللبس، ولفظ الترمذي: كان إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه ورواه أيضاً النسائي في الزينة بنحوه **(ويقول: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس»)** قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب، وابن ماجه، والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب اهـ.

قلت: ورووه من حديث أبي أمامة قال: لبس عمر بن الخطاب ثوباً جديداً فقال: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل فيه في حياتي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لبس ثوباً جديداً فقال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كنف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حياً وميتاً». هذا لفظ الترمذي ففي الإسناد رواية صحابي عن صحابي، وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة وابن السني في عمل يوم وليلة، والطبراني في الدعاء كلهم من حديث عمر، وروى ابن السني من حديث معاذ بن أنس رفعه: «من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

نزع ثوبه أخرجه من مياسره، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول: «ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميتاً». وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه

(وإذا نزع ثوبه خرج من مياسره) جمع ميسرة ضد الميمنة. قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئاً من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر، وله من حديث أنس: كان إذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه، وإذا خلع بدأ بيساره وسندهما ضعيف وهو في الانتعال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله اهـ.

قلت: فيندب التياسر في النزع كما يندب التيامن في اللبس، ومعنى خرج من مياسره أي أخرج اليد اليسرى من الثوب.

(وكان له) ﷺ **(ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة)** قال العراقي: تقدم قريباً بلفظ ثوبين اهـ.

قلت: روى البيهقي من حديث جابر كان له برد يلبسه في العيدين والجمعة، وفي رواية أخضر، وفي رواية كان يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة ورواه ابن خزيمة في صحيحه من غير ذكر الأحمر وأخذ منه الإمام الرافعي أنه يسن للإمام يوم الجمعة أن يزيد في حسن الهيئة واللباس ويتعمم ويرتدي، وروى الخطيب من حديث أنس: كان إذا استجد ثوباً لبسه يوم الجمعة.

(وكان) ﷺ **(إذا لبس)** ثوباً **(جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول: «ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميتاً»)** قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بثيابه فلبسها، فلما بلغ تراقيه قال: «الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأواري به عورتي» ثم قال: «ما من مسلم يلبس ثوباً جديداً» الحديث دون ذكر تصدقه ﷺ بثيابه. قال البيهقي: إسناده غير قوي وهو عند الترمذي وابن ماجه دون ذكر لبس النبي ﷺ لثيابه وهو أصح وقد تقدم اهـ.

قلت: روى الترمذي وقال: حسن غريب من حديث ابن عباس: «ما من مسلم كسا مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ الله ما دام عليه منه خرقة» وهو عند ابن النجار «من كسا مسلماً ثوباً كان في حفظ من الله عز وجل ما بقي عليه منه خرقة» ورواه الحاكم وتعقب وأبو الشيخ بلفظ: «من كسا مسلماً ثوباً لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك».

(وكان له) ﷺ **(فراش من أدم)** أي جلد مدبوغ وهو محركة جمع أدمة أو أديم **(حشوه ليف)** أي من ليف النخل، لأنه الكثير بل المعروف عندهم، والضمير للأدم باعتبار لفظه: وإن

وعرضه ذراع وشبر أو نحوه، وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته، وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره، وكان من خُلُقه تسمية دوابه وسلاحه

كان معناه جمعاً فالجملة صفة لأدم خلافاً لمن منع ذلك وجعلها حالية من الفراش وهو متفق عليه من حديث عائشة قاله العراقي. قلت: ورواه الترمذي في الشمائل.

وروى أحمد والأربعة إلا النسائي: كانت وسادته التي ينام عليها من أدم وحشوه ليف **(طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث أم سلمة: كان فراش النبي ﷺ نحو ما يوضع للإنسان في قبره وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: رواه أبو داود في اللباس في سننه عن بعض آل أم سلمة، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أن فيه من لم يسم ولفظه: كان فراشه نحواً مما يوضع للإنسان في قبره، وكان المسجد عند رأسه، وقد رواه أيضاً ابن ماجه في الصلاة فيمكن أن يؤخذ التحديد الذي ذكره المصنف من هذا الحديث.

(وكانت له) ﷺ **(عباءة تفرش له حيثما تنقل تثني طاقتين تحته)** قال العراقي: رواه ابن سعد في الطبقات، وأبو الشيخ من حديث عائشة: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية الحديث، ولابن سعد عنها أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنين الحديث، وكلاهما لا يصح للترمذي في الشمائل من حديث حفصة وسئلت ما كان فراشه قالت مسح نثنيه ثنيتين فينام عليه الحديث وهو منقطع اهـ.

قلت: وقصة الأنصارية رواها البخاري عن عائشة أن أنصارية دخلت علي فرأت فراشه ﷺ قطيفة مثنية فبعثت لها بفراش حشوه صوف، فدخل عليها ﷺ فقال: «ما هذا»؟ فذكرت له القصة. فقال: «رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة».

(وكان) ﷺ **(ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره)** قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر في قصة إعتزال النبي ﷺ نساءه اهـ.

قلت: وذلك أنه دخل عليه في مشربة وكان مضطجعاً على خصفة وأن بعضه لعلى التراب الحديث. وعن ابن مسعود أنه ﷺ نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه، وعند الطبري «أنه دخل عليه في غرفة وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه فبكى» الحديث. وعند ابن حبان في صحيحه أن أبا بكر وعمر دخلا عليه، فإذا هو نائم على سرير له مزمل بالبردى عليه كساء أسود حشوه بالبردى، فلما رآهما استوى جالساً فنظراه فإذا أثر السرير في جنبه الحديث.

(وكان من خلقه) ﷺ **(تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه)** أغفله العراقي: وقد روى الروياني وابن عساكر من حديث ابن عباس: كان يلبس القلانس تحت العمائم الحديث، وفي آخره وكان من خلقه أن يسمي سلاحه ودوابه ومتاعه أي كما كان يسمي قميصه ورداءه وعمامته.

ومتاعه، وكان اسم رايته: العقاب. واسم سيفه الذي يشهد به الحروب: ذو الفقار. وكان له سيف يقال له: المخذم. وآخر يقال له: الرسوب، وآخر يقال له: القضيب.

(وكان اسم رايته العقاب) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء تسمى العقاب، ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلاً قاله العراقي.

قلت: وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات، وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس: «كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض» قال الطيبي: أي غالب لونها أسود بحيث نرى من بعيد سوداء لأن لونها أسود خالص، وسكت عنه الحاكم ولم يصححه لأن فيه يزيد بن حبان مضعف، وقيل: بل هو مجهول الحال وساقه ابن عدي من مناكير حبان بن عبيد الله. نعم رواه الترمذي في العلل عن البراء من طريق آخر بلفظ: «كانت سوداء مربعة من نمرة» ثم قال: سألت عنه محمداً يعني البخاري فقال: حديث حسن اهـ.

ورواه الطبراني باللفظ المذكور من هذا الوجه وزاد: «مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله» وفي سنن أبي داود أنها كانت صفراء.

تنبيه:

الراية: العلم الكبير واللواء العلم الصغير. فالراية هي التي يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها وإليها تميل المقاتلة، واللواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار. وقال ابن العربي: اللواء ما يعقد في طرف الرمح ويكون عليه، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح.

(واسم سيفه الذي) كان **(يشهد به الحروب ذوالفقار)** قال ابن القيم: تنفله من بدر وهو الذي أرى فيه الرؤيا ودخل به يوم فتح مكة، وكانت أسيافه سبعة وهذا ألزمها. وقال الزمخشري: سمي ذا الفقار لأنه كانت في إحدى شفرتيه خروز شبهت بفقار الظهر، وكان هذا السيف لمنبه بن الحجاج، أو منبه بن وهب، أو العاص بن منبه، أو الحجاج بن علاط أو غيرهم، ثم صار عند الخلفاء العباسيين. قال العراقي: روى أبو الشيخ من حديث علي بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار، وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس أنه ﷺ تنفل سيفه ذا الفقاريوم بدر، وللحاكم من حديث علي في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف اهـ.

وقال الأصمعي: دخلت على الرشيد فقال: أريكم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار؟ قلنا: نعم فجاء به فما رأيت سيفاً أحسن منه إذا نصب لم ير فيه شيء وإذا بطح عد فيه سبع فقر وإذا صفيحته يمانية يحار الطرف فيه من حسنه. وقال قاسم في الدلائل: إن ذلك كان يرى في رونقه شبيهاً بفقار الحية، فإذا التمس لم يوجد وله ذكر في حديث ابن عباس الطويل وسيأتي ذكره.

(وكان له) ﷺ **(سيف يقال له المخذم)** كمنبر، **(وآخر يقال له رسوب، وآخر يقال له القضيب)** قال العراقي: روى ابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن

وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة.

وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة، وكان اسم قوسه: الكتوم.

المعلى مرسلاً قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلعي، وسيف يدعى بتاراً، وسيف يدعى الحتف. وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس، وفي سنده الواقدي، وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال أنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما القضيب شهد به بدراً اهـ.

قلت: اختلفوا في عدد سيوفه ﷺ فقيل: خمسة وهو قول عبد الملك بن عمير، وقيل سبعة نقله صاحب رأس مال النديم، وتقدم أيضاً عن ابن القيم. وقيل: تسعة ذكره عبد الباسط البلقيني، والمخذم ورسوب أحد السيوف التي أهدت بلقيس لسليمان عليه السلام ثم آل إلى الحرث بن شمر الغساني، وفي مفاهيم الاشراف للبلاذري في سرية علي رضي الله عنه لما توجه إلى هدم القلس بضم القاف وسكون اللام اسم صنم لطيء كان مقلداً بسيفين أهداهما إليه الحرث بن أبي شمر المخذم ورسوب وفيهما يقول علقمة بن عبدة:

مظاهر سربالي حديد عليهما عقيلاً سيوف مخذم ورسوب

فأتى بهما رسول الله ﷺ، والقضيب في اللغة هو اللطيف من السيوف. **(وكان قبيعة سيفه)** ﷺ **(من الفضة)** القبيعة بالقاف كسفينة ما على طرف مقبض السيف. قال العراقي: روى أبو داود والترمذي وقال: حسن والنسائي وقال منكر من حديث أنس: كان قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة اهـ.

قلت: ولفظ الشمائل من فضة وفي حديث ابن عباس الآتي ذكره كان له سيف محلى قائمته من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة، وكان يسمى ذا الفقار الحديث. وأراد بالنصل الحديدة التي في أسفل قرابه. قال ابن حجر في شرح الشمائل: فيه حل تحلية آلة الحرب بها للرجل إما بالذهب فيحرم فهما للنساء ووقع لمن لا فقه عنده في التضبيب والتمويه بالذهب ما لا يرضي فاحذره، والحاصل أن الذهب لا يحل للرجال مطلقاً لا استعمالاً ولا اتخاذاً ولا تضبيباً ولا تمويهاً لا لآلة حرب ولا لغيرها، وكذا الفضة إلا في التضبيب والخاتم وتحلية آلة الحرب، وما وقع في بعض العبارات من حل المموه وحرمته أخرى محمول على تفصيل علم من مجموع كلامهم، وهو أنه ان حصل شيء بالعرض على النار من ذلك المموه حرمت استدامته كابتدائه، وإن لم يحصل منه شيء حرم الابتداء فقط، أما نفس التمويه الذي هو الفعل والإعانة عليه والتسبب فيه فحرام مطلقاً، ويأتي هذا التفصيل في تمويه الرجل الخاتم وآلة الحرب بالذهب، فتفطن لذلك لتأمن من العثار الواقع فيه بعض الشراح ممن لا يتقن المسائل الفقهية التي هي أحق بالإتقان من سفاسف الحكمة ومقدمات البرهان.

(وكان) ﷺ **(يلبس المنطقة)** بكسر الميم **(من الأدم)** محركة الجلد المدبوغ أو الأحمر أو

وجعبته الكافور ، وكان اسم ناقته : القصوى ، وهي التي يقال لها : العضباء ، واسم بغلته : الدلدل . وكان اسم حماره يعفور ، واسم شاته التي يشرب لبنها عينة ، وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها ، فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا

مطلقاً أقوال (**فيها ثلاث : حلق من الفضة**) قال العراقي : لم أقف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية علي بن الحسين مرسلاً : كان في درع النبي ﷺ حلقتان من فضة عند موضع الثدي وحلقتان خلف ظهره من فضة . (**وكان اسم قوسه**) ﷺ (**الكتوم و**) اسم (**جعبته الكافور**) قال العراقي : لم أجد له أصلاً . وفي حديث ابن عباس عند الطبراني إنه كان له قوس يسمى : « السداد » وكانت له كنانة تسمى « الجمع » وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه : أخذ رسول الله ﷺ يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي قوس اسمها الروحاء ، وقوس شوحط تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء من نبع اهـ .

قلت : يقال قوس كتوم أي لا ترن إذا قبضت أو التي لا شق فيها أو التي لا صدع في نبعها وأنشد الجوهري لأوس :

كتـــوم طلاع الكـــف لا دون ملئهـــا ولا عجسهـا في مـــوضـــع الكـــف أفضلا

وأما الكافور فهو وعاء كل شيء من النبات ، (**وكان اسم ناقته**) ﷺ (**القصوى وهي التي يقال لها العضباء ، واسم بغلته الدلدل ، وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة**) قال العراقي : بعضه مذكور في حديث ابن عباس أي الآتي ذكره . وروى البخاري من حديث أنس : « كان للنبي ﷺ ناقة يقال لها العضباء » ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصوى ، وللحاكم من حديث علي : « ناقته القصوى وبغلته دلدل وحماره عفير » الحديث . ورويناه في فوائد أبي الدحداح فقال : « حماره يعفور » وفيه « شاته بركة » . وللبخاري من حديث معاذ : « كنت أردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير » ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم ابن عبدالله من ولد عتبة بن غزوان : « كانت منائح رسول الله ﷺ من الغنم سبع عجوة وزمزم وشقباء وبركة ودرسة وأطلال وأطراف » وفي سنده الواقدي ، وله من رواية مكحول مرسلاً كانت له شاة تسمى قمراً اهـ .

قلت : حديث الحاكم الذي أخرجه عن علي قد أخرجه أيضاً البيهقي ولفظه : « كان فرسه يقال له المرتجز وناقته القصوى وبغلته الدلدل وحماره عفير ودرعه ذات الفضول وسيفه ذو الفقار » وروى أحمد من حديث علي والطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن مسعود بسند حسن : « كان له حمار اسمه عفير » .

(**وكانت له**) ﷺ (**مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا ، فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه ، فإذا وجدوا في**

فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه ، فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة .

المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة) قال العراقي : لم أقف له على أصل اهـ .

ولنذكر حديث ابن عباس الموعود بذكره وهو جامع لما تقدم مع زيادة ساقه العراقي فقال : روى الطبراني من حديث ابن عباس : « كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار ، وكان له قوس يسمى السداد ، وكانت له كنانة تسمى الجمع ، وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول ، وكانت له حربة تسمى النبعة ، وكانت له مجن تسمى الذفن ، وكان له ترس أبيض يسمى الموجز ، وكان له فرس أدهم يسمى السكب ، وكان له سرج يسمى الداج الموجز ، وكانت له بغلة شهباء يقال لها دلدل ، وكانت له ناقة تسمى القصوى ، وكان له حمار يسمى يعفور ، وكان له بساط يسمى الكز ، وكانت له عنزة تسمى النمر ، وكانت له ركوة تسمى الصادر ، وكانت له مرآة تسمى المدله ، وكان له مقراض يسمى الجامع ، وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق » . وفيه علي بن عذرة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث اهـ .

قلت : ورواه من طريق عثمان بن عبد الرحمن ، عن علي بن عذرة ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء وعمرو بن دينار كلاهما عن ابن عباس . وعلي بن عذرة قال الهيثمي متروك ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال : عبد الملك وعلي وعثمان متروكون ، ونوزع في عبد الملك فإن الجماعة سوى البخاري رووا له . وفي بعض ألفاظ هذا الحديث : « كان له سيف محلّى قائمته من فضة ونصله من فضة » وفيه « حلق من فضة » وفيه : « وكان له قوس يسمى ذا السداد » قال ابن القيم : كانت له ست قسي هذا أحدها وفيه : « وكان له كنانة تسمى ذا الجمع » وهو بضم الجيم وسكون الميم . والكنانة جعبة السهام ، والدرع المسماة ذات الفضول هي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي ، وكان له سبعة دروع هذه أحدها . والنبعاء بتقديم النون على الموحدة ممدودة كذا في بعض ألفاظه . قال ابن القيم : وكانت له حربة أخرى كبيرة تدعى البيضاء ، والمجن : بالكسر الذي يتستر به في الحرب وهو الترس . والذفن : بفتح الذال وسكون الفاء وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء ، وليس في بعض رواياته ذكر الترس بل زاد بعده : وكان له فرس أشقر يقال له المرتجز . والسكب : المذكور كان أغر محجلاً طلق اليمين وهو أول فرس غزا عليه قاله النووي في التهذيب . ودلدل : كقنفذ أهداها له يوحنا ملك إيلة . وظاهر البخاري أنه أهداها له في غزوة حنين ، وقد كانت هذه البغلة عند رسول الله ﷺ قبل ذلك . قال القاضي : ولم يرد أنه كانت له بغلة غيرها نقله النووي عنه ، وتعقبه الجلال البلقيني فإن البغلة التي كان عليها يوم حنين غير هذه . ففي مسلم : أنه كان على بغلة بيضاء أهداها له الجذامي قال : وفيما قاله القاضي نظر ، فقد قيل : كان له دلدل ، وفضة والتي أهداها ابن العلماء والإيلية ، وأخرى أهداها له كسرى ، وأخرى من دومة الجندل ، وأخرى من النجاشي كذا في سيرة مغلطاي . وقال ابن القيم : كان له من البغال دلدل وكانت شهباء

بيان عفوه ﷺ مع القدرة:

كان ﷺ أحلم الناس، وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أُتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل، فقال: «ويحك فمن يعدل عليك بعدي» فلما ولى قال: «ردوه

أهداها له المقوقس، وأخرى اسمها فضة أهداها له فروة الجذائي، وأخرى شهباء أهداها له صاحب إيلة، وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل. وقوله: القصوى هي التي قطع طرف أذنها، فإذا جاوز القطع فهي العضباء. قال ابن الأثير: ولم تكن ناقته ﷺ كذلك، بل هو لقب لها. وجاء في خبر أن له ناقة تسمى العضباء، وأخرى تسمى الجدعاء، فيحتمل أن كل واحدة صفة ناقة مفردة، ويحتمل كون الكل صفة ناقة واحدة فيسمي كل واحد منها بما تخيل فيها. وقوله: يعفور أو عفير هو بضم العين المهملة تصغير أعفر أخرجوه عن بناء أصله كسويد تصغير أسود من العفرة بالضم وهي حمرة يخالطها بياض ذكره جمع، ووهموا عياضاً في ضبطه بإعجام الغين. قال الحافظ ابن حجر: وهو غير الذي يقال له يعفور، وزعم ابن عبدوس أنهما واحد رده الدمياطي فقال: عفير اهداه له المقوقس، ويعفور أهداه له فروة بن عمرو، وقيل: بالعكس. قال الواقدي: نغف يعفور منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع، وقيل: طرح نفسه في بئر يوم موته ﷺ. وقوله: وكان له بساط كذا في نسخ الطبراني، ووقع في بعض النسخ بدله فسطاط وهو تصحيف. والكز: بالزاي المعجمة هكذا ضبطه بعض قوله: وكانت له عنزة هو بالتحريك أي حربة. وقوله: تسمى الصادر سميت به لأنه يصدر عنها بالري ذكره ابن الأثير. وقوله: قضيب شوحط أي غصن مقطوع من شوحط وهو من أشجار الجبال تعمل منها القسي والسهام. قيل: هو الذي كان الخلفاء يتداولونه. وروى البخاري من حديث سهل بن سعد قال: «كان للنبي ﷺ في حائطنا فرس يقال له اللحيف» وروى البيهقي عنه بلفظ: «كان له فرس يقال له الظرب وآخر يقال له اللزاز» وجملة أفراسه ﷺ سبعة متفق عليها جمعها ابن جماعة في بيت فقال:

والخيل سكب لحيف ظرب لزاز ... مرتجز ورد لها أسرار

وقيل: كانت له أفراس خمسة عشر، والله أعلم.

بيان عفوه ﷺ مع القدرة:

(**كان** ﷺ **أحلم الناس**) أي أكثرهم حلماً وقد تقدم، (**و**) كان (**أرغبهم في العفو مع القدرة**) على الانتقام، (**حتى أتي بقلائد من ذهب وفضة**) أي القلائد المصنوعة منها وهو الحلي، (**فقسمها بين أصحابه**) بما أراه الله تعالى، (**فقام رجل من أهل البادية**) أي من الأعراب الجفاة (**فقال: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل**) في القسمة (**فما أراك تعدل**) حيث أعطى بعضاً وترك بعضاً أو أكثر لبعض وأقل لآخرين (**فقال**) ﷺ: (**«ويحك فمن يعدل عليك بعدي» فلما ولى**) الأعرابي (**قال: «ردوه علي رويداً**) أي من غير استعجال فحمل عليه

علي رويداً ». وروى جابر أنه ﷺ كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله ﷺ: « ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذاً وخسرت إن كنت لا أعدل »، فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق؟ فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، وكان ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرّة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال: « الله ». قال: فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ بالسيف وقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فقال: لا. غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس، وروى أنس: أن يهودية أتت

وعفا عنه مع غلظة كلامه وأمر برده على امهال لئلا يرتاع. قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد اهـ. قلت: ورواه الحاكم من حديث ابن عمرو وفيه زيادة في آخره.

(وروى جابر) بن عبد الله رضي الله عنه **(أنه ﷺ كان يقبض)** مبنياً للفاعل أي يعطى. وفي بعض النسخ كان يفيض من الإفاضة **(للناس يوم حنين[1] من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا نبي الله أعدل، فقال رسول الله ﷺ: « ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذاً وخسرت إن كنت لا أعدل » فقام عمر)** رضي الله عنه **(فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق؟ فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي)** رواه مسلم في صحيحه قاله العراقي: قلت: ورواه أيضاً أحمد والبخاري والطبراني في الكبير بزيادة « إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ».

(وكان ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة) أي غفلة **(فجاء رجل)** منهم **(حتى قام على رسول الله ﷺ)** وهو قائل تحت شجرة في قائلة وسيفه معلق بها وقد تفرق عنه أصحابه **(بالسيف)** أي بسيفه ﷺ الذي كان معلقاً بالشجرة فاخترطه وانتبه ﷺ من نومه فرآه واقفاً على رأسه وبيده السيف **(فقال: من يمنعك مني)**؟ أي أنا قاتلك به الآن. **(فقال)** ﷺ: **(« الله)** عز وجل يمنعني منك » **(قال)** الراوي: **(فسقط السيف من يده)** واندهش في نفسه، **(فأخذ رسول الله ﷺ السيف)** من الأرض **(وقال: « من يمنعك)** الآن » **(فقال: كن خير آخذ. قال: « قل أشهد أن لا إله إلا الله » فقال: لا)** أقول لك **(غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك)** أي في نصرتك، **(ولا أكون مع قوم يقاتلونك)** أي لا أكون عوناً لك ولا عليك، **(فخلى سبيله)** أي تركه حتى ذهب، **(فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس)**

---

(١) ورد في الإحياء: « خيبر » بدلاً من « حنين ».

النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك، فقال: « ما كان الله ليسلطك على ذلك »، قالوا: أفلا نقتلها؟ فقال:

قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف، وسمي الرجل غورث بن الحرث اهـ.

قلت: أخرجه أحمد وكذا مسدد بن سرهد في مسنديهما عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس عن جابر بطوله وفيه بعد قوله: كن خير آخذ. قال: لا أو تسلم. قال: لا ولكن أعاهدك أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وأما البخاري فقد أخرجه من ثلاث طرق: إحداها موصولة، والأخرى معلقة، والأخرى مختصرة جداً. أما الموصولة من طريق الزهري عن سنان بن أبي سنان عن جابر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر الحديث وفيه: « إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده اعرابي جالس فقال: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلت فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: « الله » فها هو ذا جالس » ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ. ولم يسم في هذه الرواية. وأما المعلقة: فقال البخاري عقب هذه قال أبان: حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن جابر قال: « كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع » فذكر الحديث بمعناه وفيه: « أن أصحاب رسول الله ﷺ تهددوه » وليس فيه تسمية أيضاً. وأما المختصرة فقال قال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر اسم الرجل غورث بن الحرث.

(وروى أنس) رضي الله عنه: **(ان يهودية أتت إلى النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك. فقال: « ما كان الله ليسلطك على ذلك » قالوا: أفلا نقتلها فقال: « لا »)**. قال العراقي: رواه مسلم وهو عند البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وروى الحاكم في المستدرك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري أن يهودية أهدت شاة إلى رسول الله ﷺ سميطاً فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبي ﷺ: « كفوا أيديكم فإن عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » قال: فأرسل إلى صاحبتها: « أسممت طعامك هذا »؟ قالت: نعم أحببت إن كنت كاذباً أريح الناس منك، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه. فقال رسول الله ﷺ: « اذكروا اسم الله وكلوا » فأكلنا فلم يضر أحداً منا شيء، قال صاحب سلاح المؤمن: اسم هذه اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم، وكان بشر بن البراء ابن معرور ممن أكل من الشاة فمات منها، وذلك عام خيبر. قال: وقوى شيخنا الدمياطي القول بأن رسول الله ﷺ قتل اليهودية به.

« لا »، وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط، وقال علي رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ

(وسحره) ﷺ **(رجل من اليهود فأخبره جبريل)** عليه السلام **(بذلك حتى استخرجه)** من بئر ذروان **(وحل عقده فوجد لذلك خفة ولا ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط)** قال العراقي: رواه النسائي بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم، وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر اهـ.

قلت: اسم ذلك اليهودي لبيد بن الأعصم وقد روى حديث سحره من طرق، وتقدم بعضها في كتاب العلم. أما حديث زيد بن أرقم فأخرجه أيضاً عبد بن حميد في مسنده قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان فأرسل علياً فجاء به فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية فجعل يقرأ أو يحل حتى قام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال.

وأما حديث عائشة أيضاً فأخرجه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل قالت: كان لرسول الله ﷺ غلام يهودي يخدمه يقال له لبيد بن الأعصم فلم تزل به يهود حتى سحر النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يذوب ولا يدري ما وجعه، فبينا رسول الله ﷺ ذات ليلة قائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي هو عند رأسه للذي عند رجليه: ما وجعه؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: بم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة وجف طلعة ذكر بذي أروان وهي تحت راعوفة البئر، فلما أصبح رسول الله ﷺ غداً ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة فإذا فيها مشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه، وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيها مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة. الحديث. ففيه فقيل يا رسول الله لو قتلت اليهودي؟ فقال: « قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد ». وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس نحوه، ومن حديث أنس مختصراً.

(وقال علي كرم الله وجهه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد) بن الأسود **(فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ)** موضع بين الحرمين **(فإن بها ظعينة)** في المصباح يقال: للمرأة ظعينة فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها أي يرتحل. ويقال: الظعينة الهودج سواء كان فيه امرأة أم لا. ويقال: الظعينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم، وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة وهي هنا امرأة من مزينة. قال ابن إسحاق: بلغني أنها كانت مولاة لبني عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرنها وخرجت به **(معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا)** تعادي بنا خيلنا **(حتى أتينا روضة**

فقلنا أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمراً من أمر رسول الله ﷺ فقال: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت امرأ ملصقاً في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن اتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعل ذلك كفراً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداداً عن ديني، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم». فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وقسم رسول الله

خاخ) فإذا نحن بها (**فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتنزعن الثياب فأخرجته من عقاصها**) أي من شعرها المعقوص. وفي رواية: من حجزتها (**فأتينا به**) أي بالكتاب (**النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة**) واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي، وكان حاطب حليف بني أسد بن عبد العزى (**إلى أناس من المشركين**) بمكة (**يخبرهم أمراً من أمور رسول الله ﷺ**) أي ببعض أمره بتجهيزه إليهم (**فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قومي**) أي لكونه من بني لخم وأنا حالف ببني أسد، (**وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك منهم من النسب أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي**) ولا يؤذونهم: (**ولم أفعل ذلك كفراً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداداً عن ديني فقال رسول الله ﷺ: «صدقكم حاطب» فقال عمر**) رضي الله عنه: (**دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه شهد بدر أو ما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**) قال العراقي: متفق عليه اهـ.

قلت: هو عندهما من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علياً يقول وأخرجاه أيضاً من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وأنه فيه نزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] الآية. قال سفيان: فلا أدري إذاك في الحديث أم قولاً من عمرو بن دينار، ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس عن عمر فذكر يعني حديث علي وفيه فقال: «يا حاطب ما دعاك إلى ما صنعت» فقال: يا رسول الله كان أهلي فيهم فكتبت كتاباً لا يضر الله ولا رسوله.

وروى ابن شاهين والماوردي والطبراني وسمويه من طريق الزهري عن عروة عن عبد الرحمن

ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله؟ فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمرَّ وجهه وقال: رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر، وكان ﷺ يقول: لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.

ابن حاطب بن أبي بلتعة قال: وحاطب رجل من أهل اليمن وكان حليفاً للزبير، وكان قد شهد بدراً، وكان بنوه واخوته بمكة فكتب حاطب من المدينة إلى كفار قريش ينتصح لهم فذكر الحديث نحو حديث علي وفي آخره فقال حاطب: والله ما أذنبت في الله منذ أسلمت، ولكنني كنت امرأ غريباً ولي بمكة بنون وإخوة الحديث وزاد في آخره فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] الآيات. ورواه ابن شاهين من حديث ابن عمر بإسناد قوي.

(وقسم ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله: فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه وقال: « رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر ») قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وتمامه: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثلها، وأعطى إناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة فقال رجل ما قال وفيه: فقلت، والله لأخبرن رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال ﷺ ما قال. وقوله: قد أوذي بأكثر من هذا فصبر أي: آذاه قومه بأشد مما أوذيت به من تشديد فرعون وقومه وابائه عليه وقصده إهلاكه، بل ومن تعنت من آمن معه من بني إسرائيل حتى رموه بالأدرة واتهموه بقتل أخيه هارون عليهما السلام لما مات معه في التيه ولما سلك بهم البحر. قالوا: إن صحبنا لا نراهم، فقال: سيروا فإنهم على طريق كطريقكم. قالوا: لا نرضى حتى نراهم. فقال: اللهم أعني على أخلاقهم السيئة ففتحت لهم كوّات في الماء فتراءوا وتسامعوا إلى غير ذلك من تعنتاتهم معه عليه السلام وكلامه ﷺ ذلك شفقة عليهم ونصحاً في الدين لا تهديداً وتثريباً.

(وكان ﷺ يقول: « لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود. وقال: غريب من هذا الوجه اهـ. قلت: ورواه كذلك أحمد والبيهقي.

بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه:

كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه، وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة، وكان لا يشافه أحداً بما يكرهه. دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئاً حتى خرج فقال لبعض القوم: لو قلتم لهذا أن يدع هذه، يعني: الصفرة. وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهمّ به

بيان اغضائه ﷺ عما كان يكرهه:

(**كان ﷺ رقيق البشرة**) محركة ظاهر الجلد وهو علامة اعتدال المزاج ويكنى به عن الحياء أيضاً (**لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه**) الشريف (**غضبه ورضاه**) قال العراقي: روى أبو الشيخ من حديث ابن عمر «كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه» الحديث. وقد تقدم.

(**وكان**) ﷺ (**إذا اشتد وجده**) أي غضبه يقال: وجد عليه وجداً وموجدة إذا غضب عليه (**أكثر من مس لحيته**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد حسن. (**وكان**) ﷺ (**لا يشافه أحداً بما يكرهه**) لئلا يشوش عليه، وذلك لكثرة حيائه وسعة صدره وسببه أنه (**دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئاً**) أي في وجهه (**حتى خرج**) من عنده (**فقال لبعض القوم: لو قلتم لهذا**) لو للشرط فالجزاء محذوف أي لكان أحسن أي لأنه فيه نوع تشبه بالنساء وهو من غير قصد التشبيه بهن مكروه أو للتمني (**أن يدع هذه يعني: الصفرة**) الظاهر أن ذلك الأثر لم يكن محرماً وإلا لم يؤخر أمره ﷺ بتركه إلى مفارقته للمجلس، فزعم بعضهم أن غضبه ﷺ عند انتهاك المحارم لا ينافي تفويضه لغيره الأمر بإزالتها وإن أدى إلى تأخيرها غفلة عن كلام الأئمة في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه يجب على القادر إزالة المنكر فوراً بلسانه أو يده، ولا يجوز له أن يستنيب غيره في ذلك إذا أدت استنابته إلى تأخير ذلك المنكر ولو لحظة، وهو ﷺ سمع كلام هذا الرجل ثم ولم يأمرهم أن يقولوا له أزل هذا إلا بعد قيامه من المجلس فأخر الإزالة إلى انقضاء المجلس وهذا لا يقوله إلا جاهل بالفقه وقواعده، فتعين ما ذكرته من أن ذلك الأثر الذي كان عليه لم يكن محرماً ويؤيد ذلك أنه ﷺ لما رأى على عمرو بن العاص ثوبين معصفرين أمره فوراً بإزالتها.

فإن قلت: لم أمر هنا عمراً وثم أنابهم في ذلك؟ قلت: لما تقرر أن عمراً عليه محرم بخلاف ذلك الرجل وبفرض تحريم المعصفر الذي قال به كثيرون، فوجهه أن عمراً عليه محرم يفرح بذلك ويبادر إلى امتثاله، وذلك الرجل لعله قريب عهد بالإسلام فخشي عليه إن واجهه بأمره بإزالة ما عليه ففوضه لغيره لا على وجه الإلزام به. وهذا أيضاً مما يصرح بأنه لم يكن محرماً. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

الصحابة فقال ﷺ: «لا تزرموه» أي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء» وفي رواية: «قربوا ولا تنفروا». وجاءه أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه ﷺ ثم قال له: «أحسنت إليك». قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً ثم قال: «أحسنت إليك»؟ قال: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له النبي ﷺ: «إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك» قال: نعم، فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي ﷺ: «إن هذا الأعرابي، قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك»؟ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال ﷺ: «إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحب

قلت: وكذلك رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وفي رواية للطيالسي وأحمد والنسائي: «لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة» ورواه كذلك البخاري والبيهقي من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ.

(وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الأصحاب) أي قصدوا منعه عن ذلك **(فقال ﷺ: «لا تزرموه»)** بضم التاء الفوقية وسكون الزاي **(أي لا تقطعوا عليه البول)** فإنه يضر البائل قال ذلك شفقة عليه، **(ثم قال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء»)** أي الغائط **(وفي رواية: «قربوا ولا تنفروا»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ. قلت [1].

(وجاء اعرابي يطلب منه شيئاً فأعطاه رسول الله ﷺ ثم قال له: «أحسنت إليك») يخبر بذلك باطنه، **(فقال الاعرابي: لا. ولا أجملت. قال: فغضب المسلمون لذلك وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا)** أي امتنعوا عنه **(ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الاعرابي وزاده شيئاً ثم قال: «أحسنت إليك» فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال له النبي ﷺ: «إنك قلت ما قلت)** آنفاً **(وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك» قال: نعم، فلما كان من الغد أو من العشي جاء، فقال النبي ﷺ: «إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي بذلك» فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال ﷺ: «إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها**

---

(١) بياض في الأصل.

الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ».

بيان سخاوته وجوده ﷺ :

كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئاً، وكان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: كان أجود الناس كفاً وأوسع الناس

إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض) أي مما يقم من وجهها من حشيش وتبن **(فردها هوي هوي)** هكذا بضم الهاء وسكون الواو والياء فيهما كذا في بعض النسخ وهو اسم صوت لدعاء الناقة وفي بعض النسخ هونا هونا حتى جاءت **(واستناخت وشد عليها رجلها واستوى عليها)** راكباً، **(وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار »)** قال العراقي: رواه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

بيان سخائه ﷺ وجوده:

(كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم) أي أكثرهم جوداً وسخاء وهما مترادفان. وقال بعضهم: الجود صفة هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا لغرض، والسخاء إعطاء ما ينبغي روى الشيخان من حديث أنس: « كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس » قاله العراقي: قلت: وكذلك رواه الترمذي وابن ماجه.

(وكان) ﷺ (في شهر رمضان كالريح المرسلة) بفتح السين أي المطلقة **(لا يمسك شيئاً)** قال العراقي: روى الشيخان من حديث ابن عباس: « كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان » وفيه: « فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي في الشمائل وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده ﷺ تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه. ورواه كذلك أحمد بزيادة: لا يسأل شيئاً إلا اعطاه، وسبب أجوديته إتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما في الصحيحين، وإنما كان إتيانه سبباً لذلك لأنه رسول ربه إليه وأمين حضرته والمتولي لقسمة مواهبه، وذلك موجب نهاية الأجودية، وأيضاً إذا جاء جبريل وعرض عليه القرآن تجدد تخلقه بأخلاق ربه، وأفيض عليه غاية جوده ونهاية قربه، فحينئذ يزداد جوده ويتسع وجوده.

(وكان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: كان أجود الناس كفاً وأجرأ الناس صدراً) وفي بعض النسخ أوسع بدل أجرأ. ولفظ الشمائل أجود الناس صدراً أي قلباً

صدراً وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله، وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه، وإن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنماً سدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. وما سئل شيئاً قط فقال لا، وحمل إليه

تسمية الشيء باسم محله أو مجاوره أي جوده ﷺ بالسجية والطبع لا بالتكلف، وقيل: من الجودة أي أحسنهم قلباً لسلامته من كل غش ودنس. كيف وقد صح أن جبريل شقه واستخرج منه علقة. وقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست ذهب بماء زمزم، **(وأصدق الناس لهجة)** بفتحتين أو بفتح فسكون أي لساناً أي كان لسانه ﷺ أصدق الألسنة. إذ هو أفصح الخلق وأعذبهم كلاماً وأسرعهم اداء وأحلاهم منطقاً. كان حسن كلامه يأخذ بمجامع القلوب، **(وأوفاهم بذمة)** وفي نسخة: ذمة، **(وألينهم عريكة)** أي طبيعة فهو مع الناس على غاية من السلامة والمطاوعة وقلة الخوف والنفور، **(وأكرمهم عشيرة)** وفي نسخة عشرة أي اختلاطاً وصحبة وعلى الأوّل هنا أكرمهم قبيلة أي قوماً من جهة أبيه وأمه. **(من رآه بديهة)** أي فجأة عن غير قصد **(هابه)** أي أخذته الهيبة لما كان يظهر عليه من عظيم الجلالة والمهابة والوقار، **(ومن خالطه معرفة أحبه)** لكمال حسن معاشرته وباهر عظيم تألفه. **(يقول ناعته)** أي واصفه **(لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ)** للزوم هذا الوصف له وظهوره عند من له أدنى بصيرة فلما لم يخف كان كل واصف ملزوماً بأن هذا القول يصدر عنه، وإن لم يصدر عنه التصريح به غفلة وذهولاً، فالرؤية هنا علمية أي لم أعلم به مماثلاً في وصف من أوصاف الكمال، وأما ما ثبت من وجوه شبهه ﷺ عمن ذكروهم وهم اثنا عشر أو أكثر، فإن المرابه الشبه في البعض، وإلاً فجملة محاسنه منزهة عن الشريك كما أفاده صاحب البردة رحمه الله تعالى. قال العراقي رواه الترمذي وقال: ليس إسناده بمتصل.

قلت: ولفظه: أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة والباقي سواء.

(وما سئل) ﷺ **(قط على الإسلام)** شيئاً من متاع الدنيا **(إلا أعطاه)** وجاد به أو وعده أو سكت، **(فإن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: يا قوم اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة)** وفي لفظ: الفقر. رواه مسلم من حديث أنس قاله العراقي.

قلت: رواه من طريق عاصم بن النفر عن خالد بن الحرث، حدثنا حميد بن موسى، عن موسى بن أنس، عن أبيه. ورواه البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن أبي يعقوب الكرماني، عن خالد بن الحرث وتمامه عند مسلم. وأعطى صفوان بن أمية يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة حتى صار أحب الناس إليه بعدما كان أبغضهم إليه، فكان ذلك سبباً لحسن إسلامه. وروى مسلم

تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها، وجاءه رجل فسأله فقال: «ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه». فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ ذلك فقال

والترمذي من طريق سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال: والله لقد أعطاني النبي ﷺ وأنه لأبغض الناس إليَّ فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليَّ.

(وما سئل) ﷺ **(شيئاً فقال: لا .)** قال العراقي متفق عليه من حديث جابر اهـ.

قلت: وروى ابن سعد في الطبقات من مرسل محمد بن الحنفية كان لا يكاد يقول لشيء لا فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال نعم، وإذا لم يرد أن يفعل سكت. ومن هنا قال الشاعر:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعمُ

وقد تقدم شيء من ذلك في أوّل الباب.

(وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها) . هكذا رواه الترمذي، وقال العراقي: روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث الحسن مرسلاً أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفاً لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله أحد يومئذ إلا أعطاه، ولم يمنع سائلاً ولم يعط ساكناً فقال له العباس: الحديث. وللبخاري تعليقاً من حديث أنس: أتي النبي ﷺ بمال من البحرين وكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ الحديث. وفيه: فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاءه العباس الحديث. ووصله عمر بن محمد البحيري في صحيحه اهـ.

قلت: ولفظ البخاري: وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أتي بمال من البحرين فأمر بصبه في المسجد، وكان أكثر مال أتي به، فخرج إلى المسجد ولم يلتفت، فلما قضى الصلاة جاء يجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاءه إنسان فسأله فقال: خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطيع، فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه لي. قال: لا. قال: ارفعه أنت عليَّ قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع. فقال كالأول فقال له لا. فنثر منه ثم احتمله فأتبعه ﷺ بصره حتى غاب عجباً من حرصه فما قام ﷺ وثم منها درهم. قال ابن دحية: هذا على امتداد قامة العباس وطوله في الناس إذا كان ممن يقل من الأرض فيما الجمل إذا برك يحمله فما يدري قدر ما حمل من تلك الدراهم النقرة على كاهله اهـ.

وفي خبر مرسل أنه كان مائة ألف ألف رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن حميد بن هلال.

(وجاءه رجل فسأله) شيئاً من متاع الدنيا **(فقال: «ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ)** بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية أي اشتر شيئاً بثمن الذمة علي أداؤه **(فإذا جاء شيء قضيناه» فقال عمر)** رضي الله عنه: **(يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ**

الرجل: أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً، فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه، ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال: «أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً».

ذلك، فقال الرجل: انفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً) أي شيئاً من الفقر، **(فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه)** قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث عمر، وفيه موسى بن أبي علقمة الفردي لم يرو عنه غير ابنه ما روى. اهـ.

قلت: وفيه عنده فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه، ومعنى قوله أعطيته أي شيئاً مرة أخرى قبل هذه أو الميسور من القول وهو قولك ما عندي شيء فاكتف بذلك ولا تجعل في ذمتك شيئاً وفيه فكره النبي ﷺ قول عمر أي من حيث التزامه قنوط السائل وحرمانه لا بمخالفة الشرع، وفيه فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق الخ وفي اخره بهذا أمرت اي بالانفاق وعدم الخوف لا بما قال عمر كما أفاده تقديم الظرف المفيد للقصر. أي قصر القلب ردّ الاعتقاد عمر، وأفاد ﷺ بذكره أمره بالإنفاق في هذه الحالة أي أنه مأمور به في كل حال دعت المصلحة إليه لاستيلاف أو نحوه لأنه يمكنه بقرض أو نحوه، فإن عجز فبعدة إذ هي انفاق لا أنها التزام للنفقة.

تنبيه:

الحديث المشهور على الألسنة أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. وفي لفظ يا بلال وفي لفظ ولا تخافن. رواه الطبراني والبزار من حديث ابن مسعود، ورواه العسكري في الأمثال من حديث عائشة، وأخرجه الطبراني أيضاً من حديث أبي هريرة، وكذلك رواه البيهقي في الشعب متصلاً ومن مرسل ابن سيرين، وما يحكى عن كثيرين في لفظه أنفق بلالاً ويتكلمون في توجيه بكونه نهياً عن المنع فليس له أصل نبه عليه الحافظ السخاوي.

(ولما قفل) ﷺ **(من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال: «اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه)** هي من أشجار البادية **(نعماً)** أي إبلاً **(لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث جبير بن مطعم.

قلت: ولفظه بينما أنا مع النبي ﷺ ومعه الناس مقبلة من حنين علقت برسول الله ﷺ الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فذكروه. وفيه «ولا كذوباً» بدل «كذاباً». ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ المصنف.

بيان شجاعته ﷺ :

كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم، قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً، وقال أيضاً: كنا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه، وقيل: كان ﷺ قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشدّ الناس بأساً، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدوّ، وقال عمران بن حصين: ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب، وقالوا: كان قوي البطش، ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول:

بيان شجاعته ﷺ :

(كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم) قال العراقي: رواه الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح: ما رأيت أجلد ولا أجود ولا أشجع ولا أرضى من رسول الله ﷺ. وللشيخين من حديث أنس: كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس.

(قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقرب إلى العدوّ، وكان أشد الناس بأساً يومئذ) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في الأخلاق بإسناد جيد. **(وقال)** رضي الله عنه **(أيضاً: كنا إذا احمرّ البأس)** أي أشتد الكرب في الحرب **(ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ: فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه)** قال العراقي: رواه النسائي بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء.

(وقيل: كان رسول الله ﷺ قليل الكلام قليل الحديث، فإذا أمر الناس بالقتال تشمر) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالي مرسلاً اهـ.

قلت: وروى أحمد من طريق سماك قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم. وكان طويل الصمت قليل الضحك. رجاله رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة وسعد ابن‌عياض المذكور تابعي يروي عن ابن مسعود وعنه أبو إسحاق السبيعي وثق، روى له داود والنسائي كذا في الكاشف.

(وكان) ﷺ **(من أشد الناس بأساً)** رواه أبو الشيخ من حديث علي في قصة بدر وقد تقدم قريباً. **(وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدوّ)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث البراء كنا والله إذا حمي البأس نتقي به وأن الشجاع منا الذي يحاذي به. **(وقال عمران بن حصين)** رضي الله عنه **(ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة)** طائفة من الجيش مجتمعة **(إلا كان أوّل من يضرب)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ وفيه من لم أعرفه. **(قالوا: وكان)** ﷺ **(قوي البطش)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من رواية أبي جعفر معضلاً اهـ.

أنـــــا النبي لا كــــــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلــــب

فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه.

قلـت: ورواه ابن سعد عن محمد بن علي مرسلاً بلفظ: كان شديد البطش. قال الشارح: ومع ذلك فلم تكن الرحمة منزوعة عن بطشه لتخلقه بأخلاق الله تعالى وهو سبحانه ليس له وعيد وبطش شديد ليس فيه شيء من الرحمة واللطف. وقال العراقي: وللطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وأعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضعيف.

(ولما غشيته المشركون) يوم حنين **(نزل)** عن بغلته **(فجعل يقول)**:

(أنـــــا النبي لا كــــــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلــــب)

قال العراقي: متفق عليه من حديث البراء اهـ.

قلـت: ومعنى قوله: أنا النبي لا كذب أي حقاً فلا أفرق ولا أزول أي صفة النبوّة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبي والنبي لا يكذب لست بكاذب فيما أقول حتى انهزم، بل أنا متيقن ان ما وعدني الله تعالى من النصر حق فلا يجوز علي الفرار. أنا ابن عبد المطلب فيه دليل لجواز قول الإنسان في الحرب أنا فلان بن فلان ومنه قول علي رضي الله عنه:

أنا الذي سمتني أمي حيدره.

وقول سلمة: أنا ابن الأكوع، والمنهي عنه قول ذلك على وجه الافتخار كما كانت الجاهلية تفعله وانتسب لجده عبد المطلب دون أبيه عبد الله لأنه توفي شاباً في حياة أبيه عبد المطلب فلم يشتهر كاشتهار أبيه، وكان عبد المطلب سيد قريش وسيد أهل مكة، ومن ثم نسب إليه ﷺ في نحو قول ضمام: أيكم ابن عبد المطلب؟ **(فما رؤي يومئذ أحد أشد منه ﷺ)** لأنه لما استقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس ولم يثبت معه ﷺ إلا عمه العباس، وأبو سفيان بن الحرث، وأبو بكر، وعمر، وأسامة في إناس من أهل بيته وأصحابه. قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو لأنـه كان يتقدم في نحوهم، وأبو سفيان آخذ بركابه.

ومما يدل على شجاعته ﷺ وكونه أشدهم بأساً ركوبه يومئذ على بغلته البيضاء وهي دلدل كما في رواية مسلم مع عدم صلاحيتها للحرب كراً وفراً، ومن ثم لم يسهم لها ومع العادة إنما هي من مراكب الطمأنينة، ومع أن الملائكة الذين قاتلوا معه في ذلك اليوم لم يكونوا إلا على الخيل لا غير، ومع انه كانت له أفراس متعدّدة في مواطن الحرب وهذا هو النهاية القصوى في الشجاعة والثبات، وفيه إعلام بأن سبب نصرته مدده السماوي والتأييد الإلهي الخارق للعادة، وبأنه ظاهر المكانة والمكان ليرجع إليه المسلمون وتطمئن قلوبهم بمشاهدة جميل ذاته وجليل آياته، كركضه بها في نحر

بيان تواضعه ﷺ :

كان ﷺ أشد الناس تواضعاً في علو منصبه، قال ابن عباس رضي الله عنهما : رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وكان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف، وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك، ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم،

العدو مع فرار الناس عنه ولم يبق معه إلا أكابر أصحابه وكنز وله عنها إلى الأرض مبالغة في الثبات والشجاعة ومساواة في مثل هذا المقام للماشين من أصحابه، والله أعلم.

بيان تواضعه ﷺ :

(كان ﷺ أشد الناس تواضعاً على علو منصبه) قال العراقي: روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال: فيه تواضع في غير مذلة. **(قال ابن عامر)** كذا في النسخ الصحيحة ووقع في بعضها ابن عباس وهو غلط: **(رأيته)** ﷺ **(يرمي الجمرة)** أي جمرة العقبة **(على ناقة صهباء لا طرد ولا ضرب ولا إليك إليك)** قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار . قال الترمذي: حسن صحيح. وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف اهـ.

قلت: تقدم هذا الحديث في الكتاب الذي قبله من رواية سفيان الثوري عن أيمن بن نائل نزيل عسقلان عن قدامة، وكذا من رواية البهلول عن أيمن بن نائل في قصة الرشيد وهو قدامة بن عبد الله بن عمار بن معاوية العامري الكلابي له صحبة وله أحاديث. وقال ابن السكن: كان يسكن بنجد ولم يهاجر لقي النبي ﷺ في حجة الوداع، وروى عبد الرزاق عن أيمن بن نائل هذا الحديث، ونسبه فيه إلى جده فقال قدامة بن عمار، وبه يظهر أن المصنف تبع نسخة أبي الشيخ في قوله ابن عامر.

(وكان) ﷺ **(يركب الحمار موكفاً)** أي مشدوداً عليه بالأكاف **(عليه قطيفة)** وهي دثار له خمل **(وكان مع ذلك يستردف)** رواه الشيخان من حديث أسامة بن زيد، وتارة يركبه عرياً ليس عليه شيء كما رواه ابن سعد من حديث حمزة بن عبد الله بن عتبة مرسلاً، وهذا يدل على غاية التواضع ونهاية الخضوع.

(وكان) ﷺ **(يعود المريض)** ولو كان في آخر المدينة راكباً وماشياً **(ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك)** وفي لفظ العبد إلى أي حاجة دعاه إليها قرب محلها أو بعد، رواه الترمذي وضعفه، وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وتقدم مقطعاً. ولفظ الحاكم: كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار. **(ويخصف**

وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك ، وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وأتي ﷺ برجل فأرعد من هيبته فقال له : هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ، وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو ؟ حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه ، وقالت له عائشة رضي الله عنها : كُلْ

النعل) أي يخرزها بيده **(ويرقع الثوب)** أي يخيطه أو يحط له رقعة. روى ابن عساكر من حديث أبي أيوب: كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ، **(ويصنع في بيته مع أهله في حاجتهم)** روى أحمد من حديث عائشة: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم ، وقد تقدم في أوائل آداب المعيشة .

(وكان أصحابه) ﷺ **(لا يقومون له)** إذا أقبل عليهم **(لما عرفوا من كراهته لذلك)** أي لأجل المعلوم المستقر عندهم وهو كراهته تواضعاً وشفقة عليهم وإسقاطاً لبعض حقوقه المعينة عليهم ، فاختاروا إرادته على إرادتهم ولا يعارض ذلك قوله ﷺ للأنصار « قوموا لسيدكم » أي سعد بن معاذ لأن هذا حق للغير ، فاعطاه ﷺ له وأمرهم بفعله بخلاف قيامهم له ﷺ ، فإنه حق لنفسه فتركه تواضعاً. قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أنس ، وتقدم في آداب الصحبة .

قلت : لفظ الترمذي في الشمائل : وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك .

(وكان) ﷺ **(يمر على الصبيان)** وهم يلعبون **(فيسلم عليهم)** فيردون عليه. رواه الترمذي من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة ، وروى البخاري بلفظ: « إنه ﷺ مرَّ على صبيان فسلم عليهم » وروى النسائي من حديثه « كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم » .

(وأتي النبي ﷺ برجل فأرعد من هيبته) أي انتفض جسمه من مهابته ﷺ عند وقوع بصره عليه إذ قد تقدم من وصفه إنه من رآه بديهة هابه ، **(فقال « هوّن عليك فلست بملك)** كملوك الأرض يهاب منهم **(إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل من القديد »)** وهو اللحم اليابس وكانت قريش تقدد اللحم وترفعه لوقت الحاجة ، قال العراقي : رواه الحاكم من حديث جرير وقال : صحيح على شرط الشيخين.

(وكان) ﷺ **(يجلس بين أصحابه)** حالة كونه **(مختلطاً بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب)** من الخارج **(فلا يدري أيهم هو)** ﷺ **(حتى يسأل عنه)** فكان يقول: أيكم ابن عبد المطلب ، أو أيكم رسول الله ؟ فكانوا يقولون هذا الأبيض المتكىء **(حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً)** مرتفعاً **(يعرفه الغريب)** فسكت ﷺ موافقاً لما رأوه ، **(فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه)** في المصباح الدكان يطلق على الحانوت وعلى الدكة التي يقعد عليها . قال

ـ جعلني الله فداك ـ متكئاً فإنه أهون عليك. قال: فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال: بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى، وكان لا يدعوه أحد من أصحابه

الاصمعي: إذا مالت النخلة بني تحتها من قبل الميل بناء كالدكان فتمسكها بإذن الله تعالى أي دكة مرتفعة. وقال الفارابي: الطلل ما شخص من آثار الدار كالدكان ونحوه، وأما وزنه فقال السرقسطي: النون زائدة عند سيبويه، وكذلك قال الأخفش وهي مأخوذة من قولهم أكمة دكاء أي منبسطة. وقال ابن القطاع، وجماعة: هي أصلية مأخوذة من دكنت المتاع إذ نضدته ووزنه على الزيادة فعلان وعلى الأصالة فعال حكى القولين الأزهري وغيره، فإن جعلت الدكان بمعنى الحانوت ففيه التذكير والتأنيث، ووقع في كلام المصنف في كتب الفروع حانوت أو دكان فأعترض بعضهم عليه وقال: الصواب حذف إحدى اللفظتين فإن الحانوت هي الدكان ولا وجه لهذا الاعتراض لما تقدم من أن الدكان يطلق على الحانوت وعلى الدكة والله اعلم.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم.

(وقالت عائشة رضي الله عنها) لرسول الله **(كل جعلني الله فداءك متكئاً فإنه أهون عليك. قال: فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال: بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف.

قلت: ورواه أيضاً ابن سعد في الطبقات، وأبو يعلى نحوه وهذا أورده على منهج التربية لأمته، فإنه المربي الأكبر فأخباره عن نفسه بذلك في ضمنه الإرشاد لهم إلى مثل ذلك الفعل، وأما هو في حد ذاته فيخالف جميع العباد في العبادة والعادة تمكن للأكل أو لم يتمكن إذ لو لم يكن مستحضر المرائي ربه من إقباله في سائر حالاته لما حسن منه هذا القول.

(وكان) ﷺ **(لا يأكل على خوان)** بالكسر ويضم هو المائدة ما لم يكن عليها طعام وهو مما يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الأكل عليه احترازاً عن خفض رؤوسهم، فالأكل عليه بدعة إلا انها جائزة، **(ولا في سكرجة)** بضم أحرفه الثلاثة مع تشديد الراء، وقيل: الصواب فتح رائه لأنه معرب عن مفتوحها وهي اناء صغير يجعل فيه ما يشهى ويهضم من الموائد حول الاطعمة، **(حتى لحق بالله عز وجل)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث وتقدم في آداب الأكل.

قلت: ورواه كذلك الترمذي في الشمائل.

(وكان) ﷺ **(لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال «لبيك»)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الدلائل من حديث عائشة وفيه حسن بن علوان متهم بالكذب وللطبراني في الكبير باسناد جيد من حديث محمد بن طالب في أثناء حديث أن أمه قالت يا رسول الله فقال: «يا لبيك وسعديك» الحديث اهـ.

وغيرهم إلا قال: لبيك، وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام.

بيان صورته وخلقته ﷺ:

قلت: لفظ أبي نعيم في الدلائل ما كان أحسن خلقاً منه ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال «لبيك». وقد أخرج حديث محمد بن حاطب أيضاً أحمد والبغوي. وفيه أن أمه قالت يا رسول الله هذا محمد ابن حاطب وهو أوّل من سمى بك الحديث، وليس في سياقه ما زاده الطبراني.

(وكان) ﷺ **(إذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم)** أي في الحديث **(وان تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم)** قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب، وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد ذكره ابن حبان في الثقات.

قلت: وأخرجه البيهقي في الدلائل من هذا الوجه سليمان بن خارجة عن خارجة بن زيد أن نفراً دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا: حدثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ. فقال: كنت جاره فكان إذا نزل الوحي عليه بعث إليَّ فأتيه فاكتب الوحي، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا بكل هذا نحدثكم عنه.

(وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً) فيسمعهم **(ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا)** ولا يزيد على ذلك، **(ولا يزجرهم إلا عن حرام)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون قوله: ولا يزجرهم إلا عن حرام قلت: رواه مسلم عن يحي بن يحي: حدثنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام. وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم، ورواه البيهقي في الدلائل من رواية شريك وقيس عن سماك عن جابر بن سمرة بلفظ: قال نعم كان طويل الصمت قليل الضحك وكان أصحابه ربما تناشدوا عنه الشعر والشيء من أمورهم فيضحكون وربما يتبسم.

بيان صورته ﷺ وخلقته:

الظاهرة، وإنما قدم الكلام على خلقه ﷺ إذ هو أولى بالتقديم من حيث أن الكلام فيه أظهر وأتم إذ هو الطبع والسجية وحقيقة الصورة الباطنة من النفس وأوصافها ومعانيها المختصة بها ثم عقبه بذكر ما يتعلق بخلقه الظاهر لكونه تابعاً للباطن وعنواناً عليه. واعلم أن من تمام الإيمان به

....

ﷺ اعتقاد أنه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه ﷺ وسر ذلك ان المحاسن الظاهرة آيات على المحاسن الباطنة، والأخلاق الزكية. ولا أكمل منه ﷺ ولا مساو له في هذا المدلول، فكذلك الدال. ومن ثم نقل القرطبي عن بعضهم أنه لم يظهر تمام حسنه ﷺ وإلاَّ لما طاقت أعين الصحابة النظر إليه، ثم اعلم أن الكلام على خلقه ﷺ يستدعي الكلام على ابتداء وجوده فاحتيج إلى ذكره، وإن أغفله المصنف رحمه الله تعالى وملخصه: أنه صح في مسلم انه قال:

إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء، ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين، وصح أيضاً أني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل في طينته أي لطريح ملقى قبل نفخ الروح فيه، وصح أيضاً يا رسول الله متى كنت نبياً؟ فقال: وآدم بين الروح والجسد، وروي كتبت من الكتابة. وروى الترمذي وحسنه يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ فقال: وآدم بين الروح والجسد، ومعنى وجوب النبوّة وكتابتها ثبوتها وظهورها في الخارج أي للملائكة وروحه ﷺ في عالم الأرواح إعلاماً بعظيم شرفه وتميزه عن بقية الانبياء عليهم السلام، وخص الإظهار بحالة كون آدم بين الروح والجسد لأنـه أوان دخول الأرواح إلى عالم الاجساد والتمايز حينئذ أتم وأظهر، فاختص ﷺ بزيادة إظهار شرفه حينئذ ليتميز على غيره تميزاً أظهر وأتم.

وأجاب المصنف في بعض كتبه عن وصف نفسه بالنبوّة قبل وجود ذاته وخبر أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الايجاد. فإنه قبل أن تحمل به أمه لم يكن مخلوقاً موجوداً، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود، فقوله: كنت نبياً أي في التقدير قبل تمام خلقه آدم إذ لم ينشأ إلا لينتزع من ذريته محمد ﷺ، وتحقيقه ان للدار في ذهن المهندسين وجوداً ذهنياً سبباً للوجود الخارجي وسابقاً عليه، فالله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانياً اهـ.

وذهب السبكي إلى ما هو أحسن وأبين، وهو أنه جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد والإشارة، فكنت نبياً إلى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه ولا يعلمها إلا الله، ومن حباه بالاطلاع عليها ثم إن الله تعالى يؤتي كل حقيقة منها ما شاء في أي وقت شاء، فحقيقته ﷺ قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له وأفاضه عليه من ذلك الوقت فصار نبياً، وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجود من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، فحينئذ فإيتـاؤه النبـوة والحكمـة وسـائـر أوصـاف حقيقته وكمالاته معجل لا تأخير فيه، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر ﷺ، ومن فسر بعلم الله أنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له، وإلا لم يختص بأنه نبي حينئذ إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه تعالى وقال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى:

كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ﴾ [آل عمران : ٨١] الآية إن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ إن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك ، وأخذ السبكي من الآيه أنه على تقدير مجيئه في زمانهم مرسل إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم إلى يوم القيامة ، وتكون الأنبياء والأمم كلهم من أمته فقوله : « وبعثت إلى الناس كافة » يتناول من قبل زمانه أيضاً وبه يتبين معنى قوله : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » وكذا حكمة كون الأنبياء تحت لوائه في الآخرة وصلاته بهم ليلة الإسراء ، فأول الأشياء على الإطلاق النور المحمدي ، ثم الماء ، ثم العرش ، ثم القلم . ولما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره ، فكان يلمع في جبينه ، ولما توفي كان ولده شيث وصيه فوصى ولده بما وصاه به أبوه أن لا يوضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء ولم يزل العمل بهذه الوصية إلى أن وصل ذلك النور إلى عبد الله مطهراً من سفاح الجاهلية كما أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث ، ثم زوج عبد المطلب ابنه عبد الله بآمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، فدخل بها وحملت بمحمد ﷺ فظهر في حمله ومولده عجائب لما يؤول إليه أمر ظهوره ورسالته ، وقد صح أن أمه ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام وولد مختوناً في قول عام الفيل ، وحكى الاتفاق عليه والمشهور أنه بعده بخمسين يوماً ، وقيل : بأربعين ، وقيل بعشر سنين ، وقيل غير ذلك ، ثم الجمهور على أنه ولد في شهر ربيع الأول فقيل ثانيه وقيل ثامنه ، وانتصر له كثيرون من المحدثين وقيل عاشره وقيل ثاني عشره وهو المشهور ، وقيل غير ذلك وذلك في يوم الإثنين كما صح في مسلم عقب الفجر كما في رواية ضعيفة ومدة حمله تسعة أشهر أو عشرة أو ثمانية أو سبعة أو ستة أقوال بمكة بمولده المشهور الآن وهو الأصح ، وقيل بالشعب ، وقيل بالروم : ثم أرضعته حليمة السعدية ، والمشهور موت أبيه بعد حمله بشهرين ، وقيل : وهو في المهد وماتت أمه ودفنت بالأبواء ، وقيل بالحجون بعد أربع سنين أو خمس أوست أو سبع أو تسع أو إثنتي عشرة وشهراً أو وعشرة أيام أقوال ، ومات جده كافله عبد المطلب وله ثمان سنين أو تسع أو عشر أو ست أقوال ثم كفله عمه شقيق أبيه أبو طالب ، وتزوج خديجة وهي بنت أربعين ، وهدمت قريش الكعبة وعمره خمس وثلاثين سنة ، لما بلغ أربعين سنة أو وأربعين يوماً أو وشهرين بعثه الله رحمة للعالمين يوم الإثنين لخبر مسلم في رمضان ، وقيل ربيع فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين ، فهذا ما يتعلق بمولده ﷺ على وجه الاختصار .

(**كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته**) الشريفة (**أنه لم يكن بالطويل البائن**) بالهمز وهم من جعله بالياء أي المفرط طولاً مع اضطراب (**ولا بالقصير المتردد**) الذي يتردد بعض خلقه على بعض ففيه نفي الطول المفرط والقصر المفرط ، (**بل كان ينسب إلى الربعة**) بفتح فسكون وقد يحرك وتأنيثه باعتبار النفس ، ولذلك استوى فيه المذكر والمؤنث إذ يقال في جمع كل

إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها ، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربعة ، ويقول ﷺ : جعل الخير كله في الربعة .

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونعته عمه أبو طالب فقال :

منها ربعات بالسكون والتحريك شاذ . روى الشيخان والخرائطي من حديث البراء : « كان أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير » الحديث . وروى البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة : « كان ربعة إلى الطول مائل » الحديث . وعند المنذري في الزهريات من حديثه : كان ربعة وهو إلى الطول أقرب وإسناده حسن ، وعند البيهقي من حديث علي : وهو إلى الطول أقرب ، وعنده أيضاً من حديث عائشة : كان ينسب إلى الربعة وفي زوائد المسند لعبد الله بن أحمد ليس بالذاهب طولاً وفوق الربعة ، ولا تنافي بين الأخبار لأنه أمر نسبي ، فمن وصفه بالربعة أراد الأمر التقريبي ولم يرد التحديد ، ومن ثم قال ابن أبي هالة : كان أطول من المربوع وأقصر من المشذب وهو البائن الطول في نحافة . رواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي : وروى الترمذي أيضاً في الشمائل ليس بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد ، وذلك **(إذا مشى وحده ومع ذلك فلم يماشه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو ﷺ إلى الربعة)** رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر من حديث عائشة ، وفي خصائص ابن سبع كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من المجالس ، **(ويقول ﷺ : « جعل الخير كله في الربعة »)** يعني المعتدل القامة رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق ، والديلمي من حديث عائشة ، ويروى عن الحسن بن علي أن الله جعل البهاء والهوج في الطوال . قال السخاوي : وما اشتهر على الألسنة ما خلا قصير من حكمة لم أقف عليه .

(وأما لونه) ﷺ **(فقد كان أزهر اللون)** أي مشرقه نيره . قال في الروض الزهرة لغة إشراق في اللون أي لون كان من بياض أو غيره وسيأتي للمصنف تفسيره بعد ذلك ، **(ولم يكن بالآدم)** بالمد أي لم يكن شديد السمرة ، وإنما يخالط بياضه الحمرة لكنها حمرة بصفاء فيصدق عليه أنه أزهر ، **(ولا الشديد البياض)** وهو المعبر عنه بالأمهق رواه البخاري والترمذي من حديث أنس بلفظ : « أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم » الحديث . ورواه الترمذي في الشمائل عن هند بن أبي هالة « أزهر اللون واسع الجبين » الحديث . **(والأزهر)** في اللغة : **(هو الأبيض الناصع)** أي الخالص الصافي **(الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان)** والاسم الزهرة بالضم . قال ابن السكيت : هو البياض وزاد غيره النير ، وتقدم عن السهيلي في الروض نقلاً

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا: إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر

عن أبي حنيفة هو الإشراق في أي لون كان وقال شمر الأزهر هو الأبيض العتيق البياض النير الحسن وهو أحسن البياض كان له بريقاً ونوراً يزهر كما يزهر النجم والسراج. وروى مسلم وأبو داود والترمذي في الشمائل من حديث أبي الطفيل: كان أبيض مليحاً مقصداً، وفي رواية لمسلم كان أبيض مليح الوجه، وللترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة: كان أبيض كأنما صيغ من فضة، وفي رواية لأحمد فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، وروى البزار ويعقوب بن سفيان من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة كان شديد البياض، وللطبراني من حديث أبي الطفيل: ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعرة، **(ونعته عمه)** شقيق أبيه **(أبو طالب)** عبد مناف بن عبد المطلب والد علي رضي الله عنه، واخوته الحرث وجعفر وعقيل **(فقال)** في قصيدة طويلة:

(وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل)

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي المسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت، وأبو بكر يقضي فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه، وللبخاري تعليقاً من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستسقي الغمام، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فأنشده وقد وصله ابن ماجه بإسناد صحيح، **(ونعته بعضهم بأنه)** ﷺ **(مشرب)** بتخفيف الراء وتشديدها **(بحمرة)** وقد روى بالوجهين والإشراب مداخلة نافذة سائغة كالشراب وهو الماء الداخل كلية الجسم للطافته ونفوذه، ومن قال بالتشديد أراد به التكثير والمبالغة في شدة البياض للحمرة، وبه فسر كان أزهر اللون كما عند مسلم عن أنس، وهذا القول نقله صاحب المصباح عن بعضهم، وروى البيهقي في الدلائل من حديث علي: «كان أبيض مشرباً بياضه بحمرة» الحديث. ورواه الترمذي كذلك، والبيهقي أيضاً من حديثه: «كان أبيض مشرباً بحمرة ضخم الهامة» الحديث. ثم اعلم أن البياض إذا كان مشرباً بالحمرة فإن العرب تطلق عليه بالأسمر ويقولون: السمرة هي الحمرة التي تخالط البياض وعليه يحمل ما رواه أحمد والبزار وابن منده أنه ﷺ كان أسمر. قال الحافظ: وسنده صحيح صححه ابن حبان، وروى البيهقي في الدلائل كان أبيض بياضه إلى السمرة وفي لفظ لأحمد بسند حسن أسمر إلى البياض. ويروى عن ابن عباس كان جسمه ولحمه أحمر إلى البياض، فثبت بمجموع الروايات أن المراد بالسمرة حمرة تخالط البياض وبالبياض المثبت في روايات معظم الصحابة ما يخالط الحمرة وإن وصف في رواية بأنه شديد الوضح وفي أخرى سندها قوي شديد البياض لا مكان حمل شدته على الأمر النسبي، فلا ينافي كونه مشرباً بها وبالمنفى ما لا تخالطه هي وهو الذي تكرهه العرب وتسميه أمهق، وما روى البخاري والبيهقي في الدلائل من حديث أنس: «أزهر اللون أمهق ليس بأبيض ولا آدم» الحديث فمحمول على أن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية الأحمرية والأسمرية، فقد نقل عن رؤبة بن العجاج أن المهق خضرة الماء كما قاله الحافظ ابن حجر،

للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه. وكان

فما توهم القاضي أن رواية ليس بالأبيض ولا بالآدم غير صواب مردود، بل معناها صحيح كما تقرر وهذا الذي قررناه في الجمع بين الأخبار حسن.

وقد أشار المصنف إلى الجمع بتقرير آخر بقوله: **(فقال)** أي هذا البعض الذي نعته بأنه مشرب بحمرة بعد ثبوت روايات كان أبيض شديد البياض، وفي بعض النسخ فقيل وفي أخرى فقالوا: **(إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي من الحمرة ما تحت الثياب منه)** وهذا القول نقله البيهقي في الدلائل فقال: يقال إن المشرب منه بحمرة وإلى السمرة ما ضحا منه للشمس والريح، وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر، وهذا القول قد رده ابن حجر في شرح الشمائل فإن أنساً لملازمته له وقربه منه لا يخفى عليه أمره حتى يصفه بغير صفته الأصلية الملازمة له فتعين حمل السمرة في روايته على الحمرة التي تخالط البياض: كما مر على أنه ثبت في عنقه الشريف أنه أبيض كأنما صيغ من فضة مع أن العنق بارز، ورد ذلك أيضاً بأن تأثير الشمس فيه ينافي ما ورد أنه كان يظلله سحابة وهو غفلة لأنه إذ ذاك كان إرهاصاً ومتقدماً على النبوة، وأما بعدها فلم يحفظ ذلك كيف وأبو بكر قد ظلل عليه بثوبه لما وصل المدينة، وصح أنه ظلل بثوب وهو يرمي الجمرات في حجة الوداع.

تنبيه:

قالوا: يكفر من قال: كان النبي ﷺ أسود لأن وصفه بغير صفته نفي له وتكذيب به، ومنه يؤخذ أن كل صفة علم ثبوتها له بالتواتر كان نفيها كفراً للعلة المذكورة، وقول بعضهم لا بد في الكفر من أن يصفه بصفة تشعر بنقصه كالأسود هنا، فإن السواد لون مفضول فيه نظر لأن العلة كما علمت ليست من النقص بل ما ذكر، فالوجه أنه لا فرق.

فإن قلت: لونه ﷺ أشرف الألوان ولون أهل الجنة كذلك فلم تكن ألوانهم البياض المشرب بالحمرة بل بالصفرة كما قال جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ [الصافات: ٤٩] شبههن ببيض النعام المكنون في عشها ولونها بياض به صفرة حسنة؟ قلت: اللون واحد وإنما اختلف فيما شيب به، وحكمته والله أعلم أن الشوب بالحمرة ينشأ على الدم وصفائه واعتدال جريانه في البدن وعروقه وهو من الفضلات الجيدة التي تنشأ من أغذية هذه الدار فناسب الشوب فيها. وأما الشوب بالصفرة التي تورث البياض صفاء وصقالة فلا ينشأ عادة عن غذاء من أغذية هذه الدار، فناسب أن يختص الشوب به في تلك الدار فظهر أن الشوب في كل من الدارين بما يناسبها.

فإن قلت: من عادة العرب مدح النساء بالبياض المشرب بصفرة كما وقع في لامية امرىء القيس وهذا يدل على أنه فاضل في ألوان أهل الدنيا أيضاً؟ قلت: لا نزاع في أنه فاضل، وإنما النزاع في أنه أفضل الألوان في هذه الدار وليس كذلك، بل أفضلها المشرب بحمرة لما تقرر أن لونه ﷺ أفضل الألوان.

عرقه ﷺ في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر.

وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل. وقيل: كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه

(وكان عرقه ﷺ) العرق محركة ما يترشح من الجلد **(في وجهه كاللؤلؤ)** في الصفاء والبياض. روى مسلم في المناقب من حديث أنس: «كان أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ» الحديث. وروى البيهقي من حديث عائشة كان يخصف نعله وكنت أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتلألأ نوراً. وروي أيضاً من حديث علي: كان عرقه اللؤلؤ، **(أطيب من المسك الأذفر)** أي شديد الرائحة. رواه البيهقي من حديث علي: ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر. وفي سنده رجل مجهول. وروى مسلم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: دخل علينا النبي ﷺ فنام عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب. ورواه أيضاً من طريق أبي قلابة عن أنس عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعاً، فيقيل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: «يا أم سليم ما هذا» قالت: عرقك أذوف به طيبي.

(وأما شعره فقد كان) ﷺ **(رجل الشعرة حسنها)** بسكون الجيم وكسرها **(ليس بالسبط)** بسكون الباء وكسرها **(ولا الجعد القطط)** بفتح الطاء الأولى وكسرها أي شعره ﷺ ليس بنهاية في الجعودة وهو تكسره الشديد ولا في السبوطة وهي عدم إنكساره أصلاً، بل كان وسطاً بينهما. رواه مسلم والبيهقي في الدلائل من طريق علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن ربيعة عن أنس. ورواه البخاري ومسلم أيضاً من طريق مالك وغيره عن ربيعة وروى البخاري عن مسلم بن إبراهيم وعمرو بن علي كلاهما عن وهب بن جرير عن أبيه عن أنس قال: شعره بين الشعرين لا سبط ولا جعد بين أذنيه وعاتقه. ورواه البيهقي في الدلائل من طريق مسلم بن إبراهيم وفي رواية لمسلم من طريق قتادة عن أنس كان شعراً رجلاً ليس بالجعد ولا بالسبط بين أذنه وعاتقه، وروى الترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة: كان أبيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر.

(وكان) ﷺ **(إذا مشطه بالمشط)** أي سرحه به **(يأتي كأنه حبك الرمل)** بضم الحاء المهملة والباء الموحدة وهي طرائق الرمل، وهذا يؤيد من فسر الرجل بالمتكسر قليلاً ولا ينافي ذلك ما تقدم من الروايات لأن الرجولة أمر نسبي فحيث أثبتت أريد بها الأمر الوسط بين السبوطة والجعودة وحيث نفيت أريد بها السبوطة. **(وقيل: كان شعره)** ﷺ **(يضرب منكبيه)** مثنى منكب كمجلس وهو مجتمع رأس العضو والكتف. وروى الشيخان من حديث أنس كان شعره يضرب منكبيه أخرجاه من طريق حبان عن همام عن أنس، رواه البخاري من طريق أبي غسان عن

كان إلى شحمة أذنيه، وربما جعله غدائر أربعاً تخرج كل أذن من بين غديرتين. وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ. وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة، ما زاد على ذلك. وكان ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم، لم يصفه واصف إلا

إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: «إن جمته تضرب قريباً من منكبيه» ورواه كذلك البيهقي في الدلائل، ورواه مسلم من طريق أبي كريب عن وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: «له شعر يضرب منكبيه» الحديث **(وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه)** روى الشيخان من حديث البراء: يبلغ شعره شحمة أذنيه، أخرجاه من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن البراء. وروى البيهقي في الدلائل من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس: كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه، وروى مسلم من طريق حميد عن أنس: كان شعره إلى أنصاف أذنيه ولفظ الترمذي في الشمائل عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه أي تكاثفها ينتهي إلى شحمة أذنيه، وتقدم عن الصحيحين في حديث أنس أنه كان بين أذنيه وعاتقه، وفي أخرى عند الترمذي وغيره فوق الجمة ودون الوفرة. وفي رواية: إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، وفي أخرى كان إلى أذنيه وفي أخرى إلى كتفيه، والجمع بين هذه الروايات أن مما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمتها وما خلفها هو الذي يضرب منكبيه، أو بأن ذلك لاختلاف الأوقات، فكان إذا ترك تقصيرها بلغ المنكب وإذا قصرها كانت إلى الأذن أو شحمتها أو نصفها، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك. **(وربما جعله غدائر أربعاً يخرج كل أذن بين غديرتين)** قال العراقي: روى أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أم هانىء: قدم مكة وله أربع غدائر اهـ.

قلت: ورواه البيهقي في الدلائل من طريق سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم هانىء قدم رسول الله ﷺ مكة قدمة وله أربع غدائر تعني ضفائر، والغديرة والضفيرة هي الذؤابة. ولفظ الترمذي في الشمائل: قدم مكة قدمة وشعره إلى انصاف أذنيه وله أربع غدائر، والظاهر أنها عنيت قدومه مكة عام الفتح لأنه حينئذ اغتسل وصلى الضحى في بيتها وقدماته إلى مكة أربع متفق عليها في عمرة القضاء والفتح، ولما رجع من حنين دخلها حين اعتماره من الجعرانة وفي حجة الوداع.

(وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ) أي تضيء وتتنور من وبيص الطيب، **(وكان شيبه)** ﷺ **(في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك)** رواه البيهقي في الدلائل من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قيل له: هل كان شاب رسول الله ﷺ؟ فقال: ما شانه الله تعالى بالشيب ما كان في رأسه إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة. هكذا هو في نسخة الدلائل عندي، وفي لفظ له: عنده ما كان في رأسه ولحيته ولم أره في الدلائل. وروى البخاري من طريق الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة عن أنس توفي

شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وكانوا

رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، ورواه هو ومسلم أيضاً من طريق مالك عن ربيعة ،وروى الترمذي في الشمائل من حديث ابن عمر إنما كان شيبه ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء ولا منافاة بين الروايتين لأن الأربع عشرة دون العشرين لأنها أكثر من نصفها، ومن زعم أنه دلالة لنحو الشيء على القرب منه فقد وهم، ويجمع بين هذه الأخبار وبين ما قال المصنف بأنه اختلف لاختلاف الأوقات أو بأن الأول اخبار عن عده، والثاني اخبار عن الواقع فهو لم يعد إلا أربع عشرة، وأما في الواقع فكان سبع عشرة أو ثمان عشرة ونفي الشيب في رواية أنس المراد به نفي كثرته لا أصله، وسبب قلة شيبه أن النساء يكرهنه غالباً، ومن كره من النبي ﷺ شيئاً كفر، وأما خبر ان الشيب وقار ونور فيجاب عنه بأنه وإن كان كذلك لكنه شين عند النساء غالباً. أو أن المراد بالشيب المنفي فيما من الشين عند من كرهنه لا مطلقاً لتجتمع الروايتان، وأما أمره ﷺ لهم لما رأوا أبا قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً بتغييره وكرهه، ولذلك قال: غيروا الشيب فلا يدل على أنه شين مطلقاً بل بالنسبة لمن مر وفي تغييره مصلحة بالنسبة إلى الجهاد وإرهاب الكفار، وبالنسبة لوقوع الإلفة بين الزوجين، والجمع بين الأحاديث ما أمكن أسهل من دعوى النسخ وإن أيدها منع الأكثرين للتغيير، والله أعلم.

(وكان ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم) روى الشيخان من حديث البراء: « كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقاً » الحديث. ولهما وللترمذي وابن ماجه من حديث أنس: « كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس » وقد تقدم وروى مسلم من حديث ابن الطفيل: « كان أبيض مليح الوجه » وروى الترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة: « كان أبيض كأنما صيغ من فضة » الحديث وقد تقدم وفي حديث هند بن أبي هالة عند الترمذي والبيهقي والطبراني أنور المتجرد وقوله: كأنما صيغ من فضة أي باعتبار ما يعلو بياضه من النور والإضاءة **(لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر)** وإنما اختير على الشمس لأنه يتمكن من النظر إليه ويؤنس من شاهده من غير أذى يتولد عنه بخلاف الشمس لأنها تغشى البصر وتؤذي وقال: **(ليلة البدر)** لأن القمر فيها في نهاية إضاءته وكماله، ورواه البيهقي في الدلائل من حديث أبي إسحاق الهمداني عن امرأة من همدان سماها قالت: حججت مع رسول الله ﷺ مرات على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران الحديث. وفيه قال أبو إسحاق: فقلت لها شبّهيه، فقالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ، وروى البخاري من حديث كعب بن مالك لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه. وروى البيهقي من طريق أبي إسحاق عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت، اماثل بينه وبين القمر. ورواه من حديث جابر بن سمرة بلفظ: فجعلت انظر إليه وإلى القمر، فلهو كان أحسن في عيني من القمر، وروى البخاري من طريق زهير عن أبي إسحاق قال: سأل رجل البراء أليس كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا. كان مثل

يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول:

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان ﷺ واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما، وكان ابلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة، وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة،

القمر. ورواه مسلم بلفظ: لا بل مثل الشمس والقمر مستديراً وفي الشمائل للترمذي من حديث هند ابن أبي هالة فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ ليلة البدر، وروى البيهقي من طريق أبي عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ. قالت: لو رأيته لقلت الشمس طالعة، وفي رواية: يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة ورواه من طريق أبي يونس مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئاً أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه الحديث، ثم أن تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس إنما جرى على عادة العرب والشعراء أو على سبيل التقريب والتمثيل وإلا فلا شيء يعادل شيئاً من أوصافه ﷺ إذ هي أعلى وأجل من كل مخلوق، **(وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته)** تقدم في أول الباب، **(وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر)** رضي الله عنه **(حين يقول:**

(أميناً مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلامُ)

وفي بعض النسخ أمين بالرفع وزايله فارقه فالبدر أضوأ ما يكون إذ ذاك، وفي بعض النسخ الطلام بكسر الطاء المهملة وليس له وجه.

(وكان ﷺ واسع الجبهة) أي واضحها. قال الخليل: هي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية وقال الأصمعي: هي موضع السجود والجمع جباه **(أزج الحاجبين)** أي مقوسهما مع كثرة شعرهما وطول في طرفه وامتداده أو دقيقهما مع طول **(سابغهما)** أي كاملهما، **(وكان أبلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة)** أي كان بين حاجبيه بلجة أي فرجة بيضاء دقيقة لا تتبين إلا لمتأمل فهو غير أقرن في الواقع، وإن كان أقرن بحسب الظاهر عند من لم يتأمله لأنهما سبغا حتى كادا يتلقيانقال الأصمعي: كانت العرب تكره القرن، وتستحب البلج والبلج هو أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقياً، روى البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كان مفاص أهدب الأشفار وروى الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة: «كان واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب» الحديث. وروى البيهقي من طريق حرب بن شريح صاحب الخلقان قال: حدثني رجل من بلعدوية قال: حدثني جدي قال: انطلقت إلى المدينة فذكر الحديث في رؤيته رسول الله ﷺ قال: فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة. الحديث. وروي من حديث أبي هريرة: «كان أحسن الناس صفة وأجلها» الحديث وفيه:

وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها، وكان أقنى العرنين ـ أي مستوي

« أسيل الجبين شديد سواد الشعر » الحديث. وفي بعض الروايات كان صلت الجبين وكلها تؤول إلى معنى واحد.

(وكانت عيناه) ﷺ **(نجلاوين)** أي واسعتين **(ادعجها)** أي شديد سواد حدقتها. روى البيهقي من طريق عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال: قيل لعلي انعت لنا رسول الله ﷺ فقال: كان أبيض مشرباً بياضه حمرة وكان أسود الحدقة أحدب الأشفار، وروي من طريق إبراهيم بن محمد من ولد علي قال: كان علي إذا نعت رسول الله ﷺ قال: كان في الوجه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار، ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث جابر بن سمرة قال: كنت إذا نظرت إلى رسول الله ﷺ قلت: « أكحل العينين وليس بأكحل » الحديث.

(وكان في عينيه تمزج من حمرة) روى البيهقي من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد ابن علي عن أبيه قال: « كان رسول الله ﷺ عظيم العينين أهدب الأشفار مشرب العين بحمرة » وروى مسلم من طريق غندر عن شعبة عن سماك عن جابر بن سمرة قال: « كان ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين » ورواه الحاكم بلفظ: « كان أشكل العينين ضليع الفم » ورواه أبو داود فقال: « أشهل العينين » قال أبو عبيد: الشكلة كهيئة الحمرة تكون في بياض العين والشهلة غير الشكلة وهي حمرة في سواد العين.

(وكان) ﷺ **(أهدب الأشفار)** جمع شفر بالضم وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب قال ابن قتيبة: والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط، وإنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر **(حتى تكاد تلتبس من كثرتها)** روي ذلك من حديث علي بألفاظ مختلفة ففي لفظ عظيم العينين أهدب الأشفار، وفي لفظ أسود الحدقة أهدب الأشفار، وفي لفظ أدعج العين أهدب الأشفار، وفي لفظ أغر أبلج أهدب الأشفار. ومن حديث أبي هريرة: « كان أهدب أشفار العينين » وفي لفظ: كان مفاض الجبين أهدب الأشفار، وفي لفظ أكحل العينين أهدب الأشفار. كل هذه الألفاظ عند البيهقي في الدلائل.

(وكان) ﷺ **(أقنى العرنين)** بكسر العين المهملة أول الأنف حيث يكون فيه شمم، وأوله هو ما تحت مجتمع الحاجبين، والقنى في الأنف طوله ورقة ارنبته مع حدب في وسطه يعني **(مستوى الأنف)** أي من غير حدب، وفي رواية أقنى الأنف أي سائل مرتفع وسطه روى الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل والطبراني من حديث هند بن أبي هالة في حديثه الطويل: « أقنى العرنين له نور يحسبه من لم يتأمله اشم » الحديث. وروى البيهقي من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة. فساق الحديث وفيه: فإذا رجل حسن الوجه عظيم الجبهة دقيق الأنف رقيق الحاجبين. الحديث.

الأنف ـ وكان مفلج الأسنان ـ أي متفرقها ـ وكان إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم، وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم، كث اللحية، وكان يعفي لحيته ويأخذ من

(وكان) ﷺ **(مفلج الأسنان أي مفرجها)** هذا أحد الوجوه في تفسير المفلج وقيل: فلجها تفريق الثنايا والرباعيات فقط، رواه مسلم والترمذي في الشمائل من حديث جابر بن سمرة « ضليع الفم أشنب مفلج الاسنان » الحديث. وفي رواية لابن سعد « مبلج الثنايا » بالموحدة، ولابن عساكر براق الثنايا وروى البيهقي من حديث ابن عساكر: كان أفلج الثنيتين، وكان إذا تكلم رؤى كالنور بين ثناياه.

(وكان) ﷺ: **(إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا)** أي ضوء **(البرق إذا تلألأ)** في ظلمة الليل. روى البيهقي من حديث عائشة: وكان يتبسم عن مثل البرد المنحدر من متون الغمام، فإذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ. وروي من حديث أبي هريرة. وإذا ضحك يتلألأ، وفي حديث هند: ويفتر عن مثل حب الغمام.

(وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم) رواه البيهقي في الدلائل من حديث عائشة على ما سيأتي ذكره، وعند مسلم والترمذي من حديث جابر: ضليع الفم أي واسعه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم. وقال بعضهم: الضليع المهزول الذابل. وهو في صفة فم النبي ﷺ وبدل شفتيه ورقتهما وحسنهما.

(وكان) ﷺ **(سهل الخدين صلتهما)** أي سائلهما من غير ارتفاع وجنتيه وذلك أحلى عند العرب. رواه الترمذي في الشمائل، والبيهقي، والطبراني من حديث هند بن أبي هالة. وروى البزار والبيهقي كان أسيل الخدين وأصلت الخدين أسيلهما هو المستوى الذي لا يفوت بعض لحم بعضه بعضاً كما سيأتي ذلك عند ذكر حديث عائشة: **(ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم)** أي لم يكن شديد تدوير الوجه، والمكلثم هو المدوّر الوجه يقول: فليس كذلك، ولكنه مسنون. رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل من حديث علي: « لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير » الحديث. والمطهم هو المنتفخ الوجه، وقيل: الفاحش السمن، وقيل النحيف الجسم وهو من الأضداد **(كث اللحية)** أي الكثير نبات الشعر الملتفها. رواه البيهقي من حديث عائشة. ورواه من طريق محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه، ورواه من طريق نافع بن جبير عنه كان ضخم الهامة عظيم اللحية، وفي لفظ له ضخم الرأس واللحية، ومن حديث أبي هريرة كان أسود اللحية حسن الشعر، ومن طريق أبي ضمضم عن رجل من الصحابة لم يسم كان مرجلاً مربوعاً حسن السبكة. قال: كانت اللحية تدعى في أوّل الاسلام سبكة، ورواه الطبراني في الكبير وسماه العداء بن خالد.

شاربه، وكان أحسن عباد الله عنقاً لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب، وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقصيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره، وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة ويظهر اثنتان،

(وكان) ﷺ **(يعفي لحيته ويأخذ شاربه)** ويأمر ذلك. روى ابن عدي والبيهقي في السنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «احفوا الشوارب واعفوا اللحى» ورواه أيضاً الطحاوي من حديث أنس بزيادة «ولا تشبهوا باليهود».

(وكان) ﷺ **(أحسن الناس عنقاً لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح، فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب)** وما غيبت الثياب من عنقه وما تحته فكأنه القمر ليلة البدر. هكذا رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره، وروى الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل من حديث هند ابن أبي هالة «دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة» الحديث. ولفظ البيهقي من حديث علي «كان عنقه ابريق فضة».

(وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره بلفظ «وكان عريض الصدر ممسوحه كأنه المرآة في سموتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه بعضاً على بياض القمر ليلة البدر» وفي سنده نظر. وروي من حديث هند بن أبي هالة «عريض الصدر» وفي لفظ «فسيح الصدر» وروى الترمذي في الشمائل بعيد ما بين المنكبين. قال الشارح: أي عريض أعلى الظهر وهو مستلزم لعرض الصدر، ومن ثم وقع عند ابن سعد في الطبقات رحيب الصدر، **(موصول ما بين لبته)** وهي الفقرة التي فوق الصدر، **(وسرته)** متعلق بموصول **(بشعر كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره)** رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره، وروى الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة «موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك» الحديث. وروى البيهقي من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة بلفظ: «وإذاً من لون نحره إلى سرته كالخيط الممدود شعره»، الحديث. وفي حديث علي بلفظ «وكان في صدره مسربة» وفي لفظ له كان دقيق المسربة وفي لفظ آخر له «من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره». واختلف هل كان لإبطيه ﷺ شعر؟ فزعم القرطبي أنه لم يكن وقد رده أبو زرعة العراقي بأن ذلك لم يثبت بوجه من الوجوه، والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض إبطيه أن لا يكون له شعر، فإنه إذا نتف بقي المكان أبيض وإن بقي فيه أثر.

وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس ـ أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين ـ وكان واسع الظهر، ما بين كتفيه خاتم النبوّة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس، وكان

(وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان) العكنة بالضم طية من طيات البطن والجمع عكن رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره إلا أنه قال: يغطي الازار منها اثنتين وتظهر منها واحدة، ومنهم من قال: واحدة وتظهر اثنتان، ثم قال: تلك العكن أبيض من القباطي المطواة وألين مساً.

(وكان) ﷺ **(عظيم المنكبين)** رواه البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ « عظيم مشاش المنكبين » وروى الترمذي في الشمائل، والبيهقي من حديث علي « جليل المشاش والكتد ». قال أبو عبيد: الجليل المشاش العظيم رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين، **(أشعرهما)** رواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر أي أشعر هذه الثلاثة ،**(ضخم الكراديس أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين)** رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الاتي، ولفظه: والكراديس عظام المنكبين والمرفقين والوركين والركبتين، ورواه أيضاً من حديث علي ضخم الكراديس طويل المسربة، ورواه الترمذي في الشمائل من حديثه جليل المشاش والكتف أو قال: الكتد، وفي لفظ: جليل المشاش والكتد بلا شك، ورواه أيضاً من حديث هند بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس.

(وكان) ﷺ **(واسع الظهر)** وبه فسر بعيد ما بين المنكبين أي عريض أعلى الظهر كما تقدم، وقد روي بعيد ما بين المنكبين في عدة أحاديث، روى الشيخان من حديث البراء: « كان مربوعاً بعيد ما بين المنكبين » الحديث. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة كان بعيد ما بين المنكبين، وفي لفظ لمسلم له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين **(ما بين كتفيه خاتم النبوّة)** بفتح التاء وكسرها والمراد به هنا الأثر الحاصل له بين كتفيه لمشابهته للخاتم الذي يختم به وهو الطابع وإضافته للنبوّة للدلالة عليها. قيل: أو لكونه ختماً عليها بحفظها وما فيها أو ختم عليها لإتمامها كما تتم الأشياء ثم يختم عليها، ويحتمل أنه من قبيل خاتم فضة كان ذلك الخاتم أيضاً من نبوّته وفي ذلك كله تكلف لا يخفى، **(وهو مما يلي منكبه الأيمن)** فالبينية المذكورة تقريبية هذا قول، والصحيح أنه كان عند أعلى كتفه الأيسر قاله السهيلي، وقد وقع التصريح به عند مسلم قال: حدثنا حامد بن عمر البكراوي، وأبو كامل الجحدري قالا :حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً وساق.الحديث. وفيه : « ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوّة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى ».الحديث. **(فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس)** هكذا رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه إلا أنه قال: متركبات بدل متواليات، وفي تحديد خاتم النبوّة أقوال كثيرة نذكرها فمنها: جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه. رواه مسلم من حديث

....

عبدالله بن سرجس بالسند المتقدم قريباً وقيل مثل زر الحجلة رواه البخاري من حديث السائب بن يزيد وزاد وينم مسكاً، ورواه مسلم بلا زيادة وقيل: «كبيضة الحمام» رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة، وقيل «مثل السلعة» رواه البيهقي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه، وقيل «شعر مجتمع» رواه الحاكم في المستدرك، وقيل «مثل التفاحة» رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل من حديث إياد بن لقيط، وقيل: مثل بعرة البعير رواه أيضاً من حديث أبي رمثة عن أبيه، وقيل مثل السلعة. رواه أيضاً من حديثه عن أبيه، وقيل: لحمة ناتئة رواه أيضاً من حديث أبي سعيد، وقيل بضعة ناشزة رواه الترمذي في الشمائل، وقيل: كالبندقة رواه ابن عساكر في التاريخ زاد الحاكم في تاريخ نيسابور مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله، وقيل كالمحجمة الضخمة. رواه البيهقي من حديث التنوخي رسول هرقل، وللسهيلي في الروض كاثر المحجم النابضة على اللحم، وقيل: شامة خضراء محتفزة في اللحم رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ، وقيل: ثلاث شعرات مجتمعات نقله القاضي، وقيل: كبيضة حمام مكتوب بباطنها الله وحده لا شريك له، وبظاهرها توجه حديث كنت فإنك منصور، رواه الحكم الترمذي في نوادر الاصول،و قيل: كان نوراً يتلألأ. رواه ابن عائذ، وقيل: غرزة كغرزة الحمام أي قرطمته وقرطمتاه بكسر القاف نقطتان على أصل نقاره، وقيل: كتية صغيرة تضرب إلى الدهمة. روي ذلك عن عائشة. قال الحافظ في فتح الباري: ورواية كاثر المحجم أو كشامة خضراء أو سوداء مكتوب فيها محمد رسول الله أوسر فإنك منصور لم يثبت منها شيء وتصحيح ابن حبان ذلك وهم. وقال الهيثمي: إن راوي كتابة محمد رسول الله هنا اختلط عليه بخاتمه الذي كان يختم به، وقال بعض العلماء: وليست هذه الروايات مختلفة حقيقة بل كان شبه بما ستح به له. وتلك الألفاظ كلها مؤداها واحد وهو قطعة لحم، ومن قال: شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الأخرى. وقال القرطبي: الأحاديث الثابتة تدل على ان خاتم النبوّة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر إذ قلّل جعل كبيضة الحمام وإذا أكثر جعل كجمع اليد. وقال القاضي رواية جمع الكف تخالف بيض الحمام، وزر الحجلة. فتتأوّل على وفق الروايات الكثيرة أي كهيئة الجمع، لكنه أصغر منه على قدر بيضة الحمامة. واختلفوا هل ولد به أو وضع عند ولادته قولان، لكن في حديث البزار وغيره بيان وقت وضعه، وكيف وضع ومن وضعه هو قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي وبم علمت حتى استغنيت؟ قال: «أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فقال أحدهما شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحها، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكأني أرى الامر معاينة». وقال أبو نعيم في الدلائل: لما ولد أخرج الملك صرة من حرير أبيض فيها خاتم فضرب على كتفيه كالبيضة. وأخرج الحاكم عن وهب بن منبه لم يبعث الله نبياً إلا وعليه شامات النبوّة في يده اليمنى إلا نبينا ﷺ فإن شامات نبينا بين كتفيه وعليه فوضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به على سائر الانبياء ﷺ.

عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة، كفه ألين من الخز، كأن كفه كف عطار طيباً ـ مسها بطيب أو لم يمسها ـ يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من

(وكان) ﷺ (عبل العضدين والذراعين) أي ضخمها روى البيهقي من حديث أبي هريرة كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين. الحديث. أي عريضها، وفي حديث هند بن أبي هالة: ضخم الكتد وهو محركة مجتمع الكتفين والظهر (طويل الزندين) أي عظيمها إذالزند موصل عظم الذراع وهما زندان الكوع والكرسوع (رحب الراحتين) أي واسعها حساً ومعنى، والراحة باطن الكف (سائل الأطراف) بالسين المهملة أي ممتدها وهي الأصابع امتداداً معتدلاً بين الافراط والتفريط. ويروى بالشين المعجمة أي مرتفعها. رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني، والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة طويل الزندين رحب الراحة سائل الاطراف أو شائل الأطراف (كأن أصابعه) ﷺ (قضبان الفضة) في امتدادها وصفاء لونها رواه البيهقي من حديث عائشة الآتي اسناده، (كفه) ﷺ (ألين من الخز. كان كفه كف عطار طيباً مسها بطيب أو لم يمسها) قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن انس قال: «ما مسست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ».

وقال مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا: حدثنا هاشم عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: «ما شممت شيئاً قط مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسست شيئاً قط حريراً ولا ديباجاً ألين مساً من رسول الله ﷺ».

وقال مسلم: حدثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم رجع إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار.

وأخرج البيهقي من طريق جابر بن زيد بن الأسود عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنى فقلت: يا رسول الله ناولني يدك فناولنيها فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك، وقد وقع في حديث مسلسل بالمصافحة من طريق أبي القاسم عبدان بن حميد بن عبدان المنجي عن عمرو بن سعيد عن أحمد بن دهقان عن خلف بن تميم عن أبي هرمز عن أنس قال: «صافحت بكفي هذه كف رسول الله ﷺ فما مسست خزاً ولا حريراً ألين من كفه ﷺ» وله طرق ذكرتها في التعليقة الجليل على مسلسلات ابن عقيل، وفي بعض ألفاظه «فما مسست خزاً ولا قزاً» وقد أوسع الكلام فيه الحافظ أبو بكر بن عدي في الخامس من مسلسلاته.

(يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها) أي ريح يده الشريفة، (ويضع يده على رأس

بين الصبيان بريحها على رأسه، وكان عبل ما تحت الإزار من الفخذين والساق، وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأوّل لم يضره السمن.

وأما مشيه ﷺ فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر ويتحدر من صبب يخطو تكفياً ويمشي الهوينا بغير تبختر ـ والهوينا تقارب الخطا ـ وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «أنا أشبه الناس بآدم

الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي، وأورده ابن دحية في المستوفى بلفظ «وكان ﷺ إذا صافح أحداً فيظل يومه يجد ريحها» والباقي سواء.

(وكان) ﷺ (عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق) أي ضخمها رواه البيهقي كذلك إلا أنه قال من الفخذين والساق.

(وكان) ﷺ (معتدل الخلق في السمن) رواه البيهقي كذلك ولم يقل في السمن، وقد رواه الترمذي في الشمائل هكذا من حديث هند بن أبي هالة، والمراد به اعتدال خلقه في جميع أوصاف ذاته لأن الله تعالى حماه خلقاً وشريعة وأمة من غائلتي الإفراط والتفريط، **(بدن في آخر زمانه وكان لحمه)** مع ذلك **(متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن)** أي الطعن في العمر. وفي نسخة لم يضره السمن رواه البيهقي كذلك بلفظ: بدن في آخر زمانه وكان بذلك البدن متماسكاً وكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن، وروى الترمذي في الشمائل والطبراني من حديث هند بن أبي هالة بادن متماسك أي ضخم البدن لا مطلقاً بل بالنسبة لما مرَّ من كونه جليل المشاش والكتد، ولما كان إطلاق البادن يوهم الإفراط في السمن المستدعي لرخاوة البدن وعدم استمساكه وهو مذموم اتفاقاً استدرك ونفى ذلك فقال: متماسك أي يمسك بعضه بعضاً لما اشتمل عليه من الاعتدال التام وبلوغ الغاية في تناسب الاعضاء والتركيب.

(وأما مشيه ﷺ فكان) ﷺ (يمشي فكأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب) محركة أي انحدار **(يخطو تكفياً)** بالفاء والهمز أي مائلاً إلى سنن المشي **(الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا)** أي يمشي بقوّة رواه البيهقي بلفظ: وإذا مشى فكأنما يتقلع في صخر وينحدر في صبب يخطو تكفياً ويمشي الهوينا بغير عثر. والهوينا تقارب الخطا والمشي على الهينة. وروى الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة: «وإذا زال تقلعاً ويخطو تكفياً ويمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب» الحديث. وروى مسلم من حديث أنس: إذا مشى تكفأ. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة: وما رأيت أحداً أسرع في مشيه منه كأن الأرض تطوى له إنا لنجتهد وأنه غير مكترث. وفي لفظ آخر له: يطأ بقدمه جميعاً إذا أقبل أقبل جميعاً وإذا أدبر أدبر جميعاً. ومن حديث علي: «إذا مشى تكفى تكفؤاً كأنما ينحط من صبب» الحديث. وفي لفظ آخر له: وكان يتكفأ في مشيته كأنما يمشي من صبب، وفي لفظ آخر: إذا مشى

ﷺ وكان أبي ابراهيم ﷺ أشبه الناس بي خلقاً وخُلُقاً »، وكان يقول: « إن لي عند

تكفأ كأنما يمشي في صعد، وفي لفظ آخر: وكان إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وفي لفظ آخر: إذا مشى يمشي قلعاً كأنما ينحدر من صبب، وفي لفظ آخر له: إذا مشى كأنما ينحدر من صبب، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر. ومن حديث أنس: وكان يتوكأ إذا مشى، وقوله في حديث علي يمشي قلعاً ضبط بالفتح وهو مصدر بمعنى الفاعل أي قالعاً لرجله من الأرض وبالضم إما مصدر أو اسم بمعنى الفتح أو بفتح فكسر، وهو بمعنى رواية كأنما ينحط من صبب إذ الانحدار من الصبب والتقلع من الأرض متقاربان، والمعنى انه يستعمل التثبت ولا يتبين منه حينئذ استعجال ومبادرة شديدة. وقوله: ويمشي هوناً نعت لمصدر محذوف أي مشياً هوناً أو حال أي هيناً في تؤدة وسكينة وحسن سمت ووقار وحلم لا يضرب بقدميه ولا يخفق بنعليه أشراً وبطراً، ومن ثم قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان: ٦٣]، أي بالطاعة والعفاف والتواضع وقال الحسن: حلماً إن جهل عليهم لم يجهلوا. قال بعض المفسرين: وذهبت طائفة إلى أن هوناً مرتبط بقوله (**يمشون على الأرض**) أي أن المشي هو الهون ويشبه أن يتأوّل هذه على أن يكون أخلاق ذلك الماشي هوناً مناسبة لمشيه فيرجع الأمر إلى نحو ما مرَّ فالثناء عليهم ليس من حيث صفة المشي فقط إذ رب ماش هوناً رويداً وهو ذئب أطلس. وقال الزهري: سرعة المشي تذهب بهاء الوجه يريد الاسراع غير الخفيف لأنه يخل بالوقار، والخير في الأمر الوسط وسرعة مشيه ﷺ كما في قوله ذريع المشية أي واسع الخطوة كانت برفق وتثبت دون عجلة وهوج وإسراع عمر رضي الله عنه جبلة لا تكلف والله أعلم. ولله در الأبوصيري رحمه الله تعالى حيث يقول في مدحه ﷺ:

سيد ضحكه التبسم والمشـ ـي الهوينا ونومه الإغفاء

(**وكان ﷺ يقول: « أنا أشبه الناس بآدم ﷺ وكان أبي إبراهيم أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً »**) رواه البيهقي كذلك وإلى هنا تم الحديث الذي ساقه المصنف من أوله وهو من قوله بيان صورته وخلقته، ولنذكر أوّلاً سياق العراقي ثم نتبعه سياق البيهقي في الدلائل.

وقال العراقي قوله: « كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد » الحديث بطوله رواه أبو نعيم في دلائل النبوّة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبي طالب، ودون قوله: وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ، ودون قوله وكان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الخدين، وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب اهـ.

قلت: قد أورد البيهقي في الدلائل الحديث المذكور بتمامه كسياق المصنف وفيه زيادات من طريق هذا الرجل ولم أجد له ذكراً في كتب الضعفاء والمتروكين، وهذا نص البيهقي في الدلائل قال:

وقد روى صبيح بن عبد الله الفرغاني وليس بالمعروف حديثاً آخر في صفة النبي ﷺ، وأدرج

....

فيه تفسير بعض ألفاظه ولم يبين. قال: تفسيره فيما سمعنا إلا أنه يوافق جملة ما روينا في الأحاديث الصحيحة والمشهورة فرويناه، والاعتماد على ما مضى أخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرناه أبو عبد الله محمد بن يوسف المؤذن قال: حدثنا محمد بن عمران النسوي، ثنا أحمد بن زهير، ثنا صبيح ابن عبدالله الفرغاني، ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، ثنا جعفر بن محمد، عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: «كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته أنه لم يكن بالطويل البائن ولا المشذب الذاهب المشذب الطويل نفسه إلاّ أنه المخفف ولم يكن ﷺ بالقصير المتردّد وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها، فإذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ إلى الربعة ويقول نسب الخير كله إلى الربعة، وكان لونه ليس بالأبيض الأمهق الشديد البياض الذي يضرب بياضه الشهبة ولم يكن بالآدم وكان أزهر اللون والأزهر الأبيض الناصع البياض الذي لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شيء من الألوان» وكان ابن عمر كثيراً ما ينشد في مسجد رسول الله ﷺ نعت عمه أبي طالب، إياه في لونه حيث يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

ويقول: كل من سمعه هكذا كان النبي ﷺ وقد نعته بعض من نعته بأنه كان مشرب حمرة وقد صدق من نعته بذلك، ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحى للشمس والرياح، فقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر لا يشك فيه أحد، فمن وصفه بأنه أبيض أزهر فعنى ما تحت الثياب فقد أصاب، ومن نعت ما ضحى للشمس والرياح، بأنه أزهر مشرب حمرة فقد أصاب ولونه الذي لا يشك فيه الابيض وإنما الحمرة من قبل الشمس والرياح، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الاذفر، وكان رجل الشعر حسناً ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان إذا مشطه بالمشط كأنه حبك الرمل أو كأنه المبثوث الذي يكون في القدر إذا سفتها الرياح، فإذا مكث لم يرجل أخذ بعضه بعضاً وتحلق حتى يكون متحلقاً كالخواتم. كان أوّل مرة قد سدل ناصيته بين عينيه كما تسدل نواصي الخيل ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفرق ففرق فكان شعره فوق حاجبيه، ومنهم من قال: كان يضرب شعره منكبيه وأكثر ذلك إذا كان إلى شحمة أذنيه، وكان ﷺ ربما جعله غدائر أربعاً يخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها، ويخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها، وتخرج الاذنان ببياضهما من بين تلك الغدائر كأنها توقد الكواكب الدرية من سواد شعره، وكان أكثر شيبه في الرأس في فودي رأسه والفودان: حرفا الفرق، وكان أكثر شيبه في لحيته فوق الذقن، وكان يشبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ من بين ظهر سواد الشعر الذي معه، وإذا مس ذلك الشيب الصفرة كان كثيراً ما يفعل صار كأنه خيوط الذهب يتلألأ بين ظهر سواد الشعر الذي معه، وكان أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصف واصف قط بلغتنا عنه إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر، ولقد كان يقول: من كان يقول منهم لربما

نظرنا إلى القمر ليلة البدر. فيقول: هو أحسن في أعيننا من القمر أزهر اللون نير الوجه يتلألأ تلألؤ القمر يعرف رضاه وغضبه في سروره بوجهه. كان إذا رضي أو سرَّ فكان وجهه المرآة، وكأنما الدر يلاحك وجهه، وإذا غضب تلون وجهه واحمرت عيناه. قال: وكانوا يقولون هو ﷺ كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

ويقولون: كذلك كان وكان ابن عمر كثيراً ما ينشد قول زهير بن أبي سلمى يقول لهرم بن سنان:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المضيء ليلة البدر

فيقول عمر: ومن سمع ذلك كان النبي ﷺ كذلك ولم يكن كذلك غيره، وكذلك قالت عمته عاتكة بنت عبد المطلب بعد ما سار من مكة مهاجراً فجزعت عليه بنو هاشم فانبعثت تقول:

أعيني جودا بالدموع السواجم على المرتضى كالبدر من بني هاشمِ
على المرتضى للبر والعدل والتقى وللدين والدنيا بهيج المعالمِ
على الصادق الميمون ذي الحلم والنهي وللفضل والداعي لخير التراحمِ

تشبهه بالبدر ونعتته بهذا النعت، ووقعت في النفوس لما ألقى الله تعالى منه في الصدور، وقد نعتته وإنها لعلى دين قومها، وكان ﷺ أجلى الجبين إذا طلع جبينه من بين الشعر أو أطلع في فلق الصبح أو عند طفل الليل أو طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه ضوء السراج المتوقد يتلألأ، وكانوا يقولون: هو ﷺ كما قال شاعره حسان بن ثابت:

متى يبد في الداج البهيم جبينه يلح مثل مصباح الدجى المتوقدِ
فمن كان أو من قد يكون كأحمد نظام لحق أو نكال لملحدِ

وكان النبي ﷺ واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما. والأزج الحاجبين هما الحاجبان المتوسطان اللذان لا تعدو شعرة منها شعرة في النبات والإستواء من غير فرق بينهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين حتى كان ما بينهما الفضة المخلصة: بينهما عرق يدره الغضب لا يرى ذلك العرق إلا أن يدره الغضب. والأبلج النقي ما بين الحاجبين من الشعر، وكانت عيناه ﷺ نجلاوين ادعجهما والعين النجلاء الواسعة الحسنة، والدعج شدة سواد الحدقة لا يكون الدعج في شيء إلا في سواد الحدق، وكان في عينيه تمزج من حمرة، وكان أهدب الأشفار حتى تلتبس من كثرتها، أقنى العرنين، والعرنين المستوي الأنف من أوله إلى آخره، وهو الأشم كان أفلج الأسنان أشنبها قال: والشنب أن تكون الأسنان متفرقة فيها طرائق مثل تقرض المشط إلا أنها حديدة الأطراف، وهو الأثر الذي يكون أسفل الأسنان كأنه ماء يقطر في تفتحه ذلك وطرائقه، وكان يتبسم على مثل

....

البرد والمنحدر من متون الغمام، فإذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ، وكان أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم، سهل الخدين صلتهما. قال: والصلت الخد الأسيل الخد المستوي الذي لا يفوت بعض لحمه بعضه بعضاً، ليس بالطويل الوجه، ولا بالمكلثم كث اللحية والكث الكثير منابت الشعر، وكانت عنفقته بارزة بفنيكيه حول العنفقة كأنها بياض اللؤلؤ في أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها، والفنيكان هما مواضع الطعام حول العنفقة من جانبيها جميعاً، وكان أحسن عباد الله عنقاً لا ينسب الى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كأنه ابريق فضة يثوب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب وما غيبت الثياب من عنقه ما تحتها، فكأنه القمر ليلة البدر، وكان عريض الصدر ممسوحه كأنه المرآة في شدتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه بعضاً على بياض القمر ليلة البدر موصول ما بين لبته إلى سرته، وشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعرة غيره، وكان له ﷺ عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان، ومنهم من قال: يغطي الإزار منها اثنتين وتظهر واحدة. تلك العكن أبيض من القباطي المطواة، وألين مساً، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس، والكراديس عظام المنكبين والمرافقين والركبتين والوركين، وكان جليل الكتد قال: والكتد مجتمع الكتفين والظهر واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة وهو ما يلي منكبه الأيمن وفيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنهن من عرف فرس، ومنهم من قال كانت شامة النبوة بأسفل كتفه خضراء منحفرة في اللحم قليلاً، وكان طويل مسربة الظهر والمسربة الفقار الذي في الظهر من أعلاه إلى أسفله، وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين، والزندان العظمان اللذان في ظاهر الساعدين، وكان نعم الأوصال ضبط العصب شثن الكف، رحب الرائحة، سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان فضة، كفه ألين من الخز وكان كفه كف عطار طيباً مسها بطيب أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبي، فيعرف من بين الصبيان من ريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساق شثن القدم غليظهما ليس لهما خمص. منهم من قال كان في قدمه شيء من خمص يطوء الأرض بجميع قدميه معتدل الخلق بدن في آخر زمانه، وكان بذلك البدن متماسكاً وكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن، وكان فخماً مفخماً في جسده كله إذا التفت التفت جميعاً وإذا أدبر أدبر جميعاً. وكان ﷺ فيه شيء من الصرر والصرر الرجل الذي كأنه يلمح الشيء ببعض وجهه وإذا مشى فكأنه يتقلع من صخر وينحدر في صبب يخطو تكفياً ويمشي الهوينا بغير عثر. والهوينا تقارب الخطا والمشي على الهينة فيذر القوم إذا سارع إلى خير أو مشى إليه، ويسوقهم إذا لم يسارع إلى شيء بمشية الهوينا وترفعه فيها. وكان ﷺ يقول: «أنا أشبه الناس بأبي آدم عليه السلام وكان إبراهيم خليل الرحمن أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً» صلى الله عليه وعلى جميع أنبياء الله.

وأخبرناه عالياً القاضي أبو عمر محمد بن الحسين قال: حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب، ثنا محمد ابن عبدة المصيصي من كتابه، حدثنا صبيح بن عبد الله القرشي أبو محمد قال: حدثنا عبد العزيز

....

ابن عبد الصمد العمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالمشذب الذاهب قال: وساق الحديث في صفته ﷺ بهذا.

فصل

قد سبقت الإشارة إلى حديث هند بن أبي هالة وهو أجمع حديث في شمائله ﷺ الظاهرة والباطنة، وقد أخرجه الترمذي في الشمائل، والبغوي والطبراني، والبيهقي في الدلائل من طرق عن الحسن بن علي عنه، ووقع لنا بعلوّ في نسخة أبي علي بن شاذان من طريق أهل البيت أخرجها البغوي أيضاً، وأخرجه ابن منده من طريق يعقوب التميمي عن ابن عباس أنه قال لهند بن أبي هالة: صف لي النبي ﷺ، فأحببت أن أورده هنا من طريق البيهقي، ثم اتبعه بحديث أم معبد الخزاعية فإنه ذكر فيه ما لم يذكره غيرها من غرائب الصفات فأقول:

أخبرنا بكتاب دلائل النبوة للبيهقي المسند عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني قراءة عليه من أوله وإجازة لسائره قال: أخبرنا كذلك حافظ الحجاز عبد الله بن سالم البصري قال: أخبرنا كذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال: أخبرنا كذلك النور علي بن يحيى الزيات قال: أخبرنا كذلك المسند يوسف بن زكريا الأنصاري قال: أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي سماعاً عليه قال: أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر سماعاً عليه قال: أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقيني سماعاً عليه لجميعه، أخبرنا الحجاج يوسف الزكي المزني إجازة، أخبرنا الرشيد محمد بن أبي بكر العامري سماعاً، أخبرنا أبو القاسم بن الحرستاني سماعاً، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي إجازة، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي سماعاً قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ لفظاً وقراءة عليه قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العقيقي صاحب كتاب النسب ببغداد قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو محمد بالمدينة سنة ٢٩٤ قال: حدثني علي بن جعفر بن محمد عن أبي محمد بن علي عن علي بن الحسين قال: قال الحسين بن علي سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً أرجو أن يصف لي شيئاً أتعلق به حينئذ.

قال البيهقي: وأخبرنا أبو الحسين بن المفضل القطان ببغداد، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، حدثنا يعقوب بن سفيان النسوي، ثنا سعيد بن حماد الأنصاري المصري وأبو غسان مالك بن اسماعيل النهدي قالا: حدثنا جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي قال: حدثني رجل بمكة عن ابن لأبي هالة التميمي عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية رسول الله ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال:

....

كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق. وفي رواية العلوي عقيصته وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الجواجب، سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين. وفي رواية العلوي أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر. وفي رواية العلوي: فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين رحب الراحة. وفي رواية العلوي: رحب الجبهة سبط القصب شثن الكفين والقدمين لم يذكر العلوي القدمين، سائل الأطراف خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعاً يخطو تكفياً ويمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت معاً. وفي رواية العلوي جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبتدر، وفي رواية العلوي: يبدأ من لقي بالسلام.

قلت: صف لي منطقه. قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة وفي رواية العلوي: الفكر ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكتة وفي رواية العلوي السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم وفي رواية العلوي الكلام فصل لا فضول ولا تقصير رمث ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً لا يذم ذواقاً ولا يمدحه. وفي رواية العلوي لم يكن ذواقاً ولا مدحة، لا يقوم لغضبه إذا تعرض الحق شيء حتى ينتصر له، وفي الرواية الأخرى لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى. وفي رواية العلوي فيضرب بإبهامه اليمنى باطن راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، وجل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام قال: فكتمتها الحسين بن علي زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئاً فذكر الحديث بطوله وهو مذكور في الشمائل للترمذي مع اختلاف ألفاظ في سياقه نبه عليه البيهقي.

وأما حديث أم معبد الخزاعية، فقد رواه البغوي، وابن شاهين، وابن السكن، والطبراني، وابن منده، والبيهقي وغيرهم من طريق حرام بن هشام بن حبيش عن أبيه عن جده حبيش بن خالد بن سعد بن منقد بن ربيعة بن حرام الخزاعي، ويقال له حبيش الأشعري، وهو لقب والده خالد وهو أخو أم معبد، واسمها عاتكة بنت خالد ولهما صحبة. وأورده ابن السكن من حديث أم

معبد نفسها، فقال حرام بن هشام بن حبيش بن خالد: سمعت أبي يحدث عن أم معبد وهي عمته فساق القصة.

وأنقله هنا من كتاب الدلائل للبيهقي فإنه ساق الحديث بطوله فبالسند المتقدم إليه قال: أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة من أصل كتابه قال: أخبرنا أبو عمرو محمد ابن جعفر بن محمد بن مطر قال: حدثنا أبو زيد عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي الكعبي بقديد املاء، قال: حدثني عمي سليمان بن الحكم عن جدي أيوب بن الحكم الخزاعي، عن حرام بن هشام، عن أبيه، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ح.

وحدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السليمي أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا محمد بن محمد ابن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي بقديد يعرف بأبي عبد الله بن أبي هشام الخزاعي قال: حدثنا أبي محمد بن سليمان، ثنا عمي أيوب بن الحكم عن حرام بن هشام عن أبيه عن جده حبيش بن خالد قتيل البطحاء يوم فتح مكة أن رسول الله ﷺ ح.

وأخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني، حدثنا مكرم بن محرز بن مهدي، حدثني أبي عن حرام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد، وهو أخو عاتكة بنت خالد أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط مروا على خيمة أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين فقالت: والله لو كان عندنا شاة ما أعوزناكم نحرها، فنظر النبي ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: أبها من لبن. وقال أبو زيد هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهدّ من ذلك. قال: أتاذني لي أن أحلبها. قالت: بأبي وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ﷺ، ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانياً بعد بدا حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً تساوك هزلاً ضحاخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي. قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه بخلة ولم تزره صعلة، وسيم قسيم في عينيه دعج، وفي اشفاره عطف وفي صوته مهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم

....

سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هدر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ربعة، لا بأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يحضون به إن قال انصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا معتد ﷺ . فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من قائله، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي أم معبدِ
هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم ... فقد فاز من أمسى رفيق محمدِ
فيال قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجاري وسؤددِ
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم ان تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح درت الشاة مزبدِ
خفى درها رهناً لديها بحالب ... يرددها في مصدر ثم موردِ

فلما سمع حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ شبب بها يجاوب الهاتف وهو يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقد سر من يسري إليه ويغتدِ
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجردِ
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشدِ
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ... عمايتهم هاد به كل مهتدِ
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعدِ
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجدِ
وإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغدِ
ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعدِ
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

هذا لفظ حديث أبي نصر بن قتادة.

وحدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الاحمسي، ثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخباز، ثنا سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي، ثنا أخي أيوب بن الحكم بن سالم بن محمد الخزاعي جميعاً عن حرام بن هشام فذكره نحوه بنقصان بيتين من شعر حسان في آخره، وقد ذكرهما في موضع آخر.

ورواه يعقوبُ بن سفيان النسوي عن مكرم بن محرز دون الأشعار، أخبرنا أبو الحسين بن

ربي عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي، وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعاً وأنا قثم »، قال أبو البختري والقثم: الكامل الجامع، والله أعلم.

الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو القاسم مكرم بن محرز بن المهدي فذكره.

وحدثنا أبو عبد الله الحافظ املاء أخبرنا أبو زكريا يحي بن محمد العنبري، وعبد الله بن محمد الدورقي، ومخلد بن جعفر. قال الأول: حدثنا الحسين بن محمد بن زياد وجعفر بن محمد بن سوار، وقال الثاني: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام، وقال الثالث: حدثنا محمد بن جرير قالوا كلهم: ثنا مكرم بن محرز والله أعلم.

وقد وجدت حديثاً آخر في صفته ﷺ أخرجه البيهقي في الدلائل وبالسند المتقدم إليه قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا فيض البجلي، ثنا سالم بن سكين، عن مقاتل بن حبان قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم: جد في أمري ولا تهزل واسمع وأطع يا ابن الطاهر البكر البتول إني خلقتك من غير فحل، فجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لأهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك إني أنا الله الحي القيوم الذي لا أزول صدقوا النبي الامي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المفروق الحاجبين الانجل العينين الأهدب الأشفار الأدعج العينين الأقنى الأنف الواضح الجبين الكث اللحية عرقه في وجهه، كأنه اللؤلؤ ريح المسك ينضح منه كأن عنقه ابريق فضة، وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم، إذا جامع الناس عمرهم، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر وينحدر في صبب ذا النسل القليل وكأنه أراد الذكور من صلبه، ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال.

(وكان ﷺ يقول: إن لي عند ربي عشرة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر يحشر العباد على قدمي، وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعاً وأنا قثم» قال أبو البختري والقثم: الكامل الجامع) اعلم أن الأسماء جمع اسم وهو كلمة وضعت بإزاء شيء متى أطلقت فهم منها إذ هي إما معرفة أو مخصصة. قيل: والاسم عين المسمى لقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] وقوله تعالى: ﴿بغلام اسمه يحي﴾ [مريم: ٧] ثم قال يا يحي فنادى الاسم ورد بأنه يلزم عليه أن من قال النار احترق لسانه والعسل ذاق حلاوته

....

وهو بديهي البطلان، ولا حجة في الآيتين لأن « سبح » بمعنى اذكر أو على حقيقته وأريد بتنزيه الاسم نفسه إذ أسماؤه تعالى توقيفية فيجب تنزيهها عن أن يخترع له تعالى ما لم يصح عنه أو عن رسوله لقصور من عداهما عن أن يحيط بما يناسب جلاله العلي ومعنى النداء يا أيها الغلام المسمى يحيى، فالصواب أنه غيره كما عرف من الحد. وقد تقدم بحث ذلك في شرح كتاب قواعد العقائد من هذا الكتاب هذا إن أريد اللفظ وهو الذي الكلام فيه ومنه: وعلم آدم الأسماء كلها فإن أريد به الذات فعينه ومنه ما تعبدون من دونه إلا أسماء أو الصفة كما يقول الأشعري انقسم عنده اقسامها فإن رجع للذات كالله فعينه أو للفعل كالخالق فغيره، أو لصفة الذات كالتعليم فليس عينه إذ علمه تعالى زائد على ذاته ولا غيره لعدم انفكاكه عنه من الجانبين بناء على أن الغيرين موجودان يجوز الانفكاك بينهما، ثم ان أسماء سيدنا رسول الله ﷺ قد تعرض جماعة لتعدادها، فمنهم من بلغها تسعة وتسعين موافقة لتعداد أسمائه تعالى الحسنى الواردة في الحديث، فقال القاضي عياض: خصه الله تعالى أن سماه بنحو من ثلاثين اسماً من أسمائه الحسنى، وقال ابن دحية في المستوفى: إذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقرآن والسنة بلغت ثلاثمائة وبلغها بعض الصوفية إلى ألف كأسمائه تعالى، وقد جمعها البدر البلقيني في مجلد حافل، وكذا ابن دحية في المستوفى، والمراد حينئذ ما يشمل الأوصاف، فإذا اشتق له من كل وصف من أوصافه المختصة به أو الغالبة عليه أو المشتركة بينه وبين الأنبياء بلغت ذلك العدد بزيادة، وقد وصلها جماعة كالقاضي عياض، وابن العربي، وابن سيد الناس إلى أربعمائة. فأول ذلك الأسماء على الإطلاق محمد وهو علم منقول من اسم مفعول المضعف سمي به نبينا ﷺ لكثرة خصاله المحمودة. روى البيهقي من طريق أبي بكر الحميدي قال: حدثنا سفيان، ثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ألا تعجبون كيف يصرف الله عز وجل عني شتم قريش ولعنهم يسبون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد ». وروى البخاري في الصحيح عن علي بن عبد الله عن سفيان، وقد سماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله تعالى له بذلك رجاء أن يحمده أهل السماء وأهل الأرض، وقد حقق الله رجاءه وأنزل الله تصديقه في القرآن فقال: ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩] الاسم الثاني أحمد وابتدأ بهذين الاسمين لانبائهما عن كمال الحمد المنبىء على كمال ذاته، والراجع إليه سائر أوصافه إذ صيغة التفعيل منبئة عن التضعيف والتكثير إلى ما لا نهاية له وصيغة أفعل منبئة عن الوصول لغاية ليس وراءها منتهى. إذ معناه أحمد الحامدين لربه لأنه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد ربه بها، ولذلك يعقد له لواء الحمد ثم لم يكن محمداً حتى كان أحمد حمد ربه فنباه وشرفه، ولذلك تقدم في قول موسى عليه السلام: اللهم اجعلني من أمة محمد، وقول عيسى عليه السلام اسمه أحمد قدمه على محمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بتلك المحامد التي لم يفتح بها على أحد قبله فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فتقدم أحمد ذكراً أو وجوداً أو دنياً وأخرى هذا حاصل كلام السهيلي. وجرى عليه القاضي في

....

الشفاء وغيره، وهو أظهر من دعوى ابن القيم في أحمد أنه قيل فيه أنه بمعنى مفعول أي أنه أولى الناس بأن يحمد فهو بمعنى محمد، وإن تفاوتا في أن محمداً أكثر خصاله يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره ولو أريد أنه أكثر حمداً لربه لكان الأولى به الحماد.

ومن مزاياهما مساواتهما الجلالة حروفاً ومن مزايا الأول موافقته لمحمود من أسمائه، ومن ثم قال حسان رضي الله عنه:

وشـق لـه مـن اسمـه ليجلـه فـذو العـرش محمود وهـذا محمدُ

وورد عند أبي نعيم لأنه سمي بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام وهذا إن صح يعكر على ما مر عن السهيلي في تأخره عن أحمد وجوداً وورد عن كعب أن اسم محمد مكتوب على ساق العرش، وفي السموات السبع، وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قصب آجام أهل الجنة وورق طوبى وسدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة. قيل: ووجد مكتوباً على ورد بالهند وعلى جنب سمكة وأذن أخرى. قال ابن قتيبة: ومن إعلام نبوته انه لم يسم به أحد قبله صيانة لهذا الاسم كما صين يحي عن ذلك وخشية من وقوع لبس. نعم لما قرب زمانه وبشر أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو وغفلوا عن أنه تعالى أعلم حيث يجعل رسالاته وأشهرهم خمسة عشر.

الاسم الثالث: الماحي. وقوله: «يمحو الله بي الكفر» أي من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وغيرها مما زوى له ﷺ، ووعد أن يبلغه ملك أمته، أو المراد أن يمحوه بمعنى يدحضه ويظهر عليه بالحجة والغلبة. قال الله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ [الفتح: ٢٨] أو أنه يمحو سيئات من اتبعه أي آمن فيمحو عنه ذنب كفره وسائر ما عمله فيه قال تعالى: ﴿قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] قال ﷺ: «الإسلام يهدم ما قبله» وخص ﷺ بهذا لأنه لم يمح الكفر بأحد مثل ما محى به ﷺ إذ بعث وقد عم الكفر الأرض وأكثرهم لا يعرفون ربا ولا معاداً، بل منهم من يعبد الحجر أو الكواكب أو النار فمحى ذلك به ﷺ وظهر دينه على كل دين وبلغ مبلغ الجديدين وسار مسار القمرين.

الاسم الرابع: العاقب. وهو الذي يخلف من كان قبله في الخير ومنه عقب الرجل ولده، ويفسر أيضاً بالذي ليس بعده أحد أي من الأنبياء والرسل لأن العاقب وهو الآخر وهو عقب الأنبياء أي آخرهم ﷺ.

الاسم الخامس: الحاشر. وقوله على قدمي بتخفيف الياء على الإفراد وتشديد على التثنية وفي رواية على عقبي أي على أثري وزمان نبوتي ورسالتي إذ لا نبي بعده، أو يقدمهم وهم خلفه أو على أثره في المحشر إذ هو أول من تنشق الأرض عنه ﷺ.

الاسم السادس: رسول الرحمة أي التراحم بينهم الحاصل ببركته ﷺ قال تعالى ﴿فألف بين قلوبكم﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] أو المراد أنه تعالى جعل ذاته نفسها

....

رحمة. قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ومن ثم أخبر عن نفسه أنه رحمة مهداة. رواه البيهقي بلفظ: «إنما أنا رحمة مهداة» فحينئذ تعلق به الخلق مؤمنهم وكافرهم.

الاسم السابع: رسول التوبة أي أن قبول التوبة بشروطها من جملة ما حققه الله تعالى ببركته على هذه الأمة.

الاسم الثامن: رسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب لاشتباك الناس فيها كاشتباك السدى باللحمة ولكثرة لحوم القتلى فيها، ولم يجاهد نبي قط وأمته ما جاهد ﷺ وأمته. كيف وهم يقاتلون الأعور الدجال ومن معه من اليهود وغيرهم، وفي القاموس سمي نبي الملاحم لأنه سبب لالتحامهم واجتماعهم.

الإسم التاسع: المقفى. أي التابع للأنبياء عليهم السلام فكان آخرهم يقال قفوت وقفيت إذا تبعت وقافة كل شيء آخره.

الاسم العاشر: قثم وقد فسره أبو البختري بأنه الكامل الجامع يقال: قثم له من المال أعطاه قطعة جيدة واسم الفاعل قثم مثل عمر على غير قياس، وبه سمي وهو معدول عن قاثم تقديراً، ولهذا لا ينصرف للعلمية والعدل التقديري، وحيث فرغنا مما يتعلق بالعبارة فلنذكر التخريج.

قال العراقي لفظ المصنف رواه ابن عدي في الكامل من حديث علي وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف، وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل: لي عند ربي عشرة أسماء. قال أبو الطفيل: حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص، وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال: إن الاسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم: لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي وأنا العاقب، ولمسلم من حديث أبي موسى والمقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة ونبي الملاحم وسنده صحيح اهـ.

قلت: رواه البخاري عن أبي اليمان أخبرني شعيب عن الزهري، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد». ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن أبي اليمان، ورواه البخاري أيضاً من طريق مالك عن الزهري، ومسلم أيضاً من طريق ابن عيينة، وعقيل عن الزهري. وعند مسلم من رواية عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: وأنا العاقب. قال قلت للزهري وما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي. قال البيهقي: ويحتمل أن يكون تفسير العاقب من قول الزهري كما عرفت وهذا قد رده ابن دحية في المستوفى وأطال فيه، وأثبت أنه من تفسيره ﷺ كما بينته روايات غيره. وفي لفظ لمسلم الذي ليس بعده أحد. ورواه البيهقي من طريق محمد بن ميسرة عن الزهري وفيه: وأنا العاقب يعني الخاتم. ومن طريق جعفر بن أبي وحشية عن نافع عن جبير عن سلم عن أبيه رفعه «أنا محمد وأنا أحمد

....

وأنا الحاشر والماحي والخاتم والعاقب ». وروى البخاري في تاريخه الصغير والأوسط والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي وابن سعد كلهم من طريق عقبة بن مسلم عن نافع بن جبير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: أتحصي أسماء رسول الله ﷺ كما كان أبوك يعدها؟ قال: نعم هي ستة: محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح، فأما الحاشر فبعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد، وأما عاقب فإنه عقب الأنبياء، وأما ماح فإن الله تعالى محا به سيئات من اتبعه.

وروى البيهقي من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ سمى لنا نفسه أسماء فقال « أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفى ونبي التوبة والملحمة ». ورواه أبو داود الطيالسي عن المسعودي عن عمرو بن مرة بلفظ: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه اسماء منها ما حفظنا ثم ذكرهن. رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن الأعمش، وذكر النقاش في تفسيره أنه ﷺ قال لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثّر والمزمل وعبد الله. وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتاب الهداية عن النبي ﷺ قال لي عند ربي عشرة أسماء فذكر أن منها طه ويس وإسناده في ذلك ضعيف جداً. وقول العراقي ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل إلى قوله ضعيف.

قلت: أورده ابن دحية في المستوفى عن شيخه أبي طاهر السلفي عن أبي علي الحسن بن حمزة عن أبي الحسين بن خشيش عن أبي جعفر بن رحيم عن عبد الله التمار عن محمد بن عمران بن أبي ليلى، عن إسماعيل بن يحيى التميمي، عن سيف بن وهب قال: سمعت أبا الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ « لي عشرة أسماء عند ربي عز وجل » قال أبو الطفيل حفظت ثمانية ونسيت اثنين « أنا محمد وأحمد والفاتح والخاتم وأبو القاسم والحاشر والعاقب والماحي » قال: فحدثت بهذا الحديث أبا جعفر فقال: يا سيف ألا أخبرك بالاسمين؟ قلت: بلى. قال « يس وطه ». قال ابن دحية: هذا السند لا يساوي شيئاً يدور على وضاع وضعيف. قال أحمد: سيف بن وهب ضعيف الحديث. وقال يحيى كان هالكاً من الهالكين. وقال النسائي: ليس بثقة، وإسماعيل بن يحيى التيمي يروي الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه قاله أبو حاتم. وقال الدارقطني: كذاب متروك. وقال الأزدي: ركن من أركان الكذب لا تحل الرواية عنه. وأما قثم فذكره ابن فارس اللغوي في كتابه المنبيء في أسماء النبي ﷺ وهو في خمسة أوراق، وأسند أبو إسحاق الحربي في غريب الحديث له فيه حديثاً ونصه قال: قال رسول الله ﷺ « أتاني ملك الموت فقال أنت قثم وخلقك قيم ونفسك مطمئنة ». قال: قثم أي مجتمع الخلق القثوم الجموع وخلقك قيم أي مستقيم. قال ابن دحية: فالقثم من معنيين: أحدهما القثم وهو الإعطاء سمي بذلك لأنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة يعطي فلا يبخل ويمنح ولا يمنع. الثاني: أنه من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم. رواه ابن فارس عن الخليل بن أحمد وإنما سمي به لأنه جمع المناقب كلها ولم تكن فضيلة ولاخلة جليلة إلا وقد كان لها جامعاً،

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه:

اعلم ان من شاهد أحواله ﷺ وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته إلى ضبطهم، وتألفه أصناف الخلق، وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق

وقد تسمى به لبركته أهل بيته منهم قثم بن العباس وهو أصغر من أخيه عبد الله، وكان سنه يوم توفي رسول الله ﷺ إحدى عشرة سنة ذكره أحمد بن كامل بن شجرة في تاريخه، وكان قثم يشبه النبي ﷺ استشهد بسمرقند ولا عقب له، وكان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان في أيام معاوية، ومنهم قثم بن العباس بن عبيد الله بن عباس، وكان قد ولي اليمامة من قبل المنصور.

تنبيه:

الحصر الذي أفاده تقديم الجار والمجرور في رواية الشيخين، وكذا الترمذي والنسائي إضافي لا حقيقي، والمعنى أسماء خمسة اختص بها لم يسم بها أحد قبلي إذ هي مشهورة في الأمم الماضية أو موجودة في الكتب المتقدمة، وإنما قلنا إنه حصر إضافي لورود الروايات بزيادة على ذلك منها ما تقدم، ومنها أنه تعالى سماه في القرآن رسولاً نبياً أمياً وسماه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وسماه رؤوفاً رحيماً، وسماه مذكراً ونعمة وهادياً، وسماه عبداً ﷺ.

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه:

اعلم أن كبار الائمة يسمون معجزات الأنبياء دلائل النبوّة وآيات النبوّة ولم يرد أيضاً في القرآن لفظ المعجزة بل ولا في السنّة أيضاً، وإنما فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان، وأما لفظ المعجزة إذا أطلق فإنه لا يدل على كون ذلك آية إلا إذا فسر المراد به وذكرت شرائطه، وقد كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط، ومن أثبت للأولياء خوارق عادات سماها كرامات، والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً كالإمام أحمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوّة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوّة من اتبعه ذلك الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان للولي آية وبرهاناً فإذا عرفت ذلك فاعلم أن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم السلام سميت بذلك لعجز البشر عن الاتيان بمثلها.

(**اعلم أن من شاهد أحواله** ﷺ) بعينه (**أو أصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه**) الشريفة التي جبل عليها (**وأفعاله**) الحميدة (**وأحواله**) الزكية (**وعاداته**) المنيفة (**وسجاياه**) المطهرة (**وسياسته لأصناف الخلق**) أحمرهم وأسودهم (**وهدايته إلى ضبطهم**) على القانون الإلهي (**وتألفه أصناف الخلق**) مع اختلاف طبائعهم (**وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى**) من طرق صحيحة (**من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة**) أي مشكلاتها حتى

الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية، بل لا يتصوّر ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوّة إلهية، وأن ذلك كله لا يتصوّر لكذاب ولا ملبس، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله، فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده؟ وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلوّ منصبه ومكانته العظيمة عند الله، إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً،

يتحير فيها الحاضرون، (**و**) من (**بدائع تدبيراته في مصالح الخلق**) بوضع كل شيء في محله، (**و**) من (**محاسن إشاراته**) اللائحة من جواهر منطوقاته (**في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء**) المحققون (**والعقلاء**) المدققون (**عن إدراك أوائل دقائقها**) فضلاً عن بواطنها (**في طول أعمارهم**) وهم مكبون على مطالعتها واستخراج غوامضها (**لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة**) أي صدق في تدبير الأمور بنوع لطف (**تقوم بها القوة البشرية**) في استعدادها، (**بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد**) والاستجلاب (**من تأييد سماوي**) أي من فوق وهي الموهبة الربانية (**وقوة إلهية**) تنقض العادات ويعجز عن بلوغ شأوها جنس البشر ولا يقدر عليها إلا من له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، (**وان ذلك كله لا يتصور لكذاب**) عهد منه كثرة الكذب (**ولا ملبس**) أي مخلط في حاله (**بل كانت شمائله**) أي خصاله الشريفة (**وأحواله**) المنيفة (**شواهد قاطعة تصدقه**) أي تدل على صدقه، (**حتى أن العربي القح**) بالضم أي الخالص في العربية (**كان يراه**) مفاجأة (**فيقول: والله ما هذا وجه كذاب**) كما وقع ذلك لكثير منهم وكان سبباً لايمانهم. (**فكان يشهد له بالصدق**) والكمال والأمانة (**بمجرد**) رؤية (**شمائله**) الظاهرة في وجهه الشريف ولونه وطلعته وقامته وحركته وسكونه، (**فكيف بمن شاهد أحواله ومارس أخلاقه**) أي زاولها (**في جميع مصادره وموارده**) في حضر وسفر ويقظة ونوم ومشي وجلوس وأكل وشرب ولبس وغير ذلك، (**وإنما أوردنا بعض أخلاقه**) ﷺ (**لتعرف محاسن الأخلاق**) التي جبل عليها (**وليتنبه لصدقه** ﷺ **وعلو منصبه**) ورفعة مقامه (**ومكانته العظيمة عند الله**) عز وجل (**إذ آتاه الله جميع ذلك**) وحلاه به ظاهراً وباطناً (**وهو رجل أمي**) منسوب إلى بطن أمه في سذاجته وقد وصف كذلك في القرآن وقبله في التوراة والإنجيل ثم بينه بقوله: (**لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً**) من أبويه (**ضعيفاً مستضعفاً**) لم

فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوّة لولا صريح الوحي؟ ومن أين لقوّة البشر الاستقلال بذلك؟ فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية. وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل.

فقد خرق الله العادة على يده غير مرة؛ إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية،

يكن عنده ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوّة يتقهر بها الرجال ولا أعوان على الرأي الذي أظهره والدين الذي دعا إليه، وكانوا يجتمعون على عبادة الأصنام وتعظيم الأزلام مقيمين على عصبية الجاهلية والتقادم والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا يجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أعمالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولا أئمة. (**فمن أين حصل له**) ﷺ (**محاسن الأخلاق**) وجميل الشيم (**و**) معالي (**الآداب ومعرفة مصالح الفقه**) في الدين (**مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفته بالله**) تعالى حق المعرفة (**وملائكته وكتبه**) ورسله، (**وغير ذلك من خواص النبوّة لولا صريح الوحي**) المنزل من السماء؟ (**ومن أين للبشر الاستقلال بذلك**) فإن قواه تعجز عن حمل مثل ذلك ثم بعد تلك المعاداة منهم والمخالفات لم يزل بهم بحسن سياسته حتى ألف بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتباصرت القلوب وترادفت الأيدي، فصاروا إلفاً واحداً في نصرته وهجروا بلادهم وأوطانهم في محبته وبذلوا مهجهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في إعزاز كلمته بلا أموال أفاضها عليهم ولا عرض في العاجل أطمعهم في نبل يرجونه، فهل يلتـئم مثل هذه الأمور أو يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري؟ (**فلو لم يكن له**) ﷺ (**إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية**) ومقنع، (**وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب**) أي لا يشك (**فيه محصل، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار**) أي اشتهرت (**واشتملت عليه الكتب الصحاح**) والحسان (**إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل**) والاشتغال بذكر الإسناد والتخريج، (**فقد خرق الله العـادة على يده غير مرة إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية**) على صدقه.

اعلم أن معجزاته ﷺ كثيرة وهي أخص الشمائل وأكملها وأشرفها وأعمها القرآن، وسيأتي الكلام عليه في آخر الباب، وأما غيره فمنه ما وقع التحدي به وهو طلب المعارضة والمقابلة ومنه ما وقع بدون طلب ولا ينافي تسميته معجزة إذ التحدي شرط فيها لأنا نقول هو شرط فيها من حيث الجملة لا في كل من جزئياتها، وبهذا يرد ما أورد على مشترط ذلك كالباقلاني مما شنع به جمع عليه وأطالوا وهي إما قبل نبوّته كقصة الفيل والنور الذي أخرج معه حتى أضاء له قصور

....

الشام وأسواقها، وحتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى ومسح الطائر لفؤاد أمه حتى لم تجد ألماً لولادته والطواف به في الآفاق وخمود نار فارس وسقوط شرافات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه وانتكاس الأصنام وخرورها لوجهها من غير واقع لها في أمكنتها إلى سائر ما نقل من العجائب في أيام ولادته وأيام حضانته وبعدها إلى أن نباه الله تعالى كاظلال الغمام أي في السفر وشق الصدر، وهذا القسم لا يسمى معجزة حقيقة لتقدمه على التحدي جملة وتفصيلاً وإنما يسمى ارهاصاً أي تأسيساً للنبوّة وهذا ما عليه أهل السنة. وقال المعتزلة: لا يجوز تقدم المعجزة على الإرسال وبما قررته يعلم أن الخلاف لفظي، وأما بعد موته وهو غير محصور إذ كل خارق وقع لخواص أمته إنما هو في الحقيقة له إذ هو السبب فيه، وأما من حين نبوّته إلى حين وفاته وهذا هو الذي الكلام فيه فمنه انشقاق القمر الذي أشار إليه المصنف، والدليل على وقوعه ظاهر الآية، وأجمع عليه أهل السّنة وهو من أمهات معجزاته ﷺ وخواصها إذ ليس في معجزات الأنبياء ما يقاربه لأنه ظهر في الملكوت الأعلى خارجاً عن طباع هذا العالم، فلا حيلة في الوصول إليه. وقد حقق التاج السبكي أن انشقاقه متواتر.

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس اهـ.

قلت: أما حديث ابن مسعود فلفظه: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا». رواه كذلك عبد بن حميد والشيخان والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طريق أبي معمر عن ابن مسعود.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه».

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق الأسود عن ابن مسعود قال: «رأيت القمر على الجبل وقد انشق فأبصرت الجبل من بين فرجتي القمر».

وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود قال: «كنا مع النبي ﷺ بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فتوارت فرقة خلف الجبل، فقال النبي ﷺ اشهدوا».

وأما حديث ابن عباس فلفظه: «انشق القمر في زمان النبي ﷺ. هكذا أخرجه الشيخان وابن مردوية والبيهقي في الدلائل.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: «خرج المشركون على عهد رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن

وأطعم النفر الكثير في منزل جابر، وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق، ومرة أطعم ثمانين

هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والنضر بن الحرث فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فاشقق القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، فقال لهم النبي ﷺ: إن فعلت تؤمنوا؟ قالوا: نعم. وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر قد مثل نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان ورسول الله ﷺ ينادي يا أبا سلمة بن عبد الأسود، والأرقم بن أبي الأرقم اشهدوا».

وأما حديث أنس فلفظه «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء ما بينهما». هكذا رواه الشيخان وابن جرير وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل بلفظ: «سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين فنزلت ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١]». الآية وقد رواه أيضاً عبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وقد أنكر جمهور الفلاسفة ذلك لإنكارهم الخرق والالتئام في الأجرام العلوية، وهؤلاء كفار وتقرير بطلان مذهبهم في الأصول، وأنكره أيضاً بعض الملاحدة محتجين بأنه لو وقع لم يخف على أحد من أهل الأرض ولم يختص أهل مكة ورد بأنه وقع ليلاً لحظة وقت الغفلة والنوم فلا مانع من خفائه على من بعد عن تلك الأقاليم، وليس هو دون الكسوف الذي يظهر بمحل دون آخر على أنه لولا اخبار المنجمين قبل وقوعه لربما خفي على أكثر أهل الأرض وحكمة عدم بلوغ معجزة من معجزاته غير القرآن تواتره أن ينظر ذلك في الأمم السابقة أعقب هلاك من كذب بها وهو ﷺ رحمة عامة، فكانت معجزته غير عامة لئلا يعاجل المكذبون بما عوجل به من سبقهم. وحكى البدر الزركشي عن شيخه العماد بن كثير أن ما حكي أن القمر دخل من جيبه ﷺ وخرج من كمه فليس له أصل.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أطعم النفر الكثير في منزل جابر**) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه. قال العراقي: متفق عليه من حديثه اهـ.

قلت: وهو أن جابراً في غزوة الخندق قال: انكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء فإني رأيت بالنبي ﷺ جوعاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن أي شاة سمينة فذبحتها أي أنا وطحنت أي زوجتي الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئته ﷺ وأخبرته الخبر سراً وقلت له: تعالى أنت ونفر معك فصاح بأهل الخندق أن جابراً صنع سوراً بالضم وسكون الواو فارسية أي طعاماً يدعو إليه الناس فحيهلا بكم، فقال ﷺ «لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء» فجاء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادع خابزة لتخبز معك واقدحي أي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف، فاقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط ويسمع غطيطها كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو. رواه الشيخان فأخرجه البخاري عن عمر بن علي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا

. . . .

حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً فأتيت زوجتي، ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم، ورواه البيهقي في الدلائل من طريق عباس بن محمد الدوري عن أبي عاصم.

(و) من معجزاته ﷺ انه أطعم النفر الكثير في **(منزل أبي طلحة)** زيد بن سهل الأنصاري البدري رضي الله عنه المتوفى سنة أربع وثلاثين من الهجرة. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: رواه مسلم من طريق حرملة، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق هارون بن معروف واللفظ له كلاهما عن ابن وهب قال: أخبرني أسامة أن يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال: جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة. قال أسامة: وأنا أشك على حجر فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ؟ قال: من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان، فقلت: يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ قد عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه فقال: من الجوع، فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ أشبعناه، وإن جاء معه بأحد قلّ عنهم، فقال لي أبو طلحة: إذهب يا أنس فقم قريباً من رسول الله ﷺ، فإذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه، فقل أبي يدعوك. ففعلت ذلك، فلما قلت أن أبي يدعوك قال لأصحابه: يا هؤلاء تعالوا ثم أخذ بيدي فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى إذا دنونا من بيتنا أرسل يدي، فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء به، فقلت: يا ابتاه قد قلت لرسول الله ﷺ الذي قلت لي فدعا أصحابه فقد جاءك بهم، فخرج أبو طلحة إليهم فقال: يا رسول الله إنما أرسلت أنساً يدعوك وحدك ولم يكن عندي ما يشبع من أرى، فقال رسول الله ﷺ «ادخل فإن الله عز وجل سيبارك فيما عندك» فدخل رسول الله ﷺ. فقال: «اجمعوا ما عندكم ثم قربوه» وجلس من معه بالسكة فقربنا ما كان عندنا من كسر وتمر فجعلناه على حصيرنا فدعا فيه بالبركة فقال «يدخل عليه ثمانية» فأدخلت عليه ثمانية فجعل كف فوق الطعام فقال: «كلوا وسموا الله تعالى» فأكلوا من بين أصابعه حتى شبعوا، ثم أمرني ان أدخل عليه ثمانية، وقام الأولون ففعلت فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم أمرني فأدخلت عليه ثمانية فما زال كذلك حتى دخل عليه ثمانون رجلاً كلهم يأكل حتى يشبع، ثم دعاني ودعا أبي أبا طلحة فقال: «كلوا» فأكلنا حتى شبعنا ثم رفع يده فقال «يا أم سليم أين هذا من طعامك حين قدمتيه». قالت بأبي وأمي أنت لولا أني رأيتهم يأكلون لقلت ما نقص من طعامنا شيء. وسيأتي قريباً عند قوله: ومرة أكثر من ثمانين ما يشبه هذه القصة، وفيه أنه أدخلهم عشرة عشرة ودل ظاهر مغايرة المصنف بينهما على تعداد القصة، وهو الذي استظهره الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

(و) من معجزاته ﷺ أن أطعم **(يوم الخندق مرة ثمانين)** رجلاً. هكذا في سائر النسخ،

من أربعة أمداد شعير وعناق، وهو من أولاد المعز فوق العتود، ومرة أكثر من ثمانين

والصواب ثمانمائة كما يدل له سياق القصة الآتي ذكرها **(من أربعة أمداد شعيراً)** وهي صاع فإن المد بالضم رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع، لأن الصاع خمسة أرطال وثلث كما تقدم ذلك في كتاب الزكاة **(وعناق وهو)** أي العناق كسحاب الانثى **(من أولاد المعز)** قبل استكمالها الحول وهي **(فوق العتود)** والعتود من أولاد المعز ما أتى عليه الحول. قال العراقي: رواه الاسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث جابر وفيه انهم كانوا مائة أو ثلاثمائة، وهو عند البخاري دون ذكر العدد وفي رواية لأبي نعيم وهم ألف اهـ.

قلت: قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عمر ومحمد بن عبد الله الأديب، أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي، أخبرنا أبو يعلى، أخبرنا أبو خيثمة، أخبرنا وكيع، أخبرنا عبد الواحد بن أيمن ح.

قال الاسماعيلي: وأخبرني الحسن هو ابن سفيان، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا المحاربي هو عبد الرحمن بن محمد عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: قلت لجابر بن عبد الله، حدثني بحديث رسول الله ﷺ أرويه عنك فقال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر فيه، فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئاً ولا نقدر عليه فعرضت في الخندق كدية فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق فرشينا فعرضت عليها الماء، فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوب بحجر، فأخذ المعول والمسحاة ثم سمى ثلاثاً فعادت كثيباً أهيل، فلما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ائذن لي فأذن لي فجئت امرأتي فقلت: ثكلتك أمك إني قد رأيت برسول الله ﷺ شيئاً لا أصبر عليه فما عندك؟ قالت: عندي صاع من شعير وعناق فطحنا الشعير وذبحنا العناق وأصلحناها وجعلناها في البرُمة وعجنت الشعير، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فلبثت ساعة ثم استأذنته الثانية فأذن لي فجئت إلى رسول الله ﷺ فساررته فقلت: إن عندنا طعيماً لنا فإن رأيت ان تقوم معي أنت ورجل معك فعلت. فقال: وما هو وكم هو؟ قلت: صاع من شعير وعناق. قال: ارجع إلى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتي، ثم قال للناس: قوموا إلى بيت جابر قال: فاستحييت حياء لا يعلمه إلا الله، فقلت لامرأتي: ثكلتك أمك قد جاء رسول الله ﷺ وأصحابه أجمعون، فقالت: أكان رسول الله ﷺ سألك عن الطعام؟ فقلت: نعم. قالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندك فذهب عني بعض ما كنت أجد. قلت: لقد صدقت. فجاء رسول الله ﷺ فدخل ثم قال لأصحابه: لا تضاغطوا ثم تبرك على التنور وعلى البرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ اللحم من البرمة فنثرد ونغرف ونقرب إليهم. وقال رسول الله ﷺ: ليجلس على الصحفة ثلاثة وقيل سبعة أو ثمانية، فلما أكلوا كشفنا عن البرمة والتنور وجعلنا نأخذ من التنور الخبز واللحم من البرمة، وإذا هما قد عادا إلى أملأ مما كانا فنثرد ونغرف ونقرب إليهم، فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناهما أملأ ما كانا حتى شبع المسلمون منها. وبقيت طائفة من الطعام. فقال رسول الله ﷺ: إن الناس قد أصابتهم مخمصة فكلوا واطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم. قال: وأخبرني انهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة. ورواه البخاري في الصحيح عن خلاد بن يحيى، عن عبد

رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده، ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت

الواحد بن أيمن إلا أنه لم يذكر العدد في آخره، ويروى أنهم كانوا ثلاثمائة من غير شك.

قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس بن بكير، عن هشام بن سعد، عن أبي الزبير قال: أخبرني جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة رجل نحفر الخندق، فرأيت رسول الله ﷺ أخذ حجراً فجعله بين بطنه وإزاره يقيم بطنه من الجوع، فلما رأيت ذلك قلت: يا رسول الله ائذن لي فإن لي حاجة في أهلي فأتيت المرأة فقلت قد رأيت من رسول الله ﷺ أمراً غاظني فهل عندك من شيء؟ قالت: هذه العناق فاطبخها وهذا صاع من شعير فاطحنه فطحنته وذبحت العناق وقلت: اطبخي حتى آتي رسول الله ﷺ فاستتبعه فانطلقت إليه، فقالت: يا رسول الله إني قد ذبحت عناقاً وطحنت صاعاً من شعير فانطلق معي، فنادى رسول الله ﷺ في القوم ألا أجيبوا جابر بن عبد الله. قال: فرجعت على المرأة فقلت: قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ ومن معه، فقالت: بلغته وبينت له؟ فقلت: نعم. فقالت: ارجع إليه وبيّن له فأتيته فقلت: يا رسول الله إنما هي عناق وصاع من شعير. قال: فارجع ولا تحركن شيئاً من التنور ولا من القدر حتى آتيها واستعر صحافاً، فدخل رسول الله ﷺ فدعا الله عز وجل على القدر والتنور، ثم قال: اخرجي واثردي ثم اقعدهم عشرة فادخلهم فأكلوا وهم ثلاثمائة وأكلنا وأهدينا لجيراننا. فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك.

وأما ما رواه أبو نعيم في الدلائل وفيه انهم كانو ألفاً فقد تقدم من رواية حنظلة بن أبي سفيان عن جابر، ورواه البخاري ومسلم والبيهقي، ودل سياقهم على تعدد القصة ولذلك غاير بينهما المصنف فتأمل.

(و) من معجزاته ﷺ أنه أطعم **(مرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس)** بن مالك رضي الله عنه **(في يده)** قال العراقي. رواه مسلم من حديث أنس وفيه: حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً. وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلاً وهو متفق عليه بلفظ «والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً» اهـ.

قلت: لفظ الشيخين من حديث أنس قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء، فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ثم ارسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد أي الموضع الذي أعدّه للصلاة فيه في محاصرة الأحزاب يوم الخندق، ومعه الناس فسلمت عليه، فقال لي رسول الله ﷺ: أرسلك أبو طلحة؟ قلت: نعم. قال: لطعام. قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم،

بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم، ونبع الماء من بين أصابعه

فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة ثم لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً. وفي رواية لمسلم أنه قال: ائذن لعشرة فدخلوا، فقال: كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ وأهل البيت وتركوا سؤراً بالضم مهموزاً أي بقية. وفي رواية للبخاري أدخل عليّ عشرة حتى عدّ أربعين، ثم أكل النبي ﷺ فجعلت أنظر هل نقص منها شيء. وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس أنه لما انتهى إلى الباب قال لهم: اقعدوا ثم دخل، وفي رواية عمرو بن عبد الله عن أنس فقال أبو طلحة: إنما هو قرص فقال: إن الله سيبارك فيه، وفي رواية مبارك بن فضالة عن أنس فقال: هل من سمن؟ فقال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله ﷺ القرص فانتفخ وقال: بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسع، وفي رواية النضر بن أنس عن أبيه فجئت بها ففتح رباطها، ثم قال: بسم الله اللهم أعظم فيها البركة والحكمة في إدخالهم عشرة عشرة إن تلك القصعة لم تكن تسع أن يجلس عليها أكثر من ذلك. وفي قول المصنف أكثر من ثمانين إشارة إلى رواية مسلم المتقدمة، وهو أنهم لما فرغوا من الأكل وكانوا ثمانين أكل ﷺ وأهل البيت، والمراد بهم أم سليم وأبو طلحة وأنس، فهؤلاء أربعة ولا بد في البيت من صبيان وبنات ونسوة لم تذكر أسماؤهم فصح قول المصنف أنهم أكثر من ثمانين فتأمل.

(و) من معجزاته ﷺ أنه أطعم **(مرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر)** كذا في النسخ بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وفي بعضها بضم الموحدة وسكون المهملة وكلاهما غلط، والصواب بنت بشير كأمير **(في يديها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم)**. قال العراقي: رواه البيهقي في دلائل النبوّة من طريق ابن إسحاق، حدثنا سعيد بن يسار، عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد اهـ.

قلت: هكذا هو في كتاب العراقي: حدثنا سعيد بن يسار، والذي في الدلائل للبيهقي سعيد ابن ميناء وهو غير سعيد بن يسار فإن سعيد بن ميناء يكنى أبا الوليد، روى له الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسعيد بن يسار يكنى أبا الحباب روى له الجماعة.

قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس عن ابن إسحاق، حدثني سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعيد قالت: بعثتني أمي بتمر في طرف ثوبي إلى أبي وخالي وهم يحفرون الخندق، فمررت على رسول الله ﷺ فناداني فأتيته فأخذ التمر مني في كفيه وبسط ثوباً فنثره عليه فتساقط في جوانبه، ثم أمر بأهل

....

الخندق فاجتمعوا وأكلوا حتى صدروا عنه اهـ. كذا في نسخة الدلائل بشير بن سعيد وعليها سماع العراقي على المحب الخلاطي، والذي يظهر بشير بن سعد كما ذكره العراقي وهو بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة صحابية. وهذه المعجزات الخمس التي ذكرها المصنف بعد انشقاق القمر تتعلق بتكثير الطعام القليل ببركته ودعائه.

ومن هذا الباب أيضاً ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة. فقال: نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤه. قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة الحديث.

ومن ذلك ما روى البخاري ومسلم من حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ عروساً بزينب فعمدت أي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيساً فجعلته في تور، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل: بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام. فقال رسول الله ﷺ: ضعه، ثم قال: اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً رجالاً سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمي ومن لقيت، فرجعت، فإذا البيت غاص بأهله. قيل لأنس: كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، فرأيت النبي ﷺ وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم: اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه. قال: فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة حتى أكلوا كلهم. قال لي: يا أنس ارفع فرفعته فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت.

ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر قال: ان أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء، فتعمد إلى التي كانت تهدي فيها للنبي ﷺ فتجد فيها سمناً فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي ﷺ. قال: أعصرتيها؟ قالت: نعم. قال: لو تركتيها ما زال قائماً.

ومن ذلك ما رواه مسلم عنه أيضاً أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتي النبي ﷺ فأخبره فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم. قال النووي في شرح مسلم: والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة وإعدام بركة الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن الأخذ بالحول والقوّة وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفصله فعوقب فاعله بزواله.

ومن ذلك ما أخرج الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي من حديث سمرة بن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل ويقوم عشرة ويقعد عشرة. قلنا: فما كانت

عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش، وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن

تمد؟ قال: من أي شيء تعجب ما كانت تمد إلا من ههنا، وأشار بيده إلى السماء. ورواه أيضاً الحاكم وصححه وأبو نعم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، وأنه عجن صاع وصنعت شاة فشوى سواد بطنها. قال: وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزَّ له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل من القصعتين فحملته على البعير.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني، وأبو نعيم في الدلائل من حديث أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ ان أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم، فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب الشفاء من حديث علي بن أبي طالب قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا منه وبقي كأنه لم يشرب منه.

(و) من معجزاته ﷺ أن **(نبع الماء)** الطهور **(من بين أصابعه)** وهو أشرف المياه. قال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ حيث نبع من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه. وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم اهـ.

(فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش) روى ابن شاهين من حديث أنس قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال المسلمون: يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال: هل من فضلة ماء؟ فجاء رجل في شن بشيء فقال: هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء. قال: فرأيتها تخلل عيوناً بين أصابعه. قال: فسقينا إبلنا ودوابنا وتزوّدنا. فقال: اكتفيتم؟ فقالوا: نعم اكتفينا يا رسول الله، فرفع يده فارتفع الماء.

وروى أحمد من حديث جابر قال: اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيئاً من الماء ووضع رسول الله ﷺ فيه يده، وقال: استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه.

ورواه البيهقي في الدلائل بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصابنا عطش فجهشنا إلى

أن تبسط عليه السلام يده فيه، وأهرق عليه الصلاة والسلام وضوءه في عين تبوك ولا

رسول الله ﷺ قال: فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون. قال: خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا. قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: ألفاً وخمسمائة. وأخرجه ابن شاهين أيضاً وفيه: فأصابنا عطش بالحديبية الحديث.

وأخرج البخاري من حديث علقمة عن ابن مسعود: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ: اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه.

(وتوضأ في قدح صغير ضاق أن يبسط ﷺ يده فيه) قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط، ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى فناء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير وفيه، ثم قال: هلم إلى الشرب. قال أنس: بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه، ولم يرد القدح حتى رووا منه وإسناده جيد، وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال: ائتوني بماء فأتوه بإناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء يفور من بين أصابعه وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: حديث أنس في الصحيحين قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم. وفي لفظ للبخاري: كانوا ثمانين رجلاً وفي لفظ له: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم. قال: فقلنا لأنس كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة.

وفي الصحيحين من حديث جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال: مالكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشربه إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا فقلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة.

وأخرج البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بلفظ: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضله، فجعل في إناء فأتى به رسول الله ﷺ قال: فأدخل يده فيه وفرج أصابعه وقال: حي هلا أهل الوضوء والبركة من الله قال: فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه. قال: فتوضأ الناس وشربوا. قال: فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه وعلمت أنه بركة. قال قلت لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفاً وأربعمائة. ورواه البخاري عن قتيبة بن سعيد عن جرير.

وأخرج أحمد والبيهقي من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ ونحن يومئذ بضع عشرة مائة، فحضرت الصلاة فقال هل في القوم من طهور؟

ماء فيها، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء؛ فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك

فجاء رجل يسعى بأداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره، فصبه رسول الله ﷺ في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح. قال: فركب الناس ذلك القدح وقالوا: تمسحوا تمسحوا فلما سمعهم يقولون ذلك. قال: على رسلكم؟ قال: فوضع كفه في الماء والقدح وقال: سبحان الله! ثم قال: أسبغوا الوضوء فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ ولم يرفعها حتى توضأوا أجمعون.

وقال الإسماعيلي في الصحيح: أخبرنا أبو يعلى، ثنا أبو الربيع، ثنا حماد بن زيد، ثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ دعا بماء فأتي بقدح رحراح، فجعل القوم يتوضأون فحزرت ما بين السبعين إلى الثمانين. قال: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه. ورواه مسلم عن أبي الربيع.

ولفظ البخاري عن مسدد عن حماد عن ثابت دعا بإناء من ماء فأتى بقدح رحراح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه. قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه قال: فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين إلى الثمانين.

وأما حديث أنس الذي ذكره العراقي من عند أبي نعيم، فقد أخره أيضاً البيهقي في الدلائل من طريق إسماعيل بن أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيدالله بن عمر عن ثابت عن أنس قال: خرج النبي ﷺ إلى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير قال: فأدخل النبي ﷺ يده فلم يسعه القدح فأدخل أصابعه الأربع ولم يستطع أن يدخل إبهامه ثم قال إلى القوم: هلموا إلى الشراب الحديث.

اعلم أن ظاهر هذه الروايات دل على أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة لي رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه ﷺ في الإناء، فيراه الرائي نابعاً من بين يديه، وظاهر كلام القرطبي أنه ينبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع، وبه صرح النووي في شرح مسلم وهو الصحيح، وكلاهما معجزة له ﷺ، وإنما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملامسة ماء ولا وضع إناء تأدباً مع الله تعالى إذ هو المنفرد بابداع المعدومات وإيجادها من غير أصل والله أعلم.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (أهـرق) بفتح الهمزة والهاء أصله اراق (وضوءه) بالفتح هو الماء الذي يتوضأ به (**في عين تبوك**) وهو موضع بالشام (**ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك، ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية، وفيه فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت الحديث.

وللبخاري من حديث البراء أنه توضأ وصبه فيها. وفي الحديثين معاً أنهم كانوا أربع عشرة مائة

....

وكذلك عندهما من حديث جابر، ولهما من حديثه أيضاً ألف وخمسمائة، ولمسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة اهـ.

قلت: لفظ حديث معاذ عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال لهم: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء ماء فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن ثم غسل ﷺ به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال: يا معاذ يوشك أن طالت بك حياة ان ترى ماءها قد ملأ جنانا وعمراناً. ورواه عياض في الشفاء بنحوه من طريق مالك في الموطأ وزاد فقال: قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ماء له حس كحس الصواعق.

وأما قصة الحديبية فرواها البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

وحديث سلمة بن الأكوع أخرجه مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أياس بن سلمة بن الأكوع قال: أخبرني أبي قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية، ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة ما ترويها. قال: فقعد رسول الله ﷺ على جانبها فإما دعا وإما بزق فجاشت فسقينا واستقينا.

وحديث البراء رواه البخاري من طريق عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فما ترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركها غير بعيد، ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا. وأخرجه أيضاً من حديث زهير بن معاوية عن أبي إسحاق وفي لفظ له فدعي بدلو فنزع منها ثم أخذ منه بفيه فمجّه فيها ودعا الله فكثر ماؤها حتى صدرنا وركائبنا ونحن أربع عشرة مائة.

وفي مغازي أبي الأسود من رواية ابن لهيعة ودعـا بدلو من ماء فتوضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهماً من كنانته، فألقاه في البئر ودعا الله تبارك وتعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس مع شفتها. وكذا روى الواقدي من طريق أوس بن خولي وهذه القصة غير القصة التي سبقت في ذكر نبع الماء من بين أصابعه ﷺ مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر، وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع في وقعتين. قال بعضهم في تقرير هذا القول حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة

ماء، وأمر عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزوّد أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير ـ وهو موضع بروكه ـ فزودهم كلهم منه وبقي منه بحسبه، ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى:

الوضوء وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك، ويحتمل أن يكون الماء لما تفجّر من أصابعه ويده في الركوةوتوضأوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها، والله أعلم.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أمر عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه (**أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه**) وهيئته (**كربضة البعير وهو**) بفتح الراء وسكون الموحدة والضاد المعجمة (**موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث ركين بن سعيد بإسنادين صحيحين، وأصل حديث ركين عند أبي داود من غير بيان لعددهم اهـ.

قلت: النعمان وركين مزنيان. وأخرج أحمد من طريق سالم بن الجعد عن النعمان بن مقرن قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعة من مزينة، ورجاله ثقات، لكنه منقطع فإن النعمان استشهد في خلافة عمر فلم يدركه سالم. وقال الحافظ في الإصابة: ركين بن سعيد له حديث واحد تفرد أبو إسحاق السبيعي بروايته عنه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وأبو داود، والدارقطني في الإلزامات.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**رمى الجيش بقبضة من تراب**) الأرض وقال: شاهت الوجوه أي قبحت (**فعميت عيونهم**) وذلك يوم بدر لما التقى الجمعان فلم يبق مشرك، وكانوا ألفاً أو إلاَّ خمسين إلا ودخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا من ذلك على الأصح وأنه ﷺ فعل نظيره في يوم حنين،وهو الذي أراد المصنف هنا، وقد أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ولفظه: بقبضة من تراب الأرض كما هو عند المصنف، وعند غيره انه ﷺ تناول حصيات من الأرض، ثم قال: شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين والجمع بينهما أنه يحتمل أنه رمى بذامرة وبالآخر أخرى، أو انه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب.

وروى أحمد وأبو داود والدارمي من حديث أبي عبد الرحمن الفهري أنه ﷺ اقتحم عن فرسه فأخذ كفا من تراب قال: فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب وجوههم وقال: شاهت الوجه فهزمهم الله تعالى، قال يعلى بن حطان: راويه عن أبي همام، عن أبي عبد الرحمن الفهري، فحدثني أبناؤهم وهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً. وروى أحمد والحاكم من حديث ابن مسعود، فحادت به بغلته ﷺ فمال السرج، فقلت: ارتفع رفعك الله فقال: ناولني كفاً من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم تراباً.

﴿ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال :١٧] وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت وكانت ظاهرة موجودة ،وحنّ الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن ، ودعا اليهود إلى تمني الموت

(ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾) رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وقد ضلت جماعة في فهم هذه الآية حيث جعلوها أصلاً في أبطال نسبة الأفعال إلى العباد ولم يبالوا بما يلزم على ذلك من أن يقال: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى، والمراد أن تلك الرمية لما لم تبلغ ذلك المبلغ عادة بين الله تعالى أن من نبيه المبدأ ومنه تعالى الغاية وهو لإيصال.

(و) من معجزاته ﷺ **(أبطل الله الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت، وكانت)** قبل **(ظاهرة موجودة)** قال العراقي: رواه الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الأوسي قال: حضرت النبي ﷺ وذكرت عند الكهانة وما كان من تغيرها عند مخرجه الحديث.

ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه من أوليائهم، فلما بعث سيدنا محمد ﷺ زجروا بالنجوم، وأصله عند البخاري بهذا السياق اهـ.

قلت: مرداس بن قيس هذا ذكره أبو موسى في الذيل، والحديث الذي ذكره الخرائطي فإنه أخرجه في كتاب الهواتف له من طريق عيسى بن يزيد بن صالح بن كيسان عمن حدثه عن مرداس ابن قيس قال: حضرت النبي ﷺ وذكره إلى قوله عند مخرجه، ثم قال، فقلت يا رسول الله عندنا شيء من ذلك أخبرك به فذكر قصة طويلة فيها أن كاهنهم كان يصبب كثيراً ثم أخطأ مرة بعد مرة ثم قال: يا معشر دوس حرست السماء وخرج الأنبياء وأنه مات عقب ذلك. قال الحافظ في الإصابة: وعيسى أظنه ابن داب وهو كذاب، وفي السند أيضاً عبد الله بن محمد البلوي كذاب.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن الزهري قال: إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم وانقطعت الكهنة فلا كهانة. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ [الجن: ٩] قال: حرستها به السماء حين بعث النبي ﷺ لكيلا يسترق السمع، فأنكرت الجن ذلك، فكان كل من استمع منهم قذف. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: كانت الجن قبل أن يبعث النبي ﷺ يستمعون من السماء، فلما بعث حرست فلم يستطيعوا أن يستمعوا.

(و) من معجزاته ﷺ أن **(حنّ الجذع)** بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ساق النخلة **(الذي كان يخطب إليه)** أي مستنداً إليه في حال خطبته **(لما عمل له ﷺ المنبر)** وحنينه شوقه وانعطافه الدال عليهما صوته المسموع **(حتى سمع منه جميع أصحابه)** الحاضرين إذ ذاك **(مثل صوت الإبل فضمه إليه)** بعد نزوله من المنبر **(فسكن)**. قال التاج السبكي: وحنينه

....

متواتر لأنه ورد عن جماعة من الصحابة إلى نحو العشرين من طرق صحيحة كثيرة تفيد القطع بوقوعه وبينها، ثم قال: ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين، وتبعه بعض الحفاظ قال: فقد نقل هو وانشقاق القمر نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم، وجرى في الشفاء أنه متواتر. قال البيهقي قصة حنينه من الأمور الظاهرة التي نقلها الخلف عن السلف، وعن الشافعي رضي الله عنه أن حنينه أعظم في المعجزات من إحياء الموتى. قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عمر وجابر اهـ.

أما حديث جابر فرواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس، حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد، أخبرني حفص عن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول: كان المسجد في زمن رسول الله ﷺ مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعت لذلك صوتاً كصوت العشار حتى جاءه النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات فقال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، حدثني سليمان ابن بلال فذكره. وقال ابن سعد أيضاً أخبرنا يعقوب بن أبي إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب: حدثني من سمع جابر بن عبد الله يقول إن رسول الله ﷺ كان يقوم إلى جذع نخلة منصوب في المسجد حتى إذا بدا له أن يتخذ المنبر. شاور ذوي الرأي من المسلمين فرأوا أن يتخذه فاتخذه رسول الله ﷺ، فلما كان يوم الجمعة أقبل رسول الله ﷺ حتى جلس على المنبر، فلما فقده الجذع حن حنيناً أفزع الناس، فقام رسول الله ﷺ عن مجلسه حتى انتهى إليه فقام إليه ومسه، فهدأ فلم يسمع له حنين بعد ذلك اليوم.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا العلاء بن سلمة البصري، حدثنا شيبة أبو قلابة عن سعيد الجريري، عن أبي بصرة، عن جابر أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة فقيل: يا رسول الله أنه قد كثر الناس وتأتيك الوفود من الآفاق فلو أمرت بصنعة شيء تشخص عليه الحديث، وفيه فلما صنعه صعده رسول الله ﷺ فحن جذع النخلة التي كان يقوم عليها حنين الناقة فسمع أهل المسجد صوتها شوقاً إلى رسول الله ﷺ، فنزل فالتزمها. وقال: والذي نفسي بيده لو تركتها لحنت إلى يوم القيامة.

قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه عرف العنبر في وصف المنبر بعد أن أخرجه من كتاب اليتيمة للحافظ أبي موسى المديني من طريق الطبراني المتقدم ما نصه: كذا في هذه الرواية عن أبي بصرة عن جابر، والأشبه عن أبي بصرة عن أبي سعيد قال عبد بن حميد في مسنده: أخبرنا علي ابن عاصم عن الجريري عن أبي بصرة العبدي، حدثني أبو سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة، وذكر الحديث بطوله.

....

وقد روي عن جابر أيضاً من غير هذا الوجه. قال أبو بكر بن المقري في فوائده: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا مسروق بن المرزبان، حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبيه عن أبي إسحاق عن سعيد يعني ابن أبي كريب عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يقوم إلى خشبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال: إن شئت فعلت لك شيئاً إذا قعدت عليه كنت كأنك قائم. قال: نعم قال: فجعل له المنبر، فلما جلس عليه حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليها، فلما أن كان من الغد رأيت قد حولت، فقلت: ما هذا ؟ قال: جاء النبي ﷺ وأبو بكر وعمر فحولوها. تفرد به يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه قاله أبو القاسم الحافظ.

وأما حديث ابن عمر فقد أخرج له البخاري معلقاً من طريق أبي حفص عمر بن العلاء سمعت نافعاً يحدث عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه قال: وقال عبد الحميد: أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا ورواه أبو عاصم عن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ هكذا علقه، وقد وصله غيره من طريق سعد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، ثنا ابن أبي رواد، حدثني نافع عن عبد الله بن عمر أن تميماً الداري رضي الله عنه. قال لرسول الله ﷺ لما أسن وثقل: ألا أتخذ لك منبراً يحمل، أو قال يجمع عظامك أو كلمة تشبهها فاتخذ له مرقاتين أو ثلاثة يجلس عليها. قال: فصعد النبي ﷺ فحن جذع كان في المسجد كان النبي ﷺ إذا خطب يستند إليه فنزل رسول الله ﷺ فاحتضنه وقال شيئاً لا أدري ما هو، ثم صعد المنبر وكان أساطين المسجد جذوعاً وسقائفه جريداً أخرجه أبو داود في سننه عن الحسن بن علي، ثنا أبو عاصم فذكره مختصراً إلى قوله: « مرقاتين » دون ما بعده.

وحديث عثمان بن عمر رواه أبو القاسم البغوي، عن الحسن بن محمد وأحمد بن منصور كلاهما عن عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة، فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه فالتزمه تابعهم عمرو بن علي الفلاس وسليم بن خلاد، عن عثمان بن عمر بن فارس، وتابعه يحيى بن محمد بن السكن، وبدل بن المجن عن معاذ بن العلاء.

وقال أحمد في مسنده: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا خلف يعني ابن خليفة عن أبي خباب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: « كان جذع نخلة في المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم الجمعة أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس فقالوا: ألا نجعل لك يا رسول الله شيئاً كقدر قيامك ؟ قال: لا عليكم الا تفعلوا فصنعوا له منبراً ثلاث مراق. قال: فجلس عليه. قال: فخار الجذع كما تخور البقرة جزعاً على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سكن » أبو خباب يحيى بن أبي حية الكوفي ضعفه القطان وأحمد وابن معين توفي سنة ١٥٦ وأبوه اسمه حية تابعي كوفي محله الصدق فيما قاله أبو حاتم الرازي، وقد روى حديث حنين الجذع آخرون منهم سهل بن سعد، وأبي

....

ابن كعب، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وعائشة، وأبو هريرة، وابن عباس، وبريرة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم.

أما حديث سهل بن سعد فأخرجه محمد بن سعد في الطبقات قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي أويس المدني، حدثني سليمان بن بلال عن سعد بن سعيد بن قيس عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فرضتين. قال: أراها من دوم كانت في مصلاه، وكان يتكىء إليها، وساق الحديث في عمل المنبر، ثم قال: فقام عليه النبي ﷺ فحنت الخشبة، فقال النبي ﷺ: «ألا تعجبون لحنين هذه الخشبة» فأقبل الناس وفرقوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم، فنزل النبي ﷺ حتى أتاها فوضع يده عليها فسكنت فأمر النبي ﷺ بها فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف. ورواه أبو إسماعيل الترمذي عن أبي بشر سليمان بن بلال، حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال فذكره. ورواه أبو إسماعيل الترمذي أيضاً عن يحيي بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية أنه سمع عباس بن سهل بن سعد الساعدي يحدث عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إذا خطب على خشبة ذات فرضتين كانت في المسجد، فلما زاد الناس فذكر الحديث في عمل المنبر وفيه فما هو إلا أن قعد عليه رسول الله ﷺ فتكلم ففقدته الخشبة فخارت كما يخور الثور لها حنين. قال: فجعل العباس بن سهل يمد يديه كنحو ما رأى أباه يمد يديه يحكي حنين الخشبة حتى تفزع الناس وكثر البكاء مما رأوها، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله ألا ترون هذه الخشبة انزعوها واجعلوها تحت المنبر».

وأما حديث أبي بن كعب فأخرجه أبو القاسم البغوي عن عيسى بن سالم ثنا عبدالله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن أبي بن كعب، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع وكان المسجد عريشاً وكان يخطب إلى ذلك الجذع فقال رجال من أصحابه: يا رسول الله نجعل لك شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ويسمع الناس خطبتك؟ فقال: نعم. فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم فأصغى عليه الجذع فقال له: اسكن ثم التفت فقال: إن تشأ أغرسك في الجنة فيأكل منك الصالحون، وإن تشأ أن نعيدك رطباً كما كنت فاختار الآخرة على الدنيا. فلما قبض النبي ﷺ دفع إلى أبي حتى أكلته الأرضة. تابعه عبد الله بن أحمد بن حنبل فقال في زوائد المسند: حدثني عيسى بن سالم أبو سعيد الشاشي في سنة ٢٥١ فذكره بطوله.

ورواه محمد بن سعد في الطبقات فقال: أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن ابن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه فذكره بنحوه وفيه: فأراد رسول الله ﷺ أن يقوم على المنبر فمر إليه فخار الجذع حتى تصدع وانشق، فنزل رسول الله ﷺ فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر وكان إذا صلى إلى ذلك الجذع، فلما هدم وغير أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان عنده في داره حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رفاتاً. وأخرج ابن ماجه بنحوه عن

....

إسماعيل بن عبد الله الرقي عن عبيد الله بن عمرو ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن سعيد ابن أبي الربيع السمان، عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام عن ابن عقيل فذكره بطوله.

وأما حديث أنس بن مالك، فأخرجه أحمد في مسند فقال: ثنا هاشم أنا المبارك عن الحسن عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة فلما كثر الناس قال: ابنوا منبراً فبنوا له فتحول من الخشبة إلى المنبر قال: فأخبرني أنس أنه سمع الخشبة تحنّ حنين الواله. قال: فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكنت. وأخرجه عن شيبان بن فروخ عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس فذكره مثله، وفي آخره: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول ﷺ شوقاً لمكانه من لقيه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. تابعهما عبد الله بن المبارك عن المبارك بن فضالة بطوله ورواه أبو يعلى الموصلي عن شيبان بن فروخ، حدثنا همام، عن قتادة، عن الحسن عن أنس بنحوه وفيه: فصعد النبي ﷺ المنبر حنت الجذعة حنين الناقة إلى ولدها حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر واحتضنها فسكن حنينها، فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث قال: ابن آدم هذه جذعة تحنّ شوقاً إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق بالبكاء إليه. تابعه أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي عن شيبان بن فروخ.

ومن طريق حديث أنس ما قال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا محمد بن يسار، ثنّا عمر بن يونس، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا إسحاق بن أبي طلحة، ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب، فجاء رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد وكأنك قائم فصنع له منبراً له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ خار الجذع خوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره حزناً على رسول الله ﷺ، ونزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكت ثم قال: والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه ما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله ﷺ فأمر به رسول الله ﷺ فدفن، يعني الجذع. أخرجه الترمذي عن محمود بن غيلان عن عمر بن يونس به.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وتقدم في أثناء سياق حديث جابر.

وأما حديث عائشة فأخرجه الطبراني بإسناد ضعيف أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع فمر رومي فقال: لو دعاني محمد لجعلت له ما هو أرفق من هذا، فدعاه رسول الله ﷺ فجعل له المنبر أربع مراق الحديث. وأخرجه البيهقي كذلك وفي آخره: أنه خير الجذع بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه محمد بن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر الواقدي، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان

وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه ، وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة ـ جهراً ـ تعظيماً للآية التي فيها .

وأخبر عليه السلام بالغيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة ، وبأن عماراً

رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب إلى جذع في المسجد قائماً فقال : إن القيام قد شق عليَّ فقال له تميم الداري : ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام فساق الحديث . وفيه : فجاء رسول الله ﷺ فقام عليه ، وقال : منبري هذا على ترعة من ترع الجنة وذكر بقية الحديث .

وأما حديث بريرة فأخرجه الدارمي ، وفيه : أن النبي ﷺ قال له : إن شئت أن أردك إلى الحائط الذي كنت فيه فذكر الحديث ، وفيه فاصغى له النبي ﷺ يسمع ما يقول ، فقال : بل تغرسني في الجنة الحديث .

وأما حديث أم سلمة فأخرجه أبو نعيم في الدلائل . واعلم أن القصة واحدة فما وقع في ألفاظها فما ظاهره التغاير إنما هو من الرواة وعند التحقيق والتأمل يرجع لمعنى واحد ، والله أعلم .

(و) من معجزاته ﷺ أن **(دعا طائفة اليهود إلى تمني الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه)** قال العراقي : رواه البخاري من حديث ابن عباس : « لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا » الحديث وللبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس : « لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا » الحديث وإسناده ضعيف .

(وهذا مذكور في سورة) من سور القرآن وهي سورة الجمعة وهو قوله تعالى : ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [الجمعة : ٧] **(يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهراً)** على ملأ من الناس **(تعظيماً للآية التي فيها)** وهي المذكورة آنفاً . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [الجمعة : ٧] قال إن سوء العمل يكره الموت شديداً . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : عرفوا أن محمداً نبي الله وقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه .

(و) من معجزاته أنه **(أخبر ﷺ بالغيوب)** جمع غيب وهو كل ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به العقل فيحصل به العلم ، (و) جملة ذلك **(أنذر أن عثمان)** بن عفان **(رضي الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة)** قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري اهـ .

قلت : أخرجاه من طريق أبي عثمان النهدي عن أبي موسى قال : كنت مع رسول الله ﷺ في حائط من تلك الحوائط إذ جاء رجل فاستفتح الباب فقال : افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فإذا هو عثمان فأخبرته ، فقال : والله المستعان .

تقتله الفئة الباغية ، وإن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين ، وأخبر عليه

ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن معمر أن رسول الله ﷺ كان في حش من حشان المدينة فاستأذن رجل خفيض الصوت فقال رسول الله ﷺ : « أئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » فأذنت له وبشرته فإذا هو عثمان فقرب يحمد الله حتى جلس وروي أيضاً من طريق قتادة عن أبي الحجاج عن أبي موسى قال : جاء رجل فاستأذن مرة فقال : « أئذن له وبشره بالجنة في بلوى » فقال عثمان : أسأل الله صبراً .

(و) من جملة ذلك أنذر (**بأن عماراً**) هو ابن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي يكن أبا اليقظان وأمه سمية بنت خياط ، وكانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي ، وكان أبو ياسر قدم من اليمن إلى مكة ، فحالف أبا حذيفة وزوجه مولاته سمية فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة ، وكان سلمة بن الأزرق أخاه لأمه أسلم بمكة قديماً هو وأبوه وكانوا ممن يعذب في الله فمر بهم النبي ﷺ وهم يعذبون ، فقال : « صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة » . (**تقتله الفئة الباغية**) قال القاضي في شرح المصابيح يريد به معاوية وقومه اهـ .

وأما قول بعضهم المراد أهل مكة الذين عذبوه أول الإسلام فقد تعقبوه بالرد . قال القرطبي : وهذا الحديث من أثبت الأحاديث ولما لم يقدر معاوية على إنكاره قال : إنما قتله من أخرجه ، فأجابه علي بأن رسول الله ﷺ إذاً قتل حمزة حين أخرجه . قال ابن دحية : وهذا إلزام مفحم لاجواب عنه وحجة لا اعتراض عليها . وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب الإمامة أجمع فقهاء الحجاز والعراق وأهل الحديث والرأي والمتكلمون وسائر أهل العلم أن علياً رضي الله عنه مصيب في قتاله لأهل صفين وأهل الجمل ، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكنهم لا يكفرون . وبمثل هذا قال الإمام أبو منصور الماتريـدي في كتاب الفرق . قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي قتادة وأم سلمة والبخاري من حديث أبي سعيد اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد وابن حبان في الصحيح ، ولفظهم : كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقوله : « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال السيوطي في الخصائص : هذا متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر ، ويروى : « ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية » رواه هكذا أبو يعلى والبزار والحاكم عن حذيفة وابن مسعود معاً . ورواه أبو يعلى أيضاً من حديث أبي هريرة ، ورواه ابن عساكر من حديث أم سلمة ، ورواه الخطيب من حديث عمرو بن العاص ، ويروى : « عمار تقتله الفئة الباغية » رواه هكذا أبو نعيم في الحلية والخطيب من حديث أبي قتادة ، ورواه الطبراني أيضاً لكن بزيادة الناكبة عن الحق ، ويروى من حديث أبي أيوب : « تقتل عماراً الفئة الباغية » . وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : شهد خزيمة الجمل وهو لا يسل سيفاً وشهد صفين وقال : أنا لا أضل أبداً حتى يقتل عمار فانظر من يقتل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقتله الفئة الباغية » قال : فلما قتل عمار قال خزيمة : قد بانت لي الضلالة ، ثم اقترب فقاتل حتى

الصلاة والسلام عن رجل قاتل في سبيل الله انه من أهل النار، فظهر ذلك بأن ذلك

قتل وكان الذي قتل عماراً أبا خاوية المزني طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل في محفة فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة ودفن هنالك.

تنبيه:

وجد بخط الحافظ ابن رجب الحنبلي ما نصه: ليس في أكثر نسخ البخاري من حديث أبي سعيد: «تقتله الفئة الباغية». وإنما وجد في بعض النسخ، ووجد بخط الحافظ ابن حجر تحته قلت: وليس هو في روايتنا. والله أعلم.

(و) من جلة ذلك أنه ﷺ أخبر **(أن)** ابنه **(الحسن)** أبا محمد عليه السلام **(يصلح الله به)** أي بسبب عزله لنفسه عن الخلافة **(بين فئتين عظيمتين من المسلمين)** وكان كذلك فإنه رضي الله عنه لما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة أشهر تكملة للثلاثين سنة التي أخبر النبي ﷺ أنها مدة الخلافة بعده يكون ملكاً عضوضاً، ثم سار إلى معاوية بأربعين ألفاً بايعوه على الموت فلما تراءى الجمعان على أنه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر، فنزل له عن الخلافة لا لقلة ولا لذلة بل رحمة للأمة، واشترط على معاوية شروطاً التزمها. وقال ابن بطال وغيره: ولم يوف له بشيء منها وصار معاوية من يومئذ خليفة، ولما خيف من طول عمر الحسن أرسل يزيد إلى زوجته جعدة إن هي سمته تزوجها ففعلت فأرسلت تستخبر فقال: إنا لم نرضك له فنرضاك لنا وفيه منقبة للحسن رضي الله عنه ورد على الخوارج الزاعمين كفر علي وشيعته ومعاوية ومن معه لقوله من المسلمين. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي بكر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني كلهم من حديث الحسن عن أبي بكرة، وفي سماع الحسن منه اختلاف، والأصح أنه سمع ولفظهم جميعاً: «أن ابني هذا سيد» وفي رواية: «لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين».

(و) من ذلك أنه ﷺ **(أخبر عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن قتل ذلك الرجل نفسه)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد اهـ.

قلت: أمّا حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب بن أبي حمزة عن ابن المسيب عن الزهري عن أبي هريرة. وأخرجه البيهقي في الدلائل من طريق عثمان بن سعيد، وعلي ابن محمد بن عيسى واللفظ لهما كلاهما عن أبي اليمان ولفظهما. قال أبو هريرة: شهدنا عشاء مع رسول الله ﷺ خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي بالإسلام: «إن هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثر به الجراح فأثبتته فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت الذي ذكرت أنه من أهل النار قد والله قاتل في سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه من أهل النار» فكان بعض الناس ارتاب، فبينا هو كذلك وجد الرجل ألم الجراح هوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهماً فانتحر

الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء الهية لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر، لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه.

بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» قال البخاري تابعه معمر عن الزهري. قال البيهقي: ومن ذلك الوجه وقال يونس عن الزهري حنين وفي آخر هذا الحديث كالدلالة على أن الرجل استحل قتل نفسه أو علم رسول الله ﷺ منه نفاقاً.

وأما حديث سهل بن سعد: فرواه البخاري عن عبد الله بن مسلمة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد، وأخرجه هو ومسلم من طريق يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم، وأخرجه الإسماعيلي في الصحيح، وفي طريقه البيهقي في الدلائل عن الحسن بن سفيان والقاسم قالا: حدثنا محمد بن الصباح واللفظ له قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ولفظه: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه فقيل: يا رسول الله ما أجزى أحد اليوم ما أجزى فلان. فقال: «أما أنه من أهل النار» فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحال أبداً فاتبعه كلما أسرع أسرع، وإذا أبطأ أبطأ معه حتى جرح فاشتدت جراحته واستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك لرسول الله. قال: «وما ذاك» فأخبره بالذي كان من أمره، فقال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار، وإنه يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة».

قلت: واختلف في اسم هذا الرجل فقيل: هو قزمان بن الحرث حليف بني مظفر، قال ابن قتيبة في المعارف: هو الذي قتل نفسه وكان منافقاً وفيه قال النبي ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» وقال غيره: إن هذا الرجل قتل نفسه يوم أحد، وقيل أنه صرح بالكفر. وذكر ابن إسحاق والواقدي قصته أنه كان شجاعاً معروفاً في حروبهم وأنه لما أصابته الجراح قيل له: هنيئاً لك يا أبا الغيداق بالجنة. قال: والله ما قتلنا إلا على الاحساب وأنه قتل نفسه وبمجموع ما ذكرنا يظهر أن القصة تعددت، والله أعلم.

(وهذه كلها أشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكتف ولا بخط ولا بزجر) كما كانت أهل الجاهلية تفعله، فكان بعضهم ينظر في النجوم وما في أحكامها من التسديس والتثليث والتربيع والمقابلة، ومنهم من ينظر في الكتف فيخبر عن حوادث كونية، ومنهم من يخط على الرمل خطوطاً فيخبر به عن غائب، ومنهم من يزجر الطيور والسوانح والبوارح فيخبر بها عن أمور ستقع، وكل ذلك حرمها الشارع وأبطل الاشتغال بها. **(لكن بإعلام الله تعالى له)** وتعريفه إياه **(ووحيه إليه)**.

واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض، وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس، وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى، فكان كذلك. وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله، وخرج على

(و) من معجزاته ﷺ أنه (اتبعه) حال مهاجرته إلى المدينة (سراقة) بن مالك (بن جعشم) بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي، وقد ينسب إلى جده كما عند المصنف يكني أبا سفيان كان ينزل قديداً، (فساخت) أي غارت (فرسه في الأرض واتبعه دخان) أي غبار من الأرض أي مع يبوسة الأرض ولا تسوخ قوائم الفرس في العادة إلا إذا كانت الأرض ندية (حتى استغاثه) وأنه لا يدل عليه، (فدعا له فانطلقت الفرس) وكتب له أمانا وأسلم يوم الفتح. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق اهـ.

قلت وروى البخاري هذه القصة من طريق البراء بن عازب عن أبي بكر الصديق، وفي هذه القصة يقول سراقة مخاطباً لابي جهل:

أباحكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(وأنذره) ﷺ (بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان ذلك) رواه ابن عيينة عن إسرائيل أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى» قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه، وكان رجلاً أذب كثير شعر الساعدين فقال له: «أرفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي» روى ذلك عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، وروى عنه أيضاً ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب وطاوس قال ابن عمر: مات سراقة في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (أخبر بمقتل الأسود العنسي) بفتح العين المهملة وسكون النون أي قبيلة من اليمن (الكذاب) لكونه كان ادعى النبوة باليمن، وكان قد أهمه ﷺ أمره (ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله) قال العراقي: هو مذكور في السير، والذي قتله هو فيروز الديلمي، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي، فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث اهـ.

قلت: أخرج سيف في الفتوح من طريق ابن عمر أن النبي ﷺ بشرهم بموت الأسود العنسي قبل أن يموت. وقال لهم قتله فيروز الديلمي، وفيروز هذا وفد على رسول الله ﷺ، وروي عنه أحاديث، ثم رجع إلى اليمن وأعان على قتل الأسود. وأخرج الجوزجاني من طريق حمزة عن يحي

مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه، وشكا إليه البعير بحضرة

ابن أبي عمر والشيباني عن أبيه عن عبد الله بن الديلمي عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ برأس الأسود العنسي الكذاب.

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه)** قال العراقي: رواه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة، وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلاً اهـ.

قلت: ولفظ السيرة: ثم أجتمع رأي قريش على قتله ﷺ وتفرقوا على ذلك، وفيه: ثم خرج ﷺ وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده وهو يتلو قوله تعالى ﴿يس﴾ إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يس: ١، ٩].

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(شكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه: فإنه شكا إلي تجيعه وتدئبه، وأول الحديث رواه مسلم دون قصة البعير اهـ.

قلت: حديث عبد الله بن جعفر أخرجه ابن شاهين في الدلائل. قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس. قال: وكان ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حن فذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح جرانه فسكن، ثم قال: من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله فقال: الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلى إنك تجيعه وتدئبه وهو حديث صحيح. ورواه أبو داود عن موسى ابن إسماعيل عن مهدي بن ميمون وقد رويت هذه القصة من وجه آخر. روى أحمد والبغوي في شرح السنة من حديث يعلى بن مرة الثقفي: بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مرَّ بنا بعير يسقى عليه، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه. فوقف عليه النبي ﷺ فقال: «اين صاحب البعير» فجاءه، فقال «بعنيه» فقال. بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، فقال: «أما إذا ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه». وقد روى في قصة سجود الجمل له روى أحمد والنسائي من حديث أنس قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الانصار جاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسقي عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الانصار: يا رسول الله قد صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته. فقال رسول الله ﷺ: «ليس عليَّ منه بأس» فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل الحديث.

أصحابه وتذلل له، وقال لنفر من أصحابه مجتمعين: «أحدكم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتداً». وقال لآخرين منهم: آخركم موتا في النار؛ فسقط آخرهم موتاً في النار فاحترق فيها فمات، ودعا شجرتين فأتتاه

(و) من معجزاته ﷺ أنه (قال لنفر من أصحابه) كانوا (مجتمعين :أحدكم ضرسه في النار مثل) جبل (أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتداً) قال العراقي: ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة بغير إسناد في ترجمة الرجال ابن عنفوت وهو الذي ارتد وهو بالجيم. وذكره عبد الغني بالحاء المهملة وسبقه لذلك الواقدي والمدائني، والأوّل أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني، وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ: أحد هؤلاء النفر في النار، وفيه الواقدي عن عبد الله بن نوح متروك اهـ.

قلت: وعنفوت بنون وفاء ذكر ابن أبي حاتم انه قدم في وفد بني حنيفة وكانوا بضعة عشر رجلاً فأسلموا. سمعت أبي يقول ذلك قال الحافظ، ولكنه ارتد وقتل على الكفر، فروى سيف بن عمر في الفتوح عن مخلد بن قيس البجلي قال: خرج فرات بن حبان والرجال بن عنفوت وأبو هريرة من عند رسول الله ﷺ فقال: «لضرس أحدهم في النار أعظم من أحد وأن معهم لقفا عادر فبلغهم ذلك إلى أن بلغ أبا هريرة، وفراتاً قتل الرجال فخرا ساجدين.

وروى الواقدي عن رافع بن خديج قال: كان في الرجال ابن عنفوت من الخشوع، ولزوم قراءة القرآن والخير فيما يرى النبي ﷺ شيء عجيب، فخرج علينا يوماً والرجال معنا جالس فقال: أحد هؤلاء النفر في النار قال: رافع فنظرت فإذا هم أبو هريرة، وأبو روى والطفيل بن عمرو، والرجال، فجعلت أنظر وأتعجب، فلما ارتدت بنو حنيفة سألت ما فعل الرجال قالوا: افتتن شهد لمسيلمة أن رسول ﷺ أشركه في الأمر، فقلت: ما قال رسول الله ﷺ هو الحق. قالوا: وكان الرجال يقول كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا يعني مسيلمة ورسول الله ﷺ.

(و)من معجزاته ﷺ أنه (قال لآخرين منهم) أي من الصحابة: (آخركم موتاً في النار فسقط آخرهم موتاً في نار، فاحترق فيها فمات) قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث أبي محذورة، وفي رواية البيهقي: آخرهم موتاً سمرة بن جندب ولم يذكر انه احترق، ورواه من حديث أبي هريرة نحوه ورواته ثقات. وقال ابن عبد البر: إنه سقط في قدر مملوءة ماء حاراً فمات. وروى ذلك باسناد متصل إلا أن فيه داود بن المجبر وقد ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: لفظ ابن عبد البر بعد قوله: فمات، فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة ولأبي محذورة آخركم موتاً في النار. وقال المزي في التهذيب: كانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين سقط في قدر مملوءة ماء حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارة فمات تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة، وثالث معهما آخركم موتاً في النار.

واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا. وكان عليه الصلاة والسلام نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم، ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فعرفهم ﷺ أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا، وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام، فحيل بينهما وبين ذلك ودعا

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(دعا شجرتين فاتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث يعلى بن مرة بسند صحيح اهـ.

قلت: ورواه أحمد من طريق أبي سفيان بن طلحة بن نافع وهو تابعي عن يعلى بن مرة قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة، فقال له: ما لك؟ فقال رسول الله ﷺ «فعل بي هؤلاء وفعلوا» فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: نعم. قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: إدع إلى تلك الشجرة فدعاها. قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع إلى مكانها فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله ﷺ «حسبي حسبي» ورواه الدارمي من حديث أنس.

وأخرج الترمذي وصححه من حديث ابن عباس قال: جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف انك نبي الله؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله؟ قال: نعم فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال: ارفع فعاد. فأسلم الأعرابي.

وقد روى مسلم من حديث جابر بنحوه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بأداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان في شاطيء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي عليَّ بإذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالنصف قال التئما عليَّ بإذن الله تعالى فالتأمتا.

(و) من معجزاته ﷺ إنه **(دعا)** طائفة **(النصارى إلى المباهلة)** أي الملاعنة **(فامتنعوا)** عن ذلك، **(وأخبر)** ﷺ **(انهم إن فعلوا)** ذلك **(هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس في أثناء حديث: ولو خرج الذين يباهون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً.

(وأتاه عامر بن الطفيل) بن مالك بن جعفر الكلابي **(وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم)** والفتك: هو الأخذ بقوة وبطش **(عازمين)** أي قاصدين **(على قتله** ﷺ **فحيل**

عليهما فهلك عامر بغدة وهلك إربد بصاعقة أحرقته، وأخبر عليه السلام انه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أُحُد خدشاً لطيفاً فكانت منيته فيه.

وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو ﷺ بعده أربع سنين، وكلمه الذراع المسموم.

بينهما وبين ذلك فدعا ﷺ عليهما فهلك عامر بغدة، وهلك أربد بصاعقة أحرقته) قال العراقي: رواه الطبراني في الأكبر والأوسط من حديث ابن عباس بطوله بسند فيه لين اهـ.

قلـت: عامر بن الطفيل رئيس بني عامر في الجاهلية وقصة قدومه على النبي ﷺ مشهورة فإنه قدم على النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة فقال له: أبايعك على أن لي كذا وكذا وذكر شروطاً، فامتنع النبي ﷺ ودعا عليه فأصابته غدة، فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أخبر أنه يقتل أبي بن خلف**) بن ربيعة بن حذافة بن جهم (**الجمحي**) القرشي وكان قد حضر مع المشركين يوم أحد وهو أخو أمية والمغيرة وعامر وأحيحة، (**فخدشه خدشاً لطيفاً فكانت منيته**) قال العراقي: رواه البيهقي في الدلائل من رواية سعيد بن المسيب، ومن رواية عروة بن الزبير مرسلاً اهـ.

قلـت: والذي في الدلائل إنه لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول: أين محمد لانجوت إن نجا؟ فقالوا: يا رسول الله يعطف عليه رجل منا. فقال ﷺ: دعوه فلما دنا تناول النبي ﷺ الحربة من الحرث بن الصمت، فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضاً تطايروا عنه تطاير الشعرات عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله ﷺ فطعنه طعنة وقع بها عن ظهر فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعاً من أضلاعه، فلما رجع إلى قريش قال قتلني والله محمد. أليس قد كان قال بمكة: أنا أقتلك. فوالله لو بصق عليَّ لقتلني فمات عدوّ الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة. ورواه أيضاً أبو نعيم في الدلائل ولم يذكر فكسر ضلعاً من أضلاعه. قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: فمات أبي بن خلف ببطن رابغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل إذ نار تأرجح لي فهبتها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتن بها يصيح العطش، وإذا رجل يقول لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ هذا أبيّ بن خلف، ورواه البيهقي أيضاً.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أطعم السم فمات الذي أكله معه وعاش هو ﷺ أربع سنين، وكلمه الذراع المسموم**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث جابر، وفي رواية مرسلة أن الذي مات بشر بن البراء. وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها الحديث، وفيه: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ اهـ.

قلـت: حديث أنس رواه البخاري عن عبد الله بن عبد الوهاب الجمحي، حدثنا خالد بن الحرث، ثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس. ورواه مسلم عن يحيى بن حبيب بن عربي عن خالد بن الحرث وقد تقدم ذكره في أول هذا الكتاب عند عفوه ﷺ.

....

وأما حديث جابر فلفظه: أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ «ارفعوا أيديكم» وارسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: أسممت هذه الشاة؟ قالت له اليهودية: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه في يدي الذراع. قالت: نعم. قال: فما أردت إلى ذلك. قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها. وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمة أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار. هكذا رواه أبو داود في سننه عن سليمان بن داود المهري، ثنا ابن وهب، أخبرنا عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدث فساق الحديث. وقول العراقي في رواية مرسلة الخ يشير إلى ما رواه أبو داود أيضاً. فقال: ثنا وهب بن بقية، أخبرنا خالد عن محمد بن عمر، وعن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر. قال: فمات بشر بن البراء بن معرور فأرسل إلى اليهودية: ما حملك على الذي صنعت؟ فذكر نحو حديث جابر، وأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت، ولم يذكر أمر الحجامة.

قال البيهقي في الدلائل: ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ويحتمل إنه لم يقتلها في الابتداء ثم لما مات بشر أمر بقتلها. وأخرج البيهقي أيضاً من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل من قتل منهم أهدت زينب بنت الحرث اليهودية وهي ابنة أخي مرهب لصفية شاة مصلية وسمتها وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر ابن البراء بن معرور وأخو بني سلمة، فقدمت إليهم الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها، وتناول بشر بن البراء عظماً فانتهش منه، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه! فقال رسول الله ﷺ «ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة إن قد نعيت فيها» فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنغصك طعامك، فلما أسغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسي عن نفسك، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما حول. قال: وفي رواية ابن فليح، قال الزهري: قال جابر وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين كان وجعه الذي توفي فيه، فقال: «ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداء حتى كان هذا أوان انقطع الابهر مني» فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً هذا لفظ حديث موسى بن عقبة.

ورواه البيهقي أيضاً من طريق معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: أن امرأة يهودية أهدت إلى النبي ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال: «ما هذا؟» فقالت: هدية وحذرت أن

وأخبر عليه الصلاة والسلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً، فلم يتعدّ واحد منهم ذلك الموضع، وأنذر عليه الصلاة والسلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك، وزويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها

تقول من الصدقة فلا يأكل ثم ساق الحديث. وفي آخره «فاحتجم النبي ﷺ على كاهله وأمر أصحابه فاحتجموا فمات بعضهم. قال الزهري: فأسلمت فتركها النبي ﷺ، وأما الناس فيقولون قتلها النبي ﷺ.

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب اهـ.

قلت: رواه مسلم عن شيبان، وغيره عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: تراءينا الهلال فما من الناس أحد يزعم أنه رآه غيري فقلت لعمر: يا أمير المؤمنين اما تراه وجعلت أريه إياه، فلما أعيا أن يراه قال: فأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن يوم بدر فقال: إن رسول الله ﷺ ليخبرنا عن مصارع القوم بالأمس هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً. هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً. فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود، وجعلوا يصرعون عليها، ثم القوا في القليب الحديث. ورواه أبو داود والطيالسي عن سليمان بن المغيرة.

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(انذر أن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أم حرام اهـ.

قلت: رواه البخاري من طريق الموطأ لمالك عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا ذهب يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه فدخل عليها فأطعمته وجلست تفلي رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك الحديث في شهداء البحر، وفي آخره: قال فركبت ام حرام البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت. وفي بعض طرقه في البخاري عن أنس عن أم حرام بنت ملحان، وكانت خالته أن رسول الله ﷺ نام في بيتها فاستيقظ وهو يضحك. وقال: عرض عليَّ أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسَرَّة. قالت: فقلت يا رسول الله إن يجعلني منهم. قال: إنك منهم ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله ما يضحكك؟ قال: عرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسَرَّة قلت: يا رسول الله أدع ان يجعلني منهم. قال: أنت من الأوّلين. قال: فتزوّجها عبادة ابن الصامت، فأخرجها معه فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها فقتلتها. قال ابن الأثير: وكانت تلك الغزوة غزوة قبرس فدفنت فيها، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان، وكان معه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهما من الصحابة وذلك في سنة سبع وعشرين.

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك**

وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها، فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق: من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال - كما أخبر ﷺ سواء بسواء - وأخبر فاطمة ابنته رضي الله عنها بأنها أوّل أهله لحاقاً به، فكان كذلك. وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به، فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يداً بالصدقة وأوّلهن لحوقاً به رضي الله عنها.

أمته سيبلغ ما زوي منها فكان ذلك كما أخبر، فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بلاد الاندلس) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال وضم اللام إقليم المغرب، **(وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال)**. قال العراقي: رواه مسلم من حديث ثوبان.

(و) من معجزاته ﷺ **(أخبر فاطمة ابنته رضوان الله عليها)** وهي الزهراء تكنى بأم أبيها. ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد أبيها ﷺ وهي أصغر البنات **(بإنها أول أهله لحاقاً به فكان كذلك)** فإنها توفيت بعده بستة أشهر رواه البخاري في الصحيح عن عائشة. قال الواقدي: وهو المثبت. وروى الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار وأنها بقيت بعده ثلاثة أيام، وقال غيره، أربعة أشهر، وقيل: شهرين وعند الدولابي في الذرية الطاهرة خمسة وتسعون يوماً. قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضاً اهـ.

قلت: أخرجاه من طريق مسروق عن عائشة «أقبلت فاطمة تمشي كأن مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرّه، فلما قبض سألتها فأخبرتني أنه قال: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين، وما أراه إلا وقد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف انا لك فبكيت، فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟ فضحكت».

وأخرجه أبو يعلى من حديث أم سلمة قالت «جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ فسألتها عنه فقالت أخبرني انه مقبوض في هذه السنة فبكيت، فقال: ما يسرك أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فضحكت».

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(أخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به فكانت زينب بنت جحش)** بن رياب بن يعمر **(الأسدية)** أخت عبد الله وحمنة وأم حبيبة بني جحش أمهم أميمة عمة النبي ﷺ **(أطولهنّ يداً بالصدقة وأوّلهن لحاقاً به)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقاً به. قال ابن الجوزي: وهذا غلط من الرواة بلا شك اهـ.

ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرّت، وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضي الله عنه. وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية. وندرت عين بعض أصحابه

قلت: وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» قال فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً. قالت: وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق، ومن طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة نحوه وفيه قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صناع باليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله.

وروى ابن سعد بسند فيه الواقدي عن القاسم بن محمد قال: قالت زينب حين حضرتها الوفاة إني قد اعددت كفني وإن عمر سيبعث إليَّ بكفن فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي فافعلوا. ومن وجه آخر عن عمرة قالت: بعث عمر بخمسة أثواب فكفنت منها وتصدقت عنها أختي حمنة بكفنها الذي كانت أعدته. قالت عمرة: فسمعت عائشة تقول لقد ذهبت حميدة سعيدة مفزع اليتامي والأرامل، وأخرج أيضاً بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب كان عطاء زينب بنت جحش اثني عشر ألفاً لم تأخذه إلا عاماً واحداً فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال قابلاً فإنه فتنة ثم قسمته في أهل الحاجة، فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يراد بها خيراً فوقف عليها وأرسل السلام وقال: بلغني ما فرقت فأرسل بألف درهم يستبقيها فسلكت به ذلك المسلك. قال الواقدي: ماتت سنة عشرين. وأخرج الطبراني من طريق الشعبي أن عبد الرحمن بن ابزى أخبره أنه صلّى مع عمر على زينب بنت جحش وكانت أوّل نساء النبي ﷺ ماتت بعده.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**مسح ضرع شاة حائل**) يقال حالت الشاة وكذا الناقة والمرأة وكل أنثى حيالاً بالكسر لم تحمل فهي حائل (**لا لبن لها فدرت**) اللبن، (**فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطبراني في المعجم الصغير من حديثه كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر فقال رسول الله ﷺ «هل عندك لبن»؟ قلت: نعم لكن مؤتمن عليها. قال: «فهل عندك من شاة لم ينزع عليها الفحل». قلت: نعم. فأتيته بشاة فمسح النبي ﷺ مكان الضرع بيده وهو يدعو وما كان لها ضرع فإذا ضرع حافل مملوء لبناً فأتيت النبي ﷺ بصخرة منقعرة فأحلبت الشاة فسقى أبا بكر ثم سقاني ثم شرب، ثم قال للضرع: «اقلص» فرجع كما كان، فلما رأيت هذا قلت: يا رسول الله علمني فمسح رأسي وقال «بارك الله فيك فإنك غلام معلم».

(**وفعل ذلك**) ﷺ (**مرة أخرى في خيمة أم معبد**) عاتكة بنت خلف (**الخزاعية**)

تقدم حديث أم معبد هذه في ذكر حليته الشريفة، وأشرت هناك أنه قد رويت هذه القصة أيضاً من حديث أبي معبد وهو زوجها فلنسقها هنا:

أخرج البيهقي في الدلائل من طريق الحسن بن مكرم قال: حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري، ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي، ثنا الحر بن الصباح، عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الرحمن بن أريقط الليثي، فمروا بخيمة أم معبد، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي فسألوها هل معها لحم أو لبن يشترونه منها، فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك. فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، وإذا القوم مرملون مسنتون، فنظر رسول الله ﷺ وإذا شاة في كسر خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: فهل لها من لبن؟ قالت: بأبي وأمي هي أجهد من ذلك. قال: تأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: إن كان بها حلب فاحلبها. قال: فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله تعالى ومسح ضرعها وذكر اسم الله تعالى ودعا باناء لها بربض الرهط، فتفاجت ودرت واجترت فحلب فيها ثجاً حتى علاه الثمال فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل حتى أراضوا وشرب آخرهم. وقال: «ساقي القوم آخرهم» ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا الحديث.

وأخرج البيهقي أيضاً من طريق محمد بن عمران بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأسد بن موسى كلاهما عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا عبد الرحمن الأصبهاني قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فانتهينا إلى حي من أحياء العرب فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت متنحياً فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلاّ امرأة فقالت: يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى. قال: فلم يجبها وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها فقالت له: يا بني انطلق بهذا العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما: تقول لكما أمي إذبحا هذه وكلا واطعمانا، فلما جاء قال له النبي ﷺ انطلق بالشفرة وجئني بالقدح. قال: إنها قد عزفت وليس لها لبن. قال: انطلق فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح، ثم قال: انطلق به إلى أمك فشربت حتى رويت ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ قال: فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا، وكانت تسميه المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة، فمر أبو بكر رضي الله عنه فرآه ابنها فعرفه فقال: يا أمه إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين من هو؟ قالت: لا. قال: هو النبي ﷺ. قالت: فادخلني عليه قال: فادخلها عليه واهدت إليه شيئاً من أقط ومتاع الأعراب قال: فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلا قال أسلمت.

فسقطت فردّها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما . وتفل في عين علي رضي

قال البيهقي : وهذه القصة وإن كانت تنقص على ما روينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها فهي قريبة منها ، ويشبه أن تكونا واحدة . وقد ذكر ابن إسحاق من قصة أم معبد شيئاً يدل على أنها وهذه القصة واحدة والله أعلم .

ثم ساق من طريق ابن إسحاق قال : فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد فأرادوا القرى قالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله عز وجل وحلب في العس حتى ارغى ، وقال : اشربي يا أم معبد . فقالت : أشرب أنت فأنت أحق به فردّه عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ثم تروح وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه فقالوا : رأيت محمداً أن حليتـه كذا فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون قد ضافني حالب الحائل . قالت قريش : فذاك الذي نريد . قال البيهقي : فيحتمل أن يكون أوّلاً رأى التي في كسر الخيمة كما روينا في الحديث أبي معبد ثم رجع ابنها بأعنز كما روينا في حديث ابن أبي ليلى ، ثم لما أتى زوجها وصفته له والله أعلم .

وذكر البيهقي قصة أخرى تناسب في الباب أخرجها من طريق إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان قال : لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين مرّا بعبد يرعى غنماً فاستقيـاه اللبن فقال : ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقاً حملت أوّل الشتاء ، وقد أخرجت وما بقي لها لبن ، فقال : ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال : وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب ، فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فو الله ما رأيت مثلك قط . قال : أو تراك تكتم عليّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم قال : فإني محمد رسول الله ﷺ . فقال : أنت الذي تزعم قريش انه صابيء : قال : إنهم ليقولون ذلك . قال : فأشهد أنك نبي وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك . فقال : إنك لا تستطيع ذلك يومك فإذا بلغك إني قد ظهرت فأتنا .

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردّها فكانت أصح عينيه وأحسنها)** قال العراقي رواه أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوّة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه ففي رواية البيهقي انه كان ببدر ، وفي رواية أبي نعيم أنه بأحد وفي اسناده اضطراب ، وكذا رواه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري اهـ .

قلـت : قال البيهقي في الدلائل : في اثناء سياق غزوة بدر ، أخبرنا أبو سعد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عدي الحافظ ، ثنا أبو يعلى ، ثنا يحيى الحماني ، ثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بـن قتادة عن أبيه ، عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته

الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام

على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «لا» فدعا به فغمز حدقته براحته فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

قلت: ويحيى الحماني ضعيف ولم ينبه عليه العراقي. وفي المواهب للقسطلاني وأصيبت يوم أُحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها رسول الله فقال: يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني تقذرني فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها وقال: «اللهم اكسه جمالاً» فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظراً وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت؟ فقال:

أبونا الذي سالت على الخدّ عينه ... فردّت بكف المصطفى أيما ردّ
فعادت كما كانت لأوّل أمرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ

فوصله عمر وأحسن جائزته. قال السهيلي ورواه محمد بن أبي عثمان عن مالك بن أنس، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد، عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أُحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما النبي ﷺ فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. قال الدارقطني. هذا حديث غريب عن مالك تفردّ به عمار بن نصر وهو ثقة، ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحربي عن عمار بن نصر. وأخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الدلائل عن قتادة قال: كنت يوم أحد أنقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله ﷺ فكان آخرها سهماً ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال «اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً».

(و) من معجزاته ﷺ انه **(تفل في عين علي كرّم الله وجهه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية)** قال العراقي: متفق عليه من حديث علي ومن حديث سهل بن سعد أيضاً اهـ.

قلت: حديث سهل بن سعد رواه الشيخان، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل كلهم من طريق قتيبة بن سعيد قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فقال: «أين علي بن أبي طالب». فقال: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال «فارسلوا إليه» فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فدعا له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك أن يكون

....

لك من حمر النعم» قال أبو نعيم في الحلية بعد سياقه الحديث رواه سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وسلمة بن الأكوع نحوه في المحبة.

ولحديث سلمة طرق فمن أغربها ما حدثنا أبو بكر بن خلاد ثم ساق سنده إلى محمد بن إسحاق، حدثنا ابن بريدة بن سفيان الاسلمي عن أبيه عن سلمة بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر بن أمية إلى حصون خيبر يقاتل فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار» قال سلمة: فدعا بعلي وهو أرمد فتفل في عينه فقال: «هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله على يدك» الحديث. وقال: غريب من حديث ابن بريدة عن أبيه فيه زيادات ألفاظ لم يتابع عليها، وصحيحه من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع.

قلت: ورواه البيهقي من هذا الوجه إلا انه قال: حدثنا ابن بريدة بن سفيان عن فروة الأسلمي، عن أبيه عن سلمة هكذا هو في نسخة الدلائل، وعليها سماع الحافظ العراقي وفيه زيادات كما أشار إليه أبو نعيم.

وأخرج البيهقي أيضاً من طريق الحسين بن واقد المروزي عن عبد الله بن بريدة قال: أخبرنا أبي قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له فساق الحديث نحوه: وفيه «لأدفعن لواءنا غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح له» الحديث. وفيه «فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينه فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح» الحديث.

وأخرج أيضاً من طريق المسيب بن مسلم الأزدي قال: حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، ولما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وأن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً أشد من الأوّل ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم علي فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح وجاء عليّ على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ: مالك؟ قال: رمدت بعدك. قال: ادن مني فتفل في عينيه فما وجعها حتى مضى لسبيله». الحديث.

وروى الشيخان عن قتيبة بن سعيد عن حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان رمداً فقال: أنا أتخلف عن النبي ﷺ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها قال ﷺ «لأعطين الراية غداً ـ أو قال ـ ليأخذن الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ـ أو قال ـ يفتح الله عليه» فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه.

....

وهكذا رواه الحسن بن سفيان في مسنده عن قتيبة بن سعيد. ومن طريقه أبو بكر الإسماعيلي في المستخرج.

وأخرج البيهقي من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وفيه قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي يدعوه وهو أرمد، فقال: «لأعطين» الحديث. وفيه قال: فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرىء فأعطاه الراية الحديث. وقد أخرجه مسلم في الصحيح، وأخرج أبو داود والطيالسي، والطبراني من حديث علي قال «فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إليّ ﷺ الراية يوم خيبر» وعند الحاكم من حديث علي قال: «فوضع رسول الله ﷺ رأسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عيني». وعند الطبراني «فما اشتكيتها حتى الساعة». وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب «أن رسول الله ﷺ قام يوم خيبر فوعظ الناس فلما فرغ من موعظته دعا عليّ بن أبي طالب وهو أرمد فبصق في عينيه ودعا له بالشفاء» الحديث وقد وقع مثل ذلك لرفاعة بن رافع بن مالك قال: لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فما آذاني منها شيء رواه البيهقي في الدلائل، ولفديك نفث في عينيه وكانا مبيضتين لا يبصر بهما شيئاً وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة وأنه لابن ثمانين سنة، وأن عينيه لمبيضتان. ورواه ابن أبي شيبة والبغوي وأبو نعيم والبيهقي والطبراني.

(و) من معجزاته ﷺ أنهم (**كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن مسعود.

قلت: التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازاً، فالطعام والحصى والشجر ونحو ذلك كل منها يتكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة، وهذا من قبيل خرق العادة وفي سماعهم التسبيح تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته ﷺ.

قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا اسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: إنكم تعدون الآيات عذاباً وكنا نعدها بركة على عهد رسول الله ﷺ. قد كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام. الحديث، ورواه أبو بكر الإسماعيلي في المستخرج عن الحسن بن سفيان عن محمد بن بشار عن أبي أحمد، ورواه البيهقي في الدلائل من طريقه، وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي ﷺ فسبح. رواه عياض في الشفاء، ونقله عنه الحافظ في الفتح، ومن ذلك تسبيح الحصى في كفه ﷺ، روي من حديث أبي ذر قال: «تناول النبي ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر

بين يديه ﷺ ، وأصيبت رجل بعض أصحابه ﷺ فمسحها بيده فبرأت من حينها ،

فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن » أخرجه البزار والطبراني في الاوسط. وفي رواية الطبراني« فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا ».

قال البيهقي في الدلائل: كذا رواه صالح بن أبي الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري، عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر ، والمحفوظ : ما رواه شعيب عن أبي حمزة عن الزهري.

قلت : يشير إلى ما أخرجه محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن أبي حمزة عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبي ذر قال: هجرت يوماً من الأيام فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته، فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس وليس عنده أحد من الناس، وكأني أراه في وحي فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال: ما حاجتك؟ قلت: الله ورسوله فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير، فجاء أبوبكر يمشي مسرعاً فسلم فردّ عليه السلام، ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر، ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كفه، ثم أخذهن منه فوضعهن على الأرض فخرسن وصرن حصى، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبق في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، وليس لحديث تسبيح الحصى إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها، لكنه مشهور عند الناس.

(و) من معجزاته ﷺ انه **(أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرئت من حينها)** قال العراقي: رواه البخاري في قصة قتل أبي رافع اهـ.

قلت : قال البخاري، حدثنا يوسف بن موسى، ثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار وأمّر عليهم عبد الله بن فلان، وكان أبورافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانهم فإني منطلق فمتلطف للبوّاب فلعلي أدخل. قال: فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البوّاب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأقاليد

وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملىء من ذلك، وحكى

على ودّ. قال: فقمت إلى الأقاليد ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي، فلما أن ذهب عنه أهل سمرة صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته عليّ من داخل قلت: إن القوم قد نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت. قلت: يا أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغني شيئاً فصاح. فقال: فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع. قال: لامك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فاضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صدر السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعلمت أني قد قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي وأنا لا أرى إلا إني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت: لا أبرح الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء النجاء قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ وحدثناه فقال: ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأني لم أشكها قط.

ورواه الحسن بن سفيان في مسنده عن إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى وعند الإسماعيلي في المستخرج، ورواه الإسماعيلي أيضاً عن المنيعي أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى. وقال موسى بن عقبة، قال ابن شهاب، قال ابن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال: أفلحت الوجوه. قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله. قال: أقتلتموه؟ قالوا: نعم قال: ناولوني السيف فسله، فقال: أجل هذا طعامه في ذباب السيف.

وأخرج البخاري عن أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي عن شريح بن سلمة عن إبراهيم بن يوسف بن إسحاق عن أبيه عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء، قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عتبة في أناس معهم فساق الحديث نحو سياق حديث عبيد الله بن موسى إلا أنه ليس فيه فقال: ابسط رجلك الخ. وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن الحسن الخثعمي عن أحمد بن عثمان.

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(قلّ زاد جيش كان معه ﷺ فدعا بجميع ما بقي واجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ من ذلك)** قال العراقي: متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع اهـ.

قلت: وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فقال: نعم ودعا بنطع فبسط ثم دعا بفضلٍ أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على

الحكم بن العاص بن وائل مشيته عليه السلام مستهزئاً فقال ﷺ : كذلك فكن . فلم يزل يرتعش حتى مات ، وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها : إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ـ ولم يكن بها برص فقال عليه السلام : فلتكن كذلك ، فبرصت وهي

النطع شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه . قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجز عن الجنة » . وقد تقدم صدر هذه القصة عند ذكر تكثير الطعام .

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**حكى الحكم بن العاصي**) بن أمية بن عبد شمس . كذا في النسخ وصوابه الحكم بن أبي العاصي ، وهو أبو مروان ، وعم عثمان بن عفان (**مشيته ﷺ مستهزئاً به فقال ﷺ : « كذلك فكن » لم يزل يرتعش حتى مات**) قال العراقي : رواه البيهقي في الدلائل من حديث هند ابن خديجة باسناد جيد ، والحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال : صحيح الاسناد اهـ .

قلت : أورد ابن منده في معجم الصحابة في ترجمة هند بن هند بن هند من طريق حسان بن عبد الله الواسطي عن السري بن يحيى عن مالك بن دينار حدثني هند ابن خديجة زوج النبي ﷺ قال : مرَّ النبي ﷺ بالحكم أبي مروان فجعل يغمز بالنبي ﷺ ويشير بأصبعه حتى التفت النبي ﷺ فقال : « اجعله ورعاً » يعني ارتعاشاً قال فرجف مكانه . وهكذا أخرجه أبو حاتم الرازي وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من هذا الوجه ، ومالك بن دينار لم يدرك هند بن أبي هالة ، وإنما أدرك ابنه فكأنما نسبه لجده ، وقد ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه أن رواية هند بن هند عن أبيه مرسلة وجرى أبو عمر على ظاهره فذكر هذا الحديث لهند بن أبي هالة .

وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال : كان الحكم بن أبي العاصي يجلس عند النبي ﷺ ، فإذا تكلم اختلج فبصر به النبي ﷺ فقال : « كن كذلك » فما زال يختلج حتى مات . في إسناده نظر ، وأخرجه البيهقي من هذا الوجه وفيه ضرار بن صرد وهو منسوب للرفض ، وبه تعلم أن قول العراقي بإسناد جيد فيه نظر . وأخرج البيهقي أيضاً من طريق مالك بن دينار حدثني هند ابن خديجة زوج النبي ﷺ فساقه مثل سياق ابن منده ، وأبي حاتم الرازي ، وقد نفى رسول الله ﷺ الحكم المذكور إلى الطائف ، وذكر أبو عمر في النسب قولاً في سبب نفيه إنه كان يحكيه في مشيته ، وقيل : لأنه كان يشيع بسر رسول الله ﷺ ، وقيل غير ذلك . ومات الحكم في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين .

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**خطب امرأة**) من أبيها (**فقال أبوها : إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال ﷺ « فلتكن كذلك » فبرصت وهي أم**

أم شبيب بن البرصاء الشاعر : إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته ﷺ ، وإنما اقتصرنا على

شبيب بن البرصاء الشاعر) قال العراقي : هذه المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلقيح، وسماها جرة بنت الحرث بن عوف المزني، وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي ﷺ ولم يصح ذلك اهـ.

قلـت : وقيل اسمها أمامة، وقيل: قرصافة وهو الأكثر وهي ابنة الحرث بن عوف بن علي بن حارثة المزني وأبوها من فرسان الجاهلية، وكان قد بقي عليه شيء من دمائهم، فلما أسلم أهدره النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ خطب إليه ابنته فقال: لا أرضاها لك ان بها سوءاً ولم يكن بها فرجع فوجدها قد برصت، فتزوّجها ابن عمها يزيد بن حمزة المزني فولدت له شبيباً ، فعرف بابن البرصاء ، واسم البرصاء قرصافة ذكر ذلك الرشاطي.

وذكر العراقي في تخريجه قبل هذه المعجزة معجزة أخرى، وهذا لفظه: ويد طلحة لما زاد ما كان بها من شلل أصابها يوم أُحد حتى مسحها بيده. قال: رواه النسائي من حديث جابر لما كان يوم أُحد وفيه فقاتل طلحة حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال: حسن وليس فيها مسحها ، وللبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقربها النبي ﷺ هذا آخر كلامه ولم أجد ذلك في نسخ الاحيـاء الموجودة عندي **(إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلوات الله عليه وسلامه وإنما اقتصرنا على المستفيض)** المشهور.

ومن غرر معجزاته ﷺ ردّ الشمس له. أخرجه الحافظ أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار، وابن منده، وابن شاهين، والطبراني في الكبير بإسناد حسن من حديث أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر بالصهباء ، ثم أرسل علياً في حاجة فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر ، فوضع ﷺ رأسه في حجر عليّ فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس ، فقال ﷺ « اللهم إن عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الأرض ونام عليّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء ». وفي لفظ آخر : كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فأنزل الله عليه يوماً وهو في حجر علي فقال له النبي ﷺ : « صليت العصر يا علي» قال: لا يا رسول الله فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى صلى العصر. قالت أسماء : فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين ردّت حتى صلى العصر ، وقد صحح الحديث الطحاوي ونقله عنه القاضي عياض في الشفاء وأقره على تصحيحه. وقال: اختلف في حبسها هنا ، فقيل: ردت على أدراجها ، وقيل وقفت ولم ترد، وقيل المراد بطء حركتها. قال: وكل ذلك من معجزات النبوّة اهـ.

وقال الطحاوي: إن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوّة، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وكأنه تبع قول إمامه أحمد ، فيما نقل عنه الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي أنه لا أصل له. وتبعه ابن تيمية فذكر في

....

الجزء الذي رد فيه على الروافض انه موضوع. وقال ابن الجوزي: في سنده أحمد بن داود متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث، ثم قال ابن الجوزي: وهذا حديث باطل، ومن تغفل واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة فيها، وأن صلاة العصر بغيبوبية الشمس تصير قضاء، ورجوع الشمس لا يعيدها أداء.

قلت: وهذا تحامل من ابن الجوزي وقد رد عليه الحافظان السخاوي والسيوطي وحاله في ادراج الاحاديث الصحيحة في حيز الموضوعات معلوم عند الائمة، وقد رد عليه وعابه كثيرون من أهل عصره ومن بعدهم كما نقله الحافظ العراقي في أوائل نكته على ابن الصلاح فلا نطيل بذكره، وهذا الحديث صححه غير واحد من الحفاظ حتى قال السيوطي إن تعدد طرقه شاهد على صحته، فلا عبرة بقول ابن الجوزي، وقوله ولم يلمح عدم الفائدة فيها. أجيب بأنه بل فيه فائدة وهو عود الوقت بعودها. وقوله: ورجوع الشمس لا يعيدها أداء أجاب عنه ابن حجر في شرح الإرشاد بأنه لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضاً لهذا الحديث.

وقال الشهاب في شرح الشفاء إنكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فإنها فائتة بعذر مانع من الأداء وهو عدم تشويشه على النبي ﷺ، وهذه فضيلة فلما عادت حاز فضيلة الأداء أيضاً. وقال غيره: دل ثبوت الحديث على أن الصلاة وقعت أداء، وبذلك صرح القرطبي في التذكرة قال: فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه ذكره في باب ما يذكر الموت والآخرة في أوائل التذكرة، ووجهه أن الشمس لما عادت كأنها لم تغب والله أعلم اهـ.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث جابر بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة، وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق كما ذكره القاضي عياض: لما أسري بالنبي ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء: فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ولا يعارضه ما في الصحيح، ان الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة بأن يقال إن المعنى لم تحبس على أحد من الأنبياء غيره إلا ليوشع.

ومن غرر معجزاته ﷺ تسليم الحجر عليه بمكة روى مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لاعرفه الآن» وقد اختلف فيه فقيل: هو الحجر الأسود، وقيل: بل الذي بزقاق المرفق المشهور بمكة، ومما يقويه ما ذكره الإمام أبو عبد الله محمد بن رشيد بالضم في رحلته مما ذكره في شفاء الغرام عن علم الدين أحمد بن أبي بكر ابن خليل، أخبرني عمي سليمان، أخبرني محمد بن إسماعيل بن أبي الضيف، أخبرني أبو حفص الميانشي، قال: أخبرني كل من لقيته بمكة أن هذا الحجر هو الذي كلّم النبي ﷺ، وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في

....

بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله. وروى الترمذي وأبو نعيم في الدلائل من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وروى البيهقي في الدلائل من حديث جابر قال: لم يكن النبي ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له.

ومن غرر معجزاته ﷺ تأمير أسكفة الباب وحوائطه على دعائه ثلاثاً، وهو ما رواه أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي أسيد الساعدي. قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: «لا تبرح منزلك أنت وبنوك غداً حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم. فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. قال: كيف أصبحتم؟ قالوا: أصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم: تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم إلى بعض حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءة فقال: يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه. قال: فامنت أسكفة الباب وحوائط البيت، فقالت: آمين آمين. ورواه ابن ماجه مختصراً.

ومن غرر معجزاته ﷺ كلامه للجبل وكلام الجبل له. روى أحمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم من حديث أنس قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم، فضربه النبي ﷺ برجله وقال: «أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». قال ابن المنير: قيل: الحكمة في ذلك إنه لما رجف أراد رسول الله ﷺ أن يبني أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم، وأن تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب، ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فأقر الجبل بذلك واستقر، ومن ثم صح أحد جبل يحبنا ونحبه. قال الخطابي: كنى به أهل المدينة وأجراه البغوي على ظاهره وهو الأصح إذ لا بعد في محبة الجمادات للأنبياء والأولياء، ومن ثم سمع حنين الجذع لما فارقه. وأخرجه الترمذي والنسائي والدارقطني أن هذه القصة بعينها وقعت في ثبير مكة. وأخرجها مسلم من حديث أبي هريرة أنه كان ذلك بحراء، لكن بزيادة علي وطلحة والزبير ولفظه: اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وهؤلاء الثلاثة شهداء أيضاً. وفي رواية له وسعد بن أبي وقاص ولم يذكر علياً وانفرد مسلم بذلك، وأخرجه الترمذي في مناقب عثمان، ولم يذكر سعداً وقال: اهدأ مكان اسكن، وقال: حديث صحيح. وأخرج أيضاً عن سعيد بن زيد، وذكر أنه كان عليه العشرة إلا أبا عبيدة، وقال أثبت حراء. وكذا رواه أبو الحسن الخلعي في فوائده، ولم يذكر أبا عبيدة، وهذا الاختلاف محمول على أنها قضايا تكررت قاله الطبراني وغيره.

ومن غرر معجزاته ﷺ تسليم الشجر له وسجوده له. روى البغوي في شرح السنة من حديث يعلى بن مرة الثقفي، سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا منزلاً، فنام النبي ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرت له. فقال: هي

....

شجرة استأذنت ربها في أن تسلم علي فأذن لها. وتقدم حديث بريدة نحوه من كتاب الشفاء، وفيه: حتى وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله. الحديث، وفيه فقال الأعرابي: ائذن لي أن اسجد لك الحديث: ولله درّ الأبوصيري حيث يقول:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة ... تمشي إليه على ساق بلا قدمِ
كأنما سطرت سطراً لما كتبت ... فروعها من بديع الخط في اللقمِ

ومن غرر معجزاته ﷺ كلام الحيوانات وطاعتها له.

فمنها: سجود الجمل وقد تقدم.

ومنها: سجود الغنم رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه دلائل النبوة بإسناد ضعيف من حديث أنس قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار، وفي الحائط غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يجسد لأحد إلا لله.

ومنها: كلام الذئب رواه جماعة من الصحابة أبو هريرة وأنس وابن عمر وأبو سعيد الخدري، فحديث أبي سعيد رواه أحمد بإسناد جيد بلفظ: «عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي. فقال: يا عجباً ذئب يتكلم! فقال له الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بن عبد الله بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياهم ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للأعرابي: أخبرهم فأخبرهم.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقي، وأما حديث أنس فأخرجه أبو نعيم في الدلائل، وأما حديث أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه قال: جاء الذئب فاقعى بين يدي رسول الله ﷺ، وجعل يبصبص بذنبه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً» قالوا: والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجراً رماه به فأدبر الذئب وله عواء، فقال رسول الله ﷺ: «الذئب وما الذئب». وروى البغوي في شرح السنة، وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضاً قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تل فاقعى فاستنفر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم. قال: وكان الرجل يهودياً فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره وأسلم، فصدقه النبي ﷺ قال القاضي عياض: وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب: أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله قط أعظم منه قدراً قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك

....

وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله. قال الراعي: من لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي ﷺ يقاتل، فقال له النبي ﷺ: عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها. وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبياً، فدخل الظبي الحرم وانصرف الذئب فتعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار، فقال أبو سفيان، واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً.

ومنها: كلامه الحمار أخرج ابن عساكر عن أبي منصور قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حماراً فكلم رسول الله ﷺ الحمار فقال له رسول الله ﷺ: ما اسمك؟ فقال: يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً لا يركبه إلا نبي، وقد كنت أتوقعك لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك قد كنت قبلك لرجل يهودي، وقد كنت أتعثر به عمداً، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي ﷺ: «فأنت يعفور، فكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعاً على رسول الله ﷺ. ورواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل، لكن الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وفي معجزاته ﷺ ما هو أعظم من كلام الحمار وغيره.

ومنها كلام الضب رواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني: لا يصح إسناداً ولا متناً وذكره القاضي عياض في الشفاء، وقد روي من حديث عمر أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعة قال: من هذا؟ قالوا: نبي الله، فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «يا ضب» فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال: «من تعبد» قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه. قال: «فمن أنا»؟ قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك، فأسلم الأعرابي الحديث بطوله وهو مذكور في الشفاء وما انصف من أدخله في الموضوعات.

ومنها: كلام الغزالة رواه البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الأئمة لكن طرقه يقوي بعضها بعضاً وذكره القاضي في الشفاء، ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة قالت: بينما النبي ﷺ في صحراء من الأرض إذ هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي متجندل في شملة نائم في الشمس. فقال: ما

....

حاجتك؟ قالت: صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع. قال: وتفعلين؟ فقالت: عذّبني الله عذاب العشار إن لم أعد فاطلقها، فذهبت ورجعت وأوثقها النبي ﷺ فأنتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وكذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب من باب الزكاة، وقول ابن كثير فيما نقله السخاوي عنه أنه لا أصل له مردود، وقد أورد الحافظ ابن حجر له في تخريج أحاديث المختصر طرقاً بعضها يقوي بعضاً.

ومن غرر معجزاته ﷺ اطاعة السحاب له. روى الشيخان من حديث أنس قال: أصاب الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي، فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى أريت المطر يتحادر على لحيته، فمطرنا يومنا كذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك كالاعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه، فقال: اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة، وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود، وفي رواية: «اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر» فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس. وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة. فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيض شديد فنزلنا منزلاً أصابنا عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إذا كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا. قال: أتحبون ذلك؟ قال: نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاسكبت فملأوا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر.

ومن غرر معجزاته ﷺ إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة وإبراء ذوي العاهات. أخرج البيهقي في الدلائل أن رجلاً قال للنبي ﷺ: لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي، فجاء لقبرها فقال: «يا فلانة قالت لبيك وسعديك» فقال ﷺ: «أي تحبين أن ترجعي إلى الدنيا»؟ فقالت لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيراً من أبوي، ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا. وحديث احياء أمه حتى آمنت به رواه جماعة وصححه بعض الحفاظ وإن قال ابن كثير منكر جداً. وروى ابن عدي وابن أبي الدنيا، والبيهقي وأبو نعيم أن عجوزاً عمياء مات ولدها، فلما عزيت به قالت: اللهم إن كنت تعلم إني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة، فكشف الثوب عن وجهه وطعم وطعموا وروى ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت أن يزيد بن حارثة بينا هو يمشي إذ خرّ فتوفي فجيء به إلى بيته، فلما كان بين المغرب والعشاء سمعوا على لسانه محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين لا نبي بعده كان

المستفيض. ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه، وسخاوة حاتم الطائي، ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة، ولكن مجموع الوقائع يورث علماً

ذلك في الكتاب الأول، ثم قال: صدق صدق ثم قال: هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وأخرج أبو نعيم أن جابراً ذبح شاة وطبخها فجاء بها للنبي الله عليه وسلم فأكل هو وأصحابه ونهاهم عن كسر العظام ثم جمعه ووضع يده عليه ثم تكلم بكلام، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها.

وأخرج البيهقي أنه ﷺ جيء له بغلام يوم ولد فقال: من أنا؟ قال رسول الله ﷺ. قال: صدقت بارك الله فيك ثم لم يتكلم بعد حتى شب، فكان يسمى مبارك اليمامة.

ومن غرر معجزاته ﷺ أن انقطع يوم أحد سيف عبد الله بن جحش فأعطاه ﷺ عرجوناً فصار في يده سيفاً فقاتل به، وكان يسمى العرجون ولم يزل يتوارثونه حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم في بغداد بمائتي درهم، ومن ذلك ما نقل ابن إسحاق أنه قاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع، فأعطاه رسول الله ﷺ جزلاً من خشب فقال له: قاتل به فهزه فعاد في يده سيفاً طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان يسمى «العون» ولم يزل يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده، ومن ذلك ما ذكر عياض عن ابن وهب أن عكرمة بن أبي جهل ضرب يد معاذ بن عمرو فتعلقت بجلدة فبصق ﷺ عليها فلصقت. قال ابن إسحاق ثم عاش حتى كان زمن عثمان. ومن ذلك ما رواه البيهقي في الدلائل من طريق ابن شهاب أن عبد الله بن أنيس أصابه المشير بن رزام اليهودي من وجهه بمخرش فشجه مأمومة فبصق رسول الله ﷺ فيها فلم تقح ولم تؤذه حتى مات، وهذا نزر من كثير. ومعجزاته ﷺ أكثر من أن تحصى أو تعد، فإنك أن تأملتها وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل إلى غير ذلك مما لو أعيد لطال.

(**ومن يستريب في انخراق العادات على يده**) ﷺ (**ويزعم أن آحاد هذه الوقائع**) ظنية (**لم ينقل تواترا وإنما المتواتر هو القرآن كمن يستريب في شجاعة علي**) رضي الله عنه (**وسخاوة حاتم ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة، ولكن مجموع**) تلك (**الوقائع**) سواء مما وقع التحدي به أو وقع دالاً على صدقه من غير تحدٍّ فإنه (**يورث علماً ضرورياً**) ويفيد قطعاً بأنه ظهر على يديه ﷺ من خوارق العادات شيء كثير ما أن كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر. ورواه العدد الكثير والجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك، فلو أدعى مدع أن غالب هذه الوقائع يفيد القطع النظري لما كان مستبعداً، وذلك لأنه لا مرية. إن رواة الأخبار في

ضرورياً ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق، وليس لنبي معجزة باقية سواه ﷺ، إذ تحدى بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب

كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة ولا يحفظ عن أحد من أصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا إنكار عليه فيما هنالك، فيكون الساكن منهم كالناطق لأن مجموعهم محفوظ عن الأغضاء على الباطل، وعلى تقدير أنه يوجد من بعضهم إنكار أو طعن على بعض من روى شيئاً من ذلك، فإنما هو من جهة توقف في صدق أو تهمته بكذب أو توقف في ضبطه أو نسبة إلى سوء الحفظ أو جواز الغلط، ولا يوجد أحد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الأحكام وحروف القرآن ونحو ذلك، والله أعلم.

(ثم لا يتماري في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه ﷺ). اعلم أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، ولكن قرر فيه بعضهم على ستة أوجه.

أحدها: أن وجه إعجازه هو الإيجاز والبلاغة مثل قوله: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ [البقرة: ١٧٩] فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير، وحكى أبو عبيد إن اعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام، وسمع الآخر رجلاً يقرأ ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً﴾ [يوسف: ٨٠] فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ [القصص: ٧] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

والثاني: أن إعجازه هو الوصف الذي صار به خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه جنس كلام العرب ومستعملة في نظمهم ونثرهم، ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت أحلامهم ولم يمتدوا إلى مثله في جنس كلامهم.

الثالث: أن وجه إعجازه وهو أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته تزيده حلاوة وتوجب له محبة وطلاوة، ولا يزال غضاً رطباً وغير من الكلام، ولو بلغ في الحسن والبلاغة يمل من ترديده ويعادي إذا أعيد.

الرابع: أن وجه إعجازه هو ما فيه من الأخبار بما كان مما علموه ومما لم يعلموه، فإذا سئلوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه.

الخامس: أن وجه إعجازه هو ما فيه من علم الغيب والإخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته.

السادس: أن وجه إعجازه هو كونه جامعاً لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط

وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم. وكان ينادي بين أظهرهم: أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله ان شكوا فيه، وقال لهم: ﴿قُل لئِنِ اجتمعَتِ الأنُس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثلِهِ ولو كان بعضهُم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه، ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقاً

بها من علماء الأمم واحد منهم، ولا يشتمل عليها كتاب. فهذه ستة أوجه يصح أن يكون كل واحد منها إعجازاً فإذا جمعها القرآن فليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزاً بأولى من غيره فيكون الإعجاز بجميعها.

(إذ تحدى بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم) أي مفاخرتهم مع توفر دواعيهم، **(وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله إن شكوا، وقال لهم ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾** أي معيناً ومساعداً. **(وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك)** أي عن الإتيان بشيء منه **(وصرفوا عنه)** ونكلوا. قال بعض العلماء: إن الذي أورده ﷺ على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم، وكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه، ولا في إبراء الأكمه والأبرص ولا يتعاطون علمه، وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة، فدل على أن العجز عنه إنما كان ليصير علماً على رسالته وصحة نبوته، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح، وقال أبو سليمان الخطابي: وقد كان النبي ﷺ من عقلاء الرجال عند أهل زمانه، بل هو أعقل خلق الله تعالى على الإطلاق، وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به، فقال: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بأن ذلك من عند الله علام الغيوب، وأنه لا يقع فيما أخبر عنه خلف وإلا لم يأذن له عقله أن يقطع القول في شيء بأنه لا يكون وهو يكون اهـ.

وهذا أحسن ما يقال في هذا المجال وأبدعه وأكمله، فإنه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير قبل بلوغ الغرض في المناقضة صارخاً بهم على رؤوس الأشهاد فلم يستطع أحد منهم الإلمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد، **(حتى عرضوا أنفسهم)** الأبية ورضيت هممهم السرية **(للقتل)** وسفك الدماء **(و)** عرضوا **(نساءهم وذراريهم للسبي)** والهتك **(وما استطاعوا أن يعارضوا)** شيئاً منه، **(ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه)** وقد ورد من

الأخبار في قراءة النبي ﷺ بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة وإقرارهم بإعجازه جمل كثيرة.

فمنها ما ورد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت إن عتبة بن ربيعة قال: ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المجلس: يا معشر قريش ألا أقدم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها منا ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك، فلما فرغ قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: افعل فقال ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم حم★ تنزيل من الرحمن الرحيم» حتى بلغ ﴿قرآناً عربياً﴾ [فصلت: ١ - ٤] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت. قال: فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: يحلف بالله لقد جاءكم عتبة بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط. والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، وقد أجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة. قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم★ تنزيل من الرحمن الرحيم★ حتى بلغ ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ [فصلت: ١ - ١٣] فاسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب رواه البيهقي.

وروى مسلم والبيهقي في الدلائل من حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيساً فقال: والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم، وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي ﷺ فقلت: وما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، وقد وضعته على إقرار الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد بعدي إنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون.

وروى ابن إسحاق في السيرة والبيهقي في الدلائل عن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة، وكان زعيم قريش في الفصاحة أنه قال للنبي ﷺ: اقرأ علي فقرأ عليه ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخر الآية. قال: أعد فأعاد، فقال: والله إن له لتلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر الحديث.

وأخرج أبو نعيم من طريق إسحاق حدثني إسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل، فقرأ عليه

وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر، وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته.

فأعظم بغباوة من ينظر في أحواله، ثم في أقواله، ثم في أفعاله، ثم في أخلاقه، ثم في معجزاته، ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم، ثم في إذعان ملوك

الحمد لله رب العالمين إلى قوله: ﴿الصراط المستقيم﴾ فقال: ما أحسن هذا وأجمله وكل كلامه مثل هذا. قال: يا أبت وأحسن من هذا.

(ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة) فإن تأليفه لهذا الكتاب كان قبل دخول القرن السادس وهذا على أن المراد بالقرن مائة سنة ومنهم من قال القرن خمس وسبعون على ما نقله صاحب القوت، **(فلم يقدر أحد على معارضته)** بلى قد رام قوم من أهل الزيغ والإلحاد أوتوا طرفاً من البلاغة وحظاً من البيان أن يصنعوا شيئاً يعارضون به القرآن، فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول مالوا إلى السور القصار كسورة الكوثر والنصر وأشباههما لوقوع الشبهة على الجهال لقلة عدد حروفه لأن العجز إنما يقع في التأليف والاتصال، وممن رام ذلك من العرب بالتشبيه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال: يا ضفدع نقي كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين، فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذا قال: إنه لكلام لم يخرج من آل أي من ربوبية. وقال أيضاً في معارضة والنازعات والبادرات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والحافرات حفراً والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر، وقال أيضاً: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا. وقال أيضاً: الفيل وما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وإن ذلك من خلق ربنا لقليل وغير ذلك من الهذيان ففيها مع قلة الحروف من السخافة ما لا خفاء به على من لا يعلم فضلاً عمن يعلم.

وحكي عن يحيى بن حكيم الغزالي وكان بليغ في زمانه أنه قد رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على مناولها فاعترته منه خشية ورقة حملته على التوبة والإنابة.

وحكى أيضاً أن ابن المقفع وكان أفصح أهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاماً فجعله مفصلاً وسماه سوراً فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر﴾ الآية [هود: ٤٤] فرجع ومحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبداً وما هو من كلام البشر.

(فاعظم بغباوة) أي جهل **(من ينظر)** بعين البصيرة **(في أحواله)** ﷺ **(ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه)** وسجياته وشمائله **(ثم في معجزاته)** الكثيرة المشهورة، **(ثم في استمرار**

الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه.

وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده.

تم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى.

شرعه إلى الآن ثم في انتشاره) وظهوره **(في أقطار العالم)** شرقاً وغرباً، **(ثم في إذعان ملوك الأرض له)** مع ما جبلوا عليه من الترفع وعدم لين الجانب **(في عصره)** ﷺ، **(وبعد عصره مع ضعفه)** أي قلة شوكته **(ويتمه)** وأميته، **(ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه)** فيما يقول.

(وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه) فيما جاء به **(واتبعه)** أي سيرته وطريقته **(في لك ورد وصدر)** وفي كل صفو وكدر. **(فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به)** والتأسي بطريقته **(في الأخلاق)** الموهوب به ربه **(والأفعال والأحوال والأقوال بمنه)** تعالى وكرمه **(وسعة جوده)** وفضله **(إنه)** تعالى **(سميع)** النداء **(مجيب)** لمن دعا. وهذا آخر كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه نصف الكتاب:

حمدت الله ربي إذ هداني ... لما أبديت مع عجزي وضعفي
ومن لي بالخطا فأرد عنه ... ومن لي بالقبول ولو بحرفِ

فرغ من تحرير هذا مسوّده العبد العاجز أبو الفيض محمد مرتضي بن محمد الحسيني غفر الله زلله وأصلح خلله وتقبل عمله وبلغه أمله في ليلة الثلاثاء ثالث ساعة منها سلخ ذي القعدة الحرام ختام سنة ١١٩٩ حامد الله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ويتلوه شرح عجائب القلب.

كتاب عجائب القلب وهو الأوّل
من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله الذي نوّر قلوب أوليائه فأشرقت بنور اليقين، وملأها من معرفته ومحبته فهاموا في عجائبها ووردوا من مناهلها أصفى معين، وأورثهم التفكر والتأمل في غرائب مصنوعاته الدالة على قيوميته وأشهدهم معارج التمكين، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ديان يوم الدين، شهادة اخلاص ويقين، لا قلادة تقليد وتلقين، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله السيد الامين خاتم زمرة الأنبياء والمرسلين، الذي جاء بالدين القويم والهدى الواضح المبين، وأيد بالمعجزات الظاهرة البراهين صلى الله عليه وعلى آله الاكرمين الاطهرين، وأصحابه السادة المتقين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فهذا شرح.

كتاب عجائب القلب

وهو الأوّل من الربع الثالث الموسوم بالمهلكات صنفه الإمام الأوحد الرباني، والقطب الكامل الصمداني، حجة الإسلام، علم الائمة الاعلام، السالك سبيل الحق السوي العالي، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنته، كشفت فيه عن مخدّرات ألفاظه ومعانيه، وبينت غوامضه المستكنة في مدارج مبانيه، على وجه يحصل به معانيه ما يبتغيه، من مثالثه ومثانيه، وقد وفق الله جلت نعماؤه وتقدست أسماؤه إلى شرح النصف الأوّل من هذا الكتاب، وأرشد الآن إلى خدمة نصفه الباقي بلا ارتياب، باذلاً في كل جهد الاستطاعة، معترفاً بقلة البضاعة، والتقصير عن شاو أهل البراعة، والعجز عن كثير من مقتضيات الصناعة، سائلاً من الله الكريم أن يفتح علي وعلى من عني بخدمته أو مطالعته باب الفهم وان يرشدنا إلى الصواب المخلص من الوهم، وان يجعل لنا في مقاصد الخيرات أوفر سهم، ضارعاً إليه في الإمداد بالتوفيق والسداد وهو الكافي الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر، وتدهش في مبادىء إشراق أنواره الأحداق والنواظر، المطلع على خفيات السرائر، العالم بمكنونات الضمائر، المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر، مقلب القلوب وغفار الذنوب، وساتر العيوب، ومفرج الكروب، والصلاة على سيد المرسلين، وجامع شمل الدين، وقاطع

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** تيمناً باسمه الكريم واقتداء بالكتاب العظيم.

(الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله) أي عظمته **(القلوب والخواطر)** جمع خاطر وهو من الصفات في الغالب اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى وقد يسمى محله باسم ذلك، والادراك هو بلوغ أقصى غاية الشيء واحاطته بكماله، والمعنى لا تطيق القلوب والخواطر الواردة عليها الإحاطة لعظم قدره وفخامة شأنه فتقف دونها وقوف المتحير الذي لا يهتدي للصواب لإشكال الامر عليه، **(وتدهش)** وهو من باب علم وأصل الدهشة ذهاب العقل اما حياء أو خوفاً **(في مبادىء)** أي اوائل **(إشراق)** أي اضاءة **(أنواره)** أي أنوار وارداته التي ترد على القلب **(الأحداق والنواظر)** الأحداق جمع حدقة محركة وهي من العين سوادها، والنواظر: جمع الناظر وهو السواد الأصغر من العين الذي يبصر به الانسان، أشار المصنف بهاتين الجملتين إلى أن نهاية معرفة العارفين بالله تعالى عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة في انهم لا يمكنهم معرفته، وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، وأنه لا يحيط مخلوق من ملاحظة ذاته إلا بالحيرة والدهشة وقد خص الحيرة بالقلوب والدهش بالنواظر إشارة إلى أن كلاً من المسلكين بابها مسدود على السالك بها، وإنما يكون الاتساع في معرفة أسمائه وصفاته. وقد تقدم البحث في ذلك عن قوله ﷺ «لا أحصي ثناء عليك» **(المطّلع)** بتشديد الطاء وكسر اللام أي المشرف **(على خفيات الأسرار)** أي خواطر النفس، **(العالم بمكنونات الضمائر)** أي ما تكنه وتخفيه، **(المستغني)** لقيامه بنفسه **(في تدبير ملكه)** في عالمي الغيب والشهادة **(عن المشاور)** أي من يشاور معه **(والمؤازر)** من يعينه ويحمل عنه وزره أي ثقله ومؤنته لأنه تعالى واجب الوجود بنفسه لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل هو منزه عن العلاقة عن الأغيار مستغن عن المشاورة والمعاضدة بالانصار، **(مقلب القلوب)** أي مصرفها كيف يشاء **(وغفّار الذنوب)** حقيرها وجليها، **(وستار العيوب)** يستعمل العيب اسماً ويجمع على العيوب وهو كل ما يعاب الإنسان على فعله ويلام، **(ومفرج الكروب)** أي كاشفها وأصل الكرب الغم والضيق، **(والصلاة)** الكاملة التامة **(على)** سيدنا ومولانا محمد **(سيد المرسلين)** أي رئيسهم وأفضلهم، **(وجامع شمل الدين)** أي جامع ما تفرق من أمره لأنه بعث والناس في

دوائر الملحدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم كثيراً.

أما بعد؛ فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدّته وذخره، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله، ولديه، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير

جاهلية جهلاً قد تناسوا أمور الدين ورغبوا إلى عبادة الكواكب والأصنام فهداهم بنور رسالته وأخذ بنواصيهم إلى دين الحق، **(وقاطع دابر الملحدين)** أي الطاعنين في الدين والمجادلين أي المحاربين فيه من طوائف اليهود والنصارى والمشركين فلم يبق منهم أحد إلا وقد دخل في الدين والحق بزمرة الموحدين. قيل: والملحدون بعد زمانه ﷺ هم الباطنية الذين أحالوا الشريعة وتأوّلوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن وبين الجمع والقطع حسن المقابلة، **(وعلى آله الطيبين الطاهرين)** وهم أهله وذوو قرابته، ويطلق أيضاً على الاتباع لطريقته فدخل فيهم أصحابه، وذهب الكسائي إلى منع آل إلى الضمير فلا يقال آله بل أهله، ونقله البطليوسي في كتابه الاقتضاب وهو أوّل من قال ذلك، وتبعه النحاس والزبيدي وليس بصحيح إذ لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده قاله صاحب المصباح، وحكم إفراد الصلاة عن السلام تقدم البحث فيه في أوّل كتاب العلم.

(أما بعد: فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق) إنما هو **(باستعداده)** أي طلب تأهبه بالقوّة القريبة أو البعيدة **(لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله)** أي زينته **(وكماله وفخره وفي الآخرة)** هي **(عدته)** أي يعتد بها **(وذخره)** وقد دندن العارفون بالله حول هذه المعرفة، فروي عن مالك بن دينار أنه قال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شيء فيها. قالوا: وما هو يا أبا يحي؟ قال: معرفة الله عز وجل، رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سالم والخواص، وقيل لذي النون المصري رحمه الله تعالى وقد أشرف على الموت: ماذا تشتهي؟ فقال: أن أعرفه قبل ان أموت ولو بلحظة. **(وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب)** الذي هو لطيفة ربانية على ما سيأتي بيانه قريباً للمصنف، **(هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المتقرب إليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح)** الظاهرة في الحقيقة **(اتباع وخدم وآلات)** أي بمنزلة هؤلاء **(يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد)** فهم لا يخالفونه **(و)** يستخدمها **(استخدام الراعي للرعية و)** استخدام **(الصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله)** إذ هو محل نظره **(إذ سلم من غير الله)** بأن يصان من تطرق خيال السوي إليه، **(وهو**

الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله، فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساوئه، إذ كل إناء ينضح بما فيه وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه. وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين

المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله) ومن المعلوم ان المستطرق في شيء ينصرف نظره عن سواه فلا يتوارد الاشتغالان على مورد واحد بحسب الكمال، **(وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب و)** هو **(المعاقب وهو الذي يسعد)** ويبقى **(بالقرب من الله تعالى فيفلح إذا زكاه)** أي طهره من دنس الأغيار، **(وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه)** أي اخفاه والأصل دسسه أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها ★ وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ٩، ١٠] **(وهو المطيع)** المتخاشع **(بالحقيقة لله، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وتجلياته وارداته، وهو العاصي المتمرد على الله، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش)** والمعاصي **(آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساوئه إذ كل إناء يترشح بما فيه)** وهو من الأقوال المشهورة على الألسنة، ويروى: كل إناء بما فيه يطفح، **(وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف ربه)** معرفة تليق بمقام العارف. وهذا القول يحكي عن يحي بن معاذ الرازي يعني من قوله كذا قاله أبو المظفر بن السمعاني، وكذا قال النووي أنه لا يعرف مرفوعاً. وقيل في تأويله من عرف نفسه بالحدوث عرفه ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء، **(وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل)** ضرورة إذ منشأ أصل المعرفة هو القلب فمن لم يعرفه لم يذق أصل المعرفة فلا يهتدي لمعرفة غيره بطريق الأولى، **(وأكثر الخلق)** إذا تأملت حالهم **(جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وحيل بينهم وبين أنفسهم)** فحجبوا عن إدراك سرها **(و)** إليه الإشارة بقول الله تعالى: **﴿واعلموا (ان الله يحولُ بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال: ٢٤] وحيلولته بأن يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن)** تقدم الكلام عليه في قواعد العقائد، ومن ذلك تقلبه في اليوم سبع مرات كما رواه البيهقي من حديث

وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه: ﴿نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم أولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون﴾ [الحشر: ١٩] فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين.

وإذ فرغنا من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر، ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن، فلا بدّ أن نقدم عليه كتابين: كتاباً في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه، وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه، ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات.

فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام،

أبي عبيدة بن الجراح، **(وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع)** مرة **(أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقرّبين)** وانخفاضه وارتفاعه إنما هو بالاتصاف بما لكل من الدرجتين من الأوصاف الذميمة والحميدة، فإذا استولى عليه الشهوة والغضب التحق بأفق الشياطين وإن ملكها حتى صفا التحق بأفق الملائكة المقرّبين، **(ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه)** أي في حقه: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ ولما كانت تلك المراقبة عين الفكر جعل تركها نسياناً فهذا معنى قوله ﴿نسوا الله﴾ وأما نسيان الله لهم فهو ترك نظر الرحمة عليهم وأشد من ذلك قوله تعالى: **﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾** سماهم فساقاً إذا نسوا الله بعدم مراقبتهم قلوبهم، **(فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين)** إلى محجة الطريق وهذا طريقة سلوك شيخه أبي علي الروذباري أحد أصول طريقة مشايخنا النقشبندية، فإن المراقبة عندهم مع نفي الخواطر أحد الأصول الثلاثة التي عليها مدار سلوكهم، **(وإذ قد فرغنا من الشطر الأوّل)** أي النصف الأوّل **(من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح)** لسالك **(من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر)** لتعلقه بعالم الملك، **(ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن)** لتعلقه بعالم الملكوت، **(فلا بد أن نقدّم عليه كتابين: كتاباً في شرح صفات القلب وأخلاقه، وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه، ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات)** كل منهما في ربع. **(فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الافهام)** بسهولة، **(فإن التصريح**

فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام.

بيان معنى النفس، والروح، والقلب، والعقل، وما هو المراد بهذه الأسامي:

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب. ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة، ونحن نشرح في معنى هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا.

اللفظ الأول: لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين.

أحدهما: اللحم الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه. ولسنا نقصد

بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام) لعدم المامها بهذا العلم **(وبالله التوفيق)** ومنه أستمد العون.

بيان معنى النفس، والروح، والقلب، والعقل، وما هو المراد بهذه الأسامي:

إذا ذكرت **(اعلم ان هذه أربعة أسام تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء)** أي أكابرها **(من يحيط بمعرفة هذه الأسامي واختلاف معانيها وحدود مسمياتها)** فكل واحد منهم سلك فيها مسالك مختلفة **(وأكثر الأغاليط)** جمع أغلوطة أو جمع غلط على غير قياس **(منشأها الجهل بمعرفة هذه الأسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفة، ونحن نشرح من معاني هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا)** في هذا الكتاب.

(فمن ذلك لفظ القلب: وهو يطلق لمعنيين) أي بازاء معنيين:

(أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه) وتحقيقه في كتب التشريح للأطباء. قالوا: هو جسم مخروطي كهيئة الصنوبرة المعكوسة قاعدته في وسط الصدر وبها تتصل الرباطات الحافظة للقلب على وضعه ورأسه المخروط أسفل إلى اليسار وهو أحمر رماني مركب من اللحم والعصب والغضروف والشرايين النابتة منه، والأجوف الواصل إليه من الكبد والروح الحيواني والدم الغذائي والشرياني والغشاء الصلبي الذي هو غلافه، وإنما خلق في وسط الصدر لأنه مبدأ الحياة لشرفه يجب أن يكون في أحرز المواضع وأكرمها وأحرزها تنوّر الصدر إذ للعظام المحيطة به سور حصين، والأغشية والعضلات وقاء قوي والرئة المكتنفة بالقلب فراش

الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية. وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت، ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين.

والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالأجسام والأوصاف

وطيء وهي تمنع من أن تلقاه عظام الصدر من قدام، وله بطنان: أحدهما الأيمن وهو مملوء بالروح الكثير والدم القليل وهو منبت الشرايين من طرف القاعدة كأنه قاعدة لجميع القلب، وكذا غشاؤه أصلب من سائر الأغشية لأنه عضو شريف ومعدن الروح الحيواني ومنبع الحرارة الغريزية التي هي الحرارة المجففة، وهو أوّل عضو يتحرك من الحيوان. وآخر عضو يسكن منه وغشاؤه محيط إلا أنه لم يلتزق به بالكلية فيه سعة وفائدة ذلك أن لا ينعصر القلب إذا تحرك حركة الانبساط، وتجاويفه ثلاثة في الحقيقة إثنان كبيران والثلث صغير كائن بين الاثنين وهو كمنفذ بينهما، وقاعدة التجويف الأيمن انزل قليلاً ليكون طريق الغذاء قصيراً وهو أكبر ليسع ما يدخر فيه من الغذاء أكثر، ولحم جانب اليسار أصلب لأن الروح فيه أكثر من الدم ودمه رقيق لصلابة لحمه يمنع من ترشح الدم وتحلل الروح، وقد نبت في طرف القاعدة قطعتان من اللحم الغليظ على شكل أذنين. احداهما يمنة والاخرى يسرة مما ينفذ النسيم تتواتران إذا انبسط وتسترخيان إذا انقبض هذا ما ذكره الأطباء فيما يتعلق بتشريح القلب.

(ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا تتعلق به الأغراض الدينية وإنما يتعلق بذلك غرض الأطباء) لاعوازهم إلى معرفة ذلك لأجل معالجة ما يعرض عليه، **(وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت، ونحن إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك)** ولم نقصده، **(فإنه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك)** بالضم **(والشهادة)** من المحسوسات الطبيعية **(إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين)**.

(والمعنى الثاني) للقلب: **(هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني)** الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر **(تعلق)** معنوي، **(وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان)** الكمالية ويسميها الحكيم النفس الناطقة والروح باطنه والنفس الحيوانية مركبه **(وهي المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب)** فالمضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر، **(ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسداني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، وتعلقها به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام و)** تعلق

بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوفاه لمعنيين.

أحدهما: أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة.

والثاني: أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ، فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة، وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها، وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها.

اللفظ الثاني: الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين:

أحدهما: جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع

(الأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان) وقد اختلفوا في ذلك وطوّلوا البحث فيه **(وشرح ذلك)** بكشف الغطاء عنه **(مما نتوقاه)** ونتحرج عنه **(لمعنيين)**.

(أحدهما: انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب إلا علوم المعاملة) فلو استطردنا فيه القول خرجنا عن المقصود المهم.

(والثاني: أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله ﷺ) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح، وفيه: فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم، فعلمت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم، **(فليس لغيره أن يتكلم فيه)** تأدباً مع رسول الله ﷺ. **(والمقصود انا إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة)** الربانية، **(وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاته، وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها)** فلذا أضربنا عنه.

(اللفظ الثاني: الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين).

(أحدهما: جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني) قابل لقوّة الحس والحركة التي تنبعث من القلب، **(وينتشر بواسطة العروق الضوارب)** بسريانه في تجاويفها **(إلى سائر أجزاء البدن)** وأراد بالعروق الضوارب الشرايين ومنبتها هو التجويف الأيسر من القلب، ويخرج عن هذا التجويف شريانان. أحدهما: صغير غير متضاعف ويسمى الوريدي، والثاني كبير جداً ويسمى الأبهر، والوريدي يدخل في الرئة وينقسم فيها فلذلك خلق رقيقاً غير مضاعف، وسائر الشرايين

والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان، فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين، فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً.

خلقت صلبة مضاعفة لأنها تحوي جسماً لطيفاً وهو الروح الحيواني ودما حاراً وهي دائمة الحركة بسطاً وقبضاً، فلم يؤمن أن تنشق أو يترشح منها الروح إن جعلت طبقة واحد، والأبهر حين طلوعه تتشعب منه شعبتان. احداهما: وهي أصغرهما تصير إلى التجويف الأيمن من تجويفي القلب، والثانية: تستدير حول القلب ثم تدخل إليه وتتفرق فيه، **(وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على أعضائه يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت)** أي أطرافه، **(فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان. والروح مثاله السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه، والأطباء إذا أطلقوا الروح أرادوا به. هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب)** واستطرد الشهاب السهروردي في العوارف: هذا البحث مختصراً وقال: وهذه الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذي قوامه باجراء سنّة الله تعالى بالغذاء غالباً ويتعرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط اهـ.

وذكر الحكماء ان الروح جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الأيسر منه. قالوا: وفائدة وجوده في البدن أن يكون حاملا للقوى حتى تنتقل وتجول في البدن بتوسطه لأن القوى لكونها من الأعراض لا تنتقل بدون المحال، ولذلك صار أصنافها كاصنافها، فإن الروح إذا تولد في القلب يسمى روحاً حيوانياً لكونه حاملاً للقوة الحيوانية فتنتقل في الشرايين إلى الأعضاء فيفيدها الحياة وجزء صالح في هذا الروح يصعد إلى الدماغ فيغيره إلى مزاج آخر يصير به روحاً نفسانياً أي روحاً صالحاً لأن يكون مركباً للقوى النفسانية فيصدر أفعالها عنه وجزء ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني يصير إلى جانب الكبد فيغيرّه تغييراً يصير به روحاً طبيعياً أي روحاً يستعد لقبول القوى الطبيعية فيصدر أفعالها عنه، **(وليس من غرضنا شرحه إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان)** عن أمراضها الظاهرة، **(فأما غرض أطباء الدين الذين يعالجون القلوب)** عن أمراضها الباطنة **(حتى تنساق)** بحسن سيرها **(إلى جوار رب العالمين)** جل جلاله، **(فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً)**.

المعنى الثاني: هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته.

(المعنى الثاني: هو اللطيفة)الربانية **(العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معنيي القلب)** اعلم أنه قد يجعل اسماً للنفس لكون النفس بعض الروح فهو كتسمية النوع باسم الجنس نحو تسمية الانسان بالحيوان، وقد يجعل اسماً لهذه اللطيفة وهي الجزء الذي تحصل به الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، **(وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾)** وهذه اللطيفة هي الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر، **(وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والأفهام عن درك كنه حقيقته)** قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة في البدن، وقال صاحب العوارف: وحيث أمسك رسول الله ﷺ عن الإخبار عن الروح وماهيته بإذن الله تعالى ووحيه وهو ﷺ معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ لغيره الخوض فيه؟ والإشارة إليه لا جرم لما تقاضت النفس الإنسانية المطلعة إلى الفضول المتشوفة إلى المعقول المتحركة بوضعها إلى كل ما أمر فيه بالسكوت فيه والمتشوفة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه وأطلقت عنان النظر في مسارح الفكر وخاضت غمرات ماهية الروح تاهت في التيه وتنوّعت آراؤها فيه، ولم يوجد الاختلاف من أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح، ولو لزمت النفوس حدّها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى، فأما أقاويل من ليس مستمسكاً بالشرائع فننزه الكتاب عن ذكرها لأنها أقوال أبرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الانبياء فهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ [الكهف: ١٠١] ﴿قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ [فصلت: ٥] فلما حجبوا عن الأنبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فأصروا على الجهالات وحجبوا بالعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدي قوماً ويضل به آخرين، فلم ننقل أقوالهم في الروح واختلافهم فيه، وإنما المتمسكون بالشرائع تكلموا في الروح، فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر، وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضاً. وكان الأولى الإمساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي ﷺ، وقد قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود، ولكن نجعل للصادقين لأقوالهم محملاً، ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله إذ لا يسع القول في التفسير إلا نقلاً، وأما التأويل فتمتد العقول إليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تحتمل الآية من المعنى من غير القطع بذلك، وإذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومحمل. قال أبو عبد الباجي: الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود، وهو وإن منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم. وقال

....

ابن عطاء: خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالى: ﴿ولقد خلقناكم﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأرواح ثم صوّرناكم يعني الأجساد. وقال بعضهم: الروح لطيف قائم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم في كثيف، وفي هذا القول نظر. وقال بعضهم: الروح عبارة والقائم بالاشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضاً إلاّ أن يحمل على معنى الاحياء، فقد قال بعضهم: الأحياء صفة المحيي كالتخليق صفة الخالق وقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] وأمره كلامه وكلامه ليس بمخلوق أي صار الحي حياً بقوله: كن حياً، وعلى هذا لا يكون الروح معنى في الجسد، فمن الأقوال ما يدل على أن قائله يعتقد قدم الروح ومن الأقوال ما يدل على أن قائله يعتقد حدوثه، ثم إن الناس مختلفون في الروح الذي سئل رسول الله ﷺ عنه فقال قوم، هو جبريل، ونقل عن علي رضي الله عنه انه قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، ولكل وجه منه سبعون ألف لسان، ولكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة. وروي عن ابن عباس أن الروح خلق من خلق الله تعالى صوّرهم الله على صورة بني آدم، وما نزل من السماء ملك إلا ومعه أحد من الروح. وقال أبو صالح: الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس، وقال مجاهد: الروح على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة، وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش، ولو شاء أن يبتلع السموات والأرضين السبع في لقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه في صف واحد، وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا ان بينه وبين الملائكة ستراً من نور احترق أهل السموات من نوره، فهذه الأقاويل لا تكون إلا نقلاً وسماعاً بلغهم عن رسول الله ﷺ في ذلك، وإذا كان الروح المسؤول عنه شيئاً من ذلك فهو غير الروح الذي في الجسد فعلى هذا يسوغ القول في هذا الروح، ولا يكون الكلام فيه ممنوعاً. وقال بعضهم: الروح لطيفة من الله تسري إلى أماكن معروفة لا يعبر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من «كن» لأنه لو خرج من «كن» كان عليه الذل قيل: فمن أي شيء خرج؟ قال: من بين جلاله وجماله سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة خصها بسلامه وحياها بكلامه، فهي معتقة من ذل «كن». وسئل أبو سعيد الخراز عن الروح أمخلوقة هي؟ قال: نعم ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالوا: بلى. والروح هي التي قام بها البدن واستحق اسم الحياة بالروح ثبت العقل بالروح الحجة، ولو لم تكن الروح كان العقل معطلاً لا حجة عليه ولا له، وقيل: إنها جوهر مخلوق ولكنها ألطف المخلوقات وأصفى الجواهر وأبهرها، وبها ترى المغيبات وبها يكون الكشف لأصل الحقائق، وإذا حجبت الروح عن مراعاة السر أساءت الجوارح الأدب، ولذلك صارت الروح بين تجل واستتار وقابض ونازع، وقيل: الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء، وقيل: الروح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة تتحدث في السماء من أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنان، وإلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام الحياة.

وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال: أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الله إلى أجسادها، وقيل: إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا وكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء، حتى إذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من الذنوب كان عذر الله ظاهراً عند الأمو ت، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى.

وقد ورد مرفوعاً تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله عز وجل وتعرض على الأنبياء والآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم».

وفي خبر آخر «إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان حسناً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم جئت تهديهم كما هديتنا». وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان في الجسد وليست بمعان واعراض. وقال بعضهم: الروح خلق من نور العزة وإبليس خلق من نار العزة، ولهذا قال ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف: ١٢] ولم يدر أن النور خير من النار. وقال بعضهم: قرن الله العلم بالروح فهي للطافتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء، وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك، والمختار عند أكثر متكلمي الإسلام أن الإنسانية والحيوانية عرضان خلقا في الإنسان والموت يهدمهما وأن الروح هي الحياة بعينها صار البدن بوجودها حياً وبالاعادة إليه في القيامة يصير حياً. وذهب بعضهم إلى أنه جسم لطيف اشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر وهو اختيار أبي المعالي الجويني وكثير منهم مال إلى أنه عرض إلا أنه ردهم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث وصف بأوصاف دل على أنه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى، والمعنى لا يقوم بالمعنى، وأصر بعضهم على أنه عرض.

سئل ابن عباس قيل له: أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان؟ فقال: أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان؟ قيل له: فأين تذهب الأجسام إذا بليت؟ قال: أين يذهب لحمها إذا مرضت؟ وقال بعض من يتهم بالعلوم المردودة المفهومة المذمومة وينسب إلى الإسلام: الروح تنفصل عن البدن في جسم لطيف، وقال بعضهم: إنها إذا فارقت البدن تحل معها القوّة الوهمية بتوسط النطقية، فتكون حينئذ مطالعة للمعاني المحسوسات لأن تجرده من هيئات البدن عند المفارقة غير ممكن، وهي عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متخيلة نفسها مقبورة وتتصوّر جميع ما كانت تعتقده حال الحياة وتحس بالثواب والعقاب في القبر. وقال بعضهم: أسلم المقالات أن يقال الروح شيء مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحيي البدن ما دام متصلاً بها وأنه أشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما أن الجسد بمفارقته يذوق الموت، فإن الكيفية والماهية يتعاشى العقل فيهما كما يتعاشى البصر في شعاع الشمس، ولما رأى المتكلمون أنه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض، فالروح أيهم من هؤلاء؟ فاختار قوم منهم أنه جسم لطيف كما ذكرنا،

اللفظ الثالث: النفس وهو أيضاً مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان.

أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوّة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوّف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون: لا بدّ من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك».

المعنى الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس

واختار قوم إنه قديم لأنه أمر والأمر كلام الله والكلام قديم، فما أحسن الإمساك عن القول فيما هذا سبيله، وكلام الشيخ أبي طالب المكي في كتابه يدل على أنه يميل إلى أن الأرواح أعيان في الجسد وهكذا في النفوس، والله أعلم.

(اللفظ الثالث: النفس وهو أيضاً مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان).

(أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي بيانه، وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفيه فهم يريدون بالنفس) حيث أطلقوا **(الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بدَّ)** للسالك **(من مجاهدة النفس وكسرها)** أي كسر حدتها حتى تزول عنها تلك الصفات، **(وإليه الاشارة بقوله ﷺ «أعدى عدوّك)** أي أكثرهم عداوة لك **(نفسك التي بين جنبيك»)** قال العراقي: رواه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين اهـ.

قلت: عرف أبوه بغرار أبو نوح.

وقال الدارقطني: محمد هذا يضع الحديث، وقال ابن عدي: هو ممن يتهم بالوضع اهـ.

وأما أبوه فمن خرج له البخاري ووثقه جماعة من الائمة والحفاظ ولم أر فيه جرحاً. ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: وللحديث طرق أخرى غير هذه من حديث أنس وغيره، وقد روى الديلمي من حديث ابن مالك الأشعري مرفوعاً «اعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك وما ملكت يمينك».

(المعنى الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته) قال ابن الكمال في رسالة في النفس ان المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله «أنا» وقد اختلف أهل العلم في أن المشار إليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره، أما الأول فقد ظن أكثر الناس وكثير من المتكلمين أن الإنسان هو هذا البدن وكل أحد، فإنما يشير إليه بقوله: «أنا» وهذا باطل والقائلون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا فمنهم من قال انه جسم، ومنهم من قال إنه جسماني، ومنهم من قال جوهر روحاني وهو مذهب الحكماء الإلهيين،

الإنسان وذاته. ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها. فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة: قال الله تعالى في مثلها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] والنفس بالمعنى الأوّل لا يتصوّر رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها

ووافقتهم في ذلك جماعة من أرباب المكاشفة، ثم ذكر لصحة مذهبهم دلائل وبراهين لم أطوّل بذكرها. وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير: إنهم قالوا لا يجوز أن يكون الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس لأن أجزاءه أبداً في المحو والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان، ولا شك أن الإنسان من حيث هو هو أمر باق من أول عمره إلى آخره وغير الباقي، فالمشار إليه عند كل أحد بقوله: أنا وجب أن يكون مغايراً لهذا الهكيل، ثم أطال الكلام في ذكر ما يشير إليه كل أحد بقوله «أنا» واختلاف الأقوال فيه بما لم نطول بذكره.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسن اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسببه معارضة الشهوات سميت)** هذه **(النفس لمطمئنة)** ومنهم من قال في وصفها: إنما هي تنورت بنور القلوب حتى إذا انخلعت عن صفاتها لذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة ورفعت حجب الكثائف الخلقية حتى شهدت اللطائف الخفية وعرفت سريان أسرار الربوبية في مظاهر أطوار العبودية فرجعت في كل حال إلى الله وتلقت كل واقعة من الله، ورأت آيات الانفس والآفاق من الله، فهي راضية في كل مشهد بالله مرضية في كل حضرة لله. **(قال الله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾)** وصاحب هذه هو عارف الوقت المحفوظ بالمحو من السلب وبالقبول من المقت قد أخمد ببرد الرضا حرارة الانتقام وبلوعة الشوق نقاقر المهانة والأحجام، وبمحض التسليم أمن من قواطع القرب وبسلامة الذوق فارق الملل من الشرب، **(والنفس بالمعنى الأوّل)** الذي هو الجامع لقوّة الغضب والشهوة من الإنسان تسمى المستكبرة، وهي أصعب النفوس المتلوّنة قياداً وأبعدها حضوراً وأعظمها عناداً وأشدها نفوراً تصول صولة أهل الدولة والرياش وتتهافت على الرذائل تهافت الفراش، وتقول بلسان الدعاوي: أنا الشمس والقمر فإذا بدا ما فيها من المساويء عسعس الغيهب واعتكر.

(لا يتصوّر رجوعها إلى الله فإنها مبعدة من) حضرة **(الله وهي من حزب الشيطان)** إلا أن صاحبها إذا لوحظ بعين الإمداد وجذبته العناية بأزمة السداد أهزل من أنفتها ما كان سميناً وحقر من افتخارها ما كان ثميناً وأفردها من الرياضة في جبل صعب المسالك بعيد الذرى والمدارك ليس لعشاق الرئاسة له من سبيل ولا للهمم الدنية عليه تعويل، **(وإذا لم يتم سكونها)**

سميت النفس اللوّامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه. قال الله تعالى: ﴿ ولاأقسم بالنفس اللوّامة ﴾[القيامة : ٢] وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء. قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز ﴿ وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء ﴾ [يوسف : ٥٣] وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذا النفس بالمعنى

تحت الأمر **(ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوّامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها)** فهي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبهت من سنة الغفلة كلما صدرت منها سيئة بحكم جباتها الظلمانية نفتها بلوم وتتوب عنها، لا يزال شأنها الملل في كل علم وعمل كلما حصلت على مطلوب نشأ لها حظ وأمل، فهي أبداً في شكاية ووجل وكآبة أنشأتها الرغبة في الفائت والضجر مما حصل. **(قال تعالى) : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة ﴾** وصاحب هذه إن وقف بالذل والخضوع على باب مولاه فتح له وآواه وأحضره حضرة مناجاته أو منحه رؤياه وأجلسه على موائد مدده وهداه وأورده مشاهد رضاه في تقواه، **(وإن تركت الاعتراض وأذعنت)** ومالت إلى الطبيعة البدنية **(وأطاعت لمقتضى الشهوات)** الحسية **(ودواعي الشيطان)** وجذبت القلب إلى الجهة السفلية **(سميت النفس الأمارة بالسوء)** لانفعالها بالخواطر المارة هي سقط رأس القرينين، ومجمع لجيوش الوصل والبين أن تغلب عليها القرين الجاني وهو القوى الشهواني غرس فيها من رذائل الاخلاق أشجار الزقوم وأجرى منها من نقائص الأعمال بحار اليحموم، وألبسها من المجانسة الخلقية تارة جلد كلب، وتارة جلد حمار، وبنى قصر تقصيرها على شفاجرف هار وإن تبوأها القرين الروحاني وهو نور البيان الإنساني أرغد غداء قلبها من طيب ثمر المعاني، وروق شراب أعضائها من العمل الرضواني، وألبسها من تسبيح الفضائل الخلقية حللاً سندسية واستبرقية وجعلها حرماً آمناً لمن فزع من جهله وذنوبه تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدن علام غيوبه أشجار كلمة طيبة لا تخبط ولا تقطع، وطائر وارادته لا ينفر ولا يروع.

(قال تعالى ﴿ وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) إلاَّ ما رحم ربي ﴾ وصاحب هذه إن عم سلك في منهاج الحذر من غوائلها وتدرع باليقظة من سهام دسائسها عن أن تقع في مقاتلها كلما أحس رأى أنه مقصر، فكيف به إذا وجب عليه أن يستغفر. هكذا ذكر الله تعالى النفس في كلامه القديم بثلاثة أوصاف وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة، فالسكينة مزيد الإيمان وبها تحصل الطمأنينة ويرتقي القلب إلى مقام الروح وتتوجه النفس إلى مقام القلب وفي ذلك طمأنينتها فهي إذاً المطمئنة، وإذا انزعجت عن مقار جبلاتها متطلعة إلى مقار الطمأنينة فهي اللوّامة، فإذا قامت في محلها لا يغشاها نور المعرفة والعلم فهي الامَّارة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة تملك القلب دواعي الروح وتارة تملكه دواعي النفس. **(وقد يجوز أن يقال: المراد بالأمارة**

الأوّل مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات.

بالسوء هي النفس بالمعنى الأوّل) الذي هو الجامع لقوة الغضب والشهوة من الإنسان، **(فإذا النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات)**. ثم اعلم أن النفوس الممنوحة بالتمكين فروش العقول المجردة من غلبات التلوين وهي ست كالجهات لتصور التجليات في الحضـرات العلميات والنفوس المحجوبة بحجاب التعين الموقوفة عند النفوذ من أقطار الكيان في رحلة التلون فروش العقول النظرية بالقيود الخبرية والحدود الفكرية قد حجبت عن شهود حقائق القدس بقياس الغيوب على شواهد الحس وهي على عدد الحواس الخمس فهن إحدى عشرة نفساً، فذكر المصنف منها أربعة: المطمئنة، والمستكبرة، واللوّامة، والأمّارة. ونحن نشير إلى باقيها فنقول:

الخامسة: هي النفس الدساسة المتلونة في الأخلاق المعكوسة ولـذتها الإرضـاع مـن شيمـة الطبـاع وودادقها الأكياف والأشكال ودستها في مرتبة الوهم والخيال، وإليها الإشارة بقوله تعالى ﴿وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ١٠] وصاحبها لا حياة له إلا برضاع ثدي الذكر والاعتزال والفطام عن خلط أهل المراء وخبط أهل الجدال حتى يعود إليها روح الفطرة وتذهب عنها فترة الغمرة.

السادسة: هي النفس المشتراة من الملكية البشرية الممنوحة بالمكنة من المملكة السرية جاهدت فغنمت وشاهدت فنعمت وقتلت بصفاء الزهد شيطانها وقبلت بوفاء العهد سلطانها، وإليهـا الإشـارة بقوله تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ وصاحب هذه إمام وصل الفتح لواحق سيادته بسوابق إرادته وقطع العزم علائقه الحسية في حقائق الجهال فأكمل لذاته وأتاه مدد السمع والبصر ولروح بانجاز عداته.

السابعة: النفس السوّالة الدساسة القتالة تزخرف المهالك الفواتك بحلاء الفضائل والمناسك، وإليها الإشارة في قصة السامري فإنها فعلت به الذي فعلت وسقته السم في العسل وهي مستدرجة بعلوم النظر محجوبة عن المؤثر بالاثر محبوسة السمع والبصر في سجن القياس والفكر لا دواء لأمراضها إلا إذلالها بين معظمها في البرايا وتنقيصها، وإن أتت بكل المزايا وشج رأس رئاستها بالذل والخمول وملّ مواسك افكها بالرد وعدم القبول.

الثامنة: النفس الزاكية قد أشرقت شمس حقيقتها الفعلية فقد أنور فاعلها ضحاها وتلألأ قمر قبولها الفطري، فتمت كلمتها بظهور معناها وهجم نهار توحيدها على ظلم صور الأسباب فجلاّها، وسكنت إلى الله بخمود حركات الحظوظ فلم تزل آمنات الإيجاد بمحو المنازعة تغشاها، وإليها الإشارة بقوله ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] وصاحب هذه ملهم البصيرة طاهر

الظاهرة والسريرة رفع عنه المصوّر حجاب الصور، فشهد الله في كل مشهد مولاه ونصيره قد أنعم بالتوفيق والسكينة خشونة الطباع والأخلاق، وامتزج مزاجه بنفحات الرحمة فطابت بأنفاس معارفه وعوارفه جميع الآفاق.

التاسعة: النفس الذاكرة بلسان شهود المسمى في معرفة أسمائه الشريفة وإليها الإشارة بقوله: ﴿واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة﴾ [الأعراف: ٢٠٥] قد حررت نيران خوفها ورجاها وجاوزت الاطراف ففازت من الوسطية بمنتهى شهدت معناها فرأت بلوغ مناها وعلمت أن لا حول ولا قوة إلا بمولاها فخرجت عن تخيل حيلها وقواها، وخشعت الأصوات لواهيها، فسمعت كلام مناجيها وحميت من هواها كما حميت من مهاويها فنشقت أنفاس الرحمة من جميع نواحيها، وصاحب هذه هو الذاكر على الحقيقة والعيان المحفوظ من الغفلة والنسيان الموهوب أفضل ما يعطى السائلون من الأماني والأمان ظاهره بالجلال في الشرع مضبوط وباطنه بالجمال في الجمع مبسوط. ثبت أصل شجرته وطال فرع سدرته، كلما هزت فكرته بيد الرياضة جذع عبرته تساقط عليه من روض الرضا جنى ثمرته واستغرقته لذة ذوقة عن زهارة زهر خضرته، ولم يدع له استقبال قبلة القبول أرباً دون محبوبه يرتضيه ولا طلباً غيره يفرح بتقاضيه تلاصق توجهه التوحيدي في كل مقام بلسان الدهش والاصطلام. تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام.

العاشرة: هي النفس المملوكة بأصل الوضع ذات المكنة في عوالم السمع هي التي اصطنعت في النفس العلمية وصنعت على عينها الحكمية تولدت على قوى التلقي والإلهام على صورة ما تجلى به عليها ذو الجلال والإكرام، فلما شبت على صورة الأصل قيل لقوّامها من خلف حجاب الوصل؟ لا تخف نجوت من الفصل ولما دعيت لكشف القناع في حضرة السماع قدس من خشاش الشواغل واديها وخلع مرام صدقها نفعل الكيف والدين عند طرق ناديها تنزيهاً واجلالاً لمقعد صدق مناديها وسترت ببرقع الصعد والدك خفي وجوه الغيرية وباديها، فقال لها: قد بلغت المنى إني أنا، وقيل لصاحبها إني اصطفيتك فخذ ما آتيتك حين جاهد في الله حق جهاده بخروجه لمراد الله عن مراده وأناله الله منالاً فوق الأمل وأقامه مقاماً لا يبلغ بالعمل وإليها الإشارة بقوله: رب إني لا املك إلا نفسي صاحبها كل أيامه طيب وطرب وسائر لياليه قرب وقرب، وجميع أحواله دنو وأدب في عجزه معروف بالقوة الباهرة، وفي فقرة موصوف باسباغ النعم الباطنية والظاهرة.

الحادية عشر: النفس العلمية أم حضرة الكمالات وكتاب التفصيل والإجمالات صحيفة المعاني اللاهوتية المحمولة على عرش الكلمات الناسوتية هي التي تعرف جلابيب النسب والإضافات وألبست خلع أستار الصفات العليات، وكشف دونها حجاب حضرة الذات فتحجبت بنور عز الوحدة عن غواشي أعين الشتات، وصاحب هذه في كل زمان واحد الأعيان وروح الأكوان ومسير البيان عن علم الرحمن.

اللفظ الرابع: العقل وهو أيضاً مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان.

أحدهما: أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب.

والثاني: أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب. أعني تلك اللطيفة، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه، والعلم صفة حالة فيه، والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك. أعني المدرك وهو المراد بقوله ﷺ: «أوّل ما خلق الله العقل» فإن العلم عرض لا يتصوّر أن يكون أوّل مخلوق بل لا بدّ وأن يكون المحل مخلوقاً قبله أو معه، لأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له تعالى: أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر... الحديث.

(**اللفظ الرابع: العقل وهو أيضاً مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها**) أي من جملة تلك المعاني المذكورة (**معنيان**).

(**أحدهما: أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب**) وقد ورد في أخبار داود أنه سأل ابنه سليمان عليهما السلام: أين موضع العقل منك؟ قال: القلب لأنه قالب الروح والروح قالب الحياة.

(**والثاني: أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب**) لأنه كذلك، و (**أعني**) بالقلب هنا (**تلك اللطيفة**) لا المضغة. (**ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه، والعلم صفة حالة فيه، والصفة غير الموصوف، والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك وهو المراد بقوله ﷺ «أوّل ما خلق الله العقل**) رواه داود بن المجد في كتاب العقل عن صالح المري عن الحسن مرسلاً مرفوعاً، وابن المجد كذاب وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم، (**فإن العلم عرض لا يتصوّر أن يكون أوّل مخلوق بل لا بدَّ أن يكون المحل مخلوقاً قبله أو معه، ولأنه لا يمكن الخطاب معه**) ولذا قال الحافظ ابن حجر: الوارد في أوّل ما خلق الله حديث أوّل ما خلق الله القلم وهو أثبت من حديث العقل. (**وفي الخبر أنه قال له: «أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر» الحديث**) أخرجه عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد عن علي بن مسلم، عن يسار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا مالك بن دينار، عن الحسن البصري مرفوعاً مرسلاً لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر. قال «ما خلقت

فإذاً قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم، فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها. فالمعانى خمسة والألفاظ أربعة. وكل لفظ أطلق لمعنيين. وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها، فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح، وهذا خاطر القلب، وهذا خاطر النفس، وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامي وحيث ورد في القرآن والسنّة لفظ القلب، فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء، وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأوّل بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها.

خلقاً أحب إليَّ منك بك آخذ وبك أعطي» ويسار بن حاتم ضعفه غير واحد، وقال القواريري: إنه لم يكن له عقل وقد تقدم الكلام فيه في كتاب العلم مفصلاً.

(فإذاً قد انكشف لك أن معاني هذه الأسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم. وهذه أربعة معان تطلق عليها الألفاظ الأربعة) النفس والروح والقلب والعقل، **(وكل لفظ أطلق لمعنيين)** على ما ذكر آنفاً **(وأكثر العلماء قد التبس عليه اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل، وهذا خاطر الروح، وهذا خاطر النفس، وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء)** والأصل خاطران: ملكي وشيطاني فمن الملكي خاطر الروح والعقل والقلب، ومن الشيطاني خاطر النفس. وخاطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال، وسيأتي الكلام على ذلك في محله إن إن شاء الله تعالى. **(فلأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامي)** ليكون المطالع لكلامنا على بصيرة ولا يخلط اصطلاحاً باصطلاح، **(وحيث ورد في القرآن والسنّة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي)** هو **(في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب)** الذي هو عبارة عن المضغة **(علاقة خاصة)** كما تقدم، **(فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب)** ثم بسائر البدن، **(وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها)**. قال صاحب العوارف، بعد كلام طويل ساقه في تكوّن القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكوّن الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق ما نصه: والعقل جوهر

ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال: القلب هو العرش والصدر هو الكرسي، ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكته، والمجرى الأوّل لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى، ولا يستقيم هذه التشبيه أيضاً إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضاً لا يليق بغرضنا فلنجاوزه.

الروح العلوي ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب المؤيد والنفس الزاكية تدبير الوالد البار والزوجة الصالحة، وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الامارة تدبير الوالد للولد العاق والزوجة السيئة فمنكر من وجه ومنجذب إلى تدبيرهما من وجه إذ لا بدَّ له منهما وقول القائلين واختلافهم في محل العقل، فمن قائل أن محله الدماغ، ومن قائل أن محله القلب كلام الغائبين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه إلى البار تارة، وإلى العاق تارة أخرى، والقلب والدماغ نسبة إلى البار والعاق فإذا رأى تدبير العاق قيل مسكنه في الدماغ، وإذا رأى له تدبير البار قيل مسكنه القلب، ثم أطال في ذلك بما يأتي بعضه في محله.

(ولذلك شبه) أبو محمد **(سهل)** بن عبد الله **(التستري)** رحمه الله تعالى: **(القلب بالعرش والصدر بالكرسي، فقال: القلب هو العرش والصدر هو الكرسي)** فيما نقله عنه صاحب القوت وكذا قال غيره: الروح ثلاثة أجزاء سلطانية وروحانية وجسمانية، فموضع السلطان في القلب، وموضع الروحانية في الصدر، وموضع الجسمانية بين الدم واللحم، وقيل: بين العظام والروح. **(ولا تظن به أنه يرى أنه عرش الله)** المعهود **(وكرسيه)** المشهود، **(فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكته)**ومحل سلطنته، **(والمجرى الأوّل لتدبيره وتصرفه)** ثم منه ينصرف إلى سائر أجزاء البدن، **(فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى، ولا يستقيم هذا التشبيه أيضاً إلاَّ من بعض الوجوه)** ويقرب من ذلك قول من قال منهم القلب عرش الله الأعظم، **(وشرح ذلك أيضاً لا يليق بغرضنا)** إذ هو عالم الملكوت **(فلنتجاوزه)** إلى غيره.

تنبيه:

وجد في كلام القوم السرّ فمنهم من جعله بعد القلب وقبل الروح، ومنهم من جعله بعد الروح، وأعلى منه وألطف وقالوا: هو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة، ولم يقع لهذا اللفظ ذكر في كتاب الله ولا في السنّة إلا في حديث موضوع لا أصل له بلفظ: وفي القلب فؤاد، وفي الفؤاد ضمير، وفي الضمير سر، وفي السر أنا. وإنما المذكور في كلام الله الروح والنفس والقلب والفؤاد والعقل. قال صاحب العوارف الذي سموه سراً ليس بشيء مستقل بنفسه له وجود كالروح والنفس، وإنما لما صفت النفس وتزكت انطلقت الروح من وثاق ظلمة النفس

بيان جنود القلب:

قال الله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [المدثر: ٣١] فلله سبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو، ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان: جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر، وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان، فهذا معنى الجند. فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها، وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم، وكذا سائر الأعضاء وتسخير

وأخذت في العروج إلى إدراك القلب وانتزاع القلب عند ذلك من مستقرة متطلعاً إلى الروح، فاكتسب وصفاً زائداً على وصفه فانعجم على الواجدين ذلك الوصف، حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سراً، والذين زعموا أنه ألطف من الروح روح متصفة بوصفه أخص مما عهدوه والذين سموه قبل الروح سراً هو قلب اتصف بوصف غير ما عهدوه.

بيان جنود القلب:

(**قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**) قال قتادة: من كثرتهم. أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وعن ابن جرير مثله. أخرجه ابن المنذر، وفي حديث أبي سعيد الخدري صاحب سماء الدنيا ملك اسمه إسماعيل وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم جنده مائة ألف، وتلا هذه الآية. أخرجه الطبراني في الأوسط. (**فلله سبحانه وتعالى في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم**) الملكوتية (**جنود مجندة**) أي كثيرة مجتمعة (**لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو**) جل جلاله. (**ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا**) في الكتاب، (**وله**) أي للقلب (**جندان: جند يرى بالأبصار، وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو**) أي القلب (**في حكم الملك**) المتصرف في رعايته، (**والجنود في حكم الخدم والأعوان**) والاتباع. (**وهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها**) لأنها بمنزلة الرعية له، (**وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً**) وعصياناً، (**فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم**) كل ذلك بسرعة، (**وكذا سائر الأعضاء وتسخر الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه**

الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى، فإنهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافاً بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب، وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل في لقائه فلأجله خلقت القلوب. قال الله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] وإنما مركبه البدن وزاده العلم، وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزوّد منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا، فإن المنزل الأدنى لا بدّ من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى، فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين فاضطر إلى أن يتزوّد من هذا

تسخر الملائكة لله تعالى فإنهم جبلوا على الطاعة) والانقياد **(لا يستطيعون له خلافاً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)** به كما هو معلوم من شأنهم، **(وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها القلب، وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره)** واحتياجه **(إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله تعالى وقطع المنازل إلى لقائه)** ومشاهدته، **(فلأجله خلقت القلوب قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والأنس إلاّ ليعبدون﴾)** والمراد بالعبادة هنا المعرفة ولا تتم المعرفة إلاّ بالسفر إلى الله، **(وإنما مركبه البدن وإنما زاده)** الذي يتزوّده من دنياه **(العلم)** النافع، **(وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزوّد منه العمل الصالح)** فالعمل الصالح، وإن كان فرعاً للعلم النافع في الحقيقة لكنه صار بمنزلة الأصل في استقرار العلم به كما قيل: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، ونقل صاحب الذريعة عن علي رضي الله عنه قال: الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر، وبطن أمه مبدؤ سفره والآخرة مقصده، وزمان حياته مقدار مسافته، وسنوه منازله وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطاه يسار به سير السفينة براكبها. كما قال الشاعر:

رأيت أخا الدنيا وإن كان حاضراً أخا سفر يسري به وهو لا يدري

(وليس يمكن أن يصل العبد إلى الله تعالى ما لم يسكن البدن) ويتزود من العلم والعمل، **(ولا)** يصل ما **(لم يجاوز الدنيا)** بسفره منها، **(فإن المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى والدنيا مزرعة الآخرة)** قد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. **(وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت دنيا)** وهي تأنيث الأدنى **(لأنها أدنى المنزلتين)** من الدنو

العالم، فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه، وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره، وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين: باطن وهو الشهوة، وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء. وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب. وكل ذلك بأمور، فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه، فافتقر للمعرفة إلى جندين: باطن وهو إدرك السمع والبصر والشم واللمس والذوق، وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة. وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به.

بمعنى القرب، وأقصى المنزلتين وهي الآخرة ومنهم من جعله تأنيث الأدنأ بالهمز من الدناءة وهي الخساسة، **(فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه، وإنما يتحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره)** كالشرب واللبس والنسيم، **(وبأن يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من أسباب الهلاك)** من الجوع المفرط والعطش المفرط وتخفيف اللباس في الشتاء وشم الروائح الكريهة واستعمال ما يضر من المسكرات والسموم وغير ذلك، **(فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة)** وهي الإرادة النفسية، **(وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه)** من قبول الأغذية، **(وخلقت الأعضاء التي به آلات الشهوة وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين: باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء)** واصله من ثوران دم القلب تنبعث منه الحرارة فتنتشر في الأعضاء فيكون سبباً لحماية عرضه وانتقامه. **(وظاهر وهو اليد والرجل الذي يعمل)** من الحركات **(بمقتضى الغضب، وكمل ذلك بأمور خارجة عن البدن كالأسلحة وغيرها)** تقوية لها، **(ثم المحتاج إلى الغذاء إذا لم يعرف الغذاء لا تنفعه شهوة الغذاء وآلته، فافتقر للمعرفة إلى جندين: باطن وهو إدراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس، وظاهر: وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره)** لكثرة الكلام فيه وفي متعلقاته، **(ولا تحويه مجلدات كثيرة. وقد أشرنا إلى طرف يسير منه في كتاب الشكر)** كما سيأتي **(فليقنع به)**.

فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف: صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب، وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة. والثاني: هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار، والثالث:

(فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة أصناف).

الأول: (صنف باعث) ومحرك **(ومستحث إما إلى جلب الموافق النافع كالشهوة وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة)** إذ هي القوة المركبة من الشهوة والحاجة والأمل.

(و) الصنف (الثاني: هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد) من جلب نافع أو دفع ضار **(ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة)** إذ هي إظهار الشيء من غير سبب ظاهر، **(وهي جنود مبثوثة)** أي منتشرة **(في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار)** أما الأوتار جمع وتر محركة وهو عضو عصباني ينبت من طرق العضل فيلاقي الأعضاء المتحركة وهو مؤلف في الأكثر من العصب النافذ في العضلة البارز منها في الجهة الأخرى، ومن الرباط الذي هو عضو عصباني المرائي والملمس من جهة البياض واللزونة، وقد تتألف من أوتار عضلات كثيرة موضوعة على الساق كوتر العنق. وأما العضلات محركة عضلة كقصبة وقصبات فهو اسم لجملة العصب والرباط إذا استدقت وتشظت شظايا دقاقاً وحشى الخلل الواقع بينها لحماً وغشي غشاء ومنفعة العضل أن الإنسان إذا أراد أن يصرف عضواً من آخر حرك فتشنجت وزاد في عرضها ونقص من طولها، وإذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص من عرضها فحصل المقصود، والعضل الذي يحرك عضواً كبيراً كالعضل الذي في الفخذ المحرك وينبت منه إما وتر، وإما أوتار متصل بالعضو الذي يحركه، وربما تعاونت عدة عضلات على تحريك عضو واحد والذي يحرك عضواً صغيراً يكون صغيراً كالعضلات المحركة للأجفان العليا، فإنها صغار جداً وليس لها أوتار، وكل عضو يتحرك حركة إرادية فإنه له عضلة بها تكون حركته فإن كان يتحرك إلى جهات مضادة كانت له عضلات متضادة الوضع يجذبه كل منها إلى ناحيتها عند كون تلك الحركة ويمسك المضادة لها عن فعلها، وإن اعملت المتضادتان في الوضع في وقت واحد انشق العضو أو تمدد وقام مستقيماً لا يتحرك. مثال ذلك أن الكف إذا مدها العضل الموضوع في باطن الساعد انثنى، وإن مده العضل الموضوع في ظهره انحنى وانقلب إلى خلف، وإن مداها جميعاً استوى وقام بينهما، وجملة ما للبدن من الحركات الإرادية حركة جلدة الجبهة، وحركة العينين والخدين وطرفي الأنفين والشفتين واللسان، وحركة الحنجرة والفك، وحركة الرأس والعنق، وحركة الكتف وحركة مفصل العضد مع الساعد، وحركة مفصل الساعد مع الرسغ، وحركة الاصابع. وكل واحد من مفاصلها وحركة الأعضاء التي في الحلق، وحركة الصدر للتنفس،

هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة يعبر عن هذا بالعلم والإدراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود ، فإن قوة البطش إنما هي بالأصابع ، وقوّة البصر

وحركة القضيب، وحركة المثانة في منعها خروج البول، وحركة المعاء المستقيم في منعها خروج الثفل، وحركة مراق البطن، وحركة مفصل الورك والفخذ، وحركة مفصل الفخذ والساق، وحركة مفصل الساق والقدم، وجملة ما ذكر جالينوس من عضلات البدن خمسمائة وتسع وعشرون أو سبع وعشرون عضلة منها: تسع للوجه، وأربع وعشرون للعينين، واثنتا عشرة لتحريك الفك الأسفل، وثلاث وعشرون لتحريك الرأس والعنق، واثنتان وثلاثون لحركة الحلق والحنجرة، وتسع لتحريك اللسان، وأربع عشرة للكتفين، وست وعشرون للعضدين، وثمان لعضل المرفقين، وأربع وثلاثون للساعدين، وست وثلاثون في الكتفين، ومائة وسبع لحركة الصدر، وثمان وأربعون لتحريك الصلب، وثمان موضوعة على البطن أربع للانثيين وواحدة لعنق المثانة، وأربع يحرك الذكر، وأربع يحيط بالدبر، وست وعشرون لعضل الورك. وقيل: أربع وعشرون لمفصل الركبتين وحركة الساق، وثمان وعشرون لحركة القدم، وبعض حركات الأصابع. وثمان وخمسون أو ثنتان وخمسون موضوعة في القدم، ولبيان ذلك تفصيلاً تطويل لا يسعه هذا الموضع، وإنما أشرنا بجمل منها لئلا يخلو الكتاب منه.

(**والثالث: هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس**) جمع جاسوس وهو الذي يتجسس الأخبار ويستخبر عنها (**وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق وغيرها**) كاللمس، (**وهي مبثوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك**) أما العلم فمعروف، وأما الإدراك فهو إحاطة الشيء بكامله وهذا هو الإدراك الكامل، وقد يكون ناقصاً إذا لم يكن كذلك، ولكل من هذه القوى إدراكات مخصوصة يأتي إن شاء الله ذكرها، (**ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود**) أما اللحم فهو حشو خلل الأعضاء وقوتها التي يندعم بها، وهذا الحد تندرج فيه أنواع اللحم.

أحدها: اللحم الذي في العضل وهو أكثر ما في البدن.

الثاني: اللحم المفرد وهو لحم الفخذين ولحم ظاهر الصلب وباطنه ولحم الأسنان وإنما احتيج إليه ليقوي أصول الأسنان ويمنع من التزعزع، وهذا هو المسمى باللحم على الإطلاق.

والثالث: اللحم الفردي كلحم الأسنان ولحم الثدي ولحم الندة التي تحت اللسان وغير ذلك.

والرابع: السمين وهو ما يعلو على اللحم الأحمر، ولأنواع اللحم مطلقاً منافع مذكورة في محالها.

إنما هي بالعين. وكذا سائر القوى. ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها. وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة: وهي

وأما الشحم فهو جسم أبيض لين في الغاية أكثر لينا من السمين مثل الإلية في ذوات الأربع.

وأما العصب: فهو عضو أبيض لين الانعطاف صلب الانفصال منبته الدماغ أو النخاع وفائدته أن يتم به للأعضاء الحس والحركة.

وأما الدم: فهو رزق البدن الأقرب إليه المحوط فيه.

وأما العظم: فهو عضو مفرد وهو الذي أي جزء محسوس أخذت منه كان مشاركاً للكل في الطبع والمزاج، ولذلك يسمى متشابه الأعضاء وقد خلق صلباً لأنه أساس البدن ودعامة الحركات.

(فإن قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى، ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء من عالم الملك والشهادة) وهي ظاهرة لكل متأمل، **(وإنما نتكلم الآن فيما أيد به)** القلب **(من جنود لم تروها)** وهي الباطنة **(وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس)** وتحقيق هذا المقام يستدعي إلى بسط كلام حاصله: إن منفعة الأعصاب منها ما هي بالذات، ومنها ما هي بالعرض، والذي بالذات إفادة لدماغ بتوسطها لسائر الأعضاء حساً وحركة، والذي بالعرض فمن ذلك تشديد اللحم وتقوية البدن والأعصاب مبدؤها الدماغ والنخاع، فإن الدماغ لما لم يحتمل أن يكون منبتاً لجميع أعصاب الحس والحركة إن لو نبت الجميع منه وهو مخلوق على مقداره إلا أن يبقى منها ما يبقى صغيراً لا يليق بنوع الإنسان ولو خلق كبيراً ليبقى بعد خروج الأعصاب منه قدر طبق بالنوع للزم منه آفات مذكورة في محالها، فلذلك اقتضت الحكمة الإلهية، أن يخلق جسماً على طبيعة الدماغ متصلاً به كالنهر الكبير الجاري من ينبوع عين وهو النخاع، وهو جعله خليفة له في ذلك، وحظي بخرز الظهر والسناس كما حظي الدماغ بالقحف، وأخرجه منه الأعصاب في مقابلة عضو عضو من الأعضاء كالجداول والسواقي التي تأخذ من النهر الكبير لتصل قوة الحس والحركة من الدماغ إلى الأعضاء بتوسط الأعصاب والنخاعية، فمبدأ الأعصاب هو النخاع ثم أنه يصلب كلما بعد حتى يصير عصباً تام النوع، وجميع الأعصاب الدماغية والنخاعية أزواج فرد من كل نبت من اليمين، وآخر من اليسار سوى عصب واحد فإنه فرد لا زوج له، وهو آخر النخاعيات، فما نبت من الدماغ نفسه سبعة أزواج بها حس الحواس الخمسة، وحس بعض الأعضاء كما سيأتي بيانه، وإن كان حس اللمس منها عاماً في جميع الجسد واللحم، وإنما جعل هذه الأعصاب مبدأ الحواس الخمس دون النخاعيات لأنها يجب أن تكون ألين من النخاعيات لدرك الحواس أسرع، وتؤدي ما

تدرك إلى القوى الباطنة كذلك وكان لينها مناسباً للين الدماغ بخلاف النخاعيات فإنها لما كان الاعتماد في الحركات إليها احتاجت إلى فضل صلابة لا يناسب ما ذكرنا، وأيضاً لما كانت الحواس في الرأس كان المناسب أن تكون الأعصاب الدماغية مبدأ لها لئلا تبعد المسافة بين المبدأ والمقصود فيلزم ما مرت الإشارة إليه من الآفات.

الزوج الأول من الأزواج السبعة الدماغية عصبتان مجوفتان منشأهما من زائدي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي اللتين تصيران إلى المنخرين، وبهما تكون حاسة الشم، وقد فارقتا لين الدماغ قليلاً، ولم تلحقهما صلابة العصب، وأخذ كل منهما أي من العصبتين إلى خلاف جهة منشأه فإذا بعدتا من منشأهما قليلاً اتصلتا وأفضى ثقب كل منهما إلى الأخرى، ويسمى ذلك مجمع النور، وإنما جمعا ههنا لئلا يرى الشيء الواحد شيئين، ولتكون للزوج السائلة إلى الحدقتين غير محجوبة من السيلان إلى الآخر إذا عرضت له آفة، ولذلك يصير كل واحدة من الحدقتين أقوى إبصاراً إذا غمضت الأخرى، وأصفى منها لو لحظت، والأخرى لا تلحظ ولكن يستدعي كل عصبة بالأخرى ويستند إليها ويصير كأنها نبتت من قرب الحدقة ثم يفترقان، وهما بعد داخل القحف فيصير شكلها هكذا + ثم يخرجان من القحف، وذكر جالينوس أنهما إذا التقتا في موضع التقاطع الصليبي انطعف النابت يميناً إلى الحدقة اليمنى، والنابت يساراً إلى الحدقة اليسرى ثم يستدير كل منهما حول الرطوبة الزجاجية ويحتوي عليها بعد أن يصيرا عريضتين ويتسع ويغلظ شفتاهما فيوصلا إلى العينين خاصة البصر.

الزوج الثاني: منشأهما خلف الزوج الأول يتفرقان في عضل العين فيوصل إليها قوة الحركة.

الزوج الثالث: منشأهما منشأ الزوج الثاني وعند طلوعهما من القحف ينقسمان أربعة أجزاء الثالث منها يخرج من الثقب الذي في العين، ثم ينقسم ثلاثة أقسام، الثالث منها ينحدر في الوجنة، ثم ينقسم إلى قسمين الثاني منها يتفرق في طرف الأنف والشفة العليا وفي الجلدة التي على الوجه، ورابع الأجزاء المشار إليها أولاً ينحدر في اللحي الأعلى فيتفرق أكثره في طبقة اللسان ويوصل إليها حاسة الذوق.

الزوج الرابع: منشأهما منشأ الزوج الثالث: يتفرق في الطبقة المغشية لا على الحنك فيوصل إليها حساً خالصاً فقط.

الزوج الخامس: هما مضاعفان كأنهما زوجان أحدهما زوج به حس السمع ومنشأه خاصة من مقدم خلف منشأ الرابع ومدخله من ثقب المسامع، وإذا صار فيه غشاه، والثاني زوج يخرج من الثقب الذي في العظم الحجري المعروف بالأعمى ثم يختلطان بالزوج الثالث، ويتصل أكثرهما بالعضلة العريضة التي تحرك الخد من غير أن يتحرك معه اللحي.

الزوج السادس: مخرجها من الثقبين اللذين في منتهى الدرز اللامي ويخرج من كل منهما ثلاثة أعصاب أول يصير إلى أصل اللسان ليعين الزوج السابع في تحريك اللسان، والثاني ينحدر إلى

تجاويف الدماغ وهي أيضاً خمسة، فإن الإنسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال. ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ، ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض، ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات، ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ. ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرِجل عنه، فكذلك القوى أيضاً جنود باطنة وأماكنها أيضاً باطنة، فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث

الصدر فيثقب ويتفرق منها شعب تصير إلى فم المعدة وبذلك صار بين المعدة والدماغ مشاركة بسببها يحصل الغثيان عند شم الروائح الكريهة ويحس ببرد الماء بين الحاجبين إذا شرب.

الزوج السابع: منشأهما مؤخر الدماغ ثم ينقسم ويتفرق أكثره في عضل اللسان، فهذه الأزواج السبعة التي ذكرناها وهي حس الحواس الخمس منبتها في الدماغ، وأما ما ينبت من النخاع فأحد وثلاثون زوجاً وفرد، ولكل منها أعمال في أعضاء الحس لبعض الأعضاء على الفصيل الذي ذكره أهل التشريح.

(وإلى ما أسكن المنازل الباطنة وهي تجاويف الدماغ) الثلاثة على ما يجيء بيانها **(وهي أيضاً خمسة)** وأشار إلى وجه الحصر بقوله: **(فإن الإنسان بعد رؤية الشيء)** بعينه **(يغمض عينه)** الباصرة **(فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال)** وتسمى هذه القوة بالمتخيلة ومن شأنها أن تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة الحادة بحيث يشاهد معاً الحس المشترك، كلما التفت إليه فهي خزانة للحسّ المشترك ومحله البطن الأول من الدماغ، **(ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ)** وتسمى هذه بالقوة الحافظة ومن شأنها ضبط الصور المدركة وهي تأكد العقول واستحكامه في العقل، **(ثم يتفكر فيما يحفظه فيركب بعض ذلك إلى بعض)** وهذه هي القوة المتفكرة ومن شأنها إطراق العلم للمعلوم، **(ثم يتذكر ما نسيه)** ويعود إليه وهذه هي القوة المتذكرة ومن شأنها استحضار ما تقتنيه من المعرفة، **(ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات)** وهذه هي المسماة بالحس المشترك، **(ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ)** وهي المسماة بالحواس الخمسة الباطنة، **(فلولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل، فتلك القوى أيضاً جنود باطنة وأماكنها أيضاً باطنة)**.

قال الراغب في الذريعة: قد جعل الله تعالى للإنسان خمس قوى يدل على وجودها فيه ما يظهر من تأثيراتها. قوة الغذاء وبها يظهر النشوّ والتربية والولادة، وقوة الحس وبها الإحساس واللذة والألم، وقوة التخيل وبها تتصور أعيان الأشياء بعد غيبوبتها عن الحس، وقوة النزوع وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المخالف والرضا والغضب والإيثار والكراهة، وقوة التفكر وبها يكون

....

النظر والعلم والحكمة والدراية والتدبير والمهنة والرأي والمشورة. فأما القوى المدركة منها فخمس: الحواس والخيال والتفكر والعقل والحفظ. فأما الحواس فلكل واحد منها إدراك مخصوص فللمس عشر إدراكات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة، والصلابة والرخاوة والثقل والخفة، وللذوق سبع الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والعذوبة، وللشم اثنان الطيب والنتن، وللسمع اثنان الصوت الخفيف والصوت الثقيل، وللبصر إحدى عشرة النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووصفه وإبعاده وحركاته وسكناته واعداده، فأدون هذه الإدراكات اللمس، ثم الذوق ثم الشم فالنفس لا تكاد تستعين بها إلا فيما يعود نفعه إلى صلاح الجسم، وأرفع الإدراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل ثم الحس، إلا أن العقل والفكر يدركان الأشياء الروحانية، فأما السمع والبصر فمتوسطان، فإنهما يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس أكثر ويدركان الأشياء الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع والبصر فيأخذ تارة من السمع والبصر ويسلم إلى العقل والفكر، وذلك في حال اليقظة، ويأخذ تارة من العقل والفكر ويسلم إلى السمع والبصر وذلك في حال النوم. وفي شرح الشفاء للخفاجي عند ذكره الحواس الخمس الباطنة قد أنكرها قوم وأثبتها الحكماء على أنهم في إثبات أماكنها في حيص بيص اهـ ملخصاً.

قلت: وتحقيق الكلام فيه أن القوى المدركة خمس في الظاهر، وخمس في الباطن. فالخمس الظاهرة قوة البصر وموضعها عند التقاطع الصلبي بين العصبتين الآتيتين إلى العينين من شأنها إدراك الألوان والأضواء والأشكال والمقادير والحركات وقوة السمع، وموضعها العصب المفروش على الصماخ من شأنها إدراك الأصوات وقوة الشم وموضعها الزائدتان من الدماغ الشبيهتان بحلمتي الثدي من شأنها إدراك الرائحة المتصعدة مع الهواء المستنشق المتكيف بها، وقوة الذوق وموضعها العصب المفروش على اللسان من شأنها إدراك الطعوم بتكيف الرطوبة اللعابية التي في الفم وقوة اللمس وموضعها الجلد، وأكثر اللحم من شأنها إدراك الملموسات في حرها وبردها ورطوبتها ويبوستها وخشونتها وصلابتها وملاستها ولينها وخفتها وثقلها. وأما الخمس الباطنة فمنها مدركة للصور المحسوسة بالإدراك الظاهر عند حضور المحسوسات وحال غيبتها وهي الحس المشترك المدرك لما يدركه الحواس الخمس الظاهرة وموضعه مقدم البطن المقدم من الدماغ وخزانته الخيال إذ فيه، تجتمع صور المحسوسات بعد غيبتها من الحواس الظاهرة فتحفظ تلك الصور وموضعه مؤخر البطن المقدم، ومنها مدركة للمعاني الجزئية التي ليست بمحسوسة القائمة بتلك الصور المحسوسة كصداقة زيد وعداوة عمرو، وهي الوهم وموضعها البطن الأوسط وخزانته الحافظة، وموضعها البطن المؤخر ومنها متصرفة وهي القوة التي تحلل الصور وتركبها وتحلل المعاني وتركبها، فتارة تفصل الصورة عن الصورة والمعنى عن المعنى والصورة عن المعنى، وتارة تركب الصورة بها وبالمعنى وتارة تركب المعنى بها. وبالصورة وهي إن استعملت في الأمور الجزئية تسمى متخيلة، ومحل هذه القوة الدودة التي في وسط الدماغ، والدليل على اختصاص هذه القوى بهذه المواضع اختلال فعلها بخلل هذه المواضع، فإن الفعل إذا اختص بالموضع أورث الآفة في فعل القوة

المختصة بذلك الموضع هذا على رأي الفلاسفة. وأما الأطباء فإنهم لما لم يعرفوا إلاّ حدوث الآفة في التخيل والفكر والذكر بعروض الفساد للتجاويف الثلاثة ولم يثبتوا إلا هذه القوى الثلاث: فالحس المشترك والخيال عندهم واحد وموضعهما البطن المقدم من الدماغ، وكذلك المتصرفة والوهم واحد عندهم وموضعهما البطن الأوسط وموضع الحافظة عندهم البطن المؤخر، فلكل بطن من بطون الدماغ قوة واحدة عندهم كذا ذكره شراح الموجز. ونزيدك بياناً في تشريح الدماغ وما فيه من التجاويف.

فاعلم أن الدماغ جوهر رخو متخلخل أبيض اللون مركب من المخ والشريانات والأوردة وهو مجلل بالغشاء اللين الرقيق المسمى بأم الدماغ والسمحاق، والغشاء الصلب الثخين الذي يلاقي القحف وهيئته شبيهة بمثلث قاعدته من جانب مقدم الرأس وزاويته التي يحيط بها الساقان من جانب المؤخر واحد الغشاءين، وهذا اللطيف مماس لجوهر الدماغ ومخالط له في مواضع والآخر مماس للقحف، وللدماغ أيضاً في أمكنة منه وجميع الدماغ منصف في طوله من مقدمه إلى مؤخره تنصيفاً نافذاً في حجبه ومخه وبطوله وليس الدماغ مصمتاً بل له تجاويف مملوءة أرواحاً يفضي بعضها إلى بعض يسمى بطون الدماغ وهي ثلاثة. والتجويف الأول أعظم والوسطاني أصغر منه بالتدريج، والمؤخر أصغر كذلك، وهو منبت النخاع فكان النخاع ذنب الدماغ. وأما فضلات الدماغ فأكثرها يندفع في المجريين الأول عند الحد المشترك بين التجويف الأول والأوسط، والثاني عند الحد المشترك بين التجويف الأوسط والأخير، وبالدماغ يكون الحس والحركة للأعضاء. أما الحس فبواسطة العصب اللين وأما الحركة فبواسطة العصب الصلب، ولما كان أكثر الأعصاب الحسية ينبت من مقدمه والصلبة من مؤخره جعل مقدمه ألين من مؤخره ولذا جعل التخيل في مقدم الدماغ لاحتياجه إلى سرعة انطباع الأشياء فيه، ولا يتم ذلك. إلا باللين وجعل الحافظة في مؤخره لاحتياجها إلى جودة الإمساك الذي لا يتم إلا باعتدال من اليبس إذا الرطب السيال لا ثبات له، وجعل الفكرة في الوسط لاحتياجها إلى اعتدال بين الرطوبة واليبوسة والوسط كذلك.

ووجدت بخط بعض المقيدين قال وجدت بخط الحافظ ابن حجر ما لفظه: وقع في حال قراءتي مختصر ابن الحاجب الأصولي على شيخنا إمام الأئمة عز الدين بن جماعة مفخر هذا العصر في الكلام على الفكر بعد تقريره وتحريره ما أخبرنا أنه تلقنه عن شيخه العلامة جار الله أنه تلقنه عن شيخه الشارح العلامة قطب الدين بن الشيرازي، أنه أفاده في تشريح الدماغ ما مختصره جاءتني كيفية من حفظني بعد قراءتي المجلس أن في الرأس دائرة مفرطحة صورتها هكذا:

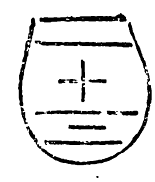

وأن الخط الأول وهو في مؤخر الرأس للحس المشترك، وأن الخط الذي يليه خط خزانة الخيال، وأن الخط الطويل الذي يليه وهو في وسط الرأس للحفظ، وأن الخط الصغير الذي يليه خزانة الوهم، وأن الخط الأخير المقصر وهو في مقدم الرأس، وأن الخط الصغير المستطيل للفكر، وأنه يسمى الدودة وإنما

يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول. ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء، ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم.

سمي بذلك لكونه ينقبض تارة وينبسط حال الفكر، وإن من أراد مداواة حفظه ينبغي له أن يحلق وسط رأسه، وإن فسد تصوره ينبغي له حلق مقدم رأسه إلى آخر كلامه المحرر في ذلك فولد لي الفكر إن نظمت فيما يتعلق بخط التصور هذين البيتين، وما عنيت أحداً وأنشدته إياهما فاستحسنها إجادة فضله، فلما كان عند انفصالي من المجلس سألني أن أكتبهما ولا أهملهما، فامتثلت أمره وعلقت هذه الأجوبة اللطيفة في هذه التذكرة، وهذان البيتان المشار إليهما أولاً:

لنا صديق دعواه غايتها ... لم يدن منها سوى معلمه
يحتاج في حال الخطاب إلى ... تحليقه الرأس من مقدمه

جعلت ذلك كناية عن فساد تصوره بناء على ما تقدم من ذلك التشريح وقلت أيضاً:

لا تصبحن جهولاً ... وكن عليك بنفسك
فإن فعلت وإلا ... فاحلق مقدم رأسك

اهـ ما وجدته.

قلت: وقوله في خط الفكر أنه يسمى الدودة الذي ذكره أهل التشريح ما نصه: وللتجويف الأول يعني من الدماغ مجرى آخر وهو الزائدتان ينبتان من بطنيه المقدمين، وأكثر فضلات هذا التجويف يندفع في هذا المجرى إلى الأنف والدروز والانعطافات التي في الدماغ جعلت كقطع الجوشن المنسوج بعضه ببعض، ويسمى قاعدة سقف التجويف الأوسط، وأجزاؤه التي في جانبيه أعني جانبي التجويف بالدودة لطول قليل في خلقتها مواز لطول الدماغ، ولأجل حركة انقباضها وانبساطها فبالانبساط يطول وبالانقباض يقصر وينبسط عرضاً كالدودة المتحركة، ولأجل هذه الحركة يجعل في هذه القاعدة ورز بل هي قطعة واحدة لتكون أقوى في الحركة اهـ.

(فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول) لأنه يحتاج إلى بسط مقدمات يخرج فيها عن القصد، **(ومقصود هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء)** الذي يفهمون المقصود بأدنى عناية، **(ولكن نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم)** ويسهل عليهم إدراكه فنقول:

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة:

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقياداً تاماً فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد، وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه، وحقه أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين، فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان، فإن ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقيناً وخسر خسراناً مبيناً، وذلك حالة أكثر الخلق فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة. وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة:

(اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقياداً تاماً فيعينه ذلك) الانقياد **(منهما على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقته في السفر الذي هو بصدده، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد)** فيغلبان عليه **(حتى يملكانه ويستعبدانه)** بجذبهما له إلى موافقته لما يصدر منهما، **(وفيه هلاكه)** الأبدي **(وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد)** وهي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر، وأصعب هذين الجندين جند الشهوة وقمعها أصعب لأنها أقدم القوى وجوداً في الإنسان وأشدها به تشبثاً وأكثرها منه تمكناً فإنها تولد معه وتوجد فيه، فإن لم يغلبها غلبته وضرته وصرفته عن طريق الآخرة كما أشار إليه المصنف.

فإن قيل: فإذا كانت الشهوة بهذه المثابة في الإضرار فأي حكمة اقتضت أن يبلى بها؟ قلت: الشهوة إنما تكون مذمومة إذا كانت مفرطة وأهملها صاحبها حتى ملكت القوى فأما إذا أدبت فهي المبلغة إلى السعادة حتى لو تصورت مرتفعة لم يمكن الوصول إلى الآخرة، وذلك لأن العبادة التي هي سبب الوصلة إلى الآخرة لا تتم إلا بحفظ البدن ولا سبيل إلى حفظه إلا بتناول الأغذية، ولا يمكن ذلك إلا بالشهوة فإذاً الشهوة محتاج إليها ومرغوب فيها فتأمل.

(وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه، وحقه) أي السالك **(أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله على الجندين الآخرين)** المذكورين، **(فإنهما يلتحقان بحزب الشيطان، فإن ترك الاستعانة)** بحزب الله **(وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقيناً وخسر خسراناً مبيناً، وذلك حال أكثر الخلق)** في كل زمان **(فإن عقولهم صارت مسخرة)** أي مذللة تابعة **(لشهواتهم في استنباط الحيل)** والخداع **(لقضاء الشهوة)** حتى يعطي لنفسه منإها منها. **(وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم)** تابعة لها **(فيما**

فيما يفتقر العقل إليه، ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة.

المثال الأوّل: أن نقول مثل نفس الإنسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوّة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل. والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة، والغضب والحمية له كصاحب الشرطة، والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته، حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنياً في تدبيراته بوزيره ومستشيراً له ومعرضاً عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلاً بإشارته في أن الصواب في نقيض رأيه وأدب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمراً له مسلطاً من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوساً لا سائساً، ومأموراً مدبراً لا أميراً مدبراً، استقام أمر بلده وانتظم

يفتقر العقل إليه، ونحن نقرب هذا إلى قلبك بثلاثة أمثال) وما لها في منازعة الهوى للعقل.

(المثال أول: أن نقول مثل نفس الإنسان في بدنه، واعني بالنفس المعنى الثاني) أي **(اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته)** أي موضع ملكه وحكمه ما سوى مدينته، **(فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها)** لها فيه الحكم النافذ **(وقواه)** الباطنة **(وجوارحه)** الظاهرة **(بمنزلة الصناع والعملة)** المستخدمة **(والقوة العقلية المفكرة له كالمشير)** العالم الناصح **(والوزير)** الفطن **(العقل والشهوة له)** وفيه **(كعبد سوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة)** والميرة بالكسر اسم للطعام وغيره وقد مارهم ميرا أتاهم بالميرة، **(والغضب والحمية له كصاحب الشرطة)** وهو عون الوالي. **(والعبد الجالب للميرة كذاب مكار)** كثير الكذب والمكر **(مخادع خبيث)** صاحب حيل وخبث طبع وخداع **(يتمثل)** للوالي **بصورة الناصح)** في الظاهر **(وتحت نصحه الشر الهائل)** أي العظيم المخوف، **(والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح)** ومعارضته **(في كل تدبير يدبره)** لا يغفل عنه (حتى **لا يخلو من منازعته ومعارضته في آرائه ساعة، فكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره)** الناصح له حالة كونه **(معرضاً عن إشارة هذا العبد الخبيث)** المكار **(بل مستدلاً بإشارته على أن الصواب في نقيض رأيه)** ومخالفته فيما يقول، **(وأدب صاحب شرطته وأسلسه)** أي جعله سلساً منقاداً **(لوزيره وجعله مؤتمراً له ومسلطاً من جهته على هذا العبد الخبيث)** أي سلطة عليه **(و)** على **(اتباعه وأنصاره حتى يكون)** هذا **(العبد مسوساً)** أي داخلاً تحت السياسة **(لا سائساً ومأموراً مدبراً لا آمراً مدبراً استقام أمر بلده،**

العدل بسببه. فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت حمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت بإحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها، وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها، ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿واتَّبَعَ هواهُ فمثَلُهُ كمَثَلِ الكَلب إنْ تحمِلْ عليه يَلهَثْ أو تتركه يلهث﴾ [الأعراف: ١٧٦] وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى.

المثال الثاني: اعلم أن البدن كالمدينة والعقل. أعني المدرك من الإنسان كملك مدبر

وانتظم العبد بسببه فكذلك النفس) أيضاً **(متى استعانت بالعقل)** وائتمرت بأوامره **(وأدبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الأخرى تارة بأن يقلل مرتبة الغضب وغلوائه)** أي حدته **(بمخالفة الشهوة واستدراجها، وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت أخلاقه، ومن عدل عن هذه الطريقة)** فسد أمره وانخرم نظامه، و**(كان كمن قال الله تعالى فيه)** محذراً غاية الحذر في ذم من اتبع الهوى **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ وقال تعالى)** ﴿أخلد إلى الأرض **(واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾)** وقال تعالى: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص: ٢٦] **(وقال لمن نهى النفس عن الهوى)** وخالفها مادحاً له: **﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾)** قال ﷺ: « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » كما تقدم للمصنف قريبا أشارة إلى الهوى والعقل، وإن كان أشرف القوى وبه صار الإنسان خليفة الله تعالى في العالم، فليس دأبه إلا الإشارة إلى الصواب كطبيب يشير إلى المريض بما يرى فيه برءه، فإن قبل منه المريض وإلاّ سكت عنه، ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه في المدافعة والممانعة، ولهذا لا تتبين فضيلة العقل لمن لا حمية له وبهذا النظر قيل المهين من لا سفيه له، وقال الشاعر:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستأسد الحامي

(وسيأتي) بيان **(كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس)** قريباً إن شاء الله تعالى.

(المثال الثاني: أن) الإنسان من حيث ما جعله الله عالماً صغيراً وجعل **(البدن كالمدينة)** في هيئته **(والعقل: أعني المدرك من الإنسان كملك)** فيها **(مدبر لها وقواه المدركة من الحواس**

لما وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته، والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدوّ ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته، فصار بدنه كرباط وثغر، ونفسه كمقيم فيه مرابط فإن هو جاهد عدوّه وهزمه وقهره على ما يحب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال تعالى: ﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً﴾ [النساء: ٩٥] وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة: يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأوِ الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر. وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله ﷺ: « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ».

الظاهرة والباطنة) من الفكرة والخيال والحواس **(كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته)** وخدمه **(والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو)** له **(ينازعه في مملكته)** ويعارضه **(ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر)** تجاه العدو **(ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن جاهد عدوه فهزمه)** فأسره **(وقهره على ما يجب)** وكما يجب **(حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة)** أي دار مملكته، **(كما قال تعالى: ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة)** وكلا وعد الله الحسنى﴾ [النساء: ٩٥] فدفاع الهوى أعظم ثواب وجهاد كما ورد في الخبر وقد سئل أي الجهاد أفضل؟ فقال: « جهادك هواك » **(وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره)** إذا عاد إليه كما ورد في الخبر: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ». **(وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة: يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: ولفظ الراغب في الذريعة إن الله تعالى يقول للكافر يوم القيامة: يا راعي السوء الخ. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن إبراهيم بن شبيب، حدثنا سليمان بن أيوب، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت في بعض الكتب يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير ولم ترعها حق رعايتها اليوم ننتقم لهم منك.

(وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله ﷺ: « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ») قال العراقي: رواه البيهقي من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف اهـ.

قلت: وسيأتي قريباً للمصنف في الكتاب الذي بعده بلفظ: « مرحباً بكم رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ».

المثال الثالث: مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه مؤدباً معلماً كان جديراً بالنجاح، ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً، فهو خليق بأن يعطب فضلاً عن أن ينال ما طلب، وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته، وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن والفرج، وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه.

بيان خاصية قلب الإنسان:

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي، إذ

(**المثال الثالث: مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه، فمتى كان الفارس حاذقاً**) أي ماهر في فروسيته (**وفرسه مروضاً**) أي قد ريضت بالتعليم في الإقدام والإحجام، (**وكلبه مؤدباً معلماً**) بأخذ الصيد، (**كان جديراً بالنجح**) أي إدراك حاجته من الصيد، (**ومتى كان هو في نفسه أخرق**) هو الذي لا يحسن العمل، (**وكان الفرس جموحاً**) صعباً أو حروناً (**والكلب عقوراً**) يعقر الصيد لنفسه، (**فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً**) لجماحه، (**ولا كلبه يسترسل بإشارته**) ويستكين معه، (**مطيعاً فهو خليق**) أي لائق (**بأن يعطب**) أي يهلك (**فضلاً من أن ينال ما طلب، وإنما خرق الفارس مثال لجهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته**) عن إدراك الأمور (**وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن والفرج، وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه**) فهذه الأمثلة الثلاثة وقد وجدت لذلك مثالاً رابعاً ذكره الراغب في الذريعة. قال: مثل النفس في البدن مثل المجاهد بعث إلى ثغر لكي يرعى أحواله وعقله خليفة مولاه ضم إليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله إذا عاد إلى حضرة الملك وبدنه بمنزلة فرس دفع إليه ليركبه وشهوته كسائس حثيث ضم إليه ليفتقد فرسه، ولا قدر لهذا السائس عند المولى، والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج إليه عاجلاً وآجلاً، فيقبح أن ينسى هذا الوالي مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وما ينقضه ويصرف همه كله إلى تفقد فرسه وسياسته ويقيم سائس فرسه مقام خليفة ربه، فالحاصل إن للإنسان مع هواه ثلاثة أحوال. الأولى: أن يغلبه الهوى فيهلكه وهذا حال أكثر الناس. الثانية: أن يغالبه فيقهرها تارة وتقهره أخرى وهكذا حال المتوسطين. الثالثة: أن يغلب هواه وهذا حال الأنبياء وكثير من صفوة الأولياء.

بيان خاصية قلب الإنسان:

(**أعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي إذ للحيوانات**

للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضاً، حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه، فذلك هو الإدراك الباطن. فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة.

أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل، إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يتصوّر أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس. وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر.

وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها. وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة

الشهوة والغضب) وذلك لأن الشهوة أقدم القوى وجوداً وأشدها تثبتاً وأكثرها تمكناً، فإنها تولد مع الإنسان وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه بل النبات الذي هو جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية، **(والحواس الظاهرة والباطنة أيضاً حتى أن الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك إدراك الباطن)** لكن ذكر الراغب أن القوة المفكرة للإنسان خاصة لا للحيوان، **(فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب)** أي صار أهلاً للقرب **(من الله تعالى وهو)** أي ذلك الاختصاص **(راجع إلى علم وإرادة)**.

(أما العلم: فهو العلم بالأمور الدينية والأخروية) أي ما يتعلق بالدين والآخرة **(والحقائق العقلية، فإن هذه أمور وراء المحسوسات)** بالأبصار **(ولا يشارك فيها الحيوانات، بل العلوم الكلية الضرورية)** التي لا يتوقف إدراكها على نظر واستدلال **(من خواص العقل: إذ يحكم الإنسان بأن الفرس الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وهذا حكم منه على كل فرس. ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأفراس فحكمه على جميع الأفراس زائد على ما أدركه الحس)** فهو من الأمور المعقولة، **(وإذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر)** فهذا هو العلم بقسميه.

(وأما الإرادة: فهو أنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى وجه المصلحة وإلى تعاطي أسبابها) التي توصله إليها، **(وإرادة لها. وذلك غير**

الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها، والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين المرض، والعاقل يجد في نفسه زاجراً عنها وليس ذلك زاجراً لشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعاً على التحقيق.

فإذاً قلب الإنسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان، بل ينفك عنها الصبي في أوّل الفطرة، وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ. وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حق الصبي.

ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان.

إحداهما: أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة، فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا انها صارت ممكنه قريبة الإمكان والحصول، ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب

إرادة الشهوة وغير إرادة الحيوانات، بل تكون على ضد الشهوة فإن الشهوة) بمقتضى جبلتها **(تنفر عن الفصد والحجامة)** لما فيهما من الألم الحاصل المنافي لمزاجها، **(والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في)** أيام **(المرض)** ولذائذ الفواكه، كذلك شرب المياه الباردة **(والعاقل يجد في نفسه زاجراً عنها)** بأن يدرك أن عواقبها مضرة، **(فليس ذلك زجر الشهوة)** فإنها لا ترى إلا ما يستلذ ظاهراً **(ولو خلق الله العقل المعرف لعواقب الأمور، ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعاً على التحقيق،** فإذاً **اختص قلب الإنسان بعلوم وإرادات ينفك عنها سائر الحيوانات)** وبها يتميز عنها، **(بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة، وإنما يحدث ذلك فيه)** آخراً، وذلك **(عند البلوغ. وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حال الصبا)** قبل أن يتميز **(ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان).**

(إحداهما: أن يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الأولية التي تدرك بالبداهة في أول الأمر كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة، فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة) في الحالة الراهنة **(إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول، وتكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم**

الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد .

الثانية : أن يتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده ، فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب ، وإن لم يكن مباشراً للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الإنسانية ، ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبغض القلوب بإلهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ، ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول. وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء ، فدرجات الترقي فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف ، بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قرباً بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ، ومراقي هذه الدرجة هي

والحروف المفردة دون المركبة) مع بعضها المفيدة للمعاني ، **(فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد)** .

(الدرجة الثانية : أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب، وإن لم يكن مباشراً للكتابة) في الحال ، ولكن **(لقدرته عليها . وهذه هي غاية درجة الإنسانية)** وهي من خواصها ، **(ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى بتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل)** تلك العلوم **(لبعض القلوب بالهام إلهي على سبيل المبادأة والمكاشفة)** من غير تعلم سابق ، **(ولبعضها بتعلم واكتساب)** بجهد ومشقة . **(ثم قد يكون ذلك سريع الحصول)** في أدنى زمن ، **(وقد يكون بطيء الحصول)** بعد مدة **(وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأولياء والأنبياء)** وهم على هذا الترتيب في المقامات ، **(ودرجات الرقي)** وفي بعض النسخ : الترقي **(فيه غير محصورة)** بحد أو عدد ، **(إذ معلومات الله لا نهاية لها)** كما أن كمالاته لا نهاية لها ، **(وأقصى الرتب رتبة النبي)** ثم الولي **(الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف)** تعلم ، **(بل بكشف إلهي في أسرع وقت)** إما وحياً أو إلهاماً **(وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قرباً بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة)** تعالى الله عن ذلك .

وقرره المصنف في المقصد الأسنى بوجه آخر فقال : أما الإنسان فدرجته متوسطة بين

منازل السائرين إلى الله تعالى، ولا حصر لتلك المنازل. وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل، فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً، لكن قد يصدق به إيماناً بالغيب، كما انا نؤمن بالنبوّة والنبي ونصدق بوجوده، ولكن لا يعرف حقيقة النبوّة إلا النبي، وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية، فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر : ٢] وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود

الدرجتين، فكأنه مركب من بهيمية وملكية، والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية إذ ليس له أولاً من الإدراك إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة إلى أن يشرق عليه في الآخرة نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والأرض من غير حاجة إلى حركة بالبدن وطلب قرب أو مماسة مع المدرك له، بل يدرك الأمور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان، وكذلك المتولي عليه أولاً شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب، فإن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة. وكذلك إن فطم نفسه من الجمود والخيالات والمحسوسات وأنس بالإدراك عن أمور تجل عن أن ينالها حس أو خيال أخذ شبهاً آخر من الملائكة، ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان أبعد عن البهيمية وأقرب من الملائكة والملك قريب من الله تعالى والقريب من القريب قريب اهـ.

(ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل) لكثرتها، **(وإنما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه)** وفي نسخة ما وراءه **(من المنازل)** التي تعدى عنها لسلوكه فيها **(وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً)** إذ لم يصل إليها بعد ولم يسلكها، **(لكن قد يصدق به)** في قلبه **(إيماناً بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده، ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي)**.

قال المصنف في المقصد الأسنى: يستحيل أن يعرف النبي غير النبي، وأما من لا نبوة له أصلاً فلا يعرف من النبوة إلا اسمها، وإنها خاصيته موجودة لإنسان بها يفارق من ليس نبياً، ولكن لا يعرف ماهية تلك الخاصية إلا النبي خاصة، فأما من ليس بنبي فلا يعرفها البتة ولا يفهمها إلا بالتشبيه بصفات نفسه اهـ.

(وكما لا يعرف الجنين) الذي في بطن الأم **(حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية)** الأولية **(ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على أولياء الله وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته)** قال تعالى: **(﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ وهذه الرحمة)** المفتوح بابها لخاصة **(مبذولة**

والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها»، والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة ـ كما سيأتي بيانه ـ وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من داع فاستجيب له» وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل «لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي. وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً». وبقوله تعالى: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً»، كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوّاً كبيراً، ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب، فإن القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها

بحكم الجود والكرم) الواسعين **(من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد)** ولا ممنوع، **(ولكن إنما تظهر)** آثارها **(في القلوب المتعرضة لنفحات الله)** أي عطاياه، **(كما قال ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات)** أي تجليات مقربات يصيب بها من يشاء من عباده **(ألا فتعرضوا لها)** لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً» رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن مسلمة، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة. **(والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه)** ومع تطهير القلب يكون الطلب منه تعالى في كل وقت قياماً وقعوداً وعلى الجنب ووقت التصرف في أشغال الدنيا فإن العبد لا يدري بنا أي وقت يكون فتح خزائن المنى، **(وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا يقول: هل من داع فاستجيب له»)** رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». وقد تقدم في كتاب الأذكار والدعوات، **(وبقوله)** ﷺ **(حكاية عن ربه عز وجل: «لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. إلا أن صاحب الفردوس ذكره من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس إسناداً اهـ.

(وبقوله) ﷺ **(«من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً)** رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة **(كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علواً كبيراً، ولكن)** حجابها عنها **(بخبث)** نفس **(وكدورة)** خاطر **(وشغل من جهة القلوب، فإن القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة ماء لا يدخلها الهواء)** لاشتغال المكان، **(فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله)**

المعرفة بجلال الله وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ». ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة.

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الإنسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال، فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التي لأجله خلق، وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة، فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية، فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار وكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته، وتلك الخاصية من صفات الملائكة

وعظمته، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء »)** رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه، وقد تقدم في الصيام. **(ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة)** وبهما يفضل.

(وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله) على ما ينبغي بذلك **(فبه كمال الإنسان)** وفضله، **(وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال)** وإليه الإشارة بقوله: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ **(فالبدن مركب للنفس، والنفس محل للعلم، والعلم هو مقصود الإنسان)** وأقصى رغبته، **(وخاصيته التي لأجلها خلق)** قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] **(وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكرّ والفر)** أي الحمل على العدو والفرار عنه عند المطالبة **(وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية، فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار)** فيكونان سواء في الرتبة، **(فكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس في أمور، يفارقه في أمور هي خاصيته، وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى)**.

وفي الذريعة: كل ما أوجد لفعل ما فشرفه بتمام ذلك الفعل منه ودناءته بفقدان ذلك الفعل منه كالفرس للعدو، والسيف للقطع، والعمل المختص به في القتال، ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي لأجله أوجد كان ناقصاً، فأما أن يطرح طرحاً. وإما أن يرد إلى منزل النوع الذي هو دونه كالفرس إذا لم يصلح للعدو اتخذ حمولة أو أعد أكولة فمن لم يصلح لخلافة الله ولا لعبادته ولا لاستعمال أرضه فالبهيمة خير منه. وقال في المقصد الأسنى: إن الموجودات منقسمة بين كاملة وناقصة، فالكامل أشرف من الناقص، ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق إلا له ولم يكن للموجودات الأخر كمال مطلق، بل كانت لها كمالات متفاوتة بإضافة، فأكملها أقرب لا محالة إلى الذي له الكمال المطلق أعني قرباً بالمرتبة

المقربين من رب العالمين. والإنسان على رتبة بين البهائم والملائكة، فإن الإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان، ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط، وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء.

فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل، فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله: ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾ [يوسف: ٣١].

ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى

والدرجة لا بالمكان، ثم الموجودات منقسمة بين حية وميتة، وتعلم أن الحي أشرف وأكمل من الميت، وأن درجات الأحياء ثلاث درجات درجة الملائكة ودرجة الإنس ودرجة البهائم فأما درجة البهائم فهي أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها لأن الحي هو الدراك الفعال وفي إدراك البهيمة نقص، وفي فعلها نقص. أما إدراكها فنقصانه أنه مقصور على الحواس وإدراك الحس قاصر لأنه لا يدرك الأشياء إلا بمماسة أو قرب منها، فالحس معزول من الإدراك إن لم يكن مماسة ولا قرب، فإن اللمس والذوق يحتاجان إلى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاجون إلى القرب، وكل موجود لا يتصور فيه مماسة وقرب فالحس معزول من إدراكه في هذه الحالة. وأما فعلها فهو أنه مقصور على مقتضى الشهوة والغضب لا باعث لها سواهما، وليس لها عقل يدعو إلى أفعال مخالفة لمقتضى الشهوة والغضب، وأما الملك فدرجته أعلى الدرجات لأنه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد في إدراكه بل لا يقتصر إدراكه على ما يتصور فيه القرب والبعد إذ القرب والبعد يتصور على الأجسام والأجسام أخص أقسام الموجودات، ثم هو مقدس عن الشهوة والغضب، فليست أفعاله بمقتضاهما بل داعية إلى الأفعال أمر هو أجل منهما وهو طلب القرب الى الله تعالى.

(و) أما (**الإنسان**) فهو (**على رتبة بين البهائم والملائكة**) ودرجته متوسطة بين الدرجتين، (**فإن الإنسان من حيث**) ما (**يتغذى وينسل فنبات، ومن حيث**) ما (**يحس ويتحرك بالإختيار فحيوان، ومن حيث صورته**) التخطيطية (**وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط، وإنما**) فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه و(**خاصيته معرفة حقائق الأشياء**) بتلك القوى، ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة فالإنسان يضارع الملك بقوة العلم والنطق والفهم، وضارع البهائم بقوة الغذاء والنكاح، (**فمن استعمل جميع أعضائه وقواه**) وصرف همته كلها (**على وجه الاستعانة بها على العلم**) النافع (**والعمل**) المحكم (**فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم**) أي بأفقهم، (**وجدير بأن يسمى ملكاً وربانياً كما قال تعالى: ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾**) يعني به يوسف عليه السلام، (**ومن صرف همته**) كلها (**إلى**) رتبة القوة الشهوية في (**اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط**)

حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثور ، وإما شرهاً كخنزير ، وإما ضرعاً ككلب أو سنور أو حقوداً كجمل ، أو متكبراً كنمر . أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد .

إلى حضيض افق البهائم فيصير إما غمراً) بضم الغين وسكون الميم هو الجاهل البليد المحض **(كثور)** ويضرب به المثل في البلادة حتى قالوا : وما عليّ إذا لم تفهم البقر . **(واما شرهاً)** أي حريصاً **(كخنزير ، وإما ضرعاً)** أي متملقاً **(ككلب أو حقوداً كجمل أو متكبراً كنمر أو ذا روغان)** محركة أي حيلة **(كثعلب)** وفيه قال الشاعر :

يعطيك من طرب اللسان حلاوة ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

وهذه خواص للحيوانات المذكورة حتى قالوا : أبلد من الثور ، وأشره من خنزير ، وأضرع من كلب ، وأحقد من جمل ، وأروغ من ثعلب ، **(أو يجمع ذلك كله)** فيكون **(كشيطان مريد)** أي متمرد ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ [المائدة : ٦٠] ولكون كثير من صورته صورة الإنسان وليس هو في الحقيقة إلا كبعض الحيوان قال الله تعالى في الذين لا يعقلون عن الله : ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ [الفرقان : ٤٤] وقال : ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ [الأنفال : ٢٢] وقال تعالى : ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ [الأنفال : ٥٥] يبين أن الذين كفروا ولم يستعملوا القوة التي جعلها الله تعالى لهم هم شر من الدواب . وقال تعالى : ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذين ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداءً﴾ [البقرة : ١٧١] أي مثل واعظ الكافرين كمثل ناعق الأغنام تنبيها أنهم فيما يقال لهم كالبهائم وبهذا النظر عبر الشاعر عن بعض من ذمه فقال :

اللؤم من وبر ووالده واللؤم أكبر من وبر وما ولدا

ولم يقل ومن ولدا تنبيهاً أنه لا يستحق أن يقال « من » لكونه بهيمة وعلى هذا المعنى قال المتنبي :

تخطى إذا جئت في استفهامها بمن

ولما ذكرنا لم يكن بين بعض هذه الأنواع وبضعها من التفاوت ما بين إنسان وإنسان فإنك قد ترى واحداً كعشرة بل واحداً كمائة وعشرة أخرى هدر دون واحد كما قال الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى الألف منهم كواحد

بل قد ترى واحدا بعشرة آلاف ، وترى عشرة آلاف دون واحد ، وقال الراغب في الذريعة : الإنسان لما ركب تركيباً بين بهيمة وملك فشبهه بالبهيمة بما فيه من الشهوات البدنية من المأكل والمشرب والمنكح ، وشبهه بالملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدال والحور ، فصاروا واسطة بين جوهرين وضيع ورفيع . ولهذا قال تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد : ١٠] والنجدان من وجه العقل والهدى ، ومن وجه الآخرة والدنيا . ومن وجه الإيمان والكفر ، ومن وجه

وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر ، فمن استعمله فيه فقد فاز ، ومن عدل عنه فقد خسر وخاب.

وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده، والدار الآخرة مستقره، والدنيا منزله، والبدن مركبه، والأعضاء خدمه، فيستقر هو ـ أعني المدرك من الإنسان ـ في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك، ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده، ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه، ويجري اللسان مجرى ترجمانه، ويجري الأعضاء المتحركة مجرى كتابه، ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل

الهدى والضلال، ومن وجه موالاة الله تعالى وموالاة الشيطان، ومن وجه النور والظلمة، ومن وجه الحياة والموت، فمن وفقه الله تعالى للهدى وأعطاه قوة لبلوغ الهدى فراعى نفسه وزكاها فقد أفلح، ومن حرم التوفيق فأحرم نفسه ودساها فقد خاب وخسر.

(وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى) فإن الخيال يتصوّر المحسوس فتبقى فيه صورته الروحانية فينتقش بها تنقش الشمع بصورة الختم، ثم يأخذه الفكر فيميز بعضه من بعض بنور العقل فيبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها ، ثم يؤديه إلى القوة الحافظة فإن أراد ابرازه قولاً سلط عليه القوى الناطقة فتعبر عنه باللسان، وإن أراد ابرازه فعلاً سلط عليه القوى العاملة فتوجده بالجوارح، **(كما سيأتي بيان طرقه منه في كتاب الشكر)** إن شاء الله تعالى **(فمن استعمله فيه)** أي في طريق الوصول إلى الله تعالى **(فقد فاز)** وأفلح، **(ومن عدل عنه فقد خاب وخسر)** وإليه الإشارة بقوله: ﴿قد أفلح من زكاها ★ وقد خاب من دساها﴾ [الشمس : ٩ ، ١٠] وقد أشار المصنف إلى ضرب مثل لهذه القوى يعرف منه تصور تأثيرها فقال:

(وجمله السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده، والدار الآخرة مستقره، والدنيا طريقه، والبدن مركبه، والأعضاء خدمه، فيستقر هو ـ أعني المدرك من الإنسان ـ في القلب الذي هو وسط مملكته) أو القوى المفكرة أسكنها وسط الدماغ **(كالملك)** يسكن وسط المملكة، **(ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده)** فيبلغها الملك، **(ويجري القوّة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه)** الذي يجمع ما دخل ويحفظه **(ويجري اللسان)** وهي القوة الناطقة **(مجرى ترجمانه)** الذي يترجم له عن الغير، **(ويجري الأعضاء المتحركة)** وهي القوّة العاملة **(مجرى**

واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع؛ فيوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، والشم بعالم الروائح، وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد، ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة، ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده، وقمع عدوّه الذي هو مبتلى به، ودفع قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موفقاً سعيداً شاكراً نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة، أو في عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره، ووطنه ومستقره الآخرة؛ كان مخذولاً شقياً كافراً بنعمة الله تعالى مضيعاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد. نعوذ بالله من ذلك.

كتابه) الذين يكتبون له ويردون منه، **(ويجري الحواس الخمس)** الظاهرية **(مجرى جواسيسه)** الذين يتجسسون له الأخبار ومجرى أصحاب الأخبار الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الأخبار، **(فيوكل كل واحد بأخبار صقع من الأصقاع)** من مملكته، **(فيوكل العين بعالم الألوان، و)** يوكل **(السمع بعالم الأصوات، و)** يوكل **(الشم بعالم الأراييح، وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوّة الخيالية التي هي كصاحب البريد، ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن)** بعد أن يسقط منه ما يراه حشواً ويرفع الباقي صافياً فيعرضه **(على الملك فيقتبس منها ما يحتاج إليه)** مما ينفعه ويضره **(في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوّه الذي هو مبتلي به)** وهي الشهوة لأنها شديدة التثبت به وكثيرة التمكن منه، وقد اقتضت الحكمة بابتلائه بها **(ودفع قواطع الطريق عليه)** أي دفع ما يعوقه عن طريق الآخرة ويثبطه عنها، ثم بعد اطلاعه عليها يسلمها للخازن ثانياً إلى وقت حاجته فحينئذ يتقدم باخراجها، **(فإذا فعل ذلك)** وقهر ذلك العدو أمن من القواطع، **(وكان موفقاً سعيداً شاكراً لنعمة الله تعالى)** بل يصير المعيار بائناً، **(وإذا عطل هذه الجملة)** بأن لم يستعملها كما ذكر **(أو استعملها، ولكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة، وفي عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة)**، وإليه الإشارة بما رواه الديلمي من حديث ابن عمر «الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها». **(كان مخذولاً شقياً كافراً لنعمة الله مضيعاً لجنود الله)** التي هي الأعضاء والجوارح والحواس، **(ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك)**، وكما أن للملك أفعالاً يستعين فيها بغيره وأفعالاً ينفرد فيها بنفسه والأفعال ـ التي يتولاها بنفسه أشرف مما يفوّضها ـ إلى غيره، كذلك لقوّة المفكرة أفعال تفوّضها إلى غيرها، وأفعال تختص هي

وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك، فإذا طاب الملك طابت جنوده، فقالت: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول. وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب: إن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى

بها وهي الرؤية والفكر والاعتبار والقياس والفراسة، فبهذه الأشياء تدبير الأمور واستخراج الغوامض، وتحصيل التجربة واستنباط المجهول بتوسط المعلوم والإطلاع على الأسرار.

(**وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته في كتاب العلم (**وقال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: الإنسان عيناه هاد**) وفي لفظ هاديتان، (**وأذناه قمع**) وفي لفظ قمعان، (**ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك، فإذا طلب الملك طابت جنوده. قالت**) عائشة رضي الله عنها: (**هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول**). قال العراقي: رواه أبو نعيم في الطب النبوي، والطبراني في مسند الشاميين، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه، وله ولأحمد من حديث أبي ذر «أما الأذنان فقمع، وأما العين فمقرة لما يدعى القلب» ولا يصح منه شيء اهـ.

قلت: أخرجه الطبراني في مسند الشاميين من طريق كعب قال: أتيت عائشة فقلت: هل سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإنسان فانظري هل يوافق نعتي نعت رسول الله ﷺ؟ فقالت: انعت. فقال: عيناه هادٍ فساقه وزاد بعد قوله بريد وكبده رحمة ورئته نفس وطحاله ضحك وكليته مكر والقلب ملك الحديث. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإنسان هكذا.

وقول العراقي: وللبيهقي في الشعب الخ يشير إلى ما رواه من كلام أبي هريرة لا من حديثه، ولفظه: «القلب ملك وله جنود فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده والأذنان قمع والعينان مسلحة واللسان ترجمان واليدان جناحان والرجلان بريد والكبد رحمة والطحال ضحك والكليتان مكر والرئة نفس» هكذا رواه. ثم قال: قال أحمد هكذا جاء موقوفاً ومعناه في القلب جاء في حديث النعمان بن بشير مرفوعاً اهـ. وهذه في الميزان من المناكير.

وقول العراقي رواه أبو نعيم في الطب ظاهر أنه من حديث عائشة وليس كذلك، وإنما أخرجه فيه من حديث أبي سعيد الخدري، وكذلك أخرجه أيضاً أبو الشيخ في كتاب العظمة، وابن عدي في الكامل، ورواه الحكيم الترمذي من حديث عائشة ولفظهم جميعاً: «العينان دليلان والأذنان قمعان واللسان ترجمان واليدان جناحان والكبد رحمة والطحال ضحك والرئة نفس والكليتان مكر والقلب ملك فإذا صلح الملك صلحت رعيته وإذا فسد الملك فسدت رعيته».

(**وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب: إن لله تعالى في أرضه آنية**) جمع إناء وهو وعاء الشيء (**وهي القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفاها وأصلبها**) هكذا في القوت من قول

قوله تعالى: ﴿أشِدَّاءُ على الكفّار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] قال أبي بن كعب رضي الله عنه: معناه مثل نور المؤمن

علي، وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي عنبه الخولاني مرفوعاً « إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها » وأبو عنبة قيل له صحبة، وقيل بل ولد في عهده ﷺ ولم يره، وإنما صحب معاذ بن جبل ونزل دمشق. قال البيهقي: إسناده حسن، وقال شيخه العراقي: فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح بالتحديث فيه. قال صاحب القوت: **(ثم فسره)** أي علي رضي الله عنه **(فقال: أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان)** إلى هنا نص القوت، **(وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾)** قال صاحب القوت: فمثل القلوب مثل الأواني في تفاوت وجوهرها أرقها وأصفاها أعلاها يصلح للوجه والملك والطيب وأكثفها وأدناها يصلح للأدناس، وما بين ذلك يصلح لما بينهما. ومثلها أيضاً مثل الموازين الطيار اللطيف المعيار يصلح لوزن الذهب والكثيف الجافي يصلح للقت وما بينهما يصلح لما بينهما فيوزن بكل ميزان ما يصلح له، كما يلقي في كل إناء ما يليق به كذلك الحكمة والحكم في الملكوت الباطن كالحكمة والحكم في الملك الظاهر بتعديل الظاهر الباطن اهـ.

وقال بعض شراح الحديث عند قوله: « ألينها وأرقها » أي فإن القلب إذا لان ورق انجلى وصار كالمرآة الصقيلة، فإذا أشرقت عليه أنوار الملكوت أضاء الصدر وامتلأ من شعاعها فأبصرت عينا الفؤاد باطن أمر الله في خلقه، فيؤديه ذلك إلى ملاحظة نور الله فإذا لاحظه فذلك قلب استكمل الزينة والبهاء بما رزق من الصفاء، فصار محل نظر الله من بين خلقه فكلما نظر إلى قلبه زاد به فرحاً وله حباً وعزاً واكتنفه بالرحمة وأزاحه من الزحمة وملأه من أنوار العلوم اهـ.

وأشار إليه **(قوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ قال أبيّ بن كعب)** رضي الله عنه في تفسيره **(معناه: مثل نور المؤمن وقلبه. وقوله: ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ﴾ مثل قلب المنافق)** ولفظ القوت فسره أبي بن كعب قال: مثل نور المؤمن وكذلك كان يقرؤه قال: فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح كلامه نور، وعمله نور، ويتقلب في نور، ثم قال في قوله تعالى: ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ﴾ قال: قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة يتقلب في ظلمة اهـ.

قلت: أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن أبي بن كعب ﴿الله نور السموات مثل نوره﴾ قال: هو المؤمن الذي قد جعل الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال **(الله نور السموات والأرض)** فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال: ﴿مثل نور من آمن به﴾ فكان أبي بن كعب يقرؤها مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة. قال: فصدر المؤمن المشكاة فيها مصباح المصباح النور، وهو القرآن والإيمان الذي جعل في صدره والزجاجة قلبه فقلبه مما استنار فيه القرآن والإيمان، فكأنها كوكب درّي أي مضيء والشجرة المباركة أصله المبارك الإخلاص لله وحده

وقلبه وقوله تعالى : ﴿أو كظلماتٍ في بحر لجيّ﴾ [النور : ٤٠] مثل قلب المنافق . وقال زيد ابن أسلم في قوله تعالى ﴿في لوح محفوظ﴾ [البروج : ٢٢] وهو قلب المؤمن . وقال سهل : مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي ، فهذه أمثلة القلب .

وعبادته . قال : فمثله كمثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت ، فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يضله شيء من الفتن وقد ابتلى فيثبته الله فهو بين أربع خلال : إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن أعطى شكر ، وان ابتلي صبر . فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين قبور الأموات ﴿نور على نور﴾ ومصيره إلى نور فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه وعمله نور ، ومدخله نور ، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة ، ثم ضرب مثل الكافر فقال : ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب﴾ [النور : ٣٩] الآية . قال : وكذلك الكافر يأتي يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيراً فلا يجده ويدخله الله النار . قال : وضرب مثلاً آخر للكافر فقال : ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾ الآية . فهو يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار ، فكذلك ميت الأحياء يمشي في الناس لا يدري ماذا له وماذا عليه .

وأخرج أبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال : هي في قراءة أبي ابن كعب **(مثل نور من آمن به)** وفي لفظ له **(مثل نور المؤمن)** أخرجه عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف عن الشعبي عنه ، وقد روي مثله عن ابن عباس قال **(مثل نوره الذي أعطاه المؤمن كمشكاة)** وقال في قوله **(نور على نور)** فذلك مثل قلب المؤمن نور على نور ، وقال في قوله **(أو كظلمات في بحر لجي)** ذلك مثل قلب الكافر ظلمة على ظلمة أخرجه الفرياني .

وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال : مثل نوره هي خطأ من الكاتب هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة قال : مثل نور المؤمنين وفي لفظ له ، مثل نوره مثل هواه في قلب المؤمن هكذا أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال **(أو كظلمات في بحر لجي)** اللجي العميق القصير أي مثل عمل الكافر في ضلالات ليس له مخرج ولا منفذ أعمى فيها لا يبصر .

(وقال زيد بن أسلم) العدوي مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أبو عبد الله ويقال أبو أسامة المدني ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين ، روى الجماعة له **(﴿في لوح محفوظ﴾ هو قلب المؤمن)** نقله صاحب القوت . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال : في لوح محفوظ في صدور المؤمنين . **(وقال سهل)** التستري رحمه الله تعالى : **(مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي)** نقله صاحب القوت وقد تقدم قريباً **(فهذه أمثلة القلب)** .

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته:

اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي: الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره، ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى: ﴿قل الرُّوح من أمر ربي﴾[الاسراء:٨٥] فإنه يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء، والاستعلاء، والتخصص، والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرئاسة، والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها، بل يدعي لنفسه العلم، والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم، ويحزن إذا نسب إلى الجهل، والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية، وفي الانسان حرص على ذلك. ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثاله:

(**اعلم أن الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته**) الأصلية (**أربع شوائب**) جمع شائبة وهي العلقة والشبهة وأصله من شابه بمعنى خلطه، (**فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف**) المختلفة (**وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب**) والتهوّر (**يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهيج على الناس بالضرب والشتم**) كما أن السباع تهجم على الناس بالعض والقطع، (**ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق**) محركة شدة الغلمة (**وغيره**) أي غير ما ذكر من الأوصاف التي تعزى للبهائم، (**ومن حيث انه هو في نفسه أمر رباني كما قال تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ فإنه يدعي لنفسه الربوبية**) والأنانية (**ويحب الاستيلاء والاستعلاء**) على الغير (**والتخصص والاستبداد**) أي الاستقلال (**بالأمور كلها والتفرد بالربانية**) أي الملكية والسيادة (**والإنسلال عن رتبة العبودية**) أي الخلوص منها (**و**) من (**التواضع**) أي خفض المقام (**ويشتهي الاطلاع على العلوم**) والمعارف (**كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور**) كما ينبغي، (**ويفرح إذا نسب إلى العلم**) والكمال (**ويحزن إذا قذف بالجهل**) أو النقص أي اتهم به، (**والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية**) ومن خواصها. (**وفي الإنسان حرص على**) حصول (**ذلك**) له (**ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز**) والفطانة وقوّة النطق والإدراك (**مع مشاركته لمعاني الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريراً**)

حصلت فيه شيطانية فصار شريراً يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع، ويظهر الشر في معرض الخير، وهذه أخلاق الشياطين.

وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الاربعة ـ أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية ـ وكل ذلك مجموع في القلب، فكأن المجموع في إهاب الانسان: خنزير وكلب وشيطان وحكيم.

فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذموماً للونه وشكله وصورته، بل لجشعه وكلبه وحرصه.

والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب العقور ليس كلباً وسبعاً باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر، في باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه. فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء.

أي كثير الشر معروفاً به (**يستعمل**) تلك القوى التي تميز بها عن الحيوانات في غير مواضع استعمالها فصار يجري (**التمييز في استنباط وجوه الشرو يتوصل**) به وبها (**إلى**) جملة (**الاغراض**) الفاسدة من حيث المآل (**بالمكر والخداع والحيلة، يظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين**) قطعاً، (**وكل انسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب**) يتوارد عليه بعضها ويختلف باختلاف الأحوال، وقد يكون منها فيه كلها وقد يكون بعضها. (**وكان المجموع في إهاب الانسان**) أي جلده (**خنزير وكلب وشيطان وحكيم**).

(**فالخنزير: هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذموماً للونه وشكله وصورته، بل لجشعه وكلبه وحرصه**). الجشع: محركة شدة الحرص، والكلب محركة العداوة والحرص أيضاً.

(**والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري**) أي اللهج بالعقر (**والكلب العقور**) الذي من شأنه يعقر الناس (**ليس كلباً وسبعاً باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنى السبعية الضراوة**) وهو الاجتراء والولع والصيد (**والعدوان**) أي التعدي على الصيد، (**والعقر وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه**) أي غلمته، (**فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر، والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والايذاء**).

والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه.

والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح، وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته، فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم، وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه، فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير.

وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء، والعجب منه أن ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة، ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة

(**والشيطان**) موكل بهذه الأوصاف (**لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر**) أي يولع بهما، وفي نسخة يقوّي بدل يغري (**ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه**) في أصل الطبيعة.

(**والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه**) وخداعه (**ببصيرته النافذة**) في الأمور (**ونوره المشرق الواضح، وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب تكسر سورة الشهوة**) أي فورانها (**وتدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهوراً تحت سياسته**) وأمره وتدبيره، (**فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم**) السالم من الاعوجاج، (**وإن عجز عن قهرها قهروه**) وغلبوه (**واستخدموه**) واستلينوه (**فلا يزال**) لأجل ذلك (**في استنباط الحيل**) بأنواعها (**وتدقيق الفكر**) وصرف الهمم (**ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب أو خنزير.**

وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج) بأن يعطي كل منهما حظه الخاص به، (**ومنافسة الأعداء**) ومفاخرتهم. (**والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة**) المنحوتة بأيديهم وهو أسوأ حالاً منهم بكثير. (**ولو كشف**) له (**الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله**) بأن يمثل له حقيقة حاله (**كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو**

لرأى نفسه ماثلاً بين يدي خنزير ساجداً له مرة راكعاً أخرى ومنتظراً لإشارته وأمره. فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهوته انبعث على الفور في خدمته وإحضار شهوته، أو رأى نفسه ماثلاً بين يدي كلبٍ عقور عابداً له مطيعاً سامعاً لما يقتضيه ويلتمسه مدققاً بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده، ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعياً طول النهار في عبادة هؤلاء، وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكاً والرب مربوباً والسيد عبداً والقاهر مقهوراً، إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعاً وريناً مهلكاً للقلب ومميتاً له، أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير

اليقظة لرأى نفسه ماثلاً بين يدي خنزير ساجداً له مرة وراكعاً أخرى ومنتظراً لإشارته و) واقفاً عند (**أمره**) ونهيه، (**فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلاً بين يدي كلب عقور عابداً له مطيعاً لما يقتضيه ويلتمسه مدققاً للفكر في حيل الوصول إلى طاعتـه وهـو بـذلـك سـاع**) مجد (**في مسرة شيطانه، فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه، فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما**) أي بواسطتهما فكيف ينكر من هو مثل هذا على عبدة الأصنام مع إقرارهم بأنهم إنما يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى، وعابد الخنزير والكلب أسوأ حالاً منهم لفواتهم تلك النية (**فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقعوده وقيامه**) وسائر أحواله (**ولينظر بعين البصيرة**) النافذة (**فلا يرى ان أنصف نفسه إلاَّ ساعياً طول النهار في عبادة هؤلاء**) مسخراً لخدمتهم، (**وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكاً والرب مربوباً والسيد عبداً والقاهر مقهوراً إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء**) لأنه جوهر الروح العلوي ولسانه والدال عليه، (**وقد سخره لخدمة هؤلاء**) وذلله لها، (**فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاث صفات تتراكم عليه**) وتتزاحم (**حتى تصير طابعاً وريناً مهلكاً للقلب ومميتاً له**) وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿بل طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ [التوبة: ٩٣][1] وقوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ [المطففين: ١٤] (**أما طاعة خنزير الشهوة فتصدر منها صفة الوقاحة**) أي قلة الحياء (**والخبث**) وهو الوصف الجامع لكل ما يضاد الطيب (**والتبذير**) وهو تفريق المال على وجه الإسراف (**أو التقتير**) وهو

---

(١) وتصويب الآية: « وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ».

والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها . وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهوّر والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها . وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها ، ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية : لاستقر بالقلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوّة العلم والبصيرة ، واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ، ويحصل فيه من ضبط قوّة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة

تقليل النفقة **(والرياء والهتكة)** محركة كشف الستر **(والمجانة)** أي الهزل والسخرية **(والعبث)** محركة وهو عمل ما لا فائدة فيه **(والحرص والجشع)** هو محركة أشد الحرص والحرص طلب الاستغراق فيما فيه الحظ ، **(والملق)** محركة اسم من التملق **(والحسد)** وهو تمني زوال نعمة الغير عنه **(والشماتة)** وهي الفرح بمصيبة الغير **(وغيرها)** من الأوصاف الذميمة. **(وأما طاعة كلب الغضب فينتشر منها إلى القلب صفة التهوّر)** وهو الإقدام على أمور لا تنبغي **(والبذالة)** وهي الامتهان وعدم التصاون **(والبذخ)** محركة التكبر **(والصلف)** محركة العجب **(والاستشاطة)** وهو الاحتراق غضباً **(والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها)** من الأوصاف الذميمة ، **(وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيتحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة)** بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الموحدة وآخره زاي وهو بمعنى الخداع **(وأمثالها)** من الأوصاف الذميمة. **(ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفة الربانية العلم والحكمة والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوّة العلم و)** نور **(البصيرة ، واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة وردّه إلى حد الاعتدال صفات شريفة)** تضاد تلك الصفات المذكورة **(مثل العفة والقناعة والهدوّ)** وهو السكون والطمأنينة **(والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف)** وهو بالفتح ذكاء القلب والكياسة **(والمساعدة)** للإخوان على الخير **(وأمثالها)** من الصفات الحميدة ، **(ويحصل فيه من ضبط قوّة الغضب وقهرها وردها إلى**

وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها .

فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه ، وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب . أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقاً ونوراً وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين ، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً في قلبه » وبقوله ﷺ « من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ » . وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .[الرعد: ١٨] .

حد الواجب صفة الشجاعة والكرم) وهما يتلازمان غالباً ، **(والمنجدة)** بالفتح شدة الشجاعة **(وضبط النفس)** عن الوقوع في رذيلة **(والصبر)** على المكاره **(والحلم والاحتمال والعفو والثبات)** في الأمر ، **(والنبل)** بالضم رفعة المقام إلى المطالب **(وغيرها)** من الصفات الحميدة .

(والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه ، وهذه الآثار على التوالي) أي التتابع **(واصلة إلى القلب)** لا ينفك عنها . **(أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقاً ونوراً وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وتكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً)** أي ناصحاً ومذكراً للعواقب **(من قلبه »)** قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة واسناده جيد اهـ .

قلت : رواه ابن لال في مكارم الاخلاق ومن طريقه أورده الديلمي ولفظه : « جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه » ولفظ القوت وفي الخبر : إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له زاجراً من نفسه وواعظاً من قلبه .

قلت : وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قول ابن سيرين بزيادة يأمره وينهاه ، **(وبقوله)** ﷺ : **(« من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ »)** هكذا هو في القوت ، وقال العراقي لم أجد له أصلاً .

قلت : أخرجه أحمد في الزهد عن أبي الجلد قال : قرأت في الحكمة من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن انصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزاً والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية .

(وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر) وهو المشار إليه بقوله ﷺ « البر ما اطمأن إليه القلب وسكنت إليه النفس » فهذا وصف قلب كاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة كما وصف من قلوب المؤمنين في صريح الكلام ، وفي دليل الخطاب إما صريحه فإنه **(قال تعالى)** ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله **ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ أي تسكن إليه ، ولولا أن

وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى، وهو الطبع وهو الرين. قال الله تعالى: ﴿ كلاَّ بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين: ١٤] وقال عز وجل: ﴿ أن لو نشاءُ أصبناهُم بذنوبهم ونطبعُ على قلوبهم فهُم لا يسمعون ﴾ [الأعراف: ١٠٠] فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى: ﴿ واتَّقوا الله واسمعوا ﴾ [المائدة: ١٠٨] ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها. فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك: ﴿ الَّذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار

الذكر استقر فيه ما اطمأن إليه. وقال الله تعالى: ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادُوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ [الفتح: ٤] أما دليل الخطاب الدي يشهد بالتدبر فقوله تعالى في صفة قلوب المحجوبين ﴿ كانت أعينهم في غطاء عن ذكري ﴾ [الكهف: ١٠١] ومثله ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ ففي تدبر معناه أن عبادة المحسنين له سامعين منه ناظرين إلى غيبة مكاشفين بذكره.

(وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى ﴿ كلاَّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وقال تعالى) في ذكر القلوب المقفلة بالذنوب **(أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال)** تعالى: **(واتقوا الله واسمعوا)** وقال تعالى في فض الطابع بالتوبة وفي مفتاح القفل بالتقوى: **﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾** وقال ﷺ في محل القلب « التقوى ههنا » وأشار إلى القلب **(ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصوراً عليها، وإذا قرع سمعه الآخرة وما فيها من الأخطار)** أي الشدائد **(دخل من إذن وخرج من الأخرى)** ولم يلق له بالاً **(ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك)** عما فرط فيه **(أولئك ﴿ الذين يئسوا من الآخرة ﴾)** كما قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولَّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة **(كما يئس الكفار من أصحاب القبور)** ﴾ [الممحنة: ١٣] أي كما يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، **(وهذا هو معنى اسوداد**

من أصحاب القبور ﴾ [الممتحنة : ١٣] وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنّة .

قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع وتاب صقل ، وإن عـاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران ، وقد قال النبي ﷺ : « قلب

القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنّة) . أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ والرين صدأ يعلو الشيء الجلي . وأما السنّة فأشار إليه المصنف بقوله :

(**قال ميمون بن مهران)** هو الخبر ذو الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز تابعـي وقـد تقـدمـت ترجمته ولفظ القوت : وروينا عن جعفر بن برقان . قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : **(إذا أذنب العبد)** ولفظ القوت : إن العبد إذا أذنب **(ذنباً نكت في قلبه)** بذلك الذنب **(نكتة سوداء)** فإن تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلياً مثل المرآة ما يأتيه الشيطان إلا أبصره ، وأما الذي يتتابع في الذنوب كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه . هذا لفظ ميمون بن مهران عند صاحب القوت ، وأما قول المصنف : فإن هو نزع الخ هو بقية حديث مرفوع . قال صاحب القوت : وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء **(فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل)** قلبـه **(وإن عـاد زيـد فيهـا حتى تعلـو قلبـه فهـو الرين »)** كذا في النسخ ، والصواب : فهو الران الذي ذكره الله : ﴿ كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ .

قلـت : وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححاه والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن حبان وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب وأما قول ميمون بن مهران فهو كالمبين لهذا الحديث . وقد روى حذيفة في تفسير هذه الآية نحوه . أخرجه الفريابي والبيهقي في الشعب .

ويروى عن ابن عمر مرفوعاً قال : أعمال السوء ذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ . وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن والحاكم وصححه وتعقب . وقال مجاهد : أي اثبتت على قلبه الخطايا حتى غيرته . أخرجه عبد بن حميد . وقال ابن عباس : ران أي طبع أخرجه ابن جرير . وقال مجاهد : الرين اليسر من الطبع والطبع اليسر من الإقفال والاقفال أشد ذلك كله . أخرجه ابن جرير .

وأخرج عبد بن حميد من طريق خليد بن الحكم قال قال رسول الله ﷺ « أربع خصال تفسد القلوب مجاراة الأحمق فإن جاريته كنت مثله وإن سكت عنه سلمت منه وكثرة الذنوب مفسدة القلوب ، وقد قال تعالى : ﴿ بل ران عـلى قلوبهم ما كانوا يكسـبون ﴾ والخلوة بالنساء والاستماع منهن والعمل برأيهن ومجالسة الموتى . قيل : وما الموتى ؟ قال غني قد أبطره غناه » .

المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس ». فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب، ومعاصيه مسوّدات له فمن أقبل على المعاصي اسوّد قلبه، ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه، ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح، فإنها لا تخلو عن كدورة. وقد قال ﷺ: « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق »، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب. ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها؟ وفي رواية: ذهبت به. قال الله

(وقد قال ﷺ « قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس ») ولفظ القوت، وقد أخبر النبي ﷺ « أن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في تقسيمه القلوب » اهـ. وهو بعض الحديث الذي يأتي ذكره بعد.

(فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعاصيه مسوّدات له، فمن أقبل على المعاصي أسوّد قلبه) ثلثه أو ربعه أو نصفه فإن داوم عليه اسودّ كله، **(ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره فهو كالمرآة يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فإنها)** تجلى لكنها **(لا تخلو عن كدورة، وقد قال ﷺ « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر)** أي يلمع **(فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس)** أي مقلوب أعلاه أسفله وأسفله أعلاه **(فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق » فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد. فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها. وفي رواية ذهبت به)** الخ. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري اهـ.

قلت: وقال صاحب القوت: وروينا عن أبي سعيد الخدري وأبي كبشة الانماري وبعضه أيضاً عن حذيفة عن رسول الله ﷺ ثم ساق الحديث كسياق المصنف مع ذكر الرواية الثانية. ورواه صاحب العوارف من حديث حذيفة وسياقه كسياق المصنف.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن عبد الرحمن، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد ابن حميد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري عن حذيفة قال: « القلوب أربعة قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان فمثل الايمان كشجرة يمدّها ماء طيب ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها قيح ودم فايهما غلب عليه غلب ».

تعالى: ﴿إن الذين إذا اتَّقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١] فأخبر أن جلاء القلب وأبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر، وهو الفوز بلقاء الله تعالى.

بيان مثال القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة:

اعلم أن محل العلم هو القلب؛ أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء، وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلوّنات؛ فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها،

وقال في ترجمة أبي البختري حدثنا سلمان بن أحمد، حدثنا موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي، حدثنا أحمد بن خالد الواهبي، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن ليث بن أبي سليم، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «القلوب أربعة فقلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وذلك قلب المؤمن وسراجه فيه نوره» فساقه. ثم قال: غريب من حديث عمرو تفرد به شيبان عن ليث وحدث به الإمام أحمد بن أبي النضر عن شيبان بمثله، ورواه جرير عن الأعمش فخالف ليثاً فقال عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة وأرسله.

(وقد قال الله تعالى ﴿إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ فاخبر أن جلاء القلب وأبصاره يحصل بالذكر) ولفظ القوت: إن جلاء القلب الذكر به يبصر القلب **(وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى)** ولفظ القوت: وإن باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى. ولفظ القوت: وإن باب الذكر التقوى به يذكر العبد، فالتقوى باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا وأمر الله تعالى بالذكر وأخبر أنه مفتاح التقوى لأنه سبب الاجتناب وهو الاتقاء وهو الورع، فقال تعالى ﴿وأذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٦٣] وأخبر تعالى أنه أظهر البيان للتقوى في قوله عز وجل: ﴿كذلك يبين الله آياته للناس لعَلّهم يتقون﴾ [البقرة: ١٨٧].

بيان أمثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة:

(اعلم أن محل العلم هو القلب أعني) به **(اللطيفة)** النورانية **(المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء)** لا المضغة الصنوبرية **(وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلوّنات، فكما أن للمتلوّن صورة، ومثال تلك**

كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها ، وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور . فكذلك ههنا ثلاثة أمور : القلب ، وحقائق الأشياء ، وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه .

فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الأشياء ، والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء . والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة .

وكما أن القبض مثلاً يستدعي (قابضاً) كاليد (ومقبوضاً) كالسيف ، ووصولاً بين السيف واليد ـ بحصول السيف في اليد ـ ويسمى (قبضاً) فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علماً ، وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصلاً لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب ، كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلاً لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب ، فمن علم النار لم

الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها ، فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورته فتنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها ، وكما ان المرآة غير وصور الأشخاص) في نفسها **(غير ، وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور ، فكذلك هنا ثلاثة أمور : القلب)** بمنزلة المرآة **(وحقائق الاشياء)** بمنزلة صور الأشخاص ، **(وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه)** بمنزلة حصول مثال تلك الصور .

(فالعالم) بكسر اللام **(عبارة عن القلب الذي يحل فيه مثال حقائق الأشياء ، والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء ، والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة)** فهي ثلاثة عالم ومعلوم وعلم ثم زاده وضوحاً بمثال آخر فقال :

(كما أن القبض يستدعي (قابضاً) كاليد (ومقبوضاً) كالسيف ووصولاً بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى (قبضاً) فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علماً ، وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصلاً لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما كان السيف موجوداً واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلاً) بعد **(لعدم وقوع السيف في اليد)** ، ولقائل أن يقول : إن هذا تشبيه المعقول بالمحسوس ، وليس بين المشبه والمشبه به مناسبة تامة فلم يتفقا فأشار إلى ذلك بقوله : **(نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب ، فمن علم النار لم**

تحصل عين النار في قلبه، ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها، **فتمثيله** بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما **يحصل مثال مطابق له، وكذلك** حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علماً.

وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة أمور.

أحدها: نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل.

والثاني: لخبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل.

والثالث: لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة.

والرابع: لحـجاب مرسل بين المرآة والصورة.

والخامس: للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهتها.

يحصل عين النار في قلبه، ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها) بأنها جسم محرق، **(فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة، وإنما يحصل مثال مطابق له، وكذلك حصول مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علماً)**.

(وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور) أي صور الأشخاص **(لخمسة أمور)**:

(أحدها: نقصان صورتها لجوهر الحديد قبل أن يدوّر ويشكل ويصقل) يعني به مرآة الهندوان.

(والثاني: لخبثه وصدئه وكدورته) فإن من شأن الحديد ذلك **(وإن كان تام الشكل)** وهذان منتفيان في مرآة الزجاج إذا لصق بظهره الزئبق، فإنه حينئذ لا يحتاج إلى تدويرها وصقلها ولا يركبها الصدأ أو الكدر.

(والثالث: لكونه معـدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة).

(والرابع: لحجاب المرسل بين المرآة والصورة).

(والخامس: للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها) أي يقابل **(شطر الصورة وجهتها)**.

فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها، وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة.

أولها: نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه.

والثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً» أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق القلب، فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نوراً، فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له. فليست المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق؟ فالإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:

(فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن تتجلى فيها حقيقة الحق في الأمور كلها، وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة).

(أولها: نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا تتجلّى له المعلومات لنقصانه).

(والثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه) فإن الحق نور والشهوة ظلمة وهما ضدان، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ «من قارف ذنباً)** أي أصاب وارتكب **(فارقه عقل لا يعود إليه أبداً »)** قال العراقي لم أر له أصلاً اهـ. **(أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها ابداً إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لزاد لا محالة إشراق القلب، فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة، ولم يزدد بها نوراً وهذا خسران ونقصان لا حيلة له)**.

أخرج الديلمي من طريق محمد بن سومة، عن الحرث، عن علي مرفوعاً «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له» وإسناده ضعيف.

(فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق، والإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه، ولذلك قال تعالى﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾) أي نفوسهم وعدوّهم الذي يأمرهم

٦٩] وقال ﷺ: « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ».

الثالث: أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافياً فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذياً بمرآته شطر المطلوب، بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها، أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها. وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات

بالفحشاء والتفكر فصابروه وغلبوا نفوسهم بإماتتها (**لنهدينهم سبلنا**) أي لنطرقنهم إلى مكاشفات العلوم ولنوصلنهم إلى أقرب الطريق إلينا بحسن مجاهدتهم فينا، ثم ختم الأمر بقوله ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾. (**وقال ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »**) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس، وقد تقدم في كتاب العلم. وأورده صاحب القوت ثم قال: أي من معرفة الأختبار والاختيار والابتلاء والاجتباء والتعريف والتأديب والمثوبة والعقوبة والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة إلى غير ذلك من علوم المعارف بعد حسن التفقه عن معرفة المنقص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد. وفسر بعض العلماء قوله تعالى ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ فقال: هم الذين يعملون بما يعلمون. قال: يوفقهم ويهديهم إلى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء ولأجل هذه المناسبة أورد المصنف هذا الحديث عقب الآية.

وقال بعض السلف: هذه الآية نزلت في المتعبدين المنقطعين إلى الله عز وجل المستوحشين من الناس، فيسوق الله إليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة. وقال بعض التابعين: من عمل بعُشر ما يعلم علمه الله ما يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار.

(**الثالث: أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن القلب المطيع الصالح وإن كان صائباً فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق**) أي ليس بصدده، (**وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم**) مستغرق الفكر (**بتفصيل الطاعات البدنية**) إن كان فارغ البال، (**أو بتهيؤ أسباب المعيشة**) له ولأهله، (**ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية**) أسرارها (**الإلهية، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وحقائق عيوب النفس إن كان متفكراً فيه أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها، وإذا كان تقييداً لهم بالأعمال وتفصيل الطاعات**) التي تقرب إلى الله (**مانعاً عن إنكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم إلى شهوات الدنيا**

الدنيوية ولذاتها وعلائقها، فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي.

الرابع: الحجاب فإن المطيع، القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد، وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب، بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق.

الخامس: الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب، فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه، فإن العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص

ولذاتها وعلائقها: فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي)؟ والحاصل أن تعلق القلب بغير الله ولو كان في الطاعات الموصلة إليه مانع عن حصول انكشاف الحقائق كما هي لعدم التفاته إليه.

(**الرابع: الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته**) بمجاهدة نفسه (**المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد**) والتلقي، (**والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقنه**) أوّلاً (**من ظاهر التقليد. وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب**) المتبوعة حتى صارت قلوبهم بذلك التقليد مصمتة لا تسمع غير ما تقلده منذ صباوته (**بل أكثر الصالحين**) من عباده (**المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق**) على ما هي عليها، وقد تقدم البحث عن ذلك في كتاب العلم.

(**الخامس: الجهل بالجهة التي منها يقع العثور**) أي الاطلاع (**على المطلوب فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب**) وتنكشف. (**لقلبه فإن العلوم المطلوبة التي ليست فطرية**) أي مما يمكن حصوله من أصل الفطرة (**لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة**)

إلا بشبكة العلوم الحاصلة، بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى. ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى، وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص. فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما بالعلم المستفاد المطلوب، فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم. ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها، بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلاً بالمرآة فإنه إذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا، وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا، ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين، ثم تدرك العين صورة القفا، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة يعز على بسيط الأرض من يهتدي إلى كيفية الحيلة

عنده، (**بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص، فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل من النتاج من ازدواج الفحل والأنثى،ثم**) أي هناك (**كما من أراد أن يستنتج رمكة**) محركة وهي الأنثى من البراذين (**لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وإنسان، بل من أصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى، وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص، فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق**) خاص (**في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب والجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم**) للأكثرين. (**ومثاله: ما ذكرناه من الجهل** بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان مثلاً أن يرى قفاه في المرآة فإنه إن رفع المرآة بإزاء وجهه) أي في مقابلته (**لم يكن قد حاذى بها**) أي قابل (**شطر القفا**) أي في جهته، (**فلا يظهر فيها القفا**) لعدم المقابلة، (**وإن رفعها وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها**) فإن العين هي التي تبصر، (**فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه**) المرآة (**في مقابلته بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية ثم تنطبع صورة هذه في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الأرض**)

في تلك الازورارات. فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور. وإلاَّ فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجبال فأبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْهَا وحملها الإنسان ﴾ [الأحزاب: ٧٢] إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقاً لحمل أمانة الله تعالى، وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل، ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها، ولذلك قال ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه وينصرانه

أي يندر وجود (**من يهتدي إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات**) والتحريفات. (**فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب عن معرفة حقائق الأمور وإلاَّ فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف**) إذ هو عبارة عن تلك اللطيفة وهو جوهر لطيف (**فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف**) وهي الصلوح لمعرفة الحقائق، (**وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان**) إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ ففيه (**إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقاً**) أي قادراً (**لحمل أمانة الله تعالى، وتلك الامانة**) اختلف فيها على أقوال: منها (**هي المعرفة**) للحقائق كما هي، (**والتوحيد**) لله تعالى العاري عن الحلول والاتحاد والإيجاد، (**وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل**) أي في أصل فطرته. (**ولكن يثبطه**) أي يؤخره (**عن النهوض**) أي القيام (**باعبائها**) أي أثقالها (**والوصول إلى تحقيقها الأسباب**) المانعة التي ذكرناها، (**ولذلك قال** ﷺ « **كل مولود**) من بني آدم (**يولد على الفطرة**) اللام للعهد والمعهود. فطرة الله التي فطر الناس عليها أي الخلقة التي خلق الناس عليها من الاستعداد لقبول الدين والتهيؤ للتمييز بين الخطأ والصواب، (**وإنما أبواه**) والداه هما اللذان (**يهوّدانه**) **أي يصيرانه يهودياً** بأن يدخلاه في دين اليهودية المحرف المبدل (**وينصرانه**) أي يصيرانه نصرانياً (**ويمجسانه** ») أي يدخلانه في دين المجوسية، كذلك بأن يصدّاه عما ولد عليه ويزينان له الملة المبدلة والنحل الزائغة ولا ينافيه لا تبديل لخلق الله، لأن المراد به لا ينبغي أن تبدل تلك الفطرة التي من شأنها أن لا تبدل أو هو خبر بمعنى النهي. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه البخاري بلفظ المصنف إلا أنه قال: « فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وزاد « كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء ».

ولفظ مسلم « كل إنسان تلده أمه على الفطرة فابواه بعد يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم » الحديث. وقد رواه الترمذي وقال: حسن صحيح بلفظ: « كل مولود يولد

ويمجسانه » وقول رسول الله ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت.

وإليه الإشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله، يا رسول الله أين الله في الأرض أو في السماء ؟ قال : « في قلوب عباده المؤمنين » . وفي الخبر : « قال الله تعالى لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الليّن الوادع » . وفي

على الملة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه ويشركانه » قيل : يا رسول الله فإن هلك قبل ذلك ؟ قال« الله أعلم بما كانوا عاملين » .

وفي الباب عن الأسود بن سريع وعن جابر وعن أنس ، فحديث أنس أخرجه أبو يعلى والبغوي والباوردي والطبراني في الكبير والبيهقي بلفظ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهوّادنه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وحديث جابر أخرجه أحمد والضياء في المختارة بلفظ أبي يعلى إلا أنه قال بعد قوله « لسانه فإذا عبّر عنه لسانه اما شاكراً أو كفوراً .

وأما حديث أنس ، فأخرجه الحكيم والترمذي في نوادر الأصول بلفظ « كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولد على الفطرة على الإسلام كلهم ، ولكن الشياطين أتتهم فاحتالتهم عن دينهم فهوّدتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً » .

(وقول رسول الله ﷺ « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ») تقدم قريباً في كتاب الصوم. **(إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت)** وقد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الصوم.

(وإليه الإشارة بما روي عن ابن عمر) رضي الله عنهما **(قال : قيل يا رسول الله : أين الله في الأرض [أو في السماء ؟] قال : « في قلوب عباده المؤمنين »)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي : لم أجده بهذا اللفظ ، وللطبراني من حديث أبي عنبة الخولاني مرفوعاً « أن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين » الحديث وقد تقدم قريباً .

(وفي الخبر « قال الله تعالى : لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) وفي لفظ زيادة **(اللين الوادع »)** أي الساكن المطمئن هكذا هو في القوت والرسالة للقشيري ، والمشهور : « ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » وقال العراقي : لم أجد له أصلاً وفي حديث أبي عنبة قبله عند الطبراني بعد قوله : وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها اهـ .

الخبر أنه قيل يا رسول الله من خير الناس؟ فقال: « كل مؤمن مخموم القلب » فقيل: وما مخموم القلب؟ فقال: « هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا

قلت: وسبقه ابن تيمية الحافظ فقال: هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي وإلا فمن قال: إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده اهـ.

وفي المقاصد للحافظ السخاوي ما نصه: ورأيت بخط الزركشي سمعت بعض أهل العلم يقول: هذا باطل وهو من وضع بعض الملاحدة، وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا لمقاصد يقصدها ويقول عنه الوجد والرقص طوفوا ببيت ربكم اهـ.

قلت: وهذا من الزركشي تحامل على الصوفية الذين هم من خواص خلق الله تعالى ويعني بالمتكلم المذكور القطب أبا الحسن علي بن وفا الشاذلي قدس سره جد السادة الوفائية، وناهيك به جلالة وقدراً قد خصه الله بالفيوضات والكشوفات ما لو فتح للزركشي عين قلبه لرأى جلية الحق وتحققت له الحقائق، ولكنه محجوب بما تلقفه من مشايخه مجبول على ربقة التقليد، وإن كان هو علم من ربه وما كنت أرى له أن يتكلم بما قال كيف وقد أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد بسنده عن وهب بن منبه قال: إن الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب! فقال الله: إن السموات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين. وإلى هذا أشار ابن تيمية بقوله. مذكور في الإسرائيليات ويشهد لصحة معناه حديث أبي عنبة الخولاني المار ذكره قريباً عن الطبراني، وهذا القدر يكفي للصوفي ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة والإنصاف من أوصاف المؤمنين ولا اعتراض على قول القطب عند الوجد: طوفوا ببيت ربكم فإن القلب بيت الرب، وليس يعني به هذه المضغة الصنوبرية بل اللطيفة النورانية تأمل.

(وفي الخبر أنه قيل لرسول الله ﷺ من خير الناس؟ فقال « كل مؤمن مخموم القلب » فقيل وما مخموم القلب؟ فقال « هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ») هكذا أورده صاحب القوت، وقال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر باسناد جيد اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه « خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق ». قيل قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم؟ قال « هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد » قيل: فمن على أثره؟ قال « الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة » قيل: فمن على أثره؟ قال « مؤمن في خلق حسن » وقد رواه كذلك الحكيم الترمذي في النوادر والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب، ورواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلاً.

حسد ». ولذلك قال عمر رضي الله عنه: رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى، ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض، أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة، وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر فلا نهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له. وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحد تسمى الحضرة الربوبية، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله، ومملكته وعبيده من أفعاله، فما يتجلى

(**ولذلك قال عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه: (**رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب**) بينه وبين قلبه (**بالتقوى**) ومزيد الإيمان وقوته بما أورثه سعة المشاهدة، (**ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه**) فالملك عالم الشهادة والملكوت عالم الباطن، (**فيرى**) بعين بصيرته (**جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة، وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف**) أي النواحي (**فهو متناه على الجملة، وأما عالم الملكوت وهو الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوص بإدراك البصائر**) لاختصاصه بأرواح النفوس (**فلا نهاية له**) لسعته، وعالم الشهادة بالنسبة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالنسبة إلى اللب، وكالصورة والقالب بالنسبة إلى الروح، وكالظلمة بالنسبة إلى النور، وكالسفل بالنسبة إلى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني. (**نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له**) كما لا نهاية لمعلوماته، (**وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية**) وحضرة الإلهية غير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية، ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال: ﴿قل أعوذ برب الناس ★ ملك الناس ★ إله الناس﴾ [الناس: ١ - ٣] وتمييز حضرة الملك من حضرة الربوبية يستدعي شرطاً طويلاً، ولكل من حضرات الإلهية الخمس عوالم فحضرة الشهادة عالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف عالمها عالم الملكوت، وعالم الملك مظهر عالم الملكوت ولا يكون العبد ملكوتياً إلا وتبدل في حقه الأرض غير الأرض والسموات، ويصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه، ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه وهذا هو المعراج الأوّل لكل سالك ابتدأ سفره إلى قرب الحضرة الربوبية، (**لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله**). وفي بعض النسخ:

من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق، ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ [الشمس : ٩] ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه أعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فمن يُرد الله أن يهديه يَشْرَحْ صَدرهُ للإسلام﴾ [الأنعام : ١٢٥] وبقوله :﴿أفمَن شرَح اللهُ صدرُه للإسلام فهو على نور من ربّه﴾ [الزمر : ٢٢].

نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب.

ومملكته من عبيده وأفعاله. وقد اتفق العارفون على ذلك فهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق وأفعاله، لكن منهم من كان له هذا الحال عرفاناً علمياً، ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حالياً وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه، ولم يبق منهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً فلم يكن عندهم إلا الله، **(فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم)** من العارفين **(وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بسبب سعة معرفته)** واتساع باعه في اليقين، **(وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله)** وفي ذلك يتفاوتون على قدر مقاماتهم وسعة معرفتهم، **(وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه)** قال الله تعالى: **(﴿قد أفلح من زكاها﴾)** أي النفس وبتزكية النفس يحصل تزكية القلب وفي بعض النسخ، وقد أفلح من زكاه أي القلب، **(ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه. أعني إشراق نور المعرفة)** بالله فيترقى من الحضيض إلى أوج الحقيقة، فيرى بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود إلا الله وإن كل شيء هالك إلا وجهه، ونصيب كل عبد من ذلك حسب قسمه من اليقين وقسمه من اليقين عن قربه من القريب جل وعلا وقربه على حسب قرب الله تعالى من قلبه بقدر علمه بالله واتساعه فيه على نحو مكانه من نور الايمان ومزيد إيمانه على قدر إحسان الله إليه وإحسانه إليه على قدر عنايته به وإيثاره له، **(وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾)** فالنور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر فظهرت له العلامات الدالة عليه من الإنابة والاستعداد للموت وغيرها كما سيأتي **(وبقوله)** تعالى: **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾** فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله. **(نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب)**.

اعلم أن التجلي يستدعي رفع الحجاب ومعرفة الحجاب وسببه وما يقابله، فرفع الحجاب هو الانكشاف الحاصل للقلب بنور الايمان، وأما الحجاب فهو انتكاس القلب وانغلاقه وسببه الظلمة، وأما ما يقابله فهو نور الإيمان ويندرج فيه نور العلم ونور الذوق والله سبحانه وتعالى يتجلى في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب في الإضافة إلى محجوب لا محالة، فالمحجوبون على أقسام ومراتب،

المرتبة الأولى: إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض.

والثانية: إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام.

كما أن المؤمنين على أقسام ومراتب، فمنهم من يحجب بمجرد الظلمة، ومنهم من يحجب بالنور المحض، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة، ولكل هؤلاء أصناف لا يحصون كثرة. وأما الإيمان بالله فهو التصديق الجازم بوجوده أوّلاً، ثم بتقديسه عن سمات الحوادث ثانياً، وبوحدانيته ثالثاً، وبصفاته رابعاً. وهذا التصديق له مراتب ذكر المصنف منها ثلاثة. وهي في الحقيقة تسعة، فإن كل مرتبة من المراتب الثلاثة منقسمة إلى ثلاثة، واقتصر المصنف هنا على ثلاثة إذ هي الأصول، وذكر في آخر كتابه (الجام العوام) ستة وهي أقسام المرتبتين، وأما المرتبة الثالثة فذكرها بأقسامها في كتابه مشكاة الأنوار وقد تبع هنا صاحب القوت حيث ذكر المراتب ثلاثة، ونحن نذكر أن شاء الله تعالى خلاصة ذلك كله قال:

(المرتبة الأولى: إيمان العوام: وهو إيمان التقليد المحض) وفيها ثلاث مراتب.

الأولى: منها التصديق بوجود السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق فإن من حسن اعتقاده قد يخبر عن شيء فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقى مجال لغيره في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه، وهذا كاعتقاد الصبيان في آبائهم ومعلميهم فإنهم يسمعون الاعتقادات ويصدقون ويستمرون عليه من غير حاجة إلى دليل ومحاجة.

المرتبة الثانية: من المرتبة الأولى التصديق الذي يسبقه إليه العلم عند سماع الشيء مع قرائن الأحوال لا يفيد القطع منه المحقق، ولكن يلقى في حق العوام اعتقاداً جازماً لا يخالجه ريب ولا يطالب دليلاً.

المرتبة الثالثة: من المرتبة الأولى أن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر الى التصديق بمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاد في قائله ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما في طبعه. وهذه أضعف التصديقات وأدنى الدرجات لأنه ما قبله استند إلى دليل مّا، وإن كان ضعيفاً من قرينة أو حسن اعتقاد في المخبر فهي أمارات يظنها العامي أدلة فتعمل في حقه عمل الأدلة.

(والثانية: إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال) وفيها أيضاً ثلاث مراتب.

الأولى: وهو أقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصى المستوفي بشروطه المحرر بأصوله ومقدماته درجة درجة كلمة كلمة حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس، وذلك هو الغاية القصوى.

الثانية: أن يحصل بالأدلة الرسمية الكلامية المبنية على أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة انكارها ونفرة النفوس عن ابداء المزيد فيها، وهذا الجنس أيضاً يفيد في بعض الأمور في حق بعض الناس تصديقاً جازماً بحيث لا يتغير صاحبه بامكان خلافه أصلاً.

والثالثة: إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين.

الثالثة: أن يحصل التصديق بالأدلة الخطابية التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات، وذلك يفيد في حق الأكثر تصديقاً ببادىء الرأي وسابق الفهم إذا لم يكن الباطن مشحوناً بتعصب ورسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل.

(والثالثة: إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين) وفيها أيضاً ثلاث مراتب.

الأولى: إيمانهم بان كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته فهو من حيث ذاته لا وجود له بل وجوده مستعار من غيره ولا قوام لوجوده المستعار بنفسه بل بغيره، ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض، فإذا انكشف للعبد هذه الحقيقة بنور اليقين علم أنه ملك لمالكه على التفرد لا شريك له فيه أصلاً.

الثانية: ترقوا من حضيض المجاز إلى أوج الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العينية أن ليس في الوجود إلا الله، وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه يصيرها لكافي وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلاً وأبداً لا يتصوّر إلا كذلك ، وان كل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإذا اعتبرت من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأوّل رؤي موجوداً لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله فقط، ولكل شيء وجهان: وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود، فإذاً لا موجود إلا الله ووجهه ،فإذاً كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً. ولم يفتقر هؤلاء لقيام القيامة ليسمعوا نداء الباري ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ولم يفهموا من معنى قوله: الله أكبر أنه أكبر من غيره حاشا الله إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه، بل ليس لغيره رتبة المعية، بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود إلا من الوجه الذي يليه، فالوجود وجهه فقط، فمحال أن يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من أن يقال أكبر بمعنى الإضافة والمقايسة، وأكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه نبياً كان أو ملكاً بل لا يعرف كنه معرفته إلا الله تعالى.

الثالثة: بعدما عرجوا إلى سماء الحقيقة اتفقوا انهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم من كان له هذا الحال عرفاناً علمياً، ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حالياً وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً، فلم يكن عندهم إلا الله فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني وقال آخر: ما في الجبة إلا الله، وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى، فلما خف عنهم سكرهم وردّوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحاد. وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لأنه فني عن

ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات.

الأولى: أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول، فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع، وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد، وهو

نفسه وفني عن فنائه، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره كان قد يشعر بنفسه، وتسمى هذه الحال بالنسبة إلى المستغرق به بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيداً.

وقال صاحب القوت: كل قلب اجتمع فيه ثلاث معان لم تفارقه خواطر اليقين، ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعاني ودقتها ويقوى اليقين ويظهر بقوتها لأن هذه الثلاث مكان اليقين. أحدها: الإيمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار، والثاني: العلم ومكانه موضع الزناد، والثالث: العقل وهو مكان الحراق، فإذا اجتمعت هذه الأسباب قدح خاطر اليقين في القلب، ومثل القلب في قوّته بقوّة مدده وفي صفائه بجودة عدده مثل المصباح في القنديل الماء مكان العقل منه، والزيت موضع العلم به هو روح المصباح وبمدده يكون ظهور اليقين، والفتيلة مكان الإيمان منه هو أصله وقوامه الذي يظهر بها، فعلى قدر قوّة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الإيمان في قوّته بالورع وكماله بالخوف، وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضيء النار التي من اليقين وهو مثل العلم في مدد الزهد وفقد الهواء فصار العلم مكاناً للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد في الدنيا إزداد إيماناً وعلا لأنه يرى في علوه ما لا يراه غيره ويعلم في اتساعه ما لا يعلمه سواه، فليكثر المؤمن به فيكون ذلك مزيد ايمانه وقوّته، ثم يشهد كل ما أمر به فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله سبحانه وتعالى بمعاني صفاته وأحكام ملكوته قلّت المؤمنات فقلّ إيمان هذا العبد، ثم أشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الأسباب وسمع الكلام من خلف يعجزه عن المسارعة إلى البر فيضعف بذلك ايمانه ويختل مشاهدته ولا يتحقق فليس من علم من قدر الله تعالى وصفاته وأحكامه وآياته مائة ألف معنى، ثم شهدها كلها من قرب عن كشف مثل من علم منها عشرة معان، ثم شهدها من بعد عن حجاب وهما مؤمنان معاً لكن بين إيمانهما في القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة إلى مائة ألف، فيكون إيمان قلب المسلم معشار عشر إيمان قلب الموقن، والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة جزء، ويكون ايمان قلب الموقن فيما بين ذلك من الزيادة على العشر والنقصان عن مائة ألف على قدر قسمه.

(وتتبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات.

الأولى: أن يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد) فإن من حسن اعتقاده في

مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤوا به، وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم، وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين، لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين، إذا الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات، فقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم إلا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقي إليهم الخطأ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي إليهم كلمة الحق.

انسان قد يخبر عن شيء كموت شخص وقدوم غائب وغيره فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقى مجال لغيره في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه، فالمجرب بالصدق والورع والتقوى مثل الصديق رضي الله عنه إذ قال: قال رسول الله ﷺ: «فكم من مصدق به جزما وقابل له قولاً مطلقاً». (**وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم**) ومشايخهم (**وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه و**) صدق (**ما جاء به، وكما سمعوه**) بادروا الى التصديق (**وقبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه**) ولم يخالجهم ريب وشك ولا مستند لقبولهم ذلك إلا (**لحسن ظنهم**) واعتقادهم (**بآبائهم وأمهاتهم أو معلميهم**) وقد يستمرون على ذلك من غير حاجة إلى دليل ومحاجة. (**وهذا الإيمان سبب النجاة**) من عذاب الله (**في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين**) المشار إليهم في قوله تعالى ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ [الواقعة: ٢٧] الآية. (**وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف بصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد، بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما سمعوه من آبائهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقي إليهم الخطأ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي إليهم كلمة الحق**) وإنما قلنا إن هذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة لأن أكثر الناس آمنوا في الصبا وكان تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلمين بحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على أنفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين أيديهم على مخالفيهم، وحكايات أنواع النكال النازل لمن لا يعتقد اعتقادهم، وقولهم: إن فلاناً اليهودي مسخ في قبره كلباً وفلاناً النصراني انقلب خنزيراً أو حكايات ومنامات، وأحوال من هذا الجنس تنغرس به في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل إلى ضده حتى ينزع الشك بالكلية من قلبه، والتعلم في الصغر كالنقش على الحجر ما لم يقع تشويش عليه فلا يزال ذلك في نفسه، فإذا بلغ استمر اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذي لا يخالجه فيه

ريب، ولذلك ترى أولاد النصارى والروافض والمسلمين كلهم لا يبلغون إلا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الحق والباطل جازمة، ولو قطعوا إرباً إرباً لما زادوا أبداً عنها ولم يسمعوا عليها دليلاً لا حقيقياً ولا رسمياً، وكذلك ترى العبيد والإماء يسبون من المعترك ولا يعرفون الإسلام، فإذا وقعوا في أيدي المسلمين مدة ورأوا ميلهم إلى الإسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا بأخلاقهم، كل ذلك مجرد التقليد والتشبيه بالغير فالطباع مجبولة على التشبيه، لاسيما طباع الصبيان والشباب، فبهذا يعرف أن التصديق الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الأدلة.

فصل

ولعلك تقول: لا أنكر وصول التصديق الجازم إلى قلوب العوام بهذه الأسباب، ولكن ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل لا يتميز فيه الباطل عن الحق، فالجواب ان هذا غلط ممن ذهب إليه بل سعادة الخلق أن يعتقدوا الشيء بما هو عليه اعتقاداً جازماً لتنتقش قلوبهم بالصورة الموافقة الحقيقة الحق، حتى اذا ماتوا انكشف لهم الغطاء فشاهدوا الأمور على ما اعتقدوها ولم يفتضحوا ولم يحترقوا بنار الخزي والخجلة أوّلاً، وبنار جهنم ثانياً، وصورة الحق إذا انتقش به قلبه فلا نظر إلى السبب المفيد له أهو دليل حقيقي أم رسمي أم اقناعي أو قبول عن الاعتقاد في قائله أو قبول لمجرد التقليد من غير تسبب، فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق على ما هو عليه، فمن اعتقد حقيقة الحق في الله تعالى وفي صفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر على ما هو عليه فهو سعيد، وإن لم يكن ذلك لدليل محرر كلامي، فلم يكلف الله تعا لى عباده إلا ذلك، وذلك معلوم على الضرورة بجملة أخبار متواترة عن رسول الله ﷺ في توارد الأعراب عليه وعرض الإيمان عليهم، وقولهم ذلك وانصرافهم إلى رعاية الإبل والمواشي من غير تكليفه إياهم الفكر في المعجزة ووجه دلالتها والفكر في حدوث العالم واثبات الصانع في أدلة الوحدانية وسائر الصفات، بل الاجلاف من العرب أكثرهم لو كلفوا لم يفهموه ولم يدركوه بعد طول المدة، بل كان الواحد منهم يحلفه فيقول: آلله الله ارسلك رسولاً فيقول والله الله أرسلني رسولاً فكان يصدقه بيمينه وينصرف، ويقول الآخر: إذا قدم عليه ونظره والله ما هذا وجه كذاب، وأمثال ذلك مما لا يحصى. بل كان أسلم في غير غزوة واحدة في عصر أصحابه آلاف لا يفهم أكثرهم أدلة الكلام والتوحيد، ومن كان يفهمه فإنه يحتاج إلى أنه يترك صناعته ويختلف إلى تعليمه مدة مديدة ولم ينقل قط شيء من ذلك فعلم علماً ضرورياً إن الله لم يكلف الخلق إلا الإيمان والتصديق الجازم بما قاله كيفما حصل التصديق، نعم لا ينكر أن للعارف درجة على المقلد، ولكن المقلد في الحق مؤمن، كما ان العارف مؤمن.

فإن قيل: بم يميز المقلد بين نفسه وبين اليهودي المقلد؟ قلنا: المقلد لا يعرف التقليد ولا يعرف انه مقلد بل يعتقد في نفسه أنه محق عارف فلا يشك في معتقده ولا يحتاج مع نفسه إلى التمييز كقطعه بأن خصمه مبطل وهو محق، ولعله أيضاً مستظهر بقرائن أو أدلة ظاهرة، وإن كانت غير

الرتبة الثانية: أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع، فإنك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقيناً لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة، فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص؟ وهذا إيمان ممزوج بدليل والخطأ أيضاً ممكن أن يتطرق إليه، إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعاً ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضاً.

الرتبة الثالثة: أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده؛ وهذه هي المعرفة الحقيقية

قوية ويرى نفسه مخصوصاً بها ومتميزاً بسببها عن خصومه، وإن كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يشوّش ذلك على المحق اعتقاده كما أن العارف الناظر يزعم أنه يميز نفسه عن اليهودي بالدليل ودعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف، فكذلك لا يشكك المقلد القاطع ويكفيه الإيمان أن لا يشككه في اعتقاده معارضة المبطل كلامه بكلامه، فهل رأيت عامياً قط اغتم وحزن من حيث يعسر عليه الفرق بين تقليده وتقليد اليهودي، بل لا يخطر ذلك ببال العوام، وإن يخطر ببالهم أو شوفهوا به ضحكوا من قائله وقالوا: ما هذا الهذيان، وكان بين الحق والباطل مساواة حتى يحتاج إلى فارق يفرق أنه على الباطل وأنا على الحق وأنا متيقن لذلك غير شاك فيه، وكيف أطلب الفرق حتى يكون الفرق معلوماً قطعاً من غير طلب، فهذه حالة المقلدين من الفرقتين. وهذا إشكال لا يقع ليهودي مبطل لقطعه لمذهبه مع نفسه، فكيف يقع للمقلد المسلم الذي وافق اعتقاده ما هو الحق عند الله تعالى، وظهر بهذا على القطع أن اعتقاداتهم جازمة وإن الشرع لم يكلفهم إلا ذلك والله أعلم.

(الرتبة الثانية: أن يسمع كلام زيد) مثلاً **(وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فيستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع، فإنك إذا قيل لك أنه في الدار ثم سمعت صوته أزددت به يقيناً، لأن الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حالة مشاهدة الصورة، فقلبه يحكم بأن هذا صوت ذلك الشخص، فهذا إيمان ممزوج بدليل)** وهو يفيد في بعض الأمور، وفي حق الناس تصديقاً جازماً بحيث لا يتغير صاحبه بإمكان خلافه أصلاً. **(والخطأ أيضاً ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت، وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعاً ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضاً.**

الرتبة الثالثة: أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده، فهذه هي المعرفة الحقيقية

والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين، ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ. نعم وهم أيضاً يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف.

(والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين)، أما انطواء إيمان العوام فظاهر، وأما إيمان المتكلمين فلأنه حاصل لهم بالبرهان المستوفي بشروطه المحررة بأصوله ومقدماته حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس، **(ويتميزون)** يعني أهل المشاهدة اليقينية **(بمزية يستحيل معها إمكان الخطأ)** لقوّة معرفتهم، وأصل سياق هذا المثال لصاحب القوت وقد أخذه المصنف وزاده تحريراً وبياناً وهذا لفظه مثال ذلك فيما تعقله مثل رجل قال لك: إن عندي فلاناً فقد حصل لك علم أنه عنده غير أن هذا العلم غير يقين لأنه يجوز أن يكون قد اشتبه عليه، أو يكون قد كان عندي ثم خرج وليس هو الآن عندي وهذا مثل إيمان المسلم هو علم خبر لا خبر، ثم إنك تأتي إليّ لتراه فتسمع كلامه من وراء حجاب وقد علمت الآن أنه عندي لأنك سمعت كلامه، واستدللت على كونه إلا أن هذا العلم أيضاً غير تحقيق لأن الأصوات تشتبه والاجرام تتفاوت، ولو قلت لك لم يكن عندي، وإنما كان ذلك غيره أشبه صوته لشككت فيه لاحتمال ذلك ولم يكن عندك يقين تدفع به قولي ولا شهادة تنكر بها عليّ. وهذا مثل لإيمان عموم المؤمنين فهو إيمان خبر. لعمري وفيه يقين استدلال ممتزج بظن غير ان مشاهدة العارفين قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يدفعونه بشهادة يقين، انك تدخل عليَّ بعد أن قيل لك هو عندي أو بعد أن سمعت كلامه فتشهده جالساً لا حجاب بينك وبينه، فهذا هو يقين المعرفة. وهذه شهادة المؤمن وعندها انتفى كل شك وتحقيق خبر العلم، وهذا إيمان المؤمنين الذي قد اندرج فيه عموم المؤمنين عن علم الخبر المحتمل ومن سمع الكلام من وراء الحجاب المشتبه واسم الإيمان واقـع على جيعهم، ولكن الأوّل علم أنه عندي بما قيل فصدق، والثاني علم بما سمع فاستدل ولم يشهد فيقطع، والثالث عاين فقطع. وقد شهد رسول الله ﷺ بالمزيد فقال «ليس الخبر كالمعاينة وليس المخبر كالمعاين» ثم زاد صاحب القوت على هذا فقال: ومثل آخر في تفاوت المؤمنين في حقيقة الكمال ودخولهم في الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية أقيمت، فجاء رجل فأدرك الركعة الثانية، ثم جاء آخر فأدرك الثالثة، ثم جاء آخر فأدرك الرابعة وكلهم قد صلوا، وقد أدرك الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله ﷺ: «من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة» وليس من أدرك الركعة الأولى في كمال الصلاة وأدرك حقيقتها كمن أدرك الثانية أو الثالثة أو الرابعة، ولا يكون أيضاً من أدرك التكبير للإحرام في الفضل كمن لم يدرك شيئاً من القيام وهما مدركان معاً، فكذلك المؤمنون في كمال الإيمان وحقائقه لا يستوون وإن استووا بالدخول في الاسم والمعنى. **(نعم وهم)** أي أهل المرتبة الثالثة **(أيضاً يتفاوتون بمقادير المعلوم وبدرجات الكشف)**.

أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيداً في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو، ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته، ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية.

وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيداً وعمراً وبكراً وغير ذلك وآخر لا يرى إلا زيداً فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة. فهذا حال القلب بالإضافة الى العلوم والله تعالى اعلم بالصواب.

بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية:

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق، ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية. والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة. والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية.

(أما الدرجات) الكشفية **(فمثاله أن يبصر زيداً في الدار من قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه إنه هو، ولكن يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته، ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية)** وقد أشار إلى هذا صاحب القوت بقوله: ومثل ذلك أيضاً أن ترى الشيء بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تخطئه، ثم إنك تحتاج إليه ليلاً فلست تعرف مكانه، رأي عين، وإنما تقصده بمعرفة استدلال عليه وبحسن ظن أنه موجود أو بعرف معهود أنه لا يتحوّل، وكذلك الأدلة التي هي للغائبات وسقوطها مع الشهادات وبمعناها رؤية الشيء بنور القمر فإنه يشبح ويلوح المشكلات ورؤيته في ضياء الشمس، فإنها تكشف الأمور على ما هو به فهو مثل لنور اليقين إلى نور الإيمان.

(وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيداً وعمراً وبكراً وغير ذلك وآخر لا يرى إلا زيداً فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالإضافة إلى العلوم).

بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية:

(اعلم أن القلب بغريزته) أي بطبيعته الفطرية **(مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق)** تقريره آنفاً، **(ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وشرعية .والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم إلى دنيوية وأخروية.**

أما العقلية: فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع، وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت؟ كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً معاً؛ فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطوراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا مِن أي حصل له؟ أعني أنه لا يدري له سبباً قريباً وإلاَّ فليس يخفي عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه، وإلى علوم مكتسبة: وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلاً.

قال علي رضي الله عنه:

رأيت العقل عقلين … فمطبوعُ ومسموعُ
ولا ينفع مسموع … إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس … وضوء العين ممنوع

أما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين تحصل ولا كيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين، و) أن **(الشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً)** ولا يكون **(موجوداً معدوماً معاً)** أي في حالة واحدة، وكذلك القول الواحد لا يكون صادقاً وكذباً إذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله، وإن الأخص إذا كان موجوداً كان الأعم واجب الوجود، فإذا وجد السواد فقد وجد اللون، وإذا وجد أنسان فقد وجد حيوان، وأما عكسه فلا يلزم في العقل إذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الإنسان إلى غير ذلك من القضايا الضرورية، **(فإن هذه العلوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا)** أي من مبتدأ حال عبادته **(مفطوراً عليها)** أي مخلوقاً معها **(ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل)** وإنما هو شيء قد عرفه بداهة **(أعني أنه لا يدري فيه سبباً قريباً وإلا فليس يخفي أن الله تعالى هو الذي خلقه وإلى مكتسبة وهي المستفادة بالتعليم والاستدلال)** ففيها ما لا يقارن العقل في كل حال إذا عرض عليه بل يحتاج إلى أن يهز أعطافه ويستوري زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات، **(وكلا القسمين قد يسمى عقلاً)** ويسمى الأول بالعقل الفطري والبديهي والمطبوع والضروري، والثاني بالعقل المكتسب والمسموع والمستفاد والنظري.

(قال علي كرم الله وجهه) فيما نسب إليه.

(العقل عقلان … مطبوع ومسموع
وما ينفع مسموع … إذا لم يكن مطبوع
كما لا تنفع الشمس … وضوء العين ممنوع)

والأول هو المراد بقوله ﷺ لعلي: « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل »، والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه« إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك » إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة. ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين، فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوّة البصر في العين، وقوّة الأبصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل، والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوّة إدراك البصر في العين ورؤيته لأعيان الاشياء. وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات. والقلم الذي سطر الله به العلوم على صفحات

هكذا نقله صاحب القوت وتقدم في كتاب العلم.

(**والأول هو المراد بقوله ﷺ: « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل »**) رواه الحكيم الترمذي في النوادر بإسناد ضعيف، وقد تقدم في العلم، (**والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعلي كرم الله وجهه: « إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك »**) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بإسناد ضعيف وقد تقدم في العلم، (**إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي**) رضي الله عنه (**هو الذي يقدر على التقرب**) إلى الله تعالى (**باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين**) فما كل علم يقرب إلى الله (**والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الأبصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصير، وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى إدراك البصر ورؤيته لأعيان الأشياء**) اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فإنه يبصر غيره، ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب، ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها، ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له، ويغلط كثيراً في العبارة فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً، فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة، وإن كان في الأعين عين منزهة عن هذه النقائص كلها. فاعلم أن في الإنسان عيناً هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الإنساني، فهو أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع.

(**وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات، والقلم الذي به**

القلوب يجري مجرى قرص الشمس. وإنما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نفس العلم. والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نقش العلوم في قلوب البشر. قال الله تعالى: ﴿الذي علّم بالقلم★ علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: ٤ ، ٥] وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه ، فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض؟ فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف؛ فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس، وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لأحد الضررين إلى الآخر، ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال: ﴿ما كَذَبَ الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١] سمى ادراك الفؤاد رؤية. وكذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيمَ ملكُوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان، ولذلك سمي ضد

سطر الله العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس، وإنما لم يحصل العلم بقلب الصبي قبل أوان التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم) ولكن الإستعداد موجود (**والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله تعالى جعله سبباً لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى: ﴿علم بالقلم★ علم الإنسان ما لم يعلم﴾**) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: القلم نعمة عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش، وقال: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ أي الخط، (**وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقه، فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه ليس ذاته من جوهر ولا عرض**) وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين وخلق النون وهي الدواة وخلق اللوح فكتب فيه، ثم خلق السموات فكتب ما يكون من حينئذ في الدنيا إلى أن تكون الساعة من خلق مخلوق أو عمل معمول بر وفجور وكل رزق حلال أو حرام رطب أو يابس. (**فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف**) فإن البصر الظاهر موسوم بأنواع من النقصان وهي السبع التي تقدم ذكرها قريباً، والبصيرة الباطنة منزهة عنها وأيضاً (**فإن البصيرة الباطنة**) هي عبارة عن (**عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة**) وهي التي يعبر عنها بالعقل وبالروح كما تقدم (**وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس، بل لا نسبة لأحد الضررين إلى الآخر، ولموازنة بصيرة الباطن الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ﴿ما كذب الفؤاد مـا رأى﴾ سمي إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ وما أراد به الرؤية الظاهرة**) وهي البصيرة، (**فإن**

إدراكه عمى، فقال تعالى: ﴿ فإنها لا تعمى الأبْصَارُ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٢] فهذا بيان العلم العقلي.

أما العلوم الدينية: فهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع، وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض، فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها، كما أن العقل غير كافٍ في استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء، إذ مجرد العقل لا يهتدي إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل، فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل. فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنّة مغرور، فإياك أن

ذلك غير مخصوص بإبراهيم صلوات الله عليه) وسلامه **(حتى يذكر في معرض الامتنان)** وإنما المراد به الرؤية القلبية، **(ولذلك سمي ضد إدراكه عمى فقال تعالى: ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ وقال)** تعالى: **(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً)** وعمى البصيرة هو الحجب عن انكشاف جلية الحق، **(فهذا بيان العلم العقلي)**.

(أما العلوم الدينية فهي المأخوذة) المستفادة **(بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم)** وسلامه، **(وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله)** عز وجل **(وسنة رسول الله ﷺ وفهم معانيها)** على قدر الاستعداد **(بعد السماع، وبه كمال صفات القلب)** إذ به يحصل التنوير والجلاء، **(وبه سلامته عن الأدواء)** جمع داء **(والأمراض)** عطف تفسير أو مرادف، **(فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان)** القلب **(محتاجاً إليها، كما أن العقل غيرَ كاف في استدامة أسباب صحة البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير)** جمع عقار وهو النبات، وكأنه أراد بالأدوية المركبة وبالعقاقير المفردة **(بطريق التعلم من الأطباء لا بالمطالعة في الكتب إذ مجرد العقل لا يهدي إليه)** كما أن مجرد المطالعة لا يكفي. **(ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه)** وتلقيه **(إلا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل، فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور)** بيانه أن العقول وإن كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على مرتبة واحدة، بل بعضها يكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية، وبعضها مما يحتاج إلى نظر واستدلال وتنبيه، وإنما ينبهه كلام الحكمة فعند إشراق نور

تكون من أحد الفريقين وكن جامعاً بين الأصلين، فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء، فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهي لطائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب، فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض

الحكمة يصير العقل مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة، وأعظم الحكم كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، فتكون منزلتها عند عين العقل منزله نور الشمس عند العين الظاهرة إذ به يتم الابصار فأحرى أن يسمى القرآن والسنة نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً، ولذلك قال المصنف عن أنوار القرآن والسنة.

(**فإياك أن تكون من الفريقين**) المفرط والمفرط (**وكن جامعاً بين الأصلين**) العقل والنقل، (**فإن العلوم العقلية كالأغذية**) أي بمنزلتها في احتياج نحو البدن إليها (**والعلوم الشرعة كالأدوية**) أي بمنزلتها في احتياج استدامة صحة البدن إليها، (**والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء، فكذلك أمراض القلب لا يمكن علاجها إلا بأدوية مستفادة من الشريعة وهي لطائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم**) وسلامه (**لإصلاح القلوب**) وهي بمنزلة الأدوية الظاهرة التي يركبها الأطباء لإصلاح الأبدان، (**فمن لا يداوي قلبه المريض**) المملوء بأوجاع المعاصي ورياح الشهوات (**بمعالجات العبادات الشرعية**) المركبة على أحسن قانون (**واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء**) فلا تتم له الصحة مطلقاً، ويمكن تقرير السياق بوجه آخر أقرب مما قرره المصنف فنقول: المعقولات تجري مجرى الأدوية الجالبة للصحة والشرعيات تجري مجرى الأغذية الحافظة للصحة، وكما أن الجسم متى كان مريضاً لم ينتفع بالأغذية بل يستضر بها، كذلك متى كان مريض النفس كما قال تعالى: ﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة: ١٠] لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات، بل صار ذلك ضاراً له مضرة الغذاء للمريض فتشبيه الشرعيات بالأغذية التي لا يستغني عنها بدن الإنسان أولى من تشبهها بالأدوية التي لا يحتاج إليها في كل وقت، والقصد تعذر إدراك العلوم النبوية على من لم يتهذب في الأمور العقلية، وأيضاً فالقلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات والاعتقاد فيه بمنزلة البذر إن خيراً وإن شراً. وكلام الله تعالى بمنزلة الماء الذي يسقيه، فكما أن الماء إذا سقى الأرض يختلف نباته بحسب بذوره، فكذا القرآن إذا ورد على الاعتقادات الراسخة في القلوب تختلف تأثيراته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ الآية [الرعد: ٤] وقوله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته﴾ [الأعراف: ٥٨] الآية. وأيضاً فالجهل بالمعقولات جار مجري ستر مرخي على البصر وغشاء على القلب ووقر في الأذن والقرآن لا يدرك خفياته إلا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وأزيل وقره، ولهذا قال تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً

بالغذاء. وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه، بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما. فيظن أنه تناقض في الدين، فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين. وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقضاً في الدين وهيهات وإنما مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم: ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها؟ فقالوا له: تلك الأواني في مواضعها! وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وإنما تحيلها على تقصير غيرك؟ فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية.

والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية. فالدنيوية: كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات. والأخروية: كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ـ كما فصلناه في كتاب العلم ـ وهما علمان متنافيان ـ أعني

مستوراً﴾ [الإسراء: ٤٥] وأيضاً فالمعقولات كالحياة التي بها الأبصار والأسماع، والقرآن كالمدرك بالسمع والبصر، وكما أنه من المحال أن يسمع ويبصر الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر، كذلك من المحال أن يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات.

(وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية) ومصادمة لها، **(وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر من عمى في عين البصيرة)** وهو أشد من العمى في عين البصر، **(نعوذ بالله من ذلك بل ربما هذا القائل)** أي المجوز لذلك **(ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية للبعض، فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحير به)** تحير الضب إذا ضل عن حجره، **(وينسل عن)** ربقة **(الدين انسلال الشعرة من العجين)** وهو لا يدري كيف انفصل، **(وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقضاً في الدين)** ومصادمة في علومه، **(وهيهات وإنما مثاله الأعمى الذي دخل داراً فتعثر فيها بأواني الدار)** أي زلت قدمه بها، **(فقال: ما بال هذه الأواني تركت على الطريق)** أي على الممر؟ **(لم لا ترد إلى مواضعها؟ فقيل له: تلك الأواني)** موضوعة **(في مواضعها)** اللائقة بها، **(وإنما أنت لست تهتدي إلى الطريق لعماك؟ فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك)** أي زلة قدمك **(على عماك وتحيله على تقصير غيرك، فهذه نسبة العلوم الدينية إلى)** العلوم **(العقلية)**.

(والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية. فالدنيوية كالطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات) فإن ثمراتها منوطة بالدنيا ولا تعلق لها بالآخرة إلا من وجوه بعيدة، **(والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله)**

أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ـ ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال: هما ككفتي الميزان، وكالمشرق والمغرب، وكالضرتين إذا أرضيت احداهما أسخطت الأخرى.

ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالاً في أمور الآخرة. والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالاً في أكثر علوم الدنيا، لأن قوّة العقل لا تفي بالأمرين جميعاً في الغالب فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني، ولذلك قال ﷺ: «إن أكثر أهل الجنة البله» أي البله في أمور الدنيا.

ويندرج في ذلك علم المباني الخمس وغير ذلك، **(كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان)** أي علم الدنيا ينافي علم الآخرة وعلم الآخرة ينافي علم الدنيا، ثم ذكر وجه المنافاة بقوله: **(أعني أن من صرف عنايته)** وبذل همته **(إلى)** تحصيل **(أحدهما حتى تعمق فيه)** أي دخل في عمقه وهو كناية عن نهاية الاشتغال به **(قصرت بصيرته عن الآخر)** فلا يمكنه أن يهتدي إليه، وهذا **(على الأكثر)** فيما جرب **(ولذلك ضرب علي كرم الله وجهه للدنيا والآخرة أمثلة ثلاثة فقال: هما ككفتي الميزان)** إن رجحت إحداهما خفت الأخرى، **(وكالمشرق والمغرب)** وإليه أشار القائل:

سارت مشرقة وسرت مغرباً ... شتان بين مشرق ومغرب

(وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى) ولم يبق بعد هذه الأمثلة مثال يليق لهما فسائر ما قيل فيهما من الأمثلة راجع إلى هذه الثلاثة، وهذه الأمثلة الثلاثة ذكرها الشريف الموسوي في نهج البلاغة ونقله الراغب في الذريعة.

(ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا) الفطنين فيها **(وفي)** علومها مثل **(علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالاً في أمور الآخرة)** وما أقبح هذا **(و)** ترى الأكياس **(في دقائق علوم الآخرة جهالاً في الأكثر)** أي في الأغلب **(بعلوم الدنيا)** وما أحسن هذا وذلك **(لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعاً في الغالب، فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني، ولذلك قال ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله»)** بضم فسكون جمع الابله **(أي البله في أمور الدنيا)** قد أغفلوها فجهلوا حذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهلها، وقيل: هم الغافلون عن الشر المطبوعون على الخير أو الذين خلوا عن الدهاء والمكر وغلبت عليهم سلامة الصدر وهم عقلاء. قال الزبرقان: خير أولادنا الأبله المغفول.

قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس وضعفه، وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك، فقد قال ابن عدي: أنه منكر اهـ.

وقال الحسن في بعض مواعظه: لقد أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو أدركوكم لقالوا شياطين. فمهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحده أهل الكياسة في سائر العلوم، فلا يغرنك جحودهم عن قبولها إ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب، فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى: ﴿إن الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لقاءَنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾[يونس: ٧٠] الآية وقال تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهُمْ عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] وقال عز وجل: ﴿فأعرض عمَّن تولَّى عن ذِكْرنا ولم يُرْد إلاَّ الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العِلْم﴾ [النجم: ٢٩] فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها. فأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

قلت: وسبقه ابن الجوزي فقال ما نصه: حديث لا يصح. قال ابن عدي: حديث منكر، وقال الدارقطني: تفرد به سلامة عن عقيل وهو ضعيف اهـ كلام ابن الجوزي.

وقال الهيثمي فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أحمد بن صالح وغيره.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم)** أنهم **(مجانين)** أي لغفلتهم عن أمور الدنيا، **(ولو رأوكم لقالوا)** إنكم **(شياطين)** أي لما فيكم من الدهاء والمكر والخداع في تحصيل المعايش، وهذا الكلام نقله صاحب القوت، وسيأتي تمامه في آخر كتاب الزهد، والمراد بأولئك الأقوام أصحاب رسول الله ﷺ وعلية التابعين، **(فمهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين)** قد **(جحده أهل الكياسة في سائر العلوم)** وظنوه مناقضاً **(فلا يغرنك جحودهم عن قبوله)** فلكل عمل رجال، **(إذ من المحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب)** فإنما أورثهم ذلك الجحود جهلهم بعلوم الدين، **(وكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة، ولذلك قال)** الله **(تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ وقال تعالى: ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ فالجمع بين كمال الأستبصار في مصالح الدنيا لا يكاد يتيسر)** ويسهل **(إلا لمن رشحه الله)** وهيأه بالخلافة العظمى **(لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء)** عليهم السلام، **(المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية)** تفاض عليهم **(التي تتسع لجميع الأمور)** الدنيوية والأخروية على الكمال، **(ولا تضيق عنها. وأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا اشغلت بأمر انصرفت عن الآخرى وقصرت عن الاستكمال فيه)**

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار:

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية ـ وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال ـ تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً. ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل؟ وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب. والأول: يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع، والثاني: يسمى وحياً وتختص به الأنبياء. والأول يختص به الأوليا والاصفياء والذي قبله ـ وهو المكتسب بطريق

ولكن لنوابهم وورثتهم في ذلك نصيب ومراتبهم في ذلك مختلفة باختلاف الأشخاص والأحوال.

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق:

السادة **(الصوفية في استكشاف)** جلية **(الحق وطريق النظار)**.

(اعلم أن) نفس الإنسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها بالفطرة محولة لها بالقوة كالنار في الحجر والنخل في النواة، والذهب في الحجارة وكالماء تحت الأرض، لكن كما أن من الماء ما يجري من غير فعل بشري ومنه ما يعاين تحت الأرض ولكن لا يتوصل إليه إلا بدلو ورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه إلى حفر وتعب شديد، فإن عني به أدرك وإلا بقي غير منتفع به، ثم أن **(العلوم)** ضرورية ومكتسبة فالضرورية قد تقدم الكلام فيها، و**(التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال)** من غير فعل بشري **(يختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري)** يطمئن له الصدر، **(وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم)** فمنه ما يوجد بأدنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده، **(فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل)** بل بطريق الفيض **(يسمى إلهاماً)** ويختص بما من الله والملأ الأعلى، **(والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً)** وفيه قياس ما غاب على ما ظهر بدليل، **(ثم الواقع في القلب من غير تمحل)** أي تكلف **(وحيلة واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري أنه كيف حصل ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفيد ذلك العلم، وهو شهادة الملك الملقي في القلب، والأول يسمى إلهاماً ونفثا في الروع)** بالضم الخاطر والقلب والنفث فيه هو الإلقاء، ومنه الحديث: « إن روح القدس نفث في روعي » الحديث **(والثاني: يسمى وحياً ويختص به الأنبياء، والأول يختص به الأولياء، والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء)** وأنواع الوحي ستة:

الاستدلال ـ يختص به العلماء. وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق ـ في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة ـ التي سبق ذكرها ـ فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة. وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد

أحدها: أنه كان يأتيه كصلصلة الجرس.

الثاني: يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه.

الثالث: الرؤيا المنامية.

الرابع: الإلقاء في القلب.

الخامس: يأتيه جبريل في صورته الأصلية له ستمائة جناح كل جناح يسد الأفق.

السادس: يكلمه الله كما كلّمه ليلة الإسراء وهو أعلى درجاته هكذا ذكره شراح البخاري فالإلقاء في القلب هو النفث في الروع، وقد جعلوه من أقسام الوحي وسياق المصنف يؤذن باختصاصه للأولياء ووافقه في ذلك الشيخ الأكبر قدس سره قال في الفتوحات: العلوم ثلاث مراتب: علم العقل وهو كل علم ضرورة أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل.

الثاني: علم الأحوال ولا سبيل له إلا بالذوق فلا يمكن عاقل وجدانه ولا إقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق، فهذه دلائل لا يعلمها إلا من يتصف بها ويذوقها.

الثالث: علم الأسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبي والولي وهو نوعان: والعالم به يعلم العلوم كلها ويسترقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك اهـ.

(وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح) المحفوظ **(في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها)** فحقائق العلوم كلها منقوشة في اللوح المحفوظ بقلم القدرة وما يتجلى منها على مرآة القلب إنما هو بمقابلة مرآته لمرآة اللوح فتنطبع فيه تلك الحقائق فما في القلب من النور إنما هو من نور اللوح وهو في عالم الملكوت على الترتيب وفي عالم الشهادة أيضاً، ومعرفته بضرب مثال بأن تفرض ضوء القمر داخلاً في كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة على حائط ومنعكساً منها إلى حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها إلى الأرض بحيث تستنير منه الأرض فأنت تعلم أن ما على الأرض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر، وما في

وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه . وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل. وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء ، وينكشف أيضاً في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى ، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف ، وأخرى على التوالي إلى حدّ ما . ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب ، فإن ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم ، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وما كَانَ لِبشَرٍ أن يكَلِّمَه

القمر تابع لما في الشمس إذ منها يشرق النور على القمر . وهذه الأنوار الأربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض ، فالنور الأول هو الذي أفاض على اللوح فانتقشت فيه الحقائق كلها ، ثم أفيض النور من مرآته إلى القلب بحكم المقابلة فانطبعت فيه أنوار تلك الحقائق وأشرق ثم افيض منه على كل مرآة قلب قوبلت بتلك المرآة ، ثم انه قد يعتري الحجاب بين المرآتين فيكون مانعاً من حصول التجلي ، وإليه أشار المصنف بقوله :

(والحجاب تارة يزال باليد وأخرى يزال بهبوب ريح تحركه ، فكذلك قد تهب رياح الألطاف) الإلهية **(فتكشف الحجب عن عين القلوب)** فتعود على استعدادها الأول في قبول التجلي **(فيتجلى فيها على بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ)** بحكم التقابل ، **(ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل)** وهو المعنى بقوله ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » . **(وإنما ارتفاع الحجاب)** أي كمال التجرد **(بالموت)** أي بعده ، **(وبه)** يتجرد العقل عن النوازع الخيالية والوهمية و**(ينكشف الغطاء)** وتتجلى الأسرار ويصادف كل أحد ما قدم من خير أو شر محضراً وعندها يقال : ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق : ٢٢] وإنما الغطاء غطاء الخيال والوهم **(وفي اليقظة أيضاً ينقشع الحجاب)** أي يزول **(بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب)** وهو عالم الملكوت **(شيء من غرائب العلم)** الذي هو كهيئة المكنون وهو المعنى بقوله ﷺ : « إن يكن في هذه الأمة محدث فهو عمر » ويكون ذلك **(تارة كالبرق الخاطف و)** أخرى **(على التوالي)** أي التتابع **(إلى حد ما ودوامه في غاية الندور)** أي القلة **(فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ، ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب ، وإن ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك ، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم ، فإن العلوم إنما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة)** إفاضة من الله تعالى ، وحاصله : أن الطريق التي تستفاد منها العلوم أضرب. **الأول :** المستفاد من بديهة العقل

الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [الشورى : ٥١] .

فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوّف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية . فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة ، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم ، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت ، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام

ومصادمة الحس . **الثاني :** المستفاد من جهة النظر إما بمقدمات عقلية أو محسوسة . **الثالث :** المستفاد بخبر الناس إما بسماع أو قراءة . **الرابع :** ما كان عن الوحي إما بلسان ملك مرئي وإما بسماع كلامه من غير مصادفة عين وإما بالقاء في روع في حال يقظة وإما بالمنام ، (**وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً**) ففيه حصر المعلومات التي أشرنا إليها .

(**فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوّف إلى العلوم الإلهامية**) وهي التي تفاض على الإنسان بغير فعل بشري (**دون التعليمية**) التي تتحصل باكتساب وتعلم ، (**فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم**) على الوجه المعهود (**وتحصيل ما صنفه المصنفون**) ورعاية ما رتبوه ، (**والبحث على الأقاويل والأدلة المذكورة**) في كتبهم على الوجه الذي أوردوه ، (**بل قالوا الطريق**) الموصل إلى الله تعالى وراء ذلك وهو (**تقديم المجاهدة**) للنفس الأمّارة (**بمحو الصفات المذمومة**) عن لوح القلب والانخلاع عن التحلي بها (**وقطع العلائق**) الظاهرية والباطنية (**كلها والإقبال بكنه الهمة**) أي خالصها (**على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره**) وإشرافه (**بأنوار العلم**) وإفاضتها عليه ، (**وإذا تولى الله أمر القلب فاضت الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر**) بالهداية والتوفيق ، (**وانكشف له سر الملكوت**) وتبدل في حقه الأرض غير الأرض والسموات ، وصار كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه ، ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه ، وهذا هو المعراج الأوّل لكل سالك ابتداء سفره إلى قرب حضرة الربوبية ، (**وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأ فيه حقائق الأمور الإلهية**) لصفاء مرآة قلبه بالنور الإلهي ، (**فليس على المريد**) السالك في طريق الحق (**إلا الاستعداد بالتصفية المجردة**) عن مكدرات القلب ، (**وإحضار الهمة**) في سلوكه (**مع الإرادة الصادقة**) التي لا

والترصد بدوام الانتظار بما يفتحه الله تعالى من الرحمة.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبرىء من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له. وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة على الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه، ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه: الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك

يشوبها نقص (**والتعطش التام**) للحصول والوصول (**والترصد بدوام** الانتظار **لما يفتحه الله**) تعالى عليه (**من الرحمة**) العامة، (**إذ الأنبياء انكشفت لهم الأمور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدارسة**) المعهودة (**للكتب**) المعلومة، (**بل بالزهد في الدنيا**) والتقلل منها (**والتبرىء عن علائقها**) الحسية والمعنوية (**وتفريغ القلب من شواغلها**) الشاغلة (**والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له. وزعموا**) وصدقوا فيما زعموا (**أن الطريق في ذلك أولاً أن يقطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه منها**) وفي نسخة: عنها (**ويقطع همه عن الأهل والمال والولد والوطن**) فإنها شواغل مشغلة بل (**وعن العلم والولاية**) للمناصب (**والجاه**) عند الولاة، (**بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيه وجود كل ذلك وعدمه**). وهذه أوّل درجة من درجات السلوك وفي هذا المقام تكون بدايته في السلوك نهاية غيره من السالكين في غير هذا الطريق، (**ثم**) بعد تمكنه من ذلك (**يخلو بنفسه في زاوية**) من زوايا بيته إن أمكنه أو في زاوية من زوايا مسجد قريب من بيته إن علم سلامة حاله وشرط ذلك الخلوة عن الناس، فإن لم يمكنه فليسبل على رأسه مثل الطيلسان يمنعه من التطلع إلى يمين وشمال، فقد قالوا: إنه الخلوة الصغرى (**مع الاقتصار على الفرائض**) الخمس (**والرواتب**) التي قبلها وبعدها (**ويجلس فارغ القلب**) عن وسواس أو خيال أو هم (**مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسيره**) ووجوهه وإعرابه (**ولا بكتب حديث**) ولا بسماعه (**وغيره**) كالاشتغال بالأذكار والأوراد، (**بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه**) مراقباً بقلبه (**الله الله على الدوام مع حضور القلب**) وهو ذكر من غلب عليه الجذب، قبل السلوك وهو اختيار طائفة منهم، أو يقول لا إله إلا الله، وهو ذكر من غلب عليه السلوك قبل الجذب، واختاره طائفة منهم وكلاهما موصلان لكن حضور القلب شرط على كل حال ولم يزل كذلك، (**حتى ينتهي الحال إلى حالة يترك تحريك اللسان**

تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ، ثم يصبر عليه إلى أن يمحي أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ، ثم يواظب عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ، ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس ، وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى ، بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق ؛ وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ؛ ثم يعود وقد يتأخر ، وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفاً ؛ وإن ثبت وقد يطول ثباته وقد لا يطول ، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد . ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصى ؛ كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم . وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ، ثم استعداد وانتظار فقط .

ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه إلى أن تنمحي عن القلب صورة اللفظ وصروفه وهيأة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم لا يفارقه) في حال من الأحوال **(وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد)** بجهده **(واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس)** ونفي الخطرات النفسية والشيطانية ، **(وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله)** تعالى ، **(بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة)** الإلهية **(فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من رحمته)** من عنده **(كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذا الطريق)** فيلحق مع المنعم عليهم ، **(وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته)** لهذا العمل **(ولم تجاذبه شهواته)** وعلائقه **(ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه)** وتتجلى له أسرار الملكوت **(ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم)** مع المواظبة **(يعود وقد يتأخر)** هذا التجلي ، **(وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفاً وإن ثبت فقد يطول ثباته)** زماناً **(وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق ، وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع)** مآل **(هذا الطريق إلى تطهير محض)** أي تطهير القلب من خبائث الأشغال **(من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار)** لرحمة الله **(فقط)** وهذا هو طريق شيخ المصنف الإمام أبي علي الفارمدي الطوسي ، وله في هذا الطريق نسبتان .

أحداهما : وهي طريقة الخدمة والصحبة والاستقامة عن الشيخ أبي القاسم الكركاني وهو عن

الشيخ أبي عثمان المغربي عن الشيخ أبي علي الكاتب، عن الشيخ أبي علي الروذباري، عن سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد، عن خاله السري السقطي، عن معروف الكرخي، عن داود بن نصيرالطائي، عن أبي محمد حبيب العجمي، عن الحسن البصري رضي الله عنه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، عن النبي ﷺ.

والثانية: وهي المشهورة تلقاها عن روحانية الإمام أبي يزيد البسطامي وهي كنسبة أويس من النبي ﷺ، وأبو يزيد تلقاها من روحانية الإمام جعفر الصادق، وهو عن جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبي محمد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد وصلتنا هذه الطريقة بواسطة القطب أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني، وكان في عصر المصنف عن أبي علي الفارمدي المشار إليه، وقد عرفت سلسلته بالنقشيندية باسم أحد رؤساء هذه الطريقة القطب بهاء الدين محمد بن محمد الحسيني البخاري المعروف بنقشبند بأخذه لها عن شيخه السيد أمير كلال البخاري عن الخواجه محمد بابا السماسي، عن علي الرامينتي المشهور بفريزان، عن الخواجه محمود النغنوي، عن الخواجة محمد عارف الديوكرى، عن الخواجة عبد الخالق الفجدواني عنه. وقد اتفقوا على أن طريقتهم دوام العبودية وهي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه بلا مزاحمة شعور بالغير مع الذهول عن صفة الحضور بوجود الحق سبحانه، ولا يحصل ذلك بغير تصرف الجذبة الإلهية ولا سبب في طريق الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي سلوكه بطريق الجذبة. وقالوا أيضاً إن طريق الوصول إلى الله تعالى إما أن يكون بمحض الصحبة أو بالذكر أو بالمراقبة، وأثر الذكر في النفي والاثبات إنك في زمان النفي ينتفي عنك وجود البشرية، وفي زمان الإثبات يظهر عليك أثر من آثار تصرفات الجذبات الإلهية، والأثر يتفاوت بحسب الاستعدادات، فبعضهم أوّل ما يحصل له الغيبة عما سوى الله، وبعضهم أوّل ما يحصل له الشكر والغيبة، وبعد ذلك يتحقق له وجود العدم وبعده يتشرف بالفناء.

قال الشيخ عبد الله الأنصاري أحد رجال هذه الطريقة في تفسير هذه الآية ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ [الكهف: ٢٤] أي إذا نسيت غيره، ثم نسيت نفسك، ثم نسيت ذكرك في ذكرك، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكرك وأعلى الدرجات وأتمها الفناء. أعني لا يبقى للسالك خبر عما سوى الله. ومقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق كأنك تراه وملكة الحضور يسمونها مشاهدة وتكون بالقلب، وأما الرؤية فإنها تكون بعين الرأس والفرق بين الرؤية والمشاهدة أنك في الرؤية لا تقدر أن تبعدها من نفسك وفي المشاهدة أنت بالخيار، فهذا ما يتعلق بالذكر. وأما التوجه والمراقبة فهو لسهل الطرق وأقربها للوصول إلى الله تعالى وهو عبارة عن ملاحظة ذلك المعنى المقدس الذي بغير كنه ولا مثال المفهوم من الاسم المبارك وهو الله بغير واسطة عبارة عربية أو فارسية أو غيرهما وحفظه بعد الفهم في الخيال والتوجه بجميع القوى والمدارك إلى القلب الصنوبري والمداومة على ذلك، والتكلف في ملازمته حتى تذهب الكلفة من البين، ويصير هذا الأمر ملكة

وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ، ولكن استوعروا هـذا الطـريـق واستبطـأوا

فإن عسر ذلك فليتخيله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية وليجعله في مقابلة البصيرة ومع حفظ ذلك فليتوجه إلى القلب الصنوبري بجميع القوى والمدارك إلى أن تقوى البصيرة وتذهب الصورة، ويترتب على ذلك ظهور المقصود . وهذا أقرب من طريق الذكر وأقرب للخدمة الإلهية من غيرها، ولذلك اقتصر عليها المصنف. ومنها يكون الوصول إلى الوزارة والتصرف في الملك والملكوت، وبها يمكن الإشراف على الخواطر والنظر إلى الغير بالموهبة وتنوير باطنه ومن ملكتها يحصل دوام الجمعية ودوام قبول القول، وهذا المعنى يسمى جمعاً وقبولاً وأما الطريق الرابطة بالشيخ فإنها تفيد فائدة الذكر، وصحبته تنتج صحبة المذكور ، فينبغي أن يحفظ ذلك الأثر الذي يشاهد من صحبته بقدر الإمكان، فإن حصل فتور راجع مصاحبته حتى يرجع ذلك الأثر ، وهكذا يفعل مرة بعد أخرى حتى تصير تلك الكيفية ملكـة ، وقـد يحصـل مـن صحبتـه محبة وانجذاب فتحفظ صورته في الخيال ويتوجه به إلى القلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفنـاء عن النفس، وقد زاد الخواجة عبد الخالق الفجدواني أحد رجال الطريقة المتقدم ذكره مراعاة حبس النفس في أثناء الذكر والمراقبة وجعله من مباني هذه الطريقة، وأنه ينبغي الاجتهاد على حفظ ما بين النفسين حتى لا يدخل بغفلة ولا يخرج بغفلة. وقال: إن هذا تلقاه عن الخضر عليه السلام، فإنه ظهر له في ابتداء سلوكه فعلمه حبس النفس، وأنه مما يوصل إلى المطلوب في أقرب زمن فلم يمكنه ذلك، فأمره بأن يغوص في الماء ويفعل ذلك فغاص في الماء وفعله حتى حصله وصار ذلك لمن بعده سنّة متبوعة حتى لا يكاد أهل هذا الطريق يتركونه سواء في الذكـر أو في المراقبـة وهـي زيادة حسنة. قالوا : وإن وقف في أثناء الذكر أو المراقبة تفرق الخاطر فإن كان متعلقاً بالأعمال كمثل الميل إلى شراء فرس ونحوه مما هو مباح شرعاً فليبادر لفعله أو يخرجه من قلبه حتى تكون تلك الحضرة كعدوّ يبذل جهده في دفعه، والمقصود مراعاة الوقت فليس شيء أعز من الوقت وإذا فاته لا يتدارك. قالوا : وخطور الأغيار تكون عن رؤية الألوان والاشكال المختلفة ومن مطالعة الكتب ومن الصحبة المفرقة، فينبغي للسالك أن يكون أياماً بغير ملاحظة الأغيار في صحبة شيخ كامل ليحصل له ملكة الحضور ببركته في الجمعية، ثم يحصل الرضا والتسليم وهما نهاية العبودية والعبادة وكمال الإسلام في التسليم والتفويض هذا خلاصة ما ذكروه، ولهم في ذلك لطائف عبارات وعجائب إشارات قد أشرنا إليها في مؤلفات مختصرة كتبناها في صور إجازات، وفيما ذكرناه مقنع للطالب الراغب والله أعلم.

ولنرجع إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى: (**وأما النظار وذووالاعتبار**) من العلماء (**فلم ينكروا وجود هذه الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى المقصد**) يقع (**على الندور**) والقلة (**فإنه أكبر أحوال الأنبياء والأولياء**) لما فيه من لوامع النهايات، (**ولكن استوعروا هذا الطريق**) أي استصعبوه (**واستبطأوا ثمرته**) ونتيجته (**واستبعدوا اجتماع شروطه**) التي

ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه، وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل في حال فثباته أبعد منه، إذ أدنى وسواس وخاطر يشوّش القلب، وقال رسول الله ﷺ: « قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غليانها ». وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن، وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها، فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو

شرطوها، **(وزعموا ان محو العلائق إلى ذلك الحد)** الذي حددوه **(كالمتعذر)** على الإنسان، **(وإن حصل في حالة فثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس و)** أقل **(خاطر يشوش القلب)** وهم قالوا إن نفي الخواطر الثلاثة لازم للمريد أعني النفسية والشيطانية والملكية، وأنه لا بدَّ من إثبات الخاطر الحقاني ومعرفة الخواطر وتمييزها عسر، ولا تتم معرفة ذلك وتمييزها إلا لمن تحلى بالتقوى والزهد وأكل الحلال الطيب دائماً وأنّى يتيسر ذلك لكل أحد في كل وقت، وأنه يلزم المريد دائماً مراقبة خواطره ولا يترك خاطر الغير يمر بباله وكل ذلك صعب المنال قريب المحال. **(قال رسول الله ﷺ « قلب المؤمن أشد قلباً من القدر في غليانها »)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث المقداد بن الأسود اهـ.

قلت: ولفظ القوت: القدر إذا استجمعت في غليانها، وسيأتي قريباً في آخر هذا الكتاب.

(وقال) ﷺ (« قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر اهـ.

قلت: ولفظ مسلم « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ». وكذلك رواه أحمد، قال النووي: فيه المذهبان التفويض أو التأويل على المجاز التمثيلي كما يقال فلان في قبضتي لا يراد به أنه حال في كفه، بل المراد تحت قدرتي. فالمعنى أنه سبحانه يتصرف في قلوب عباده وغيرها كيف يشاء لا يمتنع عليه فيها شيء ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين أصبعيه فخاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم. **(وفي أثناء هذه المجاهدة فقد يفسد المزاج)** بطروّ أمراض ويختلط العقل بحصول وسواس **(ويمرض القلب)** بعلل خارجة، **(وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم)** الظاهرة **(تشبث بالقلب خيالات فاسدة)** وأوهام باطلة **(تطمئن النفس إليها مدة طويلة)** من الزمان **(إلى أن تزول)** عنها **(والعمر)** لا يفي لذلك، بل قد **(ينقضي دون النجاح فيها)** والدرك لمطلوبه منها، فكم من صوفي في سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة وأكثر وأقل، وكل ذلك لعدم تهذيبه في العلوم. **(ولو كان قد اتقن في العلم من**

كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال، فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه. وزعم أن النبي ﷺ لم يتعلم ذلك وصار فقيهاً بالوحي والإلهام من غير تكرير وتعليق، فأنا أيضاً ربما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه، ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره، بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز، فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً، فكذلك هذا. وقالوا: لا بد أوّلاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة.

قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال) وقد يجاب عن ذلك بأن تلك الخيالات الفاسدة التي تتشبث بالقلب إنما منشؤها تلك العلوم التي تعلمها وظن في نفسه أنها معارف موصلة وفي الحقيقة هي القواطع عن الطريق وهي التي لا تفي الأعمار في تحصيلها. وأما السالك الذي بصدد تصفية قلبه من الكدورات الوهمية، فهو على هدى من ربه إن اعتل بدنه أو فسد مزاجه فحصل له بذلك تفرقة خاطر فهو معذور عند الله، وإن مات فقد وقع أجره على الله. وحقيق أن يقال هو عاشق إن مات ليلة وصاله لا يلام، ثم قالوا: **(والاشتغال بطريق التعليم أوثق وأقرب إلى الغرض)** وهو صحيح في نفسه ولكن كم من مشتغل في طريق التعلم قد جرّه علم إلى علم آخر فلم يتبع علماً فعلماً ولا كتاباً فكتاباً حتى يأتيه الأجل وهو لم يتم العمل به بل جذبه إلى الخوض فيما لا يعنيه، وأما من اشتغل بتعلم ما يهتدي به مقتصراً على الواجب منه، ثم اهتدى إلى السلوك فهذا أقل من قليل وأهل الطريق منهم. **(وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه، وزعم أنه ﷺ لم يتعلم)** بالدراسة، **(ولكن صار فقيهاً بالوحي)** النازل من السماء **(والإلهام)** الملقى في روعه **(من غير تكرار)** لمسائل علمية **(وتعليق بكتابة فأنا أيضاً ربما انتهي بالرياضة إليه)** ويحصل لي الفتوح بالفقه في الدين، **(ومن ظنَّ ذلك فقد ظلم نفسه)** وضيع عمره فيما لا يعني بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة بالأرض **(رجاء العثور على كنز من الكنوز)** يفتح له فيأخذ منه ما يستغني به، **(فإن ذلك ممكن)** في العقل **(وهو بعيد جداً فكذلك هذه)** وهذان المثالان صحيحان، ولكن ليس في السالكين طريق الحق من يخطر بباله شيء من ذلك وحاشاهم من ذلك. نعم من المتشبه بهم في الطريق أو المتشبع بما ليس له قد يمكن أن يقع منه، ولكن لا كلام مع هؤلاء والصادقون في سلوكهم على خلاف ذلك فلا ينسب الزعم المذكور إليهم **(فقالوا: لا بدَّ أوّلاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك)** وهذا مسلم، ولكن تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه إن كان المراد به على وجه الإحاطة والكمال فالأعمار لا تفي بذلك لاختلاف أقوالهم وأقواتهم ومعارفهم، فإذا اشتغل بتمييز أقوالهم وتوجيهها

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس:

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس، لأن القلب أيضاً خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركاً بالحواس تضعف الأفهام عن دركه الا بمثال محسوس. ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين:

أحدهما: أنه لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي، فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر. فذلك القلب مثل الحوض، والعلم مثل الماء، وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار. وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علماً، ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر

إلى أحسن المحامل والجمع بينها على أحسن الوجوه، وهو في هذه متى يتفرغ لتصفية القلب عن الغير وهو قد مـلأه بالغير. وهذه الوجوه والمناقضات متى انتقشت في لوح القلب خصوصاً من زمن الصغر فإن إزالتها عسيرة جداً فكيف ينكشف له ما لم ينكشف لغيره وهو بعد مشحون القلب ولا تتم المجاهدة: إلاَّ بتخليته عن ذلك كله. فتأمل فيما أشرت إليك ولا تعجل في ردّه ولا عليك أن تتأنى في فهمه فإن المواهب لا حرج عليها.

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس:

(**اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس**) الظاهرة (**لأن القلب أيضاً خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركاً بالحواس**) الظاهرة (**تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس**) في الخارج، (**ونحن نقرب ذلك إلى أفهام الضعفاء بمثالين**).

(**أحدهما: أنا لو فرضنا حوضاً**) وهو مجمع الماء (**محفوراً في الأرض احتمل أن يساق الماء إليه من فوقه بأنهار تفتح إليه**) من نواحيه، (**ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي**) من الكدر، (**فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى**) من الماء الذي يأتي من فوق بواسطة الأنهار (**وأدوم**) أي أثبت في الدوام، (**وقد يكون أغزر وأكثر، فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء**) الوارد عليه، (**والحواس الخمسة**) الظاهرة (**مثل الأنهار ويمكن أن تساق العلوم**) المختلفة الأنواع (**إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات**) في عالم الملك (**حتى يمتلىء علماً**) جماً (**ويمكن أن تسد عنه هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر**) ومنع السمع من أن

ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله.

فإن قلت: فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه؟ فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ، بل في قلوب الملائكة المقربين، فكما أن المهندس يصوّر أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح

يتطرق إليه شيء من الأخبار **(ويعمد إلى عمق القلب)** أي باطنه **(بتطهيره)** من الوساوس والارجاس **(ورفع طبقات الحجب عنه حتى يتفجر ينبوع العلم)** الإلهي **(من داخله)** فيستغني عن مدد المعارف من فوق.

(فإن قلت: وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه) والأرض من شأنها إذا حفرت نبع منها الماء لكونه موجوداً في عروقها الباطنة، وعند الاستنباط يحصل له الظهور، وكيف يتصوّر هذا في القلب وليس فيه من المعارف ما هو كامن فيه حتى إذا صفا عن كدورات ظهرت تلك المعارف ظهور الماء من الأرض، **(فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة)** لأنه من وراء طور العقل، **(والقدر الذي لا يمكن ذكره)** الآن هو **(أن حقائق الأشياء)** بأسرها **(مسطورة)** بالقلم الأعلى **(في اللوح المحفوظ)** عنده، **(بل)** أزيد على ذلك وأقول هي مسطورة أيضاً **(في قلوب الملائكة المقربين)** وبيان ذلك أن الأنوار السمائية التي تقتبس منها الأنوار الأرضية مرتبة بحيث يقتبس بعضها من بعض، فالأقرب من المنبع الأول أعلى رتبة وهكذا ترتيب في عالم الشهادة ولا يفهم ذلك إلا بمثال وهو أن يفرض ضوء القمر داخلاً في كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة على حائط ومنعكساً منها إلى حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها إلى الأرض بحيث تستنير منه الأرض، فأنت تعلم أن ما على الأرض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر وما في القمر تابع لما في الشمس. إذ منها يشرق النور على القمر، وهذه الأنوار الأربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض، ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا تتعداه، فاعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الأنوار الملكوتية إنما وجدت على ترتيب كذلك، وأن القرب هو الأقرب إلى النور الأقصى فلا يبعد أن يكون ما في اللوح منتقشاً في قلوب المقربين من الملائكة لقرب درجاتهم من حضرة الربوبية التي هي منبع الأنوار والأسرار، **(وكما أن المهندس)** وهو مقدر مجاري القنى والآثار **(يسطر صورة أبنية الدار في بياض)** أوّلاً فيجعلها نسخة وهو الوجود الذهني، **(ثم يخرجها إلى الوجود)** الخارجي **(على وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر السموات والأرض)** أي مبدعها بلا مثال سابق **(كتب نسخة العالم)** وهو ما سوى الله **(من أوله إلى**

المحفوظ، ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة، والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها، ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما، ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال، والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال، والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجاً من خيال الانسان وقلبه، والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ.

فكأن للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني، ويتبعه وجوده الحقيقي، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي - أعني وجود صورته في الخيال - ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي - أعني وجود صورته في القلب.

آخره في اللوح المحفوظ) كما قال تعالى ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٧] فالابداع أول مراتب الكتبة، وقوله: إيجاده وابداعه وكتبته وقوله فإذا صدر الإبداع عن أمره يكون قولاً فإذا وصل إلى المحل وظهر المبدع يكون كتابة وحروف المكتوب أشخاص الاملاك، وكلمات المكتوبات أجسام الأفلاك، فالعالم إذاً كتابة من الله عز وجل لا حقيقة قوله لأن قوله إظهار كلامه وكلامه صفة ذاته وصفاته قديمة وكلامه قديم وقوله قديم، والعالم ليس بقديم فهو محدث، والكتابة أمر ظهر من القول وهي حادثة والعالم مع أنه مكتوب بخط صنع الإله عن يد قدرته حادث مبدع محدود متناه، فإذا أول مرتبة من مراتب كتاب الله عز وجل الإبداع، (**ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحواس والخيال، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما ثم يتأدّى من خياله أثر في القلب فتحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال، فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال، والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجاً عن خيال الإنسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ، فكان للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني، ويتبعه وجوده الحقيقي، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي - أعني وجود صورته في الخيال -**)أي العلم بصورته وحقيقته، (**ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي - أعني وجود صورته في القلب -**) فاطلاق الوجود

وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية. والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض؟ وهذا اللطف من الحكمة الإلهية، إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها، ثم يسري من وجودها في الحس وجود إلى الخيال، ثم منه وجود في القلب فإنك أبداً لا تدرك إلا ما هو واصل إليك، فلو لم يجعل للعالم كله مثالاً في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك، فسبحان من دبّر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار، حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها.

على ما في الذهن والخيال لا على الحقيقة، لكن على معنى أنه صورة محاكية لذلك الوجود الحقيقي، كما أن ما يرى في المرآة يسمى إنساناً لا بالحقيقة، لكن على معنى أنه صورة محاكية للإنسان الحقيقي، وكذلك كل شيء فله في الوجود أربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الاذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البياض المكتوب عليه.

(**وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية**)، فالوجود الأوّل والثاني جسمانيان، والثالث والرابع روحانيان، (**والروحانيات بعضها أشد روحانية من بعض**) كالوجود العقلي أصفى روحانية من الوجود الخيالي، (**وهذا لطف من الحكمة الإلهية إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم و**) من جملته (**السموات والأرض على اتساع أكنافها**) أي جوانبها، (**ثم سرى من وجوده في الحس وجوده في الخيال، ثم منه وجود في القلب**) وهذا الوجود أقوى، وإنما يحجب منه ما يحجب بسبب صفات بين مقارنة له تضاهي لحجاب العين عن نفسه عند تغميض الأجفان، (**فإنك أبداً لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مكاناً في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك، فسبحان من دبَّر هذه العجائب في القلوب والأبصار، ثم أعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها**)ومن جملة هذه العجائب الصورة الإنسانية مرتبة بموجب المشاكلة التي بين عالمي الملك والملكوت على صورة الرحمن وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله لأن الرحمة الإلهية هي التي صورت الحضرة الإلهية بهذه الصورة، ثم أنعم على آدم فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما في العالم لأن كل ما في العالم هو نسخة من العالم مختصرة، وصورة آدم أعني هذه الصورة المكتوبة بخط الله فهو الخط الإلهي المنزه من أن يكون رقم حروف، ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه، فلما كان هذا من آثار الرحمة صار على صورة الرحمن لا على صورة الله، فإن حضرة الإلهية غير حضرة الرحمة، ولولا هذا المعنى لكان قوله: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن كما هولفظ الصحيح غير منظوم لفظاً، وهذا الانموذج يهديك إلى أن غالب الخلق قد جهلت أنفسها كما جهلت الآفاق وهذا وأمثاله بحر لا ساحل له.

ولنرجع إلى الغرض المقصود فنقول: القلب قد يتصوّر أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ، كما أن العين يتصوّر أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها. فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عنه الاقتباس من داخل الحواس، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض. ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض، وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس، فإذاً للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة. وعالم الشهادة

(فلنرجع إلى المقصود فنقول: القلب يتصور أن تحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ، كما يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس، ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب) للعارض بسبب صفات بين مقارنه له **(بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه)**

بحقائقها الأصلية، **(وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل الحواس، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض)** مستغنياً به عن وصوله من الجداول، **(ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة المحسوسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ)** وإنما حجابه حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب تلك الصفات، **(كما أن الماء إذ اجتمع من الأنهار في الحوض منع ذلك، عن التفجر من الأرض)** لاستغنائه به، **(فكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورته الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس)**، وبيان ذلك إجمالاً إن العالم الملكوتي عالم غيب والعالم الحسي عالم شهادة وهو مرقاة إلى العالم العقلي، ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسدّ طريق الترقي إلى حضرة الربوبية والقرب من الله تعالى، فلن يقرب من الله أحد ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس، ثم جعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال شيء من ذلك العالم، ولا بدّ من نوع مماثلة ومطابقة بينهما. فإن كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم يستصغر، ومنه تنفجر إلى أودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وإن كان ثمّ موجودات تتلقى تلك النفائس بعد إتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب إلى قلب، فهذه القلوب أيضاً ومفتتح الوادي قلوب الأنبياء والأولياء والعلماء ثم من بعدهم، **(فإن للقلب بابين: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب**

والملك أيضاً يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكاة. فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك؛ وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقيناً بالتأمل من عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس، وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى، وقال ﷺ: «سبق المفرّدون» قيل:

مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك أيضاً يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكاة) لأنه على موازنته، فما من شيء من عالم الملك إلا وهو مثال شيء من عالم الملكوت كما ذكرنا، وربما كان الشيء الواحد مثالاً لأشياء من عالم الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من عالم الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الملك، وإنما يكون مثالاً إذا ماثله نوعاً من المماثلة وطابقه نوعاً من المطابقة واستيفاء ذلك عسير الضبط، وقد أشرنا إلى بعضها قريباً وعلم التفسير يعرفك منهاج ضرب المثال لأن الرؤيا جزء من النبوّة أما ترى أن الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني وهو الاستيلاء على الكافة مع فيضان الأنوار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لإفاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان، وإن من يرى أن بيده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فإنه يعبر به أنه مؤذن يؤذن قبل الصبح في رمضان، ومن رأى أنه يصب الزيت في الزيتون تعبيره أنه يطؤ جارية هي أمه وهو لا يعرف وغير ذلك مما يزيد أنساً بهذا الجنس.

(فاما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك) فإن غالب العلوم كذلك، **(وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعته اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقينياً بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل، أو كان في غير الماضي من غير اقتباس)** في ذلك **(من جهة الحواس)** الظاهرة، **(وإنما ينفتح ذلك الباب لمن أفرد ذكر الله تعالى: قال النبي ﷺ «سبق المفردون»)** روي بتشديد الراء وتخفيفها والتخفيف هو الذي جنح إليه الحكيم الترمذي كما سيأتي كلامه وإياه تبع المصنف. وقال النووي في الاذكار، والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد اهـ.

وقال الحافظ: والراء مفتوحة وقيل مكسورة. ويقال: فرد الرجل مشدداً ومخففاً وتفرد وأفرد الكل بمعنى اهـ.

وقال غيره فرد بالتشديد إذا اعتزل وتخلى للعبادة فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله تعالى والمعنى سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى.

ومن هم المفردون يا رسول الله ؟ قال : « المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً » ، ثم قال في وصفهم إخباراً عن الله تعالى فقال : « ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ، ثم قال تعالى : أوّل ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم » . ومدخل هذه

(**قيل : ومن هم ؟ قال :**) « هم (**المستهترون بذكر الله »**) وفي رواية المستهرون في ذكر الله وعلى الاول فالمراد الذين أولعوا به . يقال : اهتر بفلان واستهتر فهو مستهتر أي مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل سواه . وقال الحكيم الترمذي : المستهر هو الذي نطق من ربه يشبه كلامه كلام من لم يستعلمه عقله لأن العقل يخرج الكلام على اللسان بتدبير وتؤدة ، وهذا المهتر إنما نطقه كأنما يجري على لسانه حتى يشبه الهذيان في بعض الأحيان عند العامة وهو في الباطن مع الله من الأصفياء الناطقين اهـ .

(« **وضع الذكر**) عنهم (**أوزارهم**) أي أثقالهم من ذنوبهم التي أثقلتهم (**فوردوا القيامة خفافاً**) فيسبقون لأنهم جعلوا أنفسهم افراداً ممتازة بذكر الله عمن لم يذكر الله أو جعلوا ربهم فرداً بالذكر وتركوا ذكر ما سواه وهو حقيقة التفريد ههنا . وقال الحكيم الترمذي : المفرد هنا من افرد قلبه للواحد في وحدانيته ولازم الباب حتى رفع له الحجاب ، وأوصله إلى قربه فكان بين يدي ربه وعبارة القوت ، فأما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين ، فإنهم مسيرون محمولون سابقون مستهرون ، وقد وضعت الأذكار عنهم الأوزار كما جاء في الخبر « سيروا سبق المفردون » والمفردون أيضاً بالفتح فهم مفردون لله تعالى بما أفردهم الله عز وجل قيل : من المفردون ؟ قال « المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً » فلما أفردهم ممن سواهم له أفردوه عما سواه به تعالى بذكرهم فاستولى عليهم ذكره فاصطلم قلوبهم نوره تعالى ، فاندرج ذكرهم في ذكره ، وكان هو الذاكر بهم وكانوا هم المكان لمجاري قدرته فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا تكتب كيفية هذا البر فلو وضعت السموات والأرض في كفة لرجح ذكره تعالى بهما .

(**ثم قال**) ﷺ (**في وصفهم « أقبل عليهم بوجهي أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ؟ ثم قال : أوّل ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم »**) ولفظ القوت : وهم الذين قال لهم فترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه لو كانت السموات والأرضون في موازينهم لاستقللتها بهم أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم . قال : وهذا هو ظاهر أوصافهم وأوّل عطائهم اهـ .

قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة مقتصراً على أول الحديث ، وقال فيه : « وما المفردون ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » . ورواه الحاكم قال « الذين يستهترون في ذكر الله » وقال : صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه الترمذي « يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة

الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تتأتى من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، وعلم الحكمة يتأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك، وعجائب عالم القلب

خفافاً. وقال: حديث حسن غريب، ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي الدرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: رواه مسلم عن أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **كان يسير في طريق مكة فمرَّ على جبل يقال له جمدان فقال « هذا جمدان سيروا سبق المفردون » قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات »**. وأخرجه ابن حبان في مسنده والفريابي في كتاب الذكر والتسبيح كلاهما عن الحسن بن سفيان عن أمية بن بسطام، وأخرجه كذلك أحمد في مسنده، ولفظ حديث أبي الدرداء عند الطبراني « سبق المفردون » قالوا: وما المفردون؟ قال: « هم المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً » وسنده ضعيف لضعف شيخه. فيه عبد الله بن سعيد بن أبي مريم قاله الهيتمي.

وقال إسحاق بن راهويه في مسنده، حدثنا إسحاق بن سليمان، سمعت موسى بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الله القراظ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: **كنا نسير مع رسول الله ﷺ بالرق من جمدان فقال: « يا معاذ أين السابقون؟ فقلت: مضوا وتخلف أناس. فقال: « إن السابقين الذين يهترون بذكر الله عز وجل من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله »**. وموسى ضعيف لكن يقوى بحديث أبي هريرة السابق ذكره.

تنبيه:

قال البيضاوي: وإنما قالوا وما المفردون ولم يقولوا من هم لأنهم أرادوا تفسير اللفظ، وبيان ما هو المراد منه لا تعيين المتصفين به وتعريف أشخاصهم، فسأل في الجواب عن بيان اللفظ إلى حقيقة ما يقتضيه توفيقاً للسائل بالبيان المعنوي على المعنى اللغوي إيجازاً، فاكتفى فيه بالإشارة المعنوية إلى ما استبهم عليه من الكناية اللفظية اهـ.

(ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن) ونقل صاحب القوت عن سهل التستري قال: للقلب تجويفان. أحدهما: باطن فيه السمع والبصر وكان يسمى هذا قلب القلب، والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل، ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين هو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين. **(فإذا الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، وعلم الحكماء يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك)** وشتان بين

وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصي في علم المعاملة. فهذا مثال يعلّمك الفرق بين مدخل العالمين.

المثال الثاني: يعرفك الفرق بين العملين، أعني عمل العلماء وعمل الأولياء، فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب، وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط، فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ويُرخى بينهما حجاب يمنع إطلاع كل فريق على الآخر، ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر، ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه، فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ، فقيل: وكيف فرغتم من غير صبغ؟ فقالوا: ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع

العلمين، (**وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب**) أي الملك والملكوت (**لا يمكن أن يستقصي في علم المعاملة**) لصعوبتها على أفهام الضعفاء ولكثرتها. (**فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين**) وأيهما أعلى درجة.

(**المثال الثاني: يعرفك الفرق بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الأولياء، فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب**) بمبلغ جهدهم. (**وأما الصوفية فيعلمون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته**) عن الكدورات (**وتصقيله**) بالذكر (**فقط، وقد حكي أن أهل الصين**) إقليم معروف، وقد قيل: الحكمة نزلت على ثلاثة أعضاء: أدمغة اليونان، وأيادي أهل الصين، وألسنة العرب. (**وأهل الروم تباهوا**) أي تفاخروا (**بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور**) فقال كل منهم نحن أحسن في هذه الصناعة، (**فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة**) وهي بالضم من البيت مغروفة والجمع صفف (**لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك، وجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر**) واعتنوا غاية الاعتناء، (**ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه**) بالمصاقل، (**فلما فرغ أهل الروم**) من عملهم (**ادعى أهل الصين أنهم أيضاً قد فرغوا**) من العمل، (**فتعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم كيف فرغتم من غير صبغ؟ فقالوا: ما عليكم منا ارفعوا الحجاب فرفعوه، فإذا جانبهم وقد تلألأت فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق**) أي لمعان (**إذ كان قد**

زيادة إشراق وبريق، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل، فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين، وعناية الحكماء والعلماء والاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقدها في القلب كفعل أهل الروم، فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يُموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله: التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى.

وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة، وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال، فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني، وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته، فالمعارف أنوار لا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم. قال الله

صار **كالمرآة المجلوّة لكثرة التصقيل**) والجلاء، (**فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى تتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق**) والإضاءة، (**كفعل أهل الصين**) لما صقلوا الصنعة ظهرت فيها النقوش الظاهرية، وهم لما صقلوا صنعة القلب ظهرت فيها صور المعلومات الباطنية، (**وعناية العلماء والحكماء باكتساب نفس العلوم وتحصيل نقشها في القلب**) وشتان بينهما. (**وكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت**) حين يموت القلوب (**وعلمه عند الموت لا ينمحي**) والمراد بالعلم ما يتعلق بمعرفة الله تعالى (**وصفاؤه لا يتكدر، وإليه أشار الحسن**) البصري رحمه الله تعالى بقوله: (**التراب لا يأكل محل الإيمان**) كما نقله صاحب القوت، ومعلوم أن محل الإيمان والتقوى القلب. كما ورد في الخبر إلا أن التقوى ههنا وأشار إلى القلب، (**ويكون**) العلم (**وسيلة القرب له إلى الله تعالى.**

أما ما حصله من نفس العلم أو ما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نقش العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم) بالله، (**والمعرفة الصارفة عنان قلبه إليه**) ولفظ القوت: ولا يصل العبد إلى مشاهدة علم التوحيد إلا بعلم المعرفة وهو نور اليقين. وقال في موضع آخر: فحقيقة العلم إنما هو بين العلم واليقين، وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون. (**وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال، فصاحب الدراهم غني وصاحب الخزائن المترعة**) أي الملآنة (**غني، وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف**) الإلهية

تعالى: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [الحديد : ١٢] وقد روي في الخبر : « إن بعضهم يعطي نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطي نوراً على إبهام قدميه فيضيء مرة وينطفىء أخرى فإذا أضاء قدّم قدمه فمشى ، وإذا طفىء قام ، ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ، ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطي نوراً على ابهام قدمه يحبو حبواً على وجهه ويديه ورجليه يجرّ يداً ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص » الحديث . فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ، ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضاهي قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها

(**أنوار**) لأنها حصلت من أشعة النور الإلهي ، (**ولا يسعى المؤمنون**) يوم القيامة (**إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم . قال**) الله (**تعالى: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ وقد ورد في الخبر « إن بعضهم**) أي المؤمنين (**يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم يعطى أصغر**) منه (**حتى يكون رجل يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة وينطفيء أخرى، فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا طفيء قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم، فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق**) الخاطف ، (**ومنهم**) من يمر (**كالسحاب، ومنهم**) من يمر (**كانقضاض الكوكب**) وهو سقوطه يشير إلى السرعة ، (**ومنهم من يمر كشد الفرس**) أي عدوه ، (**والذي أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر منه يد**) أي تسقط (**وتعلق أخرى وتخر رجل وتعلق أخرى وتصيب جوانبه النار ، قال: ولا يزال كذلك حتى يخلص » الحديث**) قال العراقي : رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن مسعود ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين اهـ .

قلت : وكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه بلفظ « يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره على إبهامه ينطفيء مرة ويقيد أخرى » . وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود ﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ قال: على الصراط . ورواه الحسن كذلك وزاد « حتى يدخلوا الجنة » أخرجه ابن أبي شيبة . وعن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: « إن من المؤمنين من لا يضيء له نور إلا موضع قدميه والناس منازل بأعمالهم » .

(**فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر**) رضي الله عنه (**بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح**) وإليه الإشارة بقوله في الخبر : « ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بشيء وقر في صدره » وقد تقدم في كتاب العلم. (**وهذا**

لرجح، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع. وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم، وإيمان الأنبياء كالشمس، وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين. ولذلك جاء في الخبر: «أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة». كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان، وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار، وفي مفهومه ان من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أوّلاً وأن من

يضاهي قول القائل: **لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج، وبعضهم نوره كنور الشمعة، وإيمان الصديقين نوره كنور النجوم والقمر، وإيمان الانبياء**) نوره كنور (**الشمس**) على هذا الترتيب، ومنبع النور الأكمل من هؤلاء الأنوار هو الشمس، ومن نورها تفاض على سائر الأنوار، (**وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها، ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت، فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وإنكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين،** فالموقنون من المؤمنين أعلى إيماناً والعالمون من الموقنين أرفع مقاماً، فالمؤمنون في كمال الإيمان وحقائقه لا يستوون وإن استووا بالدخول في الاسم والمعنى وكذلك تفاوتهم في الآخرة.

(**ولذلك جاء في الخبر «أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال من إيمان وربع مثقال**) من إيمان (**وذرة**) من إيمان». وهكذا هو في القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله «ربع مثقال» اهـ.

قلت: وأخرج الطيالسي وأحمد والشيخان. وقال الترمذي: حسن صحيح، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان كلهم من حديث أنس «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة».

وأخرج الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أبي سعيد «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان».

(**وكل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار**) ولفظ القوت: فقد حصلوا متفاوتين في الايمان ما بين الذرة إلى المثقال، وكلهم قد دخل النار إلا أنهم على مقامات فيها. (**وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أوّلاً وأن من في قلبه مثقال ذرة**) من الإيمان (**لا**

في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها . وكذلك قوله ﷺ : « ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الانسان المؤمن » إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن ، فإنه خير من ألف قلب من العوام . وقد قال تعالى : ﴿وأنتُم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران : ١٣٩] تفضيلاً للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف

يستحق الخلود في النار وإن دخلها) ولفظ القوت : وفيه دليل على أن من كان في قلبه مثقال من إيمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظيم ما اقترف من الأوزار ، وإن كان في قلبه وزن ذرة من الإيمان لم يحق عليه الخلود في دار الهوان لتعلقه بيسير الإيقان وإن من زاد إيمانه على وزنة مثقال لم يكن للنار عليه سلطان وكان من الابرار ، وإن من نقص إيمانه عن ذرة لم يخرج من النار وإن كانت سيماه وكان اسمه في الظاهر في المؤمنين لأنه من المنافقين في علم الله تعالى الفجار ، وقد قال الله تبارك وتعالى في وصفهم : ﴿وإنَّ الفجّار لفي جحيم﴾ [الإنفطار : ١٤] ثم قال : وما هم عنها بغائبين ثم صار المثقال والذرة في الجنة على تفاوت درجات ، وكان الزائد إيمانه على مثقال في أعلى عليين على هؤلاء ، وارتفع أهل الدرجات العلى على أعلى عليين ارتفاع الكوكب الدري في أفق السماء ، وكلهم قد اجتمع في الجنة على تفاوت مقامات .

(وكذلك قوله ﷺ « ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ») هكذا هو في القوت . وقال العراقي : رواه الطبراني من حديث سلمان بلفظ « الإنسان » ولأحمد من حديث ابن عمر « لا نعلم شيئاً خيراً من مائة مثله إلا الرجل المؤمن » وإسنادهما حسن اهـ .

قلـت : حديث سلمان أخرجه أيضاً كذلك الضياء في المختارة بلفظ « ليس شيء خيراً » وهو هكذا أيضاً في بعض نسخ الكتاب ، واختلف قول الهيتمي فيه فقال : مرة مداره على اسامة بن زيد ابن أسلم وهو ضعيف جداً . وقال مرة في موضع آخر رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بـن محمد بن يوسف وهو ثقة .

وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط **(أشار إلى تفضيل قلب العارف المؤمن وأنه خير من ألف من عوام الناس)** أي العارف الموقن قد يبلغ بقوّة إيمانه وإيقانه إلى ثبوت في الدين وقيام بمصالح الإسلام والمسلمين بعلم يكسبه أو مال يبذله أو شجاعة يسد بها مسدّ ألف ، ولفظ القوت : فلعمري أن قلب المؤمن خير من ألف قلب مسلم لأن إيمانه فوق إيمان مائة مؤمن وعلمه بالله تعالى أضعاف علم مسلم ، ويقال : إن واحداً من الأبدال الثلاثمائة قيمته قيمة ثلاثمائة من مؤمن ، وقال بعض علمائنا : يعطي الله عز وجل بعض المؤمنين من الإيمان بوزن جبل أحد ويعطي بعضهم ذرة .

(وقد قال) الله سبحانه و **(تعالى : ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ تفضيلاً للمؤمن على المسلم)** لأنه وصف المؤمنين بالعلوّ ولا نهاية لعلوّ الإيمان فصار علوّ كل مؤمن على قدر إيمانه ، **(والمراد به المؤمن العارف دون المقلد)** الذي لم تتمكن المعرفة في قلبه فهو بعد أسير

دون المقلد . وقال عز وجل : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة : ١١] فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ، ويدل على ذلك أن اسم المؤمن يقع عن المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف .

وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فقال : يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . وقال ﷺ : « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب » ، وقال ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » وفي رواية : « كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت

ربقة التقليد ، (**وقال تعالى**) في رفع العلماء على المؤمنين (**﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فاراد هنا بالذين آمنوا الذين صدقوا**) تقليداً (**من غير علم**) صحيح (**وميزهم عن الذين أوتوا العلم**) فانكشفت بصائرهم فصدقوا وتحققوا (**ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد ، وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف**) كما تقدم الكلام عليه قريباً .

(**وفسر ابن عباس**) رضي الله عنه (**قوله تعالى : ﴿ والذين أوتوا العلم درجات ﴾ فقال : يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين ما بين السماء والأرض**) ولفظ القوت قال ابن عباس : الذين أوتوا العلم درجات فوق المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض اهـ .

قلت : وقد روي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ بلفظ « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس السريع المضمر مائة عام » . رواه ابن عدي في الكامل ، وابن عبد البر في كتاب العلم وسنده ضعيف . ورواه أبو يعلى من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند لا بأس به ، ولفظه « فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » .

(**وقال ﷺ « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب »**) هكذا هو في القوت . وقال العراقي : تقدم دون هذه الزيادة ، ولم أجد لهذه الزيادة أصلاً وهي مدرجة من كلام أحمد بن أبي الحواري .

(**وقال ﷺ « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »**) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه ، وقد تقدم في كتاب العلم إلا أن لفظه « كفضلي على أدناكم » . (**وفي رواية « كفضل القمر على سائر الكواكب »**) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بزيادة « ليلة البدر بعد القمر » وقد تقدم أيضاً في

قلوبهم ومعارفهم، ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران، والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك. ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ [الاسراء : ٢١].

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوّف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد :

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري، فقد صار عارفاً بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جداً، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات.

كتاب العلم. (**فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم**) فالموقنون من المؤمنين أعلى إيماناً والعالمون من الموقنين أرفع مقاماً (**ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن**) أي يسمى بذلك قال الله تعالى ﴿ذلك يوم التغابن﴾ [التغابن : ٩] (**إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران**) والتغابن تفاعل من الغبن وهو الخسارة في أصل المال، (**والمرحوم**) برحمته (**يرى فوق درجته درجات عظيمة**) يتأسف لفواتها، (**فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني**) في حد ذاته، (**ولكن ما أعظم الفرق بينهما، وما أعظم الغبن على من يخسر حظه ذلك**) قال الله تعالى: (**﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾**).

بيان شواهد الشرع من الكتاب والسّنة:

(**على صحة طريق التصوّف في اكتساب المعرفة**) بالله (**لا من**) طريق (**التعليم ولا من الطريق المعتاد**) المألوف عند الناس.

(**اعلم أنه من انكشف له ولو الشيء اليسير**) أي القليل (**بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري**) كيف وقع وما سببه، (**فقد صار عارفاً بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به**) أي يصدقه بقلبه وهذا أقل الدرجات، (**فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جداً وتشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات**).

أما الشواهد : فقوله تعالى : ﴿والذين جاهَدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾ [العنكبوت : ٦٩] فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام . وقال ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار » . وقال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ [الطلاق : ٢] من الإشكالات والشبه ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق : ٣] يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة . وقال

(وأما الشواهد : فقوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾) أي جاهدوا نفوسهم وبأموالهم وجاهدواعدوهم إذ يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فصابروه وغلبوه ، فباعوا النفوس والأموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من الحساب والأهوال ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ أي لنصرفهم إلى مكاشفات العلوم ، ولنسمعنهم غرائـب الفهوم ، ولنوصلهم إلى أقرب الطريق إلينا بحسن مجاهدتهم فينا ، ثم ختم الأمر بقوله تعالى : ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ هذا مقام مشاهدة الصفات ، فكان المجاهد فيه معهم أولاً بالتوفيق فيه صبروا له بالتأييد ، وكان المحسن منهم آخر اليوم فيه أحسنوا إلى نفوسهم غداً . وقال بعض العلماء في تفسير هذه الآية : الذين يعملون بما يعلمون يوفقهم ويهديهم إلى ما لا يعلمون ، وقال بعض السلف : نزلت هذه الآية في المتعبدين المنقطعين إلى الله عز وجل المستوحشين من الناس فيسوق الله إليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة ، **(فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام . قال ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله ما لم يعلم »)** تقدم في كتاب العلم . قال صاحب القوت : الحياء من الاختيار والاختبار والابتلاء والاجتباء والتعريف والتأييد والمثوبة والعقوبة والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة إلى غير ذلك من علوم المعارف بعد حسن التفقه عن معرفة النقص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد . وقال بعض التابعين : من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما يجهل ، **(ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار)** هذا نص القوت فهو من قول بعض التابعين ، وسياق المصنف يقتضي انه بقية الحديث السابق ، ولذا قال العراقي : صدر الحديث تقدم في العلم وهذه الزيادة لم أرها اهـ .

والذي يظهر لي أنه سقط كلام من النساخ . ثم قال صاحب القوت ، نقلاً عن بعضهم : كلما ازداد العبد عبادة واجتهاداً ازداد القلب قوّة ونشاطاً وكلما ملَّ العبد وفتر ازداد القلب ضعفاً ووهناً .

(وقال الله تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قيل) في تأويله : **(يجعل له مخرجاً من الإشكالات)** الخيالية **(والشبه)** الوهمية **(و)** يرزقه من حيث لا يحتسب أي **(يعلمه علما من غير تعلم)** أي بالشاهد الصحيح والعلم الصريح ، وقيل : معناه يجعل

تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الأنفال: ٢٩] قيل: نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات، ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي». وسئل ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] ما هذا الشرح؟ فقال: «هو التوسعة ان النور إذا

له مخرجاً من كل أمر ضاق على الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب أي يعلمه من غير تعليم بشر ويعطفه من غير تجربة. (**وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ قيل: نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات**) هكذا نقله صاحب القوت إلا أنه قال: تفرقون به بين الحق والباطل وتعرفون به المشكلات، (**ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور**) لأنه كما قال صاحب القوت هو جند القلب كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبداً أمدّه بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار (**فقال «اللهم اعطني نوراً**) من أنوارك استضيء به (**وزدني نوراً واجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً» حتى قال «وفي شعري وبشري ولحمي ودمي وعظامي»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: ورواه الترمذي في السنن، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الدعوات من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده. قال: بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسياً وهو في بيت خالتي ميمونة فقام فصلى من الليل، فلما صلّى الركعتين قبل الفجر قال: «اللهم إني أسألك» الخ وساق الحديث الطويل، وفيه «اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً في يدي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي. اللهم أعظم لي نوراً واعطني نوراً واجعل لي نوراً» الحديث وقد تقدم بتمامه مع الكلام عليه في كتاب ترتيب الأوراد.

(**وسئل ﷺ عن قوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾**) هكذا في سائر النسخ، والذي في القوت. وسئل عن معنى قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [الانعام: ١٢٥] (**ما هذا الشرح؟ قال: هو التوسعة إن النور إذا قذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح**) ولفظ القوت: فقال: هو النور يقذف به في القلب فينشرح له الصدر وينفسح، وقال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، وأبن مردويه، والبيهقي في

قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح » . وقال ﷺ لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال عليّ رضي الله عنه : ما عندنا شيء أسره النبي ﷺ إلينا إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه وليس هذا بالتعلم ، وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ [البقرة : ٢٦٩] انه الفهم في كتاب الله تعالى . وقال تعالى : ﴿ففهمناها سليمان﴾ [الأنبياء : ٧٩] خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الدرداء يقول : المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم . وقال بعض السلف : ظن المؤمن كهانة .

الشعب من طرق ، وأخرجه ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي قال : نزلت هذه الآية ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ فقلنا يا رسول الله : كيف انشراح صدره ؟ قال : « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح » قلنا : فما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت » وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث ابن عمر نحوه ، ثم أخرجه عن أبي جعفر المدايني رفعه نحوه .

(وقال ﷺ لابن عباس) رضي الله عنه **(« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »)** قال العراقي : أخرجه بهذه الزيادة أحمد وابن حبان والحاكم وصححه وقد تقدم في العلم اهـ .

قلت : وقال صاحب القوت : ومن خواطر النفس ما يرد بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم إلا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل كما قال ﷺ لابن عباس الخ .

(وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي ﷺ إلينا إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهما في كتابه) كذا في القوت ، وقد تقدم في آداب تلاوة القرآن ، وفيه رد على الشيعة حيث أنهم يدعون أن النبي ﷺ أسر إليه بالخلافة وبأسرار غيرها كما هو شأن الأوصياء ، **(وليس هذا بالتعليم)** والدراسة بل هو كشف رباني : **(و)** كما **(قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾)** ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة : ٢٦٩] **(أنه الفهم في كتاب الله تعالى)** كذا في القوت **(وقال تعالى : ﴿ففهمناها سليمان﴾ خص ما انكشف له باسم الفهم)** ولفظ القوت : فخصه بفهم منه فقه قلبه به زاده فوق الحكم والعلم الذي شركه أبوه فزاد على فتياه .

(وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه **(يقول : المؤمن ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم)** كذا في القوت إلا أنه قال : المؤمن ينظر إلى الغيب والباقي سواء ، **(وقال بعض السلف : ظن المؤمن كهانة)** أي كأنه سحر في نفاذه وصحة وقوعه كذا في القوت .

وقال ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى » . وإليه يشير قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥] . وقوله تعالى : ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ [البقرة : ١١٨] وروى الحسن عن رسول الله ﷺ انه قال : « العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع » . وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً ، وقد قال ﷺ : « إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم » وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ﴾ [الحج : ٥٢] يعني الصديقين والمحدث : هو الملهم ، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة .

(وقال ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) عز وجل » رواه الترمذي من حديث أبي سعيد ، وقد تقدم . والمعنى بنور الله أي باليقين ، وفي لفظ آخر : « اتقوا فراسة العلماء » فكأنه مفسر له **(وإليه يشير قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾)** أي للمتفرسين ، كما ورد . وهذا كان من طريق السلف من الصحابة والتابعين إذا سئلوا وفقوا وألهموا الصواب لقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق فخاطر اليقين إذا ورد على قلب موقن اضطرته مشاهدته إلى القيام به وإن خفي على غيره وحكم عليه بيانه وبرهانه بصحة دليله وإن التبس على ما سواه ، **(و)** من ذلك **(قوله تعالى)** في تخصيص الموقنين : **(قد بينا الآيات لقوم يوقنون)** ﴿ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ [الجاثية : ٢٠] .

(وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « العلم علمان فعلم باطن في القلب وذلك هو النافع ») تقدم في كتاب العلم ، والمراد بالحسن البصري كما صرح به صاحب القوت فالحديث مرسل . **(وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله يقذفه الله في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً)** نقله صاحب القوت إلا أنه قال : سئل بعض أهل المعرفة ، **(وقد قال ﷺ : « إن من أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم »)** قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » ورواه مسلم من حديث عائشة .

(وقرأ ابن عباس ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ﴾ يعني الصديقين) نقله صاحب القوت ، **(والمحدث)** كمعظم **(هو الملهم والملهم)** هو **(الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل)** الذي هو قلب القلب ، وفيه باب إلى الملكوت الأعلى **(لا من جهة المحسوسات الخارجة)** وهو باب القلب .

والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف، وذلك علم من غير تعلم. وقال الله تعالى: ﴿وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ [يونس: ٦٠] خصصها بهم. وقال تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾[آل عمران: ١٣٨]وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس. وهذا هو العلم الرباني، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ [الكهف: ٦٥] مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج، فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر.

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك على

(والقرآن مصرح بأن التقوى مصباح الهداية والكشف وذلك بغير تعلم، قال الله تعالى) في نعت المتقين: **(وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ خصصها بهم، وقال)** تعالى: **(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)** وقال تعالى في فضل العلماء ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال تعالى: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾ [الأنعام: ١٠٥] فحقيقة العلم إنما هي بين التقوى واليقين، وهذا عن علم المعرفة المخصوص به المقربون وهب لهم الآيات وخصهم بالبيان والدلالات بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، **(و)** قد **(كان أبو يزيد)** البسطامي قدس سره **(وغيره)** من العارفين **(يقول)** ولفظ القوت يقولون: **(ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله)** تبارك وتعالى **(فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه عن ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس، وهذا)** لعمري لا ينسى علمه وهو ذاكر أبداً لا يحتاج إلى كتاب، و**(هو العالم الرباني)** علمه منسوب إلى الرب قد أفيض عليه بلا اكتساب، وهذا هو وصف الأبدال من المؤمنين ليسوا واقفين مع حفظ إنما هم قائمون بحافظ، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾)** أي من عندنا. «ولدن» ظرف مكان بمعنى عند إلا أنه لا يستعمل إلاّ في الحاضر، **(مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا)** بل علماً انفعالياً لكونه أخذ من الغير، **(بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب)** أي باطنه المسمى بقلب القلب **(من غير سبب مألوف من خارج)** كتعلم ودراسة، **(فهذه شواهد النقل)** من الكتاب والسنة، **(ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن)** حد **(الحصر)** والاستقصاء.

(وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك عن الصحابة)

الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته: إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملاً فولدت بنتاً فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته، يا سارية الجبل إذ انكشف له أن العدوّ قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان

رضوان الله عليهم (و) عن التابعين (**ومن بعدهم**) من أتباعهم وغيرهم. (**قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته: إنما هما اختاك وكانت زوجته حاملاً**) لم تلد بعد (**فولدت بنتاً وكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت**) فهذه كرامة له أكرمه الله بها. قال الحافظ فتح الدين اليعمري المعروف بابن سيد الناس في كتابه المقامات العلية في الكرامات الجلية بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما حضر أبي أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد، ثم قال: أما بعد فإن أحب الناس غنى إليَّ بعدي أنت، وإن أعز الناس فقراً إلي بعدي أنت، وإني كنت نحلتك جداد عشرين وسقاً من مالي فوددت والله إنك كنت حزتيه وأخذتيه، فإنما هو أخواك وأختاك. قال: قلت هذا أخواي فمن اختاي؟ فقال: ذو بطن ابنة خارجة فإني أظنها جارية فكان كذلك. (**وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته في يوم جمعة يا سارية الجبل**) الجبل (**إذ انكشف له**) أي وقع في روعه (**العدوّ قد أشرف إليهم**) وذلك في الجيش الذي أرسله مع أسامة إلى فارس فلاقي العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، (**فحذره لمعرفته**) ذلك ورفع به صوته فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز الناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم، (**ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة**)، وقد أخرج هذه القصة الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، وأخرجها سيف في الفتوح مطولة عن أبي عثمان، وأبي عمرو بن العلاء، عن رجل من بني مازن فذكرها، وهي عند البيهقي في الدلائل، واللالكائي في شرح السنة، والديرعاقولي في فوائده، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن أبي عجلان عن نافع عن ابن عمر قال: وجه عمر جيشاً وولى عليهم رجلاً يدعى «سارية» فبينا عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل ثلاثاً، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي يا سارية الجبل ثلاثاً فاسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله. قال: فقيل لعمرانك كنت تصيح هكذا. وكذا ذكره حرملة في جمعه بحديث ابن وهب بإسناد حسن.

ولابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر عن أبيه أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال: يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال لهم علي: ليخرجن مما قال. فلما فرغ سألوه فقال: وقع في ظني أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل وإن عدلو إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوه هلكوا فخرج مني ما

رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت: يدخل عليّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه. أما علمت ان زنا العينين النظر؟ لتتوبنّ أو لأعزرنك، فقلت أوحي بعد النبي؟ فقال لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة. وعن أبي سعيد الخراز قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال: ﴿والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ [البقرة: ٢٣٥] فاستغفرت الله في سري فناداني وقال: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [الشورى: ٢٥] ثم غاب عني ولم أره.

وقال زكريا بن داود: دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال لم يعرف له سبب يعيش به، قال: فلما قمت قلت في نفسي: من أين يأكل هذا الرجل؟ قال: فصاح بي يا أبا العباس ردّ هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى ألطافاً

تزعمون أنكم سمعتموه، وقال: فجاء البشير بعد شهر وذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم. قال: فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا. وقد أفرد لطرقه القطب الحلبي الحافظ جزءاً.

(**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً**) أي من مؤخر العين (**فتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت: يدخل علي أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه. أما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن**) إلى الله تعالى (**أو لأعزرنك. فقلت: أوحي بعد النبي؟ فقال: لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة**) وأما قوله: زنا العينين النظر فهو حديث مرفوع أخرجه ابن سعد في الطبقات والطبراني في الكبير عن علقمة بن الحويرث وروى الحافظ أبو الفتح اليعمري بسنده إلى زيد بن وهب قال: جاء وفد من البصرة فيهم رأس من الخوارج يقال له: جعدة ابن بعجة فخطب وحمد الله، ثم قال: يا علي اتق الله فإنك ميت، فقال علي: بل مقتول قتلاً تصاب هذه فخطب هذه عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افترى وكان كما ذكر.

(**وعن أبي سعيد**) أحمد بن محمد (**الخراز**) البغدادي صحب ذا النون المصري والبناجي والبسري وبشراً والسري توفي سنة ٢٧٧ (**قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس**) أي عولة عليهم (**فناداني**) إذ أشرف على خاطري (**وقال ﴿والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ فاستغفرت الله في سري**) أي في باطني، (**فناداني**) إذ أشرف على خاطري ثانيا (**وقال: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره**) فهذا الإشراف على الخاطر إنما هو مشاهدة اليقين. (**وقال زكريا بن داود: دخل أبو العباس**) أحمد (**بن مسروق**) الطوسي توفي ببغداد سنة ٢٩٥ صحب الحرث المحاسبي والسري (**على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل**) أي مريض يعوده، (**وكان ذا عيال ولم نعرف له سبباً**) أي ظاهراً لرزقه (**قال: فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل؟**

خفية. وقال أحمد النقيب: دخلت على الشبلي فقال مفتوناً: يا أحمد! فقلت: ما الخبر؟ قال: كنت جالساً فجرى بخاطري أنك بخيل، فقلت: ما أنا بخيل فعاد مني خاطري وقال: بل أنت بخيل، فقلت: ما فتح اليوم عليّ بشيء إلا دفعته إلى أوّل فقير يلقاني. قال: فما استتم الخاطر حتى دخل عليّ صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً فقال: اجعلها في مصالحك. قال: وقمت فاخذتها وخرجت وإذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير، وقال اعطها المزين. فقلت: إن جملتها كذا وكذا قال: أوليس قد قلنا لك إنك بخيل؟ قال: فناولتها المزين. فقال المزين: قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجراً. قال: فرميت بها في دجلة وقلت: ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل. وقال حمزة بن عبد الله العلوي: دخلت على أبي الخير

قال) فاشرفه الله على خاطري **(فصاح بي: يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية)** أي الخسيسة، **(فإن لله تعالى ألطافاً خفية، وقال أحمد النقيب: دخلت على)** أبي بكر **(الشبلي يوماً فقال مفتوناً: يا أحمد فقلت: ما الخبر؟ قال: كنت جالساً فجرى بخاطري أنك بخيل، فقلت: ما أنا ببخيل فقاومني خاطري)** أي عاودني ثانياً **(فقال: بل أنت بخيل، فقلت: ما فتح اليوم عليّ بشيء)** أي من الفتوح **(إلا دفعته إلى أول فقير يلقاني. قال: فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم)** أحد خدام الخليفة **(ومعه خمسون ديناراً فقال: اجعلها في مصالحك)** أي اصرفها في نفقتك **(قال: فأخذتها وخرجت فإذا بفقير مكفوف)** البصر **(بين يدي مزين)** أي حلاق **(يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين، فقلت: إن جملتها كذا وكذا)** ديناراً. **(قال: أو ليس قلنا لك بخيل؟ قال: فناولتها المزين)** كما أمر **(فقال)** المزين بعد أن أبي من أخذها: **(قد عقدنا لما جلس الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجراً قال: فرميت بها في دجلة.)** أي النهر المعروف، **(وقلت: ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل)** ففيها أن إشراف الشبلي صحيح، وقد أيده إشراف الولي المكفوف.

وفي الرسالة القشيرية سياق حكاية تشبه هذه. قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد قال: حدثنا محمد بن عطية قال: حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال: سمعت أبا بكر الصائغ قال: سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال كنت بمكة فطال شعري ولم يكن معي قطعة آخذ بها شعري، فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير وقلت: تأخذ شعري لله تعالى؟ فقال: نعم وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسني وحلق شعري ثم دفع إليّ قرطاساً فيه دراهم وقال: استعن بها على بعض حوائجك، فأخذتها واعقدت أن أدفع إليه أول شيء يفتح عليّ. قال: فدخلت المسجد فاستقبلني بعض إخواني وقال: جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار. قال: فأخذت

التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاماً ، فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال: يا فتى كُلْ فقد خرجت الساعة من اعتقادك ، وكان أبو الخير التيناني هذا مشهوراً بالكرامات وقال ابراهيم الرقي: قصدته مسلماً عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستوياً فقلت في نفسي ضاعت سفرتي ، فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدني سبع فعدت إلى أبي الخير وقلت: قصدني سبع فخرج وصاح به ، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الأسد فتطهرت فلما رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد .

الصرة وجئت بها إلى المزين وقلت: هذه ثلاثمائة دينار تصرفه في بعض أمورك. فقال لي: يا شيخ ألا تستحي تقول أحلق شعري لله تعالى ثم آخذ عليه شيئاً انصرف عافاك الله تعالى.

(**وقال**) القشيري في الرسالة أيضاً سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت (**حمزة بن عبد الله العلوي**) يقول: (**دخلت على أبي الخير التيناني**) يعرف بالأقطع مغربي الأصل سكن تينان بكسر المثناة الفوقية وسكون الياء التحتية كأنه جمع تين قرية من قرى الموصل ، (**و**) كنت (**اعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل**) عنده (**في داره طعاماً فلما خرجت من عنده**) ومشيت قدراً يسيراً (**إذا به**) خلفي (**قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال: يا فتى كل**) هذا (**فقد خرجت الساعة من اعتقادك**) فاشرفه الله على خاطره أولاً وعند خروجه عنه ثانياً. قال القشيري: (**وكان أبو الخير التيناني هذا مشهوراً بالكرامات**) والفراسة الحادة ، وكان كبير الشأن مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة. (**قال إبراهيم**) بن داود (**الرقي**) من كبار مشايخ الشام من أقران الجنيد ، وقد عمَّر إلى سنة ست وعشرين وثلاثمائة (**قصدته**) يعني أبا الخير التيناني (**مسلماً عليه ، فحضرت صلاة المغرب**) فصلّى إماماً (**فلم يكن يقرأ سورة الفاتحة مستوياً**) أي مستقيماً (**فقلت في نفسي ضاعت سفرتي ، فلما سلم**) وسلمت (**خرجت إلى الطهارة**) أي إلى موضعها كنى به عن إراقة الماء ، (**فقصدني سبع**) أراد أن يبطش بي (**فعدت إلى أبي الخير وقلت: قصدني الأسد ، فخرج**) أبو الخير (**وصاح به**) أي عليه (**وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الأسد فتطهرت ، فلما**) فرغت (**ورجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم الباطن**) أي القلب (**فخافنا الأسد**) نقله القشيري في الرسالة.

ونقل أيضاً أنه حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان: أما ترى هذا السبع؟ فقال: لا تخف. وأخذ شيبان أذنيه فعركهما فبصبص وحرك أذنيه فقال سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال: لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتي مكة ، ونقل هو وصاحب الحلية أنه كان إبراهيم بن أدهم في رفقة فعرض لهم السبع فقالوا: يا أبا إسحاق قد

وما حكي من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه. ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل، والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على حجده أمران:

أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة، فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه.

الثاني: اخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن؛ وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور

عرض لنا السبع، فجاء إبراهيم وقال: يا أسد إن كنت أمرت فينا فامض وإلا فارجع، فرجع الأسد ومضوا. ونقلاً عن حامد الأسود قال: كنت مع إبراهيم الخواص في البرية فبينا نحن عند شجرة وجاء السبع فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذني النوم، ونام الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه ثم مضى، فلما كان الليلة الثانية بتنا في مسجد في قرية فوقعت بقة على وجهه فضربته فأنَّ أنة، فصاح فقلت هذا عجب البارحة لم تجزع من الأسد والليلة تصيح من البقة. فقال: أما البارحة فتلك حالة كنت فيها مع الله تعالى، وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها مع نفسي.

(**وما حكي من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس و**) عن (**ضمائرهم يخرج عن الحصر**) لكثرته (**بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام**) عياناً (**والسؤال له، ومن سماع صوت الهاتف**) من الغيب، (**ومن فنون الكرامات**) التي أكرم الله تعالى أصفياءه بها (**خارج عن الحصر**) أيضاً لكثرته، (**والحكاية لا تنفع الجاحد**) أي المنكر (**ما لم يشاهد ذلك من نفسه**) فيكون ذلك برهاناً له، (**ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل**) في فروعه (**والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده**) أي إنكاره (**أمران**):

(**أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة**) في المنام (**فإنه ينكشف بها الغيب**) أي ما غاب عن الحس، (**وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس**) وخمودها (**وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكم من مستيقظ غائص**) في بحر خيال (**لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه**) حتى أنه يمر عليه الإنسان فيسلم عليه فلا يحس به.

(**والثاني: إخبار رسول الله ﷺ عن الغيب**) من أحوال الأنبياء وأخبارهم الجنة والنار (**و**) عن (**أمور**) تقع (**في المستقبل**) كأحوال البرزخ والحشر والنشر وأحوال أمته وما يؤول إليه أمرها (**كما اشتمل عليه القرآن**) والسنة، (**وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره إذ النبي**

وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق، وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً، فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان: باب إلى خارج وهو الحواس، وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام، والنفث في الروع والوحي، فإذا أقرّبهما جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوج إلى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة وذلك أيضاً من

عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق) بهدايتهم وإرشادهم، لما فيه مصلحتهم، **(فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق)** بل بإصلاح نفسه، **(وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً »)** .

قال القشيري في الرسالة: ظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فوجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده فإذا وجب كونه مقدورالله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات على من صدق ممن ظهرت عليه في أحواله فلم يكن صادقاً فظهور مثله عليه لا يجوز، والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هي الكرامة، ولا بد من أن تكون الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله اهـ.

(فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة بأن يقرّ بأن القلب له بابان: باب إلى خارج وهو الحواس، وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي) فالأخير خاص بالأنبياء والإلهام والنفث عام فيهم، وفي الأولياء، ومنه من جعلهما من أقسام الوحي، وقد تقدم الكلام عليه قريباً. **(فإذا أقر بهما)** أي بالأمرين المذكورين **(جميعاً)** من غير إنكار ولا نقص **(لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعليم ومباشرة الأسباب المألوفة)** في الدارسة، **(بل يجوز أن تكون المجاهدة)** في نفسه التي هي أعدى عدوه **(سبيلاً إليه)** كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت، وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوج إلى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة، فذلك أيضاً من أسرار عجائب القلب ولا يليق**

أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة، فلنقتصر على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين: ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال: ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرب به إلى الله عز وجل فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا: بلى. قلت: فيكفيكما ذلك. وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلّعون على أسرار القلب، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة. وقال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله، ثم أطرق إلى صدره وقال

ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف فيها).

قال القشيري في الرسالة: الرؤيا نوع من الكرامات وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً تقررت في قلوبهم حين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام من المعلومات بالحس والضرورة، فقويت تلك الحالة عند صاحبها، فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التي تصوّرها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية، ومثاله كالذي يكون في ضوء السراج عند اشتداد الظلمة، فإذا طلعت الشمس عليه غلب ضوء الشمس ضوء السراج فيتقاصر ضوء السراج بالإضافة إلى ضوء الشمس، فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السراج، ومثال المتيقظ كمن تعالى عليه النهار، وأن المتيقظ يتذكر ما كان متصوراً في حال نومه، ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان، ومرة من هواجس النفس، ومرة بخواطر الملك، ومرة تكون تعريفاً من الله تعالى بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداء، وفي الخبر «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً».

(فقد قال بعض المكاشفين: ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد، وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرب به إلى الله تعالى فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا: بلى. فقلت: فيكفيكما ذلك) هكذا نقله صاحب القوت، **(وهذا إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة)** وقال بعض العارفين: بل يطلعون على بعض أعمال القلب بقرائن خارجة فإن المؤمن إذ ذكر الله في قلبه فاحت منه رائحة طيبة إلى فمه فيشمّونها الملائكة فيدركون بها إذا ذكر الله تعالى، فيكتبون ذلك في صحيفة حسناته. **(وقال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال عن مسألة من)** ولفظ القوت: وحدثنا بعض العلماء قال: سألت بعض الأبدال عن علم **(مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم التفت إلى**

ما تقول رحمك الله؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال: لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال: لا أدري: فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال: لا أدري فنظرت إلى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك فإذا هو أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام « إن في أمتي محدثين وإن عمر منهم ».

وفي الأثر أنّ الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه: القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة الملكوت والملأ الأعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والإعراض عن شهوات الدنيا، ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فإنهم ينجلي لهم أمور صادقة. وقال بعض

يمينه فقال: ما تقول رحمك الله؛ ثم أطرق إلى صدره وقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته) قط وأعلاه، **(فسألته عن التفاته)** ولفظ القوت: فقلت رأيتك التفت عن شمالك ويمينك ثم أقبلت على صدرك فما ذلك؟ **(فقال: لم يكن عندي في المسألة)** التي سألتني عنها **(جواب)** ولفظ القوت: علم **(عتيد)** أي حاضر، **(فسألت صاحب الشمال)** فظننت أن عنده منها علماً. **(فقال: لا أدري، فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه. فقال: لا أدري، فنظرت إلى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك، فإذا هو أعلم منهما)** هكذا نقله صاحب القوت. **(وكان هذا هو معنى قوله ﷺ: « إن في أمتي محدّثين وإن عمر منهم »)** تقدم الكلام عليه قريباً. وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله نقلاً عن ولد الشيخ أبي الحسن الشاذلي قال: دخلت على والدي فسمعته يقول: والله لقد يسألونني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب، فإذا الجواب مسطر في الزاوية في الحصيرة أو الحائط.

(وفي الأثر) عن بعض التابعين **(أن الله تعالى يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته)** أي بيدي، **(وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه، وقال أبو سليمان)** عبد الرحمن بن عطية **(الداراني رحمه الله تعالى: القلب بمنزلة القبة المضروبة)** بالعمد والأطناب والأوتاد **(حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة من جهات الملكوت والملأ الأعلى، وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة)** للنفس **(والورع)** عن المحرمات **(والاعراض عن شهوات الدنيا)** وملاذها، **(ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد)** وهم الذي ولاهم على عساكر الإسلام الموجهين لقتال الأعداء، وكان لا يولي أميراً إلا من كانت له صحبة: **(احفظوا ما تسمعون من المطيعين)** لله تعالى، **(فإنهم تتجلى لهم أمور صادقة)** نقله صاحب القوت،

العلماء: يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيأ لله لهم من الحق، وقال آخر: لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره.

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها:

اعلم أن القلب كما ذكرناه في مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب. ومثاله أيضاً مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة، فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها، أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه، وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال، أما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الانسان، فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل

(وقال بعض العلماء: يد الله على أفواه الحكماء ولا ينقطعون إلا بما هيأ الله لهم من الحق) نقله صاحب القوت.

قلت: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من طريق عبد الله بن زيد قال: قال لقمان: « إلاّ أن يد الله » فذكره.

(وقال آخر) منهم: **(لو شئت لقلت إنّ الله تعالى يطلع الخاشعين)** لله تعالى **(على بعض سره)** نقله صاحب القوت.

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وغلبتها:

(اعلم أن القلب كما ذكرناه) عن أبي سليمان الداراني **(في مثال قبة مضروبة لها)** من حواليها أبواب مغلقة **(تنصب إليه الأحوال من كل باب)** على اختلافها في ورودها عليه، **(ومثاله أيضاً: مثال هدف)** محركة هو الغرض الذي يرمي عليه بالسهام **(تنصب إليه السهام من الجوانب)** والأطراف المحاذية له **(أو هو مثال مرآة)** كبيرة مصقولة **(منصوبة)** على موضع عال حيث ممر الناس وغيرهم **(يجتاز)** أي يمر **(عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة فلا تخلو عنها أو)** هو **(مثال حوض)** لها **(تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار)** أو مساق أو جداول **(مفتوحة إليه، وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال أما من الظاهر فبالحواس الخمس)** الظاهرة، **(وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان)** أي من أصل خلقته، **(فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً)** من مسموع أو مبصر أو مذوق أو ملموس أو مشموم **(حصل منه أثر في القلب)** ظاهر ينفعل له، **(وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل)** للأطعمة

وبسبب قوّة في المزاج حصل منها في القلب أثر ، وإن كف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء ، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر . والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب ، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر ، وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار . وعني به إدراكاته علوماً إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث أنها تخطر بعد ان كان القلب غافلاً عنها ، والخواطر هي المحركات للإرادات فإن النية والعزم والإرادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة ، وإلى ما يدعوا إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة . فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين ، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ، ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم أن كل حادث فلا بد له من محدث ، ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف

المقوية للشهوة (**وبسبب قوّة في المزاج**) وقوّته بسبب قربه من الاعتدال الحقيقي ، وذلك في سن الوقوف وسن الشباب (**حصل منها في القلب أثر وإن كف عن الإحساس في الخيالات الحاصلة في النفس تبقى**) مركوزة فيها ، (**وينتقل الخيال من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر . والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب ، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر ، وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به**) أي بما يحصل فيه مما ذكر (**إدراكاته علوماً . أما على سبيل التجدد وأما على سبيل التذكر ، فإنها تسمى خواطر من حيث أنها تخطر**) فيه (**بعد أن كان القلب غافلاً عنها والخواطر هي المحركات للإرادات ، فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة ، فمبدأ الافعال الخواطر ، ثم الخاطر يحرك الرغبة ، والرغبة تحرك العزم ، والنية تحرك الأعضاء ، والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر . أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير . أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان ، فافتقرا إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً**) وهو ما يلقى في الروع بطريق الفيض ، (**والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً**) من الوسوسة وهي الخطرة الردية ، (**ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر**) بأنواعها (**حادثة ، ثم ان كل حادث فلا بدَّ له من محدث**) ضرورة . (**ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب . هذا ما عرف من سنّة الله تعالى في ترتيب المسببات على**

الأسباب، هذا ما عرف من سنّة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة.

وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً، واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاً، فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة، والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابل الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ومن كل شيء

الأسباب، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار، وأظلم سقفه واسودّ بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة، كذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان، فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً والسبب الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً، واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقاً، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً، فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسام مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق) خلقه الله تعالى **(شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر)** لقوله تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] **(والوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة الملك، والتوفيق في مقابلة الخذلان)** فكل منهما زوج للآخر مقابل له منها ما هي أدوات الظاهر، ومنها ما هي اعراض الباطن، وهي حواس الجسم والقلب، فأدوات الجسم هي الصفات الظاهرة وأعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها سبحانه بحكمته وسوّاها على مشيته وقومها اتقاناً. بصنعته أوّلها النفس والروح وهما مكانان للالقاء والعدوّ والملك وهما شخصان يلقيان الفجور والتقوى، ومنها عرضان متمسكان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين من مشيئة حاكم وهما التوفيق والإغواء، ومنها نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والإيمان، فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه الفائتة وآلاته والقلب وسط هذه الأدوات كالملك، وهذه جنوده تؤدي إليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها وتقدح فيه فيجدها، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾)** وقوله تعالى

خلقنا زوجين﴾ [الذاريات : ٤٩] فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها ، فالقلب متجاذب بين الشيطان

﴿الذي خلقك فسوّاك فعـدلك﴾ [الإنفطار : ٧] وقوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين : ٤] (**فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة**) مسوّاة معدولة مقوّمة (**إلا الله تعالى، فإنه لا مقابل له**) كما أنه لا شريك له، (**بل هو الواحد الحق**) المطلق (**الخالق للأزواج كلها**).

وقد قسم صاحب القوت وفسر أسماءها بما يقرب من تقدير المصنف فقال: ما وقع في القلب من عمل الخير فهو إلهام، وما وقع من عمل الشر فهو وسواس، وما وقع في القلب من المخاوف فهو إيجاس، وما كان من تقدير الخير وأمله فهو نية، وما كان من تدبير المباحات والطمع فيها وترجيها فهو أمل وأمنية، وما كان من تذكر أمر الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكر وتفكر، وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة، وما كان من تحدث النفس بمعاشها فهو هم، وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم ويسمى جميع ذلك خواطر لأنه خطور همة نفس أو خطور عدوّ بحدس أو خطرة ملك بهمس، ثم ان ترتيب الخواطر المنشأة من خزائن الغيب القادحة في القلب على ستة معان وهي حدود الشيء المظهر. ثلاثة منها معفوّة، وثلاثة مطالب بها.
فأوّل ذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشيء يجده العبد بالحس كالبرق فإن صرفها بالذكر امتحت وإن تركها بالغفلة صارت خواطر وهو خطور العدوّ بالتزيين، وإن نفى الخاطر ذهب وإن دنا منه فصار وسوسة، وهذه محادثة النفس للعدوّ واصغاؤها إليه وإن نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله عز وجل خنس العدوّ وضعفت النفس. وهذه الثلاثة معفوّة رحمة من الله سبحانه غير مؤاخذ بها العبد وإن مرح العدوّ والنفس في محادثة العدوّ وطاولت النفس للعدوّ بالإصغاء والمحادثة قويت الوسوسة. فصارت نية، فإن أبدل العبد هذه النية بنية خير أو استغفر منها وتاب وإلا قويت فصارت عقداً، فإن حلّ هذا العقد بالتوبة وهو الإصرار والأقوى فصار عزماً وهو القصد، وهذه الثلاث من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤول عنها فإن تداركه الله تعالى بعد العزم وإلا تمكن العزم فصار طلباً وسعياً وظهور العمل على الجوارح من خزانة الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم في خزانة الملك والشهادة، فهذه المعاني توجد من أعمال البر والإثم.
فما كان منها من البرهمة ونية وعزما كان محسوباً للعبد في باب النيات مكتوباً له في ديوان الإرادات له به حسنات، وما كان منها من الشرنية وعقداً وعزماً، فعلى العبد فيه مؤاخذة من باب أعمال القلوب ونيات السوء وعقود المعاصي وليس مجانس للعدوّ ومؤاخ له إلا النفس جمع بينهما في الوسوسة. قال الله تعالى ﴿الوسواس الخناس﴾ [الناس: ٤] وقال تعالى ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق: ١٦] وكل شيء خلقه الله تعالى فله مثل وضد، فمثل النفس الشيطان وضدها الروح، وأعمال الجوارح من النوعين الطاعة والمعصية أعظم في الأجر والوزر معاً إلا ما لا يتأتى أن يعلمه بظاهر الجسم من شهادة التوحيد أو وجود شك وكفر واعتقاد بدعة والله اعلم.

والملك ، وقد قال ﷺ : « في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ، ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] الآية وقال الحسن إنما هما همان يجولان في القلب : هم من الله تعالى وهم من العدو ، فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوّه جاهد .

ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين

(فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك، وقد قال ﷺ : « في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدوّ ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ») قال صاحب القوت: هو من قول ابن مسعود وقد رويناه من طريق مسنداً . وقال العراقي: رواه الترمذي والنسائي في الكبير من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن حبان، وقال الترمذي بعد أن رواه عن هناد: حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. هو حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص، ولفظهم « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق » فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الأخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** ﴾ والرواية الصحيحة إيعاد في الموضعين وهو وإن كان مختصاً بالشر عرفاً إلا أنه استعمله في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده، واللمة بالفتح القرب والإصابة فعلة من الالمام، ونسبة لمة الملك إلى الله تعالى فيها تنويه بشأن الخير وإنارة بذكره.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(إنما هما همّان يجولان في القلب همّ من الله تعالى، وهمّ من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه، وما كان من عدوّه جاهده)** . نقله صاحب القوت والتمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس، وإنما يتشوّف إلى معرفتها وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوف إلى ذلك كتشوّف العطشان إلى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره وصلاحه وفساده، ويكون ذلك عبداً مراداً بالخطوة بصفو اليقين ومنح الموقنين وأكثر التشوّف إلى ذلك للمقربين ومن أخذ به في طريقهم، ومن أخذ في طريق الأبرار قد يتشوّف إلى ذلك بعض التشوّف لأن التشوّف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والإرادة والحظ من الله الكريم، ومن هو في مقام عامة المسلمين والمؤمنين لا يتطلع إلى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر.

(ولتجاذب القلب بين هذين التسلطين قال رسول الله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين

من أصابع الرحمن » فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير ، فإنك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك ، والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب ، كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلاً . والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما على الآخر ، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها ، فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه ، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص

من أصابع الرحمن ») رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم قريباً . (**فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالأنامل، ولكن روح الأصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير، فإنك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال باصابعك**) وجميع الألفاظ الموهومة في الأخبار يكفي في دفع ايهامها قرينة واحدة وهي معرفة الله ومعرفة أنه ليس بجسم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . (**والله تعالى إنما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب**) أي جرها إلى خير أو شر ، (**كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الأجسام مثلاً والقلب بأصل الفطرة صالح القبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً**) بطرفيه (**ليس يترجح أحدهما على الآخر ، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات**) أي الملازمة عليها (**والإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسليط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان**) أي مأواه (**ومعدنه**) أي محل إقامته (**لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه**) بأن تنصل عنها واسترذلها (**وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم**) .

اعلم أن المستولي على الإنسان أوّلاً شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب ، فإن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة ، وكذلك إن فطم نفسه عن الجحود والخيالات والمحسوسات وأنس بالإدراك أخذ شبهاً آخر من الملائكة فإن خاصية الحياة

وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة. ولذلك قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير». وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير. ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس. ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم، والتطارد بين جندي

الإدراك والفعل بإليهما يتطرق النقصان والكمال، ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان أقرب من الملائكة. **(ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة من الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذلك قال ﷺ «ما منكم من أحد إلا وله)** وفي رواية معه **(شيطان» . قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم)** بلفظ الماضي من الإسلام أو بلفظ المضارع من السلامة وقد روي بالوجهين **(فلا يأمر إلا بخير»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: هذا لفظ مسلم من حديث عائشة، ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث أسامة ابن شريك وليس فيه، فلا يأمر إلا بخير». وأما لفظ حديث ابن مسعود عند مسلم «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال «وإياي إلا أن الله عز وجل أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير» وكذلك رواه أحمد. ويروى ذلك أيضاً عن شريك بن طارق بلفظ «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» قالوا: ولك يا رسول الله؟ قال «ولي ولكن الله أعانني عليه فأسلم» رواه ابن حبان والبغوي والطبراني. وقال البغوي: ولا أعلم لشريك بن طارق غيره، ويروى أيضاً عن المغيرة بن شعبة بلفظ «ما من أحد إلا جعل معه قرين من الجن» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير» رواه الطبراني.

(وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير) لتضييق طرقه فلا يقدر على التسلط. **(ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً)** أي محل جولان **(فوسوس)** ودبر شغله، **(ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله)** ولم يقدر على إقامته، **(وأقبل الملك وألهم الخير)** وفي نسخة فألهم الملك وأقبل **(والتطارد بين جندي**

الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن، ويكون اجتياز الثاني اختلاساً. وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة. ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى. ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة: وقال جابر ابن عبيدة العدوي: شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلاَّ مضوا وتركوه. يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عبادي ليس لَكَ عليهم سلطانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد

الملائكة والشيطان في معركة القلب دائم) لا ينقطع بين غالب ومغلوب **(إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيتمكن)** فيه **(ويستوطن)** أي يتخذه محل إقامة. وفي بعض النسخ فيستوطن ويتمكن، **(ويكون اجتياز الثاني اختلاساً)** يختلسه، **(فأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها)** وفي نسخة ملكوها **(فامتلأت بالوساوس الداعية إلى ايثار)** الحياة **(العاجلة)** الفانية **(واطراح الآخرة)** الباقية **(ومبدأ استيلائها)** أي تلك الجنود **(اتباع الشهوات والهوى، ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب من قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة)** ومحل ظهورهم.

(قال جرير[1] بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد) بن مطر العدوي البصري أحد العباد كنيته أبو نصر ثقة روى له البخاري معلقاً، وأبو داود في المراسيل، والنسائي، وابن ماجه. مات سنة أربع وتسعين ومائة، **(ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمرّ به اللصوص، فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا جرير بن عبيدة العدوي، عن أبيه قال: قلت للعلاء بن زياد: إذا صليت وحدي لم أعقل صلاتي. قال: ابشر هذا علم الخير. أما رأيت أن اللصوص إذا مرّوا بالبيت الخرب لم يلووا عليه وإذا مروا بالبيت الذي فيه المتاع زاولوه حتى يصيبوا منه شيئاً وقد ظهر من هذا السياق أنه سقط على المصنف عن أبيه، وللعلاء بن زياد ترجمة حسنة في الحلية.

(يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان، ولذلك قال) الله **(تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾)** أي تسلط وتمليك لأنهم قد أخلوا قلوبهم عن الشهوات ومقتضياتها، **(فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى)** وذليله ومسخره **(لا عبد الله، ولذلك**

---

(١) ورد في الإحياء: «جابر» بدلاً من «جرير».

الله، ولذلك سلط الله عليه الشيطان. وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] هو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله، ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي ﷺ. يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال «ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت ذلك فاذهبه الله عني».

وفي الخبر «ان للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه»، ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به، لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل، ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق فيه فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان، وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال. ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرىء عن الحول والقوّة، وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون

سلط) الله **(عليه الشيطان)** ووكل به **(قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أي أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله، وقال عمرو بن العاصي)** كذا في النسخ، والصواب عثمان بن أبي العاصي، وهو أبو عبد الله الثقفي الطائفي أخو الحكم بن أبي العاص. ولهما صحبة قدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف، واستعمله النبي ﷺ على الكوفة، ثم أقره أبو بكر وعمر مات سنة إحدى وخمسين روى له الجماعة سوى البخاري وقد تقدم ذكره في كتاب الصلاة **(للنبي ﷺ يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال «ذلك شيطان يقال له خنزب»)** بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الزاي **(فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال: ففعلت ذلك فاذهبه الله عني)** قال العراقي: رواه مسلم من حديثه، **(وفي الخبر: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب وقال: غريب وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث.

(ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به، فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده) ليكون مخرجاً ومبطلاً أثره، **(وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبرىء من الحول والقوّة وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لا**

الغالب عليهم ذكر الله تعالى، وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة. قال الله تعالى: ﴿إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكَّروا فإذا هُمْ مبصرون﴾ ﴿الأعراف: ٢٠١] وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى: ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ [الناس: ٤] قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار، ولتضادهما قال الله تعالى: ﴿استحَوَذَ عليهم الشيطانُ فأنساهُم ذكرَ الله﴾ [المجادلة: ١٩] وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه ». وقال ابن

يقدر عليه إلا المتقون) الخاشعون **(الغالب عليهم ذكر الله تعالى)** في سائر أوقاتهم، **(وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات)** والغفلات **(على سبيل الخلسة)** والمخاتلة. **(قال الله تعالى ﴿إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾)** فاخبر أن جلاء القلب الذكر به يبصر القلب وإن باب الذكر التقوى به يذكر العبد، فالتقوى باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا. **(وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل)** عن ذكر الله تعالى **(انبسط على قلبه)** هكذا نقله صاحب القوت، ويروى عن ابن عباس قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله خنس. أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن مردويه. ويروى عنه أيضاً أنه قال: « ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس فإن ذكر الله تعالى خنس وإذا غفل عن ذكر الله وسوس فذلك قوله الوسواس الخناس ». أخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي والضياء في المختارة.

(فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النار والظلام) أحدهما ينسخ الثاني، **(وبين الليل والنهار)** فإذا جاء الليل ذهب النهار وبالعكس، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهاراً كله وآخر ضده **(ولتضادهما قال الله تعالى ﴿استحوذ عليهم الشيطان)** أي غلب عليهم واستمالهم إلى ما يريده من الشهوات **(فأنساهم ذكر الله)** أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ **(وقال أنس)** رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خرطومه)** وهو من الفيل أنفه وفي لفظ خطمه أي فمه أو أنفه والخطم من الدابة مقدم أنفها وفمها **(على قلب ابن آدم فإن هو)** وفي لفظ فإذا **(ذكر الله تعالى خنس)** أي انقبض وتأخر **(وإن نسي الله التقم قلبه »)** فذلك الوسواس الخناس فبعد الشيطان من الإنسان على قدر ملازمته للذكر والناس في

وضاح في حديث ذكره: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال: « بابي وجه من لا يفلح ».

وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال ﷺ: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ». وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات. ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخباراً عن إبليس ﴿ لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] قال ﷺ: « إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال:

ذلك متفاوتون. قال العراقي: رواه ابن ابي الدنيا في مكائد الشيطان، وأبو يعلى الموصلي، وابن عدي في الكامل وضعفه اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر، والبيهقي في الشعب، وفي سند أبي يعلى وابن عدي عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف، وفي الترغيب لابن شاهين أيضاً عن أنس مرفوعاً بلفظ « إن للوسواس خطماً كخطم الطائر فإذا غفل ابن آدم وضع ذلك المنقار في أذن القلب يوسوس فإذا ذكر الله خنس فذلك الوسواس الخناس ». وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب ذم الوسوسة عن معاوية في قوله (**الوسواس الخناس**) قال: مثل الشيطان كمثل عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس وإن سكت عاد إليه فهو الوسواس الخناس.

(**وقال ابن وضاح في حديث ذكره: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال: بأبي وجه من لا يفلح**) وفي نسخة: وجه لا يفلح قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه**) من أهل الفطرة الإنسانية (**فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال ﷺ: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »**) رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس، ورواه الشيخان وأبو داود أيضاً وابن ماجه من حديث صفية وقد تقدم في الصوم. (**وذلك لأن الجوع يكسر**) سورة (**الشهوات ومجرى الشيطان الشهوات**) فأمر بتضييقه بالجوع بكسر ما يتولد منه. (**ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى اخباراً عن إبليس ﴿ لاقعدن لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ وقال ﷺ « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الإسلام**) أولاً (**فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه**) أي خالفه ولم يسمع قوله (**وأسلم، ثم**) لما أيس منه من طريق الإسلام (**قعد له بطريق الهجرة فقال**) له: (**أتهاجر أتدع**

أتهاجر أتدع أرضك وسماءك ؛ فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك ، فعصاه وجاهد » . وقال رسول الله ﷺ : « فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة » فذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة : فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصوّر أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته ، ولذلك قال عليه [الصلاة] والسلام : « ما من أحد إلا وله شيطان » .

فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من لم ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم . وإن كان جسماً فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم ؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة . بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين

أرضك وسماءك) وتذهب في بلاد الغربة ؛ **(فعصاه)** وخالفه **(وهاجر)** فراراً لدينه ، **(ثم)** لما أيس منه من طريق الهجرة **(قعد له بطريق الجهاد . فقال)** له : **(اتجاهد وهو)** أي الجهاد **(تلف النفس والمال فتقاتل)** العدوّ **(فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك . فعصاه)** ولم يسمع كلامه **(وجاهد)** رغماً عليه . **(قال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة »)** قال العراقي : رواه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح ، **(فقد ذكر ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وينكح نساؤه)** ويقسم ماله **(وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد)** ويثبطه عنه . **(وهذه الخواطر معلومة . فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فإنه سببه الشيطان ولا يتصوّر أن ينفك عنه آدمي)** ما دام حياً ، **(وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته)** فتارة يتابعه وتارة يخالفه ، **(ولذلك قال ﷺ « ما من أحد إلا وله شيطان »)** كما تقدم قريباً .

(فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان) وكل منهما في مقابلة الآخر ، **(فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه)** هل **(هو جسم لطيف أو ليس بجسم ، وإن كان جسماً فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم ؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها)** عنه **(ودفع ضررها ، فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل)** بصاحبه **(فمصادمة الخواطر**

الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة عن الشر قد علمت، ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة، وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدوّ قد عرف العدوّ لا محالة، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوتَه في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّ إنما يدْعُو حزبه ليكونُوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر: ٦] وقال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألاَّ تعبدُوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين﴾ [يس: ٦٠] فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدوّ عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه. نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين. فاما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته ـ نعوذ بالله منه ـ وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته. نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفي كونه وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً، وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان؟ فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير، والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به

الباعثة على الشر قد علمت، ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة. وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدوّ) قوي مخاتل، (**فقد عرفه العبد فينبغي أن يشتغل بمجاهدته**) بتضييق الطرف عليه وسد مجاريه، (**وقد عرف الله سبحانه وتعالى**) عباده (**عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به**) أي يصدق بوجوده (**ويحترز عنه فقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه**) الآية. (**وقال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين﴾**) وقال تعالى مخبراً عنه: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ الآية. وقال تعالى مخبراً عنه كذلك ﴿ولاضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم﴾ الآية. [النساء: ١١٩]. (**فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه**) بل بمخالفته وعصيانه، (**نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه لدفعه**) فإن معرفة ذلك أكيدة، (**وسلاح الشيطان الهوى والشهوات**) وما ينشأ عنهما (**وذلك كاف للعالمين فأما معرفة صفة ذاته وحقيقته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين**) من أهل اليقين (**المتغلغلين في علوم المكاشفات**) الغائصين في بحارها (**فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته. نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو**) من (**لمة الشيطان فإن من**) جملة (**مكائد الشيطان**) ومصائده وفخوخه (**أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك صعب**) إلا على

يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصوّر الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ: أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار؟ أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق، ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك؛ فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان، وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إنّ الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم»

العارفين بمكائده من المتقين من أهل اليقين، **(وأكثر العباد به يهلكون)** لعدم تمييزهم بينهما وهو مقام عامة المسلمين والمؤمنين، **(فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر)** ويلقيه **(بصورة الخير)** فيشبه عليهم بذلك، **(كما يقال للعالم)** الماهر **(بطريق الوعظ)** للعامة: **(أما تنظر للخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار)** وكادوا أن يتساقطوا فيها **(أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم)** أي تخلصهم **(من العطب)** أي الهلاك **(بنصحك ووعظك، وقد أنعم الله عليك بقلب بصير)** للمعاني **(ولسان ذلق)** أي فصيح، **(ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه)** وغضبه **(وتسكت عن إشاعة العلم)** وإفادته، **(ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ ولا يزال يقرر ذلك)** وأمثاله **(ويستجره بلطيف الحيل)** ويستميله إلى ما يلقيه في خياله **(إلى أن يشتغل بوعظ الناس مدة، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير، ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولا يهتدوا إلى الحق)**، وإنما تجلب خواطرهم بتأثير كلامك فيهم إذا تزينت لهم بحسن الزي وأظهرت الفصاحة والبلاغة **(ولا يزال يقرر ذلك عنده)** ويحسنه له **(وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع)** والحشم والخدم، **(و)** بكثرة **(العلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم)** على العامة، **(وهو يظن أن قصده الخير، وإنما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن)** في نفسه **(أنه عند الله بمكان)** عظيم، **(وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا**

و« إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ولذلك روي أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم ﷺ فقال له: قل لا إله إلا الله. فقال: كلمة حق ولا أقولها بقولك لإن له أيضاً تحت الخير تلبيسات، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة.

وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع، ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسميه (تلبيس إبليس) فإنه قد انتشر الآن تلبيسة في البلاد والعباد لاسيا في المذاهب والاعتقادات. حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها. كل ذلك إذعـاناً لتلبيسات الشيطان ومكائده.

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه مـن لمة الملـك أو لمة الشيطـان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة

خلاق لهم ») رواه النسائي من حديث أنس بإسناد جيد، (**و**) قال (**« إن الله**) ل(**يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »**) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في كتاب العلم، (**ولذلك روي أن إبليس جاء لعيسى عليه السلام فقال له: قل لا إله إلا الله. فقال**) عيسى: (**كلمة حق ولا أقولها بقولك، لأن له أيضاً تحت الخير تلبيسات**) ومخادعات. (**وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها تهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق مما يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة**) الظاهرة للناس، فقد استمالهم بتلك الخدع واستولى على قلوبهم فعميت بها أبصارهم.

(**وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور من هذا الربع**) إن شاء الله تعالى، (**ولعلنا إن أمهل الزمان**) وامتد الأجل (**صنفنا كتـابـاً على الخصـوص نسميـه تلـبيس إبليـس**) وقد قلده جماعة ممن أتى بعده فألف كتاباً سماه كذلك منهم ابن الجوزي، (**فإنه قد اشتهر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لاسيا في المذاهب والاعتقادات**) فركبوا كل صعب وذلـول وتعصبوا ونبذوا الحق وراء ظهورهم وخدعهم إبليس بما تلقفوه وجمدوا عليه، (**حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها**) وهذا إذ ذاك وأما الآن فلم يبق منها الا إسمها (**كل ذلك إذعانـاً**) أي انقياداً (**لتلبيسات الشيطان**) وتأويلاته (**ومكائده**) ومصايده وفخوخه فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان، (**وإن يمعن النظر فيه بنور البصيرة**) المؤيدة باليقين (**لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى**) إذ هو مفتاح الكشوفات (**والبصيرة**) النافذة (**وغزارة العلم**) أي وفرته، وهو العلم بالله وهو مكان التوحيد وتمكن

وغزارة العلم كما قال تعالى: ﴿إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا﴾ [الأعراف: ٢٠١] أي رجعوا إلى نور العلم ﴿فإذا هُمْ مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١] أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر. وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧] قيل هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات. وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد، وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه. ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سدّ أبواب الخواطر. وأبوابها الحواس الخمس، وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا. والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع

الموحد فيه على قدر المكان، (**كما قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ أي رجعوا إلى نور العلم ﴿فإذاهم مبصرون﴾ أي ينكشف لهم الأشكال**). وينجلي لهم الإبهام، (**فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الاذعان**) والإنقياد لتلبيسه (**بمتابعة الهوى**) والميل النفسي (**فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر، وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قيل: هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات**) وذلك حين تعرض صحائفهم وهو زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله تعالى: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم في الوعد (**وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان، وذلك فرض عين على كل عبد**) وإليه ذهب عبد الرحيم بن يحي الأرموي، ومن تبعه من الشاميين إذ قالوا في شرح حديث طلب العلم فريضة قالوا: إنما عني به طلب معرفة علم الإخلاص، ومعرفة آفات النفوس ووساوسها ومعرفة مكائد العدوّ وخدعه ومكره وغدره وما يصلح الأعمال وما يفسدها فريضة كله من حيث كان الإخلاص فريضة، ومن حيث اعلم بعداوة إبليس ثم أمر بمعاداته كما تقدم ذلك في أول كتاب العلم مفصلاً، (**وقد أهمله الخلق**) بمرة (**واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته**) التي اعلموا بها، (**و**) تنسيهم (**طريق الاحتراز عنه**) وقد أمروا به (**ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر**) النفسية والشيطانية (**وأبوابها**) من خارج هي (**الحواس الخمس**)، فإنها التي يرد على القلب ما يرد من الخواطر الرديئة (**وأبوابها من داخل**) هي (**الشهوات وعلائق الدنيا**) لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الشهوات وعلائق الدنيا هي محال الشهوات، (**والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس**) الخمس من ظاهر فلا يقع تفرقه على القلب، (**والتجرد عن الأهل والمال**) والحشم والاتباع والجاه

ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى، ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بدّ من مجاهدته، وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حياً. نعم يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه، فإنه ما دام حياً فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشر. وغيرها - كما سيأتي شرحها - ومهما كان الباب مفتوحاً والعدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة.

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام لاسترحنا. فإذاً لا خلاص للمؤمن منه. نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوّته. قال ﷺ: « إن المؤمن

(**يقلل مداخل الوسواس من الباطن**) إذ ما ذكر هو الذي كان سبباً لدخول الوسوسة في القلب فإذا انسلخ عنه حفظ في حاله، (**وتبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب**) لا يقوي الإنسان على دفعها عنه لانفعاله بها، (**وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى**) مع المراقبة عليه، (**ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه**) بواسطة النفس لما بينهما من المناغاة والمحادثة والتأليف فتتسلط عليه النفس فتنطلق في شيء بهواها من القول والفعل فيتأثر القلب لذلك، (**و**) حينئذ (**يلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته**) بأن يعود من مواطن مطالبات النفس ويقبل على ذكر الله ومحل مناجاته فيستنير القلب ويقبل على النفس معاتباً لها على متابعتها لهواها فتذل لذلك، (**وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حياً**) فهو كالغريم الملازم الذي لا ينفك. (**نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه**) وقد روى أحمد وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد: إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب وعزتي وجلالي أغفر لهم ما استغفروني، (**فإنه ما دام حياً فأبواب الشر مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق، وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها**) في محالها، (**ومهما كان الباب مفتوحاً والعدوّ غير غافل**) بل يخشى منه الهجوم من هذا الباب (**لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة**).

(**قال رجل للحسن**) البصري: (**يا أبا سعيد أينام الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام استرحنا**) أشار إلى أنه هجام على قلب المؤمن غير غافل من مكايدته، (**فإذاً لا خلاص للمؤمن منه**) بوجه من الوجوه. (**نعم له سبيل إلى دفعه**) ومقاومته وكسر سورته (**وتضعيف قوته. قال ﷺ: « إن المؤمن**) الكامل (**ينضي**) وفي لفظ لينضي أي يهزل ويضعف (**شيطانه**) لكثرة

ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره » وقال ابن مسعود : شيطان المؤمن مهزول . وقال قيس بن الحجاج : قال لي شيطاني ، دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : تذيبني بذكر الله تعالى . فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سدّ أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة ، أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة ، وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة فإنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ ، والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة ، وباب الملائكة باب واحد ، وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة . والعين

إذلاله وجعله أسيراً تحت قهره وتصرفه ومن أعز سلطان الله أعزه الله وسلطه على عدوّه وحكم عكسه عكس حكمه (**كما ينضي أحدكم بعيره في سفره »**) لأن البعير يتجشم في سفره أثقال حمولته فيصير نضواً لذلك . رواه أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة قاله العراقي .

قلت ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول .

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه : (**شيطان المؤمن مهزول**) وذلك لأنه يتجشم أثقال غيظه منه لما يراه من الطاعة والوفاء لله فيقف منه هزيلاً ضعيفاً ذليلاً بمزجر الكلب عنه . (**وقال قيس بن الحجاج**) الكلاعي المصري صدوق مات سنة تسع وعشرين ومائتين ، روى له الترمذي وابن ماجه . (**قال لي شيطاني : دخلت فيك وأنا مثل الجزور**) وهي الناقة السمينة (**وأنا الآن مثل العصفور**) أي في غاية من النحافة والهزل . (**قلت : لم**) ذلك ؟ (**قال : تذيبني بذكر الله تعالى . فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة . أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية**) أي الظاهرة (**التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة**) أي توصل إليها لأن بالتقوى وجود خالص الذكر وبه ينفتح بابه ولا يزال العبد يتقي حتى يحمي الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول ، وما لا يعنيه فتصير أقواله وأفعاله ضرورة ، ثم ينتقل تقواه إلى باطنه ويظهر الباطن ويقيده عن المكاره ، ثم عن الفضول ثم عن حديث النفس . (**وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة**) الخفية (**لأنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ**) فيما سيأتي إن شاء الله تعالى ، (**والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد**) من هذه الأبواب ، (**وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة**) فلا يكاد يهتدي له (**والعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق**) كثيرة المفارق (**غامضة المسالك في ليلة مظلمة ، فلا يكاد يعلم الطريق**) ولا يهتدي إلى مفرق يكون سلوكه (**إلا بعين بصيرة**) تدرك التمييز بين تلك الطرق ، (**أو طلوع شمس مشرقة**)

البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى، والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ مما يهدي إلى غوامض طرقه، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً وقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا: ﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] لتلك الخطوط فبين ﷺ كثرة طرقه. وقد ذكرنا مثالاً للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة، فلنذكر مثالاً لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه. وذلك كما روي

تنسخ تلك الظلمات. (**والعين البصيرة ههنا القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير**) أي الكثير (**المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله**) ﷺ (**فيهما يهتدي إلى غوامض طرقه، وإلاّ فطرقه كثيرة غامضة**) والمراد بالعلم هنا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً وقال: «هذا سبيل الله**) مستقيماً (**ثم خط خطوطاً عن يمين**) ذلك (**الخط و**) عن (**شماله قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قال: «﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل**) فتفرق بكم عن سبيله﴾ أي (**لتلك الخطوط»**) التي عن يمينه وشماله (**فبين ﷺ كثرة طرقه**) قال العراقي: رواه النسائي في الكبير والحاكم، وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه عبد الرحمن وأحمد والبزار وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه وسياقهم جميعاً كسياق المصنف.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن مسعود أن رجلاً سأله ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه الجنة وعن يمينه جواد وعن شماله جواد، وثم رجال يدعون من مرّبهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود ﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ الآية.

وأخرج أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط هكذا أمامه فقال: «هذا سبيل الله وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذا سبيل الشيطان ثم وضع يده في الخط الأوسط وتلا ﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ الآية.

(**وقد ذكرنا مثالاً للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة**) فضلاً عن غيرهم، (**فلنذكر مثالاً لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه، وذلك كما روي عن النبي ﷺ أنه**)

عن النبي ﷺ انه قال: « كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه، فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألوك فقل ماتت، فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال: ماتت، فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال: بماذا؟ قال: اسجد لي سجدتين، فسجد له سجدتين فقال له الشيطان: إني بريء منك. فهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما

قال: « كان راهب في بني إسرائيل ») أي عابد في صومعته (**فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها**) أي لبسها وصرعها وكانت جميلة (**وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب**) أي هو يرقي عليها فيتطبب لها (**فأتوا بها إليه**) وعرضوا حالها عليه، (**فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان**) من باب الشهوة (**فزين له مقاربتها**) أي ألقى في قلبه أن يجامعها (**فلم يزل به**) يخالجه ويستميله (**حتى واقعها فحملت منه، فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح ويأتيك أهلها**) فيرون بها الحمل فيفضحونك وتسقط من مقامك عندهم، (**فاقتلها فإن سألوك فقل ماتت**) ولم يزل يسول له حتى أطاعه (**فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها. فقال: ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان، فقال: أنا الذي أخذتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين، فهو الذي قال الله تعالى فيه ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسلاً وللحاكم نحوه موقوفاً على علي بن أبي طالب وقال: صحيح الإسناد ووصله قطين في مسنده من حديث علي اهـ.

قلت: ومرسل عبيد بن رفاعة وهو الزرقي أخرجه أيضاً البيهقي في الشعب وقالوا فيه يبلغ به النبي ﷺ.

وأخرج ابن المنذر والخرائطي في اعتلال القلوب من طريق عدي بن ثابت عن ابن عباس من قوله نحوه قال: كان راهب في بني إسرائيل متعبداً زماناً حتى كان يؤتى بالمجانين فيقرأ عليهم ويعوذهم حتى يبرؤا فأتى بامرأة في شرف قد عرض لها الجنون، فجاء بها أخواتها إليه ليعوذها وساق القصة. وفيها فاسجد لي سجدة واحدة فسجد له وكفر فقتل على ذلك الحال.

كفر قال إني بريء منك﴾ [الحشر : ١٦] . فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين ، وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصاً : فنعوذ بالله من

وأما موقوف علي عند الحاكم ، فقد أخرجه أيضاً عبد بن حميد وابن راهويه ، وأحمد في الزهد ، وعبد الرزاق والبخاري في التاريخ ، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ إن رجلاً كان يتعبد في صومعة وإن امرأة كانت لها أخوة فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها إلى آخر القصة . وفي آخرها : فاسجد لي سجدة أنجيك فسجد له .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته وكان يؤتى من كل أرض فيسأل عن الفقه وكان عالماً وأن ثلاثة أخوة لهم أخت حسناء من أحسن الناس وأنهم أرادوا أن يسافروا وكبر عليهم أن يدعوها ضائعة ، فعمدوا إلى الراهب فقالوا : إنا نريد السفر وإنا لا نجد أحداً أوثق في أنفسنا ولا آمن عندنا منك . فإن رأيت جعلنا أختنا عندك فإنها شديدة الوجع ، فإن ماتت فلم عليها وإن عاشت فاصلح إليها حتى نرجع ، فقال : أكفيكم إن شاء الله تعالى ، فقام عليها فداواها حتى عاد إليها حسنها وإنه اطلع عليها فوجدها منصعة ولم يزل به الشيطان حتى وقع عليها فحملت ، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها وقال : إن لم تفعل افتضحت فلم تكن لك معذرة فلم يزل به حتى قتلها ، فلما قدم أخوتها سألوه ما فعلت قال : ماتت فدفنتها . قالوا : أحسنت فجعلوا يرون في المنام ويخبرون أن الراهب قتلها ، وأنها تحت شجرة كذا وكذا ، وأنهم عمدوا إلى الشجرة فوجدوها قد قتلت فعمدوا إليه فأخذوه. وقال الشيطان : أنا الذي زينت لك الزنا وزينت لك قتلها . فهل لك أن أنجيك وتطيعني ؟ قال : نعم قال : فاسجد لي سجدة واحدة فسجد له ، ثم قتل .

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود في هذه الآية قال : كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة اخوة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب فنزل الراهب ففجر بها فاتاه الشيطان فقال اقتلها فقتلها ثم ساق القصة . وفيها : فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فاتوه فانزلوه. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طاوس نحوه.

(فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر) من الزنا والقتل والسجود لغير الله تعالى ، **(وكل ذلك في طاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هيّن، وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى، فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصاً)** عنه ،

---

(١) لم يستوف الشارح في هذه الصحيفة والتي بعدها المتن بتمامه اهـ مصححه .

تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ».

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب:

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه، فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلاَّ به فهو أيضاً واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة. ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة، ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

فمن أبوابه العظيمة: الغضب والشهوة؛ فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند

(فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور) ومن ضيع الأصول حرم الوصول، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه »)** متفق عليه من حديث النعمان بن بشير « من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه » لفظ البخاري.

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب:

(اعلم أن مثال القلب مثال حصن) منيع وله أبواب **(والشيطان)** كأنه **(عدوّ يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه)** أي الثقب والكسر، **(ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه، فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب)** وأمره أكيد، **(وهو فرض عين على كل مكلف)** كما ذهب إليه عبد الرحيم بن يحيى الأرموي ومن تبعه وقد تقدم قريباً، **(وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه)** التي يدخل بها على القلب **(صفات العبد)** فإنها بمنزلة الأبواب والمداخل بالنسبة إليه، **(وهي كثيرة. ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان)** وأصل الدرب المضيق بين الجبلين.

(فمن أبوابه العظيمة: الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل) أي يتغول به

العقل هجم جند الشيطان. ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكلياً وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ قال موسى: نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه: أدّ الأمانة، فقال موسى: يا رب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه، فأوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى قد قضيت حاجتك مُرْهُ أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه، فلقي موسى إبليس فقال له: قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك، فغضب واستكبر وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال: يا موسى إن لك عليَّ حقاً بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن: اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم، واذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت في أنفه فما يدري ما يصنع، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي، وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وافتنها بك. فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا، وامتناعه من السجود لآدم ميتاً هو

العقل، (**وإذا ضعف جند القلب هجم جند الشيطان**) وجند العقل هو العلم بالله، وجند الشيطان الجهل والطمع وحب الدنيا. (**ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة**) يدحرجه كيف يشاء كما يفعل الصبي بالكرة، (**كما روي**) في الإسرائيليات (**إن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكلياً، وأنا خلق من خلق الله أذنبت**) وعصيت، (**وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ**) أي يقبل توبتي. (**فقال**) له (**موسى: نعم فدعا موسى ربه عز وجل فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى: قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقي موسى إبليس فقال: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك، فغضب**) إبليس (**واستكبر وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال: يا موسى إن لك علي حقاً لما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن: اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف**) أي صف الكفار، (**فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي**) ظهره، (**وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم، فأنا رسولها إليك ورسولك إليها فقد أشار**) إبليس (**بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص، فإن الفرار من الزحف حرص**

الحسد وهو أعظم مداخله، وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم؟ فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى، وقد حكي أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك؟ قال، الحدة فإن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة. وقيل: إن الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه؟

ومن أبوابه العظيمة: الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصاً على كل شيء أعماه حرصه وأصمّه إذ قال ﷺ: «حبك للشيء يعمي ويصم» ونور البصيرة هو الذي

على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتاً هو الحسد وهو أعظم مداخله) كما سيأتي في عدم سجوده لآدم ميتاً أيضاً أنفة وعجب وكبر، وكل هؤلاء من مداخله في بني آدم كما سيأتي ذلك كله. **(وقد ذكر)** في بعض الكتب **(أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم؟ فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى)** أي ميل النفس إلى أمر دنيوي، **(فقد حكي أن إبليس ظهر لراهب)** من رهبان بني إسرائيل **(فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك)** أي أكثر عوناً لك في ملكه والدخول عليه؟ **(قال: الحدة)** وهي التسرع في الغضب، **(فإن العبد إذا كان حديداً)** في غضبه **(قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة، وقيل: إن الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه)**؟ وابن آدم لا يخلو من تينك الحالتين وهو فيهما ملازم له يعده ويمنيه ويراه من حيث لا يراه، فكيف يغلبه؟

(ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص، فمهما كان الحرص على كل شيء أعماه حرصه وأصمه. إذ قال ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم») رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف قاله العراقي.

قلت: وكذلك رواه العسكري في الأمثال كلاهما من طريق بقية بن الوليد، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعاً. ولم ينفرد بقية فقد تبعه أبو حيدة شريح بن يزيد ومحمد بن حرب كما عند العسكري، ويحيى البابلي كما عند القضاعي في مسنده، وعصام بن خالد ومحمد بن مصعب كما عند أحمد في مسنده، وابن أبي مريم ضعيف لا سيما وقد رواه أحمد عن أبي اليمان عن ابن أبي مريم فوقفه، والأول أكثر. وقد بالغ الصغاني فحكم عليه بالوضع وتعقبه العراقي بأن ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بالكذب، وإنما هو ضعيف ويكفي سكوت أبي داود وعليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف بل هو حسن.

والمعنى أن من الحب ما يعمي عن طريق الرشد، ويصم عن استماع الحق، وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له داع من عقل أو دين أصمه حبه عن العدل وأعماه عن الرشد قاله العسكري، وقيل: معناه يعمي ويصم عن الآخرة، وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه.

يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر ، فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكراً وفاحشاً ، فقد روي أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخاً لم يعرفه فقال له نوح : ما أدخلك ؟ فقال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال له نوح : اخرج منها يا عدوّ الله فإنك لعين ، فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس سأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين ، فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين ، فقال له نوح : ما الاثنتان ؟فقال : هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما .أهلك الناس ، الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص .

ومن أبوابه العظيمة : الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً ؛ فإن الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان . فقد روي أن إبليس ظهر ليحي بن زكريا عليهما

(ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة) أي اختلاساً حذراً من فواته ، **(فيحسن)** أي يزين **(عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكراً أو فاحشاً)** لكنه موافق لما تشتهيه نفسه ، **(فقد روي أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى ، فرأى في السفينة شيخاً لم يعرفه ، فقال : ما أدخلك؟ فقال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك . فقال له نوح)** عليه السلام وقد عرفه : **(أخرج منها يا عدو الله فإنك لعين)** أي مبعد عن رحمة الله ، **(فقال له إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين ، فأوحى الله تعالى إلى نوح لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين . فقال : ما الاثنتان؟ فقال : هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس جميعاً . الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً)** يشير إلى ما صنعه من أبائه للسجود لآدم حسداً منه عليه ، **(وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فاصبت حاجتي منه بالحرص)** يشير إلى ما وقع منه من القربان إلى الشجرة المنهي عن أكلها ، وإنما ذلك حرصاً على طول بقائه بتمنية الشيطان واغرائه له .

(ومن أبوابه العظيمة : الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً) لا شبهة فيه ، **(فإن الشبع يقوّي الشهوات والشهوات مسلحة الشيطان)** جمع سلاح ، **(فقد روي أن أبليس ظهر ليحي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء)** جمع معلاق ما يعلق به اللحم

السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له: يا ابليس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال: فهل لي فيها من شيء قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا. قال لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبداً. فقال له إبليس: ولله علي أن لا انصح مسلماً أبداً. ويقال في كثرة الأكل ست خصال مذمومة؛ أولها: أن يذهب خوف الله من قلبه. الثاني: أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن انهم كلهم شباع. والثالث: أنه يثقل عن الطاعة. والرابع: أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة. والخامس: أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس. والسادس: أنه يهيج فيه الأمراض.

ومن أبوابه: حب التزين من الأثاث والثياب والدار، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرخ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره، وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤدبه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه.

وغيره، وما يعلق بالزاملة أيضاً نحو القمقمة والمطهرة والقربة. (**فقال له: يا إبليس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب بها ابن آدم. قال: فهل فيها من شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر. قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا. قال لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً فقال له إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً**).

(**ومن أبوابه**) التي يدخل منها (**حب التزين من الأثاث**) أي أمتعة الدار (**والثياب**) وهي ما يلبسها (**والدار**) التي يسكنها (**فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرخ**) وهو كناية عن استدامة اللبث والإقامة فيه، (**فلا يزال يدعوه**) أولاً (**إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها**) وكثرة مرافقها (**ويدعوه**) ثانياً (**إلى التزين بالثياب**) الفاخرة (**والدواب**) الفارهة (**ويستسخره فيها طول عمره، وإذا أوثقه فيها فقد استغنى أن يعود إليه**) مرة (**ثانية فإن بعض ذلك يجر إلى البعض**) ويمدّه (**فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء**) مثله (**إلى أن يساق إليه أجله**) المحتوم (**فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى**) النفسي (**ويخشى**) عليه (**من ذلك سوء العاقبة بالكفر. نعوذ بالله منه**) وهذا مشاهد الآن في أكثر الناس.

ومن أبوابه العظيمة: الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك. وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أعلمك به فقال: لا حاجة لي به. قال: انظر فإن كان خيراً أخذت وإن كان شراً رددت، يا ابن حنظلة لا تسأل أحداً غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون إذا غضبت، فإني أملكك إذا غضبت.

ومن أبوابه العظيمة: العجلة وترك التثبت في الأمور، وقال ﷺ: «العجلة من

(ومن أبوابه العظيمة الطمع) في الناس، **(فإذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن إليه)** أي يزين في عينه **(التصنع والتزين)** أي إظهار الصنع والزينة **(لمن طمع فيه)** أي في ماله أو جاهه **(بأنوع)** من **(الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده، فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه، ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك)** صعب ذلك المدخل أو هان، **(وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روى صفوان بن سلمة)** كذا في النسخ، والصواب ابن سليم كما في نسخة صحيحة، وهو أبو عبد الله المدني الفقيه وهو من موالي بني زهرة. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث عابد، وقال أحمد: هذا رجل يستسقي بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره، وقال مالك: كانت ترم رجلاه من قيام الليل وتظهر فيه عروق خضر. قيل: إنه حلف أن لا يضع جنبه على الأرض فمكث على ذلك أربعين عاماً ومات وإنه لجالس سنة ١٣٣ روى له الجماعة. **(أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة)** بن أبي عامر الراهب الأنصاري، له رواية، وأبوه حنظلة غسيل الملائكة قتل يوم أحد واستشهد عبد الله يوم الحرة في ذي الحجة سنة ١٧٣. وكان أمير الانصار بها روى له أبو داود. **(فقال: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أعلمكه. فقال: لا حاجة لي به. قال: انظر فإن كان خيراً أخذت، وإن كان شراً رددت. يا ابن حنظلة: لا تسأل أحداً غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون إذا غضبت)** يعني كف نفسك عن إنزال حاجتها لغير الله تعالى واحفظها عند الغضب.

(ومن أبوابه العظيمة: العجلة) أي الإسراع، **(وترك التثبت في الأمور. قال ﷺ «العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد بلفظ «الاناة» وقال حسن اهـ.

الشيطان والتأني من الله تعالى » وقال عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء : ٣٧] وقال تعالى : ﴿ وكان الإنسانُ عجولاً ﴾ [الاسراء : ١١] وقال لنبيه ﷺ : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضي إليك وحيُهُ ﴾ [طه : ١١٤] وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة ، والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل ، والعجلة تمنع من ذلك ، وعند الاستعجال يروّج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري . فقد روي أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها ، فقال : هذا حادث قد حدث ، مكانكم ! فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئاً ، ثم وجد عيسى عليه

قلت : لفظ الترمذي « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » وهكذا رواه العسكري في الأمثال كلاهما من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل الساعدي عن أبيه عن جده مرفوعاً به . وقال الترمذي حسن غريب وقد تكلم بعضهم في عبد المهيمن وضعفه من قبل حفظه .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلى عنه وابن منيع والحرث بن أبي أسامة كلهم في مسانيدهم من طريق سنان بن سعد عن أنس مرفوعاً بلفظ « التأني من الله والعجلة من الشيطان » . وأخرجه البيهقي في السنن كذلك فسمى الراوي عن أنس سعد بن سنان وهو ضعيف ، وقيل : لم يسمع من أنس .

وروى العسكري من طريق سهل بن أسلم عن الحسن رفعه مرسلاً « التبين من الله والعجلة من الشيطان فبينوا » قال . والتبين عند أهل اللغة مثل التثبت في الأمور والتأني وقد تقدم في كتاب العلم عند قصة حاتم الأصم ما استثنى من العجلة واستحب فيه الإسراع .

(وقال) الله **(تعالى ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ وقال تعالى ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ وقال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه ﴾)** وذلك حين كان ﷺ يتلقف القرآن من جبريل عليه السلام فيتسارع إلى أخذه خوفاً من نسيان شيء منه ، فأمر بعدم العجلة فيه وضمن له بأن يحفظه ويجمعه في صدره ، **(وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل ، والعجلة تمنع من ذلك)** . فقد روى البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس رفعه « إذا تأنيت اصبت أو كدت وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطيء » وقد قيل في ذلك :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وعند الاستعجال يروّج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري فقد روي أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس) أي رئيسهم . **(فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها . فقال : هذا حادث قد حدث)** الزموا **(مكانكم)** حتى آتيكم بخبره ، **(فطار حتى أتى خافقي الأرض)** أي جانبيه ، **(فلم يجد شيئاً ثم وجد عيسى عليه السلام قد**

السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به ، فرجع إليهم فقال : إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلاَّ هذا ، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة .

ومن أبوابه العظيمة : الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار ؛ فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب . فلو وجد مائة دينار مثلاً على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى ، وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً ، فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنياً وقد صار محتاجاً إلى تسعمائة ليشتري داراً يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة ، وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به . وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواها .

ولد ، وإذا بالملائكة حافين به) أي مجتمعين حواليه ، **(فرجع إليهم فقال : إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا)** أي اقطعوا طمعكم **(من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة)** أي فلم يكن لكم مدخل فيهم إلا من هذا الباب فقط ، وقد حماه الله تعالى من حضور الشيطان عند ولادته والطعن في خاصرته كما ثبت ذلك في الأخبار الصحيحة ، فقد روى أحمد وابن أبي شيبة ومسلم من حديث أبي هريرة « مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه » . وعند ابن جرير « ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم » .

(ومن أبوابه العظيمة : الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار ، فكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب) عن همّ المعيشة ، **(فلو وجد مائة دينار مثلاً على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى . فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى ، وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنياً وقد صار محتاجاً إلى تسعمائة ليشتري)** من بعضها **(داراً يعمرها ويشتري)** من البعض **(جارية)** يتسراها ، **(ويشتري)** من البعض **(أثاث البيت)** من فرش وذخيرة ، **(ويشتري)** من البعض **(الثياب الفاخرة)** لنفسه ، **(وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به)** مما لا يفي به ذلك المال ، **(وذلك لا آخر له فيقع في هاوية)** إحدى دركات النار **(آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواها)** .

قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤوه وقالوا: ما ندري؟ قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال: قد بعث الله محمداً ﷺ قال: فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك، فقال لهم إبليس: رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا.

وروي أن عيسى عليه الصلاة والسلام توسد يوماً حجراً فمرّ به إبليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا؟ فاخذه عيسى ﷺ فرمى به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا، وعلى الحقيقة من يملك حجراً يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن

(**قال ثابت**) بن أسلم (**البناني**) أب محمد البصري المتوفي سنة بضع وعشرين عن ست وثمانين، روى له الجماعة: (**لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه**) وهم جنده وعساكره. (**لقد حدث أمر**) من قبل رجمهم بالكواكب ومنعهم عن استراق السمع، (**فانظروا ما هو فانطلقوا**) ينظرون (**حتى أعيوا**) أي عجزوا (**ثم جاؤوه وقالوا: ما ندري**) الذي حدث. (**قال: أنا آتيكم بالخبر، فذهب ثم جاء وقال: قد بعث الله محمداً ﷺ قال: فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم**) بالوسوسة والقاء الشهوات، (**ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم: رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم بالدنيا فنصيب منهم حاجتنا**) أي تكثر مداخلنا فيهم فنملكهم بذلك. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلاً اهـ.

قلت: وقد أخرج بعض هذه القصة ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في دلائل النبوّة عن ابن عباس قال: كان الشياطين لهم مقاعد في السماء يستمعون فيها الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم ترمى بها قبل ذلك. فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه، فقالوا: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

وأخرج الواقدي وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عمر وقال: لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب. وأخرجا عن أبي بن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ رمى بها.

(**وروي أن عيسى عليه السلام توسد يوماً حجراً**) أي جعله وسادة له (**فمرّ به إبليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عليه السلام فرمى به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجراً يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن**)

أن يكون عدّة للشيطان عليه. فان القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر، يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده، ولو لم يكن ذلك لكـان لا يخطر ذلك بباله ولا يتحرك رغبته إلى النوم. هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى؟

ومن أبوابه العظيمة: البخل وخوف الفقر: فإن ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز. قال خيثمة بن عبد الرحمن: إن الشيطان يقول: ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث» أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه. وإنفاقه في غير حقه. ومنعه من حقه. وقال سفيان: ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء.

يكون عدة للشيطان عليه، فإن القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده) ويتكيء عليه، (**فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر بباله ذلك، ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجر، فكيف**) حال (**من يملك المخاد الوثيرة**) أي اللينة المحشوة بالقطن والصوف أو الريش، (**والفرش اللينة**) المحشوّة، (**والمتنزهات الطيبة، فمتى ينشط لعبادة الله تعالى**) هيهات! وذلك قد جرت به العادة ومعاداتها أصعب ما يكون.

(**ومن أبوابه العظيمة: البخل وخوف الفقر**) في الحال والمستقبل، (**فإن ذلك هو الذي يمنع**) الإنسان (**من الانفاق**) في سبيل الله (**و**) من (**التصدق**) على المستحقين، (**ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم**) أي الموجع، (**وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن**) وهو قوله تعالى ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ [التوبة: ٣٤].

(**وقال خيثمة بن عبد الرحمن**) بن أبي سبرة يزيد بن مالك الجعفي لأبيه ولجده صحبة. قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال العجلي: كان رجلاً صالحاً. وكان سخياً. قال: ورؤي على إبراهيم النخعي قباء فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: كسانيه خيثمة. مات بعد سنة ثمانين روى له الجماعة (**أن الشيطان يقول: ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث**) خصال: (**أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه**) أي يأخذ من حيث لا يستحق أخذه، وينفق على من لا يستحقه، ويمنع عمن يستحقه. (**وقال سفيان**) الثوري: (**ليس للشيطان سلاح**) يقاتل به ابن آدم (**مثل خوف الفقر، فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء**) وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ومن آفات البخل، الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال، والأسواق هي معشش الشياطين وقال أبو أمامة إن رسول الله ﷺ قال: « إن ابليس لما نزل إلى الارض قال: يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً. قال: الحمام، قال: اجعل لي مجلساً. قال: الأسواق ومجامع الطرق. قال: اجعل لي طعاماً. قال: طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه، قال: اجعل لي شراباً. قال: كل مسكر، قال: اجعل لي مؤذناً قال: المزامير، قال: اجعل لي قرآناً. قال: الشعر، قال: اجعل لي كتاباً. قال الوشم، قال: اجعل لي حديثاً. قال الكذب، قال: اجعل لي مصائد قال: النساء ».

ومن أبوابه العظيمة: التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية، فإذا خيل إليه

(ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع الأموال) وكذا المسافرة إلى بلاد بعيدة وركوب الأخطار لذلك. **(والأسواق هي معشش الشياطين)** أي مجمعهم الذي يلازمونه ويركزون فيها راياتهم. **(وروى أبو أمامة)** الباهلي رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال « إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً)** أي مرجوماً مطروداً **(فاجعل لي بيتاً** آخر. **قال: الحمام)** فهو يسكن فيه دائماً إذ هو محل كشف العورات. **(قال: اجعل لي مجلساً)** أجلس فيه. **(قال: الاسواق ومجامع الطرق)** فهي محل انتشارهم. **(قال: اجعل لي طعاماً. قال: ما لم يذكر اسم الله عليه. قال: اجعل لي شراباً. قال: كل مسكر. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: المزامير. قال: اجعل لي قرآناً. قال: الشعر. قال: اجعل لي كتاباً قال الوشم)** وهو غرز الجلد بالإبرة ثم يذر عليه النؤر وهو دخان الشحم حتى يخضر، وقد وشمت المرأة يدها وشماً إذا فعلت ذلك وهو من فعل الجاهلية، وقد بقي عادة في عوام الريف. **(وقال: اجعل لي حديثاً. قال: الكذب. قال: اجعل لي مكائد. قال: النساء »)** فهن حبائل الشيطان، كما رواه أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الرحمن بن عابس بلفظ « الشباب شعبة من الجنون. والنساء حبالة الشيطان » ورواه ابن لال من حديث ابن مسعود، وأكثر الروايات « حبائل الشيطان » بلفظ الجمع. قال العراقي: حديث أبي أمامة هذا رواه الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف جداً. ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضاً.

(ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والأهواء) المختلفة **(والحقد)** أي اضمار العداوة **(على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً، فالطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية)** البهيمية، **(فإذا خيل إليه الشيطان)** أي ألقى في خياله **(أن ذلك هو الحق**

الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقاً لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته، وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين، فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد، ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوّ له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه، وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته؟ وترى فضولياً آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوباً اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ، وترى الفاسق لابساً لثياب الحرير ومتجملاً بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو أوّل خصمائه يوم القيامة، وليت شعري

وكان موافقاً لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همه وهو بذلك فرحان مسرور يظن) في نفسه **(أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان، فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه)** أي في محبته وتفضيله على غيره من الصحابة **(وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول)** والهذيان **(والكذب ومتعاط لأنواع الفساد، ولو رآه أبو بكر)** رضي الله عنه **(لكان أول عدوّه)** أي أول من يعاديه وينكر عليه **(إذ موالي أبي بكر)** رضي الله عنه **(من أخذ سبيله)** وسلك منهاجه. **(وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه)** أي من أكل الحرام والكلام فيما لا يعني. **(وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه)**، ومن سيرته أيضاً أنه كان لا يأكل الا من حلّ ولا يستقر في جوفه ما فيه شبهة **(فأنّى لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه)** وهو يـأكـل الحرام ويتكلم بما لا يعني، **(وترى فضولياً آخر يتعصب لعلي)** رضي الله عنه ويذهب إلى حبه وتفضيله على غيره، **(وكان من زهد علي)** رضي الله عنه **(وسيرته أن لبس في خلافته ثوباً اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عبد الله بـن مطيع، حدثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم، عن أبي سعيد الأزدي قال: رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي فجاء به فأعجبه فقال: لعله خير من ذلك. قال: لا. ذلك ثمنه. قال: فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه وإذا هو بفضل من أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه.

(وترى الفاسق لابساً لثياب الحرير ومتجملاً بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي) رضي الله عنه **(ويدعيه، وهو أوّل خصمائه يوم القيامة. وليت شعري من أخذ**

من أخذ ولداً عزيزاً لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده؟ ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم، من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدوّ الله إبليس وعدوّ أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى؟ لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم. ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محباً لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله، ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لعلي لم يكن عليه خوف، وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه «اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء. وهكذا حكم المتعصبين للشافعي

ولداً عزيزاً لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه، فكيف يكون حاله عنده) ؟ أيقربه عنده ويصدق حبه له أم يبعده ويبغضه؟ **(ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب)** الأشياء **(إلى أبي بكر وعلي)** رضي الله عنهما، بل **(و)** إلى **(سائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم)** كما هو ظاهر لمن سبر أخبارهم وعرف سيرتهم، **(والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه، فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند)** لقاء **(الصحابة وعند)** لقاء **(أولياء الله تعالى؟ بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم)** وسوء سيرتهم، **(ثم الشيطان يخيل إليهم أن من مات محباً لأبي بكر وعمر)** رضي الله عنهما **(فالنار لا تحوم حوله)** أي لا تقربه، **(ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لعلي)** رضي الله عنه **(لم يكن عليه خوف، وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه)** كما رواه الشيخان وأحمد والحاكم من حديث المسور بن مخرمة «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها» وعند البخاري في التاريخ «فمن أغضبها فقد أغضبني يا فاطمة **(اعملي)** لله خيراً **(فإني لا أغني عنك من الله شيئاً)** يوم القيامة». قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه أيضاً البيهقي في السنن بلفظ «يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من النار فإني لا أملك لك شيئاً» رواه البزار من حديث سماك بن حذيفة عن أبيه بلفظ «يا فاطمة بنت رسول الله اعملي خيراً فإني لا أغني عنك من الله شيئاً».

(وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء، وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة

وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له : كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان ، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان ؛ فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ، ثم ادعيت مذهبي كاذباً ؟ وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم ، وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب ، فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكائد الشيطان فيه ، بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم . وقال الحسن : بلغنا أن إبليس قال : سوّلت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء . وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها ؟

ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة) المتبوعين رضي الله عنهم ، **(فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته)** المعهودة عنه من زهد في الدنيا وتقوى من الله وإخلاص في العمل ، **(فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له : كان مذهبي العمل)** بالعلم الذي تلقفته **(دون الحديث باللسان ، و)** إنما **(كان الحديث باللسان لأجل العمل)** به **(لا لأجل الهذيان)** والتعصبات ، **(فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته ، وذهبت إليه)** وحثيت عليه **(ثم ادعيت مذهبي كاذباً . وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم ، وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم)** واطماعهم ، **(واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب)** لمذاهبهم واعتقاداتهم ، **(فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكائد الشيطان)** وخدعه **(فيه ، بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكائده بهم فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا)** بانفسهم **(وأهلكوا)** غيرهم ، **(والله تعالى يتوب علينا وعليهم)** .

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى : **(بلغنا أن إبليس قال : سوّلت لأمة محمد المعاصي)** أي زينتها في أعينهم **(فقطعوا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء)** أي اتباع ما تهواه نفوسهم فظنوها عبادة لا ذنوباً . **(وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون**

ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات. قال عبد الله بن مسعود : جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون ـ وليس إياهم يريد ـ فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم، وذلك مراد الشيطان منهم.

ومن أبوابه : حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين، أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره، يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشدّ الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً

منها) ؟ وكل ما جر إلى المعصية فهو معصية، ولو علموا أنه سبب للمعصية لتابوا منه، ولكن الشيطان أعمى بصائرهم عن فهم ذلك.

(ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات. قال عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه : **(جلس قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع)** لقوّة حالهم في الذكر، **(فأتى رفقة أخرى)** بالقرب من ذلك المجلس **(يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد)** وإنما يريد تفرقة أولئك القوم الذين يذكرون الله، **(فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا يفصلون بينهم)** ويصالحونهم **(فتفرقوا عن مجلسهم)** وتركوا ذكر الله تعالى، **(وذلك مراد الشيطان منهم)** وقد ناله، ويرشح له ما رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث جابر : إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن هو في التحريش بينهم أي يسعى في إغراء بعضهم على بعض وحملهم على الفتن والحروب والشحناء، وهذا من دقائق دسائسه.

(ومن أبوابه) العظيمة : **(حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم)** ولم يزاولوا فيه بالتعلم والدراسة والانكباب على تحصيله على الهيئة المعهودة **(ولم يتبحرّوا فيه)** بالغوص على مشكلاته **(على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته، وفي أمور لا يبلغها حدّ عقولهم حتى يشككهم)** أي يوقعهم في الشك **(في أصل الدين أو يخيل إليهم)** في أثناء تقريره **(في الله تعالى خيالات)** وظنونات **(يتعالى الله عنها)** ويجل شأنه عن نسبتها إليه **(يصير بها كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره)** وأوقر في لبه **(يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة، وإنه انكشف له بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه)** أي

أشدهم إتهاماً لنفسه وأكثر سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله تبارك وتعالى . فيقول : فمن خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه » والنبي ﷺ لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء . وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء ، فالعامي لو يزني ويسرق كان خيراً لـه مـن أن يتكلم في العلم فـإنـه مـن تكلم في

اعجاباً به ، **(وأثبت الناس عقلاً أشدهم إتهاماً لنفسه وأكثرهم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول : الله تبارك وتعالى . فيقول: فمن خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله)** أي فليقل أخالف عدوّ الله المعاند وأومن بالله وبما جاء به رسول الله **(فإن ذلك يذهب عنه »)** لأن الشبه منها ما يدفع بالإعراض عنها ، ومنها ما يندفع بقلعه من أصله بتطلب البراهين والنظر في الأدلة مع امداد الحق بالمعونة والوسوسة لا تعطي ثبوت الخواطر واستقرارها ، فلذا أحالهم على الأعراض عنها . قال العراقي : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : ورواه كذلك من حديث عائشة ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ، ولفظ مسلم من حديث أبي هريرة « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء من خلق الأرض؟ فيقول: الله . فيقول : من خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله ورسله » ولفظ البخاري « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا من خلق كذا حتى يقول ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » . ورواه مسلم أيضاً وروى الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق السماء ؟ فيقول : الله . فيقول : من خلق الأرض؟ فيقول : الله . فيقول : من خلق الله ، فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله ورسوله » ورجاله رجال الصحيح خلا أحمد بن محمد بن نافع الطحان شيخ الطبراني ، ورواه أيضاً في الأوسط بلفظ « من خلق السموات وفيه حتى يقول فمن خلق الله » ورواه هكذا أحمد وعبد بـن حميد والطبراني في الكبير أيضاً من حديث خزيمة ابن ثابت .

(فالنبي ﷺ لم يأمره بالبحث عن علاج هذا الوسواس) من الشيطان ، **(فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء)** منهم العارفين بنور البصيرة وقد استقر الإيمان في قلوبهم فلا يتزلزلون ، **(وإنما حق العوام أن يؤمنوا)** أي يصدقوا بقلوبهم **(ويسلموا)** أي ينقادوا لأمور الدين **(ويشتغلوا بعبادتهم)** الظاهـرة **(ومعـايشهـم بينهـم ويتركـوا العلم)** والغوص في معانيه **(للعلماء)** الصادقين ، **(فالعامي لو يزني ويسرق كان خيراً له من أن يتكلم**

الله وفي دينه من غير اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد، والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال.

ومن أبوابه، سوء الظن بالمسلمين. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن انَّ بعضَ الظَّن إثمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطوّل فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه. وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم، فقال ﷺ: «اتقوا مواضع التهم» حتى احترز هو ﷺ من ذلك.

في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم) وذلك بمعرفة حججه وبراهينه مع مساعدة تأييداً لله تعالى وشهود نور اليقين **(وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة)** ومن ذلك قول سهل التستري افشاء سر الربوبية كفر فإن العوام إذا ورد على اسماعهم ما تنبو عنه طباعهم لم يقبلوه وصاروا أعداء ما جهلوه، فالأولى أن لا يخاطبوا بمثل ذلك صيانة لهم عن الزيغ والوقوع في الكفر، **(ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب)** والأهواء والآراء **(لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال)** لينبه على ما وراءه.

(ومن أبوابه) العظيمة **(سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾)** قال ابن عباس: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءاً أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب، وروى الشيخان من حديث أبي هريرة: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث». وأخرج ابن مردويه من حديث عائشة مرفوعاً من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه أن الله تعالى يقول اجتنبوا كثيراً من الظن». **(فمن يحكم بشر على غيره بالظن)** والظن يخطىء ويصيب **(بعثه الشيطان)** أي حمله **(على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك، أو)** حمله على أن **(يقصر في القيام بحقوقه)** الواجبة عليه، **(أو يتوانى)** أي يتهاون **(في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيراً منه، وكل ذلك من المهلكات)** وأصله الذي نشأت منه سوء الظن فليجتنبه ليسلم من المهالك، **(ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم، فقال ﷺ: «اتقوا مواضع التهم»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: أخرج الزبير بن بكار في الوفقيات عن عمر بن الخطاب قال: من تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، وأخرج البيهقي في الشعب عن سعيد بن المسيب قال: كتب لي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ من عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه.

(حتى احترز هو ﷺ من ذلك. روي عن علي بن حسين) بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأت قريشاً أفضل منه

وروي عن علي بن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته أن النبي ﷺ كان معتكفاً في المسجد قالت: فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمرّ به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال: « إنها صفية بنت حيّ » فقالا: يا رسول الله ما نظن بك إلا خيراً، فقال: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما ». فانظر كيف أشفق ﷺ على دينهما فحرسهما؟ وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول: مثلي لا يظن به إلا الخير اعجاباً منه بنفسه، فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم، ولذلك قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار. فإن الأشرار لا يظنون بالناس

توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة **(أن صفية بنت حيّي)** بن أخطب الإسرائيلية أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر وماتت في خلافة معاوية على الصحيح **(أتته)** زائرة **(وقت الصبح، وكان معتكفاً في المسجد فتحدثت عنده ثم انصرفت)** وانطلق معها يشيعها إلى دارها، **(فمر به رجلان من الأنصار فسلما)** عليه **(ثم انصرفا فناداهما وقال)** لهما: **(إنها صفية بنت حيّي فقالا:)** يا سبحان الله **(يا رسول الله لا نظن بك إلا خيراً. قال: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما »)** رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية، ورواه أيضاً أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس، وقد تقدم في الصوم. **(فانظر كيف أشفق ﷺ على دينها فحرسهما)** عن مرور ذلك الوهم في قلبهما، **(وكيف أشفق)** ﷺ **(على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهم حتى لا يتساهل العالم الورع)** المتقي **(المعروف بالدين)** والصلاح **(في أحواله، فيقول: مثلي لا يظن به إلا خير إعجاباً منه بنفسه فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم، وبعين السخط بعضهم. قال الشاعر:**

(وعين الرضا عن كل عيب كليلة) أي غاضة **(ولكن عين السخط تبدي المساويا)**.

وذلك لأن الإنسان إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له داع من عقل أو دين أصمه حبه عن العدل وأعماه عن المرشد وقال بعضهم في ذلك:

وعين أخي الرضا عن ذاك تعمى.

(فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس

كلهم إلا الشر. فمهما رأيت انساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق، فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله.

فإن قلت: فما العلاج في دفع الشيطان، وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوّة إلا بالله؟ فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدّ هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره. وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد ـ على ما سيأتي شرحه ـ نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة

كلهم إلا الشر، فمهما رأيت إنساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب، فاعلم أنه خبيث في الباطن، وإن ذلك) أي سوء ظنه **(خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو)** والإناء يرشح بما فيه، **(فإن المؤمن يطلب المعاذير)** أخرج أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً وفي الوفقيات للزبير بن بكار مثله بزيادة: وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، **(والمنافق يطلب العيوب)** ويتتبع العثرات، **(والمؤمن سليم الصدر)** من الغل والحقد في حق كافة الخلق. **(فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب، ولو أردت استقصاء جميعه)** على سبيل الإحاطة **(لم تقدر عليه، وفي هذا القدر)** الذي ذكر **(ما ينبه على غيره، فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان)** يقاتل به المؤمن، **(ومدخل من مداخله)** إلى القلب.

(فإن قلت: فما العلاج في دفع الشيطان) عن حمى القلب، **(وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى)** بأي وجه كان، **(وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله)** وغير ذلك من الأذكار الواردة في السنة؟ **(فاعلم أن علاج القلب في ذلك)** أولاً **(سد هذه المداخل)** التي هي عبارة عن أبواب هي تلك الأوصاف المذكورة **(بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة)**، فإذا سلم القلب من دخوله عليه من هذه الأبواب فقد طهر، فالكلام كله على التجنب عن هذه الصفات مهما أمكن وذلك مما يطول ذكره، **(وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج صفات المهلكات، وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد كما سيأتي)** إن شاء الله تعالى، **(نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات)** وسدت مداخله منها **(كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار)** وتمكن بالكلية، **(ويمنعه من الاجتياز ذكر الله**

الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلاَّ فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشّيطان تذكَّرُوا فإذا هُمْ مُبصِرُون ﴾ [الأعراف: ٢٠١] خصص بذلك المتقي، فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ، فمجرد الصوت يدفعه، فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يدفع بمجرد الكلام، فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر، فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان من سويداء القلب. وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [النحل: ٩٨] وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر.

قال أبو هريرة الت[illegible]ى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين

تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة) وذلك بعد التنصل عن العلائق وصدق التوبة والانابة **(إلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم [illegible]ئف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾)** فإنه **(خصص بذلك المتقي)** فقال: إن ال[illegible]ن اتقوا فعلم من ذلك إن عمارة القلب بالتقوى شرط في تأثير الذكر ودفع سورة الشيطان، **(فمث[illegible] الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم ينزجر بأن ت[illegible]ول له: اخسأ)** أي تأخر **(فمجرد الصوت يدفعه فإن كان بين يديك لحم)** أو خبز **(و[illegible] جائع فإنه يهجم على اللحم)** أو الخبز **(ولا يندفع بمجرد الكلام)** الزاجر، **(فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر بمجرد الذكر)** ولا يحتاج في دفعه إلى معالجة، **(فأما الشهوة إذا غل[illegible]ت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه)** أي داخله **(فيستقر الشيطان في سويداء القلب)** فيحتاج إلى معالجة شديدة لإخراجه عنه. **(وأما قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان)** أي تأخر وانقبص **(ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾)** أي اطلب اللجأ إلى الله تعالى من شره، **(وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر)**.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فإذا شيطان**

كاسٍ ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعاً وإذا شرب سمى الله فأظل عطشاناً ، وإذا لبس سمى الله فأظل عرياناً ، وإذا دهن سمي الله فأظل شعثاً ، فقال: لكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم ، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير . قال: فتمثل له إبليس يوماً في طريق المسجد فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني ؟ قال: ومن أنت ؟ قال : أنا إبليس ، فقال: وما تريد ؟ قال: أريد أن لا تعلم أحداً هذه الاستعاذة ولا

الكافر دهين سمين) أي مدهون مسرح الشعر وافر اللحم، **(وشيطان المؤمن مهزول)** أي نحيف البدن **(أشعث أغبر عار)** الجسد ، **(فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: مالك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمي)** الله تعالى على أكله **(فأظل جائعاً، وإذا شرب سمى)** الله تعالى على شربه **(فأظل عطشاناً ، وإذا لبس سمى)** الله تعالى عند لبسه **(فأظل عرياناً ، وإذا ادهن سمى)** الله تعالى عن إدهانه **(فأظل شعثاً)** متفلاً ، **(فقال)** شيطان الكافر: **(لكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه)** وإدهانه ، فقد روى مسلم من حديث جابر : « أن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان » الحديث. وروى الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة: « إن الشيطان حساس لحاس من الطعام فاحذروه على أنفسكم » الحديث. ودل أثر أبي هريرة السابق إن الشيطان يأكل ويشرب ويلبس ويشم حقيقة ، وقد شنع ابن العربي في شرح الترمذي على من قال: إن أكله إنما هو الشم فقط بل الصحيح أنه يشم ويأكل وله لذة في الشم كلذته في اللقمة كلذتنا في كل طعمة.

(وكان) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** البصري العابد **(يقول: كل يوم بعد صلاة الصبح)** هذه الاستعاذة **(اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا)** يعني به الشيطان **(يرانا هو وقبيله)** أي جماعته **(من حيث لا نراهم)** لكونهم يجرون مجاري الدم، **(اللهم فأيسه منا)** أي أجعله مأيوساً منا **(كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير . قال)** الراوي: **(فتمثل له إبليس يوماً في طريق المسجد . فقال: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا إبليس قال وما تريد؟ قال: أريد أن لا تعلم أحداً هذه الاستعاذة. قال: والله ما**

أتعرض لك قال: والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت. وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوّذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير. يا رحمن، فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه، وقال الحسن: نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، وقال ﷺ: «لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت من برد ماء لسانه على يدي، ولولا دعوة

أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت) وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمته من طريق سلام بن أبي مطيع قال: كان محمد بن واسع إذا صلى المغرب يلتزق بالقبلة يصلي، فقال: حدثني خياط كان يقرب منه قال: كان يقول في دعائه: أستغفرك من كل مقام سوء ومخرج سوء وعمل سوء وقول سوء ونية سوء أستغفرك منه فاغفر لي وأتوب إليك منه، فتب علي وألقي إليك بالسلام قبل أن يكون لزاماً.

(وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى) الأنصاري تابعي وهو والد محمد وأبوه أبو ليلى له صحبة، واختلف في اسمه على أقوال شهد أحداً وما بعدها وعاش إلى خلافة علي. **(قال: كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما يلج وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق النهار إلا طارقاً يطرق بخير. يا رحمن. فقال: ذلك فطفئت شعلته وخرّ على وجهه)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلاً، ولمالك في الموطأ نحوه عن يحي بن سعيد مرسلاً، ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحي بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي، عن ابن مسعود. ورواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن خنيس وقيل: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه. سئل أبو زرعة عن عبد الرحمن هل له صحبة؟ فقال: لا أعرفه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(نبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: إن عفريتاً من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلاً. **(وقال ﷺ: لقد أتاني الشيطان فنازعني)** أي في الصلاة **(ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى**

أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحاً في المسجد ». وقال ﷺ : « **ما سلك عمر فجاً إلاَّ سلك الشيطان فجاً غير الذي سلكه عمر** »، **وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن** مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات **فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد** الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالاً وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة، والذكر: الدواء والتقوى احتماء وهي **تخلي القلب عن الشهوات فإذا**

وجدت برد ماء لسانه على يدي، ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحاً.) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلاً هكذا، وللبخاري من حديث أبي هريرة: إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه » الحديث. وللنسائي في الكبير من حديث عائشة: « كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال: وجدت برد لسانه على يدي » وإسناده جيد اهـ.

قلت: وللبخاري أيضاً: « إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ [ص: ٣٥] فرده الله خاسئاً ». ورواه مسلم أيضاً نحوه. وفي لفظ له: « فشد علي بشهاب من نار ليجعله في وجهي » وفي لفظ آخر « عرض لي في صورة هر ».

(وقال ﷺ : « ما سلك الشيطان فجاً) أي طريقاً **(سلكه عمر »)** كذا في النسخ، وفي بعض النسخ: « ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجا غير فجه » قال العراقي: متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: « ابن الخطاب ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً » الحديث اهـ.

قلت: وروى الدارقطني في الإفراد وابن منده، وابن عساكر من حديث حفصة: « ما لقي الشيطان عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه » ورواه الحكيم والطبراني وأبو نعيم من طريق الأوزاعي عن سديسة مولاة حفصة، ولا يعلم للاوزاعي سماع من أحد من الصحابة، ورواه الطبراني في الأوسط فقال: عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة وهو الصواب. وروى الحكيم في النوادر عن عمر ما لقي الشيطان قط عمر في فج فسمع صوته إلا أخذ في غيره، وروى أحمد والترمذي وابن حبان من حديث بريدة: « أن الشيطان ليفرق منك يا عمر ».

(وهذا لأن القلوب كانت مطهرة من مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالاً وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء) من المغلظات، **(والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة)** ورديئها، **(ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة)** لا يستويان **(فالذكر)** بمنزلة **(الدواء والتقوى)** بمنزلة **(الاحتماء وهي تخلي القلب**

نزل الذكر قلباً فارغاً عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الأطعمة. قال الله تعالى: ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ [ق: ٣٧] وقال تعالى: ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ [الحج: ٤] ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه، وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان. ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر إلى نفسك، فليس الخبر كالعيان، وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة، فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت؟ فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساوئها، فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس، كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر، فإن أردت الخلاص من

عن الشهوات، فإنه إذا نزل الذكر قلباً فارغاً عن غير الذكر اندفع الشيطان، كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الأطعمة قال الله تعالى: ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ وقال) تعالى **(﴿ كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ﴾ ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه)** ومصادقه، **(وإن ذكر الله بلسانه)** فإنه لا يمنع موالاته، **(وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً إن الذكر يطرد الشيطان)** يشير إلى ما تقدم، فإن ذكر الله خنس **(ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط)** معروفة **(نقلها علماء الدين، فانظر إلى نفسك فليس الخبر كالعيان)** بالكسر أي كالمعاينة فهو حديث وقد تقدم الكلام عليه، **(وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة)** إذ هي أعظم القربات إلى الله تعالى، **(فراقب قلبك)** وتأمل **(إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها، حتى إنك لا تذكر ما نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت)** فليسوّله بأنواع التسويلات ويشتته في أودية لا آخر لها حتى لا يدري تارة كم صلى. **(فالصلاة محك القلوب فبها تظهر محاسنها ومساوئها)** فإن كانت مطهرة عن الشهوات ظهرت محاسنها في الصلاة بالإقبال على الله بكنه الهمة وإلقاء الوسواس وراء ظهره، وإلا فبعكس ذلك، **(فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان)** ولا ينزجر بالذكر، **(بل ربما يزيد عليك الضرر، فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى)** أولاً. **(ثم أردفه بدواء الذكر وقد فر**

الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فرَّ من عمر رضي الله عنه. ولذلك قال وهب بن منبه: اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له. وقال بعضهم: يا عجباً لمن يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه. وكما ان الله تعالى قال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] وأنت تدعوه ولا يستجيب لك، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء.

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ وقد قال تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾؟ قال: لأن قلوبكم ميتة. قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال؛ عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً﴾ [فاطر: ٦] فواطأتموه على المعاصي، وقلتم نخاف النار وارهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم

الشيطان منك كما فر من ظل عمر رضي الله عنه) وهذا حال من انتهى به سلوكه وأشرقت عليه أنوار التوفيق، فلبس لامة الصدق وتحلى بأسلحة العزل، ودخل في حومة الحرب بين باعث الدين وداعي الهوى، فكانت الغلبة لداعي الدين وفرت جيوش الشياطين. ولذا قال أبو حازم: الشيطان حتى يهاب فوالله لقد أطيع فما نفع، وعصي فما ضر، وقال بعضهم: لولا أن الحق سبحانه أمرنا بالاستعاذة منه ما استعذت منه لحقارته وهذا شأن المتقين. **(ولذلك قال وهب بن منبه)** رحمه الله تعالى: **(اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له. وقال بعضهم: واعجباً لمن يعصي المحسن)** المطلق **(بعد معرفته بإحسانه)** وإصابته منه **(ويطيع اللعين)** المسيء **(بعد معرفته بطغيانه)** وعداوته، **(وكما أن الله تعالى قال)** في كتابه العزيز **(﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وأنت تدعوه ولا يستجيب لك. فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروطه الذكر والدعاء)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(قيل لإبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى **(ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ قال: لأن قلوبكم ميتة. قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال: عرفتم الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً﴾ فواطأتموه)** أي وافقتموه **(على المعاصي، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم**

وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم؟

فإن قلت: فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدوّ ولا تسأل عن صفته. كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة، ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في شواهد الاخبار: أنهم جنود مجندة. وإن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه، فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه، وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النـار وسواد الدخان.

وأما الأخبار فقد قال مجاهد: لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم

عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم) ؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا أبو يعلى أحمد بـن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو أحمد محمد بن مهدي بن قدامة، حدثنا أبو ياسر عمار بن عبد المجيد، حدثنا أحمد بن عبد الله الحرمامي قال: سمعت حاتماً الأصم يقول: قال شقيق بن إبراهيم دخل إبراهيم في أسواق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا: يا أبا إسحاق إن الله يقول في كتابه: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ونحن ندعوه بعد دهر فلا يستجيب لنا. قال إبراهيم: يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء. أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، والثاني: قرأتم كتاب الله فلم تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم العمل بسنته، والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة فلم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

(فإن قلت: فالداعي إلى المعصية المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو) حيث عرفته باخبار الصادق المصدوق وثبتت لك عداوته، **(ولا تسأل عن صفته)** فإنه مما لا يعنيك، ومن أمثالهم الدالة على ذلك يقولون: **(كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة)** أي منبته، ومن ذلك أيضاً قولهم: خذ الهدية ولا تسأل عن جالبها **(ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنهم جنود مجندة)** أي كثيرة، **(وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه. وأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه)** آنفاً **(وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النـار وسواد الدخان.**

وأما الأخبار فقد قال مجاهد) بن جبر المكي التابعي في تفسير قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء﴾ [الكهف: ٥٠] الآية أن **(لإبليـس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد**

على شيء من أمره: ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزلنبور. فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية، وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه. وأما مسوط: فهو صاحب الكذب، وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم، وأما زلنبور فهو صاحب السوق، فبسببه لا يزالون متظلمين. وشيطان الصلاة يسمى خنزب، وشيطان الوضوء يسمى الولهان. وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة.

منهم على شيء من أمر، فذكر زلنبور) وقد تقدم ذكره وضبطه في كتاب الحلال والحرام، **(والأعور، ومسوط)** كمنبر كأنه مفعل من السوط، **(وداسم. وثبور)** وفي لفظ ثبر، **(فأما ثبور فهو صاحب المصائب الذي يأمر)** ابن آدم **(بالثبور)** والويل. **(وشق الجيوب ولطم الخدود، ودعوى الجاهلية. وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه)** في أنفسهم، **(وأما مسوط: فهو صاحب الكذب)** يزينه لهم، **(وأما داسم: فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم، وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظلمين)** أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وأبو الشيخ عن مجاهد لفظه: باض إبليس خمس بيضات: زلنبور، وداسم، وثبر، ومسوط، والأعور. أما الأعور فصاحب الزنا، وأما ثبر فصاحب المصائب، وأما مسوط فصاحب أخبار الكذب يلقيها على أفواه الناس ولا يجدون لها أصلاً، وأما داسم فصاحب البيوت إذا دخل الرجل بيته ولم يسم دخل معه، وإذا أكل ولم يسم أكل معه ويريه من متاع البيت وإلا يحضر موضعه، وأما زلنبور فصاحب الأسواق يضع رأسه في كل سوق بين السماء والأرض.

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: ولد إبليس خمسة: ثبر، والأعور، وزلنبور، ومسوط، وداسم، فمسوط صاحب الصخب، والأعور وداسم لا أدري ما يعملان، وثبر صاحب المصائب، وزلنبور الذي بين الناس. ويبصر الرجل عيوب أهله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ قال: هم أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عدداً. وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال: باض إبليس خمس بيضات وذريته من ذلك.

(وشيطان الصلاة يسمى خنزب) رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاصي، وقد تقدم قريباً. **(وشيطان الوضوء يسمى الولهان)** رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي بن كعب بلفظ إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وقد تقدم، **(وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة)** كما ذكرناها. ومن ذلك ما روى الحكيم في النوادر عن عبد الرحمن بن أبي سلمة مرسلاً: وكل بالنفوس شيطان يقال له اللهو فهو يخيل إليها ويتراءى لها إذا عرج بها، فإذا انتهت إلى السماء فما رأت فهو الرؤيا التي تصدق، ومنهم جماعة سلطهم على الحجاج والمجاهدين.

وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به. وقد قال أبو أمامة الباهلي، قال رسول الله ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك، للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين».

وقال أيوب بن يونس بن يزيد: بلغنا أنه يولد مع أبناء الأنس من أبناء الجن ثم

روى الطبراني من حديث ابن عباس: أن لإبليس مردة من الشياطين يقول لهم: عليكم بالحجاج والمجاهدين فاضلوهم عن السبيل، ومنهم جماعة سلطهم على المصلين، روى الشيخان وأبو يعلى من حديث أبي سعيد أن الشيطان ليأتي أحدكم وهو في صلاته فيأخذ بشعرة من دبره فيمدها فيرى أنه أحدث فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.

(وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك الملائكة) فيهم كثرة، **(وقد ذكرنا في كتاب الشكر)** على ما سيأتي السر **(في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به)** أي يخصه دون غيره، **(وقد قال أبو أمامة الباهلي)** رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه)** أي يدفعون عنه **(ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب)** أي يطرد ويدفع **(عن قصعة العسل في يوم صائف)** أي حار فإنه يكثر فيه الذباب ويعسر دفعها **(وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه)** أي فاتح، **(وما لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين»)** قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، والطبراني في المعجم الكبير بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه ابن قانع، والبزار، والصابوني في المائتين، ولفظهم جميعاً: «وكل بالمؤمن ستون وثلاثمائة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر تسعة أملاك يذبون عنه كما تذبون عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل جبل وسهل كهم باسط يديه فاغرفاه وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين».

وروى الطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه من حديث أبي أمامة: «وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما أتت على كل شيء إلا أحرقته» وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة وكل بالركن اليماني سبعون ملكاً الحديث.

(وقال أيوب بن يزيد) بن زيد روى عن التابعين. قال الرازي: مجهول كذا في المغني للذهبي: **(بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من ابناء الجن ثم ينشأون معهم)** ونحو ذلك ما روي عن قتادة أنهم

ينشأون معهم، وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال: يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تعني عليه لا أقوى عليه. قال: لا يولد لك ولد إلا وكّل به ملك، قال: يا رب زدني. قال: اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أزيد. قال: رب زدني قال: باب التوبة مفتوح ما دام الروح في الجسد. قال ابليس: يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعني عليه لا أقوى عليه؟ قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد. قال: يا رب زدني. قال: تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتاً، قال: رب زدني. قال: ﴿أجلِبْ عليهم بخيلك ورجِلِك﴾ إلى قوله ﴿غروراً﴾ [الاسراء: ٦٤] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الجن ثلاث أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الثواب والعقاب. وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم كما قال تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ [الأعراف: ١٧٩] وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين،

يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وعن سفيان أنه يجتمع مع كل مؤمن واحد أكثر من ربيعة ومضر. **(وقال جابر بن عبدالله)** رضي الله عنه: **(إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال: يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة ألا تعنني عليه لأقوى عليه؟ قال: لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك)** يحفظه من شره **(قال: يا رب زدني. قال: أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشراً إلا ما أزيد. قال: رب زدني. قال: باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال إبليس: يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ألا تعينني عليه لأقوى عليه. قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك. قال: رب زدني. قال: تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتاً قال: رب زدني قال: ﴿اجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾)** وشاركهم في الأموال والأولاد **(إلى قوله: ﴿غروراً﴾)** ومن هنا كان منه الإضلال والتمنية والاحتناك وغير ذلك وكل منها أجيب دعاؤه في صاحبه.

(وعن أبي الدرداء) رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض)** أي وحشراتها أي على هيآتهم وصورهم ومن ثم ندب الأنذار قبل القتل، **(وصنف كالريح في الهواء)** وهذان الصنفان لا حساب عليهم ولا عقاب كما يشير إليه قوله. **(وصنف عليهم الثواب والعقاب)** أي مكلفون ولهم وعليهم، **(وخلق الله الإنس ثلاث أصناف: فصنف كالبهائم كما قال الله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين)** أي مثلها في الخبث

وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ». وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن إبليس تمثل ليحيي بن زكريا عليهما السلام وقال: إني أريد أن أنصحك. قال: لا حاجة لي في نصحك، ولكن اخبرني عن بني آدم. قال: هم عندنا ثلاثة أصناف: أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء. وأما الصنف الآخر في أيدينا

والشر، (**وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله**) يعني في ظل عرشه فلا يصيبهم وهج الحر في ذلك الموقف الأعظم حين يصيب الناس ويلجمهم العرق الجاماً.

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وابن حبان في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان، وضعفه وللحاكم نحوه مختصراً في الجن فقط: الجن ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الخشني وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر، وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه في التفسير، والديلمي في مسند الفردوس، ويزيد بن سنان الرهاوي أحد رواته ضعفه ابن معين وغيره وتركه النسائي ثم ساق له في الميزان مناكير هذا منها.

وأما حديث أبي ثعلبة الخشني فرواه كذلك الطبراني في الكبير والبيهقي في الأسماء والصفات، وأبو نعيم في الحلية، والديلمي في مسند الفردوس ولفظهم جميعاً: « الجن ثلاثة أصناف فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون ». قال الحكيم الترمذي: والصنف الثاني هم الذين ورد النهي عن قتلهم وهم ذوات البيوت فإن تلك في صور الحيات وهم من الجن وهم سكان البيوت.

(**قال وهيب بن الورد**) المكي قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب له. روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وقد تقدمت ترجمته في كتاب الحج: (**بلغنا أن إبليس تمثل ليحي بن زكريا عليهما السلام وقال: إني أريد أن أنصحك. قال: لا حاجة لي في نصحك، ولكن اخبرني عن بني آدم. قال: هم عندنا ثلاثة أصناف: أما صنف؛ فهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود إليه**) بالافتتان والتمكن منه، (**فيعود**) إلى الاستغفار والتوبة، (**فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه**) ما نريده من (**حاجتنا، فنحن منه في عناء**) أي مشقة.

(**وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف نشاء**) فقد كفونا أنفسهم.

بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم ، وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء .

فإن قلت : فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض . وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به ؟ فإن كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين ؟ فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهد إلا بأنوار النبوّة فما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين ؟ وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بجراء فسدّ الأفق من المشرق إلى المغرب ، ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالباً ، فكان يراه في صورة

(وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أحمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثني محمد ابن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد قال : بلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال : إني أريد أن أنصحك . فقال : كذبت أنت لا تنصحني ، ولكن اخبرني عن بني آدم ثم ساقه كسياق المصنف وزاد في آخره ، فقال له يحيى عند ذلك : فهل قدرت مني على شيء ؟ قال : مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها . قال : فقال له يحيى : لا جرم لا شبعت من طعام أبداً حتى أموت . فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك .

(فإن قلت : فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض ، وإذا رأى صورته هل هي على صورته الحقيقية) فإذا كانت على صورته الحقيقية ، **(فكيف يرى في صور مختلفة ، وكيف يرى في وقت واحد في مكانين)** مختلفين **(وعلى صورتين)** مختلفتين ، **(حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما لا ترى بالمشاهدة)** بعين البصر **(بل بأنوار النبوّة فما رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام في صورته)** الحقيقية **(إلا مرتين ، وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له ، فسدّ الأفق من المشرق إلى المغرب ، ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهي)** قال العراقي : رواه الشيخان من حديث عائشة ، وسئلت : هل رأى محمد ربه ؟ وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين اهـ .

قلت : وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال : لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبَّر حتى جاوبته الجبال ، فقال ابن عباس : إنا

دحية الكلبي، وكان رجلاً حسن الوجه. والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة، من أرباب

نبو هاشم نزعم أو نقول أن محمداً قد رأى ربه مرتين. فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم، فرآه محمد مرتين، وكلم موسى مرتين. قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء وقف له شعري. قلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] قالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. فقد أعظم الفرية، ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى، ومرة عند اجياد له ستمائة جناح قد سد الأفق.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته عند سدرة المنتهي له ستمائة جناح كل جناح منها سد الأفق تتأثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ في العظمة، عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أمّا واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسدّ الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل، عن ابن مسعود قال: رأى النبي ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل الدر والياقوت ما الله به عليم.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح ينفض من ريشه التهاويل الدر والياقوت».

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن عائشة قالت: «كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل بأجياد ثم خرج لبعض حاجته فصرخ به جبريل يا محمد فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ثلاث، ثم رفع بصره فإذا هو ثاني رجليه إحدى رجليه على الأخرى على أفق السماء».

وأخرج عبد بن حميد عن مرة الهمداني قال: لم يأته جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين فرآه في خضر يتعلق به الدر.

(وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالباً) أي في أكثر الأوقات. قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة في قوله: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ [النجم: ٨] قالت: ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل.

(فكان يراه في صورة دحية الكلبي، وكان) دحية **(رجلاً حسن الوجه)** هو دحية بن

القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه، ويسمع كلامه بإذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته، كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين، وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام، كما روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله تعالى خنس. ومثل

خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي صحابي مشهور شهد أحداً، نزل دمشق بقرية المزن، وتوفي في خلافة معاوية وهو بفتح الدال وكسرها معاً ومعناه الرئيس. قال العراقي: روى الشيخان من حديث أسامة بن زيد: أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام، قال النبي ﷺ لأم سلمة: « من هذا ». قالت: دحية الحديث اهـ.

قلت: وأخرج عبد بن حميد عن ابن عمر أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة » والبيهقي في الدلائل عن شريح بن عبيد قال: لما صعد النبي ﷺ إلى السماء ثم ساق الحديث وفيه: « فرأيته يعني جبريل في خلقه الذي خلق عليه منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت فخيل إلي أن ما بين عينيه قد سد الأفقين وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صور مختلفة وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي وكنت أحياناً لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه وراء الغربال ».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أنس: « يأتيني جبريل على صورة دحية الكلبي ».

(والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين، وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام، فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز) الأموي رحمه الله تعالى **(أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور)** بكسر الموحدة وفتح اللام المشددة حجر شفاف **(يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع)** حيوان مائي معروف **(قاعد على منكبه وأذنه)** من طرف اليسار **(له خرطوم)** وهو من الحيوان مقدم فمه وأنفه، **(طويل دقيق)** كما يكون للبعوض، **(قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله تعالى خنس)** انقبض وتأخر فهذا رؤيا منام.

هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهـذا يجري مجرى مشاهـد صـورتـه الحقيقية . فإن القلب لا بدّ وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر .

وقد بينا أن القلب له وجهان: وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي ، ووجه إلى عالم الشهادة . فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس ، فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصاً جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر ، لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس . أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها . فلا

(**ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة ، فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها . وكانت الجيفة مثال الدنيا**) وذلك لرداءتها وخستها . وكذا قال الشافعي في تمثيلها :

وما هي إلاّ جيفة مستحيلة … عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها … وإن تجتذبها نازعتك كلابها

(**وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية ، فإن القلب لا بد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت**) وعالم الملكوت تنجلي فيه حقائق الأشياء لمقابلتها اللوح الذي رسمت فيه تلك الحقائق بقلم القدرة . (**وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر**) وبينهما ارتباط كما تقدم .

(**وقد بينا أن القلب له وجهان: وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي**) للأنبياء والأولياء ، (**ووجه إلى عالم الشهادة . فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي عالم الشهادة لا تكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من الباطن إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس ، فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى**) أي ما رآه في الظاهر مخالف لما هو في الباطن (**حتى يرى شخصاً جميل الصورة**) في ظاهره ، (**وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس**) والتخليط . (**أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن القلوب**) من الوجه الذي يليه (**فلا تكون إلا محاكية للصفة**) بعينها (**وموافقة لها**) من غير اختلاف (**لأن**

جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها . ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ، ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على مثال خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر ، وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير . وهذه أسرار عجيبة من أسرار عجائب القلب ، ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة . وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب ، وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم ، وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى ـ هو مثال المعنى لا عين المعنى ـ إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم .

الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة، فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب) تارة (**و**) صورة (**ضفدع**) مرة أخرى (**و**) صورة (**خنزير وغيره**) من الصور الخبيثة، (**ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق، ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على مثال خبيث**) لخبثها (**وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر**) منقاد للأمر كثير النفع ، (**وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير**) كما هو معروف عند أهله. (**وهذه أسرار عجيبة من عجائب أسرار القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة، وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب، وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم، وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى، إلا أنه يشاهد بالمعنى مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم**) .

قال الشيخ الأكبر قدس سره في الفتوحات للجن التشكل في الصور كالملائكة وأخذ الله بأبصارنا عنهم، فلا يراهم إلا بعضنا بكشف إلهي، ولما كانوا من عالم اللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية ، فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني إنما هو أول صورة أوجده الله تعالى عليها ، ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها ولو كشف الله عن أبصارنا حتى نراها بصورة القوة المصورة التي وكلها الله بالتصوير في خيال المتخيل لرأيت مع الإنسان ألف صورة مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً وكما وقع التناسل في البشر بالقاء الماء في الرحم، فكان التوالد في النوع البشري وقع التناسل في الجان بالقاء الهوى في رحم الأنثى، فكانت الذرية والتوالد وهم محصورون في اثني عشر قبيلة أصولاً ثم يتفرعون إلى أفخاذ وتقع بينهم حروب والزوابع من حربهم، ثم قال: هذا العالم الروحاني إذا تشكل وظهر في صورة حسنة يقيده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ناظراً إليه بالخاصة من الإنسان، فإذا قيده ولم يبرح ناظراً وليس ثم ما يتوارى فيه أظهر له ذلك الروحاني صورة جعلها عليه كالستر ، ثم خيل له مشي تلك الصورة إلى

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به:

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء بالشرع، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به». وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: «ان الله تعالى يقول للحفظة إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة لم يعملها فأكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً» وقد خرجه

جهة مخصوصة فيتبعها بصره، فإذا تبعها خرج الروحاني عن تقييده فغاب عنه وبمغيبه تزول تلك الصورة عن النظر، فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره فإذا غاب جسم السراج فقد النور، وهذا من الأسرار الإلهية وليست الصورة غير الروحاني بل عينه ولو كانت بألف مكان وأشكال مختلفة، وإذا قتلت صورة من تلك الصور انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ كما ننتقل نحن بالموت ولا يبقى له في الدنيا حديث مثلنا سواء، والفرق بين الجن والملائكة وإن اشتركوا في الروحانية أن الجن غذاؤهم من الأجسام الطبيعية بخلاف الملائكة.

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمّها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنها ولا يؤاخذ به:

(**اعلم أن هذا أمر غامض**) أي خفي يحتاج إلى تفصيل (**وقد ورد فيه أخبار وآيات متعارضة**) مع بعضها (**يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء**) أي نقادهم وأذكيائهم، (**فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عفي لأمتي**») أي أمة الإجابة (**عما حدثت به نفوسها»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة: «أن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها» الحديث اهـ.

قلت: لفظ البخاري: «أن الله تجاوز لي عن أمتي عما حدثت به أنفسها» وتمامه «ما لم تتكلم به أو تعمل» وفي رواية للبخاري: «عما وسوست به» وفي رواية لمسلم: «ما حدثت به أنفسها» وفي رواية للبخاري صدورها بدل أنفسها. وفي رواية لمسلم «ما لم يتكلموا به أو يعملوا به» وأنفسها بالرفع على الفاعلية، ويروى بالنصب على المفعولية. ورواه كذلك أئمة السنن الأربعة، ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث عمران بن حصين، وفيه المسعودي وقد اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول للحفظة: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً» أخرجه مسلم**) واللفظ له (**و**) كذا

البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة. وفي لفظ آخر «من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت». وفي لفظ آخر «وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها» وكل ذلك يدل على

(البخاري) كلاهما **(في الصحيحين)** وإنما قدم مسلماً في الذكر نظراً إلى أن سياق اللفظ له، وإلا فالبخاري مقدم في الذكر لتقدمه في الفضل وفي الزمان، وربما من يجهل ما ذكرناه اعترض على المصنف في تقديمه مسلماً على صاحبه ونسبه لمخالفة الاصطلاح، **(وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة)** قال عياض، قال أبو جعفر الطبري: فيه دليل على أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها خلافاً لمن قال أنها لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة، وحكى النووي ذلك عن أبي جعفر الطحاوي، وذكر بعضهم أن الملك يعلم ذلك برائحة طيبة تفوح من الإنسان بخلاف ما إذا هم بالسيئة فإنه تفوح منه رائحة خبيثة والله أعلم.

(وفي لفظ آخر) من سياق هذا الحديث **(«من هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له وإن عملها كتبت»)** رواه الشيخان من حديث ابن عباس رفعه فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة».

ورواه أحمد في مسنده بلفظ: «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة وسبع أمثالها، ومن هم بسيئة لم تكتب عليه فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فإن لم يعملها لم تكتب عليه».

(وفي لفظ آخر) عن همام عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يفعل فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، **(وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها)** فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها» رواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق ومعنى تحدث المراد بذلك حدث بذلك نفسه ولا يتوقف ذلك على تحدثه بلسانه، وقد دل على ذلك ما تقدم من الرواية وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، والظاهر أن المراد إذا منعه من ذلك عذر ولا تكتب الحسنة بمجرد الهم مع الانكفاف عن الفعل بلا عذر، ويحتمل حمله على إطلاقه وإن مجرد الهم بالخير قربة وإن لم يمنع منه مانع، **(وكل ذلك يدل على العفو)** وهل تكتب له الملائكة الهم بالحسنة أو فعل الحسنة فيه نظر واحتمال، وظاهر لفظ الحديث يقتضي كتابة نفس الحسنة، وقوله: فاكتبوها عشراً أي عشر حسنات، قيل: المراد أنه يكتب له عشر حسنات مضمومة إلى الحسنة المكتوبة على الهم، أو يكمل له عشر حسنات أو ينتظر الملك بكتابة الهم، فإن حققه كتب عشراً وإن لم يحققه كتب واحدة فيه

العفو، فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] وقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً﴾ [الاسراء: ٣٦] فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه. وقوله تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في

احتمال، ويحتاج إلى نقل صريح، وقوله: إلى سبعمائة ضعف فيه أن التضعيف قد ينتهي إلى سبعمائة ضعف، وهذا جود واسع وكرم محض، وحديث ابن عباس المتقدم صريح في أن التضعيف لا يقف على سبعمائة، بل قد يزيده عليها لمن أراد الله تعالى زيادته له وهو أحد القولين في قوله تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١] أي زيادة عن المذكور، والقول الثاني أن المراد والله يضاعف لمن يشاء هذا التضعيف والأول أصح. وقال النووي: المذهب الصحيح المختار عند العلماء أن التضعيف لا يقف على سبعمائة، (**فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**) فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (**وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا﴾ فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفي عنه. وقال**) تعالى: (**﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾**) فدل على أن القلب يأثم بكتمان الشهادة. أخرج ابن جرير عن السدي في قوله: ﴿آثم قلبه﴾ قال: فاجر قلبه، وكتمان الشهادة من أكبر الكبائر كما رواه ابن جرير عن ابن عباس. (**وقال**) تعالى: (**﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾**) فدل على أن القلب مؤاخذ به، فهذه أربع آيات دلت على مؤاخذة عمل القلب، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾ [النور: ١٩] وقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] والآيات في هذا كثيرة وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها. وفي الآية الأولى خلاف هل هي محكمة أو منسوخة، فروي عن الربيع بن أنس قال: إنها محكمة لم ينسخها شيء يعرف الله يوم القيامة أنك أخفيت في صدرك كذا وكذا ولا يؤاخذك أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم. وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً قال: ذلك سر أمرك وعلانيته يحاسبكم الله به، وإنها لم تنسخ. ولكن الله إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي، فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله: ﴿يحاسبكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة: ٢٢٥] أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس، وقيل: بل هي منسوخة نسختها ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية أخرجه أحمد ومسلم وابن جرير عن ابن عباس، وأخرجه الترمذي عن علي،

أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة : ٢٢٥] **والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح.**

فنقول : **أوّل ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في** الطريق لو التفت إليها لرآها.

والثاني: هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأوّل ونسميه ميل الطبع ويسمى الأوّل حديث النفس.

والثالث: حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً ، وهو يتبع الخاطر والميل.

واخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود ، وأخرجه ابن جرير من طريق قتادة ، عن عائشة ، وقيل : نزلت هذه الآية في الشهادة . أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس .

(والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح) .

(فنقول: أول ما يرد على القلب الخاطر) وهو اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو سعي ثم سمي محله باسم ذلك وهو من الصفات الغالبة وأصل تركيبه يدل على الاضطراب والحركة. ذكره المطرزي . **(كما لو حضر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها) .**

(والثاني : هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع ، وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس) .

(والثالث : حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أن ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف) أي الموانع **(فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات)** إليها ، **(وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والميل)** وذكر صاحب العوارف أن خاطر العقل تارة من خاطر الملك ، وتارة من خاطر النفس ، وليس من العقل خاطر على الاستقلال لأن العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم ويتهيأ بها الانجذاب إلى دواعي النفس تارة ، وإلى دواعي الروح تارة ، وإلى دواعي الملك تارة ، وإلى دواعي الشيطان تارة .

الرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هماً بالفعل ونية وقصداً، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف، ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأوّل حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة، فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل، وربما يفعل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه، وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل.

فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الاعتقاد، ثم الهم.

فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار، وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضاً تحت الاختيار، وهما المرادان بقوله ﷺ: «عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها»، فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل، فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي ﷺ: يا رسول الله نفسي

(الرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه، وهذا نسميه هماً بالفعل ونية وقصداً، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب) أي مال **(إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس)** ومحادثته لها بحسب أصل الامتزاج **(تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة)** هذا إذا كانت مجاذبة القلب للنفس من باب موافقته لها فيما تنطلق في شيء تهواه من القول والفعل، فأما إذا كانت من باب المعاتبة لها وذلك عند عود العبد من مواطن مطالبات النفس والاعتماد على ذكر الله تعالى فهو يلومها فيما صدر منها من القول والفعل، فلا تتأكد حينئذ الهمة المذكورة ولا تصير إرادة مجزومة فتأمل. **(فإذا انجذبت الإرادة فربما يندفع بعد الجزم فيترك العمل، وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت وربما يعـوقه عائق فيتعذر عليه العمل.**

فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الإعتقاد، ثم الهم.

(فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار) ولا يمكن دفعه، **(وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضاً تحت الاختيار، وهما المرادان بقوله ﷺ «عفى لأمتي عما حدثت به أنفسها»)** تقدم قريباً **(فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل، فأما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس، بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون)** بن حبيب بن وهب الجمحي يكنى أبا

تحدثني أن أطلق خولة، **قال**: «مهلاً إن من سنتي النكاح». **قال**: نفسي تحدثني أن أجب نفسي، قال: «مهلاً خصاء أمتي دؤب الصيام». **قال**: نفسي تحدثني أن أترهب، **قال** «مهلاً رهبانية أمتي الجهاد والحج». قال: نفسي تحدثني أن أترك اللحم. **قال** «مهلاً فإني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه». **فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس، ولذلك شاور رسول الله ﷺ إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل.**

السائب أحد السابقين رضي الله عنه، **(حيث قال: يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة)** ويقال لها خويلة بنت حكيم بن أمية السلمي وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. **(قال: «مهلاً إن من سنتي النكاح» قال: نفسي تحدثني أن أجب نفسي)** أي أقطع آلة الشهوة مني. **(قال: «مهلاً خصاء أمتي دؤب الصيام»)** أي ملازمته فإنه يقطع الشهوة. **(قال: نفسي تحدثني أن أترهب بنفسي)** أي اعتزل الناس وأكون كالراهب في الصومعة. **(قال «مهلاً رهبانية أمتي الجهاد والحج». قال: نفسي تحدثني أن أترك اللحم)** أي أكله فإنه يحرك الشهوة. **(قال «مهلاً فإني أحبه ولو أصبته)** أي وجدته **(لأكلته ولو سألت الله لاطعمنيه»)** قال العراقي: رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلاً نحوه، وفيه القاضي عبيد الله العمري كذبه أحمد وابن معين، وللدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية» الحديث وفيه «فمن رغب عن سنتي فليس مني» وهو عند مسلم بلفظ: «رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا» وللبغوي والطبراني في معجمي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال: يا رسول الله إني رجل يشق علي هذه العزبة في المغازي فتأذن لي يا رسول الله في الخصاء فاختصي. قال «لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فإنه مجفرة» ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمر «خصاء أمتي الصيام والقيام» وله من حديث سعيد بن العاصي بإسناد فيه ضعيف أن عثمان ابن مظعون قال: يا رسول الله ائذن لي في الاختصاء. فقال له رسول الله ﷺ «إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف» الحديث. ولابن ماجه من حديث عائشة بسند ضعيف النكاح «من سنتي» ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس «لكل نبي» وقال أبو يعلى «لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله» وفيه زيد العمى وهو ضعيف، ولأبي داود من حديث أبي أمامة «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله» وإسناده جيد.

(فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس، ولذلك شاور) عثمان **(رسول الله ﷺ)** واستأذنه **(إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل)**، فهذان الحالان لا يؤاخذ بهما العبد وهو مجمع عليه فيما لا يستقر من الخواطر ولا يقترن به عزم.

وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه، فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به.

وأما الرابع: وهو الهم بالفعل فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر، فإن كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وندماً على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئتـه وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوّة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لأنه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل، وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري.

(وأما الثالث: وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا مردد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه، فالاختياري منه يؤاخذ به، والاضطراري لا يؤاخذ به.

(وأما الرابع: وهو الهم بالفعل فإنه مؤاخذ به) قال الماوردي: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية، وإنما مرَّ ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هماً ويفرق بين الهم والعزم. هذا مذهب القاضي أبي بكر وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين، وأخذوا بظاهر الأحاديث وقال القاضي عياض: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة باعمال القلوب، **(إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن تركه خوفاً من الله تعالى وندماً على همه كتبت له حسنة لأن همه)** بذلك الفعل **(سيئة وامتناعه)** عنه **(ومجاهدته نفسه)** في تركه **(حسنة، والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوّة عظيمة فجدّه في مخالفة الطبع وهو العمل لله أشد من جدّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع، فكتبت له حسنة لأنه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل، وأن تعوّق الفعل لعائق أو تركه لعذر لا خوفاً من الله كتبت له سيئة، فإن همه فعل من القلب اختياري)** وقال القاضي عياض بعد أن صوّب ما ذهب إليه القاضي أبو بكر ونقله عن عامة أهل العلم ما لفظه: لكنهم قالوا إن هذا العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والأمانة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فتكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فأما الهم الذي لا يكتب فهو الخواطر التي

والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلاً في لفظ الحديث. قال رسول الله ﷺ: « قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن هو عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي ». وحيث قال: فإن لم يعملها أراد به تركها لله. فأما إذا عزم على

لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية عزم اهـ. قال النووي: هو ظاهر حسن لا مزيد عليه.

(**والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح**) لمسلم (**مفصلاً في لفظ الحديث**) رواه عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن همام عن أبي هريرة قال: (**قال رسول الله ﷺ « قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر**) به (**فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها**) له (**بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي »**) بفتح الجيم وتشديد الراء يقصر ويمد أي من أجلي. يقال: فعلته من جراك ومن جرائك ومن جريرتك أي من أجلك، (**وحيث قال لم يعملها أراد به تركها لله**). وعند البخاري فإن تركها من أجلي فاكتبوها حسنة زيادة على قوله أيضاً في لفظ: فإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها لأنه لا يلزم من مغفرتها كتابة حسنة بسبب تركها، وهو مقيد في الحديث بأن يكون تركها من أجل الله، وعليه يدل ما عند مسلم. إنما تركها من جرائي فإن التعليل بذلك دال على تصوير المسألة به، ووجهه أن تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس « ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة » فلم يقيد ذلك بأن يكون لأجل الله تعالى، فقد يمسك به على كتابتها حسنة، وإن لم يتركها لخوف الله تعالى. وقد حكى القاضي عياض عن بعض المتكلمين أنه ذكر في ذلك خلافاً وعلل كتابتها حسنة بأنه إنما حمله على تركها الحياء. قال القاضي عياض: وهذا ضعيف لا وجه له. قال الولي العراقي: والظاهر حمل هذا المطلق على ذلك المقيد فهو الذي يقتضيه الدليل وتساعده القاعدة والله أعلم.

وقال الخطابي: إذا لم يعملها تاركاً لها مع القدرة عليها لا إذا همّ بها فلم يعملها مع العجز عنها وعدم القدرة عليها، ولا يسمى الإنسان تاركاً للشيء الذي لا يتوهم قدرته عليه، وقوله عند مسلم: فاكتبوها بمثلها، وعند البخاري فأنا أكتبها له بمثلها أي إن جازيته على ذلك، وقد يتجاوز الله عنه فلا يؤاخذه بها. وفي لفظ مسلم في حديث ابن عباس « كتبها الله سيئة واحدة أو محاها الله » وعنده أيضاً من حديث أبي ذر « ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر » وعند البخاري معلقاً من حديث أبي سعيد الخدري « وكل سيئة يعملها له بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها » ووصله النسائي في سننه، وكذلك وصله الدارقطني في غرائب مالك من تسعة طرق.

فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة، وقد قال ﷺ: « إنما يحشر الناس على نياتهم ». ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقتل مسلماً أو يزني بأمرأة فمات تلك الليلة مات مصراً ويحشر على نيته، وقد همّ بسيئة ولم يعملها.

والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » فقيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: « لانه أراد قتل صاحبه ». وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً، فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم، بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة، ونقض العزم بالندم حسنة، فلذلك كتبت له

(**فاما إذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب**) من الأسباب (**أو بغفلة، فكيف تكتب له حسنة، وقد قال** ﷺ **« إنما يحشر الناس على نياتهم »**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله: « إنما » وله من حديث أبي هريرة « إنما يبعث الناس على نياتهم » وإسناده حسن، ولمسلم من حديث عائشة « يبعثهم الله على نياتهم » وله من حديث أم سلمة: « يبعثون على نياتهم ». (**ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ويقتل مسلماً أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرّاً**) على المعصية، (**ويحشر على نيته وقدهّم بسيئة ولم يعملها، والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله** ﷺ **انه قال: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما**) فقتل أحدهما صاحبه (**فالقاتل والمقتول في النار » فقيل: يا رسول الله هذا القاتل**) يستحق النار (**فما بال المقتول**) أي فما ذنبه؟ (**قال**) ﷺ (**« لأنه أراد قتل صاحبه »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي بكرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود، والنسائي، ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى ولفظهم جميعاً قال « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه أي إذا التقيا بآلة القتال يتقاتلان بها سيفاً كان أو غيره وإنما خص السيف لأنه أعظم آلته وأكثرها استعمالاً فكل منهما ظالم متعد ».

(**وهذا نص في أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة مع أنه قتل مظلوماً**) ولا يلزم من كونهما في النار كونهما في رتبة واحدة، فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والمقتول يعذب على القتال فقط وأفاد قوله حريصاً أن العازم على المعصية يأثم، وأن كلاً منهما كان قصد القتل لا الدفع عن نفسه، فلو قصد أحدهما الدفع فلم يندفع إلا بقتله فقتل هدر المقتول لا القاتل، ثم هذه المقاتلة يشترط فيها أن يكون عدواناً بغير تأويل سائغ ولا شبهة، فإما إذا كان بتأويل كقتال علي وطلحة فلا، فإن كلاً لديانته وفرط صيانته كان يرى أن الإمامة متعينة عليه لا يسوغ له تركها، (**فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم، وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به إلا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة**). وقد روى أحمد والبخاري في التاريخ

حسنة ، فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة ، وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ، ولذلك لما نزل قوله تعالى : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ﴾ [البقرة : ٢٨٤] جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا : كلفنا ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال ﷺ : « لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا » فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله : ﴿ لا يكلّف الله نفساً إلاَّ وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من

وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود « الندم توبة (**فلذلك كتبت حسنة ، فأما فوات المراد بعائق**) من العوائق (**فليس بحسنة، وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة، فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف لما لا يطاق، ولذلك لما نزل قوله تعالى**) ﴿لله ما في السموات وما في الأرض (**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**) فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (**جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ**) ثم جثوا على الركب (**فقالوا**) : يا رسول الله (**كلفنا**) من الأعمال (**ما**) نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ، و (**لا نطيق أن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك، فقال ﷺ « لعلكم تقولون**) وفي رواية: أتريدون أن تقولوا (**كما قالت بنو إسرائيل**) وفي لفظ: كما قال أهل الكتاب من قبلكم، (**سمعنا وعصينا**) بل (**قولوا ﴿سمعنا وأطعنا**) غفرانك ربّنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥] فاقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم، (**فأنزل الله الفرج بقوله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**) إلى آخرها . قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه اهـ.

قلت: وسياق المصنف أشبه بسياق أبي هريرة مع الزيادات التي سقتها في أثنائه دون قوله: إن أحدنا ليحدث إلى قوله بذلك، وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن حاتم وابن المنذر، وأما لفظ حديث ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم﴾ الآية دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء ، فقالوا للنبي ﷺ فقال: « قولوا سمعنا وأطعنا وأسلمنا » فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥] ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال قد فعلت ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: قد فعلت ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال: قد فعلت ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦] قال: قد فعلت. هكذا رواه أحمد ومسلم والترمذي والحاكم وابن جرير وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وأخرج عبد الرزاق وأحمد وابن جرير وابن المنذر بسند صحيح عن مجاهد قال: دخلت على

أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به، فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس. وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بدّ وان يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب، بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً؟ أي ما يدخل تحت الاختيار، فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري

ابن عباس فقال: إن هذه الآية لما انزلت غمت أصحاب رسول الله ﷺ غماً شديداً وغاظتهم غيظاً شديداً وقالوا: يا رسول الله هلكنا إن كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا» قال: فنسختها هذه الآية ﴿آمن الرسول﴾ إلى ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ فتجوّز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال.

وأخرج أبو داود في ناسخه وابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن مرجانة إنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ الآية فقال: والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه. قال ابن مرجانة: فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر. فقال ابن عباس: يغفر الله لأبي عبد الرحمن العمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر، فأنزل الله بعدها ﴿لا يكلف الله نفساً﴾ الآية آخر السورة. قال ابن عباس: فكانت هذه الوسوسة لا طاقة للمسلمين بها وصار الأمر إلى أن قضى الله أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت من القول والعمل.

وقد روي نحو ذلك من حديث علي وابن مسعود وغيرهما، وعند الفريابي وابن المنذر عن محمد ابن كعب القرظي قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أنؤاخذ بما تحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا؟ قال: «نعم فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا إلى ربكم فذلك قوله ﴿آمن الرسول﴾ الآية». فوضع الله عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر، وفي الآية أقوال أخر ذكرناها قريباً.

(**فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به، فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بدّ وان يغلط**) في ظنه ويخطيء في فهمه، (**وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلوب**) وعزمها، وقد تظاهرت نصوص الشرع وأقوال العلماء على تحريمها، (**بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً. أي مما يدخل تحت الاختيار، فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ بها**) وهذا معنى قولهم النظرة الأولى لك، (**فإذا اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً بها لأنه مختار**) ولولا اختياره لما نظر إليها ثانياً،

هذا المجرى، بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل. قال رسول الله ﷺ: «التقوى ههنا وأشار إلى القلب». وقال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج: ٣٧] وقال ﷺ: «الاثم حوّاز القلوب» وقال «البر ما اطمأن إليه قلب وإن أفتوك وأفتوك» حتى إنا نقول إذا حكم القلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئاً فيه صار مثاباً عليه، بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي، فإن صلّى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله. فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه. ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن انها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته. وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.

بيان أن الوسواس هل يتصوّر أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا ؟

وهذا معنى قولهم والثانية عليك، (**فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل. قال** ﷺ **«التقوى ههنا وأشار إلى القلب»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره، (**وقال تعالى ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التّقوى منكم﴾ وقال** ﷺ) فيما رواه ابن مسعود ما حاك فيصدرك فدعه (**«الاثم حوّاز القلوب»**) بتشديد الواو وبتشديد الزاي وجهان يعني ما يؤثر فيها فيحزها أو يحوزها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها وقد تقدم في كتاب العلم مفصلاً. (**وقال**) ﷺ (**«البر ما اطمأن إليه القلب**) وسكنت إليه النفس (**وإن أفتوك وأفتوك»**) رواه الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة بلفظ «وإن أفتاك الناس وأفتوك» وقد تقدما في كتاب العلم. فهذا وصف قلب مكاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبر، ولفظ حديث وابصة «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون» أي ان المفتين يعلمون معنى التأويل والرخصة من علمهم العلانية، وأنت على علم فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة على علمك السر، (**حتى إنا نقول: إذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئاً صار مثاباً على فعله**) نظراً لحكم القلب، (**بل من ظن أنه متطهر فعليه أن يصلي ثم تذكر كان له ثواب بفعله وإن ترك ثم تذكر كان معاقباً، ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته**) فوطئها (**لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية في الحقيقة، وإن ظن أنها أجنبية فوطئها عصى وإن كانت زوجته كل ذلك نظراً إلى القلب دون الجوارح**). فالقلوب تؤاخذ بأعمالها وعزومها كما أن الجوارح تؤاخذ بأعمالها.

بيان أن الوسواس هل يتصوّر أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا:

وفي بعض النسخ ينقلع بدل ينقطع.

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق:

فقالت فرقة: الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال: « فإذا ذكر الله خنس » والخنس هو السكون فكأنه يسكت.

وقالت فرقة: لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر كان محجوباً عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فإنه قد يتكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه.

وقالت فرقة: لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف.

وقالت فرقة: ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يُظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة، فإنك إذا أدرتها

(**اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب**) المحافظين عليها (**الناظرين في صفاتها وعجائبها**) ومالها من الأحوال الغريبة (**اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق**).

(**فقالت فرقة: الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لأنه قال** ﷺ) « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم (**فإذا ذكر الله خنس** ») رواه ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس وقد تقدم قريباً. (**والخنوس**) وفي بعض النسخ: والخنس (**هو السكوت**) المفهوم من الانقباض والتأخر ويستعمل لازماً ومتعدياً يقال خنسته فانخنس أي زويته فانزوى، (**فكأنه يسكت**) عن وسوسته فلا يتحرك بل يتطلب فرصة للغفلة عن الذكر فيعود إلى الوسوسة.

(**وقالت فرقة**) منهم (**لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر**) يظهر عليه (**لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر**) أي مستغرقاً به (**كان محجوباً عن التأثر بالوسوسة**) فهو (**كالمشغول بهمه، فإنه قد يكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه**) وعلى هذا المعنى يحملون الخنوس في الحديث.

(**وقالت فرقة**) منهم: (**لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً، ولكن تسقط غلبته للقلب**) أي لا يكون القلب مغلوباً للاثر عند الذكر، وفي بعض النسخ غلبتها أي الوسوسة، (**وكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف**).

(**وقالت فرقة**) منهم: (**ينعدم عند الذكر في لحظة**) أي حال الذكر ينعدم (**وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان**) على القلب (**في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوية وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة، فإنها إذا أُديرت بسرعة رأيت النقط دوائر لسرعة**

بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة، واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر، ولا وجه له إلا هذا.

وقالت فرقة: الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقاً لا ينقطع، وكما أن الإنسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة، فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين، فقد قال ﷺ: « ما من عبد إلا وله أربعة أعين: عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه » وإلى هذا ذهب المحاسبي. والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة باصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه.

والوسواس أصناف:

الأول: أن يكون من جهة التلبيس بالحق، فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول

تواصلها بالحركة، واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد) في الحديث بأنه عند الذكر يحصل له ذلك، **(ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر)** في حال واحد **(ولا وجه له إلا هذا)** وإلى هذا ذهب صاحب القوت، فإنه قال: وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية بهذه الأسباب يوجدان في طرفة عين، فتصير أجزاء العبد جزأ واحداً ومفصلاته تعود بالمراد منه وصلاً واحداً كالبرقة في السرعة بتقلب القدرة على المشيئة إذا قال له: كن فيكون.

(وقالت فرقة) منهم: **(إن الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقاً لا ينقطع، وكما أن الإنسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين مختلفين، فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين، وقد قال رسول الله ﷺ « ما من عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه، وفيه الحسن بن محمد الهروي الشماخي الحافظ كذبه الحاكم والآفة منه اهـ.

قلت: ولفظ الديلمي « ما من عبد إلا وفي وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا » ثم ساق الحديث. وفي آخره « فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح الله عينيه اللتين في قلبه فابصر بهما، وإذا أراد غير ذلك تركه على ما فيه ثم قرأ ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ » [محمد: ٢٤] **(وإلى هذا ذهب)** الحرث بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى وأشار إليه في الرعاية. **(والصحيح عندنا في هذا أن كل هذه المذاهب صحيحة)** ولها وجوه ومخارج، **(ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد من الوسواس، فأخبر عنه والوسواس أصناف.**

الأول: أن يكون من جهة التلبيس بالحق، فإن الشيطان قد يلبس الحق) ويغطيه

للإنسان لا تترك التنعم باللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم، فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه: الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه، ولا بدّ من أحدهما، فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له: النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه، وكذلك يوسوس إليه بالعجب بعمله فيقول: أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى: فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى، فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان؟ إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه، فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة.

الصنف الثاني: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها، وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن، فإن علمه يقيناً خنس الشيطان عن

(**فيقول للإنسان: لا تترك التنعم**) في الدنيا (**واللذات**) بمتاعها. وفي بعض النسخ التنعم باللذات (**فإن العمر طويل**) والأجل المحتوم بعيد (**والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم**) وإذا وسوس له بذلك، (**فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم عقابه وثوابه وقال: الصبر عن الشهوات شديد، ولكن الصبر على النار أشد منه. ولا بدّ من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب**) وتأخر وانقبض (**إذ لا يستطيع أن يقول: ليس النار أشد من الصبر عن المعاصي، ولا يمكنه أن يقول: المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه، وكذلك يوسوس إليه بالعجب في عمله ويقول: أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبد الله كما تعبده، فما أعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد أن معرفته**) وقدرته (**وقلبه وأعضاءه التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله، فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان**) ويتأخر؟ (**إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله لأن المعرفة والإيمان**) كل منهما (**يدفعه، فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين**) بالله (**بنور الإيمان والمعرفة**) فهذا وجه من قال إنه ينقطع بالكلية.

(**الصنف الثاني: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهيجها**) وإثارتها، (**وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن، فإن علمه يقيناً خنس الشيطان**

تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج، وإن كان مظنوناً فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة، ولكنها مدفوعة غير غالبة.

الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتذكر في غير الصلاة مثلاً، فإذا أقبل على الذكر تصوّر أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة، ويتصوّر أن يتساوقا جميعاً حتى يكون الفهم مشتملاً على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب. وبعيد جداً أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر، ولكنه ليس محالاً إذ قال عليه السلام «من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه» فلولا أنه متصوّر لما ذكره إلا أنه لا يتصوّر ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوّه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه، وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه، ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه، وإذا تصوّر

عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن) أصل **(التهييج، وإن كان مظنوناً فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة)** ومعالجة شديدة **(في دفعه، فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة)** وهذا وجه من مال إلى قول الفرقة الثانية.

(الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكير الأحوال الغائبة والتفكير في غير الصلاة مثلاً فإذا أقبل على الذكر تصوّر أن يندفع ساعة ويعود) أخرى، **(فيندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة)** معاً على القلب، **(ويتصوّر أن يتساوقا جميعاً حتى يكون الفهم مشتملاً على فهم معنى القراءة، وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جداً أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال** ﷺ **«من صلّى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»)** تقدم في كتاب الصلاة، **(فلولا أنه متصوّر لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر)** المغلوب على عقله، **(فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ وتأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوّه بحيث لا يخطر بباله غيره، وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه)** لاستغراقه فيه، **(ولو كلمه غيره لم يسمع)** أي لم يعر له سمعاً **(ولو اجتاز)** أي مرَّ **(واحد بين يديه كان)** في حال **(كأنه لا يراه، وإذا تصوّر هذا**

هذا في خوف من عدوّ وعند الحرص على مال وجاه، فكيف لا يتصوّر من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر». وإذا تأملت جملة هذه الاقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهاً، ولكن في محل مخصوص.

وبالجملة، فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمراً طويلاً بعيد جداً، ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ. فقد روي أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلّم رمى بذلك الثوب وقال: «شغلني عن الصلاة» وقال: «اذهبوا به إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانيته» وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال «نظرة إليه ونظرة إليكم» وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب ـ وكان ذلك قبل تحريم الذهب ـ فلذلك لبسه ثم رمى به ـ فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئاً وراء حاجته ولو ديناراً واحداً لا يدعه الشيطان في صلاته من

من خوف عدوّ. وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصوّر من خوف النار والحرص على الجنة، ولكن ذلك عزيز) قليل الوجود **(لضعف الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوساوس علمت أن لكل مذهب من المذاهب)** للفرق المتقدمة **(وجهاً)** وجيهاً، **ولكن في محل مخصوص)**.

(وبالجملة، فالخلاص من الشيطان في لحظة) واحدة **(أو ساعة)** واحدة **(غير بعيد، ولكن الخلاص منه عمراً طويلاً)** وزماناً طويلاً وزماناً مديداً **(بعيد أو محال في الوجود)** لا يكاد يتيسر، **(ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ، وقد روي أنه ﷺ نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمي ذلك الثوب وقال: «شغلني عن الصلاة»)** تقدم في كتاب الصلاة، **(وكان)** ﷺ **(في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رماه وقال: «نظرة إليه ونظرة إليكم»)** رواه النسائي من حديث ابن عباس، وقد تقدم أيضاً في الصلاة، **(وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وطراز الثوب، وكان ذلك قبل تحريم الذهب، فلذلك لبسه ثم رماه)** وهو بإجماع العلماء من السلف والخلف إلا ما كان من ابن حزم الظاهري فإنه جوز لبس خاتم الذهب للرجال وهو ضعيف لمخالفته النصوص، **(ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة)** فيكون سبباً للخلوص والإخلاص، **(فما دام يملك شيئاً وراء حاجته**

الوسوسة في الفكر في ديناره، وأنه كيف يحفظه فيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد؟ أو كيف يظهره حتى يتباهى به؟ إلى غير ذلك من الوساوس. فمن أنشب مخالبه في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الذباب لا يقطع عليه فهو محال، فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة. قال حكيم من الحكماء: الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه، فيعجب بنفسه وبه يهلكه. وعند ذلك تشتد الحاجة فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة.

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات:

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار

ولو ديناراً واحداً فلا يخليه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أو كيف يظهره حتى يتباهى به) بين أقرانه **(إلى غير ذلك من الوساوس)** وهذا أصعب ما يكون، **(فمن أنشب مخالبه في الدنيا)** ورتع فيها **(وطمع أن يتخلص عن الشيطان كان)** مثله **(كمن انغمس في العسل)** في الصيف، **(وظن أن الذباب لا يقع عليه وهو محال. فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد)** حتى يحترز عنه، **(بل أبواب)** كثيرة وبعضها أصعب من بعض. **(قال حكيم من الحكماء)** العارفين: **(الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع)** منها **(أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعته)** ويحسن له إياها، **(فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى)** من ذلك **(شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه. وعنده يشتد لحاجة فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة)** فآخر أعماله إذا عجز عن ابن آدم إيقاعه في العجب وهو سوس الأعمال وبه يتم الهلاك، فإن سلم منه نجا بعمله أعاذنا الله منه، وقد يستأنس لهذا القول بما مر آنفاً من الحديث: « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام » الخ فراجعه.

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات:

(اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار

والأحوال من الأبواب التي وصفناها ، فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب ، فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته ، فإن نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه ، وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره ، وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره ، فتارة يكون متنازعاً بين ملكين وتارة بين شيطانين ، وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملاً

والأحوال) المختلفة **(من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب ، فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير وصفه ، فإن نزل الشيطان به فدعاه إلى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه ، وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره ، وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره ، فتارة يكون متنازعاً بين ملكين ، وتارة بين شيطانين ، وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملاً)** فالخواطر الواردة على القلب أربعة : خاطر ملكي ، وخاطر شيطاني وهما الأصلان المفهومان من حديث اللمتين المتقدم ذكره قريباً ، وخاطر روحي وخاطر نفسي وهما الفرعان . وفي كلام بعضهم أن حركة النفس والروح هما الموجبتان للمتين . والصحيح أن اللمتين تتقدمان على حركة الروح والنفس ، فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح ، وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك ، وحركة النفس من لمة الشيطان ، ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهي شؤم لمة الشيطان ، فإذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبتل حكيم ، وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحي أثر أحدهما بالآخر كما تقدم بيانه قريباً . والمتفطن المتيقظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته من باب أنس ويبقى أبداً مفتقداً حاله مطالعاً آثار اللمتين ، وذكروا خاطرين آخرين : خاطر العقل وخاطر اليقين ، فخاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز وإثبات الحجة على العبد ليدخل العبد في الشيء بوجود عقلي . إذ لو فقد العقل سقط العتاب والعقاب ، وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختاراً ويستوجب به الثواب . وقد تقدمت الإشارة إلى أنه ليس من العقل خاطر على الاستقلال ، وإنما أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس ، وأما خاطر اليقين فهو روح الإيمان ومزيد اليقين وحاصله راجع إلى ما يرد من الحق سبحانه .

وقال صاحب القوت جل الخواطر ستة : هي حدود القلب وقوادحه من ورائها خزائن القلب وملكوت القدرة وهي جنود الله تعالى ، والقلب خزانة من خزائن الملكوت وقد أودعه قبله من لطائف الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من أنوار العصمة والجبروت ، فأول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو ، وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين وهما مذمومان محكوم لهما بالسواء لا يردان إلا بالهوى وضد العلم وخاطر الروح وخاطر الملك ، وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين وهما محمودان لا يردان إلا بحق ، وبما دل عليه العلم وخاطر العقل متوسط بين هذه الأربعة يصلح للمذمومين

وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ [الأنعام: ١١٠] ولاطلاع رسول الله ﷺ على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول: « لا ومقلب القلوب ». وكان كثيراً ما يقول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ». قالوا: أو تخاف يا رسول الله؟ قال: « وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ». وفي لفظ آخر: « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن

فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول، ويصلح أيضاً أن يكون للممدوحين فيكون شاهداً للملك ومؤيد الخاطر الروح. والخاطر السادس: هو خاطر اليقين وهو روح الإيمان ومزيد العلم يردان إليه ويصدران عنه، وهذا الخاطر مخصوص لخصوص لا يجده إلا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد إلا بحق، وإن خفي وروده ودق ولا يقدح إلا بعلم اختيار المراد مختار، وإن لطفت أدلته وبطن وجه الاستدلال به، ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصود به مراد له وهم الذي وصفهم الله تعالى بالذكرى فقال: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق: ٣٧] أي من تولى الله تعالى حفظ قلبه، وسائر ما ذكرناه من الخواطر لا يعدمه المؤمنون، والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب وهذه المعاني جنود الله تعالى مقيمة حول القلب يخفي منها ما يشاء ويظهر، ويبدىء منها ما يريد ويعيد، ويبسط القلب بما يشاء منها ويقبضه فيما يشاء عنها، ثم قال: وقد أجمل الله تعالى ذكر تقليب الكون بمشيئته في قوله: ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ [النور: ٤٤] والمعنى بما فيهما لأنهما ظرفان للأشياء معبر عنهما فهما كقوله عز وجل: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣] والمعنى مكركم في الليل والنهار فعبر بهما عن مكرهم لأنهما مكانان لمكرهم.

(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ ولاطلاع رسول الله ﷺ على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقليبه) لما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد في المقلبات مما لم يشهده سواه **(كان يحلف به فيقول: « لا ومقلب القلوب »)** رواه البخاري من حديث ابن عمر، **(وكان كثيراً ما يقول)** في دعائه **(« يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالوا: وتخاف يا رسول الله؟ قال: « وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء »)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس وحسنه، والحاكم من حديث جابر. وقال: صحيح على شرط مسلم، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر: « واللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ». **(وفي لفظ)** حديث **(آخر: « إن شاء أن يقيمه اقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه »)** قال العراقي: رواه النسائي في الكبير، وابن ماجه، والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان: « ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه » وللنسائي في الكبير باسناد جيد من حديث عائشة نحوه اهـ.

قلت: لفظ حديث النواس عند الجماعة « ما من قلب إلا وهو معلق بين أصبعين » والباقي

يزيغه أزاغه ». وضرب له ﷺ ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة ». وقال عليه السلام: « مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غلياناً ». وقال « مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن ». وهذه التقلبات

سواء. وفي آخره: « والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة » وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير. وأما لفظ حديث عائشة « ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه » فكذلك رواه ابن عساكر وابن النجار في تاريخيهما.

(وضرب له) رسول الله **(ﷺ ثلاثة أمثال فقال: « مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة »)** قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص ولفظهم: « إن قلب ابن آدم مثل العصفور فيتقلب في اليوم تسع مرات ».

قال العراقي: وورواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيدة غير منسوبوقال لا أدري له صحبة أم لا.

(وقال) ﷺ (« مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غلياناً ») ولفظ القوت: إذا استجمعت في غليانها وتقدم للمصنف قريباً بلفظ: « قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غليانها ». وقال العراقي: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد ابن الأسود اهـ.

قلت: ولفظها: « لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياناً ».

(وقال) ﷺ: (« مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن ») قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن، وللبزار نحوه من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ حديث أبي موسى عند الطبراني: « مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض » والباقي سواء، ولفظه عند البيهقي: « مثل القلب كمثل ريشة » والباقي كسياق المصنف، وكذلك رواه ابن النجـار في التاريخ، وورواه ابن ماجة بلفظ: « مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة » وأما لفظ حديث أنس عند البزار: « مثل المؤمن كريشة بفلاة تقلبها الرياح مرة وتفيئها أخرى ». وهذه الأمثلة الثلاثة أوردها صاحب القوت ثم قال: فالقلب مكان للتقليب بما فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار مكانان للأحكام بالتصريف من اختلاف الأزمان في الأوقات والإيمان بتقليب القلوب، وبأن المقلب سبحانه يحول بين القلب وصاحبه واجب والكون بأسره عند

وعجائب صنع الله تعالى في تقليبها من حيث لا تهتدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى.

والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه، ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بدّ من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العلم به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيباً في جوهره طاهراً بتقواه مستنيراً بضياء العقل معموراً بأنوار المعرفة فيراه صالحاً أن يكون

الموحدين في القدر بالقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر تعالى، وليس في القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد، ولا يحتاج إلى زمان ولا مكان، فما ظهر من الملك وثبت للعيون بمكان وزمان فلأجل الحكمة والصنع والاتقان وما خفي من الملكوت وتقلب ببصائر القلوب فبلطف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين.

(وهذه التقليبات وعجيب صنع الله في تقليبها من حيث لا يهتدي إليه لا يعرفه إلا المراقبون لقلوبهم والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى) .

(والقلوب في الثبات على الخير والشر والترديد بينهما ثلاثة):

أحدها: **(قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق)** والترتيب في هذا المقام غير مراعي، فإن التطهير عن الخبائث هو أول ما يكون ثم التزكية بالرياضة ثانياً، فالذي ينتج عنهما عمارة القلب بالتقوى فهو آخر المراتب جعله أولاً أو يكون المراد بعمارته بالتقوى الاتقاء من الشرك المضاد للتوحيد، ثم التزكية بالرياضة هو أعمال الجوارح ثم التطهير عن الخبائث هو انشراحه بنور اليقين حسبما قسم له. **(تنقدح فيه خواطر الخير)** وهي التي ترد من الله تعالى بواسطة الملائكة **(من خزائن الغيب ومداخل الملكوت)** الأعلى، **(فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده، فينكشف له بنور البصيرة وجهه)** ويتبين له أمره **(فيحكم بأنه لا بد من فعله ويستحث عليه ويدعو إلى العمل به)** وهذا القلب هو المتطلع إلى الروح العلوي الميال إليه وهو القلب المؤيد الذي ورد فيه أنه أجرد فيه سراج يزهر، **(فينظر الملك إلى)** هذا القلب **(فيجده طيباً في جوهره)** أي في تكونه في أصل خلقته عند سكون الروح إلى النفس **(طاهراً بتقواه مستنيراً بضياء العقل معموراً بأنواع المعرفة)** مغموراً بأنوار اليقين، **(فيراه صالحاً لأن يكون مستقراً له**

له مستقراً ومهبطاً ، فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير ، وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ★ وصدق بالحسنى ★ فسنيسره لليسرى ﴾ [الليل : ٥ ـ ٧] وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ، فلا

ومبهطاً) لتنزلاته ، **(فعند ذلك يمده بجنود)** معنوية **(لا ترى وبهداية إلى خيرات أخرى)** تتراءى **(حتى ينجر الخير إلى الخير و)** هلم جرا ، **(كذلك على الدوام لا يتناهى إمداده بالترغيب في الخير)** في كل لحظة **(ويتسير الأمر عليه)** في كل حركة وسكون. ولفظ القوت : وإن أراد الله تعالى إظهار خير وإلهام تقوى من خزائن الملكوت حرس الروح بخفي اللطف فتحرك بأمره تعالى فقدح من جوهرها نوراً ساطعاً في القلب فظهرت همة عالية وهمة الخير ترد بأحد ثلاثة معان لا تحصى فروعها ، لأن همة كل عبد في الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه ، فأحد الأصول مسارعة إلى أمر بفرض أو ندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون مظنة له أظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت ، والمعنى الثالث تحمل مباح من تصرف فيما يعني بما يعود صلاحه عليه أو استراحة للنفس بما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الأفكار القلبية تكون حملاً لكربه وتخفيفاً لثقله . فهذه مرافق للعبد وفي كلها رضاه تعالى ، فامضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض ، فإذا أراد الله إظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب ، فاثرت فينظر الملك القلب فيرى ما أحدث الله فيه فيظهر مكانه فيتمكن ، والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة فيلقي الإلهام وهو حضوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتنفيذ ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد ، وينظر الملك إلى اليقين فيشهد للملك بذلك ، فيطمئن العقل ويسكن إلى شهادة اليقين فيصير مع الملك فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر ، فيقوى سلطان اليقين لصفاء الإيمان وتندرج ظلمة الهوى في أنوار اليقين ، وتنطفىء شعلة الشهوة لظهور نور الإيمان وزينة الحياء فتضعف صفات النفس بسقوط الشهوة ، ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الإيمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم ، فتغلب الهداية لمزيد الإيمان وسعة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق : ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف : ٢١] **(وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿فأما من أعطى واتقى ★ وصدّق بالحسنى ★ فسنيسره لليسرى﴾)** فالإعطاء إشارة إلى تزكية العمل ، والاتقاء هو عمارة القلب بالتقوى والتصديق بالحسنى . **(وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية)** ، فالقلب بمنزلة القنديل وعلى قدر رقته ولطيف جوهره وصفائه عن كدره وحسن طهارته عن الأكدار تكون العلوم الحسنة فيه والأنوار ، وجوهر الزجاجة يحتاج إلى صفاء الماء ، كما أن صفاء الماء يحتاج إلى صفاء الجوهر ، ومعيارهما يكون القلب والعقل ووقود النار يحتاج إلى قوة الفتيلة فموضعها في القوة يكون العلم بالله تعالى واليقين ، **(حتى لا يخفي فيه الشرك الخفي الذي**

يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غروراً فلا يلتفت إليه. وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معموراً بالمنجيات ـ التي سنذكرها ـ من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك. وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى: ﴿ألاَ بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] وبقوله عز وجل: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ [الفجر: ٢٧].

القلب الثاني: القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين، المسدود عنه أبواب الملائكة. ومبدأ الشرفية أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه

هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء) روى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن عباس: « الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل على الصفا » وروى الحاكم، وأبو نعيم في الحلية: « الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء » الحديث. قال صاحب القوت: وهذا لا يعدمه المؤمنون إلا الصديقون. **(ولا يخفى على هذا النور خافية)** بل ينكشف له حقائق الأشياء، **(ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف الشيطان)** من بعيد **(ويوحي زخرف القول غروراً ولا يلتفت إليه)** وليس عليه سبيل، **(وهذا القلب بعد طهارته من)** الصفات **(المهلكات)** وأعظمها الجهل والطمع وحب الدنيا **(يصير على القرب معموراً بالمنجيات التي سنذكرها)** بعد **(من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك)** مما سيأتي ذكره في الربع الأخير، **(وهو القلب الذي أقبل الله عليه بوجهه)** فسلبه عن أن يكون فيه مستكن لغيره **(وهو القلب المطمئن المراد بقول الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾)** أي تسكن لجلال تجلياته وتنشرح، وهو المراد من حديث حذيفة أن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في تقسيمه القلوب على ما تقدم، **(والمراد بقوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة)** ارجعي﴾ وهذا مخرج على أن القلب يتكون من سكون النفس إلى النفس كما تقدم.

(القلب الثاني: القلب المخذول) الموصوف بالخذلان المضاد للتوفيق **(المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالأخلاق الذميمة)** مثل الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها **(المفتحة فيه أبواب الشياطين المسدودة عنه أبواب الملائكة، ومبدأ الشرفية أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه)** وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر الهوى وهي الجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر ضعف هذه الثلاثة وقوتها ويظهر خاطر الهوى في القلب على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وخفائها، **(فينظر القلب إلى حاكم العقل**

الصواب فيه ، فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته ، فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزين والغرور والأماني ، ويوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ، ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفىء أنواره ، فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ، ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى

ليستفتي منه) إذا رد إليه الفتوى بإذن الشارع ، **(ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته فتسول النفس)** وتزين **(وتساعد عليه)** وذلك لأن بين القلب والنفس مناغاة ومحادثات وتردداً وتآلفاً فيكون أنسه بالهوى إنما هو بتسويل النفس له من قول أو فعل ، فيواقعها أحياناً فتروم عليه النفس من نواحيه وتحسن له تلك الموافقة ، **(فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل)** أي تأخره **(عن مدافعته ، فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى)** في جوانبه **(فيقبل عليه)** حينئذ عن قرب **(بالتزين والغرور والأماني)** الكاذبة ويخدعه بها **(ويوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً ، فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة إذ يتصاعد من الهوى)** عند التمكن **(دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه)** فيحجب البصيرة **(حتى تنطفىء أنواره ، فيصير العقل)** فيه **(كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا تقدر على أن تنظر)** إلى شيء ، **(وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب)** إذا استولت عليه أعمت بصيرته **(حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار)** في جليات الحقائق ، **(ولو)** فرض أنه **(بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه)** وأفهمه بحسن تقريره **(عمي عن الفهم وصم عن السمع ، وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى ، وظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدر)** .

ولفظ القوت : وإذا أراد الله بعبد هلكة وكان قد حكم بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة بهوى النفس إلى العقل ، فراجع العقل النفس فسولت وطوعت ، فسكن العقل واطمأنّ إلى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل ، وانتشر الهوى في القلب لشرح الصدر وتوسعته ،

وقدره، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً* أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤] وبقوله عز وجل: ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ [يس: ٧] وبقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [يس: ١٠] ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء، ولكنه إذا رأى وجهاً حسناً لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط إمساك قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرئاسة والكبر، ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه، أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه، أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى، فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتنطفىء منه أنواره فينطفىء نور الحياة والمروءة والإيمان، ويسعى في تحصيل مراد الشيطان.

القلب الثالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان

فقوي سلطان العدوّ لاتساع مكانه، وأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً، فضعف سلطان الإيمان لقوة سلطان العدوّ، وخبا نور اليقين لآثار ظلمة الهوى فقويت صفات النفس لضعف القلب، واشتعلت نيران الشهوة لخمود نور الإيمان فغلب الهوى لقوة الشهوة فأحرقت العلم والإيمان فارتفع الحياء واستتر الإيمان بالشهوة، فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء.

(وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً* أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾) وبقوله تعالى: (**﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ وبقوله**) تعالى: **﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾**[1] وهذا هو القلب المنكوس الذي ذكر في حديث حذيفة عند تقسيم القلوب، وهو الميال إلى النفس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣].

(القلب الثالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فيدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير) وهذا هو القلب المتردد بينهما وبحسب غلبة ميله يكون حكم السعادة

---

(١) الكلام الذي ورد في المتن بعد هذه الآية من قوله: «ورب قلب...» حتى «القلب الثالث» لم يرد في الشرح.

فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر ، وقلة اكتراثها بالعواقب ، فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى، ويقول : ما هذا التحرج البارد ، ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك ؟ وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه ؟ أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً متعوباً يضحك عليك أهل الزمان؟ أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان ، وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا ؟ أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شراً لامتنع منه فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه ، فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول : هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد ؟ أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار ؟ أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم

والشقاوة ، كما أشار إليه المصنف بقوله : (**فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوي الشهوة ويحسن التمتع**) والتلذذ (**والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الشر ، ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب**) وهذا هو معاقبة القلب للنفس حين تكدره منها فيما انطلقت فيه بهواها ، وذلك يكون عند عود العبد من مواطن مطالبات النفس والإقبال على الذكر والمراقبة ، (**فتميل النفس إلى نصح العقل**) وتضعف قوتها وهذا الميل منها إليه بموجب الإلفة التي جعل الله بينهما إن كان تكونه منها عند سكونها مع الروح ، (**فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول : ما هذا التحرج البارد**) والتكلف الذي لا معنى له ، (**ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه فتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً متعوباً يضحك عليك أهل الزمان؟ أتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان**) ويسميهم بأسمائهم (**وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا**) من التمتع بالملاذ ؟ (**أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شراً لامتنع عنه؟**) أتريد أن تكون أفضل منه ، (**فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه**) بمقتضى جبلتها الأصلية وتلقي نصح القلب إلى ورائها ، (**فيحمل الملك على الشيطان ويقول : هل هلك إلا من اتبع لذة الحال**) في العاجل (**ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة**) قريبة الزوال ، (**وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد**) لا تنقطع (**أم تستثقل ألم الصبر عن شهوة**) زائلة أي تعده ثقيلاً عليك (**ولا تستثقل ألم النار**) التي من

ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك ؟ أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص ؟ فكيف تخالف الناس خوفاً من حر الشمس ولا تخالفهم خوفاً من حر النار ؟ فعند ذلك تتمثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به ، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضاً عن حزب الله تعالى وأوليائه ، ومساعداً لحزب الشيطان وأعدائه ، وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى . وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه ، فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ـ أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب ـ أعني التقليب والانتقال من

عذب بها لم يفلح . (**أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم وإتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان؟ مع أن عذاب النار لا يخف عنك بمعصية غيرك . أرأيت لو كنت في**) زمان (**صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد**) مظلل (**أكنت مساعداً للناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفاً من حرّ الشمس ولا تخالفهم خوفاً من حر النار ، فعند ذلك تميل النفس إلى قول الملك : فلا يزال**) متردداً (**بين الجندين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب من هو أولى به ، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها**) من الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها ، (**غلب الشيطان**) وكانت تلك الصفات جنداً له ومداخل إلى القلب ، (**ومال القلب**) بحكم الغلبة (**إلى جنسه من أحزاب الشياطين معرضاً عن حزب الله تعالى ، وأوليائه** ومساعداً **لحزب الشيطان وأعدائه ، وجرى**) بسبب ذلك (**على أعضائه بسابق**) القضاء (**والقدر ما هو سبب بعده عن**) حضرة (**الله تعالى ، وإن كان الاغلب على القلب الصفات الملكية**) التي تقدمت الإشارة إليها (**لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان**) أي لم يمل (**وتحريضه إياه على العاجلة**) أي الدنيا (**وتهوينه أمر الآجلة**) أي الآخرة ، (**بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه ، وقول رسول الله** ﷺ : « **قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن** ») كما تقدم ذكره (**أي بين تجاذب هذين الحزبين**) المفهوم من قوله في تفسيره إن المراد به تحت قبضة قهره وقدرته ، (**و**) هذا (**هو الغالب أعني التقلب والانتقال من حزب إلى حزب**) حتى بالغوا في ذلك وقالوا :

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... وما القلب إلا أنه يتقلب

حزب إلى حزب، أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين. وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت وهي أيضاً إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي، وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان فإنه بأنوع الحكم يغرّ الحمقى بقوله: إن الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم، وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غداً ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان

فالتقلب والانتقال من شأن القلب هذا هو الأصل.

(أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو حزب الشياطين فنادر من الجانبين) قليل الوقوع. واعلم أن أعمال العباد لا تخلو عن ثلاثة أنواع: فرض ونفل ومعصية. فالفرض: بأمر الله تعالى ومحبته ومشيئته تجتمع هذه المعاني الثلاث في الفرائض، والنفل: بأمر الله تعالى إلا أنه لم يوجبه ولم يعاقب على تركه ولكن بمحبته تعالى، والمعصية: بمشيئته إلا أنه قد كرهها إذا لم يأمر بها ولم يندب إليها، ولكن بمشيئته إذ لا يخرج شيء عن إرادته كما لا يخرج شيء عن علمه والإرادة والمشيئة اسمان لمعنى واحد قد دخل كل شيء فيهما كما دخل كل شيء في العلم. قال تعالى ﴿فعال لما يريد﴾ [هود: ١٠٧] فهو عالم بما أراده، كذلك هو مريد لما علمه أظهرت ارادته سابق علمه وكشف علمه الغيب ظهور ارادته الشهادة، فالغيب علمه، والشهادة معلومة. فكيف يخالف المعلوم العلم وهو إجراء ما ينفذ ارادته سابق علمه في معلومات خلقه، وهذا فرض التوحيد. فخرجت النوافل عن الأمر وخرجت المعاصي عن المحبة في تفصيل الأحكام ولم تخرج معصية عن مشيئته، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن **(هذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب، فإنه من خزائن الملكوت وهي إذا ظهرت كانت علامات)** وأمارات **(تعرف أرباب القلوب سابق القضاء، فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة وأسبابها، ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعصية وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان)** وإذا كانت الأشياء بعلمه جاريات جعل تسليط العدوّ بسلطانه كشفاً وإظهاراً لما أخفاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد الظاهرة كشفاً وإظهاراً لارداته الباطنة، وورد في بعض الأخبار سبق العلم وجف القلم وقضى القضاء وتم القدر بالسعادة من الله عز وجل لأهل طاعته، وبالشقاء من الله تعالى لأهل معصيته. كذا نقله صاحب القوت. وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» **(فإنه)** أي الشيطان **(بأنواع الحكم يغر الحمقى)** أي يوقعهم في الغرور **(كقوله: إن الله)** غفور **(رحيم فلا تبال)** مما صنعت **(فإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم، وإن العمر طويل)** والأجل بعيد **(فاصبر)** اليوم واعمل خلاصك فيه **(حتى تتوب غداً)**. ولفظ القوت والخاطر بعد الهمة هو ظهور العدوّ على

إلا غروراً﴾ [النساء : ١٢٠] يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل، وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق. وكل ذلك بقضاء من الله وقدر ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء﴾[الأنعام: ١٢٥] ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ [آل عمران: ١٦٠] فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه. خلق

القلب يزين الهمة وعلى العبد يرجى ويقسم له في أهله ويمنيه التوبة حتى يهوّن عليه المعصية ويعده بعدها المغفرة حتى يجرئه على الخطيئة، وهذا هو الوعد بالغرور وبعد الهلاك والثبور، كما قال تعالى: (**﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ يعدهم: أي بالتوبة ويمنيهم أي بالمغفرة فيهلكهم الله**) تعالى (**بهذه الحيل وما يجري مجراها، فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء الله وقدره**). ولفظ القوت: وهذا كله تصديق ظن العدوّ بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن مقام البعد وكشف لعلم الله تعالى بإظهار الحكم وانفاذ المشيئة، وهو الابتداء بالأسباب فصار العدوّ سبباً، وقد قال الله تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنَّه فأتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [سبأ: ٢٠] ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقد قال تعالى: ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ يعني بحوله وقوّته ولا بقهره ومشيئته إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك. وهذه الأوصاف المذمومة العبد مبتلى بها على تضادد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزين العبد له وتسلطه عليه، **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾** بأن يقذف في قلبه النور فينشرح له الصدر **﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء﴾** قيل: معنى يشرح يوسع قلبه للتوحيد والايمان به، وقوله (**ضيقاً حرجاً**) أي شاكاً (**كأنما يصّعّد في السماء**) أي كما أن ابن آدم لا يستطيع أن يبلغ السماء كذلك لا يقدر أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله تعالى في قلبه. كل ذلك روي عن ابن عباس أخرجه عبد بن حميد. وقيل: ضيقاً حرجا أي ملتبساً رواه أبو الشيخ عن قتادة.

ويروى ان عمر بن الخطاب قرأ يوماً بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ ضيقاً حرجاً بفتح الراء، فقالوا: يا أمير المؤمنين (**حرجاً**) بكسر الراء. فقال: ابغوا لي رجلاً من كنانة فأتوه به، فقال له عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال له عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن النذر. **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾** ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس: ١٠٧] (**فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد**) فإذا كان

الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة، وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي، وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال: ﴿إن الأبرار لفي نعيم★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] ثم قال تعالى فيما روي عن نبيه ﷺ: « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » فتعالى الله الملك الحق ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة، وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة

الهادي هو المضل فمن يهدي، وقد قال الله تعالى: ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ [النحل: ٣٧] أي فإن الله تعالى من شأنه أن أحداً لا يهدي من أضله، ومن كان أضله الله تعالى في سابق علمه فكيف يهديه الآن؟ فإذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي؟ ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر أن يوصل إلى قلبه من قلبه ذرة ولا قدر أن ينفع نفسه بنفسه خردلة لأن قلبه وإن كان جارحة فهو خزانته وله فيه ما لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما في قلبه، فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب فإذا كان المالك عزيزاً واجباً، وكان كل شيء بيده لم يوصل إلى ما عنده بقوّة ولا حيلة، فليس الطريق إليه إلا الصدق والإخلاص والذل والافتقار.

(**لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة**) ويسّر لهم أسبابها، (**وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل النار و**) علامة (**أهل الجنة فقال: ﴿إن الابرار لفي نعيم★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ ثم قال تعالى: فيما يروى عنه نبينا ﷺ « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي »**) قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انه مضطرب الإسناد اهـ.

قلت: وأخرج البزار والطبراني وابن عساكر من حديث أبي الدرداء « خلق الله آدم فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم اللبن ثم ضرب كفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم اللحم فقال للذين على يمينه هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال للذين على يساره هؤلاء في النار ولا أبالي ».

(**فتعالى الله الملك الحق**) لا إله إلا هو كل ذلك من خالق النفس ومسوّيها وجبار القلوب ومقلبها حكمة منه وعدلاً لمن شاء ومنّة وفضلاً لمن أحب، كما قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك﴾ [الأنعام: ١١٥] أي الهداية والإضلال صدقاً لأوليائه ما وعدهم من الثواب وعدلاً على أعدائه ما أعدلهم من العقاب، ثم قال تعالى: (**﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب، فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة، وإنما ذكرنا منه**

أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي، بالقشر عن اللباب، بل يتشوّق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب، وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق.

تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى.

ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر) بل يتطلع إلى ما وراءها من الأسرار، **(ولا يجتزىء)** أي لا يكتفي **(بالقشور عن اللباب بل يتشوّق إلى معرفة دقائق الأسباب، وفيما ذكرنا كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى)**. وهذا آخر كتاب عجائب القلب وقد ألحقت به فصولاً مما يناسب ذكره في هذا الباب هي كالمتمات له، وذلك مما اقتطفته من كتابي قوت القلوب، وعوارف المعارف وغيرهما مما تيسر لي الوقوف عليه، وقد أعزو ما نقلته من غيرها.

فصل

كون خاطر العقل تارة مع النفس والعدوّ، وتارة مع الروح والملك فيه حكمة من الله تعالى لصنعته واتقان لصنعه ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز، فتكون عاقبة ذلك من الجزاء أو العقاب عائداً له وإليه. إذ جعل سبحانه هذا الجسم مكاناً لجواز أحكامه ومحلاً لنفاذ مشيئته في مباني حكمته، كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم إذ لو كان مكاناً للتكليف وموضعاً للتصريف وسبباً للتعريف العائد من معاني ذلك على صورة العبد من لذة نعيم أو عذاب أليم، فلم يكن العقل غائباً فيكون العبد عن الفعل ذاهباً، ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة إذ في ذلك تضعيف لحجة الله ووهن لبرهانه، لأن الفعل شاهد الحجة والشهود في النفس والنية في القلب طريق المحجة، وذلك أصل عود جزاء الأمر والنهي، فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح، والنفس مجبولة على الشهوة ومطبوعة على الأمر بالهوى، وهذا نصيبها من إعطائه وهواه لها إلى رشاده وإغوائه وحظها من الكتاب وقسمها من ولي الأسباب، كما قال تعالى في أحكام ما ذكرناه تكملة لما أخبرنا عما سبق في عمله: ﴿أعطى كلَّ شيء خَلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] وقال تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] وقال تعالى: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [الحج: ٤].

فصل

كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر اليقين، ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعاني ودقتها، ويقوى اليقين ويظهر بقوتها لأن هذه الثلاث مكان اليقين. **أحدها:** الإيمان

وموضعه من اليقين حجر النار . **الثاني:** العلم ومكانه موضع الزناد. **والثالث:** العقل وهو مكان الحراق، فإذا اجتمعت هذه الأسباب قدح خاطر اليقين في القلب، ومثل القلب في قوته بقوة مراده وفي صفائه بجودة عدّوه مثل المصباح في القنديل. الماء مكان العقل منه والزيت موضع العلم به وروح المباح، وبمدده يكون ظهور اليقين، والفتيلة مكان الإيمان منه هو أصله واقوامه الذي يظهر به، فعلى قدر قوّة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين، وهو مثل الإيمان في قوّته بالورع وكماله بالخوف، وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضيء النار التي هي اليقين، وهو مثل العلم في مداده بالزهد وفقد الهوى، فصار العلم مكاناً للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان، فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد في الدنيا ازداد إيماناً وعلا، ثم يشهد كل ما أمر به فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته، وكلما قصر علم القلب بالله وبمعاني صفاته وأحكام ملكوته قلّ إيمانه، ثم اشهد ما أمر به من وراء حجاب لما غابت عليه قدحت الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر لعجزه عن المسارعة إلى البر فيضعف بذلك إيمانه وتختل مشاهدته ولا يتحقق.

فصل

كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر الهوى، وهو: الجهل والطمع وحب الدنيا، ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر ضعف هذه الثلاثة وقوّتها، ويظهر الهوى في القلب ويخفى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وخفائها على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها، وهو العلم والإيمان والعقل، وفي القلب يظهر سلطان ذلك أجمع فأي جند كانت المشيئة معه غلب.

فصل

من خواطر النفس ما يرد بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده، فليس يعلم إلا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل، فأهل اليقين العارفون بأحكام الله الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين ومقتضاها من حيث أشهدوا مطلعها من الغيب، وبحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ.

فصل

وليس يكاد علم اليقين يقدح من معدن العقل، لأن علوم العقل مخلوقات ولا يكاد ينتجه الفكر ولا يخرجه التدبر، فما أنتجته الافكار واستخرجته الفطن من الخواطر والعلوم، فلتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لأهل الدين، فأما خاطر اليقين فإنه يظهر من عين اليقين يُبَادأ به العبد مبادأة وتتبعه مفاجأة وله مخصوص به مراد مقصود به محبوب متولى به مطلوب لا

يجده إلا عارف أو خائف أو محب، ومن سوى هؤلاء فبحاله محجوب، وبعباداته مطلوب وإلى مقامه ناظر، وفي طريقه بمعقوله سائر، فأما العارفون المواجهون بعين اليقين الكاشفون بعلم الصديقين، فإنهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون ظاهر أوصافهم الإصلاح، وأوّل عطائهم اندراج ذكرهم في ذكره ومشاهدتهم وصف التحقيق بعين اليقين إلى عين اليقين، فأوّل نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين، وهو صفاء المعرفة بالله عز وجل، وآخر علم الايمان أوّل علم اليقين وهو مشاهدة وصف، وهذه وجهة التوحيد ولا آخر لأوّل عين اليقين، ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم، وظاهر التوحيد توحيد الله سبحانه في كل شيء وتوحيده لكل شيء ومشاهدة إيجاده قبل كل شيء، ولا نهاية لعلم التوحيد، ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين، ولكن لهم نهايات يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها، فجعل أماكن لمزيدهم ويزدادون في وسعها ويمدون بعلوم يطلبون بها ما يكاشفون به لما وراءها أبد الأبد بلا آخر ولا أمد ولا يصل العبد إلى مشاهدة علوم التوحيد إلا بعلم المعرفة، وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى يمخض الجوارح بأعمال الصالحات كما يمخض الزق باللبن حتى تظهر الزبدة وهو علم اليقين، فليست هذه الزبدة غاية الطالبين ولا بغية الصديقين لأن وراءها صفوها وخالصها، ثم تذاب هذه الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها ونهايتها، وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدته الوجه بمرآة القرب وهي نوره، فحينئذ لا يفارقه وجوده وحضوره فيرجع العبد من خواطر اليقين إلى مشاهدة الصفات بعد ذوق علوم الخواطر يتجوهر نور شعاع وجه الذات، وهذا مقام الاحسان.

فصل

قال بعض العارفين: لي قلب إذا عصيته عصيت الله تعالى يعني أنه لا يقدح فيه إلا طاعة ولا يعتريه إلا حق، فقد صار رسول الله تعالى إليه، فإذا عصاه فقد عصى المرسل بمعنى الخبر: الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، وبقوله ﷺ: «المؤمن ينظر بنور الله تعالى فمن نظر بنور الله تعالى كان على بصيرة من الله تعالى وكان علمه بنوره طاعة له». وقال بعض العارفين: منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي ساعة وما ساكنته طرفة عين.

فصل

خاطر اليقين والروح والملك من خزائن السموات، وخواطر العقل والنفس والعدو من خزائن الأرض، كما قيل: النفس ترابية خلقت من الأرض فهي تميل إلى التراب، والروح روحاني خلقت من الملكوت فهي ترتاح إلى العلو، والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة تقدح فيه هذه الخواطر عن أواسطها من خزائن الغيب، فتؤثر في القلب فيتلألأ فيه التأثير، فمنها ما يقع في سمع القلب فيكون فهماً، ومنها ما يقع في بصر القلب فيكون كلاماً وهو الذوق، ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علماً وهو العقل، وهذا أقلها لبثاً وأيسرها عناء وما وقع في باطن القلب فيكون

علماً وحسه فخرق شغافه ووصل إلى سويدائه كان وجداً، وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة، ومن هذا قوله ﷺ: «أسألك ايماناً يباشر قلبي» وقال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبد محباً للآخرة وللدنيا، وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه، فإذا دخل الإيمان إلى باطن القلب أبغض الدنيا وهجر هواه، فإذا كانت هذه الخواطر من أواسط الهداة وهي الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشداً، وكانت من خزائن الخير ومفتاح الرحمة قدحت في قلب العبد نوراً وطيباً أدركته الحفظة وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات؟ وإن كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدوّ والنفوس كانت فجوراً وضلالاً وهم من خزائن الشر ومغالق الأعراض قدحت في القلب ظلمة ونتناً أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال فكتبوها سيئات، فهذه منقادة لأمره وهو تعالى قادر على كل شيء، بيده كل شيء، حكيم في كل شيء، والعبد ضعيف عاجز جاهل ساكن لا يقدر على شيء، قد ابتلي بالأسباب ووقع عليه الحجاب وجعل مكاناً للأحكام بالعقاب والثواب، فالأسباب أواسط البلاء والعبد موضع الابتلاء، والله هو المبلي المريد المبديء المعيد، وينشئكم فيما لا تعلمون وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً، وليس يشهد العبد إلا ما أشهد، فكذلك تفاوت العباد في المشاهدة ولا يستبين له إلا ما أبين له وأريد به، فعن ذلك اختلفوا في الأدلة، فإذا أراد الله سبحانه إظهار شيء من خزائن الغيب حرك النفس بلطيف القدرة، فتحركت بإذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة نكتت في القلب همة سوء، فينظر العدو إلى القلب وهو مراصد ينتظر، والقلوب له مبسوطة، والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها مما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه، فإذا رأى همة قد قدحت من النفس فأثرت ظلمة في القلب ظهر مكانه فقوي بذلك سلطانه. والهمة ترد على أحد ثلاثة معان: أحدها: هوى وهو عاجل حظ النفس وأمنيته وهذا عن الجهل الغريزي، ودعوى حركة أو سكون وهو آفة العقل ومحنة القلب، فأي هذه الثلاث قدح في القلب فهو وسوسة نفس وحضور عدد منسوب إليها محكوم عليه بالذم ليست تصدر إلا بأحد ثلاثة أصول: بجهل، أو غفلة، أو طلب فضول دنيا وهي مما لا تعني ومضافات إلى الدنيا وأعمالها، فالأصل مجاهدة النفس والعدو عن إمضائها وحبس الجوارح عن السعي فيها ان كن من فضول الدنيا المباحات، فإن كن هذه الثلاث وردن بمحرمات فعرض عليه كف الجوارح عن السعي فيها، فإن أمرح قلبه في ذكرها أو نشر خطواته في طلبها كن حجاباً بين قلبه وبين اليقين، وإن كن وردن بمباحات ففضل له نفيها عن قلبه كيلا يكون قلبه موطناً للفضلات وأصلهن الابتلاء من الله تعالى والتقليب والامتحان منه في التصريف، فإن أراد الله تعالى سعادة هذا العبد بعد أن أشفى على الهلاك والبعد بتسليط العدوّ عليه وتسويل النفس له نظر القلب عند الابتلاء بهوى النفس بنور إيمانه إلى الله تعالى، وأسر الالتجاء إليه وأخفى التوكل عليه عائذاً لائذاً به واضطر مخلصاً له، فهناك توكل عليه فكان حسيبه، ووقى مكر عدوّه وجعل له مخرجاً ونجاه من شره، فينظر إليه تعالى إلى القلب نظرة تخمد النفس وتمتحي الهمة وتخيف العدوّ لسقوط مكانه ويذهب لخنوسه شر سلطانه فيصفو

القلب من التأثير بنور السراج المنير ، فيخاف العبد مقام الرب لصفاء القلب فيفزع من الخطيئة ويهرب أو يستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه.

فصل

وقد تختلف اللمتان. فربما تقدمت إليه لمة العدوّ بالأمر بالشر ، ويقدح بعدها لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتاً على الخير وعناية من الرب فينهى عن ذلك ، فعلى العبد أن يعصي الخاطر الأوّل ويتبع الثاني ، وقد يتقدم الهام الملك بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدوّ بالنهي عنه ، والإملاء بالتأخير عنه محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل ، فعليه أن يطيع الخاطر الأوّل ويعصى الثاني ، ثم ترقى الخاطر من إلهام ووسوسة ، وقد يتفاوت ذلك لقوّة وضعف لتفاوت الأحكام والارادة من الحاكم ، ومن قبل تقدير القدرة وغرائب الأحكام بالمشيئة لأن له في خزانة الخير خزائن شر إذا شاء ، وله في خزانة الشر خزائن خير إذا أحب لمن يحب لئلا يسكن إلى سواه ، فإذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولا يدل به أبداً لأنه لا يأمن من مكر الله بتقليب خزائن الشر من خزانة الخير إذ غلبه ابداه ، ولم ييأس من شر عليه أبداً لأنه يرجو تقليب خزائن الخير من حيث خزائن الشر ، فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك إلا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وصفاء الانوار من تعليم الرحيم الجبار ، فما كان العبد يجد بعد خطرة الشر خطرة خير تنهاه عنها فهو منظور إليه متدارك ، وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد العقل ، وقد تترادف خواطر الشر عن النفس والهوى فلا يعتقبها خاطر خير من الملك ، وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب. وقد يتتابع خاطر الخير من الروح والملك ، ويعافي العبد من خاطر الهوى والنفس ، وهذه علامة القرب وهو حال المقربين ، وقد ترد خواطر العدو ووساوسه بالخير ابتلاء من اللهتعالىلعبدهوحيلة من العدو ومكراً من النفس يريد العدو بذلك الشر أو يخرجه آخراً إلى إثم ، أو ليقطعه بذلك عن واجب يشغله به عن الأفضل في الحال ، فيكون ظاهره براً وباطنه إثماً ، ويكون أوّله خيراً وآخره شراً ، وبغية العدو من ذلك باطنه وآخره ، وشهوة النفس من ذلك هواها ومناها قد لبسا ظاهره بالخير وموّها أوّله بالبر تحسيناً ، وهذا من أدق ما يبتلى به العاملون ، ولا يعرف بواطنه وسرائره إلا العالمون ، فأما خاطر الملك فلا يرد إلا بخير صريح وبر محض على كل حال إذا ورد لأن الخداع والحيلة ليسا من وصف الملائكة ، ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب إذا اشتدت قسوته ودامت معصيته من المبعدين فيخلي بين القلب وبين نوازع العدو اللعين ويتخلى العدو بهوى النفس فيستحوذ ويقترن بالعبد ، نعوذ بالله من أبعاده ولا يزال العبد مع إلهام الملك في مقام الإيمان ، فإذا دفع إلى مقامات اليقين تولاه الله تعالى بواسطة أنوار الروح ، فكان الروح مكان لقاء الحق سبحانه حتى يرد عليه من الله تعالى من السرائر ما لا يطلع عليه الملك ، ولا يكون ذلك حتى تفني خواطر النفس بالهوى فلا تبقى منها باقية وتقوى النفس فتدرج في الروح فلا تظهر منها داعية ، ثم يتولاه الله بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب بمكاشفة الجبروت ، فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة

الغيب بفقد كونه ووجد كينونيته، وما لا يصلح بعد ذلك كشفه إلا لأهله أو لمن سأل عنه، وهذا يكون في مقام التوحيد وهو أنصبة المقربين.

فصل

كل عمل وإن قل لا بد له من ثلاثة معان قد استأثر الله تعالى بتوليها. أولها: التوفيق وهو الاتفاق أن يجمع بينك وبين الشيء والثاني: القوة وهو اسم لثبات الحركة التي هي أول الفعل، والثالث: الصبر وهو تمام الفعل الذي به يتم، وقد رد الله تعالى هذه الأصول التي يظهر عنها كل عمل إليه تعالى فقال: ﴿وماتوفيقي إلا بالله﴾[هود: ٩٨] وقال: ﴿ما شاء الله لا قوّة إلا بالله﴾ [الكهف: ٣٩] وقال ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧].

فصل

قد قرن الله القلب بالإيمان والبعث والأمر بها في قوله تعالى: ﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون﴾ [الأنفال: ٢٤] قال ابن عباس: يحول بين المؤمن والكافر وبين الكافر والايمان، وقيل: بين العبد وبين الاستجابة لله والرسول، وقيل: بين المؤمن وسوء الخاتمة وبين الكافر وحسن الخاتمة، وقيل: بين المؤمن وان يلقيه في كبيرة يهلك فيها وبين المنافق وإن يوفقه لطاعة ينجو بها. وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد.

فصل

نصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه منه حسب قسمه من اليقين وقسمه منه عن قربه من القريب، وقربه منه بقدر علمه به تعالى، واتساعه في العلم به على نحو مكانه من نور الإيمان ومزيد إيمانه على قدر إحسانه إليه، وإحسانه إليه على قدر عنايته به، وإيثاره له علم الله من وراء ذلك، وذلك سر القدر المحجوب المخترق، ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة، ونصيبه من الغفلة على حسب حبه للدنيا، وحبه للدنيا على قدر قوّة الهوى، وقوّته في الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه، وقوّة صفات النفس على قدر ضعف اليقين، وضعف يقينه من كثافة الحجاب وبعد البعد بينه وبين الله تعالى، والحجاب والبعد ميراثه الكبر والقسوة، والقسوة تورث الانهاك في المعاصي، وإدمان المعاصي عن الإعراض، والمقت والاعراض عن قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره إليه، ومن وراء ذلك سر القدر المحجوب الذي به عن الخلق استأثر.

فصل

قد حجب العقل المكيد عن النظر إلى المبديء المعيد بما أظهر له من صورته وحركته فسترة ذلك عن الأول المصوّر القادر المحرك، فادعى عن نظره إلى حركته وسكونه التي هي حجة له عن

المحرك الغيب ادعاء الحركة والسكون بنفسه ، لوقوف نظره على نفسه إذ كان مشهوداً في عمى عن النظر إلى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه ، لأنه غيب من وراء الحركة ، والغيب لا يشهد إلا بالغيب وهو واليقين ، كما لا تدرك الشهادة إلا بشهادة وهي العين ، فمن عمي بصره لم ير من الملك شيئاً كذلك من حجب قلبه لم ير من الملكوت شيئاً فلعدم اليقين عمى عن الشهادة ، ولإيقاع الحجة أدرك بالمعقول الشهادة ، ولو كان من أولي الابصار لاعتبر الحركة الغيبية بالمتحرك الشاهد ، فكما ان الحركة عيب في الجسم ظهر عنها التحرك ، فأظهر تعالى المتحرك وأخفى الحركة فيه ، وأظهر الصنعة وأخفى الصنع فيه لتفصيل حكمته ، كذلك الصانع ذو الصنعة الأولى والحاكم الأعلى ذو الحكم الأغلب غيّب عن الحركة التي أخفاها هو من ورائها بلطائف القدرة ، فشهد المعقول ما أشهد مما ظهر له ووجهه به لأنه معقول عليه محددو له وعمي عما غيبت عنه لفقد اليقين منه ، فعندها ادعى الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد ، وشهد الموحد شهادة التوحيد ، فوحد لما كوشف له الملكوت بنور اليقين فأفرد .

فصل

الخلق محجوبون بثلاثة حجب بعضها أكثف من بعض . أحدها : أواسط وأسباب معترضة ، وشهوات حادثة ، وعادات صادرة ، فالاسباب توقفهم عليها ، والشهوات تجذبهم إليها ، والعادات تردهم فيها فأي هذه الحجب ظهر في قلبه وبعضها أشد من بعض فهي مكان للعدو وأوسع من مكان ، فتمكن سلطانه على قدر سعة مكانه قويت النفس بتزيين العدوّ وسوّلت بتأميله ، فملكت العبد ملكاً أشد من ملك ، فإذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكانت بالهوى أسيره ، فاستهواه الشيطان حينئذ بالغواية والاضلال واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الأولاد والأموال ، فشغله بذلك عن الله تعالى وأنساه ذكره ، وهذا هو الاقتران الذي ذمه الله تعالى في قوله : ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ [النساء : ٣٨] هو فوق النزغ والهمز .

فصل

ما كان من لائح يلوح في القلب من معصية ثم ينقلب ولا يلبث ، فهذا نزغ من قبل العدوّ ، وما كان في القلب من هوى ثابت أو حال مزعج دائم لابث ، فهذا من قبل النفس الأمّارة بطبعها أو مطالبة منها بسوء عادتها ، وما ورد على العبد من همة بمعصية ووجد العبد فيه كراهتها ، فالورود من قبل العدو ، والكراهة من قبل الإيمان وماوجده العبد وجداً فهوى أو معصية ، ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك ، وما وجده العبد من ذكر في عاقبة دنيا أو تدبير الحال ونظر إلى معبود ، فهذا من قبل العقل ، وما وجد من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة ، فهذا من الإيمان ، وما شهده القلب من تعظيم أو هيبة أو إجلال أو قرب ،

فهذا من اليقين وهو مزيد الإيمان، وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه، وكل هذه الفصول لخصتها من كتاب القوت.

فصل

إذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس في مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك، وتصير الخواطر الأربعة في حقه ثلاثة، ويسقط خاطر الشيطان إلا نادراً لضيق مكانه من النفس، لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس، واتساع النفس باتباع الهوى والإخلاد إلى الأرض، ومن ضايق النفس على التمييز بين الحظ والحق ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان إلا نادراً لدخول الابتلاء عليه.

فصل

من المرادين بمقام المقربين من إذا صار قلبه سماء مزيناً بزينة كواكب الذكر يصير قلبه سماوياً فيرتقي ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات، وكلما ترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يتجاوز السموات بعروج باطنه، كما كان ذلك لرسول الله ﷺ بظاهره وقالبه، فإذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر اليقين لتستره بأنوار القرب وبعد النفس عنه، وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضاً لأن الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قريب، وهذا الذي وصفناه نازل به ولا يدوم، بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطره، فتعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك، وذلك أن الخواطر تستدعي وجوداً. وما أشرنا إليه حالة الفناء فلا خاطر فيه وخاطر الحق إبقاء لمكان القرب وخاطر النفس بعد لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل عليه السلام في ليلة المعراج عن رسول الله ﷺ حيث قال: لو دنوت أنملة لاحترقت.

فصل

وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها: إما ضعف اليقين، أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى، أو محبة الدنيا وجاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس، فمن عصم عن هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومن ابتلى بها لا يعلمها ولا يتطلبها. وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض، وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ومعرفة النفس عسر المنال لا يكاد يتيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة. وقال أبو علي الدقاق: من كان قوته معلوماً لا يفرق بين الإلهام والوسوسة، وهذا لا يصح على الإطلاق الا بقيد، وذلك أن من المعلوم ما يقيمه الحق تعالى لعبد

سبق إليه الإذن في الأخذ منه والتقوّت، ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر إنما يقال ذلك في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإيثار لأنه يحجب لموضع اختياره، والذي أشرنا إليه منسلخ عن إرادته ولا يحجبه المعلوم.

فصل

فرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا: إن النفس تطالب وتلمح فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها، والشيطان إذا دعا ولم يجب يوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الإغواء كيف أمكن.

فصل

تكلم الشيوخ في الخاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع؟ قال الجنيد: الخاطر الاوّل لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل وهذا بشرط العلم. وقال ابن عطاء: الثاني لأنه ازداد قوّة بالأوّل. وقال أبو عبد الله بن خفيف: هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر.

فصل

قالوا: الواردات أعم من الخواطر، لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة، والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط.

فصل

من قصر عن دقائق الزهد وتطلع إلى تمييز الخواطر يزن الخواطر أوّلاً بميزان الشرع، فما كان من ذلك فضلاً أو فرضاً يمضيه، وما كان من ذلك محرماً أو مكروهاً يتقيه، فإذا استوى الخاطران في نظر العلم ينفذ أقربهما إلى مخالفة هوى النفس، فإن النفس قد يكون لها هوى كامناً في أحدهما، والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون إلى الدون، وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن أنه بنهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق لسكونه إلى النفس، ولا يدرك نفاق الخواطر المتولدة منه إلا الراسخون، وأكثر ما تدخل الآفات على أرباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة، والحال فهم من هذا القبيل. وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء بنصيب الهوى فيهم، وينبغي أن يعلم العبد أنه مهما بقي عليه أثر من الهوى وإن دق قد يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر، ثم قد يغلط في تمييز الخواطر من حرم قليل العلم ولا يؤاخذ بذلك ما لم تكن عليه من الشرع مطالبة. وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين لما كوشفوا به من دقيق الخطأ في التمييز، ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت،. وهذه الفصول لخصتها من كتاب العوارف.

فصل

قال المصنف في مشكاة الأنوار : مراتب الأرواح البشرية النورانية وهي خمسة.

الأوّل: الروح الحساس وهو أصل الروح الحيواني، وأوله إذ به يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبي الرضيع.

الثاني: الروح الخيالي وهو الذي يتكسب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة إليه، وهذا لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوه، فلذلك يولع بالشيء ليأخذه، فإذا غيب عنه ينساه ولاتنازعه نفسه إليه إلى أن يكبر قليلاً فيصير بحيث إذا غيب عنه بكى وطلبه، وذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله، وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض.

الثالث: الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال، ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان، ومدركاته المعارف الضرورية الكلية.

الرابع: الروح الفكري وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة.

الخامس: الروح القدسي النبوي الذي به يختص الأنبياء وبعض الأولياء وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة، وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض، وإليه الإشارة بقوله ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى : ٥٢] فالروح الحساس أوفق مثال له في عالم الشهادة المشكاة، والروح الخيالي أوفق مثال له الزجاجة، والروح العقلي أوفق مثال له المصباح، والروح الفكري أوفق مثال له الشجرة، والروح القدسي أوفق مثال له الزيت، وإذا كانت هذه الأنوار مرتبة بعضها على بعض فالحسي هو الأوّل وهو كالتوطئة للخيالي إذ لا يتصوّر الخيالي إلا موضوعاً بعده، والفكري والعقلي بعدهما فبالحري أن تكون الزجاجة كالمحل للمصباح، والمشكاة كالمحل للزجاجة، فيكون المصباح في الزجاجة والزجاجة في مشكاة، وإذا كانت هذه كلها أنواراً بعضها فوق بعض فبالحري أن تكون نوراً على نور وهذا مثل قلب المؤمن.

فصل

ومثال قلب الكافر هو المشار إليه بقوله تعالى ﴿أو كظلمات في بحر لُجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾ [النور : ٤٠] الآية. فالبحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الشهوات المردية والكدورات المعمية، والموج الأول موج الشهوات الداعية إلى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية، فبالحري أن يكون هذا الموج مظلماً لأن حب الشيء يعمي

ويصم، والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة والتكاثر، وبالحري أن يكون مظلماً لأن الغضب غول العقل، وبالحري أن يكون هو الموج الأعلى لأن الغضب في الأكثر مستول على الشهوات حتى إذا هاج أذهل عن الشهوات وأغفل عن اللذات، فإن الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلاً. أما السحاب: فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت حجباً بين الكافر وبين الإيمان، ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل، فإن خاصية السحاب أن يحجب إشراق نور الشمس، وإذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض، وإذا كانت الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلاً عن البعيدة، فلذلك يحجب الكفار عن معرفة أحوال عجائب النبي ﷺ مع قرب تناوله وظهوره بأدنى تأمل، فبالحري أن يعبر عنه بأنه إن أخرج يده لم يكد يراها. وإذا كان منبع الأنوار كلها من النور الأول الحق، فبالحري ان يعتقد كل موحد أن ﴿من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور: ٤٠].

فصل

ولنختم هذا الكتاب بكلام الامام قطب الأقطاب أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره قال في كتاب جمع من كلامه على أسرار الطريق ما نصه: قرأت سورة الإخلاص والمعوّذتين ذات ليلة، فلما انتهيت إلى قوله ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ رأيت بعد ذلك يقال لي: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين جنبيك يذكرك أعمالك السيئة وينسيك ألطافه الحسنة، ويكثر لديك ذات الشمال، ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله تعالى وكرمه إلى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذرك هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الورع والاجتهاد، وفيه أيضاً قال رحمه الله تعالى: إذا كثر عليك الخواطر والوسواس فقل: سبحان الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز. وقال رحمه الله تعالى: إن أردت أن تسلم من الوسواس فلا تدبر لغد ولا لبعد غد، وبه ختمت شرح كتاب عجائب القلب والفكر منقسم والخاطر متشعب، والهم إلى الضرورات الدنيوية منصرف، وأسأل الله العفو مما طغى به القلم أو زلت به القدم، فان خوض غمرة الأسرار الإلهية خطير، واستكشاف الأنوار العلوية من وراء الحجب عسير غير يسير، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر) .

الحمد لله الذي دبر أمور الكائنات بلطيف صنعه وعظيم قدرته أحسن تدبير ، وأبدع المخلوقات بسابق إرادته الأزلية من غير سبق مثال فصوّرها أتم تصوير ، وخص النوع الإنساني منها بما زينه من حسن صورته وبديع شكله في أعدل تقويم وأقوم تركيب وأبدع تقدير ، ثم حرس سواده عن الفساد بما ألهم به من تهذيب الأخلاق الباطنة وصانه عن شوائب النقص والتقصير ، وحبس مراده على السداد فأجراه على حسن التشكل حسبما جرى به قلم التقدير ، أحمده حمد من رأى آيات قدرته الباهرة وشاهد شواهد فردانيته القاهرة وعرف مواضع التقديم والتأخير ، وأشكره شكر من اعترف لفضائل كرمه وإحسانه واغترف من بحار جوده وامتنانه ، واستفتح به باب المزيد من الفتح الغزير والخير الكثير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل عن شبيه ونظير ، واستغنى بوحدانيته عن الشريك والمشير والوزير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الهادي البشير ، ورسوله السراج المنير ، الذي بعثه وطرق الإيمان قد عفت آثارها ، وخبت أنوارها ، والعلم قد درست ربوعه ، وانقطعت نبوعه ، فأحياه احياء الأرض بالوابل المطير ، ﷺ وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الفاضلين ، وسلم تسليماً ما لاح البدر المنير ، وناح الحمام المطوّق بالهدير ، وبعد فهذا شرح :

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة أمراض القلب

وهو الكتاب الثاني من الربع الثالث الموسوم بالمهلكات من كتاب الإمام ، علم الائمة الاعلام ، حجة الإسلام ، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي بل الله بالرحمة ثراه ، وأجزل من المغفرة قراه ، اختصرت فيه الكلام اختصاراً ، واقتصرت على ما أورده منه اقتصاراً ، إيثاراً للتخفيف لا رغبة في التطفيف ، على أني ما أوردته لا يخلو من فائدة تلفى ، وحكمة تثبيت ولا تنفى وإشارات موقظة تقرب إلى الله زلفى ، ومنبهات تذكر الناسي ، وتلين القلب القاسي ، ولطائف غريبة تلعب

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره، وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره، وفوّض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره، وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره. والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوّة من بين أساريره، ويستشرف حقيقة الحق

بالألباب، وتشوّق إلى منازل الأحباب، وإلى الله الرغبة في الإعانة، فيما يسهل به طريق الكشف والإبانة، وأن يوردنا من مناهل التوفيق الصافية أحلاها، وأن يولينا من أنواع الإحسان أعلاها، إنه بكل فضل جدير، وعلى ما يشاء قدير.

قال المؤلف رحمه الله تعالى في مفتتح كتابه:

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) : تيمنا بالذكر الحكيم واقتداء بالكتاب الكريم والنبي العظيم ثم أردفه بقوله:

(**الحمد لله**) جمعاً بين الحديثين وحوزاً للفضيلتين (**الذي صرف الأمور**) أي حوّلها وقلبها (**بتدبيره**) أي حسن صنعه، وأصل التدبير النظر في دبر الأمور أي عواقبها، (**وعدل**) أي سوّى (**ترتيب الخلق**) فعل بمعنى مفعول أي جعل كل شيء منه في مرتبته التي تليق به، (**فأحسن في تصويره**) أي إقامة صورته (**وزين صورة الإنسان**) من بين خلقه (**بحسن تقويمه**) أي تعديله (**وتقديره**) أي تحديده بحده الذي يوجد وأصل صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل، (**وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره**) فجعله على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضته حكمته الأزلية، (**وفوّض تحسين الأخلاق**) وتسويتها (**إلى اجتهاد العبد وتشميره**) هو الاجتهاد مع السرعة وفيه الخفة ومنه يقال شمر في العبادة إذ اجتهد وبالغ، وفيه أن الأخلاق ليست غرائز، وسيأتي الكلام عليه، (**واستحثه**) أي حرضه (**على تهذيبها**) أي تخليصها من مساوئها (**بتخويفه وتحذيره**) وذلك على لسان رسوله ﷺ، (**وسهّل على خواص عباده**) وهم الذين اختصهم بموالاته ومحبته واصطفاهم لقربه (**تهذيب الاخلاق**) أي تصفيتها بان الهمهم طريق المجاهدة فيها عناية منه عليهم (**بتوفيقه**) إياهم (**وتيسيره**) لهم، (**وامتن عليهم بتسهيل عسيره**) أي ما عسر منه بالإضافة إلى غيرهم، (**والصلاة**) الكاملة (**على**) سيدنا (**محمد عبد الله**) وهو أشرف أسمائه ﷺ. (**ونبيه**) المرسل منه (**وحبيبه**) المختص به (**وصفيه**) أي مختاره من بين أنبيائه الكرام عليهم السلام، (**وبشيره ونذيره**) بما أعدّ لأمته من الثواب والعقاب (**الذي يلوح**) أي يظهر (**نور النبوّة**) المضيء (**من**) خلل (**أساريره**) أي خطوط جبهته، فمن وقع عليه بصره ولاحت له أنوار وجهه أسرع إلى الإيمان بما جاء به وصدقه كما قال الشاعر:

من مخايله وتباشيره، وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام من ظلمة الكفر ودياجيره، وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره.

أما بعد: فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بداهته تغنيك عن خبره

(وتشتف) أي تظهر **(حقيقة الحق)** أي تعين ذاته ونسبته **(من مخايله)** جمع مخيلة وهي المظنة **(وتباشيره)** أي مما يظهر من ظاهره. يقال: هذا يستشف ما وراءه أي يبصر أشار بذلك إلى أن ما يعرف به صحة النبوّة إما عقلية وإما حسية فالاولى: يعرفها أولو البصائر من الصديقين ومن يجري مجراهم، والثانية: يدركها أولو الأبصار من العامة، وحق النبي أن يكون من أكرم تربة في العالم حيث يكون عقل أربابها أوفر، وأن يكون من عنصر كريم، وأن تكون عليه أنوار تروق من رآها وأخلاق تلذ من ابتلاها، وأن يكون كلامه ذا حجة وبيان يشفي سامعه إذا كان متخصصاً بنور العقل. وهذه الأحوال إذا حصلت لا يحتاج ذو البصيرة معها إلى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الأنبياء من الملائكة فيما يخبرونهم حجة، فنبينا ﷺ أكرم الأنبياء أصلاً وأحسنهم في هذه الأوصاف تحققاً فما وقع بصر أحد عليه إلا وأقر بتصديقه وعلم أنه على الحق من غير تلعثم، **(وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام عن ظلم الكفر ودياجيره)** جمع ديجور، وهو شدة السواد يقال: ليل ديجور أي مظلم، **(وحسموا)** أي قطعوا **(مادة الباطل)** أي أصله الذي ينشأ منه، والباطل هو ما لا ثبات له من المقال والفعال عند الفحص، وهو ضد الحق. **(فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره)** أي لم يتعلقوا به قليلاً كان أو كثيراً بل، صاروا سبباً لحقه وإزالته، وإذا جاء الحق بطل الباطل.

(أما بعد: فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين). اعلم أن الخُلُق بضمتين هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بيسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فربّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد مال أو لمانع ولا يسمى خلقاً ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكونه صفته ﷺ يأتي بيانه في بيان فضيلته، **(وأفضل أعمال الصديقين)** بعد الإيمان بالله كما سيأتي ذلك في الاخبار، **(وهو على التحقيق شطر الدين)** أي نصفه، كما روى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث أنس «حسن الخلق نصف الدين» وتقريره أن حسن الخلق يؤدي إلى صفاء القلب وطهارته، فإذا صفا وطهر عظم النور وانشرح الصدر به، فكان هو الجزء الأعظم في إدراك أسرار أحكام الدين فهو نصف بهذا الاعتبار، **(وهو ثمرة مجاهدة المتقين)** أي نتيجتها **(و)** أيضاً ثمرة **(رياضة المتعبدين)** لما أن في المجاهدة ورياضة النفس تهذيب أخلاق فثمرتها آخراً بتبديل أوصافها من القبح إلى الحسن، والقلب إذا طهر من الرين

السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الاخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة إلى القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، والاخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد، وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد؟ ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب

وصفت الأخلاق من الدنس والكدر نال العبد المعرفة الموصلة له إلى ربه، **(والاخلاق السيئة)** وهي الأفعال الردية التي تصدر عن الهيئة بحيث ينكرها العقل والشرع **(هي السموم القاتلة)** لصاحبها أي بمنزلتها، **(والمهلكات الدامغة)** أي الكاسرة لدماغه فلا حياة معها **(والمخازي الفاضحة)** جمع خزي بالكسر على غير قياس وهو الذل والهوان والانكسار والفضيحة العيب وفضحه كشف عيبه، **(والرذائل)** جمع رذيلة وهي صفة مرذولة أي ردية غير جيدة **(الواضحة)** أي الظاهرة، **(والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين)** أي من قربه **(المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين)** فإنه أصل كل خبث وفساد، وهو يحب الخبائث ومن جملتها سوء الأخلاق فمن كان متصفاً بما صار في سلك الشيطان والشيطان مطرود من رحمة الله، فبالحري أن يكون الذي في سلكه مطروداً مثله **(وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله)** تفسير للحطمة التي من شأنها أنها تحطم كل ما يطرح فيها، **(الموقدة)** التي أوقدها الله تعالى وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره **(التي تطلع على الأفئدة)** أي تعلو أوساط القلوب وتشمل عليها وتخصيصها بالذكر، لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده تألماً أو لأنه منشأ الأعمال القبيحة والعقائد الزائغة، **(كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن)** فإن من اتصف بها فقد شابه الملائكة وقرب إليهم، والملائكة مقربون عند الله تعالى وقريب القريب قريب، **(فالأخلاق الخبيثة أمراض القلوب واسقام النفوس)** لأنها بمنزلة السمومات، ومن زاول السمومات واستعملها لم يخل من مرض في القلب وسقم في النفس، **(إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد)** وهي البقاء بالله **(وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد)** شتّان ما بينهما، **(ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان)** في بقاء صحتها على ما كانت عليه، **(وليس في مرضها إلا فوت حياة فانية)** زائلة، **(فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب)** في إزالتها **(وفيها قرب حياة باقية)** للأبد **(أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب)** وهذا هو طب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرسلهم الله تعالى لتعليم الأمم، كيف يجعلون القلب في كور المجاهدة وكيف يطهرون

عن اسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت ، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس : ٩] وإهمالها هو المراد بقوله : ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ [الشمس : ١٠] ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض ، فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع ، وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها . ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالاً له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك بيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ، ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ، ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ، ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ، ثم بيان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ، ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ، ثم بيان علامات حسن الخلق ، ثم بيان

القلب من الأخلاق المذمومة وكيف يوردونه طريق الصفاء ، **(إذ لا يخلو قلب من القلوب من أسقام لو أهملت)** أي ترك علاجها **(تراكمت)** تلك الأسقام عليه ، **(وترادفت العلل)** بعضها وراء بعض ، **(وتظاهرت)** أي غلبت **(فيحتاج العبد)** الموفق **(إلى تأنق)** وتدبر **(في معرفة عللها)** من أين نشأت ، **(وأسبابها)** من أين حدثت ، **(ثم إلى تشمر)** أي اجتهاد بالغ **(في معالجتها وإصلاحها)** بإزالة وجود أسبابها ثم بتعديلها وردّها إلى الصحة الفطرية ، **(فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾)** أي أنماها بالعلم والعمل والمراد به الحث على تكميل النفس **(وإهمالها)** أي تركها حيث ترتع في الملاذ والشهوات **(هو المراد بقوله تعالى ﴿ وقد خاب من دسَّاها ﴾)** أي نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق .

(ونحن في هذا الكتاب نشير إلى جمل أمراض القلوب) التي تعتريها من أسباب مختلفة ، **(وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع)** وهو الثالث ، **(وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ، ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالاً له ليقرب من الأفهام دركه)** أي إدراكه وفهمه ، **(ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخُلُق)** من الآيات والاخبار ، **(ثم بيان حقيقة حسن الخلق ، ثم بيان قبول الأخلاق للتغيير بالرياضة)** والتمرين ، **(ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ، ثم بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ، ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ، ثم بيان الطريق الذي به يتعرف الإنسان عيوب نفسه ، ثم بيان شواهد النقل)** الدالة **(على أن طريق المعالجة**

الطريق في رياضة الصبيان في أوّل النشو، ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة، فهي أحد عشر فصلاً يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق:

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ [القلم: ٤] وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن، وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] ثم قال ﷺ: « هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك». وقال ﷺ: « إنما بعثت لأتمم مكارم

للقلوب) إنما هو **(بترك الشهوات لا غير، ثم بيان علامات حسن الخلق، ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء)** حتى يكبروا، **(ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلاً تجمع مقاصد الكتاب إن شاء الله تعالى)**.

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

(قال الله سبحانه) وتعالى في كتابه العزيز مخاطباً **(لنبيه وحبيبه)** ﷺ **(مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه)** أي عنده: **(وإنك لعلى خلق عظيم)** إذ تحتمل من قومك ما لا يتحمله أمثالك. **(وقالت عائشة رضي الله عنها: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)** أخرجه ابو بكر ابن أبي شيبة، وعبد ابن حميد، ومسلم، وأبن المنذر، والحاكم، وابن مردويه عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين اخبريني بخُلق رسول الله ﷺ. قالت: « كان خلقه القرآن. أما تقرأ القرآن ﴿انك لعلى خلق عظيم﴾ » وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوّة.

(وقوله عز وجل) مخاطباً لنبيه ﷺ: **(﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ ثم قال ﷺ)** في تأويله **(« وهو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك)** أي منعك **(وتعفو عمن ظلمك »)** قال العراقي: رواه ابن مردويه في تفسير من حديث جابر، وقيس بن سعد بن عبادة، وأنس بأسانيد حسان اهـ.

قلت: أما حديث جابر عنده فلفظه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ قال النبي ﷺ: « يا جبريل ما تأويل هذه الآية »؟ قال: حتى أسأل فصعد ثم نزل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك » فقال ﷺ: « ألا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة » قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: « تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ». وقد رواه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن إبراهيم النخعي، ورواه أيضاً ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن الشعبي.

الأخلاق ». وقال ﷺ : « أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق ». وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين ؟ قال: « حسن الخلق » فأتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين ؟ قال: « حسن الخلق » ثم أتاه من قبل شماله فقال: « ما الدين ؟ فقال: « حسن الخلق ». ثم أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله ما الدين ؟ فالتفت إليه وقال: « أما تفقه ؟ هو أن لا تغضب »، وقيل يـا رسـول

وأما حديث قيس بن سعد بـن عبادة فلفظه عند ابن مردويه قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة بن عبد المطلب قال: « والله لأمثلن بسبعين منهم » فجاء جبريل بهذه الآية، فقال يا جبريل: ما هذا ؟ قال: لا أدري، ثم عاد فقال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك.

وأما لفظ حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ « إن مكارم الأخلاق عند الله أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك، ثم تلا النبي ﷺ ﴿خذ العفو وأمر العرف وأعرض عن الجاهلين﴾ » وقد روي ذلك عن معاذ مرفوعاً قال: « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك و صفح عمن شتمك ».

(وقال ﷺ « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ») رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم في آداب الصحبة.

(وقال ﷺ « أثقل ما يوضع في الميزان خُلُق حسن ») قال العراقي: رواه ابو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء اهـ.

قلـت: وكذلك روا ابن حبان في الصحيح ومداره على شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن عطاء الكيخاراني، عن أم الدرد ، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، وقد حدّثه عن شعبة جماعة محمد بن كثير، وشعيب بن محرز، وأبو عمر الحوضي، وبشر بن عمر الزهراني، وعفان، ويزيد بن هارون، ورواه عيسى بن يونس عن شعبة عن الحكم بن عتيبة عن القاسم، وهو خطأ فيما ذكره الخطيب البغدادي في كتاب المزيد، ورواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الد داء عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الوهاب بن الضحاك، حدثنا إسماعيل بن عباس عن صفوان بـن عمر عن يزيد بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء فذكره مرفوعاً بنحوه، وقد أخرج طرقه الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه منهاج السلامة في ميزان القيامة واستوفاها فليراجع من هناك.

(وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فقال « حسن الخلق » ثم أتاه من قبل يمينه فقال ما الدين؟ قال « حسن الخلق » ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ قال « حسن الخلق » ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفت إليه وقال

الله ما الشؤم؟ قال: « سوء الخلق ». وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني. فقال « اتق الله حيث كنت ». قال: زدني. قال: « اتبع السيئة الحسنة تمحها ». قال: زدني. قال:

« اما تفقه هو أن لا تغضب ») قال العراقي: رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلاً.

(وقيل: يا رسول الله ما الشؤم) ؟ بالضم وسكون الهمزة، وقد تسهل فتصير واواً. **(قال: « سوء الخلق »)** أي يوجد فيه ما يناسب الشؤم ويشاكله أو أنه يتولد منه. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة: « الشؤم سوء الخلق » ولأبي داود من حديث رافع بن مكيث: « سوء الخلق شؤم » وكلاهما لا يصح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الأوسط والعسكري في الأمثال، وأبو نعيم في الحلية كلهم من حديث عائشة وقد ضعفه المنذري. وقال الهيثمي: فيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف. ورواه أيضاً الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط كذلك من حديث جابر. قيل: يا رسول الله ما الشؤم؟ فذكره. فهو الموافق لسياق المصنف هنا. وقال الهيثمي: وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي ضعيف، وأما سوء الخلق شؤم. فقد رواه الدارقطني في الإفراد من حديث ابن عمر. ورواه الخطيب من حديث عائشة بزيادة: « وشراركم أسوأكم خلقاً » ورواه ابن منده من حديث أم سعد ابنة الربيع الأنصاري عن أبيها بزيادة وطاعة النساء ندامة وحسن الملكة نماء.

وأما حديث رافع بن مكيث فلفظه عند أبي داود « وحسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم » رواه في الأدب من طريق بقية عن عثمان بن زفر، عن محمد بن خالد بن رافع، عن رافع بن مكيث وهو جهني شهد الحديبية، وقيل: هو تابعي وحديثه مرسل. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وبقية فيه كلام معروف، ولهذا قال العراقي: وكلاهما لا يصح ورواه أحمد والطبراني في الكبير بزيادة: « والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء » وفيه رجل لم يسم.

(وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني فقال: « اتق الله) بامتثال أمره وتجنب نهيه **(حيث كنت »)** أي في كل زمان ومكان رآك الناس أولاً فإن الله مطلع عليك وفي بعض الروايات: حيثما كنت وما زائدة. **(قال)** الرجل: **(زدني. قال: « اتبع السيئة)** الصادرة منك صغيرة أو كبيرة **(الحسنة)** وهي بالنسبة للكبيرة التوبة منها **(تمحها »)** من صحيفة الكاتبين، وذلك لأن المرض يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وعكسه إن الحسنات يذهبن السيئات، وظاهر قوله تمحها إنها تزال حقيقة من الصحيفة، وقيل: عبر به عن ترك المؤاخذة، ثم أن هذا قد خص من عمومه السيئة المتعلقة بالآدمي كغيبته إن وصلت إليه فلا يمحوها إلا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة إن أمكن ولم يترتب عليه مفسدة وإلا فالمرجو كفاية الاستغفار والدعاء **(قال: زدني. قال: « خالط الناس)** أي عاشرهم، وفي رواية الجماعة: « خالق الناس » أي تكلف معاشرتهم

« خالق الناس بخلق حسن ». وسئل عليه السلام. أي الأعمال أفضل؟ قال: « خلق حسن » وقال ﷺ « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار ». وقال الفضيل: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها. قال: « لا خير فيها هي من أهل النار ». وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول « أوّل ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوّني فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوّني فقوّاه بالبخل

(بخلق حسن ») أي بالمجاملة من نحو طلاقة وجه وخفض جانب وتلطف في سياستهم مع تباين طباعهم وجمعه بعضهم بقوله هو أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك فتجتمع القلوب وتنفق الكلمة، وتنتظم الأحوال،وذلك جماع الخير وملاك الأمر. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والحاكم هو والبيهقي، وقال الحاكم على شرطها. وأقره الذهبي واعترض هون فيه يوسف بن يعقوب القاضي. قال الذهبي: مجهول ورواه أيضاً أحمد والترمذي والبيهقي من حديث معاذ، وقال الذهبي في المذهب إسناده حسن، ورواه الطبراني وابن عساكر في التاريخ من حديث أنس.

(وسئل ﷺ) أي الأعمال أفضل؟ **(قال: « خلق حسن »)** والمراد به بعد الإيمان بالله، وقد روى الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة: « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ».

(وقال ﷺ: « ما حسن الله خلق عبد) وفي نسخة امرىء وفي أخرى رجل **(وخلقه فتطعمه النار »)** أبداً رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة، ورواه الخطيب من حديث أنس وقد تقدم في آداب الصحبة.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى **(قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها. قال: « لا خير فيها هي من أهل النار »)** رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله: « سيئة الخلق » وقد تقدم في آداب الصحبة.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوّني فقوّاه بالبخل وسوء الخلق »)** قال العراقي: لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود والترمذي من حديث أبي الدرداء: « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح اهـ.

وسوء الخلق ». وقال ﷺ : « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما ». وقال عليه السلام : « حسن الخلق خلق الله

قلت : وبهذا اللفظ ما من شيء الخ أخرجه كذلك أحمد ، ولفظ الترمذي : « ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق » الحديث.

ورواه عنبسة الوراق فقال : حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا أبو إبراهيم بن نافع الصائغ ، عن الحسن بن مسلم ، عن خاله عطاء بن نافع ، أنهم دخلوا على أم الدرداء فاخبرتهم أنها سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن أثقل أو قال أفضل شيء في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن » وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن عصام بن يزيد عن أبيه عن سفيان عن إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن خاله يعني عطاء الكيخاراني ، عن أم الدرداء عن النبي ﷺ بنحوه غريب من حديثه عن إبراهيم تفرد به عصام بن يزيد قاله أبو نعيم.

وأخرجه أيضاً من طريق محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن أسد قالا : حدثنا شريك عن خلف بن حوشب عن ميمون مهران قال : قلت لأم الدرداء ، سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ؟ قالت : سمعته يقول : أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن » وهكذا أخرجه الطبراني في الكبير.

(**وقال ﷺ : « ان الله استخلص هذا الدين**) يعني دين الإسلام (**لنفسه**) وناهيك به تفخيم مرتبة دين الإسلام فهو حقيق بالاتباع لعلو رتبته عند الله تعالى في الدارين (**ولا يصلح لدينكم إلا السخاء**) بالمد وهو الكرم فإنه لا قوام لشيء من الطاعات إلا به (**وحسن الخلق ألا**) بالتخفيف حرف تنبيه (**فزينوا دينكم بهما »**) زاد في رواية ما صحبتموه ، فالسخاء السماح بالمال ، وحسن الخلق السماح بالنفس ، فمن سمح بهما أصغت إليه القلوب ومالت إليه النفوس. وقال الزمخشري : معناه أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه الله بسماح وسهولة فيعيش عيشاً رافقاً كما قال تعالى : ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النمل : ٩٧] والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى ازدياد من الدنيا ، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة اهـ.

وقال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : الإسلام بني اسمه على السماحة والجود لأن الإسلام تسليم النفس والمال لحقوق الله ، وإذا جاء البخل فقد ذهب بذل النفس والمال ، ومن بخل بالمال فهو بالنفس أبخل ، ومن جاد بالنفس فهو بالمال أجود ، فلذلك كان البخل يمحق الإسلام ويبطله ويدرس الإيمان ويعكسه ، لأن البخل سوء ظن بالله وفيه منع لحقوقه ، ولذلك جاء في خبر : « ما محق الإسلام محق البخل شيء قط » اهـ.

قال العراقي : رواه الدارقطني في كتاب المستجاد ، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين اهـ.

الاعظم» وقيل: يا رسول الله: أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً» وقال ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق». وقال

قلت: ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث عمران بن الحصين قال الهيثمي: فيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك.

(**وقال ﷺ: «حسن الخلق خلق الله الأعظم»**) أي هو أعظم الأخلاق السبعة عشر التي خزنها الله تعالى لعباده في خزائن جوده. قال الحكيم في النوادر: وجميع محاسن الأخلاق تؤول إلى الكرم والجود والسخاء، ومن أراد الله به خيراً منحه حسن الخلق. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه في الكبير. وقال المنذري: سنده ضعيف جداً وقال الهيثمي: فيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك.

(**وقيل يا رسول الله: أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتقدم في النكاح بلفظ: «أكمل المؤمنين» والطبراني من حديث أبي أمامة: «أفضلكم إيماناً أحسنكم خلقاً» اهـ.

قلت: وروى ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر: «أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً».

(**وقال ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس**) بفتح السين أي لن تطيقوا أن تعينوهم (**بأموالكم**) وفي رواية: إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، والمعنى لا يمكنكم ذلك (**فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق»**) وفي رواية: ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أي لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم. وقال العسكري في الأمثال نقلاً عن الصولي: لو وزن هذا الكلام بأحسن كلام الناس كلهم لرجح عليه. قال: وقد كان ابن عباد كريم الوعد كثير البذل سريعاً إلى فعل الخير، فطمس ذلك سوء خلقه فما ترى له حامداً. وقال الحراني: السعة المزيد على الكفاية من نحوها إلى أن ينبسط إلى ما وراء امتداداً ورحمة وعلماً، ولا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم والقدرة وكمال الحلم والإفاضة في وجود الكفايات ظاهراً وباطناً عموماً وخصوصاً، وذلك ليس إلا لله. أما المخلوق فلم يكد يصل إلى حظ من السعة إما ظاهراً فلا يقع منه ولا يكاد، وإما باطناً بخصوص حسن الخلق فعساه يكاد اهـ.

قال العراقي: رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني والحاكم، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي: تفرد به عبد الله بن سعيد المقبري. عن أبيه وروي من وجه آخر ضعيف عن عائشة اهـ.

وعبد الله بن سعيد قال البخاري: تركوه، وقال العلائي: إسناد حديث أبي يعلى حسن، وعزاه

أيضاً ﷺ: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وعن جرير بن عبد الله

الحافظ في الفتح إلى البزار وحده، وقال: سنده حسن، وقال المنذري: رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن.

(وقال) ﷺ (أيضاً: «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل») أي يعود عليه بالإحباط. وقال القشيري: أراد أن البذيء يفعل الخير إذا قرنه بسوء الخلق أفسد عمله وأحبط أجره كالمتصدق إذ أتبعه بالمن والأذى. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، وأبي هريرة أيضاً وضعفهما اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحرث بن أبي أسامة في مسنده، والحاكم في الكنى والألقاب، وأبو نعيم والديلمي من حديث ابن عمر.

تنبيه:

حاول بعضهم استيعاب مساوىء الأخلاق فقال: هي الإنتقاد على أهل الله واعتقاد كمال النفس، والاستنكاف من التعلم والاتعاظ، والتماس عيوب الناس، وإظهار الفرح وإفشاؤه، وإكثار الضحك، وإظهار المعصية، والايذاء والاستهزاء والإعانة على الباطل، والانتقام للنفس، وإثارة الفتن والاختيال والاستماع لحديث قوم وهم له كارهون، والاستطالة والأمن من مكر الله والإصرار على الذنب مع رجاء المغفرة، واستعظام ما يعطيه، وإظهار الفقر مع الكفاية والبغي والبهتان والبخل والشح والبطالة والتجسس والتبذير والتعميق والتملق والتذلل للأغنياء لغناهم، والتعبير والتحقير وتزكية النفس والتجبر والتبختر والتكلف والتعرض للتهم والتكلم بالمنهى، والتشدق وتضييع الوقت بما لا يعني، والتكذيب والتسفيه والتنابز بالألقاب والتعييس والتفريط والتسويف في الأجل والتمني المذموم والتخلق بزي الصالحين زوراً وتناول الرخص بالتأويلات، والتساهل في تدارك الغيرة، والتهور والتدبير للنفس والجهل، وجحد الحق والجدال والجفاء والجور والجبن والحرص والحقد والحسد والحمق وحب الدنيا وحب الرئاسة والجاه والشهوة والحزن الدائم والخديعة والخبثة والخيانة وخلف الوعد والخيلاء والدخول فيما لا يعني، والذم والذل والرياء والركون إلى الأغيار، ورؤية الفضل على الأقران، وسوء الظن والسعاية والشماتة والشره والشرك الخفي، وصحبة الأشرار والصلف وطول الأمل والطمع والطيرة وطاعة النساء وطلب العوض على الطاعة والظلم والعجلة والعجب والعداوة في غير الدين، والغضب والغرور والغفلة والغدر والفسق والفرح المذموم والقسوة وقطع الرحم والكفر وكفران النعمة والعشير والكسل وكثرة النوم واللؤم والمداهنة والملاحاة ومجالسة الأغنياء لغناهم والمزح المفرط والنفاق والنية الفاسدة وهجر المسلم، وهتك الستر، والوقوع في العرض والوقوع في غلبة الدين، واليأس من الرحمة. فهذه كلها أخلاق خبيثة مذمومة عند الله تعالى [1].

---

(١) مجموع هذه الأخلاق ١١٦ هكذا رقم لها المؤلف اهـ مصححه.

قال: قال رسول الله ﷺ: « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك ». وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً. وعن أبي مسعود البدري قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: « اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي ». وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول: « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق » وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال « كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقلـه ». وعن أسامة

(وعن جرير بن عبد الله) البجلي رضي الله عنه **(قال: قال ﷺ إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك)** وكان جرير من أحسن الناس خلقاً قد أعطى شطر الحسن في جسمه. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب وفيه ضعف. **(وعن البراء بن عازب)** رضي الله عنهما **(قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد حسن اهـ.

قلت: وقد تقدم في أخلاق النبوة من رواية البيهقي عنه بزيادة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وروى مسلم وأبو داود من حديث أنس: « كان أحسن الناس خلقاً » وفي الصحيحين من حديث أنس: « كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس » وعند البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة: « كان أحسن الناس صفة وأجملها » الحديث.

(وعن أبي مسعود) عقبة بن عامر الأنصاري **(البدري)** لنزوله بدراً لا لشهوده وقعتها. **(كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: « اللهم حسنت خلقي)** بفتح فسكون **(فحسن خلقي »)** بضمتين. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدري، وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه أحمد من حديث عائشة اهـ.

(وعن عبد الله بن عمرو) رضي الله عنهما **(قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول: « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر » ورواه البزار في مسنده بلفظ: « العصمة » بدل « الصحة » في الإسناد ابن أنعم الأفريقي وهو ضعيف.

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: « كرم المؤمن دينه)** أي به يكرم ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً **(وحسبه)** محركة **(حسن خلقه »)** وفي رواية وحسبه خلقه أي ليس شرفه بشرف آبائه بل بشرف أخلاقه. وقال الأزهري: أراد أن الحسب يحصل للرجل بكرم

ابن شريك قال: شهدت الأعاريب يسألون النبي ﷺ يقولون: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: «خلق حسن» وقال ﷺ: «إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله. تقوى تحجزه عن معاصي الله. أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس». وكان من دعائه ﷺ في

أخلاقه وإن لم يكن له نسب، وإذا كان حسيب الآباء فهو أكرم له (**ومروءته عقله**) لأنه به يتميز عن الحيوانات وبه يعقل نفسه من كل خلق دنيء ويكفها عن شهواتها الردية وطباعها الدنية، ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من حق الحق فليس المراد بالمروءة ما في العرف من جمال الحال والاتساع في المال بذلاً وإظهاراً، فليس كل عاقل يكون له مال يتوسع فيه بذلاً وعطاء.

وقال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم والبيهقي **قلت:** فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه.

قال البيهقي: وروي من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفاً على عمر وقال إسناده صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد ورد الذهبي على الحاكم حين صححه بأن فيه مسلم بن خالد. قال البخاري: منكر الحديث. وقال الرازي: لا يحتج به، ورواه العسكري في الأمثال بلفظ: «كرم الرجل تقواه» وقد أخذ أبو العتاهية معنى الحديث فقال:

كرم الفتى التقوى وقوته … محض اليقين ودينه حسبه
والأرض طينته وكل بني … حواء فيها واحد نسبه

(**وعن أسامة بن شريك**) الثعلبي صحابي تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح، روى له الأربعة أئمة السنن (**قال: شهدت الأعاريب**) جمع الأعراب وهم سكان البادية (**يسألون النبي ﷺ يقولون: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: «خلق حسن»**) رواه ابن ماجه وقد تقدم في آداب الصحبة. (**وقال ﷺ: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**) رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة: «إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقاً» وقد تقدم الحديثان في آداب الصحبة.

(**عن ابن عباس**) رضي الله عنهما (**قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث**) أي ثلاث خصال (**من لم تكن**) أي لم توجد (**فيه**) خصلة (**واحدة منهن فلا تعتدن**) أي لا تعبأن وفي نسخة فلا تعتدون (**بشيء من عمله تقوى تحجزه**) أي تمنعه (**عن معاصي الله**) عز وجل (**أو حلم يكف به السفيه**) إذا سفه عليه (**أو خلق**) بضمتين (**يعيش به بين الناس»**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير وفي مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة بإسناد حسن اهـ.

افتتاح الصلاة. « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت » وقال أنس: بينما نحن مع رسول الله ﷺ يوماً إذ قال: « إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد ». وقال عليه الصلاة والسلام: « من سعادة المرء حسن الخلق ». وقال ﷺ: « اليمن حسن الخلق » وقال عليه السلام لأبي ذر. « يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ». وعن أنس

قلت: لكن شيخ الطبراني إبراهيم بن محمد ضعفه الذهبي كذا قال الهيثمي، ورواه البيهقي في الشعب عن الحسن البصري مرسلاً بلفظ: « ثلاث خلال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيراً منه ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل، أو حلم يرد به جهل الجاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس ».

(وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة: « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ») رواه مسلم من حديث علي، وقد تقدم في كتاب الصلاة. **(وقال أنس)** رضي الله عنه **(بينما نحن مع رسول الله ﷺ يوماً إذ قال: « إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة)** أي يمحو أثرها وهو يقطع خبرها **(كما تذيب الشمس الجليد »)** وهو الماء الجامد من شدة البرد لأن منافع المعروف لا تكون إلا من حسن الخلق والصنائع حسنات والحسنات يذهبن السيئات. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف، ورواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه، وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضاً اهـ.

قلت: ورواه ابن عدي أيضاً من حديث ابن عباس: ولفظه والبيهقي: « حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد ».

(وقال ﷺ: « من سعادة المرء حسن الخلق ») أي فإنه يبلغ به خير الدنيا والآخرة. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه القضاعي في مسند الشهاب وفيه الحسن بن سفيان. قال أبو حاتم صدوق تغير وقال البخاري: لم يصح حديثه عن هشام بن عمار، وعند البيهقي والقضاعي زيادة ومن شقاوته سوء الخلق وعندهما أيضاً من سعادة ابن آدم ولفظ الخرائطي كما للمصنف ورواه الخرائطي من حديث سعد بلفظ: « من سعادة ابن آدم حسن الخلق ومن شقاوة ابن آدم سوء الخلق » وروى الخرائطي أيضاً وابن عساكر من حديث جابر « من شقوة ابن آدم سوء الخلق ».

(وقال ﷺ: « اليمن حسن الخلق ») أي البركة والخير الإلهي فيه. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة بسند ضعيف. **(وقال ﷺ لأبي ذر)** الغفاري

قال: قالت أم حبيبة لرسول الله ﷺ: أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيها هي تكون؟ قال: «تكون لأحسنها خلقاً كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. وقال ﷺ: «ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته». وفي رواية: «درجة الظمآن في الهواجر». وقال عبد الرحمن بن سمرة: كنا عند النبي ﷺ فقال: «إني رأيت البارحة

رضي الله عنه (**«يا أبا ذر لا عقل كالتدبير**) أي النظر في عواقب الأمور (**ولا حسب كحسن الخلق»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي ذر اهـ.

قلت: ولفظها: لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق، وقد رواه البيهقي كذلك في الشعب وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال أبو حاتم غير ثقة، ورواه أبو الحسين القدوري في جزئه، وابن عساكر، وابن النجار من حديث أنس بلفظ: «لا عقل كالتدبير في رضا الله ولا ورع كالكف عن محارم الله ولا حسب كحسب الخلق» وفيه صخر الحاجبي وهو صخر بن محمد المنقري أورده في الميزان في ترجمته، ونقل عن ابن طاهر أنه قال: إنه كذاب، وقال ابن عدي: حدّث بالبواطيل، وساق له منها هذا الحديث.

(**وعن أنس**) رضي الله عنه (**قال: قالت أم حبيبة**) رملة بنت أبي سفيان إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها: (**يا رسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا**) يتزوجها واحد بعد واحد (**فتموت**) هي (**ويموتان ويدخلون الجنة لأيها تكون هي؟ قال: «لأحسنها خلقاً كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»**) قال العراقي: رواه البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف.

(**وقال ﷺ: «إن المسلم المسدد**) أي الموفق (**ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته»**) أي طبيعته (**وفي رواية أخرى:**) «ليدرك (**درجة الظمآن في الهواجر»**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى، ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لهيعة اهـ.

قلت: وروى الترمذي والطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء وأن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة وهو قطعة من حديث: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق». وقد تقدم قريباً.

(**وقال عبد الرحمن بن سمرة**) بن حبيب بن عبد شمس العبشمي رضي الله عنه. قال أبو سعيد من مسلمة الفتح افتتح سجستان ثم سكن البصرة ومات بها سنة خمسين أو بعدها، روى له الأربعة. (**كنا عند النبي ﷺ فقال: «إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي جاثياً**

عجباً رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى ». وقال أنس، قال النبي ﷺ : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة ». وروي أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي ﷺ وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر رضي الله عنه: مم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال: « عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب » فقال عمر: أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله، ثم أقبل عليهن عمر فقال: يا عدوّات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ. قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ﷺ. فقال ﷺ: « إيهاً يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك ». وقال ﷺ: « سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة

على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله) عز وجل». قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف. (**وقال أنس**) رضي الله عنه. (**قال النبي ﷺ: « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وأنه ضعيف العبادة »**) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصبهانيين بإسناد جيد.

(**وروي أن عمر**) رضي الله عنه (**استأذن على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، ودخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: مم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال ﷺ: « عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب » قال عمر**) رضي الله عنه: (**فأنت كنت أحق أن يهبن**) أي يخفن (**يا رسول الله، ثم أقبل عليهن عمر**) رضي الله عنه (**فقال**) يخاطبهن (**أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم أنت أفظ من رسول الله ﷺ وأغلظ**) وأفعل التفضيل هنا ليس على بابه، والمقصود منه نفي الفظاظة والغلظة عن رسول الله ﷺ، (**فقال رسول الله ﷺ: « إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك غير فجك »**) رواه البخاري ومسلم وتقدم في الكتاب الذي قبله ما رواه الحكيم عن عمر: **« ما لقي الشيطان قط عمر في فج فسمع صوته إلا أخذ في غيره »**.

(**وقال ﷺ: « سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تتوج »**) أي تنتج الشرور.

تفوح ». وقال عليه السلام: « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم ».

الآثار: قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين. قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال. قال: فإذا كانت ثلاثاً: قال: الدين والمال والحياء. قال: فإذا كانت أربعاً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت خمساً. قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء. قال: فإذا كانت ستاً. قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقيّ تقي ولله وليّ ومن الشيطان بريء وقال الحسن: من ساء خلقه عذب نفسه، وقال أنس بن مالك إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحي بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق وقال وهب بن منبه:

قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير من حديث عائشة: « ما من سيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه، وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: وبسياق المصنف أخرجه الخرائطي في مساوي الأخلاق من حديث أنس.

(**وقال ﷺ: « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم »**) قال العراقي: رواه الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين.

(**الآثار: قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين. قال: فإذا كانتا اثنتين؟ قال: الدين والمال**) أي لأنه نعم العون له على الدين. (**قال: فإذا كانت ثلاثاً؟ قال: الدين والمال والحياء. قال: فإذا كانت أربعا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت خمساً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء**) وهو بذل الموجود على من يستحق. (**قال: فإذا كانت ستاً؟ قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال**) المذكورة (**فهو تقي نقي لله ولي ومن الشيطان بريّ**) فهذه الخمس خصال قد جمعت مكارم الأخلاق.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**من ساء خلقه عذب نفسه**) أي أتعبها بسوء خلقه. (**وقال أنس بن مالك**) رضي الله عنه: (**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل دركة في جهنم وهو عابد**) وصله أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات الأصبهانيين بنحوه، وتقدم قريباً وهو كذلك موصولاً عند الخرائطي في مكارم الأخلاق. (**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق**) والسعة فيها هو المشار إليه بالحديث الذي تقدم: « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » وكنوز الأرزاق هي إفاضات الخير من خزائن الرحمة الإلهية، وعليه يدل ما

مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طيناً. وقال الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني عابد سيء الخلق.

وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه، فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال: بكيته رحمة له، فارقته وخلقه معه لم يفارقه. وقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان. وقال الكتاني: التصوّف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوّف. وقال عمر رضي الله عنه، خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال. وقال يحي بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق

رواه أبو الشيخ من حديث أبي موسى الأشعري الخلق الحسن زمام من رحمة الله. والزمام بيد الملك، والملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة. **(وقال وهب بن منبه)** رحمه الله تعالى **(مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طيناً)** أخرجه البيهقي في الشعب، **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق)** أخرجه البيهقي في الشعب، وكان إبراهيم بن أدهم يقول: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه ما لا يدركه بماله لأن المال عليه فيه زكاة وصلة أرحام وخلقه ليس عليه فيه شيء.

(وصحب) عبد الله **(بن المبارك)** رحمه الله تعالى **(رجل سيء الخلق في سفره، فكان يحتمل منه)** أي مما يصدر من سوء خلقه **(ويداريه، فلما أن فارقه بكى فقيل له في ذلك. فقال: أترحم عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه)**. فهذا من باب التذمم للصاحب في السفر وهو من جملة مكارم الأخلاق.

(وقال) سيد الطائفة أبو القاسم **(الجنيد)** رحمه الله تعالى: **(أربع)** خصال **(ترفع العبد إلى أعالي الدرجات وإن قلّ علمه وعمله، الحلم والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق. وهو كمال الإيمان)** أي بهن كماله وكلهن من مكارم الأخلاق.

(وقال) القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت أبا بكر **(الكتاني)** رحمه الله تعالى يقول: **(التصوّف خلق)** من الأخلاق الشريفة، **(فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوّف)**. وأورده صاحب العوارف عن أبي زرعة، عن أبي بكر بن خلف السلمي.

(وقال عمر رضي الله عنه: خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال) وهذا قد وصله العسكري في الأمثال من حديث ثوبان: خالطوا الناس بأخلاقكم وخالفوهم في أعمالكم.
(وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى **(سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات. وسئل ابن عباس)** رضي الله عنه: **(ما**

حسنة لا تضر معها كثرة السيئات. وسئل ابن عباس: ما الكرم؟ فقال: هو مابين الله في كتابه العزيز: ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] قيل: فما الحسب؟ قال: أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً. وقال: لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق. وقال عطاء: ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق.

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق:

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته،

الكرم؟ قال: ما بين الله في كتابه ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾) أشار بذلك ان الكرم هو التقوى لا بذل المال. (**قيل له: وما الحسب؟ قال أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً**) أشار بذلك إلى أن الحسب ليس من الآباء بل هوحسن الخلق، ويدل لذلك الحديث المتقدم: «كرم المرء تقواه وحسبه حسن خلقه». (**وقيل: لكل بنيان أساس**) يقوم عليه، (**وأساس الإيمان حسن الخلق**) وإليه يشير الحديث المتقدم حسن الخلق نصف الإيمان.

(**وقال**) أبو العباس أحمد (**بن عطاء ما ارتفع من ارتفع**) إلى الدرجات العالية (**إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله**) أي كمال الخلق (**إلا المصطفى ﷺ**) لقوله تعالى ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ (**وأقرب الخلق إلى الله السالكون آثاره بحسن الخلق**)، ولكل مجتهد في سلوكه من نصيب على قدر مقامه واستعداده ومما يناسب ذكره هنا ما أورده البيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه قال: التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب.

تنبيه:

المراد بالخلق الحسن في هذه الأخبار والآثار ما يشمل الأمور المعنوية الصادرة عن الملكة النفسانية بسهولة من غير روية، وقد جاء في بعض تلك الأخبار والآثار تسمية بعض ما يصدر عنها من خلال الكمالات التي ليست ملكات أخلاقاً ولا مانع من إطلاق الخلق عليها مجازاً يصدر عن تلك الملكة باعتبار كونه أثرها وسبباً عنها، سيما مع شيوع إطلاق السبب على المسبب وعكسه واسم الاثر على المؤثر وعكسه، ولذلك تراهم يسمون كل خصلة جميلة صادرة عن الملكة خلقاً إما على المجاز أو الحقيقة العرفية أو الشرعية، والاسم الجامع للشعب الإيمانية والكمالات القلبية هو الخلق الحسن وتمام الكلام عليه في الذي يليه من تحقيق المصنف رحمه الله تعالى الذي ليس فوقه تحقيق قال رحمه الله تعالى:

بيان حقيقة حسن الخلق:

(**اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن، وإنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته**

وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضراً في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب، وذلك كقول الحسن: حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى. وقال الواسطي: هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى. وقال شاه الكرماني: هو كف الأذى واحتمال المؤن. وقال بعضهم: هو أن يكون من الناس قريباً وفيما بينهم غريباً. وقال الواسطي مرة: هو ارضاء الخلق في السراء والضراء. وقال أبو عثمان: هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال:

وإنما تعرضوا لثمرته). اعلم ما أورده المصنف في كتاب المعارف العقلية: إن المطالب الأصلية أربعة: الأوّل مطلب هل وهو السؤال عن وجود الشيء الثاني: مطلب ما وهو السؤال عن ماهية الشيء، والثالث: مطلب أي وهو السؤال عن فصل الشيء الذي يفصله عن المشاركة له في الجنس. والرابع: مطلب لم وهو طلب العلة اما مطلب هل فعلى وجهين أحدهما سؤال عن أصل الوجود، والثاني: سؤال عن وجود حال الشيء، وأما مطلب ما فأيضاً على وجهين: أحدهما سؤال المتكلم عن تفسير لفظه، والثاني: مطلب حقيقة الشيء في نفسه فهو بالمعنى الأوّل متقدم على مطلب هل، فإن من لا يفهم الشيء لا يسأل عن وجوده، وبالمعنى الثاني متأخر عن مطلب هل لأن ما لا يعلم وجوده لا يطلب ماهيته، فإذا عرفت ذلك ظهر لك أن ما ذكروه في تحديد الخلق الحسن إنما هو تعرض لثمرته الحاصلة منه لا بيان أصله وحقيقته في نفسه.

(ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له) في باله **(وكان حاضراً في ذهنه)** عند القائه **(ولم يصرفوا العناية)** والاهتمام **(إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب)** والإحاطة، **(وذلك كقول الحسن)** البصري رحمه الله تعالى حين سئل عن **(حسن الخلق)** فقال: هو **(بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى)**.

(وقال) أبو بكر محمد بن موسى **(الواسطي)** رحمه الله تعالى، أصله من فرغانة صحب الجنيد والنوري أقام بالري وبها مات سنة ٣٢١: **(هو أن لا يخاصم)** أحداً **(ولا يُخاصم)** أي لا يخاصمه أحد هكذا أورده في معنى قوله تعالى ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ وذلك **(من شدة معرفته)** ﷺ **(بالله تعالى، وقال)** أبو الفوارس **(شاه)** بن شجاع **(الكرماني)** رحمه الله تعالى: **(هو كف الأذى واحتمال المؤن)** أي المشقات. **(وقال بعضهم: هو أن يكون من الناس قريباً)** أي يحسن خلطتهم ويتقرب إليهم ويداريهم، **(وفيما بينهم غريباً)** أي يكون غريب الشأن بينهم أي يكون بجهة مع الله تعالى، وهذا يقرب من قولهم أن يكون كائناً بائناً. **(وقال الواسطي مرة)** وقد سئل عنه فقال: **(هو ارضاء الخلق في السراء والضراء)** أي يكون على حالة واحدة في مخالطة الخلق ويعطي لكل وقت حكمه، **(وقال أبو عثمان)** المغربي

أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه. وقال مرة: أن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس. وقال علي رضي الله عنه: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال. وقال الحسين بن منصور: هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق. وقال أبو سعيد الخراز: هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى. فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق

رحمه الله تعالى: (**هو الرضا عن الله عز وجل**) في كل ما أقامه فيه وعليه وبه، فلا يعترض عليه في شيء من أحواله. (**وسئل**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**عن الخلق**) ما هو؟ (**فقال: أدناه الاحتمال**) لمخالطه، (**وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة**) على العامة. (**وقال مرة: هو أن لا تتهم مولاك في الرزق**) فإنه قد ضمنه لك (**وتثق به**) وتعتمد عليه (**وتسكن**) بباطنك (**إلى الوفاء بما ضمن**) لك، (**وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الأمور فيما بينك وبينه وفيما بينك وبين الخلق**) أي فإن تم لك هذا المقام تم لك الخلق الحسن المشار إليه بالمدح.

(**وقال علي كرم الله وجهه: حسن الخلق في ثلاث**) خصال: (**اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسيع على العيال**) أي بأن لا يقتر عليهم بل يوسع عليهم بماله إن كان وإلاَّ فببسط الوجه.

(**وقال الحسين بن منصور**) الحلاج أبو المغيث رحمه الله تعالى: (**هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق**) ولفظ العوارف قال الحسين في قوله تعالى ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ لأنه لم يؤثر فيه جفاء الخلق مع مطالعه الحق. (**وقال**) أبو سعيد (**الخراز**) رحمه الله تعالى: هو (**أن لا تكون لك همة غير الله**) وبه أجاب الجنيد حين سئل عن قوله تعالى ﴿ إنك لعلى خلق عظيم﴾ قال: لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى. وقال الواسطي: لأنه جاد بالكونين عوضاً عن الحق وقيل لأنه عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه، (**فهذا وأمثاله كثير**) مشحون به كتب القوم، كقول الجنيد: حسن الخلق أربعة أشياء: السخاء، والأنفة، والنصيحة، والشفقة وقال أبو سعيد القرشي: الخلق العظيم: الجود والكرم والصفح والعفو والإحسان، وقيل: هو لباس التقوى، والتخلق بأخلاق الله تعالى إذ لم يبق عنده للأعراض خطر. وقال ابن المبارك: حسن الخلق هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى. وكل قد تكلم إما بما أفاض الله عليه في وقته وألقى في روعه أو أخبر بما هو متحقق في ذلك أو نظر إلى سائله فأجاب بما يطابق حاله حين سؤاله. (**وهو**) إذا تأملت (**تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه**) وحقيقته، (**ثم ليس محيطاً بجميع الثمرات أيضاً**) والعذر لهم في ذلك أن الأخلاق لها ثمرات كثيرة ومكارمها غير محصورة وإحاطتها في جملة واحدة متعسرة ولها مراتب عليا وسفلى، وبينهما أوساط. وكل قد أشار إلى

لا لنفسه ، ثم ليس هو محيطاً بجميع الثمرات أيضاً . وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة .

فنقول : الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً يقال : فلان حسن الخلق والخُلق ـ أي حسن الباطن والظاهر ـ فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لإن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة ، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله أمره باضافته إليه إذ قال تعالى : ﴿ إني خالقٌ بشراً من طين★ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين . والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد ، فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر

مرتبة من مراتبها بحسب الاقتضاء كما في خبر عائشة عند البيهقي مكارم الأخلاق عشرة ثم ذكرها فكأنه أشار إلى أعاليها ولم يرد بذلك الإحاطة لها ، **(وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة)** .

(فنقول: الخلق) بفتح فسكون **(والخُلُق)** بضمتين **(عبارتان مستعملتان معاً يقال: فلان حسن الخَلْق والخُلُق أي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخَلق)** بالفتح **(الصورة الظاهرة)** إذ هو في اللغة بمعنى التقدير المستقيم، **(وبالخُلُق الصورة الباطنة، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر)** الظاهرة، **(ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة)** الباطنة **(ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة)** وقد يكون القبح في الصورة الظاهرة والجمال في الصورة الباطنة وبالعكس، فما أقبح بالمرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه، كما قال حكيم لجاهل: صبيح الوجه اما البيت فحسن واما ساكنه فرديء ، ودخل حكيم على رجل فرأى داراً مشيدة وفرشاً مبسوطة، ورأى صاحبها خلواً من الفضيلة فبصق في وجهه فقال له: ما هذا السفه أيها الحكيم؟ فقال: بل هذه حكمة إن البصاق ليرمي إلى أخس مكان في الدار ولم أر في دارك أخس منك، فنبه بذلك على دناءة الجهل وإن قبحه لا يزول بادخار القيتات. **(والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله أمره بالإضافة إلى نفسه فقال ﴿ إني خالق بشراً من طين★ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي)** فقعوا له ساجدين﴾ **(فنبه به على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح منسوب إلى الله تعالى)** لأنه أضاف إلى نفسه، **(والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد)** إذ المراد بكل منهما اللطيفة الربّانية **(فالخلق)** بضمتين **(عبارة عن هيئة)** وهي الحالة التي **(للنفس راسخة)** أي ثابتة فيها **(تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى)** استعمال **(فكر**

الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، **فإن كانت الهيئة بحيث تصدر** عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، **وإن كان** الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، **وإنما قلنا**: إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا ان تصدر الافعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم.

فههنا أربعة أمور:

أحدها: فعل الجميل والقبيح، **والثاني**: القدرة عليها. **والثالث**: المعرفة بها. **والرابع**: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح.

وليس الخلق عبارة عن الفعل فربّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إمالفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوّة

وروية) فعلية من الرؤية بالفكر وبالعقل، **(فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً)** بسهولة **(سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها أفعالاً قبيحة)** مذمومة عقلاً وشرعاً **(سميت الهيئة التي هي المصدر)** لتلك الأفعال **(خلقاً سيئاً وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على المنذور)** والقلة **(لحالة عارضة)** من خارج **(لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ)** واستقرار، **(وإنما شرطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية)** وفكر **(لأن من تكلف بذل المال أو)** تكلف **(السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم)** لعدم صدروهما منه بسهولة.

(فههنا أربعة أمور: أحدها: فعل الجميل أو القبيح، والثاني: القدرة عليها، والثالث: المعرفة بها، والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليهاأحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن) ذلك **(الفعل)** الصادر عن الهيئة، **(فربَّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال)** أي كونه غير موجود عنده، **(أو لمانع)** آخر مع وجوده عنده. **(وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل)** المال **(لباعث)** قائم في النفس نحو حياء من الناس **(أو لرياء وسمعة وليس هو)** أي الخلق **(عبارة عن القوّة)** أي القدرة على

لأن نسبة القوّة إلى الإمساك والإعطـاء بل إلى الضدين واحد، وكل انسان خلق بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل. فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وكما أن حسن الصورة

ذلك الفعل الصادر عن الهيئة **(لأن نسبة القوّة إلى الامساك والإعطاء بل)** نسبتها **(إلى الضدين واحدة، وكل إنسان خلق بالفطرة)** الأصلية **(قادراً على الإعطاء أو الإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل)** بالنسبة إلى قوّة الإمساك **(ولا خلق السخاء)** بالنسبة إلى قوّة الإعطاء **(وليس هو)** أي الخلق **(عبارة عن المعرفة بذلك الفعل)** الصادر عن الهيئة، **(فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس)** وتتهيأ، **(لأن يصدر منها الامساك أو البذل. فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة)** هذا هو الأصل واختلف في اشتقاقه وأخذه، فقيل: هو من قولهم فلان خليق بكذا، وصاحب هذا القول يجعله اسماً للحالة المكتسبة التي يصير الإنسان بها خليقاً أن يفعل شيئاً دون شيء كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه، ولهذا خص كل حيوان بخلق في أصل خلقته كالشجاعة للأسد، والجبن للأرنب، والمكر للثعلب، أو من الخلاقة أي الملاسة فكأنه اسم لما مرن عليه الإنسان من قولهم: العادة طبيعة ثانية ويجعل مرة اسماً للفعل الصادر عنه باسمه، وعلى ذلك أسماء أنواعها نحو العفة والعدالة والشجاعة، فإن ذلك يقال للهيئة والفعل جميعاً وربما تسمى الهيئة باسم، والفعل الصادر عنها باسم كالسخاء والجود، فإن السخاء اسم للهيئة التي عليها الإنسان، والجود اسم للفعل الصادر عنها، وإن كان قد يسمى كل واحد باسم الآخر، وانظر ما قدمنا فيه قريباً في التنبيه هذا ما يتعلق بالخلق، والفرق بينه وبين الطبع والسجية والعادة، فالطبع أصله من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة المخصوصة في الحديد، وكذلك الطبيعة اعتباراً بطبع السيف، والضريبة اعتبار بضرب الدراهم، وقد تقدم ذكرها في الحديث كرم الضريبة والنحيتة اعتبار بالنحت، والنجيرة اعتبار بنجر الخشبة، والغريزة لما غرز عليه، وكل ذلك اسم للقوّة التي لا سبيل إلى تغيرها، والشيمة اسم للحالة التي عليها الغريزة اعتباراً بالشامة التي هي أصل الخلقة، والسجية اسم لما سجى عليه الإنسان من قولهم عين ساجية أي فاترة خلقة، وأكثر ما يستعمل ذلك فيما لا يمكن تغيره، وأما العادة فاسم لتكرير الفعل والانفعال من عاد يعود وبها يكمل الخلق، وليس للعادة فعل إلا تسهيل خروج ما هو بالقوّة في الإنسان إلى الفعل: فإما أن يجذب السجية إلى خلاف ما خلقت عليه فمحال، فالسجية اسم لفعل الخالق، والعادة فعل للمخلوق ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق، لكن ربما تقوى العادة قوّة محكمة حتى تعد سجية وبهذا النظر قيل العادة طبيعة ثانية.

الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخدّ بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر ، فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق ، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوّة العلم وقوّة الغضب وقوّة الشهوة وقوّة العدل بين هذه القوى الثلاث .

أما قوّة العلم ، فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال ، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

وأما قوّة الغضب ، فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة ، وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها أن تكون تحت إشارة الحكمة . أعني اشارة العقل والشرع .

(**وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين**) فقط (**دون**) حسن (**الأنف والخد ، بل لا بدَّ من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر ، فكذلك في الباطن أربعة أركان : لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق ، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي**) القوى الأربعة : (**قوّة العلم ، وقوّة الغضب ، وقوّة الشهوة**) هذه الثلاثة أصول الأركان ، (**و**) الرابعة هي (**قوّة العدل بين هذه القوى الثلاث**) ، ولا يحصل للإنسان طهارة النفس إلا باصلاح تلك القوى الثلاث ، (**أمّا قوّة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق ، وهو التمييز بين الصدق والكذب في الأقوال ، وبين الحق والباطل في الاعتقادات ، وبين الجميل والقبيح في الأفعال**) . وإصلاح هذه القوّة بالتعلم بشروطه وآدابه المذكورة في كتاب العلم ، (**وإذا انصلحت هذه القوّة حصل منها ثمرة الحكمة**) التي هي إصابة الحق بالعلم والعمل ، (**والحكمة رأس الأخلاق الحسنة**) أي أعلاها (**وهي التي قال**) الله (**تعالى فيها ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾**) أشار بذلك إلى أن الحكمة جماع الخير كله . وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [لقمان : ١٢] قال : يعني العقل والفهم والفطنة من غير نبوّة أخرجه ابن مردويه ، وأما قوّة الغضب فحسنها في أن يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وإصلاحها بإسلاسها حتى يحصل الحلم وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب ، وتحصل الشجاعة وهو كف النفس عن الخوف والحرص المذمومين ، (**وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة . أعني إشارة الدين والعقل**) وإصلاحها بالعفة حتى تسلس للجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة .

وأما قوّة العدل: فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع.

فالعقل مثاله مثال الناصح المشير، وقوّة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل، والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد، فإنه يحتاج إلى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس، والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروّضاً مؤدباً وتارة يكون جموحاً. فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة، كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض، وحسن القوّة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة، وحسن قوّة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة، فإن مالت قوّة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهوّراً وإن مالت إلى الضعف والنقصان

(وأما قوّة العدل فهو في ضبط قوّة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع).

(فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوّة العدل هي القدرة ومنزلها منزلة المنفذ) للأمر **(الممضي لإشارة العقل، والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة)** المذكورة **(ومثال الغضب)** في الظاهر **(مثال كلب الصيد)** أي المتخذ له، **(فإنه يحتاج إلى أن يؤدب)** ويعلم **(حتى يكون استرساله)** للصيد **(وتوقفه)** عنه **(بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس ومثال الشهوة)** في الظاهرة **(مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد، فإنه تارة يكون مروّضاً مؤدباً)** يكون إقدامه وإحجامه تحت الإشارة، **(وتارة يكون جموحاً)** رافعاً رأسه حيث يريد غير مطيع لصاحبه، **(فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً وفيه جماع المكارم وهو الممدوح بما تقدم من الآيات والأخبار ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة)** فهو حسن مقصور **(كالذي يحسن بعض أعضاء وجهه دون بعض)** فإنه لا يقال فيه إنه حسن الوجه مطلقاً، **(وحسن القوّة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة)** وهي إن اعتبرت في النفس فصرامة القلب على الأهوال وربط الجأش وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام على موضع الفرصة **(وحسن قوّة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة)** بالكسر وهي حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة وأصلها تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة والعفة بالضم البقية من الشيء، **(فإن مالت قوّة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة سمي ذلك تهوّراً)** وهو الثبات المذموم في الأمور العملية، **(وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمي ذلك جبناً)** وهو الإحجام عن مباشرة ما ينبغي **(وخوراً)** محركة وهو الضعيف عن مباشرة ما ينبغي. اعلم أن الشجاعة تتولد من الفزع والغضب إذا كانا متوسطين، فإن الغضب قد يكون لمن يحتدم سريعاً من أشياء صغيرة، وقد يكون مفرطاً لا يغضب من الاجتراء على حرمه وشتم أبيه، وقد يكون متوسطاً على ما يجب من وقت ما يجب بقدر ما يجب، وكذلك

تسمى جبناً وخوراً وإن مالت قوّة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها، وإن مالت إلى النقصان تسمى جموداً.

والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان، والعدل إذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور.

وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثاً وجربزة، ويسمى تفريطها بلهاً والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة.

الفزع يكون منه فيتولد منه الجبن الهالع، ومفرطاً فيتولد منه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه، وقد يكون متوسطاً كما يجب وقدر ما يجب، **(وإن مالت قوّة الشهوة إلى طرف الزيادة سمي شرهاً)** بالتحريك وهو شدة الحرص إلى الشيء، **(وإن مالت إلى النقصان سمي جموداً)**. اعلم أن العفة لا تتعلق إلا بالقوى الشهوية، ولا تتعلق القوّة الشهوية إلا بالملاذ الحيوانية وهي المعلقة بالغارين، وهما البطن والفرج دون الألوان الحسنة والألحان الطيبة والاشكال المنتظمة فهي إذاً ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية وهي حالة متوسطة بين إفراط وتفريط.

(والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة) بل أس الفضائل من القناعة والزهد وغنى النفس والسخاء وعدمها يعفي على جميع المحاسن ويعري عن لبوس المحامد، ومن يتسم العفة قامت العفة له بحجة ما سواها من الفضائل وسهلت له سبيل الوصول إلى المحاسن، **(والطرفان)** الإفراط والتفريط **(رذيلتان مذمومتان)** قد تنشأ عنهما رذائل كثيرة كما سيأتي بيانها، **(والعدل إذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان، بل له ضد واحد وهو الجور)**. نعم قد يتصوّر أن يكون للعدل طرفان متغايران باعتبار كماله ونقصانه، وباعتبار ظهوره في وصفه الحقيقي، وفي غير وصفه بأن يسمى عدلاً بالإضافة وهو جور في الحقيقة، وذلك كقولهم: المساواة في الظلم عدل، وهذا يتصوّر فيما إذا انتشر الجور وصار كل من يأتي من الولاة يزيد جوراً على الجور السابق فيأتي رجل فيبطل تلك الزيادة ويقيم الناس على القانون السابق، فذلك القانون السابق ولو كان في حد نفسه جوراً إلا أنه بالإضافة لما يصدر من الناس من الزيادة هو عدل في الجملة، ولكن ليس لطرفيه اسم خاص يتميز به عن ضده، ومما يدلك على الاختلاف مراتب العدل أنه ليس عدل عمر ابن عبد العزيز رحمه الله كعدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أنه ليس عدل السلطان نور الدين الشهيد رحمه الله كعدل عمر بن عبد العزيز، وكل منهم عادلون في أزمنتهم.

(وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة) التي لا يبيحها الشرع **(خبثاً)** بالكسر **(وجربزة)** بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الموحدة وهي الشطارة، **(ويسمى تفريطها بلهاً)** محركة وهو ضعف العقل، **(والوسط هو الذي يخص باسم الحكمة)**.

فإذاً أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. ونعني بالعدل حالة للنفس وقوّة بها تسوس الغضب والشهوة ويحملها على مقتضى الحكمة ويضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها. ونعني بالشجاعة كون قوّة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها، ونعني بالعفة تأدب قوّة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها.

إذ من اعتدال قوّة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة

(فإذاً أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية) وهي المسماة بهيئة القوّة العقلية العلمية، **(ونعني بالعدل حالة للنفس وقوّة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها مع مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها)** أي الحكمة لا على حسب مقتضى النفس، **(ونعني بالشجاعة كون قوّة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها)** سواء اعتبرت في النفس أو في العقل، **(ونعني بالعفة تأدب قوّة الشهوة بتأديب العقل والشرع)**. وهذه الأربعة التي هي أمهات الاخلاق تسمى فضائل نفسية، وبعضها يلازم بعضاً، فإن العقل المعبر عنه بالحكمة إذا أشرف عقل صاحبه عن الأقدام على ما يورثه مذمة ويحمله على الإقدام على المخاوف التي تورثه محمدة، وعلى أن يسمح بفضلات ما في يده لمن يحتاج إليه، وأن يبذل لكل ذي حق وذلك هو العفة والشجاعة والجود والعدالة. وكذلك إذا كان عدلاً يحمله عدله على ترك ما لا يجوز لـه تناوله، وإن لا يحجم عما يلزمه الإقدام عليه، وأن لا يبخل بفضلات في يده، وإذا كان شجاعاً لا تقهره شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره، ولا يخاف الفقر فيبخل، وبهذا النظر جعل بعض الشعراء الشجاعة سماحة والسماحة شجاعة فقال:

أيقنت أن من السماح شجاعة تدمي وإن من الشجاعة جودا

وجعل النبي ﷺ دفع الشهوة جهاداً، فقال «جهادك هواك» وجعلت العفة جوداً فقيل: الجود جودان جود بما في يدك وجود بما في يد غيرك وهو أعظمها. وهذه الفضائل إذا حصلت حصل بها الإنسانية والحرية والكرم، وعنها يتأصل الإسلام والإيمان والتقوى والإخلاص، وقد أشار المصنف إلى ما تصدر عنه الأخلاق الجميلة من اعتدال هذه الاصول الأربعة فقال:

(إذ من اعتدال قوّة العقل يصدر حسن التدبير) وهو النظر لعواقب الأمور واشتقاقه يقتضي ذلك لأنه تأمل دبر الأمر، وعليه حث حيث قال الشاعر:

ومن ترك العواقب مهملات فاكثر سعيه أبداً تبار

الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس، ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء، ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون ـ وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمراً في شيء دون شيء، والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له رؤية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض، وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وايثاره فاسداً.

أما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها. وهي أخلاق محمودة. وأما افراطها وهو

(وثقابة الرأي) أي نفوذه في إصابة الصواب، **(وإصابة الظن)** في الأمور بضرب من الإمارة، **(والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس)**، ويصدر عنه أيضاً: جودة الفهم، وجودة الخاطر، وجودة الخيال، والذكاء والفراسة وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة، وكلها من توابع قلة العقل، والضابط في ذلك أن العقل متى تقوى تولد من حسن نظره جودة الفكر، وجودة الذكر. ومن حسن فعله الفطنة وجزالة الرأي وتولد من اجتماع أربعتها جودة الفهم وجودة الحفظ. **(ومن افراطها تصدر الجربزة)** والخبء **(والمكر والخداع والدهاء)** والنكر وغير ذلك، **(ومن تفريطها يصدر البله والغفلة والغمارة والحمق والجنون، وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل)** والمتصف به يقال له الغمر بالضم، وهو الذي لم يدرك شيئاً ولم يجرب. قال قطرب في مثلثه:

إن دموعي غمر وليس عندي غمر
أي هذا الغمر اقصر عن التعتب

قال شارحه:

بالفتح ماء كثرا بالكسر حقد سترا
بالضم شخص ما درى شيأ ولم يجرب

(وقد يكون الإنسان غمراً في شيء دون شيء، والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق) وهو الذي فقد جوهر عقله **(مقصوده صحيح، ولكن سلوكه للطريق فاسد)** لفساد عقله، **(فلا تكون له رؤية صحيحة في طريق الوصول إلى الغرض، وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل ايثاره واختياره فاسداً)** لاستتار عقله.

(وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه الكرم) والسماحة **(والنجدة)** وهو عدم الجزع من المخاوف **(والشهامة)** وهو الحرص على ما يوجب الذكر الجميل من العظائم، **(وكبر النفس)** أي كبر همتها والكبير الهمة هو الذي لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، **(والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة وأمثالها وهي محمودة)** والضابط فيه أن الشجاعة متى

التهوّر فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب. وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب.

وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع. وأما ميلها إلى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.

تقوّت تولد منها الجود في حال النعمة والصبر في حال المحنة والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولية، كما قال الشاعر:

خلقنا رجالاً للتصبر والأسى ... وتلك الغواني للبكا والمآتمِ

(**وأما افراطها هو التهور فيصدر منه الصلف**) محركة (**والبزخ**) بالتحريك أيضاً كلاهما بمعنى التكبر (**والاستشاطة**) وهي السرعة إلى الغضب (**والتكبر والعجب**) بالضم رؤية النفس بالفضيلة وكلّها أخلاق مذمومة. (**وأما تفريطها فتصدر منه المهانة والذلة والجزع**) محركة هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (**والخساسة وصغر النفس**) أي ذلها أي صغرهمتها، (**والانقباض عن تناول الحق الواجب**) وهو الحياء المذموم وهذه كذلك أخلاق مذمومة.

(**وأما خلق العفة**) المتعلقة بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية، (**فيصدر عنه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع**) وغنى النفس. وهذه محاسن الفضائل وكلها محمودة والعفة هي المسهلة إليها، والضابط فيه أن العفة إذا تقوت تولد منها لقناعة والقناعة تمنع من الطمع في مال الغير فتولد الأمانة، (**وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة**) وهي قلة الحياء وصلابة الوجه (**والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء**) لأجل غناهم (**واستحقار الفقراء**) لأجل فقرهم، (**وغير ذلك**) والضابط الكلي في ذلك أن تمام العفة يتعلق بحفظ الجوارح، فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني والظن اللذان هما رأس كل رذيلة لأن من تمنى ما في يد غيره حسده وأدى حسده إلى المعاداة، وإذا عاداه نازعه بما قبله، ومن أساء الظن عادى وبغى، ولذلك نهى الله تعالى عنهما جميعاً فقال: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [النساء: ٣٢] وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] فأمر فيهما بقطع شجرتين يتفرع عنهما جل الرذائل والمآثم، ولا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر، فمن عدمها في اللسان يصدر السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالألقاب، ومن عدمها

فامهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة: وهي الحكمة، والشجاعة، والعفة والعدل، والباقي فروعها.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ، وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال. ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغي أن يبعد كما أن الأوّل قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه، فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق، كما قال.

في السمع يصدر الأصغاء إلى المسموعات القبيحة وهما وعفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص كل واحد منها إلا فيما سوغ فيه العقل والشرع دون الشهوة والهوى ولم يذكر العدالة، وهي من الأمهات، وقد تقدم أنه ليست ثمرة زيادة ونقصان، ولكنها إذا تقوت تولد الرحمة والرحمة من الاشفاق ومن أن يفوت ذا حق حقه فهي تولد الحلم والحلم يقتضي العفو.

(**فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة**) النفسية (**وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، والباقي**) مما يذكر منها (**فروعها**) التي تتفرع عنها، وتتفرع أيضاً من الفروع فروع أخرى، وكلها داخلة تحت المحمدة، (**ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا**) سيدنا (**رسول الله ﷺ**) فقد كان ﷺ أحكم الناس وأعقلهم وأشجعهم وأعفهم وأعدلهم، كما ثبت ذلك كله في الأخبار الصحيحة الماضية في كتاب أخلاق النبوة، (**والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ**) لأن القريب من القريب قريب، (**وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال**) والأقوال والأحوال، (**ومن انفك عن جلة هذه الأخلاق كلها، واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين العباد والبلاد، فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد**) عن الحضرة الإلهية، (**فينبغي أن يبعد**) من وصفه هذا (**كما أن الأول قرب من الملك المقرب**) والقرب من الملك هو الاتصاف أوصافه الخاصة به، (**فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه ولم يبعث رسول الله ﷺ إلا ليتمم محاسن الأخلاق كما قال ﷺ**) نما رواه مالك في الموطأ بلاغاً «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وقد روي موصولاً من حديث أبي هريرة بلفظ: «صالح الأخلاق» رواه البخاري في الأدب والحاكم والبيهقي. وعند الطبراني في

وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات: ١٥] فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هي قوّة اليقين وهي ثمرة العقل ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوّة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال. فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال، فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة:

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث

الأوسط من حديث جابر: « إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأعمال » وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

(وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في) جملة **(أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب)** ولا تلعثم **(هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل، ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال)**، فقد جمعت هذه الآية أمهات الأخلاق الأربعة. **(وقد وصف الله)** عز وجل **(الصحابة)** رضوان الله عليهم **(فقال:)** ﴿والذين معه **(أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال)** بل في استعمال كل وصف بما يليق به من الحال، **(فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه)** المتشعبة منه والله الموفق.

بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة:

(اعلم أن من غلبت البطالة عليه) ربما **(استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس)** وتطهيرها. **(وتهذيب الأخلاق ولم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه**

دخلته، فزعم أن الاخلاق لا يتصوّر تغييرها فإن الطباع لا تتغير، واستدل فيه بأمرين:

أحدهما: أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر، فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته، فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى.

والثاني: أنهم قالوا: حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب. وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج، والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة، فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده.

فنقول: لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصاياوالمواعظوالتأديبات ولما

وخبث دخلته) بكسر الدال أي باطن أمره، **(فزعم فيما قرره أن الأخلاق لا يتصور تغيرها)** عما جبل عليها إن خيراً وإن شراً **(وإن الطباع)** غرائز **(لا تتغير واستدل فيه بأمرين)**:

(أحدهما: أن الخلق) بالضم **(هو صورة الباطن كما أن الخلق)** بالفتح هو **(صورة الظاهر، والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها)** عما هي عليه، **(فالطويل لا يمكنه أن يجعل نفسه قصيراً ولا القصير يقدر على أن يجعل نفسه طويلاً، ولا القبيح)** الصورة **(يقدر على تحسين صورته وكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى)** وربما تعلقوا بقوله ﷺ: «من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فليشكر الله تعالى» نقله الراغب في الذريعة والذي عند البيهقي وابن عساكر من حديث ابن عباس: «من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وجعله في موضع غير شأن له فهو من صفوة الله من خلقه». وبما رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود: «فرغ إلى ابن آدم من أربع الخلق والخلق والرزق والأجل» ورواه أيضاً ابن عساكر من حديث أنس بلفظ: «فرغ الله من أربع» قالوا ومحال أن يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق، وربما تعلقوا بقول الشاعر:

وما هذه الأخلاق إلا غرائز فمنهن محمود ومنها مذمم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه بنصح ولا يستطيعه متكرم

(والثاني: أنهم قالوا: حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع وأنه قد لا ينقلع الآدمي) بحال، **(فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة)** واللذات الحاضرة، **(وذلك محال وجوده)**.

(فنقول) لهذا الزاعم **(لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير)** كما تقول **(لبطل)** فائدة **(الوصايا والمواعظ والتأديبات)** والوعد والوعيد والأمر والنهي، ولما جوّز العقل أن يقال للعبد

قال رسول الله ﷺ: «حسنوا أخلاقكم». وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الانس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق.

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول: الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب، بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات. وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوّة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه. وشرطه قد يرتبط باختيار العبد، فإن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربية. فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض، فكذلك

لم فعلت ولم تركت، (و) لو لم يكن كذلك (**لما قال ﷺ: «حسنوا أخلاقكم»**) فلو لم يمكن لما أمر بتحسين الأخلاق. قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ «يا معاذ حسن خلقك للناس» منقطع ورجاله ثقات اهـ.

قلت وروى أحمد من حديثه: «يا معاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» وقد تقدم قريباً (**وكيف ينكر هذا في حق الآدمي**) أم كيف يمتنع، (**وتغيير خلق البهيمة ممكن**) مشاهد (**إذ ينقل الصيد**) كالأسد والفهد والنمر والذئب (**من التوحش إلى الأنس**) بالعادة (**والكلب من الأكل إلى التأدب والإمساك**) بالتعليم، (**والفرس من الجماح إلى السلاسة**) بالترويض، (**وكل ذلك تغيير للأخلاق**) بلا شك.

(**والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول: الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والأرض والكواكب، بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات. وبالجملة: كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله، وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة قبول الكمال بعده إن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد**) وحاصل هذه العبارة إن الله تعالى خلق الأشياء على ضربين: أحدهما: بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملاً كالسماء والأرض، والثاني: خلقه خلقة ما وجعل فيه قوة ورشح الإنسان لإكماله وتغيير حاله وإن لم يرشحه لتغيير ذاته كالنواة التي فيها قوة النخل، (**فإن النواة ليس بتفاح ولا نخل أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير**) بعون الله تعالى (**نخلاً إن انضاف إليها التربية**) ويمكن أن يفسدها إفساداً (**ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربية**) لأنه ليس فيها قوة التفاح، (**فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض**

الغضب والشهوة لو أردنـا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه. وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى. نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان:

أحدهما: قوّة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود، فإن قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان، ولكن أصعبها أمراً وأعصاها على التغيير قوّة الشهوة، فإنها أقدم وجوداً إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة، ثم بعد سبع سنين ربما يخلق الغضب، وبعد ذلك يخلق له قوّة التمييز.

والسبب الثاني: أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له، وباعتقاد كـونـه حسناً ومرضياً. والناس فيه على أربع مراتب.

الأحوال دون بعض، فكذلك) خلق الإنسان يجري هذا المجرى في أنه لا سبيل للإنسان إلى تغيير القوة التي هي السجية وجعل له سبيلاً إلى إسلاسها. ألا ترى **(الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا إسلاسهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه، وقد أمرنا بذلك)** ووعدنا بالأجر عليه، **(وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى)** ولهذا قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ٩، ١٠] **(نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول)** وبعضها في الوسط وكل لا ينفك من أثـر قبـول، وإن قـل، قـال الراغـب: وأرى أن مـن منع من تغيير الخلق، فإنه اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح، فإن النوى محال أن ينبت منه الإنسان تفاحاً. ومن أجاز تغييره فإنه اعتبر إخراج ما في القوة إلى الوجود وإفساده بإهماله نحو النوى، فإنه يمكن أن يتفقد فيجعل نخلاً وإن يترك مهملاً حتى يعفن وهذا صحيح أيضاً، فاختلافهما بسبب اختلاف نظرهما والله أعلم.

ثم ذكر المصنف أسباب اختلاف الجبلات فقال: **(ولاختلافها سببان)**.

(أحدهما: قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتفكر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها أمراً وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فإنها أقدم القوى) الشهوية **(وجوداً)** في الإنسان وأشدها به تشبثاً وأكثرها منه تمكناً، **(إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة)** وتولد معه بل، وفي الحيوان الذي هو جنسه بل في النبات الذي هو جنس جنسه، **(ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب)** أي قوته **(وبعد ذلك)** آخراً **(تخلق له قوة)** الفكر والنطق و**(التمييز)**.

(والسبب الثاني: أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له) والانقياد إليه **(وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً، والناس فيه على أربع مراتب)**.

الأولى: وهو الانسان المغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح، بل بقي كما فطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات، ولم تستتم شهوته أيضاً باتباع اللذات. فهذا سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان.

والثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعوّد العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقياداً لشهواته، وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه، ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قدر ما رسخ في نفسه أوّلاً من كثرة الاعتياد للفساد، والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للروضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم.

والثالثة: أن يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل

(**المرتبة الأولى: وهو الإنسان الغُفْل**) بضم الغين وسكون الفاء (**الذي لا يميز بين الحق والباطل**) من الاعتقاد (**والجميل والقبيح**) من الأفعال، (**بل بقي كما فطر عليه**) أي جبل عليه (**خالياً عن جميع الاعتقادات**) الصحيحة والفاسدة كالأعراب وأهل السواد، (**ولم تتشمر أيضاً شهوته باتباع اللذات، فهذا**) الذي وصفه ذكر (**سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج**) في مزاولته (**إلا إلى تعليم مرشد**) كامل يهديه إلى طريق الخير فيهتدي سريعاً. ومن هنا قال القطب الشعراوي: لقد أرشدت كذا وكذا من أهل السواد إلى الله تعالى، فوصلوا واجتهدت في إرشاد من يتهم بطلب العلم، فلم ينجع إلا في اثنين أو ثلاثة وما ذاك إلا أن لوح قلوب أولئك لم ينتقش فيه شيء من الاعتقادات فقبلوه سريعاً. وهؤلاء قد نقش في لوح قلوبهم بعض الاعتقادات فلم يسرعوا للقبول، (**وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان**).

(**المرتبة الثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح فزين له سوء عمله فتعاطاه**) وتناوله (**انقياداً لشهوته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه**) فاعمت بصيرته، (**لكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه**) أولاً (**قلع ما رسخ في نفسه من التعود للفساد**) وذلك يستدعي مجاهدة لصعوبة القلع، (**والآخر أن يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح**) وهذا بأدنى مزاولة، (**ولكنه في الجملة محل قابل للرياضة أن انتهض لها بجد وحزم وتشمر**) وساعدته مع ذلك العناية الإلهية.

(**المرتبة الثالثة: أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل**

وتربى عليها. فهذا تكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور، وذلك لتضاعف أسباب الضلال.

والرابعة: أن يكون مع النشوء على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلال النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب. وفي مثله قيل: ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب. والأول من هؤلاء جاهل فقط، والثاني جاهل وضال، والثالث: جاهل وضال وفاسق، والرابع: جاهل وضال وفاسق وشرير. وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم: إن الآدمي

وتربي على ذلك) ولم يدخل عليها ما يخالفه إلى أن كبر عليه ورسخ اعتقاده ذلك في نفسه رسوخاً تاماً **(فهذا تكاد تمتنع معالجته)** ويعسر برؤه **(ولا يرجى صلاحه إلا على الندور)** والقلة، **(وذلك لتضاعف أسباب الضلال)**، وهؤلاء كأهل البدع والضلالات من المعتزلة والروافض، فإنهم استحسنوا ما تلقفوه من آبائهم وشيوخهم تقرير الاعتقادات الفاسدة فرسخت في قلوبهم من حين نشئهم إلى أن كبروا عليها فلو تليت عليهم أساطير الأولين ببراهين واضحة لم تكد طباعهم تميل إلى سماعها، وقد استحوذ الشيطان عليهم وحسن لهم ما اعتقدوه فلم ينجع فيهم طريق الإرشاد وأبطأت غرائزهم عن القبول.

(المرتبة الرابعة: أن يكون مع وقوع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويتباهى به) بين أقرانه **(ويظن أن ذلك يرفع من قدره)** ويعلي من شأنه، **(وهذا هو أصعب المراتب)** الأربعة **(وفي مثله قيل: من التعذيب تهذيب الذيب)** إذ هو مجبول على الشر والفساد، فتهذيب أخلاقه بالأصلاح تعذيب نفس وتضييع وقت بلا فائدة وقالوا في ذلك:

إذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع فيه الأديب

(والأول من هؤلاء جاهل فقط، والثاني جاهل وضال فقط) وهما يرشدان سواء كان المرشد شيخاً أو باعثاً من نفسه، **(والثالث: جاهل وضال وفاسق، والرابع: جاهل وضال وفاسق وشرير)** وهما لا يقبلان الإرشاد، واعلم أن كمال الإنسان في الفضيلة بأربع درجات: اثنتين في الاعتقاد وهما أن يعتقد من براهين واضحة وأدلة قاطعة لا عن شبهات واهية واقناعات متداعية، واثنتين في الفعل وهما أن يترك العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيتجنب الرذيلة يتوصل إلى الفضيلة وأن يتعود العادات الحسنة فيجعلها بحيث يؤثرها ويتنعم بها، وكما أنه يكمل بأربع درجات فإنه ينتكس باربع درجات: درجتين في الاعتقاد وهما أن لا يعتقد من العلوم الحقية فيبقى منها غفلاً وأن يعتقد عن تقليد اعتقاداً فاسداً فيتلطخ به، ودرجتين في العمل وهما أن لا يتعود العادة الجملية رأساً وأن يتعود العادة القبيحة.

ما دام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق، فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها. وهيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك، ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال. وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط،

(وأما الخيال الآخر وهو أن الآدمي ما دام حياً فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق، فهذا غلط) منشؤه التخيل الفاسد، وقد **(وقع)** ذلك **(لطائفة)** من المتسمين بالعلم **(ظنوا أن المقصود من المجاهدة)** النفسية **(قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها)**، وإن الإنسان لا يصير خارجاً عن جملة البهائم وأسر الهوى إلا باماتتها وإلا ضرته وغرته وصرفته من طريق الخير وهذا لا بأس به، **(و)** لكن **(هيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة)** ولحكمة اقتضت أن يبلى بها الإنسان، **(ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان)** بيان ذلك الشهوة لو تصورت مرتفعة لم يمكن الوصول إلى الآخرة، وذلك ان الوصول إلى الآخرة بالعبادة ولا سبيل إلى العبادة إلا بالحياة الدنيوية ولا سبيل إلى الحياة الدنيوية إلا بحفظ البدن ولا سبيل إلى حفظه إلا بإعادة ما يتحلل منه، ولا يمكن إعادة ذلك إلا بتناول الأغذية ولا يمكن تناول الأغذية إلا بالشهوة فإذا الشهوة محتاج اليها مرغوب فيها وتقتضي الحكمة الإلهية بايجادها وتزيينها كما قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ الآية [آل عمران: ١٤] ثم من تناول الأغذية بالشهوة تصدر شهوة الوقاع، **(ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل)** ولا يمكن الوقاع بلا شهوة، فإذاً الشهوة مرغوب فيها لأجل ذلك أيضاً. **(ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه)** ويستبيح حريمه، لكن مثلها كمثل عدوّ تخشى مضرته من وجه وترجى منفعته من وجه، ومع عداوته لا يستغني عن الاستعانة به، فحق العاقل أن يأخذ نفعه ولا يسكن إليه ولا يعتمد عليه بقدر ما ينتفع به، وما أصدق في ذلك قول المتنبي إذا تصور في وصف الشهوة وإن قصدها فما أجود ما أرادها:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدواً له ما من صداقته بدّ

وأيضاً فهذه الشهوة هي المشوقة لجميع الناس من لذات الجنة، إذ ليس كل الناس يعرف اللذات المعقولة، ولو توهمناها مرتفعة لما تشوقوا إلى ما وعدوا به من قول النبي ﷺ: « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ». **(ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمل ذلك على إمساك المال، وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى)** مرتبة **(الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط**

والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهوّر وعن الجبن جميعاً. وبالجملة أن يكون في نفسه قوياً ومع قوّته منقاداً للعقل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد. وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك. إذ قال ﷺ: « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر » وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه، ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق. وقال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: ١٣٤] ولم يقل والفاقدين الغيظ. فردّ الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما، والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها فيقدم على الانبساط إلى الفحش. وبالرياضة

والتفريط) وهو خير الأمور وأعدلها، **(فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية، وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعاً)** وهما الطرفان الرذيلان، **(وبالجملة أن يكون في نفسه قوياً ومع قوته يكون منقاداً للعقل)** فلا يقدم على شيء يخالفه العقل، **(ولذلك قال)** الله **(تعالى)** في صفة الصحابة **(﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾)** فإنه وصفهم **(بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب، ولو بطل الغضب)** عدمت الشدة الثابتة بنص القرآن، وفي انعدامها انعدام الغضب، ولو بطل الغضب **(لامتنع جهاد الكفار)** المأمور به، **(وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والأنبياء)** عليهم السلام مع عصمتهم **(لم ينفكوا عن ذلك. قال رسول الله ﷺ: « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس، وله من حديث أبي هريرة: « إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ». **(وكان ﷺ يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه، ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرجه عن الحق)** قال العراقي: رواه الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال: إن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ، ولهما من حديث أبي سعيد الخدري: وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه، ولهما من حديث عائشة: ما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، ولمسلم وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه الحديث.

(وقال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ ولم يقل والفاقدين الغيظ) والكظم: ستر الغيظ، **(فرد الشهوة والغضب إلى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه، بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن)** متيسر، **(وهو المراد بتغيير الخلق، فإنه ربما تستولي الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على الفواحش، وبالرياضة تعود إلى**

تعود إلى حد الاعتدال، فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها، والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعاً وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الاسراء: ٢٩] وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود. قال الله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا ولا تُسْرِفُوا إنّه لا يُحبّ المسرفين﴾ [الأعراف: ٣١ ﴾ وقال في الغضب: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وقال ﷺ « خير الأمور أوساطها ».

حد الاعتدال، فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة بينة لا شك معها، والذي يدل على أن المطلوب الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق مطلوب شرعاً، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنى الله تعالى عليه فقال ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾) أي لم يجاوزوا حد الكرم (**ولم يقتروا**) أي ولم يضيقوا تضييق الشحيح، وقيل: الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب (**وكان بين ذلك قواماً**) أي وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما (**وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾**) تمثيلاً لمنع الشحيح، وإسراف المبذر نهي عنهما أمراً بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم ﴿فتقعد ملوماً محسوراً﴾ أي فتصير ملوماً عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير، ومحسوراً أي نادماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك، (**وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والخمود. قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وقال في الغضب ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وقال رسول الله ﷺ: « خير الأمور أوسطها »**) قال العراقي: رواه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلاً، ورواه الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني في الأربعين العلوية من طريق أهل البيت من حديث علي ولا يصح اهـ.

قلت: ورواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي، وللديلمي بلا سند، عن ابن عباس مرفوعاً: « خير الأعمال أوسطها » في حديث أوله: « دوموا على أداء الفرائض » للعسكري من طريق معاوية بن صالح عن الأوزاعي قال: « ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب الغلو أو التقصير » ولأبي يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه. قال: إن لكل شيء طرفين ووسطاً فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوساط من الأشياء، وأنشد بعضهم:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

وهذا له سر وتحقيق. وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم. قال الله تعالى: ﴿إلاَّ من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٩] والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضاً من عوارض الدنيا. وشرط القلب أن يكون سليماً منهما أن لا يكون ملتفتاً إلى المال ولا يكون حريصاً على إنفاقه، ولا على إمساكه فإن الحريص على الانفاق مصروف القلب إلى الانفاق، كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك، فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعاً. وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين. وأبعد عن الطرفين وهو الوسط، فإن الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما، فكأنه خال عن الوصفين، فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهوّر والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي الأمور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن. نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأساً ويذم امساك المال رأساً ولا يرخص له في شيء منه، لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذراً في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص

وأنشدنا شيخنا المرحوم أبو الحسن علي بن موسى الحسيني لبعضهم:

حب التناهي غلط خير الأمور الوسط

(**وهذا له سر وتحقيق، وهو أن العادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم. قال تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**) أي من الغش والكدر والنفاق أو من العوارض، (**والبخل من عوارض الدنيا والجود أيضاً من عوارض الدنيا، وشرط القلب أن يكون سليماً بينهما أي لا يكون ملتفتاً إلى المال، فلا يكون حريصاً على إمساكه ولا حريصاً على إنفاقه، فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق، كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إليه، وكان كمال القلب في أن يصفو عن الوصفين جميعاً**) فإن كلا الوصفين مرضاة للشياطين تنشأ عنهما الغفلة، وإذا صفا القلب كذلك صار محلاً للمعرفة وتنزل أنوار التوحيد، (**وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه بعدم الوصفين، وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فإن الفاتر**) ذكروا في حده أنه (**لا حار ولا بارد، وهو وسط بينهما، فكأنه خال عن الوصفين، فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور، والعفة بين الشره والخمود، وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفي قصد الأمور ذميم، فهذا هو المطلوب وهو ممكن جداً نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد**) السالك على يديه (**أن يقبح عنده الغضب رأساً، ويذم إمساك المال رأساً، ولا يرخص في شيء من ذلك**) ولا يريه طريق الاعتدال في ذلك، (**لأنه لو رخص**) له (**في شيء منه اتخذ ذلك عذراً في استبقاء بخله وغضبه، وظن أنه القدر المرخص فيه، وإذا قصد قلع الأصل**)

فيه، فإذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إلى الاعتدال، فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود، فلا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وإن امساكه بحق.

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة:

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوّة العقل وكمال الحكمة. وإلى اعتدال قوّة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضاً، وهذا الاعتدال يحصل على وجهين:

أحدهما: بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالماً بغير تعليم ومؤدّباً بغير تأديب، كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام، وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. ولا يبعد أن يكون في الطبع

وبالغ فيه لم يتيسر له إلا كسر سورته) وقمع قوته **(بحيث يعود إلى الاعتدال، فالصواب له أن)** لا يرخص له في شيء من ذلك رأساً، بل **(يطلب قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود، فلا يكشف هذا السر للمريد، فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق، وإن إمساكه بحق)** فيفتر بذلك فيقع في النقصان، والله الموفق.

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق:

(على الجملة قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوّة العقل بكمال الحكمة. وإلى اعتدال قوّة الغضب والشهوة، وكونها مطيعة للعقل والشرع، وهذا الاعتدال) في هذه القوى **(يحصل على وجهين)**. أراد المصنف بهذه الجملة بيان سبب اختلاف الناس في أخلاقهم، وأن الفضائل النفسية إما نظري أو عملي وكل منهما يحصل على وجهين:

(أحدهما: بجود إلهي) وفيض رباني **(وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم)** من البشر **(عالماً وبغير مؤدب أديباً)** كاملاً، وذلك **(كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا)** عليهما السلام، **(وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين)** الذين حصل لهم من المعارف من غير ممارسة ما لم يحصل للحكماء. ونقل الراغب عن بعض الحكماء قال: إن ذلك قد يحصل لغير الأنبياء أيضاً في الفينة بعد الفينة، **(ولا يبعد أن يكون في الطبع**

والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخياً جريئاً ، وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق ، وربما يحصل بالتعلم .

والوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب . فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال ، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً ، وكذلك من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه . وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق ، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي

والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة وسخياً جريئاً) أي شجاعاً **(وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعوّد)** والتدرب ، **(ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم)** وبالعادة فمن صار فاضلاً طبعاً وعادة وتعلماً فهو كامل الفضيلة ، ومن كان رذلاً شكثاً بثلاثتها فهو كامل الرذيلة ، وما كان بالتعلم فيحتاج فيه إلى زمان وتدرب وممارسة ويتقوّى الإنسان فيه درجة فدرجة ، وذلك بحسب اختلاف الطباع في الذكاء والبلادة .

(والوجه الثاني لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضه وأعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقبضها الفعل المطلوب) أي حق الإنسان في كل فضيلة أن يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء أمكنه أن يبرز ذلك فعلاً أم لم يمكنه ، **(فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال)** وإن لم يكن ذا مال ، **(فلا يزال يواظب عليه مكلفاً مجاهداً لنفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً ويتيسر عليه فيصير نفسه جواداً)** وقد قيل لبعض الحكماء هل من جود يعم به الورى ؟ قال: نعم أن تحسن خلقك وتنوي الخير لكل واحد وسبق حديث « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم » . وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة والحكمة والعدل، فليكن على هيئة الشجعان والحكماء والعدول، وإن لم يعرض له مقام تظهر فيه نجدته ولا معاملة بينه وبين غيره تبرز فيه عدالته ، **(وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه)** وهواه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً وطبعاً فيتيسر عليه ويسهل ، **(وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق وغايتها)** وكمالها **(أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً)** ويستطيبه وإن كان ثقيلاً ، **(فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال)** على وجوهه **(دون الذي يبذله عن كراهة نفس**

يبذله دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعوّد النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها، كما قال ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة». ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به. نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير، ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى: ﴿وإنها لكبيرةٌ إلاَّ عَلى الخَاشِعِين﴾ [البقرة: ٤٥] وقال ﷺ: «اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير»

والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن تترسخ الأخلاق الدينية في النفس) ترسخاً كاملاً **(ما لم يتعوّد جميع العادات الحسنة، وما لم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها)**. قد تقدم أن الإنسان يكمل في الفضيلة بأربع درجات: اثنتين في الاعتقاد، واثنتين في الفعل. فاللتان في الفعل هما أن يترك العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيتجنب الرذيلة ويتوصل إلى الفضيلة، وإن يتعوّد العادات الحسنة فيجعلها بحيث يؤثرها ويتنعم بها، **(كما قال ﷺ)** حبب إليَّ النساء والطيب، **(«وجعلت قرة عيني في الصلاة»)**. هكذا رواه الطبراني في الأوسط وفي الصغير من حديث أنس، ورواه الخطيب في التاريخ مقتصراً على الجملة الأخيرة وهو عند النسائي بهذا اللفظ وبلفظ «وجعل» وقد رواه كذلك أحمد وأبو يعلى وأبو عوانة والبيهقي كما تقدم ذلك مفصلاً. **(ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به)**، وبيان ذلك أن كل فعل فمحتاج إلى إيجاده وتجويده وترتيبه دنيوياً كان أو أخروياً، لكن متى كان أخروياً يحتاج فيه مع ذلك إلى أمور لا يتم ولا يكمل إلا بها، وهو أنه يجب أن يتعاطاها قصداً إلى المكرمة، وأن يتحراه بخلوص الطوية وأن يقصد به جلب منفعة دنيوية أو دفع مضرة، فإنه يكون بفعله ذلك تاجراً ويجب عند بعض المحققين أن لا يطلب منفعة أخروية أيضاً فقد قيل: من عبد الله بعوض فهو لئيم، ومن فعل ذلك بانشراح صدر فهو أولى ممن يفعله بمجاهدة نفس واستكراه. **(نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير، ولكن بالإضافة إلى تركه لا بالإضافة إلى فعله عن طوع)** وإنشراح صدر، **(ولذا قال تعالى)** ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس، وبالصلاة فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية **(وأنها)** أي الاستعانة بهما أو الصلاة وتخصيصها برد الضمير إليها تعظماً لشأنها **(لكبيرة)** أي لثقيلة شاقة **(الاَّ على الخاشعين)** أي المخبتين، وإنما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم، فإن نفوسهم مرتاضة مرتضاة بأمثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها. **(وقال ﷺ**

ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان. بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر، وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل، ولذلك لما سئل ﷺ عن السعادة فقال «طول العمر في طاعة الله تعالى» ولذلك كره الانبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة. وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والاخلاق

«اعبد الله في الرضا) وفي لفظ: ان استطعت أن تعمل لله في الرضا باليقين فاعمل (فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير») عزاه العراقي إلى المعجم الكبير للطبراني، ولم يذكر صحابياً وقولهم الحق مر فهو باعتبار من لم يهذب نفسه ولم يزل مرضه كما قال المتنبي:

ومن يك ذا فم مرّ مريضٍ ... يجد مراً به الماء الزلالا

(ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة وكراهة المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون كذلك على الدوام، وفي جملة العمر. وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل)، ولولا طول العمر لفلّ حظ الإنسان من السعادات الدنيوية التي لولاها لما نيلت السعادات الاخروية، (ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن السعادة) ما هي؟ (فقال «طول العمر في طاعة الله») قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، وللترمذي من حديث أبي بكرة وصححه: أي الناس خير؟ قال «من طال عمره وحسن عمله» اهـ.

قلت: حديث أبي بكرة رواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة «وشر الناس من طال عمره وساء عمله» وقد روي ذلك عن عبد الله بن بسر بلفظ «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني والبيهقي والضياء وفي لفظ له «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله». ورواه كذلك الطبراني وفيه بقية وقد عنعنه، وعن جابر بلفظ «إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة». رواه الحاكم، ورواه أيضاً بلفظ «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً». وعن أبي هريرة بلفظ «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أخلاقاً» رواه أحمد والبزار وفي معناه ما رواه الديلمي بسند فيه متروك من حديث أبي هريرة «إذ أراد الله بقوم خيراً مدّ لهم في العمر وألهمهم الشكر.

(ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت، فإن الدنيا مزرعة الآخرة) أي محل حرث الآخرة وهو لا يتم إلا بطول البقاء لحصول كثرة الأعمال، فهذا من كراهتهم للموت لا ما يسبق إلى الأذهان، (وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل) أي أوفر، (وكانت النفس أزكى وأطهر و) كانت (الأخلاق أقوى وأرسخ) لكثرة المواظبة بتمرينها،

أقوى وأرسخ، وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب، وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات. وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى، وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل، ثم يكون بعد ذلك فرحاً مستلذا له، ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرة العين. ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك؛ فإنا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة، ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار، مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به، وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة. وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في

(وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات) وكثرة المواظبة عليها تستدعي صحة البدن التي هي المقصود الأعظم من الحياة وصحة البدن عبارة عن اعتدال القوى الأربع التي هي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة في أجزاء البدن الأربعة، وهي العظام والعصب واللحم والجلد، فقد ظهر بذلك أن الفضائل الأخروية محتاجة إلى الفضائل النفسية، كما أن الفضائل النفسية محتاجة إلى الفضائل البدنية. **(وغاية هذه الأخلاق)** وكمالها **(أن ينقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله)**، عز وجل، **(فلا يكون شيء أحب إليه من الله ومن لقائه فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه و)** يكون **(غضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل، ثم يكون مع ذلك فرحاً به)** ومبتهجاً **(وملتذاً)** ومستطيباً. **(ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة قرة عين)** الإنسان **(ومصير العبادات لذيذة)** له، **(فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أعجب من ذلك فإنا نرى الملوك والمتنعمين)** من أهل الرفاهية **(في أحزان دائمة)** متوالية **(ونرى المقامر)** الذي يلعب بالقمار **(المفلس)** الذي ليس عنده مال **(قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر معه فرح الناس بغير القمار)** ويستعجب **(مع أن القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلساً)** لا شيء له، **(ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به، وذلك لطول إلفه له ورده نفسه إليه مدة)** حتى صار ممتزجاً بلحمه ودمه، ولحبه له سبب آخر غير الفته له هو كونه يسوّل له الشيطان طول أمانيه بأن يكون غالباً على رفيقه فيسلب ماله ويخرب داره فهو لم يزل كذلك ولم ينل من آماله شيئاً. ولولا هذه الأمنية لما ردّ نفسه إليه بعد إفلاسه فطول الإلفة في خصوص القمار

حر الشمس قائماً على رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جوّ السماء ، بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط ، وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوّته في الصبر على ذلك ، حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ، ويقطع الواحد منهم إرباً إرباً على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصـرّ على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحاً بما يعتقده كمالاً وشجاعة ورجولية ، فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره ، بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالإناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين ، حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء . فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين

سبب ناقص ، وأما كون أرباب النعم دائماً في حزن فله أسباب كثيرة. إما لكبر هممهم ، وإما لكثرة وظائفهم المتعلقة بهم ، وإما خوف زوال تلك النعم عنهم ، أو خوف نقص بأيديهم فتتشوّش لذلك أذهانهم وتتشتت أفكارهم فتراهم لا يقرّ لهم قرار ، كلما زادت عليهم النعم زادوا شغلاً وطالت أمانيه وكثرت مساعيه ودواعيه .

(**وكذلك اللاعب بالحمام**) الذي يربى في البيوت (**قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائماً على رجليه وهو لا يحس بألمه لفرحه بالطيور وحركتها وطيرانها وتحليقها في جوّ السماء**) وغاية حظه أن يجلب به حمام غيره بأن يؤلفه إلى مأواه ويستجلب ماليس له ، (**بل ترى الفاجر العيار**) الشاطر الذي يختلس أموال الناس بلطف حيلة ومكر (**يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على**) ضرب (**السياط وعلى تقديمه إلى الصلب والشنق ، وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك**) فإنه (**يرى ذلك فخراً لنفسه حتى يقطع الواحد منهم آراباً**) أي أعضاء (**على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره بعلم منه فيصبر على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات**) النازلة عليه (**فرحاً بما يعتقده كمالاً وشجاعة ورجولية ، فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال**) والعذاب (**قرة عينه وسبب افتخاره**) بين أقرانه حتى يشار إليه بالبنان ، (**بل لا حالة أخس وأقبح من حالة المخنث**) بكسر النون المشددة وقيل بفتحها (**في تشبهه بالإناث في نتف الشعر**) عن وجهه (**ووشم الوجه**) أي تزيينه بالوشم ، (**ومخالطة النساء**) والتشبه بكلامهن ، (**وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين**) والزبالين (**التفاخر والمباهاة كما تجري بين الملوك والعلماء**) وغيرهم ، (**ولكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف ، فإذا كانت النفس**

والمعارف. فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القبائح، فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة، فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني، وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه، وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حلّ به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها، فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله، إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه، فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض.

فإذاً قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح ـ أعني النفس والبدن ـ فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على

بالعادة تستلذ الباطل) وتسطيبه وتميل إلى القبائح، **(فكيف لا تستلذ الحق)** وتستطيبه **(لوردت إليه مدة والزمت المواظبة عليه، بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة)** الفاضحة **(خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين، فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة)** مع كمال ضرره للبدن، **(فأما ميلها إلى الحكمة)** وعلومها **(وحب الله ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب، فهو مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه)** بمقتضى العادة، **(وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى، ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به)** منعه عن ذلك الغذاء، **(كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب)** بسقوط شهوتهما عنها **(وهما سبب حياتها)** وقوام بقائها. وفي نسخة: وهما سببان لحياته **(فكل قلب مال إلى حب شيء)** من أمور الدنيا **(سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض)** باطني **(بقدر ميله إلا إذا أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض)** فإنه حينئذ يكون من جلة أسباب الحب في الله.

(فإذاً قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة) والمجاهدة **(وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء)** أي في آخر الأمر، **(وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن، فإن كل صفة**

الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والامر فيه دور، ويعرف ذلك بمثال: وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية ـ حتى يصير كاتباً بالطبع ـ فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً، فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً، ولكن الأول بتكلف إلا أن ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع.

وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء، وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس، وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له، فلا علاج له إلا ذلك، وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من

تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها) أي على موافقة تلك الصفة، (**وكل فعل يجري على الجوارح فإنه يرتفع منه أثر إلى القلب**) يتأثر به ويعرف منه ذلك (**والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال، وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه**) بالإدمان والتدرب (**حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه**) متمكنة (**فيصدر منه بالآخرة الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر في الابتداء تكلفاً**) بمشقة (**فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً، ولكن الأوّل متكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى النفس، ثم انخفض من النفس أثر إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعاً**) فهذا مثال الدور الذي بين عمل القلب والجوارح، (**وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس**) بمعرفة مالها وعليها (**فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه**) بالدارسة والمطالعة (**حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير**) بذلك (**فقيه النفس، فكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيفاً حليماً متواضعاً، فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً**) أوّلاً (**حتى يصير له ذلك بالعادة طبعاً ولا علاج له إلا ذلك**)، وقد ظهر بالسياق المتقدم أنه فرق بين الطبع والتطبع والصنع والتصنع والخلق والتخلق فالتفعل معه أشتغال، ويحتاج إلى تنشيط من خارج والفعل معه استخفاف

نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة، فكـذلـك طـالـب تـزكيـة النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم. وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها، ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس الكسل وتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه. وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة. وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النفس بل

وارتياح، ولا يحتاج إلى تعب من خارج، فمن لم يكن معه نفس الفعل حاصلاً احتاج إلى تحصيله بمزاولة التعب من خارج حتى يحصله لنفسه ويحوزه لها ليلحق بدرجة أهل الكمال، فتعاطي أفعال من يريد أن يكون مثلهم هو التشبه بأفعالهم وأخلاقهم، وهذا قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً فالمحمود منه ما كان على سبيل الارتياض والتدرب يتحراه صاحبه سراً وجهراً على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي وإياه قصد الشاعر:

ولن تستطيع الخلق حتى تخلقا

بل ورد في الخبر إنما العلم بالتعلم والمذموم منه ما كـان على سبيـل المراءاة ولا يتحـرّاه صـاحبـه إلا حيث يقصد أن يذكر به، ويسمى ذلك رياء وتصنعاً وتشبعاً كما هو ظاهر في حال من يريد أن يكون خطه حسناً ليقال أنه كاتب حاذق، وأن يكون فقيهاً يرجع إليه الناس في الفتيا فيحوز به الجاه والمال، ولن ينفك من كان حاله كذلك من اضطراب يدل على تشبعه، كما في كتاب كليلة الطبع المتكلف كلما زدته تثقيفاً زادك تعنيفاً، وعلى ذلك قال الشاعر:

تكلـــف شيء في طبـــاعـــك ضـــده ... فـــاسرع مفعـــول فعلـــت تغيراً

وإياه قصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: من تخلق للناس بغير ما فيه فضحه الله تعالى، وحال المتشبع كالجرح يندمل على فساد فلا بدَّ وأن ينبعث وإن كان بعد حين قال الشاعر:

فـــإن الجرح يبقـــر بعـــد حين ... إذا كـــان البنـــاء على فســـادِ

(وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه المرتبة بتعطيل ليلة) من الدراسة والمطالعة **(ولا ينالها بتكرار ليلة، فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم، وهو معنى قولنا: إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة)** بالضم اسم من التعطيل **(في يوم واحد تدعو إلى مثلها، ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأساً فتفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي)** فإنها **(يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة)** الذي هو الفوز بالمطلوب **(بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة)** أعاذنا الله من ذلك. **(كما أن تكرار ليلة)**

يظهر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج ـ مثل نموّ البدن وارتفاع القامة ـ فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال، ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة، وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد، فلكل واحد منها تأثير، فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي، فله ثواب لا محالة فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك المعصية. وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوّف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه. فكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوّف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة، إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها. وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وجَعَلْنَا من بَيْن أيديهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِم سدّاً﴾ [يس: ٩]

واحدة (**لا يحس بأثرها في تفقيه النفس**) أي جعلها فقيهة، (**بل يظهر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدرج**) والترتيب (**مثل نموّ البدن وارتفاع القامة**) فإنه لا يحس بهما إلا تدريجاً، (**فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس بأثرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال**) وإنما يحس به فيما بعد، (**ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعات فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة، وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تأثير**) وهكذا كل متعاط لفعل من الأفعال النفسية فإنه يتقوى فيه بحسب الازدياد منه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فباحتمال صغار الأمور يمكن احتمال كبارها وباحتمال كبارها يستحق الحمد، (**فما من طاعة إلا ولها أثر، وإن خفي فلها لا محالة ثواب لأن الثواب بازاء الأثر، وكذا المعصية. وكم من فقه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي فيسوّف نفسه يوماً يوماً**) يقول: سوف أقرأ بعد يوم ثم يأتي عليه ذلك اليوم فيؤخره إلى يوم آخر فهذا هو التسويف (**إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه، فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوّف نفسه بالتوبة على التوالي يوماً يوماً إلى أن يختطفه الموت بغتة**) أي فجأة (**أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه**) تراكم السحب على عين الشمس (**وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير**) ويجره إليه (**ويصير القلب مقيداً بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى**) أي المقصود المشار إليه (**بانسداد باب التوبة**) لصعوبة انفتاحه جعل كأنه مسدود. وقيل لحكيم: ألا تعظ فلاناً؟ فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه فلا سبيل إلى معالجة فتحه، (**وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً﴾ الآية**) قرىء بفتح السين فيهما وبالضم، وقيل: بالفتح ما كان من فعل الناس، وبالضم ما كان بخلق الله. وقيل: بالفتح ما يسد البصر وبالضم ما يسد البصيرة. ويؤيده قوله بعد: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ نبه عليه الخفاجي في تذكرته. (**ولذلك قال**

الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه: ان الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء، كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيضّ القلب كله. وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كله.

فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً. فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة، ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم ويسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل، وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات،

علي كرم الله وجهه: إن الإيمان يبدو في القلب لمعة) وفي نسخة: نكتة **(بيضاء، فكلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيضّ القلب كله، وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كله)**.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿كلابل ران على قلوبهم﴾ [المطففين: ١٤] قال: يعمل الذنب فيحيط بالقلب فكلما عمل ارتفعت حتى يغشى القلب.

وأخرج ابن جرير عنه قال: كانوا يرون أن القلب مثل الكف فيذنب الذنب فينقبض منه، ثم يذنب الذنب فينقبض حتى يختم عليه، ويسمع الخير فلا يجد له مساغاً.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: الذنب على الذنب ثم الذنب على الذنب حتى يغمر القلب فيموت.

(فإذاً قد عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة) الأصلية، **(وتارة)** تكون **(باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة)** تكون **(بمشاهدة أرباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم)** في أكثر الأوقات، **(وهم قرناء الخير واخوان الصلاح)** من أهل العلم بالله والعمل. **(إذ الطبع)** السليم الساذج **(يسترق من الطبع)** المقارن به **(الشر والخير جميعاً)** ومن هنا قول العامة: الطبع السليم سرّاق. وقولهم أيضاً: من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم، **(فمن تظاهرت في حقه الجهات حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً)** في الدرجات الأربعة اعتقاداً وعملاً، **(فهو في غاية الفضيلة)** وممن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، **(ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له)** معاشرة **(الأقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى تعوّده، فهو في غاية)** الانتكاس في الدرجات الاربعة اعتقاداً وعملاً، وأورثت رذيلته هذه نهاية **(البعد من الله تعالى)** فهو من الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿أولئك

ولكلٍ درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته ﴿فمن يَعَمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يره* ومَنْ يَعَمْلَ مثقالَ ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿وما ظَلَمَهُم اللهُ ولكنَ كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [النحل: ٣٣].

بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الاخلاق:

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها. كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالاً. فنقول:

مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها، مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها

الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ ثم قال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (**وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات**) ولم تتظاهر عليه، (**ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحاله ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**) أي يرى جزاءه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر (**﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**) ظلموا أنفسهم بالاعتياد على العادات القبيحة فرسخت فيها بمعاشرة قرناء السوء فأظلمت قلوبهم وعميت بصائرهم، فصاروا أحقّاء بالبعد عن حضرة الحق، ثم للإنسان مع كل فضيلة ورذيلة ثلاثة أحوال: إما أن يكون في ابتدائها فيقال: عو عبدها وابنها ولذا قال بعضهم: من لم يخدم العلم لم يرعه، والثاني: أن يتوسطها فيقال: أخوها وصاحبها. والثالث: أن ينتهي فيها بقدر وسعه ويتصرف فيها كما أراد فيقال: هو سيدها وربها. وغاية الفاضل في الفضيلة أن تقع منه الفضائل أبداً من غير فكر ولا روية لغلبة قواها عليه وبعدما ينافيها منه وغاية الرذل في الرذيلة أن تقع منه الرذائل بغلبة قواها عليه، ولهذا حدّ الخلق بأنه حال للإنسان داعية إلى الفعل من غير فكر ولا رواية، والله الموفق.

بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق:

(**قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الاخلاق هو صحة في النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها، كما ان الاعتدال بين مزاج البدن هو صحة له**) بأن تعتدل القوى الأربعة في أجزاء البدن، (**والميل عن الاعتدال مرض فيه**) بان تخالف إحدى القوى، (**فليتخذ البدن مثالاً**) لذلك (**فنقول: مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها**) بالرياضة والمجاهدة (**وكسب الفضائل والأخلاق الجميلة لها مثال البدن،**

إليه. وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والأهوية والأحوال، فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه ـ أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل ـ وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال؛ وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم. وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة، وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه؛ فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة، فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوّة إليها واكتساب زيادة صفائها، وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها. وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها. فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره

وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه) باستعمال ما يناسبه، **(فكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال، وإنما تعتري العلة المغيرة له بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال)** المختلفة، **(فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيحاً على الفطرة)** الإسلامية، **(وإنما أبواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه)** كما ورد في الخبر وتقدم ذكره قريباً. **(أي)** يغيرانه إلى الأديان المختلفة و **(بالتعوّد والتعلم تكتسب الرذائل، فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوّ والتربية بالغذاء)** على التدريج، **(فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال)** مستعدة له، **(وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق)** بالرياضة **(والتغذية)** بالعلم النافع، **(وكما ان البدن ان كان صحيحاً فشأن الطبيب)** الحاذق **(تمهيد القانون الحافظ للصحة، وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه فكذا النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق، فينبغي أن تسعى لحفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاء لها)** بالقانون الإلهي، **(وإن كانت عديمة الكمال والصفاء، فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها)** بالعلاج الموافق وإن كانت مشحونة بالاخلاق السيئة فينبغي أن تسعى لما يزيلها منها. **(وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها)** في الغالب **(إن كانت من حرارة فالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة. فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم)** فإن العلم والجهل متضادان متى دخل أحدهما ارتحل الآخر، **(ومرض البخل بالتسخي)** أي بذل المال في حقوقه، **(ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف**

بالكف عن المشتهى تكلفاً. وكما أنه لا بدّ من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر على المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة، فكذلك لا بدّ من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد. وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كانت على حد مخصوص - ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بدّ له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد - فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق لا بدّ لها من معيار. وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى أن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية؟ فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها.

فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي

عن المشتهى) ولو **(تكلفاً، فكما انه لا بدّ من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات)** النفسية **(لعلاج الأبدان المريضة)** حتي يصح الدواء، **(فكذلك لا بدّ من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب)** حتى ينجع، **(بل)** هذا **(أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت)** فإنه لا يحس به بعده، **(ومرض القلب والعياذ بالله عذاب أليم يدوم بعد الموت أبد الآباد)** فهو لا ينفك عنه بحال، **(وكما أن كل مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بدّ له من معيار يعرف به مقدار النافع معه)** من الضار، **(فإن لم تحفظ معياره زاد الفساد)** ورجع العلاج إلى عكسه، **(فكذلك النقيض الذي تعالج به الأخلاق لا بدّ له من عيار يعرف)** به الحد المخصوص، **(وكما أن عيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى أن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة)** وذلك بتشخيص النبض أو القارورة، **(وإن كانت من حرارة)** مثلاً **(فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية)** ثم يعرف سببها أمن داخل أم من خارج، **(فإذا عرف ذلك التفت معه إلى أحوال البدن)** من جهة ضعفه وقوته واعتداله، **(وأحوال الزمان)** شديد البرد أو الحر أو معتدل **(وصناعة المريض)** أهي خسيسة أم شريفة **(وسنّه)** هل هو في الشبوبية أو في الكهولة أو الشيوخة **(وسائر أحواله)** كسؤاله هل هو غريب أو من أهل البلد، **(ثم يعالج بحسبها)** كل ذلك بالتحري والاجتهاد حتى لا يخالف عليه المرض من طريق آخر.

(فكذلك الشيخ المتبوع) المعتقد **(الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب**

أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم. وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم. بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته. فإن كان المريد مبتدئاً جاهلاً بحدود الشرع فيعلمه أولاً الطهارة والصلاة وظواهر العبادات، وإن كان مشغولاً بمال حرام أو مقارفاً لمعصية فيأمره أولاً بتركها، فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه، فإن رأى معه مالاً فاضلاً على قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه، وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال، فإن عزة النفس والرئاسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه

المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليه بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم) وسائر أحوالهم، **(وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم)** ولم ينجع فيهم الارشاد، **(بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وفي سنّه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته)** فربّ قوى البدن في عنفوان الشبوبية يحتمل من الرياضة ما لا يحتمله ضعيف البدن نحيفه، وكذا الشيخ الفاني، **(فإن كان المريد مبتدئاً جاهلاً بحدود الشرع فيعلمه أوّلاً)** أمور دينه. مثل: **(الطهارة والصلاة وظواهر العبادات)** بوجه يوصل إلى ذهنه فإذا ترشح بمعرفة ذلك ينقله إلى ما يناسب له، **(وإن كان)** مع معرفته لظواهر العبادات **(مشغولاً بمال حرام)** وصل إليه من تجارة فاسدة أو من ميراث بشبهة، **(أو مقارناً لمعصية)** ظاهرة أو باطنة **(فيأمره أوّلاً بترك ذلك)** رأساً، **(فإذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لاخلاقه وأمراض قلبه، فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر ضرورته)** إن كان منفرداً، وإلاَّ فعن قدر ضرورة عياله ان كان ذا عيال **(أخذه منه وصرفه في الخيرات)** أو أمره بان يصرفه إلى جهات الخيرات **(وفرغ قلبه منه)** فإنه أكبر شاغل لنفسه **(حتى لا يلتفت إليه)** ولا يتعلق به قلبه، **(وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره بأن يخرج إلى السوق للكدية)** أي الاستجداء **(والسؤال)** من الناس وذلك في وقت مخصوص، **(فإن عز الرئاسة لا يكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من السؤال)** ولا أثقل منه وهو أحد الثلاثة التي تورث الذل، والاثنان الدَّين والبنت قالوا: ثلاثة تورث الذل. الدَّين ولو

المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه، فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة، وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلاً إلى ذلك فرحاً به ملتفتاً إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوّش عليه رعونته في النظافة. فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملوّنة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار، فلا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنماً فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله، ومن راعى في ثوبه شيئاً سوى كونه حلالاً وطاهراً مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه.

ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة؛ فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر

درهماً، والبنت ولو مريم، والسؤال ولو أين الطريق، **(فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه)** وأنفته، **(فإن الكبر من الأمراض المهلكة، وكذا الرعونة)** في النفس ولا ينفع السلوك للمريد مع ملابستها. **(وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلاً إلى ذلك فرحاً به ملتفتاً إليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوّش عليه رعونته في النظافة)**، ولما كان الأمر كذلك وغلبت هذه النفوس على المريدين رتب بعض مشايخ الطريق كل مريد في خدمة معينة في زاوية الشيخ. فمنهم من يتعاهد خدمة بيت الماء، ومنهم من يتعاهد اخراج الماء من البئر لملء الميضأة، ومنهم من يتعاهد صب الماء على أيدي الفقراء، ومنهم من يتعاهد لكنس المحل ورشه، ومنه من يتعاهد لخدمة المريدين في الزاوية، ومنهم من يتعاهد خدمة المطبخ واصلاح ما تيسر من طعام، ومنهم من يتعاهد للكدية فما فتح له منها يفرق على أهل الزاوية. فهذه الوظائف ما رتبوها إلا لتمرين النفوس الصعبة وتهذيب الاخلاق، **(فإن الذي ينظفون ثيابهم ويزينوها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار)** لأجل زوجها ليس لها همة إلا في ذلك، **(ولا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنماً)** فمن تعلق بشيء والتفت إليه بقلبه فقد صار عابداً له، **(فمهما عبد غير الله فقد صار محجوباً عن الله، ومن راعى في ثوبه شيئاً غير كونه حلالاً أو طاهراً مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه)** محجوب عن ربه.

(ومن لطائف الرياضة أن النفس إذا كانت لا تسخو) أي لا تسمح **(بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم تسمح بضدها دفعة، فينبغي أن تنتقل من الخلق المذموم إلى**

أخف منه، كالذي يغسل الدم بالبول، ثم يغسل البول بالماء إذا كان لا يزيل الدم. كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه، ثم ينقل، من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب، ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرئاسة وطلب الجاه، ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة، فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه، وكذلك سائر الصفات. وكذلك إذا رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوي بذلك نفسه فيتعوّد الصبر وينكسر شرهه. وكذلك إذا رآه شاباً متشوّقاً إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم، وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء. ويمنعه اللحم والأدم رأساً حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته. فلا علاج في مبدأ الإرادة انفع من الجوع. وإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق، ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه.

مذموم آخر أخف منه) في الذم، وهذا **(كالذي يغسل الدم بالبول)** أوّلاً، **(ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم)** وقد حصل التطهير ولكن بهذا النقل، **(ولذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه)** من الملاعب، **(ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب، ثم ينقل من ذلك إلى الترغيب في الرئاسة وطلب الجاه)** وكل ذلك من المذام الشرعية، **(ثم ينقل عن ذلك بالترغيب في الآخرة)** تدريجاً ولو كلف من أول وهلة بالترغيب في أمور الآخرة لم يتيسر عليه، **(فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه)** والرياسة **(دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه)** ثم ينقل إلى تركه رأساً، **(وكذلك سائر الصفات وكذلك إن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام أوّلاً، ثم كلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره ولا يأكل هو منها حتى تقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه، وكذلك اذا رآه شاباً متشوقاً إلى النكاح)** شبقاً كثير الشهوة **(وهو عاجز عن النكاح فيأمره بالصوم)** لما ورد في الخبر: « من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاء ». **(وربما لا يسكن ذلك شهوته فيأمره بأن يفطر ليلة على الماء دون الخبز، وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأساً حتى تتذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادىء الإرادة أنفع من الجوع)** لأنه قاطع كل شهوة، **(وإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق)** وشراسة **(ويأمره بخدمة من ساء خلقه وبمراعاته حتى تمرن نفسه على الاحتمال)**.

كما حكي عن بعضهم أنه كان يعوِّد نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب ، فكان يستأجر من يشتمه من ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ، ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل . وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب ، فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج . وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع . وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر ؛ إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبـذل .

فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب . وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض ـ فإن ذلك ـ سيأتي في بقية الكتب ـ وإنما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكليّ فيه سلوك مسالك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه ، وقد جمع الله ذلك كله في كتابه

(فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس) وبين يدي من يعظمه ، **(ويكلف نفسه الحلم والصبر)** على ذلك ، **(ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل)** في الحلم . وقد ورد في الأخبار « إنما الحلم بالتحلم » . **(وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب وأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة ، فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج)** ليسكن روعه عن الاضطراب ويتعوّد عليه ، **(وعباد الهند)** من البراهمة والجوكية **(يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول ليله على نصبة واحدة)** ، ومنهم من اختار أن يقف على رجل واحدة طول ليله ، ومنهم من يعوّد نفسه على حبس أنفاسه ساعات متعددة ، **(وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان تكسل نفسه عن القيام ، فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع)** ، ولهم في ذلك مجاهدات غريبة تستغرب وقصدهم بذلك إماتة النفوس وتعويدها على الطاعات بانشراح وسماح ، **(وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل)** ، وقد اعترض على المصنف في تقرير هذه الحكايات عنهم وتسليمها لهم بأن ذلك تضييع للمال ومخالف للشرع ، وقد أشرنا بجواب ذلك في مقدمة كتاب العلم فراجعه .

(فهذه الأمثلة تعلمك طريق معالجة القلوب ، فليس غرضنا) هنا **(ذكر دواء كل مرض)** بالخصوص ، **(فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب)** إن شاء الله تعالى ، **(وإنما الغرض الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل**

العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى: ﴿وأمَّا من خَافَ مقام ربِّه ونَهى النفس عن الهوى★ فإن الجنّة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختباراً. فينبغي أن يصبر ويستمر، فإنه إن عوّد نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم، فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه ـ كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة ـ وإذا لم يخوّف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية.

بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة:

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب: فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش. ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار. وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله؟ وهو العلم والحكمة

إليه، وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال تعالى: ﴿وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ★ فإن الجنة هي المأوى﴾ والأصل المهم في المجاهدة بالوفاء بالعزم) أي بأن يفي بما عزم عليه ولا ينقضه، (فإذا عزم على ترك شهوة فقد تتيسر أسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختباراً) أي امتحاناً له ليعلم هل يفي أم لا. (فينبغي أن يصبر) على ما عزم عليه (ويستمر فإنه ان عوّد نفسه نقض العزم ألفت ذلك) وأنست به، (وفسدت، وإذا اتفق منه نقض عزم، فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه) مما يناسب حاله ويطيق عليه، (كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة) كما سيأتي إن شاء الله تعالى، (وإذا لم يخوف نفسه بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وفسدت بها الرياضة بالكلية) ولم يحصل له من رياضته ثمرة غير اتعاب البدن وتضييع الوقت.

بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده إلى الصحة:

(اعلم أنه كما كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر مع نوع من الاضطراب) والاختلال، (فمرض اليد أن يتعذر عليه البطش)، ومرض الرجل أن يتعذر عليه المشي، ومرض الأذن أن يتعذر عليه السماع، (ومرض العين أن يتعذر عليه الإبصار)، وقس على ذلك باقي الاعضاء؛ (فكذلك مرض القلب هو أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وإيثار ذلك على كل

والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه. قال الله تعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة. وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز بها عن البهائم، فإنه لم يتميز عنها بالقوّة على الأكل والوقاع والابصار أو غيرها؟ بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه. وأصل الأشياء وموجودها ومخترعها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء. فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً. وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات. كما قال الله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤُكم وأبناؤُكم واخوانكم وأزواجُكم﴾ إلى قوله: ﴿أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصُوا حتى يأتي الله بأمره﴾ [التوبة: ٢٤] فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض، كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة. فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله، إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها، ومرض

شهوة سواه، والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه) لأنه بيت الايمان بالله ويرشح له ما ورد في خبر: القلب بيت الرب، وإن لم يكن له أصل في المرفوع كما قاله الحافظ السخاوي لكن معناه صحيح. **(قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾)** قيل: معناه ليعرفوا أن معرفة الله تعالى روح كل عبادة. **(وفائدة القلب الحكمة والمعرفة)** فإذا خلا عنهما فهو المنكوس الذي قيل فيه ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد: ٢٤] **(وخاصية النفس التي للآدمي ما تتميز به عن البهائم ولم يتميّز عنها بالقوّة على الأكل والوقاع والإبصار وغير ذلك)** فقد تشاركه البهائم فيها، **(بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه. وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها أشياء هو الله تعالى، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكأنه لم يعرف شيئاً)** ويحكم على فساد عقله وانتكاس قلبه عن درجة الكمال، ولكل شيء عن التحقيق علامة بها يعرف ذلك الشيء **(وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله أحبه)** وأحب لقاءه، **(وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات)**، فمن آثر على محبته شيئاً من ذلك فهو مدع في الحب كذاب **(كما قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤُكم وأبناؤُكم واخوانُكم وأزواجُكم﴾ إلى قوله: ﴿أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض، كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء، فهي مريضة. فهذه علامة المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله)** والحكم للغالب، **(إلا أن من الأمراض ما**

القلب مما لا يعرفه صاحبه، فلذلك يغفل عنه. وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح. فإن وجد من نفسه قوّة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه، فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه. فلهذا صار الداء عضالاً والمرض مزمنا واندرس هذا العلم، وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها، وأقبل الخلق على حب الدنيا، وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءاة فهذه علامات أصول الأمراض.

وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها، فإن كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه ببذل المال وانفاقه، ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء، فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء، بل المطلوب الاعتدال بين

لا يعرفه صاحبه) ولا يهتدي إليه **(ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه)** لأنه غير محسوس بالإبصار فمعرفة مرضه عسر، **(فلذلك يغفل عنه وإن علمه صاحبه)** بضرب من التوفيق **(صعب عليه الصبر مرارة دوائه، فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو)** بمنزلة نزع **(الروح)** من الجسد، **(وإن وجد من نفسه قوّة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه، فإن الأطباء هم العلماء . وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه)** إذ يقال له:

يـــا أيّهـــا الرجـــل المعلم غيره ... هلاّ لنفســـك كـــان ذا التعليمُ

وقالوا:

ومن عجب الدنيا طبيب مصفـر ... وأعمشُ كحـال وأعمـى منجـم

وفيهم قيل:

عليل يداوي الناس وهو عليل

(فلهذا صار الداء عضالاً) صعباً **(والمرض مزمناً)** راسخاً **(واندرس هذا العلم مرة واحدة، وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها)** واشتغلوا بإصلاح الظاهر، **(وأقبل الخلق على حب الدنيا)** واقتنائها، **(وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات. فهذه علامة أصل المرض)**.

(وأما علامة عوده إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها، فإن كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله تعالى) كما ورد في الخبر: « وأي داء أدوأ من البخل » **(فإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه)** في وجوهه، **(ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير)** به **(مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء، ويكون كن يعالج البرودة بالحرارة)** على أنهما

الحرارة والبرودة. وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين، فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور، فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليه ذلك الخلق الموجب له، مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه. فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل، فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك، فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه، بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذلـه لحاجة محتاج، ولا يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليماً عن هذا المقام خاصة. ويجب أن يكون سليماً عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا، حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير

ضدان وإنما يعالج المرض بما يضاده، **(حتى تغلب الحرارة وهو أيضاً داء، بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة)** بحيث لا يغلب أحدهما على الثاني. **(فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد من الطرفين)**. قال ابن الوردي:

بين تبـــذيـــر وبخل رتبـــة وكلا هـــذيـــن إن زاد قتـــل

(فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور، فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه، فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل) وقد عرفته منك، **(فزد في المواظبة على البذل)** والإنفاق **(فإن صار البذل للمستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بحق، فقد غلب عليك التبذير)** وهو أيضاً خلق مذموم. قال الله تعالى: ﴿إن المبذّرين كانُوا إخوانَ الشياطين﴾ [الإسراء : ٢٧] **(فارجع إلى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الأفعال وتعسرها، حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه، بل يصير عندك كالماء)** المعد للشرب وغيره، **(فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الإمساك، فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله سليماً عن هذا المقام خاصة)**. يشير إلى قوله تعالى: ﴿إلاَّ من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء : ٨٩] **(ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا تكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا**

ملتفتة إليها ولا متشوّقة إلى أسبابها، فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة، وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم ـ أعني الوسط ـ حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقاً بالجانب الذي مال إليه، ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق. قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلاَّ واردُها كان على ربِّكَ حتماً مقضياً★ثم ننجِّي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه. ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله: ﴿اهدنا الصراط

حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة إليها ولا متشوّقة إلى أسبابها).

فمن سرّه أن لا يجد ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقْدا

(**فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية**) عن الله (**مرضية**) عند الله (**داخلة في زمرة عباد الله**) من النبيين والصديقين والشهداء (**والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**) كما قال تعالى، ﴿يا أيتها النفس المطمئنة★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية★ فادخلي في عبادي★ وادخلي جنّتي﴾ [الفجر: ٢٧، ٣٠].

(**ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض**) والدقة، (**بل هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف، فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة**) الذي من وصفه أدق من الشعر وأحدّ من السيف، (**وقلما ينفك العبد عن ميل**) مّا (**عن الصراط المستقيم. أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقاً بالجانب الذي مال إليه، فلذلك لا ينفك عن عذاب مّا واجتياز على النار وإن كان**) ذلك (**مثل البرق**) الخاطف كما ورد ذلك في الخبر. (**وقال تعالى: ﴿وان منكم إلاَّ واردها﴾**) أي مجتاز عليها كما فسر به الورود في قوله ﴿**كان على ربك حتماً مقضياً★ ثم ننجي الذين اتقوا﴾ أي الذين كان قربهم إلى الصراط**) المستقيم (**أكثر من بعدهم عنه**) ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ وهم الذين ظلموا أنفسهم ومالوا عن الصراط إلى أحد حديه نتركهم حول النار جثياً على ركبهم، (**ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم وليلة**) في صلاته (**سبع عشرة مرة في قوله**) في سورة الفاتحة

المستقيم﴾ [الفاتحة : ٦] إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

فقد روي أن بعضهم رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال: قد قلت يا رسول الله شيبتني هود ، فلم قلت ذلك؟ فقال عليه السلام : لقوله تعالى : ﴿فاستقِمْ كما أمرت﴾ [هود : ١١٢] فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض، ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها. فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح، ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه، وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين.

بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه:

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الخلق جاهلون

(**﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إذا وجبت الفاتحة في كل ركعة**) وهي اثنان للصبح، وأربع للظهر، وأربع للعصر، وثلاث للمغرب، وأربع للعشاء مجموع ذلك سبع عشرة ركعة.

(**ورأى بعضهم رسول الله ﷺ في المنام فقال له: قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك؟ قال: لقوله تعالى**) فيها: **﴿فاستقم كما أمرت﴾** وهذا اللفظ قد رواه ابن مردويه من حديث أنس بزيادة: واخواتها الواقعة، والقارعة، والحاقة، والشمس إذا كوّرت، وسأل سائل. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث. (**فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض**) والدقة، (**ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في**) تحصيل مرتبة (**القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقة الاستقامة التي**) هي الوفاء بكل العهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية خط الوسط في كل أمر ديني أو دنيوي (**فكل من اراد النجاة فلا نجاة إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة**) إذ ترشح منها آثار حسنة على الجوارح فتصدر منها الأعمال على وفقها، (**فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه**) الباطنة، (**وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب**) مقدماً منها الأحق فالأحق والله الموفق.

بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه:

(**اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره**) أي جعله بصيراً (**بعيوب نفسه**) وشغله عن عيوب غيره، فقد أخرج الرافعي في تاريخ قزوين من حديث ابن عباس « إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك » (**فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج**)، كما أن المرض إذا علم أصله يتيسر عليه علاجه بأهون سبب، (**ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى**) جمع قذاة وهي ما يقع في العين

بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه. فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق.

الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته. وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه. وهذا قد عزَّ في هذا الزمان وجوده.

والثاني: أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ

والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ **(في عين أخيـه)** المؤمن، **(ولا يرى الجذع في عين نفسه)**.

أخرج ابن المبارك في الزهد، والعسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة « يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع » أو قال « الجذل في عينيه » والجذع: بالكسر واحد جذوع النخل، والجذل: بالكسر وبالفتح أصل الشجرة يقطع وقد يجعل العود جذلاً. وقد رواه أيضاً القضاعي في مسند الشهاب، وأبو نعيم في الحلية دون قوله أو قال الجذل، وهذا مثل ضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب بالنسبة إليه كنسبة الجذع إلى القذاة، وذلك من أقبح القبائح. ولله در القائل:

أرى كل انسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذي هو فيه
فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه ... ويعمى عن العيب الذي بأخيهِ

(فمن أراد أن يقف على عيب نفسه، فله أربع طرق)

(الأولى: أن يجلس بين يدي شيخ) كامل في ذاته مهذب بآداب الشريعة **(بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات)** كأنه ينظر إليها من وراء ستر خفي **(ويحكمه على نفسه)** أي يجعله حاكماً على نفسه ونفسه محكوماً عليها فيما يأمر به وينهاه، **(ويتبع إشارته في مجاهدته)** فلا يخالفه فيما يشير له إليه، **(وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه)** وهو علامة فلاحه **(فيعرفه شيخه وأستاذه عيب نفسه)** إما بالتصريح بأن يقول له عيبك كذا أو خلقك كذا، وإما بالكناية باختلاف أحوال المريد، **(ويعرفه طريق علاجه. فهذا قد عز في هذا الزمان وجوده)** وإن وجد شيخ على هذه الصفة لم يوجد من يرشده من المريدين الصادقين، وإن وجد مريد صادق لم يوجد شيخ كامل بالأوصاف المذكورة فهذا سبب عزة الأمر.

(الطريقة الثانية: أن يطلب صديقاً) موافقاً **(صدوقاً)** في قوله **(بصيراً)** بعيوبه مطلعاً على خفايا أحواله **(متديناً)** في نفسه **(وينصبه رقيباً على نفسه)** ناظراً على حركاته وسكناته

أحواله وأفعاله ، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه ، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين.

كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي. وكان يسأل سلمان عن عيوبه، فلما قدم عليه قال له: ما الذي بلغك عني مما تكرهه؟ فاستعفى فألح عليه فقال: بلغني انك جمعت بين إدامين على مائدة، وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل، وقال: وهل بلغك غير هذا؟ قال: لا. فقال: أما هذان فقد كفيتها. وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، فهل ترى عليّ شيئاً من آثار النفاق؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه.

فكل من كان أوفر عقلاً وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه، إلا أن هذا أيضاً قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب، أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب. فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيباً، أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك.

(**ليلاحظ**) بعين بصيرته (**أحواله وأفعاله**) الصادرة عنه، (**فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه**) ويرشده إلى ما يناسب حاله، (**فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين**).

(**كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي**) رواه الإسماعيلي والذهبي في مناقب عمر، (**وكان يسأل سلمان**) رضي الله عنهما (**عن عيوبه لما قدم عليه**) أي من المدائن (**وقال: ما الذي بلغك عني مما كرهته؟ فاستعفى**) أي طلب أن يسكت عن ذلك، (**فألح عليه**) في أن يقوله (**فقال: سمعت أنك جمعت بين ادامين على مائدة، وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل، فقال: هل بلغك غير هذا؟ فقال: لا. فقال: أما هذان فقد كفيتها**) رواه الإسماعيلي والذهبي في مناقب عمر. (**وكان يسأل حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنهما (**ويقول: أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين: فهل ترى علي شيئاً من آثار النفاق**)؟ فيقول: لا يا أمير المؤمنين (**فهو**) رضي الله عنه (**على جلالة قدره وعلو منصبه**) في الدين (**هكذا كانت تهمته لنفسه**).

(**وكل من كان أوفر عقلاً وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز**) وقلّ (**فيقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب**) فيه (**فلا تخلو في أصدقائك عن حسود**) عليك في نعمتك (**أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيباً أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك**).

ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له: لم لا تخالط الناس؟ فقال: وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي؟ فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم، وقد آل الامر في أمثالنا إلى ان أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا. ويكاد هذا أن يكون مفصحاً عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة. فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقرباً لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإبعادها وقتلها. وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوماً فما دونه، ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى أن تدوم بعد الموت أبداً أو آلافاً من السنين. ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له: وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه، ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب. وأصل كل ذلك ضعف الإيمان. فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوئنا بمنه وفضله.

الطريق الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط

(**ولهذا كان داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالى (**قد اعتزل عن الناس، فقيل له: لم لا تخالط الناس؟ فقال: ماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي**) نقله صاحب القوت، (**فقد كان شهوة ذوي الدين أن** يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم، **وقد آل الأمر في أمثالنا أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا**) ويعددها علينا، (**وكاد يكون هذا مفصحاً عن ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السيئة**) في الإنسان (**حيات وعقارب لداغة. ولو نبهنا منبه على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً**) أو حية (**لتقلد منه منة**) وجميلاً (**وفرح بذلك واشتغل بإبعاد العقرب**) أو الحية (**وقتلها، وإنما نكايتها على البدن ولا يدوم ألمها إلا يوماً فما دونه**) وإن زاد فلا يزيد على يوم وليلة. (**ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب**) أي باطنه (**ويخشى أن تدوم بعد الموت أبداً وآلافاً من السنين**) إلى ما شاء الله، (**ثم إنَّا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله فنقول: وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه، ويشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التي ثمرتها كثرة الذنوب**) وفي حديث أبي الخير اليزني: أربع خصال تفسد القلوب فساقه، وفيه: « وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب » أخرجه عبد بن حميد في تفسيره، (**وأصل كل ذلك ضعف الإيمان. فنسأل الله تعالى أن يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوئنا بمنه وفضله**) اللهم آمين.

(**الطريقة الثالثة: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط**

تبدي المساوىء . ولعل انتفاع الإنسان بعدوّ مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه ، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدوّ وحمل ما يقوله على الحسد ، ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساوئه لا بدّ وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق الرابع: أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه ، فإن المؤمن مرآة المؤمن ، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى ، فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله وعن أعظم منه أو عن شيء منه ، فليتفقد نفسه ويطهرها على كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديباً ، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب .

قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ قال : ما أدبني أحد ، رأيت جهل الجاهل شيناً

تبدي المساويء) أي تظهرها كما أن عين الرضا تكل عن كل عيب ، **(ولعل انتفاع الإنسان بعدوّ مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه ، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدوّ وحمل ما يقوله)** له وفيه **(على الحسد)** المحض ، **(ولكن البصير)** الناقد لأحواله **(لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه ، فإن مساوئه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم)** ويبلغ ذلك عنهم ، فيتنبه لما يقولون فيه ويتدارك لما فرط منه بمعالجة تلك العيوب وإزالتها عن نفسه مهما أمكن ولكل مجتهد نصيب .

(الطريقة الرابعة : أن يخالط الناس فكل ما يراه مذموماً فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب نفسه إليه ، فإن المؤمن مرآة المؤمن) كما رواه الطبراني في الأوسط والضياء من حديث أنس ، **(فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ، ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر)** وهو بكسر القاف من يقارن في علم أو غيره . واحد الأقران كحمل وأحمال **(عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره ، وناهيك بهذا تأديباً)** أي إليه المنتهي فيه كأنه ينهاك عن غيره ، **(فلو ترك الناس كلهم ما يكرهون من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب)** رأساً .

(قيل لعيسى ابن مريم) عليه السلام : **(من أدبك ؟ فقال : ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته)** فهذا أدب يحصل من النفس عند المخالطة . وذكر الخطيب في تاريخه في ترجمة شريك النخعي بسنده إلى يحي بن يزيد قال : مر شريك بالمستنير بن عمرو النخعي فجلس إليه

فاجتنبته. وهذا كله حيل من فقد شيخاً عارفاً ذكياً بصيراً بعيوب النفس مشفقاً ناصحاً في الدين فارغاً من تهذيب نفسه مشتغلاً بتهذيب عباد الله تعالى ناصحاً لهم، فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده.

بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات:

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين، فإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد، فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة، والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى: ﴿يرفعُ الله

فقال: يا أبا عبد الله من أدبك؟ قال: أدبتني نفسي ثم ساق قصة خروجه من بخاري وطلبه العلم بالكوفة، وما انتهى إلى أمره، فقال المستنير لولده: سمعتم قول ابن عمكم وقد أكثرت عليكم في الأدب فلا أراكم تفلحون، فليؤدب كل رجل منكم فمن أحسن فلها ومن أساء فعليها. وقيل لبعضهم: من أين تعلمت الحلم؟ قال: من جيراني وقيل لآخر: من أين تعلمت الأدب؟ قال من أهل السوق رأيت جهلهم فتجنبته. **(وهذا كله حيل من فقد شيخاً عارفاً ذكياً بصيراً بعيوب الناس مشفقاً ناصحاً في الدين فارغاً عن تهذيب نفسه)** مقبلاً **(مشغولاً بتهذيب عباد الله نصحا لهم)** وابتغاء لمرضاة الله تعالى، **(فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب)** لأمراضه **(فليلازمه، فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده)** وإن لم يوجد فليتنبه للطرق الثلاث إما بتأدب من صديقه أو من عدوّه أو من خليطه ولا أقل من ذلك، فقد روى الديلمي بإسناد جيد من حديث أم سلمة: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه» والله الموفق.

بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب بترك الشهوات) وقطع علائقها **(وإن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات:**

(اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين، وإن عجزت عن ذلك) ولم يمكنك الاعتبار **(فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد)** أي هو أهل لأن يقلد لكمال إيمانه وورعه وعلمه وتنوير باطنه، **(فإن للإيمان درجة، كما أن للعلم درجة والعلم)** بالله النافع إنما **(يحصل بعد الإيمان وهو وراءه، قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين**

الذين آمَنُوا مِنْكم والّذين أوتُوا العلمَ درجات﴾ [المجادلة: ١١] فمن صدَّق بان مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا، وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلاًّ وعد الله الحسنى.

والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنّة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر. قال الله تعالى: ﴿ونَهَى النفسَ عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] وقال تعالى: ﴿أولئك الذين امتحنَ الله قلوبَهُم للتقوى﴾ [الحجرات: ٣] قيل: نزع منها محبة الشهوات. وقال ﷺ: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه» فبيّن أن النفس عدوّ منازع يجب عليه مجاهدتها.

آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ففيه بيان تفاوت الدرجات، وأن العلم بعد الإيمان، **(فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق إلى الله)** تعالى **(ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا)** وهو على درجة، **(فإذا طلع على ما ذكرناه من أغوار الشهوات وأسرارها فهو من الذين أوتوا العلم)** وهو على درجة **(وكلا وعد الله الحسنى)** أي الجنة.

(والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى. قال الله تعالى) ﴿فأما من خاف مقام ربه **(ونهى النفس عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ وقال تعالى)** ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله **(أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)** لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ **(قيل: نزع)** الله **(عنها محبة الشهوات)**، وكتب مجاهد إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذي امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. أخرجه أحمد في الزهد.

وعن قتادة في قوله: ﴿امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحب. أخرجه الفريابي وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي في الشعب.

وروى الحكيم عن مكحول رفعه: «نفس ابن آدم شابة ولو التفت ترقوتاه من الكبر إلا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ما هم».

(وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه») قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف، **(فبيَّن أن النفس عدوّ منازع تجب مجاهدته)** لأنه أكبر الأعداء.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنّي محجوبة، وقال عيسى عليه السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره، وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحباً بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس»، وقال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» وقال ﷺ: «كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذ تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضاً إلا أن يغفر الله تعالى ويستر». وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نفسي مرة لي ومرة عليّ، وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه: يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين، يا نفس ألا تستحين! وقال الحسن: ما

(ويروى) في الإسرائيليات **(أن الله عز وجل أوحى إلى داود)** عليه السلام فقال: **(يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات)** أي الأكل بالشهوات، **(فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة)** أي بصائرها. نقله القشيري في الرسالة. **(وقال عيسى عليه السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره)** يعني به أعد الله لتاركها من نعيم الجنان. **(وقال ﷺ لقوم قدموا من الجهاد: «مرحباً بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فقالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس»)** قال العراقي: رواه البيهقي في الزهد، وقد تقدم في شرح عجائب القلب. **(وقال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل»)** قال العراقي: رواه الترمذي في أثناء حديث وصححه، وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه ابن حبان في الصحيح، وفي لفظ ابن ماجه: «والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

(وقال ﷺ: «كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله إذ تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضاً إلا أن يغفر الله تعالى لك ويستر») وقال العراقي: لم أجده بهذا السياق. **(وقال سفيان الثوري)** رحمه الله تعالى: **(ما عالجت شيئاً أشد علي من نفسي مرة لي ومرة عليّ)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وكان أبو العباس الموصلي)** رحمه الله تعالى **(يقول)** مخاطباً لنفسه: **(يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين، ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين، كأني بك بين الجنة والنار تحبسين. يا نفس ألا تستحيين؟ وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(ما الدابة الجموح)** وهي التي تستعصي راكبها حتى تغلبه **(بأحوج إلى اللجام الشديد)** القوي **(من نفسك)** وإليه أشار صاحب البردة:

الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك. وقال يحي بن معاذ الرازي: جاهد نفسك بأسياف الرياضة. والرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوة، ومن قلة المنام صفو الإرادة، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها، فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان. وقال أيضاً: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه

من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم

(**وقال يحي بن معاذ الرازي**) رحمه الله تعالى: (**جاهد النفس بأسياف الرياضة**) وقال القشيري في الرسالة: اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة، وقد سئل المشايخ عن الإسلام فقالوا: ذبح النفس بسيوف المخالفة. ثم قال يحي بن معاذ: (**والرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام**) أي القدر القليل منه، (**والغمض من المنام**) أي الخفيف منه، (**والحاجة من الكلام**) أي القدر المحتاج منه، (**وحمل الأذى من جميع الأنام**) وهذه الثلاثة الأول من أوصاف الأبدال، فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، ولا ينامون إلا عن غلبة، ولا يتكلمون إلا عن حاجة، (**فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، وعن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات**) قال: (**وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الأذى، فإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الذل والانتقام فتأمن من بوائقها في سائر الأيام**) أي دواهيها ومصائبها، (**ويصفيها من ظلمة شهوات فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة**) لأن ثقلها إنما كان مما يعتريها من مؤن الشهوات، فإذا طهرت خفت وتروضت، (**فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره**) النشيط (**في الميدان، وكالملك المتنزه في البستان**) هذا كله كلام يحي بن معاذ الرازي (**وقال أيضاً: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه. فاحترس**

وشيطانه ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

وقال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس صار أسيراً في حب شهواتها، محصوراً في سجن هواها، مقهوراً مغلولاً زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد. وقال جعفر بن حميد: أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم. وقال أبو يحي الوراق: من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات. وقال وهيب بن الورد: ما زاد على الخبز فهو شهوة. وقال أيضاً: من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل.

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام ـ بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفاً من عظماء مملكته ـ سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم له إن الحرص والشهوة صيّرا الملوك عبيداً وذلك جزاء المفسدين، وإن الصبر والتقوى صيّـرا العبيد ملوكاً. فقال يوسف: كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿إنه من يتّق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٩٠].

من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته) فيما يأمر وينهي، **(ومن النفس بترك الشهوات)**.

(وقال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس) أي غلبت عليه وقهرته **(صار أسيراً في حب شهواتها محصوراً)** أي محبوساً **(في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد)** الحاصلة له من منازلات الملائكة بالرحمة. **(وقال جعفر بن محمد)** وهو الصادق وفي بعض النسخ جعفر بن حميد: **(اجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم)** الأخروي **(لا يدرك إلا بترك النعيم)** الدنيوي. وقال أبو يحي الوراق: **(من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات. وقال وهب)** بن منبه[1]: **(ما زيد على الخبز فهو شهوة. وقال وهيب بن الورد)** المكي: **(من أراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(ويروى أن امرأة العزيز) واسمها زليخا **(قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الأرض: يا يوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيداً، وأن الصبر والتقوى صير العبيد ملوكاً، فقال يوسف)** عليه السلام: **(قال الله عز وجل: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾)**.

---

(١) ورد في الإحياء: « وهيب بن الورد » بدلاً من « وهب بن منبه ».

وقال الجنيد: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها، فأردت أن أنام فلم أقدر، فجلست فلم أطق الجلوس، فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي قال: يا أبا القاسم إليّ الساعة، فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لي قلبك، فقلت: قد فعل فما حاجتك؟ قال: فمتى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها، فأقبل على نفسه فقال: اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ها قد سمعتيه، ثم انصرف وما عرفته. وقال يزيد الرقاشي: إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة. وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت، قال: متى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام. وقال علي رضي الله عنه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا. وكان مالك بن

(وقال) القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول: سمعت ابن عطاء يقول: قال: **(الجنيد)** رحمه الله تعالى: **(أرقت)** بكسر الراء أي سهرت **(ليلة فقمت إلى وردي)** من الصلاة، **(فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها)** من قبل أي التلذذ بالمناجاة فتحيرت في سببه، **(فأردت أن أنام فلم أقدر)** عليه وأنا على هذه الحال، **(فقعدت)** لأذكر الله في غير صلاة **(فلم أطق القعود)** ففتحت الباب **(فخرجت)** أنتظر الفرج، **(فإذا رجل ملتف في عباءة)** بالمد كساء من صوف **(مطروح على الطريق فلما أحس بي)** رفع رأسه و**(قال: يا أبا القاسم إليّ الساعة)** أي لم لم تخرج من حين تحيرت؟ وهذا منه مكاشفة بحالة الجنيد، **(فقلت)** له: **(يا سيدي)** جئتني **(عن غير موعد بوقت فقال: بلى)** جئتك بموعد، فإني **(قد سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك)** أي فالوقت الذي طلبتك فيه منه هو أول ما حركك فهو الموعد، **(فقلت: قد فعل ذلك)** أي حركني لك **(فما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه وقال: اسمعي قد أجبتك بهذا)** الجواب **(سبع مرات فأبيت أن تسمعيه)** أي تقبليه **(إلا من الجنيد)** فقد سمعت ذلك منه **(فانصرف وما عرفته)**، فعلم من هذه القصة أن الدواء النافع للنفس مخالفة هواها بما يرضي مولاها. **(وقال يزيد)** بن أبان **(الرقاشي)** بتخفيف القاف أبو عمرو البصري القاص، زاهد ضعيف، مات قبل العشرين بعد المائة: **(إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة)** لما علم أن نفسه تشتهي الماء البارد منعها منه حسماً لشهوتها **(وقال رجل لعمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت. فقال: فمتى أصمت قال إذا اشتهيت الكلام)** أي خالف نفسك في هواها، فإذا أطمأنت إلى الكلام فخالفها بما يضاده وهو السكوت وبالعكس. **(وقال علي كرم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا)** لأن الجنة حفت بالمكاره، كما أن النار حفت بالشهوات، **(وكان مالك بن دينار)**

دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه: اصبري فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك عليّ.

فإذاً قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجب. وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه. وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة، فيكون مقتصراً من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة، فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألفه، فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع

البصري رحمه الله تعالى (**يطوف في السوق، فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه: اصبري فوالله ما أمنعك**) عنه (**إلا من كرامتك عليّ**) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أشد الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها، فقد استراح من الدنيا وبلاها، وكان محفوظاً ومعافى من أذاها.

وقد أورد القشيري في الرسالة في باب مخالفة النفس وذكر عيوبها ما يحسن إيراده هنا قال: قال ذو النون المصري: مفتاح العبادة الفكر وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها. وقال ابن عطاء: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها. وقال أبو حفص الحداد: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها. وقال أبو بكر الطبستاني: النعمة العظمى الخروج عن النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى: وقال سهل: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة النفس والهوى، وسئل ابن عطاء عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى. فقال: رؤية النفس وأحوالها وأشد من ذلك مطالعة الأعواض على أفعالها. وقال محمد بن عبد الله: آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه.

(**فإذاً قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة**) التي هي بقاء بلا فناء (**إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجب، وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه. وحاصل الرياضة وسرّها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة**) والاحتياج، (**فيكون مقتصراً من الأكل**) والشرب (**والنكاح والمسكن**) والمركب، (**وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة**) الداعية فقط، (**فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به**) طبعاً وعادة (**وألفه، فإذا ما تمنى الرجوع إلى الدنيا ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة**) إلا ما

إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال، ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولاً بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع إليه، ولا قوّة على ذلك إلا بالله، ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط. فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة.

الأول: رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين، ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة.

الثاني: رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس، حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين.

والثالث: رجل اشتغل بالدنيا والدين، ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أن ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه.

والرابع: رجل اشتغل بهما جميعاً، لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في

استثني في الأحاديث الواردة كالشهيد وأضرابه، فإنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا لا لأجل الدنيا بل لما يرون من حظ الآخرة المترتب على ذلك العمل الذي فارقوا عليه. **(ولا خلاص عن ذلك إلا بأن يكون القلب مشغولاً بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكرة والذكر فقط)** ويراعي فيه حال كل إنسان بحسب ما يقتضيه وقته، **(فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه، فالناس فيه أربعة)**.

(الأول: رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة) التي لا بد منها، **(فهو من الصديقين)** وهذا الاستغراق يكون بالذكر القلبي والمراقبة الدائمة حتى يمتزج باطن القلب بالذكر فلا يجد مساغاً فيه لغيره، **(ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة)** والمجاهدة الشاقة، **(والصبر عن الشهوات مدة مديدة)** حتى تتمرن النفس على ذلك.

(والثاني: رجل استغرقت الدنيا قلبه) واستولت عليه من سائر نواحيه، **(فلم تبق لله ذكراً في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان)** ولا يجاوز قلبه فجميع عباداته عادات ومراءاة. **(وهذا من الهالكين)** في أودية الغفلة والضلال.

(والثالث: رجل اشتغل بالدين والدنيا جميعاً لكن الغالب على قلبه هو الدين، فهذا بدّ له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله على قلبه.

والرابع: رجل يشتغل بهما جميعاً، لكن الدنيا أغلب على قلبه، فهذا يطول مقامه في

النار لكن يخرج منها لا محالة لقوّة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده، وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه: اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فإنك أنت المعاذ.

وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح، فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل؟ وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة. والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضاً من الدنيا وهو سبب البعد - وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا - وقد قال إبراهيم الخوّاص: كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رماناً فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها، فرأيت رجلاً مطروحاً وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء، فقلت: أرى لك حالاً مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير؟ فقال: وأرى لك حالاً

النار، ولكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده، وإن كان ذكر الدنيا أغلب عليه) ويؤيده ما تقدم في الخبر: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردلة من الإيمان».

(وربما يقول القائل: إن التنعم بالمباح مباح، فكيف يكون سبب البعد من الله) تعالى؟ **(فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة)** كما رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري مرسلاً مرفوعاً. وأورده الديلمي في الفردوس وتبعه ولده بلا إسناد عن علي مرفوعاً، وهو عند البيهقي أيضاً في الزهد، وأبي نعيم في الحلية في ترجمة الثوري من قول عيسى ابن مريم عليه السلام، وعند ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي من تاريخ مصر له من كلام سعد هذا. **(والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا أيضاً وهو سبب البعد، وسيأتي ذكره في كتاب ذم الدنيا)** إن شاء الله تعالى. **(وقد قال)** القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يحي يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت **(إبراهيم الخواص)** يقول: **(كنت في جبل اللكام)** كغراب جبل بالشام أعلى الجبال وأشمخها وهو مأوى العباد والصالحين، **(فرأيت رماناً)** أي شجراً عليه رمان وكنت عزمت على تركه لله تعالى **(فاشتهيته)** لما مررت به، فدنوت **(فأخذت منه رمانة واحدة فشققها فوجدتها حامضة)** فلم آكل منها شيئاً أدب بذلك لمخالفة عزمه، **(فمضيت وتركت الرمان، فرأيت رجلاً مطروحاً)** على الأرض **(قد اجتمع عليه الزنابير)** أي الدبر تقع على جراحاته، **(فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت)** له: **(كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله لا يخفى عليه شيء)** بأن ييسر الله له كل ما يريده تارة بالسؤال وتارة بغيره، **(فقلت)** له: **(أرى لك حالاً مع الله)** تعالى،

مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا، فتركته ومضيت. وقال السري: أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما اطعمتها.

فإذاً لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح، فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات، فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت؛ إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين،

(**فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير**) ويقيك من أذاها كان خيراً لك. (**فقال:**) وأنا أيضاً (**أرى لك حالاً مع الله**) تعالى (**فلو سألته أن يحميك شهوة الرمان**) كان خيراً لك، (**فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنانير يجد ألمه في الدنيا**) وألم الدنيا أهون من ألم الآخرة، (**فتركته ومضيت**) لشأني خشية أن أشتغل به فيفسد به علي توكلي دل كلام المطروح الأول على أنه من العارفين، وكلامه الثاني أنه من المكاشفين، ودل سياق القصة على أن شهوة الرمان وإن كان مباحاً أكله فهي من جملة الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة وأي خطيئة أعظم من بقاء الألم إلى آخر الأبد.

(**وقال**) القشيري أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت (**السري**) السقطي يقول: (**منذ**) ثلاثين أو (**أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزاً في دبس فما أطعمتها**) ذلك، وإنما ذكر هذا لمن يقتدى به من أصحابه بكمال مجاهدته لنفسه وتعظيمه لربه ومخالفته لما تركه لوجهه.

وروى أبو نعيم في ترجمة مالك بن دينار من الحلية قال: قال مالك بن دينار لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفاً بلبن رائب. قال: فانطلق فجاء به. قال: فجعل له على الرغيف، فجعل مالك يقلبه وينظر إليه ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم تريد أن تغلبني إليك عني وأبى أن يأكله.

ومن طريق المنذر أبي يحي قال: رأيت مالك بن دينار ومعه كراع من هذه الأكارع التي قد طبخت. قال: فهو يشمه ساعة فساعة. قال: ثم مرّ على شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق بقال: هاه يا شيخ فناوله إياه ثم مسح يده بالجدار، ثم وضع كساءه على رأسه وذهب، فلقيت صديقاً له فقلت: رأيت من مالك كذا وكذا. قال: أنا أخبرك كان يشتهيه منذ زمان فاشتراه، فلم تطب نفسه أن يأكله فتصدق به.

(**فإذاً لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم يمنع النفس من التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات**) ولم تزل به حتى توقعه فيها، (**فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت**) أبداً (**إلا عن المهمات**)

حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة. ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل، وكذلك سائر الشهوات، لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام، فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يعوّدها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته. فهذه إحدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه، وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطراً حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره. وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري بالعروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة، وهذا هو موت القلب. قال الله تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ [يونس: ٧] وقال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد﴾ [الحديد: ٢٠] الآية. وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة.

فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها

الضرورية، (**حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق**) في حق عن حق، (**فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة**) إذا كانا بحق. (**ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ من النظر إلى مالا يحل**) من المحظورات، (**وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام، فالشهوة واحدة. وقد وجب على العبد منعها عن الحرام، فإن لم تتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة**) فاستولت عليه. (**فهذه إحدى آفات المباحات، ووراء هذا آفة أعظم من هذه، وهو أن النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن إليها وتطمئن بها**) وينشرح صدره لزخارفها (**أشراً**) أي فرحاً (**وبطراً حتى تصير ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره، وذلك الفرح بالدنيا**) بهذا الحد (**سم قاتل يسري في العروق**) ويمتلىء به البدن (**فيخرج من القلب الخوف**) من الله تعالى (**والحزن الذي قال مالك بن دينار: القلب العاري منه خراب كالدار**) التي لا ساكن بها، (**وذكر الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب**) أعاذنا الله من ذلك، (**قال الله**) تعالى: (**وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلاَّ متاع﴾ وقال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينة وتفاخر﴾ إلى قوله ﴿إلاَّ متاع الغرور﴾**) وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب.

(**فأولو الحزم**) والبصيرة المنوّرة (**من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح**

قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر، وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر. فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر، ففطموها عن ملاذها وعوّدوها الصبر عن شهواتها - حلالها وحرامها - وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب، فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب. فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أثر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته. وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش إلى الانقياد والتأديب؛ فإنه يحبس أوّلاً في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جوّ الهواء، وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال، ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفاً إذا دعاه أجابه، ومهما سمع صوته رجع إليه. فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا

بمؤاتاة الدنيا) وموافقتها **(فوجدوها قاسية بطرة بعيدة)** بطيئة **(من التأثر بذكر الله)** تعالى **(واليوم الآخر، وجربوها في حال الحزن فوجدوها لينة)** هينة **(رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر، فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد عن أسباب البطر والفرح)** وأن الهلاك الدائم في أسباب الفرح، **(ففطموها عن ملاذها)** ومتنعماتها **(وعوّدوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها)** ولله دار القائل:

إن لله عبـــــــاداً فطنــــــــاً	طلقـوا الدنيــا وخــافــوا الفتنــا
نظــــروا فيهـــا فلما علمـــوا	انها ليســـــت لحي وطنـــــا
جعلــــــوهــــــا لجةً واتخذوا	صـالـح الأعمال فيهــا سفنــا

(وعلموا أن حلالها حساب وهو نوع عذاب، فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب). وقد روى الشيخان من حديث عائشة « من نوقش الحساب عذب » وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير من نوقش المحاسبة هلك، **(فخلعوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية)** الحقيقية **(والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص عن أسر الشهوات ورقها والإنس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته)** على الدوام. **(وفعلوا بها ما يفعل بالبازي)** الذي يُتخذ للصيد **(إذا قصد تأديبه)** وتهذيبه، **(ونقله عن توثبه وتوحشه)** كما هو من طبعه **(إلى الانقياد)** والامتثال للصائد **(والتأدب)** عند الإرسال والدعاء، **(فإنه يحبس أوّلاً في بيت وتخاط عيناه)** بأن يجعل عليهما حجاب كالأقماع **(حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جوّ الهواء وينسى ما كان قد ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم)** قليلاً قليلاً على التدريج، **(حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفاً إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه)** ولو كان بعيداً. **(وكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها)**

إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولاً ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات، ثم عوّدت الثناء والذكر والدعاء ثانياً في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضاً عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات، وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية، كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام، ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبن، ولكن إذا منع اللبن رأساً يوماً فيوماً وعظم تعبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً. ثم يصير له طبعاً. فلو ردّ بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام. وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهراً، وتمنع عن السراح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولاً، ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد. فكذلك تؤدّب النفس كما يؤدّب الطير والدواب، وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت، إذ قيل له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه. فإذا علم أن من أحب شيئاً يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا

المألوفة (**بالخلوة والعزلة أوّلاً لتحفظ السمع والبصر عن المألوفات**) العادية، (**ثم عوّدت الثناء**) والتحميد والتقديس (**والذكر**) باللسان والقلب معاً (**والدعاء**) والتضرع والابتهال (**ثانياً في الخلوة**) وعلى حين الغفلة عن الناس حتى يغلب عليها الانس والاطمئنان (**بذكر الله**) تعالى (**عوضاً عن الإنس بالدنيا وسائر الشهوات، وذلك يثقل على المريد في البداية**) أي في أوّل دخوله في السلوك، (**ثم يتنعم به**) ويستلذه (**في النهاية**) أي عند انتهاء أمره في السلوك (**كالصبي**) الرضيع الذي (**يفطم عن الثدي وهو**) أي الفطم (**شديد عليه**) جداً (**إذا كان**) قد ألفه (**لا يصبر عنه ساعة**) فلذلك تراه (**يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام**) ويهزل جسده ويصفر لونه (**ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبن، ولكنه إذا منع اللبن رأساً يوماً بعد يوم وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً**) وهلم جرّاً (**ثم يصير طبعاً فيما بعد، فلو ردّ إلى الثدي**) ثانياً (**لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن**) أي يكرهه (**ويألف الطعام، وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهراً**) عليها (**وتمنع عن الانسراح**) والاسترسال (**الذي ألفته بالسلاسل والقيود أوّلاً، ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد**) ولا سلسلة. (**فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها بأن تمنع عن الأشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما تزايله**) أي تفارقه (**بالموت فيقال لها: أحبب ما أحببت فإنك مفارقه**) روى الترمذي والبيهقي من حديث أبي هريرة «أحبب حبيبك هوناً مّا عسى أن يكون بغيضك يوماً مّا» الحديث. (**فإذا علم أنه من أحب شيئاً يلزمه فراقه**) بالموت

يفارقه وهو ذكر الله تعالى، فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه. وكل ذلك يتم بالصبر أولاً أياماً قلائل فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة. وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفره وتعلم صناعة وغيرها شهراً ليتنعم به سنة أو دهراً. وكل العمر بالإضافة إلى الابد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا. فلا بدّ من الصبر والمجاهدة. فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى، كما قاله علي رضي الله عنه.

وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله. والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا، فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الاتباع في التدريس والإفادة، فينبغي أن يترك أولاً ما به فرحه، فإنه إن منع عن شيء من ذلك فقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها، وذلك مهلك في حقه. ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه، وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة

(**ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه**) أبداً (**وهو ذكر الله تعالى، فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياماً قلائل فالعمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة**) فإنها أبدية (**وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة**) والتعب (**في سفره وتعلم صناعته وغير ذلك شهراً يتنعم به سنة، فكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا، فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى**) وهو سير الليل، فمن أسهر ليله سارياً إلى مقصوده فإذا أصبح ورأى نفسه قد قطع مفاوز لم يكن يمكن قطعها في النهار يحمد نفسه على حسن اجتهاده لنيله مقصوده، بخلاف من آثر الكسل واختار الراحة والنوم يندم إذا أصبح عليه النهار وهذا مثل مشهور.

(**وطريق الرياضة والمجاهدة بكل إنسان يختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا. فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ**) على العامة (**أوبالعز في القضاء والولاية**) للأعمال (**أو بكثرة الأتباع**) من الطلبة (**في التدريس والإفادة**) أو بكثرة المريدين في مشيخة الزاوية، (**فينبغي أن يترك أولاً ما به فرحه وابتهاجه فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به، فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن إليها، وذلك مهلك في حقه، ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله والفكر فيه**) ويحفظ هذه الكيفية حتى يرسخ فيه الذكر ولترصد لما يبدر في نفسه من شهوة

ووسواس حتى يقمع مادّته مهما ظهر، فإن لكل وسوسة سبباً ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة. وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا الموت.

بيان علامات حسن الخلق:

اعلم أن كل انسان جاهل بعيوب نفسه، فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة، فلا بدّ من إيضاح علامة حسن الخلق. فإن حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق. فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق. قال الله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ [المؤمنون: ١ - ١٠] وقال عز وجل: ﴿التائبون العابدون الحامدون﴾ إلى قوله ﴿وبشر المؤمنين﴾ [التوبة: ١١٢] وقال عز وجل: ﴿إنّما المؤمنون الّذين إذ ذُكر اللهُ وجلتْ قلوبُهُم﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هُمُ المؤمنون

ووسواس) وخطرة، **(حتى يقمع مادته مهما ظهر، فإن لكل وسوسة)** ظهرت في القلب **(سبباً** إما ظاهراً وإما خفياً **ولا تزول)** عنه **(إلا بقطع)** ذلك **(السبب والعلاقة)** كما تقدم ذلك في الكتاب الذي قبله: **(وليلازم ذلك بقية العمر)** على هذا المنوال، **(فليس للجهاد آخر إلا الموت والسلام)** إلا أنه قد يقع لها المجاهد الذاكر في أثناء اشتغاله أنوار ووقائع وأحوال، فينبغي له الإعراض عنها والاشتغال بالمقصود الحقيقي ولله در القائل:

فال لي حسن كل شيء تجلى ... بي تملى فقلت قصدي وراكا

والله الموفق.

بيان علامات حسن الخلق:

(اعلم أن كل إنسان فهو جاهل بعيب نفسه، فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي) وهي الظاهرة **(ربما ظن بنفسه أنه قد هذّب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة)** وتم له الأمر في السلوك، **(فلا بدّ من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين)** جميعا في كتابه العزيز **(وهي)** أي تلك الصفات **(بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق، فنورد جملة من ذلك لتعلم به حسن الخلق فقد قال الله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ إلى قوله ﴿أولئك هم الوارثون﴾ وقال)** تعالى: **(﴿التائبون العابدون﴾ إلى قوله ﴿وبشر المؤمنين﴾ وقال)** تعالى: **(﴿الذين إذا ذكر الله وجلت**

حقاً﴾ [الأنفال: ٢ ، ٣] قال تعالى: ﴿وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبَهُم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] إلى آخر السورة. فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده. وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال: « المؤمن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » وقال عليه السلام: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال

قلوبهم﴾ إلى قوله ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ **وكذلك قال**) تعالى: (﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾ **إلى آخر السورة**). فهذه الأوصاف المذكورة للمؤمنين وعباده الصالحين، (**فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات**) هل يجد فيها من هذه الأوصاف شيئاً إما كلها أو بعضها، (**فوجود هذه الصفات علامة حسن الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقده**) بالرياضة والتكلف (**وحفظ ما وجده**) عن التغير والتبدل، (**ووصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال**) « المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم » وقال « المؤمن يألف ويؤلف » وقال « المؤمن أخو المؤمن يكن عليه ضيعته ويحوطه من ورائه ولا يدع نصيحته على كل حال » وقال « المؤمن يغار » وقال « المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم » وقال « المؤمن يسير المؤنة » وقال « المؤمن كيس فطن » وقال « المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق » وقال « المؤمن واه راقع » وقال « المؤمن إن ماشيته نفعك وإن شاورته نفعك وإن شاركته نفعك وكل شيء من أمره منفعة » وقال « المؤمن كالجمل الذنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ » وقال « يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس » وقال: (« **المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ») هو في الصحيحين من حديث أنس بلفظ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». ورواه كذلك ابن المبارك والطيالسي وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي، وزاد الخرائطي في مكارم الأخلاق « من الخير ». وقد رواه ابن عساكر من حديث يزيد القشيري بزيادة « والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره شره ».

(**وقال**) ﷺ: (« **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** ») متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي، ومن حديث أبي هريرة. ورواه أيضاً الطبراني من حديث ابن عمر، ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بزيادة قالوا: وما كرامة الضيف؟ قال « ثلاثة أيام فما جلس بعد ذلك فهو صدقة ».

ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » وقال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال ﷺ: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » وقال ﷺ: « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة ». وقال: « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » وقال « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » وقال عليه السلام « لا يحل

(وقال) ﷺ : (« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ») متفق عليه من حديثها أيضاً وهو بعض الحديث الذي قبله، ورواه أبو نعيم في الحلية والضياء من حديث أبي سعيد بلفظ « فلا يؤذ جاره » وكذلك رواه الخطيب من حديث أبي شريح مقتصراً على هذه القطعة وعند ابن النجار من حديث علي « لا يؤمن بالله من لم يكرم جاره ».

(وقال) ﷺ : (« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ») متفق عليه من حديثها أيضاً وهو بعض الحديث الذي قبله، وقد رواه الطبراني مع الذي قبله فقط من حديث ابن عباس، ومع الجملة الأولى فقط من حديث ابن عمر بزيادة « فليتق الله قبل كل منهما ».

(وذكر) ﷺ (أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً ») وفي لفظ: خلقاً. رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة. **(وقال ﷺ « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بلفظ « إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة » وقد تقدم.

قلت: وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب، وروياه أيضاً من حديث أبي هريرة وسنده ضعيف.

(وقال ﷺ : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ») أي كامل لأن من لا يرى للحسنة فائدة ولا للمعصية آفة، فذلك يكون من استحكام الغفلة على قلبه فإيمانه ناقص، بل يدل ذلك على استهانته بالدين قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبي موسى، ورواه الطبراني والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبي أمامة اهـ.

قلت: رواه كذلك النسائي في الكبرى، والخطيب من حديث جابر بن سمرة أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: قال رسول الله ﷺ « من سرته » إلى آخره. وفي إسناد الطبراني إلى أبي موسى بن عتيك وهو ضعيف جداً.

(وقال ﷺ : « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه ») قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسلاً وقد تقدم. **(وقال ﷺ « لا يحل لمسلم أن**

لمسلم أن يروّع مسلماً » وقال ﷺ : « إنما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكرهه ».

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً، راضياً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً ولانماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق.

يروع مسلماً) أي يفزعه وإن كان هازلاً كإشارته بسيف أو حديدة أو أفعى أو أخذ متاعه فيفزع لفقده لما فيه من إدخال الأذى والضرر عليه. قال العراقي: رواه أبو داود من رواية عبد الرحمن ابن أبي ليلى. قال: حدثنا رجال من الصحابة فذكره مرفوعاً، وفي أوّله قصة. ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث ابن عمر واسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضاً أحمد والبغوي والبيهقي، وعندهم عن أصحاب محمد أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزعه فذكره رسول الله ﷺ ، وحديث ابن عمر رواه أيضاً الدارقطني في الأفراد، ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث أبي هريرة. وبخط الحافظ ابن حجر على هامش المغني، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث أبي هريرة وأبو نعيم في تاريخه من حديث أنس.

(وقال ﷺ « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله) تعالى **(فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره »)** من إفشائه فيه حفظ المسلم سر أخيه وتأكد الاحتياط لحفظ الأسرار، ولا سيما عن الأشرار، رواه ابن لال وأبو الشيخ من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب مرسلاً وقال: هذا مرسل جيد، وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: أن يكون كثير الحياء) من الله ومن الناس **(قليل الأذى)** لجاره ولصاحبه **(كثير الصلاح)** في عمله وشأنه **(صدوق اللسان)** في جميع أقواله، **(قليل الكلام)** في محاوراته، **(كثير العمل)** بجوارحه، **(قليل الزلل)** في حركاته وسكناته، **(قليل الفضول)** في منطقه ومأكله وملبسه ومشربه، **(براً)** بوالديه وأشياخه وأصحابه، **(وصولاً)** لذي رحمه وجيرانه، **(وقوراً)** في مجلسه، **(صبوراً)** على الطاعة وقصد المعيشة، **(شكوراً)** لنعمة الله تعالى ولمن وصلته على يديه، **(حليماً)** عند غضبه، **(رفيقاً)** بعياله وبمن يخالله، **(شفيقاً)** عن المساكين **(لا)** هو **(لعّان)** كثير اللعن **(ولا سبّاب)** كثير الشتم **(ولا نمّام)** بين اثنين **(ولا مغتاب)** لإخوانه، **(ولا عجول)** في أموره، **(ولا حقود)** على أحد، **(ولا بخيل)** بماله، **(ولا حسود)** إن رأى نعمة على غيره. **(هشاش بشاش)** أي منطلق الوجه واللسان **(يحب في الله)** ورسوله، **(ويبغض في الله)** ورسوله، **(ويرضى في الله ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق)**.

وسئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق فقال: « إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة، والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة »، وقال حاتم الأصم: المؤمن مشغول بالفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راج كل أحد إلا الله، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله، والمؤمن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله، والمؤمن يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك، والمؤمن يحب الخلوة والوحدة، والمنافق يحب الخلطة والملأ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمؤمن يأمر وينهي للسياسة فيصلح، والمنافق يأمر وينهي للرئاسة فيفسد.

(**وسئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق فقال: « إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة وإن المنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة »**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. قلت: ويشهد له قوله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم﴾ [محمد: ١٢].

(**وقال حاتم**) بن عنوان (**الأصم**) رحمه الله تعالى تلميذ شقيق البلخي تقدمت ترجمته في كتاب العلم: (**المؤمن مشغول بالفكر**) أي بالتفكر في نفسه (**والصبر**) أي ما يعتبر به (**والمنافق مشغول بالحرص**) على حوز شهواته (**والأمل**) أي طوله، (**والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله**) أي آيس مما في أيدي الناس، (**والمنافق راج كل أحد إلا من الله، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه**) إذ الدين عظيم عنده مهاب لديه فيهون بماله ولا يهون بدينه، (**والمنافق يقدم دينه دون ماله**) لأنه لا مهابة للدين عنده، (**والمؤمن يحسن عمله ويبكي**) خوفاً أن لا يقبل، (**والمنفق يسيء**) عمله ويضحك لغفلته عن الخاتمة، (**والمؤمن يحبّ الوحدة والخلوة**) عن الناس لسلامة دينه وحاله، (**والمنافق يحب الخلطة والملأ**) من الناس فيأنس بهم، (**والمؤمن يزرع ويخشى الفساد**) أي يثبت العمل كما ينبغي ويخشى عاقبة أمره، (**والمنافق يقلع**) ما زرعه قبل بلوغه (**ويرجو الحصاد**) وأنى له ذلك، (**والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح**) أمور العامة، (**والمنافق يأمر وينهى للرئاسة**) أي لأجل تحصيلها (**فيفسد**) حالهم وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن الحسين قال: سمعت أبا علي سعيد بن أحمد البلخي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن الليث يقول: سمعت حامداً اللفاف يقول: سمعت حاتماً يقول: النافق ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء، والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالشدة وينفق لله خالصاً في الطاعة. وقال في ترجمة شقيق من طريق حاتم الأصم قال: سمعت شقيقاً يقول: مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكاً، ومثل المنافق مثل رجل زرع شوكاً وهو يطمع أن يحصد تمراً هيهات هيهات كل من عمل حسناً فإن الله لا يجزيه إلاّ حسناً.

وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ، ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه ، فإن حسن الخلق احتمال الأذى ، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يوماً يمشي ومعه أنس فأدركه اعرابي فجذبه جذباً شديداً وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية ، قال أنس رضي الله عنه : حتى نظرت إلى عنق رسول الله ﷺ قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ، فقال : يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ، ثم أمر باعطائه ، ولما أكثرت قريش ايذاءه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » قيل : إن هذا يوم أُحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم : ٤] .

ويحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يوماً إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال : أنت عبد ؟ قال : نعم ، فقال له : أين العمران ؟ فاشار إلى المقبرة ، فقال الجندي إنما أردت العمران ؟ فقال : هو المقبرة ، فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى

وقال أيضاً « المؤمن مشغول بخصلتين والمنافق مشغول بخصلتين . المؤمن بالصبر والتفكر والمنافق بالحرص والأمل .

(**وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفا**) كما كان عليه ﷺ من صبره على أذى قريش واحتماله لجفاهم ، (**ومن شكى من سوء خلق غيره فيدل ذلك على سوء خلقه**) لأن شكايته دلت على عدم احتماله (**لأن حسن الخلق**) هو (**احتمال الأذى ، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يمشي ومعه أنس**) بن مالك رضي الله عنه (**فأدركه اعرابي**) من جفاة العرب (**فجذبه**) بردائه (**جذباً شديداً وكان عليه**) ﷺ (**برد نجراني**) منسوب إلى نجران بلد من بلاد همدان باليمن . قال البكري : سمي باسم أبيها نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان (**غليظ الحاشية . قال أنس : حتى نظرت إلى عنق رسول الله ﷺ قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ، ثم قال**) الاعرابي : (**يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك**) فإنك لا تعطيني من مالك ولا مال أبيك ، (**فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر**) له (**بعطائه**) رواه البخاري ومسلم من حديث أنس ، (**ولما أكثرت قريش ضربه وإيذاءه قال « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » فلذلك قال الله تعالى**) مخاطباً له : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ رواه ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد . وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه ﷺ عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

(**وحكي عن إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى (**أنه خرج إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي**) منسوب إلى الجند أي العسكر (**فقال له : أنت عبد ؟ فقال : نعم . قال : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة**) أي محلة الموتى (**فقال الرجل : إنما أردت العمران ، فقال : هو**

البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر ؟ فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا ، هذا إبراهيم ابن أدهم ! فنزل الجندي عن فرسه وقبّل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه ، فقيل بعد ذلك له : لم قلت أنا عبد ؟ فقال : إنه لم يسألني : عبد من أنت بل قال : أنت عبد ؟ فقلت : نعم ، لأني عبد الله ، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك ؟ فقال : علمت أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر .

ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة - وكان الداعي قد أراد تجربته - فلما بلغ منزله قال له : ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانياً فقال : يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ، ثم دعاه الثالثة وقال : ارجع على ما يوجب الوقت فرجع ، فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ، ثم جاءه الرابعة فردّه حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك ، فاكب على رجليه وقال : يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك ؟ فقال : إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعي أجاب ، وإذا زجر انزجر .

المقبرة، فغاظه ذلك) أي أغضبه **(فضرب رأسه بالسوط فشجه)** وسال منه دم **(وردَّه إلى البلد فاستقبله أصحابه، فقالوا : ما هذا ؟ فأخبرهم الجندي. فقالوا : هذا إبراهيم بن أدهم فنزل الجندي عن دابته فقبَّل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل له : لم قلت أنا عبد ؟ قال : إنه لم يسألني أنت عبد من ؟ بل قال لي : أنت عبد . فقلت : نعم لأني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة، فقيل له : إنه ظلمك فكيف سألت الله له الجنة فقال : علمت أني أؤجر على هذا فلم أحب أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر)** .

(ودعي أبو عثمان) سعد بن إسماعيل **(الحيري)** المقيم بنيسابور صحب شاه الكرماني ويحيى ابن معاذ الرازي . ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على أبي حفص الحداد ، وأقام عنده ، وتخرج به وزوجه أبو جعفر ابنته مات سنة ٢٩٨ **(إلى دعوة)** بنيسابور ، **(وكان الداعي)** له **(يريد تجربته)** أي امتحانه ، **(فلما بلغ منزله قال له : ليس لي وجه هذا فرجع أبو عثمان ، فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانياً فقال : ترجع على ما يوجب الوقت ، فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى ، فرجع أبو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لم يتغير)** هكذا في نسخ الكتاب ، وفي بعضها : وحكي أن بعض تلامذة أبي عثمان الحيري دعاه إلى دعوة ، وكان قد أراد تجربته فلما بلغ المنزل قال له : يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثانية فقال ارجع بما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال ارجع فرجع حتى عامله بذلك مرات وهو لا يتغير فاكبّ على رجليه ، **(فقال)** : يا استاذ **(إنما أردت أن اختبرك فما احسن خلقك : فقال أبو عثمان : الذي رأيت مني هو خلق كلب)** وذلك **(لأن الكلب إذا دعي أجاب وإذا زجر**

وروي عنه أيضاً أنه اجتاز يوماً في سكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئاً ، فقيل : ألا زبرتهم ؟ فقال : إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب انتهى .

وروي أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل إلى السواد ـ إذ كانت أمه سوداء ـ وكان بنيسابور حمام على باب داره ، وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي ، فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه ، فتقدم رجل رستاقي إلى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدم الحمام ، فقال له : قم واحمل إليّ الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به ، فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما ، فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له : إنه خاف مما جرى فهرب . قال : لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء .

انزجر) وهذا فيه هضم جانب النفس وعدم الاعجاب بما عمله والارشاد للداعي بما فيه الصلاح له .

(وروي ان أبا عثمان) هذا **(اجتاز)** أي مرّ يوماً **(بسكة)** من سكك نيسابور **(فطرحت عليه إجانة رماد)** من فوق بيت من البيوت المطلة على السكة ، **(فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيأ فقيل)** له : **(ألا زبرتهم)** أي زجرتهم ؟ **(فقال : إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب)** وهذا غاية من سعة الخلق .

(وروي أن) أبا الحسن **(علي بن موسى)** بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يلقب **(الرضا)** بكسر الراء وفتح المعجمة صدوق . روى له ابن ماجه مات سنة ثلاث ومائتين ولم يكمل الخمسين ووالده يلقب الكاظم وجده الصادق . **(كان يميل لونه إلى السواد إذ كانت أمه سوداء)** أم ولد يقال لها أم البنين نوبية اسمها خيزران أو مسكن أو شهدة والأول أصح . **(وكان له بنيسابور على باب داره حمام ، وكان إذا دخل الحمام فرغ له الحمام)** أي أخلي له **(فدخل ذات يوم فأطبق باب الحمام ومر الحمامي إلى قضاء بعض حوائجه فتقدم إنسان رستاقي)** أي من سواد البلد **(إلى باب الحمام)** ففتحه **(ودخل ونزع ثيابه ، فدخل الحمام فرأى علي بن موسى الرضا ، فظن انه بعض خدام الحمام فقال له : قم فاحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره ، فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى ، فخاف وهرب وخلاهما ، فلما خرج علي بن موسى وسأل عن الحمامي ، فقيل : إنه خاف مما جرى فهرب . فقال : لا ينبغي أن يهرب إنما الذنب لمن وضع**

وروي أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه، وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان إذا خاط له شيئاً حمل إليه دراهم زائفة، فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه، فاتفق يوماً أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته، فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهماً زائفاً، فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردّه عليه، فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال: بئس ما عملت. هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها في البئر لئلا يغرّ بها مسلماً.

وقال يوسف بن أسباط: علامة حسن الخلق عشر خصال، قلة الخلاف، وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

ماءه عند أمة سوداء). فهذا من كمال حسن خلقه حيث لم يعاقب الحمامي ولم يغضب عليه، وامتثل الرستاقي في أوامره.

(وروي ان أبا عبد الله الخياط) أحد رجال الله الصالحين **(كان يقعد على دكانه وله حريف مجوسي)** أي صاحب **(يستعمله في الخياطة وكان إذا خاط لذلك المجوسي حمل إليه دراهم زيوفاً)** أي رديئة. **(وكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه، فاتفق يوماً)** وفي نسخة فقضي من القضاء **(أن عبد الله قام يوماً من الحانوت لبعض حاجته فتقدم المجوسي إلى تلميذه واسترجع ما خاطه ودفع إليه درهماً زائفاً)** وفي بعض النسخ: فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه، فكان درهماً زائفاً، **(فلما نظر فيه التلميذ)** وعرف أنه زائف **(رده عليه، فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال)** له: **(بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة)** وفي نسخة منذ سنة، **(وأنا أصبر عليه فآخذ الدراهم)** منه **(وألقيها في البئر كيلا يغرّ بها مسلماً)** وفي نسخة فآخذ منه الدرهم وألقيه في البئر لئلا يغر به مسلماً.

(وقال يوسف بن اسباط) رحمه الله تعالى تقدم ذكره مراراً **(علامة حسن الخلق عشرة أشياء قلة الخلاف)** أي مع الأصحاب **(وحسن الإنصاف)** أي من نفسه **(وترك طلب العثرات)** من إخوانه **(وتحسين ما يبدو من السيئات)** أي حملها على أحسن مواضعها **(والتماس المعذرة)** لهم، **(واحتمال الأذى)** منهم **(والرجوع باللائمة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون معرفة عيوب غيره وطلاقه الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه)** أي: فإذا وجدت هذه الأوصاف دلت على حسن الخلق.

وسئل سهل عن حسن الخلق فقال: أدناه احتمال الأذى، وترك المكافاة، والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه، وقيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية فقال لها: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى. وقيل: إن أويساً القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم: يا إخوتاه إن كان ولا بدّ فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة. وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال: إن كان قد بقي في نفسك شيء فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك.

وروي أن علياً كرم الله وجهه دعا غلاماً فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه، فقام

(وسئل) أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى **(عن حسن الخلق)** ما هو؟ **(فقال)**: هو على مراتب **(أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه، وقيل للأحنف بن قيس)** بن معاوية التميمي البصري، وهو لقب له. واسمه الضحاك وقيل صخر، وكان مشهوراً بالحلم مات سنة سبع وستين بالكوفة، روى له الجماعة: **(ممن تعلمت حسن الخلق؟ فقال: من قيس بن عاصم)** بن سنان بن خالد المنقري التيمي الصحابي رضي الله عنه مشهور بالحلم نزل البصرة. **(قيل وما بلغ من خلقه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية، فقال: لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله تعالى، وقيل: كان أويس)** بن عامر **(القرني)** بالتحريك نسبة إلى قبيلة من مراد وهو سيد التابعين في قول **(إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول: يا اخوتاه إن كان ولا بدّ فارموني بالصغار)** منها **(كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة)** فهذا كمال ملاطفته بهم وهو دليل حسن الخلق.

(وشتم رجل الأحنف بن قيس وكان يتبعه، فلما قرب من الحي وقف وقال: إن بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبك). وقال أبو بكر بن الأنباري: أخبرني أبي عن أحمد بن عبيد قال: بينا الأحنف في الجامع بالبصرة إذا رجل قد لطمه فأمسك الأحنف يده على عينه وقال: ما شأنك؟ فقال: اجتعلت جعلاً على أن ألطم سيد بني تميم. فقال: لست سيدهم إنما سيدهم جارية بن قدامة، وكان جارية في المسجد. فذهب الرجل فلطمه. قال: فأخرج جارية من خفه سكيناً فقطع يده وناوله. فقال له الرجل: ما أنت قطعت يدي إنما قطعها الأحنف بن قيس أوردها المزي في ترجمة جارية بن قدامة.

(وروي أن علياً كرم الله وجهه دعا) يوماً **(غلاماً له فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم**

إليه فرآه مضطجعاً فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: بلى، قال: فما حملك على ترك اجابتي؟ قال أمنت عقوبتك فتكاسلت، فقال: امض فانت حر لوجه الله تعالى.

وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله: يا مرائي، فقال: يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة. وكان ليحي بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له: لم تمسكه؟ فقال: لأتعلم الحلم عليه.

فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها، ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق. فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه، فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق، بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فإنها درجة رفيعة لا ينـالها إلا المقربون والصديقون.

بيان الطريق في رياضة الصبيان في أوّل نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم:

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند

يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعاً. فقال: أما تسمع يا غلام؟ فقال: بلى) سمعت **(قال: فما حملك على ترك جوابي؟ قال: آمنت عقوبتك فتكاسلت)** عن القيام لندائك، **(فقال امض فانت حر لوجه الله)** تعالى **(ففيه كظم الغيظ)** والإحسان التام إليه بالعتق وهما من جملة حسن الخلق **(وقالت امرأة لمالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى **(يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله أهل البصرة)** فهذا فيه احتمال لاذاها وصبر على جفاها واتهام نفسه بهواها وهو دليل حسن الخلق **(وكان ليحي بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام قال لأتعلـم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة)** والمجاهدة **(فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل بواطنها)** وطهرت من عاداتها الردية سرائرها **(فأثمرت الرضا بكل ما قدّره الله)** عز وجل **(وهذا منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات)** ولم يظهر منها شيء على ظاهره **(فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة)** على الدوام **(إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق)** وكل يعطى على قدر اجتهاده ونصيبه الذي كتب له **(فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديقون)** ومن سلك سلوكهم والله الموفق.

بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشـو ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

(اعلم أن الصبي أمانة) من الله تعالى **(عند والديه)** لأنه نعمة أنعم بها والداه **(وقلبه**

والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له. وقد قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [التحريم: ٦]. ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوّده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الابد، بل ينبغي أن

الطاهر) عن كل كدر **(جوهرة نفيسة)** ثمينة **(ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش)** كما أن كل جوهر ساذج مستعد لقبول كل نقش وصورة **(ومائل إلى كل ما يمال به)** خيراً أو شراً **(فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه)** بأن يثبت مثل ذلك في صحائف أعمالهما، **(وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه)** كيف لا، **(وقد قال الله تعالى)** في كتابه العزيز ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ أي احفظوها: ﴿وأهليكم ناراً﴾ والأصل في الأهل القرابة، وقد يطلق على الاتباع والجمع الأهلون. **(ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا)** بأن تصيبه **(فبأن يصونه من نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق)** ومكارمها وصالحها، **(ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية)** أي سعة العيش **(فيضيع عمره في طلبها إذا كبر)** على تلك العادة، **(ويهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أوّل أمره)** وحيث قال من أول أمره فهو منسحب على الأولية من حيث ولادته إلى أن يفطم، فلزم بيان ما يحتاج إليه في أثناء ذلك، فنقول: إذا ولد المولود يجب أن يبدأ كل شيء بقطع السرة وهو جسم كالمصران متصل بسرته منه، ويكون القطع فوق أربع أصابع، وإنما وجب قطع هذا الجسم لأنه لو بقي على طوله لتعفن وتضرر الصبي برائحته، وربما وصلت عفونته إلى السرة. وإنما جعل القطع فوق أربع أصابع لأنه لو كان أقل من ذلك لتألم المولود به تألماً شديداً، ثم بعد شدها يتبادر إلى تمليح البدن لتصلب بشرته ويقوى جلده، فإن كان ذكراً ينبغي أن يكثر الملح لأنه أحوج إلى صلابة البدن ليكون صبوراً على ما يلقاه من المشقات بخلاف الأنثى ولا يملح أنفه ولا فمه، ثم تغسله القابلة بماء فاتر وتنقي منخريه دائماً بأصابع مقلمة الأظفار ويدعدع دبره لينفتح ثم في وقت القماط يشكل كل عضو على أحسن شكله بغمز لطيف ثم يعمم أو يقلنس بقلنسوة لطيفة منهدمة على رأسه، وينوم في محل معتدل مائل إلى الظلمة حفظاً لروحه الباصرة، ويغطي المهد بخرقة اسمانجونية. والطفل يبكي إما لوجع يناله، أو حر أو برد أو جوع، أو من قمل وبراغيث وبق يؤذيه، فإن كان شيء من ذلك فالواجب أن يبادر إلى دفعه.

يراقبه من أوّل أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث. ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي

وأما كيفية ارضاعه فإنه يجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم أعني طمث أمه فإنه بعينه هو المستحيل لبناً لأشتراك الرحم والثدي في الوريد الغاذي لهما، ووقت الحمل يتوجه دم الطمث بالكلية إلى الرحم لغذاء الجنين وبعد انفصاله إلى الثديين لغذائه أيضاً وهو أقبل لذلك وآلف، حتى أنه صح بالتجربة أن إلقامه حلمة أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه لأنه يلهيه ويشغله عما يؤذيه، ومن الواجب مع ذلك أن يلزم الطفل على شيئين نافعين لتقوية مزاجه: أحدهما بالتحريك اللطيف، والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال، فالتحريك سبب انتعاش الحرارة الغريزية، والتلحين يوقف على استعداد للرياضة، وإن منع من إرضاعه لبن والدته مانع من ضعفها أو فساد لبنها أو ميلها إلى الترفه، فينبغي أن يختار له مرضعة. وإليه أشار المصنف بقوله:

(فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة) يكون سنّها ما بين خمس وعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة، فإن هذا هو سن الشباب والصحة، وتكون حسنة اللون لأن ذلك تابع لاعتدال مزاجها، وتكون ناعمة البشرة قوية العنق واسعة الصدر متوسطة في السمن والهزال لحمانية لا شحمانية **(صالحة)** حسنة الأخلاق محمودتها بطيئة الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك، فإن جميع ذلك يفسد المزاج، وتكون **(متدينة)** ملازمة على أمور دينها من كل ما يجب عليها. **(تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث)**، والطفل يعدى بالرضاع، ولذلك ورد النهي عن استرضاع المجنونة، ثم إذا جعلت ثناياه تظهر نقل إلى الغذاء الذي هو أقوى من غير أن يعطى شيئاً صلب المضغ.

وبالجملة فتدبير الأطفال هو التركيب بمشاكلة مزاجهم لذلك والحاجة إليه في تغذيته ونموّه، والرياضة المعتدلة في الكيف الكثيرة في الكم الطبيعي لهم، وكان الطبيعة تتقاضاهم بها، وذلك لاحتياجهم إليه لدفع الفضول المجتمعة، ولا سيما إذا جاوزوا الطفولة إلى الصبي، ثم إذا فطم نقل إلى ما هو من جنس الأحشاء واللحوم الخفيفة، ويجب أن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة والمدة الطبيعية للرضاع سنتان لأنها مدة نبات أكثر أسنانه وتصلب أعضائه، حتى يقبل غير اللبن من الأغذية، وإذا أخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن من الحركات العنيفة، وإذا جعلت الأنياب تتفطر منعوا أكل صلب المضغ، والغرض المقدم في معالجة أمراض الصبيان هو تدبير المرضعة لأن من خواص الأطفال أن يكون علاجهم بوجهين: أحدهما: بتدبير أنفسهم، وثانيهما بتدبير مرضعتهم وهو مقدم بالفضيلة على تدبيرهم، فإذا انتقلوا إلى سن الصبا يجب أن تكون العناية مصروفة إلى مراعاة أخلاق الصبي، وذلك بأن يحفظ كيلا يحدث له غضب أو خوف شديد

أن يحسن مراقبته، وأوّل ذلك ظهور أوائل الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء، وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي المستحيي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه، وأوّل ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وأن يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل، وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، وان يعوّد الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتماً، ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل

أو غم شديد، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن إليه فيقرب إليه، وما الذي يكرهه فيُنحّى عن وجهه. وفي ذلك منفعتان. احداهما: في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك ملكة له لازمة، والثانية لبدنه فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج، فكذلك إذا حدثت من العادة استتبعت المزاج المناسب، فإن الغضب يسخن جداً والغم يجفف جداً والتبليد يرخي القوى النفسانية ويميل المزاج إلى البلغمية. (**ومهما بدا فيه مخايل التمييز**) وهو إذا دخل في ست أو سبع، (**فينبغي أن يحسن مراقبته، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء**) فيه، (**فإذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال**) وذلك عند رؤية من يحتشم منه، (**فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى رأى بعض الأشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحيي من شيء دون شيء. وهذه**) الحالة إذا تيسرت فيه (**هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ**) وهذه الحالة كالدلالة عليه، (**فالصبي المستحيي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه، فأوّل ما يغلب عليه من الصفات**) الخبيثة (**شره الطعام**) أي الحرص عليه، (**فينبغي أن يؤدب فيه**) على أدب الشرع (**مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه ويقول: بسم الله عند أخذه ويأكل مما يليه**) منفرداً أو مع جماعة (**ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره**) بل يصبر عن مد اليد حتى يمد غيره، (**ولا يحدق إلى الطعام**) أي لا يطيل بحدقته إليه (**ولا إلى من يأكل، ولا يسرع في الأكل ويمضغ الطعام مضغاً جيداً**) بأسنانه (**ولا يوالي**) أي لا يتابع (**بين اللقم**) فإن كل ذلك من أمارات الشره ودناءة النفس والهمة، فينبغي أن يجنب من ذلك، (**ولا يلطخ يده**) بالطعام غير أصابعه الثلاثة، (**ولا ثوبه**) بأن يتساقط عليه شيء منه فإن كلاً منهما يدلان على الدناءة (**ويعود الخبز القفار**) أي اليابس وحده (**في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم**) معه (**حتماً**) لازماً، (**ويقبح عنده كثرة الأكل**

بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وان يحبب إليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان، وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملوّن والابـريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين، وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه، ومهما رأى على صبي ثوباً من ابريسم أو ملوّن فينبغي أن يستنكره ويذمه، ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عوّدوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه، فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذاباً حسوداً سروقاً نماماً لحوحاً ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين، ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن

بأن يشبه من يكثر الأكل بالبهائم) فإنه بتمييزه يدرك أن التشبه بالبهائم مسترذل، **(ثم بأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل)** فتراه أبداً يميل إلى الممدوح ويهرب من المذموم، **(ويحبب إليه الإيثار بالطعام)** للغير **(وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان)** وعدم الميل إلى اللين منه، **(ويحبّب إليه من الثياب)** في اللبس **(البيض دون الملوّن)** بالألوان المختلفة **(و)** دون ثياب **(الإبريسـم)** والخز، **(ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين)** المتشبهين بالنساء، **(وأن الرجال يستنكفون منه)** ويعرضون عنه **(ويكرر عليه ذلك)** حتى يرسخ في ذهنه. **(ومهما رأى على صبي ثوباً من ابريسم أو ملوّن فينبغي أن يستنكر)** منه **(ويذم)** ذلك ويأمره بخلعه، **(ويحفظ الصبي عن)** معاشرة **(الصبيان الذين عوّدوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة)** فإن ذلك يحمله على أن يكلف أبويه بمثل لبسهم **(و)** يحفظ أيضاً **(عن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه، فإن الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأكثر رديء الأخلاق كذاباً حسوداً سروقاً نماماً لجوجاً ذا فضول)** في الكلام **(وضحك وكياد)** أي مكايدة **(ومجانة)** أي صاحب مجون وهو الهزل من الكلام، **(وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب)** والتعليم، **(ثم ينبغي أن يشتغل في المكتب)** عند المؤدب **(بتعلم القرآن)** أوّلاً بترتيبه المعهود في بلده من تقديم حروف الهجاء إفراداً ثم تركيباً، **(وبأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم)** ثانياً **(لينغرس حب الصالحين في قلبه)** فينشأ عليه **(ويحفظ من قراءة الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله)** وحكاياتهم وما جرى لهم، فإن ذلك يحمله على التشبه بهم تكلفاً، **(ويحفظ أيضاً عن مخالطة**

ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد.

ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصوّر أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيا إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه ويقال: إياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامـة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا احياناً، والأم تخوّفه بـالأب وتزجره عن القبائح، وينبغي أن يمنع عن النوم نهاراً فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلاً ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم، بل يعوّد الخشونة في المفرش والملبس

الأدباء الذين يزعمون) أنهم شعراء و **(أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد)** ويعسر إزالته بعد.

(ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود) يرتضى، **(فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس)** فإن ذلك يحبّبه إلى الفعل الجميل ويبثه في مركوزة عقله، **(فإن خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصوّر أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيا إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك ربما يفيد جسارة)** عليه، **(حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك)** بين الناس، **(فإن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهوّن عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه)** لكونه يتعوّد على ذلك، **(وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً)** لتكون هيبته في قلبه دائماً **(وينبغي للأم أن تخوّفه بالأب وتزجره عن القبائح)** إذ الصبي يهاب الأب أكثر من الأم لكثرة شفقتها عليه طبعاً. **(وينبغي أن يمنع النوم نهاراً فإنه يورث الكسل و)** الفتور في الأعضاء **(ولا يمنع منه ليلاً)** إذ السهر في حقه مضر، **(ولكن يمنع الفرش الوطيئة)** اللينة **(حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسخف بدنه)** أي لا يرق **(فلا يصبر عن التنعم)** فيما بعد، **(بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم)** حتى لا يبالي بما تيسر

والمطعم، وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تعوّد ترك فعل القبيح ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعوّد أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يده بل يضمها إلى صدره، ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته، بل يعوّد التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين، بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ، وأن الاخذ لؤم وخسة ودناءة، وان كان من أولاد الفقراء، فيعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب، فإنه يبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها.

وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضاً، وينبغي أن يعوّد أن لا يبصق في مجلسه ولا

منها. (**وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك**) على ذلك (**تعوّد فعل القبيح**)، وهان عليه ارتكابه (**ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل**)، ولا تجتمع الفضلات في المعدة، ولا تنحبس الأبخرة في الأعضاء والعروق، (**ويعود أن لا يكشف أطرافه**) بين يدي أحد (**ولا يسرع المشي**) بل يكون على وقار (**ولا يرخي يديه**) ولا يلعب بها، (**بل يضمها إلى صدره**) فإنه أقرب إلى الأدب، (**ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه من مال أو متاع أو شيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته**) فإن هذا مما يورث العجب فيه، (**ويعوّد التواضع والإكرام لكل من عاشره**) وصاحبه (**والتلطف في الكلام معهم**) مع غض البصر، (**ويمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له** حشمة) ورئاسة (**إن كان من أولاد المحتشمين**) أي الرؤساء ذوي الثروة والأمر، (**بل يعلم أن الرفعة في العطاء**) للغير (**لا في الأخذ**) من الغير، (**وأن الأخذ لؤم وخسة**) ودناءة، (**وإن كان من أولاد الفقراء، فيعلم أن الأخذ والطمع مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكلب**) الذي هو أخس الحيوانات، (**فإنه يتبصبص في انتظار لقمة**).

(**وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب**) النقدين (**الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر من التحذير من الحيات والعقارب، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم على الصبيان، بل على الأكابر أيضاً وينبغي أن يعوّد أن لا يبزق في مجلسه**)

يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده، فإن ذلك دليل الكسل. ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللئام، ويمنع اليمين رأساً ـ صادقاً كان أو كاذباً ـ حتى لا يعتاد ذلك في الصغر، ويمنع أن يبتدىء بالكلام، ويعوّد أن لا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً، وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان، ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء. وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال، وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان. وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وارهاقه إلى التعلم دائماً يميت قلبه

ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره) فإن غلب عليه فليكظمه **(ولا يستدبر غيره)** في المجلس **(ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضرب كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده، فإن ذلك دليل الكسل)** وهو مذموم، **(ويعلم كيفية الجلوس)** كيف يجلس وهو أن يكون جلوسه أبداً على ركبتيه كما يجلس في الصلاة ولا يرفع إحدى ركبتيه ولا متربعاً ولا متوركاً، **(وينبغي أن يمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة)** وقلة الحياء، **(وأنه عادة أبناء اللئام ويمنع اليمين)** أي الحلف **(رأساً)** أي مطلقاً **(صدقاً وكذباً حتى لا يتعوّده في الصغر، ويمنع من أن يبتدئ بالكلام)** وإنما يكون الابتداء من الغير. **(ويعود أن لا يتكلم إلا جواباً)** للكلام، **(و)** أن يكون مختصراً **(بقدر السؤال، وأن يحسن الاستماع)** للكلام **(مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سناً منه)** ولو بقليل، **(وأن يقوم لمن هو فوقه)** في السن والفضل، **(ويوسع له المكان ويجلس بين يديه)** متواضعاً، **(ويمنع من لغو الكلام وفحشه)** وسقطه، **(ومن اللعن والسب)** والهزل. **(ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء)** فيتأثر فيه، **(وأصل تأديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء)** فإن ضررهم أكثر، **(وينبغي إذا ضربه المعلم)** أحياناً على قصد التأديب **(أن لا يكثر الصراخ والشغب)** أي رفع الصوت **(ولا يستشفع بأحد)** ولا يحلفه ولا يكثر عليه اللجاج، **(بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال، وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان، وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي)** من اللعب **(وإرهاقه إلى**

ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً . وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سناً من قريب وأجنبي ، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم ، وأن يترك اللعب بين أيديهم ، ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ، ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب ، ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع .

ويخوّف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش ، وكل ما يغلب على الصبيان ، فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرّف أسرار هذه الأمور فيذكر له أن الأطعمة أدوية ، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها ، وأن الموت يقطع نعيمها وأنها دار ممر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة ، وأن الكيّس العاقل من تزوّد في الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى

التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه) ويبلد فهمه **(وينغص العيش عليه ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً)** إما بالهروب ، وبإظهار المرض أو غير ذلك . **(وينبغي أن يعلم طاعة والديه)** والبرّ بهما **(و)** طاعة **(معلمه ومؤدبه)** والبرّ به ، **(وكل من هو أكبر سناً منه من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم)** والمهابة ، **(وأن يترك اللعب بين أيديهم)** توقيراً لهم . **(ومهما بلغ سن التمييز ينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة)** من الأحداث **(والصلاة)** فقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع » . وروى أبو داود والطبراني من حديث سبرة الجهني بنحوه . وروى الدارقطني من حديث أنس « مروهم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لثلاث عشرة » **(ويؤمر بالصوم في بعض الأيام من شهر رمضان)** ليتعوّد عليه ، **(ويجنب لبس الحرير والذهب)** ويعلم أنه من حلية النساء . **(ويعلم كل ما يحتاج إليه)** مثله **(من حدود الشرع ، ويخوّف من السرقة)** خاصة فإن طبع الصبيان يميل إليها كثير **(و)** من **(أكل الحرام ومن الكذب)** في القول **(و)** من **(الخيانة والغش وكل ما يغلب على الصبيان)** من الاخلاق الرديئة ، **(فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور)** تفصيلاً **(فيذكر له أن الأطعمة أدوية ، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على عبادة الله)** تعالى ، **(وأن الدنيا كلها)** خيال **(لا أصل لها لأنها لا بقاء لها وأن الموت يقطع نعيمها)** ويكدر صفوها ، **(وأنها)** أي الدنيا **(دار ممر)** ومقلعة **(لا دار مقر ، وأن الموت ينتظر في كل ساعة ، وأن الكيّس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة)** فيجعلها كالقنطرة يعبر عليها ولا يعمرها ، ويأخذ

ويتسع نعيمه في الجنان، فإذا كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر، وإن وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس، فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فإن الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين.

قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فانظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، الله معي الله ناظر إليَّ الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل

الأعمال الصالحة الواقعة بمنزلة الزاد الذي يبلغه في سفره منها للآخرة (**حتى تعظم عند الله درجته وتتسع في الجنان نعمته، فإذا كان النشو صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً**) في قلبه (**مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر**) فلا يكاد يمتحي منه، (**وإن وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة**) وقلة الحياء (**وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس**) فإنه لا يؤثر فيه شيئاً، (**فاوائل الأمور هي التي ينبغي ان تراعى**) وتحافظ، (**فإن الصبي خلق بجوهره قابلاً للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان إلى أحد الجانبين.**)

(**قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»**) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(**قال**) أبو محمد (**سهل بن عبد الله التستري**) رحمه الله تعالى: (**كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار**) البصري، قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: هو مقبول من العاشرة أورده للتمييز بينه وبين محمد بن سوار الأزدي الكوفي من رجال أبي داود، نقله القشيري في الرسالة قال: وكان يقوم الليل فربما كان يقول: يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي (**فقال لي خالي يوماً**) ولفظ القشيري: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول: سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول: سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول: سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال قال لي خالي يوماً، (**ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قلت: كيف أذكره فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به بلسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك**)

ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية. فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة. فسألت أهلي أن يبعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها، فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئاً. فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة

ليالي) وإنما خصه به عند تقلبه في ثيابه، فإنه وقت الخلوّ عن الأشغال وخصه أن يقوله بقلبه لأنه هو المفيد، **(ثم أعلمته)** بما قلت **(فقال: قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك)** وفيه الترقي بالتدريج **(ثم أعلمته)** حالي **(فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة)** وفيه أن أوتار الأعداد لها سر خاص وإلى هذا التدريج أشار مشايخ هذه الطريق لاسيما النقشبندية فإنهم يأمرون المريد بالذكر القلبي أولاً ثلاث مرات، ثم سبعاً، ثم منهم من ينقله إلى تسع، ومنهم من يرقيه إلى إحدى عشرة، فإن لم يجد فتحاً فليعد إلى الحالة الأولى. **(فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته)** فصرت ألازمه في كل ليلة هكذا. **(فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة)** يشير إلى أنه يحصل له به حياة القلب والمعرفة، وقلب العارف لا يموت لم يزل حياً في قبره لا ينقطع عنه المدد **(فلم أزل على ذلك سنتين فوجدت له حلاوة في سري)** أي في باطني **(ثم قال لي خالي: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه ويشاهده كيف يعصيه)** أي كيف يعصيه وهو معه ورقيب عليه **(إياك والمعصية فكنت أخلو)** أي حبب إليّ الخلوة عن الناس **(فبعثوني إلى المكتب)** لأقرأ القرآن **(فقلت: إني لأخشى أن يتفرق علي همي)** خشي من حصول التفرقة في الذكر، **(ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة)** معلومة من النهار **(فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير)** إلى أن بلغت **(اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة)** في الدين دقيقة الظاهر أنها من أحوال القلوب والمعاملات مع الله تعالى، **(وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوا بي إلى البصرة)** أي بلد خاله **(أسأل عنها)** فأجابوني إلى ذلك **(فجئت إلى البصرة وسألت علماءها)** عن تلك المسألة **(فلم يشف أحد عني شيئاً)** أي لم يأتوا بجوابها على النهج الذي يشفي به غليلي **(فخرجت)** منها **(إلى عبادان)** وهي جزيرة قرب البصرة **(إلى رجل)** بها من الصالحين

ابن أبي عبدالله العباداني فسألته عنها فاجابني، فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت إلى تستر، فجعلت قوتي اقتصاداً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتاً بغير ملح ولا أدم، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة، ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليالٍ ثم أفطر ليلة ثم خمساً ثم سبعاً ثم خمساً وعشرين ليلة، فكنت على ذلك عشرين سنة، ثم خرجت أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ما شاء الله تعالى. قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى.

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة:

(**يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني فاقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدّب بآدابه ثم رجعت منها إلى تستر**) من أعمال الأهواز من كور فارس، (**فجعلت قوتي اقتصاداً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق**) محركة وهو مكيال يقال أنه يسع ستة عشر رطلاً هكذا ذكروه، (**فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتاً**) أي خالصاً (**بغير ملح ولا آدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة**) اعلم أنه بحساب كل أوقية في يوم يتحصل ثلاثون رطلاً وكسر في السنة، فإذا كان كل رطل باثني عشر أوقية لا يطابق ما تقدم من قول أهل اللغة أن الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلاً. وقيل: الفرق ستة وثلاثون رطلاً. وقيل: ثمانون رطلاً وعلى كل حال لا ينطبق فتأمل ذلك. ووجدت في بعض نسخ الرسالة من الشعير الغرق بالغين صفة للشعير وهو الذي قد أصابه البلل من الأرض وهو رخيص الثمن فإن صحت هذه النسخة فالمعنى واضح، (**ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم أطوي خمساً**) ثم أفطر ليلة (**ثم**) أطوي (**سبعاً**) وأفطر ليلة (**ثم خمساً وعشرين ليلة**) وقد تيسر له ذلك بالتدريج، (**وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله**). وقد أورد هذه الحكاية القشيري في الرسالة والمقصود من سردها هنا أن أوائل الأمور إذا روعيت تتبعها المناهي ألا ترى إلى سهل كيف صان نفسه وأدبها في أول نشوها بالزهد والتقليل والجوع والعزلة حتى نال ما نال والله الموفق.

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة:

ولنقدم قبل الخوض في شرح كلام المصنف تحقيق معنى الإرادة والمريد. قال القشيري في الرسالة: الإرادة بدوّ طريق السالكين وهي اسم لاوّل منزلة القاصدين إلى الله تعالى، وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله، فلما كان هذا أول الأمر لمن سلك طريق الله تعالى سمي إرادة تشبيهاً بالقصد في الأمور الذي هو مقدماتها، والمريد

واعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريداً حرث الآخرة مشتاقاً إليها سالكاً سبلها مستهيناً بنعيم الدنيا ولذاتها ، فإن من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ، ومن ليس مريداً حرث الآخرة ولا طالباً للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر .

ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص ، فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لا

على موجب الاشتقاق من له إرادة ، كما أن العالم من له علم لأنه من الأسماء المشتقة ولكن المريد في عرف هذه الطائفة من لا إرادة له ، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً كما أن من لا إرادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مريداً وتكلم الناس في معنى الإرادة ، فكل عبر على ما لاح لقلبه فأكثر المشايخ قالوا : الإرادة ترك ما عليه العادة وعادة الناس في الغالب التعريج على أوطان الغفلة ، والركون إلى اتباع الشهوة والاخلاد إلى ما دعت إليه المنية ، والمريد منسلخ عن هذه الجملة فصار خروجه امارة على صحة الارادة فسميت تلك الحالة إرادة وهي خروج عن العادة فإذا ترك العادة امارة الإرادة فأما حقيقتها فهي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه ، ولهذا يقال : أنها لوعة تهون كل روعة . وسمعت الأستاذ أبا علي يقول : الإرادة لوعة في الفؤاد لدغة في القلب غرام في الضمير انزعاج في الباطن بنيران تتأجج في القلوب ، وفرقوا بين المريد والمراد فقالوا : المريد هو المبتدىء ، والمراد هو المنتهى ، وقيل : المريد هو الذي نصب بعين التعب وألقى في مقاساة المشاق ، والمراد هو الذي لقي بالأمر من غير مشقة فالمريد متعن والمراد مرفوق به مرفه وسنة الله تعالى في القاصدين مختلفة ، فأكثرهم يوفقون للمجاهدات ثم يصلونه بعد مقاساة اللتيا والتي إلى سني المعالي ، وكثير منهم يكاشفون في الابتداء بجليل المعاني ويصلون إلى ما لم يصل إليه كثير من أصحاب الرياضات إلا أن أكثرهم يرددون والمجاهدات بعد هذه الارفاق ليستوفي منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة . هذا حاصل ما أورده القشيري ، ثم نعود إلى شرح كلام المصنف . قال رحمه الله تعالى .

(اعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريداً حرث الآخرة) يشير إلى قوله تعالى : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ [الشورى : ٢٠] واستدل بهذه الآية على أصل الإرادة **(مشتاقاً إليها سالكاً سبلها مستهيناً بنعيم الدنيا ولذاتها ، فإن من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة)** ثمينة **(لم تبق له رغبة في الخرزة)** إذ لا قيمة لها **(وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ، فمن ليس مريداً حرث الآخرة ولا طالباً للقاء الله)** تعالى **(فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر . ولست أعني بالإيمان حديث القلب وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص ، فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لا يدري من الجوهر إلا لفظه)** فقط ، **(فأما حقيقته فلا ،**

يدري من الجوهرة إلا لفظها، وأما حقيقتها فلا. ومثل هذا المصدق إذا ألف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهر، فإذاً المانع من الوصول عدم السلوك، والمانع من السلوك عدم الإرادة، والمانع من الإرادة عدم الإيمان، وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين عن حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم، فإن تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله، فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق، فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سبباً لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه، ومهما كان المطلوب محجوباً والدليل مفقوداً والهوى غالباً والطالب غافلاً امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة، فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم ان له شروطاً لا بدّ من تقديمها في بداية الإرادة، وله معتصم لا بدّ من التمسك به وله حصن لا بدمن التحصن

ومثل هذا المصدق إذا ألف الخرزة) وأنس بها (**قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة. فإذاً المانع من الوصول إلى الله عدم السلوك**) في طريق الله، (**والمانع من السلوك عدم الإرادة**) التي هي التجرد لله في السلوك إلى كمال التوحيد، (**والمانع من الإرادة عدم الإيمان**) بالله واليوم الآخر، (**وسبب عدم الإيمان**) بالله واليوم الآخر (**عدم الهداية**) لسبيله، (**و**) عدم (**المذكرين والعلماء بالله الهادين**) للناس (**إلى طريقه**)، وعدم (**المنبهين على حقارة الدنيا وعظم أمر الآخرة ودوامها**) وفناء الدنيا (**فالخلق**) كلهم (**غافلون**) سكارى (**قد انهمكوا في شهواتهم**) ولذاتهم النفسانية (**وغاصوا في**) بحار (**رقدتهم**) وغفلتهم، (**وليس يوجد في علماء الدين من ينبههم من هذه**) الرقدة، (**فإن تنبه منهم متنبه**) بمساعدة التوفيق الإلهي (**عجز عن سلوك الطرائق لجهله**) عن السلوك، (**فإن طلب الطريق من العلماء**) الموجودين في عصره (**وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق، فصار ضعف الإرادة**) من السالك (**والجهل بالطريق**) لعدم المسلك، (**ونطق العلماء بالهوى سبباً**) قوياً (**لخلو طريق الله تعالى عن السالكين**) فعظمت المصيبة وكبرت الطامة وأظلمت القلوب، (**ومهما كان المطلوب**) الذي هو الوصول (**محجوباً والدليل**) الذي يرشد إليه (**مفقوداً والهوى**) في الأدلة الموجودين (**غالباً والطالب**) غراً (**غافلاً امتنع الوصول**) إلى الله تعالى، (**وتعطلت الطرق لا محالة فإن تنبه متنبه من نفسه**) بسابق التوفيق (**أو من تنبيه غيره وانبعثت له**) من ذلك التنبيه (**إرادة في حرث الآخرة وتجارتها، فينبغي أن يعلم أن له شروطاً لا بد من تقديمها**) في بداية (**الإرادة**) فإن لم يراعها لم تصح الإرادة (**وله معتصم لا**

به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه، وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق.

أما الشروط التي لا بدّ من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق. قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يس: ٩].

والسد بين المريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والمعصية، وإنما يـرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل، وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر

بد من التمسك به) والاعتصام بحبله **(وله حصن لا بد من التحصن به)** والالتجاء إليه، **(ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وله)** في إرادته **(وظائف)** معلومة **(لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق. أمّا الشروط التي لا بد من تقديمها في الإرادة، فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الخلق عن)** الوصول إلى **(الحق سببه تراكم الحجب)** وتكاثفها، **(ووقوع السد على الطريق)** الموصل له. **(قال)** الله **(تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ والسد بين المريد وبين الحق أربعة أمور: أحدها المال، و)** الثاني **(الجاه، و)** الثالث **(التقليد)**، والرابع **(المعصية. وإنما يرتفع حجاب المال بأن يفرقه)** حيث يفرقه **(ويخرجه عن)** حوزة **(ملكه حتى لا يبقى إلا قدر ضرورته)** المحوجة له **(فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى، وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وإيثار الخمول)** وهو الخفاء عن الناس، **(والهرب من أسباب الذكر)** والشهرة **(وتعاطي أعمال)** خسيسة **(تنفر قلوب الخلق)** عن الميل إليه. ونص القشيري في الرسالة: وإذا أراد الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال فإن ذلك الذي يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل في هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرته تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج، فإذا خرج عن المال فالواجب عليه الخروج من الجاه فإن ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجيء منه شيء بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإيثار والتبرك به لإفلاس الناس من هذا الحديث وهو بعد لم يصحح الإرادة فكيف أن يتبرك به؟ فخروجهم من المال واجب عليهم كخروجهم من الجاه، فإذا خرج عن ماله وجاهه تمت الإرادة وقد اقتصر القشيري على هذين، ويجب على المريد بعد تخلصه من حب المال والجاه أن يتخلص من حب الرئاسة في كونه زهد في

قلوب الخلق عنه. وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب، وأن يصدق بمعنى قوله: « لا إله إلا الله محمد رسول الله » تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدق بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى ـ وأعظم معبود له الهوى ـ حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقّفه تقليداً، فينبغي أن يطالب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً. إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين

الدنيا. فيكون قد زهد في أمر دنيوي واستعوض عنه ما هو أفضل منه في دينه، فإن الزهاد جاههم أكمل من جاه أبناء الدنيا فإنهم يذلون للزهاد ويتبركون بهم، فمتى شربت نفس المريد من هذا جرعة خشي عليه التلف منها فإن فيها من اللذة ما يدعو لطيبها. ثم قال القشيري: وإذا خطر ببال المريد أن له في الدنيا والآخرة قدراً أو قيمة أو على بسيط الأرض أحد دونه لم يصح له في الإرادة قدم لأنه يجب أن يجتهدوا ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدراً، وفرق بين من يريد الله وبين من يريده جاه نفسه إما في عاجله أو آجله، ثم قال المصنف:

(وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب) المتبوعة، **(وأن يصدق بمعنى قوله: « لا إله إلا الله محمد رسول الله » تصديق إيمان)** لا تصديق حديث نفس **(ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله)** هذا حال المريد في ابتداء أمره، فإنه هكذا يلاحظ هذا المعنى، وأما المتوسط فإنه يلاحظ رفع كل مقصود له سوى الله تعالى، كما أن المنتهي يلاحظ رفع كل موجود سوى الله، ولذا قال بعضهم: مال لم ينته السير إلى الله تكون ملاحظة لا موجود إلا الله كفراً. ونقل عن الشيخ بهاء الدين نقشبند قدس سره في معنى الكلمة الطيبة نفي الإلهية الطبيعية وإثبات المعبود بحق، ومعنى الجملة الثانية أنك أدخلت نفسك في مقام فاتبعوني، **(فأعظم معبود له الهوى)** ويدل له قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣] **(حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه)** من الأفواه **(تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة)** العملية **(لا من المجادلة)** اللسانية **(فإن غلب عليه التعصب لعقيدة من العقائد ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيداً له وحجاباً)** مانعاً **(إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلاً)** وقال القشيري في الرسالة: أول قدم للمريد أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فتجب البداية بتصحيح اعتقاده بينه وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع صادر عن البراهين والحجج ويقبح للمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب أهل هذه الطريقة المختلفين سوى طريقة الصوفية. والناس إما أصحاب النقل والأثر، وإما أرباب العقل والفكر. وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فهو لهم من الحق موجود فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال، وهم كما قال القائل:

أصلاً ، وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم ، فإن لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب ، فإن ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه ، فكذلك لا بد من

لـلي بـــــــــــوجهـــــــــــك مشرق وظلامـــــــــه في النـــــــــاس ســـــــــارِ
والنـــــــــاس في ســـــــــدف الظلا م ونحن في ضـــــــــوء النهـــــــــارِ

(**وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة**) النصوح (**والخروج من المظالم**) التي عليه (**وتصميم العزم على ترك العود**) إلى تلك المظالم ، (**وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم**) لأهلها (**وإرضاء الخصوم**) بأي وجه كان ، وهذه هي أركان التوبة كما سيأتي بيانها .

قال القشيري في الرسالة : إذا أنكر المريد بقلبه من سوء مايصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سنح في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ في جملة الرجعي والتأهب لأسباب التوبة ، فأول ذلك هجران إخوان السوء فإنهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد ، ويشوشون عليه صحة هذا العزم ، ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة على المشاهد التي تزيد رغبته في التوبة ، وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوي خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل عن قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال ، فيقف عن تعاطي المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات ، فيفارق الزلة في الحال ، ويبرم العزيمة على أن يعود إلى مثلها في الاستقبال فإن مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقاً ، وإن نقض التوبة مرة أو مرات وتحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا كثيراً ، فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فإن لكل أجل كتاباً ولا يتم له شيء من هذا إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه فإن أول منزلة في التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه فإن اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم أو سمحت نفوسهم بإحلاله والبراءة عنه ، وإلا فالعزم بقلبه على أنه يخرج من حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله تعالى بصدق الابتهال والدعاء لهم ، (**فإن من لم يصحح التوبة**) من قلبه (**ولم يهجر المعاصي الظاهرة**) والزلات المكشوفة للناس ، (**وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة**) الغيبية (**كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره**) لما فيه من الغرائب ، (**وهو لم يتعلم لغة العرب بعد**) ولم يتقنها فأنى له ذلك ، (**فإن ترجمة غريب القرآن لا بد من تقديمها أولاً**) وقد صنف فيه من المتقدمين أبو إسحاق الحربي ، وأبو إسحاق الزجاج ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ثم تلاهم أبو منصور الأزهري ، وأبو عبيد الهروي وغيرهم ، (**ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه ، فكذلك لا بد من**

تصحيح ظاهر الشريعة أوّلاً وآخراً ثم الترقي إلى أغوارها وأسرارها .

فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدي به ، فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل ، فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة ، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها ، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد بحيث يفوّض أمره إليه بالكلية ، ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا

تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وآخراً ثم) يكون (**الترقي منها إلى أسرارها**) وبواطنها (**وأغوارها ، فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة ، فيحتاج إلى إمام يقتدي به ، فكذلك المريد**) في سلوك طريق الحق (**يحتاج إلى شيخ**) بصير (**وأستاذ**) كامل (**يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبل الدين غامض**) أي دقيق خفي ، (**وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهذبه**) ويؤدبه ويريه طريق الحق (**قاده الشيطان لا محالة إلى طرقه ، فمن سلك البوادي المهلكة**) والمفاوز المضلة (**بنفسه من غير خفير**) أي دليل يرشد (**فقد خاطر بنفسه**) أي رماها في خطر (**وأهلكها**) أي تسبب لهلاكها . ونص القشيري في الرسالة : ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن من لم يكن له إستاذ لا يفلح أبداً ، وهذا أبو زيد يقول : من لم يكن له استاذ فإمامه الشيطان سمعت أبا علي الدقاق يقول : العبادة بلا علم كالبنيان على السرقين اهـ .

ووقع في بعض كتب الصوفية من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ، (**ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر**)

وقال القشيري في الرسالة : وفي آخر الكتاب في باب وصايا المريدين : سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولكن لا تثمر ، كذلك المريد إذا لم يكن له استاذ يأخذ عنه طريقته نفساً فنفساً فهو عابد هواه لا يجد نفاذاً . وقال في باب الإرادة سمعت أبا علي يقول : الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكن لا يثمر ، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء .

(**فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شط البحر بالقائد بحيث يفوض إليه أمره بالكلية ولا يخالفه**) أصلاً (**في ورد ولا صدر ولا يبقى في**

يبقى في متابعته شيئاً ولا يـذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور: الخلوة، والصمت، والجوع، والسهر. وهذا تحصن من القواطع، فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه.

وأما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد في ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة، كما أن قساوته سبب الحجاب. ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدوّ فإن مجاريه العروق الممتلئة الشهوات. وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين جوّعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم. وقال سهل بن عبدالله التستري: ما صار الأبدال ابدالاً إلا بأربع خصال: باخماص البطون، والسهر، والصمت، والاعتزال

متابعتـه شيئـاً ولا يـذر) أي ولا يترك **(ويعلم أن نفعـه في خطـأ شيخـه لـو أخطـأ أكثر مـن نفعه في صواب نفسه لو أصاب)**، وعبارة القشيري في الرسالة: وإن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه، فإن الخلاف شر للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره، ومن شرطه أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه، **(فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي أربعة أمور: الخلوة والصمت والجوع والسهر، وهذا يحصن من القواطع فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه)** وعبارة الرسالة: لأنه يجب على المريد أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدراً وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه.

(أما الجوع فإنه ينقص دم القلب) لأنه لا يكون إلا من غذاء فإذا بطل الغذاء نقص الدم **(فيبيضه)** بأن يقل احراره **(وفي بياضه نوره)** وجلاؤه، ومن هنا قال يحيى بن معاذ الرازي: الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحراق ولا تنطفىء ناره حتى تحرق صاحبها، **(و)** الجوع أيضاً **(يذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب)** عن المكاشفات، **(ومهما نقص دم القلب ضاق منه سلك مسلك العدوّ)** اللعين، **(فإن مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات)** كما في الخبر: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » الحديث وقد تقدم في كتاب الصوم. **(قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم)** وفيه إشارة إلى أن الجوع يصفي الفؤاد فيكون محلاً لإشراق الأنوار الإلهية **(قال)** أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال: اخماص البطون، والسهر، والصمت، والاعتزال**

عن الناس. ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة. وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين.

وأما السهر؛ فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوّره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها، فتتم بذلك رغبته في الدنيا وإقباله على الآخرة. والسهر أيضاً نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب. فقد قيل في صفة الأبدال: إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة. وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله: أجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء.

عن الناس) نقله القشيري في الرسالة. **(ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر تشهد له التجربة، وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين)** وهو الكتاب الذي يليه.

(وأما السهر فإنه يجلو القلب ويصفيه) عن الكدورات **(وينوره فينضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب)** بمضاعفة الصفاء فيه **(كالكوكب الدري)** المضيء المتلألىء **(والمرآة المجلوة)** يبيض بعضه بنور الإسلام وبعضه بنور الإيمان وكله بنور الإحسان والإيقان، فإذا ابيضّ القلب انعكس نوره على النفس، **(فيلوح فيه جمال الحق)** أي أشعة أنواره بأن تنجلي فيه، **(ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها، فتتم بذلك رغبته عن الدنيا)** واعراضه عنها **(وإقباله على الآخرة)** وللقلب وجه إلى النفس ووجه إلى الروح، وللنفس وجه إلى القلب ووجه إلى الطبع والغريزة، والقلب إذا لم يبيض كله لم يتوجه إلى الروح بكله، ويكون ذا وجهين وجه إلى الروح ووجه إلى النفس، فإذا ابيض توجه إلى الروح بكله فيتدارك مدد الروح ويزداد إشراقاً وتنوراً، وكلما انجذب القلب إلى الروح انجذبت النفس إلى القلب، وكلما انجذبت توجهت بوجهها الذي يليه وتنور النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذي يلي القلب، **(والسهر أيضاً نتيجة الجوع)** وثمرته **(فإن السهر مع الشبع غير ممكن)** لأن الشبع يرخي العروق والأعصاب ويجر إلى النوم، **(والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة)** فإنه لا بد منه وهو سبعون درجة بين الليل والنهار، **(فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب، فقد قيل في صفة الأبدال أن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة)** نقله صاحب القوت وصاحب الرسالة وصاحب العوارف، **(وقال أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد الخواص)** من أقران الجنيد مات بالري سنة ٢٩١ رحمه الله تعالى: **(اجتمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء)** نقله القشيري وصاحب القوت، وذلك إن الإكثار من الماء يرخي العروق لامتلائها به فيكون سبباً للفتور في الأعضاء والكسل فيغلب النوم.

وأما الصمت؛ فإنه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره، فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة، فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم، فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه، فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى.

وأما الخلوة: ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فإنها دهليز القلب، والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر، وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص، فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم، وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد

(**وإما الصمت**) وهو قلة الكلام، (**فإنه يسهل العزلة**) عن الناس فإنه إذا لم يجد عنده أحداً لا يتكلم، (**ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب أو تدبير أمر**) من أموره، (**فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة**) وهذا معنى قولهم كلام الأبدال عن ضرورة، (**فإن الكلام يشغل القلب**) عن مراقبة المذكور (**وشره القلب إلى الكلام عظيم، فإنه يستروح إليه**) ويستحيله، (**ويستثقل التجرد للذكر والفكر**) لما فيه من المشقة (**ويستريح إليه**) أي إلى الكلام، (**فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى**) كما سيأتي بيان ذلك.

(**وأما الخلوة، ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر**) عن تطرق شيء إليهما، (**فإنها دهليز القلب في حكم حوض انصبت إليه مياه كدرة**) متغيرة (**قذرة من أنهار الحواس**) الظاهرة(**ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه**) والإخلاء منها (**ومن الطين الحاصل منها لينحفر أسفل الحوض فينفجر منه الماء اللطيف الطاهر**) لا كدر ولا قذر ولا يحصل الانفجار إلا بنزح تلك المياه عنه، (**فكيف يصح أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتحة إليه فيتجدد في كل حالة أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس**) من تطرق شيء منها إلى القلب (**إلا عن قدر الضرورة وليس**) يتم (**ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم**) لأنه يحفظ حاسة البصر من تبددها، (**فإن لم يكن مظلم فيلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار**) بأن يلقيه على رأسه فيتقنع به وهذه هي الخلوة الصغرى وهي مانعة عن تبدد حاسة البصر إلى المرئيات ولو لم يكن في خلوة (**ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد**

جلال الحضرة الربوبية. أما ترى أن نداء رسول الله ﷺ بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له: ﴿يا أيها المزمل - يا أيها المدثر﴾.

فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق، فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا. وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل، وهي تلك الصفات

جلال الحضرة الربوبية) لجمع حواسه. **(أما ترى ان نداء رسول الله ﷺ بلغه وهو على الصفة فقيل له: ﴿يا أيها المزمل﴾ ﴿يا أيها المدثر﴾)** قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر: «جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني» الحديث وفيه فأتيت خديجة فقلت: «دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً» قال: «فنزلت يا أيها المدثر» وفي رواية فقال: «زملوني زملوني» ولهما من حديث عائشة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع اهـ.

قلت: لفظ حديث جابر أخرجاه من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله عن أول ما نزل من القرآن فقال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً فرجعت، فقلت دثروني فدثروني فنزلت ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى قوله ﴿والرجز فاهجر﴾» وكذلك رواه عبد الرزاق والطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن الانباري في المصاحف، ويروى عن إبراهيم النخعي قال: كان ﷺ متدثراً في قرطق يعني شملة صغيرة الخمل أخرجه سعيد بن منصور. وأخرج البزار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسماً تصدّوا الناس عنه، فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنون. قالوا: ليس بمجنون. قالوا: ساحر. قالوا: ليس ساحر. قالوا: يفرق بين الحبيب وحبيبه، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال: يا أيها المزمل يا أيها المدثر.

(فهذه الأربعة جنة وحصن تدفع) عنه القواطع وتمنع **(عنه العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق، وإنما سلوكه بقطع العقبات)** محركة هي الثنايا في الجبال **(ولا عقبة في طريق الله إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والتركيب)** الكلي **(في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل يكون**

أعني أسرار العلائق التي قطعها في أول الإرادة وآثارها أعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوّف إلى المعاصي، فلا بد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة، وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال، فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة. وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد - كما سبق ذكره - فإذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد ذلك يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة، بل يقتصر على الفرائض والرواتب، ويكون ورده ورداً واحداً. وهو لباب الأوراد وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره، ولا يشغله ما دام قلبه ملتفتاً إلى علائقه.

قال الشبلي للحصري: إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها إلى الجمعة

أعون له في القطع وهي تلك الصفات أعني أسرار العلائق التي قطعها في أوّل دخوله في **(الإرادة وآثارها)** أي الصفات **(أعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوّف إلى المعاصي فلا بدّ وأن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة)** وتتضاعف المشقات، **(وتختلف ذلك باختلاف الأحوال)** والأشخاص، **(فرب شخص قد كفي أكثر الصفات)** فيقل التفاته إلى الدنيا **(فلا تطول عليه المجاهدة)** وقد يسلب تلك الصفات بأجمعها فلا تكون له همة سوى الله تعالى فلا يحتاج إلى مجاهدة، وأصحاب هذا المقام بعد وصولهم إلى الله تعالى قد يشتاقون إلى المجاهدة والرياضة تكميلاً للمقامات **(وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره، فإذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة)** والرياضة **(ولم يبق في قلبه علقة)** أي علاقة حسية ولا معنوية لأن بناء هذا الطريق على فراغ القلب **(شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة)** من نوافل الصلاة وغيرها، **(بل يقتصر على الفرائض والرواتب)**. قال القشيري في الرسالة: وليس من آداب المريد كثرة الأوراد في الظاهر فإن القوم في مكابدة خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفي الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير أعمال البر، والذي لا بدّ لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة، فأما الزيادة من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم. **(ويكون ورده ورداً واحداً وهو لباب الاوراد)** وخلاصتها **(وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتاً إلى علائقه)** وشواغله. قال القشيري في الرسالة: وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار، بل يجب أن يقدم على ذلك التجربة.

(قال) أبو بكر **(الشبلي للحصري)** هو أبو الحسن علي بن إبراهيم البصري سكن بغداد

الأخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيني. وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا هم واحد. فإذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال، فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً: الله الله. أو سبحان الله سبحان الله. أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفـظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا اشغل بشيء خلا عن غيره ـ أي شيء

مات بها سنة ٣٧١ إن **(كان يخطر على قلبك)** ولفظ الرسالة: وكان الشبلي يقول للحصري في ابتداء أمره: إن خطر ببالك **(من الجمعة إلى الجمعة)** الثانية **(التي تأتيني)** وفي نسخة تأتينا وفي أخرى تأتي **(غير الله)** تعالى أي إذا سكن قلبك إلى غير الله **(فحرام عليك أن تأتيني)** ولفظ الرسالة ان تحضرني أي فلا تصحبني، وفائدة قوله من الجمعة إلى الجمعة تعليمه دوام ودّه لما خطر له من ذلك فإنه إذا دام الود قوي القلب بما دام عليه، **(وهذا التجرد لا يمكن إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا هم واحد)** وتقدم عن الأستاذ أبي علي أنه قال: الإرادة لوعة في الفؤاد لدغة في القلب غرام في الضمير انزعاج في الباطن، فهذه كلها صفات العاشق وبتمامها يتم صدق الارادة. **(فإذا صار كذلك ألزمه الشيخ زاوية)** من زوايا البيت **(ينفرد بها)** بنفسه **(ويوكل من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال، فإن أصل طريق الدين القوت الحلال)** وكل مريد لم يراع ذلك لا يجيء منه شيء في الطريق. **(وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه)** معاً **(فيجلس ويقول مثلاً: الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات)** المناسبة لحاله في سلوكه، فمن غلب عليه الجذب فهذا ذكره ومن غلب عليه السلوك فالمناسب له النفي والاثبات كما تقدمت الإشارة إليه، **(ولا يزال)** المريد **(يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى تنمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازماً للقلب حاضراً معه غالباً عليه)**. ولفظ الرسالة: فإذا جربه شيخه فيجب أن يلقنه ذكراً من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يسوّى قلبه مع لسانه فيقول اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك ولا يجري على لسانك غير هذا الأمر ما أمكنك، **(قد فرغ القلب)** أي أخلاه **(عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان)** لأنه ليس له إلا وجهة

كان - فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره، وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره، فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً نقصاناً، فليجتهد في دفع ذلك، ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها: ما هي؟ وما معنى قولنا الله؟ ولأي معنى كان إلهاً وكان معبوداً؟ ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة، ومهما كان كارهاً لذلك ومتشمراً لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله تعالى منزه عنه. ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويبتهل إليه ليدفعه عنه، كما قال تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١]

واحدة، (**فإذا شغل بذكر الله**) تعالى (**وهو المقصود**) الأعظم (**خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك**) أي بعد تفريغ القلب عن السوي وإثبات ذكر الله فيه (**يلزمه**) أي المريد (**أن يراقب**) أي يحافظ (**وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه**) أي في القلب (**مما مضى من أحواله وأحوال غيره، فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر**) والفكر (**في تلك اللحظة وكان ذلك نقصاناً**) لحاله. وعبارة الرسالة: ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة نفي الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة عن القلب، (**فليجتهد في دفع ذلك**) عن قلبه. (**ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة**) التي لقّنها له شيخه (**جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي**) أي ما حقيقتها وإنه يقبح بالمريد الذاكر أن لا يتحقق حقيقة ما يذكره (**وما معنى قولنا الله**) هل هو مبتدأ خبره محذوف أو بالعكس، وما المحذوف الذي يقدر هنا، (**ولأي معنى كان إلهاً معبوداً؟ ويعتريه عند ذلك خواطر**) مختلفة (**تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر**) صراح (**أو بدعة**) مذمومة. (**ومهما كان كارهاً لذلك ومشمراً لإماطته**) أي إزالته (**عن القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله**) تعالى (**منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به**) ولا يهتم له (**ويفزع إلى ذكر الله**) تعالى (**ويبتهل إليه**) ويتضرع بباطنه (**ليدفعه عنه، كما قال الله تعالى ﴿وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم★ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**)

وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى علقة أو صدق في ارادة، فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه، وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحداً، ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته، وإن

وعبارة الرسالة: واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب وذلك أنهم إذا دخلوا في مواضع ذكرهم أو كانوا في مجالس سماع أو غير ذلك فيهجس في نفوسهم ويخطر ببالهم أشياء منكرة يتحققون أن الله منزه عن ذلك، وليس تعتريهم شبهة في أن ذلك باطل، ولكن يدوم فيشتد تأذيتهم به حتى يبلغ ذلك حداً يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر لا يمكن للمريد، اجراء ذلك على اللسان ولا ابداؤه لأحد، وهذا أشد شيء يقع لهم. فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخؤاطر واستدامة الذكر والابتهال إلى الله تعالى واستدفاع ذلك، وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان، وإنما هي من هواجس النفس فإذا قابلها العبد بترك المبالاة لها ينقطع ذلك عنه اهـ. كلام القشيري.

وأنت ترى أنه جعل ما يجري على قلب المريد بما ذكر من هواجس النفس لا من وساوس الشيطان والمصنف جعله من الوساوس والأمر في ذلك سهل قريب، وقد تقدم للمصنف ذكر حديث « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا كان ذلك فليستعذ بالله ولينته ». وجاء بعض الصحابة إلى النبي ﷺ فقالوا: تقع في نفوسنا أمور يوّد أحدنا أن يخر من السماء فتخطفه الطير ولا يقع له ذلك. فقال: « أوجدتموه ». قالوا: نعم. قال: « ذلك صريح الايمان ». يعني ردهم لذلك أوتألمهم وتمنيهم الموت مما وقع لهم لأنفس الوسوسة. وحاصله أنه إذا ضاق على المريد شيء من ذلك التجأ إلى الله فيه واستعاذ به وأعرض عن الفكرة فيه فإن الله يزيله عن قلبه ويقوي يقينه والله الموفق.

(وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك عن شيخه، بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة) في الإرادة أو في السلوك **(أو نشاط)** فيها **(أو التفات إلى علقة)** دنيوية أو أخروية **(أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه ويسره)** أي يكتمه **(من غيره فلا يطلع عليه أحداً)**، وعبارة الرسالة ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه، ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته اهـ. وذلك لأن الشيخ قد ترك شغله مع مولاه في خاصته وعاهد الله على أن يفرغ قلبه في إصلاح هذا المريد فحقه أن لا يكتم عنه شيئاً ليفعل به ما يراه إصلاحاً له.

(ثم أن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فإن علم أنه لو تركه أو أمره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف

علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به، فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها، فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة، وذلك هو الهلاك العظيم. ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الافكار فإنه قد ركب سفينة الخطر، فإن سلم كان من ملوك الدين، وإن أخطأ كان من الهالكين. ولذلك قال ﷺ: «عليكم بدين العجائز» وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر

في قلبه من النور ما) ينشرح به صدره، و **(ينكشف له به حقيقته، وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله ردّه إلى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ)** ونصيحة. **(وذكر دليل قريب من فهمه)**.

ونص القشيري: واعلم أن المريد قلما يخلو في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوساوس في الاعتقاد، لا سيما إن كان في المريد كياسة قلب وقلما مريد لا تستقبله هذه الحالة في ابتداء إرادته، وهذه من الامتحانات التي تستقبل المريد، فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية، فإن بالعلم يتخلص لا محالة المعترف فيما يعتريه من الوسواس، وإن تفرس شيخه فيه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع في قلبه أنوار القبول وتطلع في سره شموس الوصول وعن قريب يكون ذلك، ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريدين، فإن الغالب أن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريدين.

(وينبغي أن يتأنق ويتلطف به، فإن هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها، وكم من مريد اشتغل بالرياضة) وسلك سبيل المجاهدة **(فغلب عليه خيالفاسدلم يقو على كشفه)** وإزالته عن قلبه **(فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم)** قال القشيري في الرسالة: وقفة المريد شر من فترته، والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها، والوقفة سكون عن السر باستحلاء حالة الكسل، وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لا يجيء منه شيء. **(ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار، فكأنه قد ركب سفينة الخطر، فإن سلم كان من ملوك الدين، وإن أخطأ كان من الهالكين، ولذلك قال ﷺ «عليكم بدين العجائز»)** قال العراقي: قال ابن طاهر في كتاب التذكرة: هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة، حتى رأيت حديثاً لمحمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ «إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء» وابن البيلماني له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها اهـ. وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة ابن البيلماني، والله أعلم اهـ.

الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير، فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير. ولذلك قيل: يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد، فإن لم يكن ذكياً فطناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر، بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة

قلت: ورواه من هذا الوجه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن الحرث عن ابن البيلماني. ثم قال: ومن عجائبه هذا الحديث، وعبارة ابن حبان في الضعفاء في ترجمته حدث عن أبيه نسخة شبيهة بمائتي حديث كلها موضوعة لا يجوز الإحتجاج به ولا ذكره إلا على وجه التعجب اهـ.

ونظراً إلى ظاهر سياقه مشى غالب الحفاظ على أنه موضوع وفيه نظر. قال السخاوي: وعند رزين في جامعه مما أضافه لعمر بن عبد العزيز ينميه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تركتم على الواضحة ليلها كنهارها كونوا على دين الأعراب والغلمان والكتاب» اهـ.

وقد أشار المصنف إلى معناه فقال: **(وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير)** قال ابن الأثير في جامع الأصول بعد إيراده ما سبق عن رزين، أراد بقوله دين الأعراب والغلمان والوقوف عند قبول ظاهر الشريعة واتباعها من غير تفتيش عن الشبه وتنقير عن أقوال أهل الزيغ والأهواء ومثله قوله عليكم بدين العجائز اهـ. وهذا السياق يدل على أن الحديث له أصل اهـ.

قلت: ومنهم من يزيد بعد قوله العجائز الماء والمحراب ولم أجد له أصلاً وكأنه تفسير لمعناه.

(فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير) فمن لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أهلها بعضهم بعضاً كان أمره أهون، فمن سمع منها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل، ولهذا كان الفخر الرازي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر مع تبحره في الأصول يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز. وقال ابن السمعاني في الذيل عن الهمداني: سمعت أبا المعالي يعني إمام الحرمين يقول: قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه وكل ذلك في طلب الحق وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت من العمل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطفه وأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على أهل الحق وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله فالويل لابن الجويني.

(ولهذا يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد) أي ينظر إليه بنور الإيمان وفراسته، **(فإن لم يكن ذكياً فطناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر)** لأنه مثله ترد عليه في أثناء ذكره وفكره شبه ووساوس ربما تتمكن من قلبه، وليس عنده التمكن في أصل الاعتقاد فيضره ذلك ولا يجيء منه في الطريق شيء: **(بل يرده إلى الأعمال الظاهرة)** كصلاة الليل وصلاة الضحى والإشراق والأوابين ومتابعة الصيام والاوراد المتواترة وأفضلها القرآن، **(ويشغله بخدمة**

أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم، فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم، وإن كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال، وما يبدو من أوائل الكرامات. ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتوراً في طريقه ووقوفاً. بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار، ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق إلى الحق والخلوة.

قال بعض السياحين: قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق: كيف الطريق إلى التحقيق؟ فقال: أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق. وقال مرة: قلت له دلني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام. فقال لي: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة. قلت: لا بدّ لي من ذلك. قال: فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة. قلت: لا

المتجردين للفكر) والذكر من كنس خلاويهم وملء أباريقهم **(لتشمله بركتهم)** ويعمه إمدادهم **(فإن العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم)** ويعينهم في أمورهم **(ويتعهد دوابهم)** بالربط والسقي والتعليق ويداوي جرحاهم **(ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم، وإن كان لا يبلغ درجتهم)** والأعمال بالنيات، **(ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة)** وتصيبه بلايا **(من العجب والرياء والفرح بما ينكشف)** له **(من الأحوال)** السنية **(وما يبدو من أوائل الكرامات)** وهي ما يكرمه الله تعالى به، **(ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتوراً في طريقه)** وهو الإعراض عن الإرادة والسلوك والترك لما هو فيه **(أو وقوفاً)** وهو السكون عن السير باستلذاذ حالة الكسل، والثاني أشد من الأوّل لأن من استلذ حالة لم ينتقل عنها لمحبته لها بخلاف صاحب الوقوف فإنه يرجى له الرجوع إلى ما كان عليه، فإذا حصل للمريد الوقوف في أوائله لا يجيء منه شيء لأنه يفتقد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال إلى ما هو أعلى، **(بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أفيض عليه ويداوم عليه)** مداومة العاشق المستهتر الذي لا يسمع دون محبوبه عذل المفند فيه **(ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة)** عنهم حتى تجتمع له حواسه.

(قال بعض) هذه الطائفة من **(السائحين)** في الأرض. **(قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق: كيف الطريق إلى التحقيق)** والوصول إلى الحق؟ قال: لا تنظر إلى الخلق. **(وقال: مرة قلت له دلني على عمل أعمله أجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام)** أي من غير أن يرد عليه ما يمنعه عنه، **(فقال لي: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة)** أي يورث ظلمة في القلب فيكون سبب الحجاب بينك وبين الله تعالى. **(قلت: لا بدّ لي من ذلك)**

بدّ لي من ذلك. قال: **فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة. قلت: أنا بين أظهرهم لا بدّ لي** من معاملتهم. قال: فلا تسكن إليهم، فإن السكون إليهم هلكة. **قال: قلت هذه العلة** قال: يا هذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام؟ هذا ما لا يكون أبداً.

فإذاً منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام، **ولا يمكن ذلك إلا بأن** يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة، **فإذا حصل قلبه مع الله تعالى** انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلاً، وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك **فأعظم**

أي من النظر اليهم. (**قال**) : فإذا نظرت إليهم (**فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة**) أي يورث القسوة والغلظة في القلب فهو أيضاً حجاب، (**قلت: لا بدّ لي من ذلك**) أي من سماع كلامهم ولا أستغني عن ذلك. (**قال**) : فإذا سمعت كلامهم (**فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة**) أي يورث الوحشة والتنافر في القلوب وهو أيضاً حجاب. (**قلت: أنا بين أظهرهم لا بدّ لي من معاملتهم**) فكيف أفعل؟ (**قال: فلا تسكن إليهم**) بقلبك، (**فإن السكون إليهم**) بالقلب (**هلكة**) أي هلاك أبدي. (**قال: قلت هذه هي العلة**) كذا في النسخ والذي في القوت قلت هذه العلة (**قال: يا هذا تنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين، وتريد أن تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون أبداً**) أورده صاحب القوت.

(**فإذاً منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله أبداً**) بحيث لا يتخلل في هذا الوجدان شيء يخالفه، (**ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو من غيره**) فلا يكون لخطوره فيه مساغ (**ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة**) ولا تتم المجاهدة إلا بمخالفة النفس، فحينئذ تحصل له مبادىء الهداية المفهومة من قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فإذا تمت له الهداية ارتقى إلى مقام الإحسان الذي فسر في الحديث «أن تعبد ربك كأنك تراه» وإليه الإشارة بقوله: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي بمعية الشهود والانكشاف، (**فإذا حصل قلبه مع الله**) عند دخوله في حظيرة الإحسان (**انكشف له جلال الحضرة الربوبية**) الجامعة للحضرات الأربعة (**وتجلّى له الحق**) من وراء حجاب من الحجب الاسمائية، (**وظهر من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلاً**) وأراد بذلك التجلي الصفاتي الذي مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات، ودلّ على ذلك قوله وظهر الخ وذلك لأن التجلي الذي مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها لا يتحصل إلا بواسطة الأسماء والصفات إذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الاسمائية، وأصل التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وإنما جمع

القواطع عليه أن يتكلم به وعظاً ونصحاً ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة، فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع، فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى، وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاماً منه وأجزل لفظاً وأقدر على استجلاب قلوب العوام، فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركه كيد القبول، وإن كان محركه هو الحق حرصاً على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول: الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على اصلاح عباده، كالذي وجب عليه مثلاً أن يحمل ميتاً ليدفنه إذ وجده ضائعاً وتعين عليه ذلك شرعاً، فجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى القلوب، والوعاظ هم المنبهون

الغيوب باعتبار تعدد أمور التجلي فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوّعة **(وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظاً ونصحاً)** أي بطريقهما **(ويتصدى للتذكير)** على ملأ من الناس **(فتجد النفس فيه لذة)** غريبة **(ليس وراءها لذة، فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها)** بأنواع البلاغة والجزالة **(وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات)** المناسبة لها **(وشواهد القرآن والأخبار)** لكل معنى من تلك المعاني. **(وتحسين صورة الكلام)** بالألحان **(لتميل إليه القلوب والاسماع)** وترغب إليه وهذا حسن في الجملة إذا كان من غير قصد مع حسن النية **(و)** لكن **(الشيطان ربما يخيل إليه أن هذا منك إحياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله عز وجل، وإنما أنت واسطة بين الله وبين الخلق لدعوة عباده إليه)** وهذا مقام شريف **(وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة)** فإذا خيل له ذلك واستقر في قلبه حصل له الركون والسكون وهو عين الهلاك إن لم يأخذ الله بيده **(ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في اقرانه)** وذوي عصره **(من يكون أحسن كلاماً)** منه **(وأجزل لفظاً وأقوى على جلب القلوب العوام، فإنه يتحرك في باطنه لا محالة عقرب الحسد)** ويدب فيه **(إن كان محركه لذة القبول)** بين العامة **(وإن كان محركه هو الحق حرصاً على دعوة عباد الله إلى صراطه المستقيم فيعظم فرحه بذلك)** وينشرح صدره، **(فيقول: الحمد لله الذي عضدني وأيدني)** أي قوّاني **(بمن يؤازرني)** ويعينني **(على إصلاح عباده)** فهذا هو التمييز بين المحركين، **(كالذي وجب عليه)** وجوب كفاية **(مثلاً أن يحمل ميتاً)** أي يجهزه بالغسل والتكفين **(ليدفنه إذا وجد ضائعاً وتعين عليه ذلك شرعاً فجاء من أعانه عليه، فإنه يفرح به ولا يحسده معينه)**

والمحيون لهم، ففي كثرتهم استرواح وتناصر، فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جداً فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق؛ فإن ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿بل تُؤثرون الحياة الدنيا﴾ [الأعلى: ١٦] ثم بين ان الشر قديم في الطباع، وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال: ﴿إنَّ هذا لفي الصحف الأولى★ صحف إبراهيم وموسى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في

ولا يخطر ذلك بباله (**والغافلون**) عن طريق الحق (**موتى**) أي بمنزلة الأموات وإن كانوا أحياء في الظاهر، (**والوعاظ هم المنبهون**) لهم عن رقدة الغفلة (**والمحيون لهم**) من موتة القلوب، (**ففي كثرتهم استرواح وتناصر**) وتعاون، (**فينبغي أن يعظم الفرح بذلك**) ويكثر السرور به. (**وهذا عزيز الوجود جداً**) لاستحواذ الشيطان على قلوب أكثر الخلق، (**فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم حبائل الشيطان**) وأكبر مصائده وفخوخه (**في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق**). قال القشيري: أضر الاشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه في سره من تقريبات الحق سبحانه ومنته عليه بأن خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فإنه لو قال بترك هذا فعن قريب يستخطف عن ذلك بما يبدو له من مكاشفات الحقيقة اهـ.

(**فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان**) قد جبل عليه، (**ولذلك قال تعالى ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير﴾**) أي يختارونها على الآخرة فلا يفعلون ما يسعدهم في الآخرة ولو علموا علماً يقيناً فناءها وبقاء الآخرة لما آثروها، (**ثم بيّن أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة**) أي الماضية (**فقال: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى★ صحف إبراهيم وموسى﴾**) بدل من الصحف الأولى.

قال السدي: إن هذه السورة نزلت في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي ﷺ أخرجه ابن أبي حاتم. وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى اخرجه ابن جرير. وقال الحسن أي في كتب الله كلها أخرجه ابن أبي حاتم، وفي حديث أبي ذر من تخريج عبد بن حميد وابن مـردويه وابن عساكر قلت: يا رسول الله هل أنزل الله عليك بشيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذر نعم ﴿قد أفلح من تزكى★ وذكر اسم ربه فصلّى★بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾» وفي هذا الحديث إن الله تعالى أنزل على ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف، وقد آثر المصنف ختم هذا الكتاب بما ختم الله به هذه السورة لما فيها من تزكية النفس من الأدناس، وذكر الله تعالى والصلاة والتنبيه على إيثار الآخرة وترك شهوات الدنيا ولذاتها، وأن الآخرة هي دار البقاء وفي كل ذلك تهذيب للنفوس وهو معظم مقصود الكتاب، ولذلك قال: (**فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدريج إلى**

التدريج إلى لقاء الله تعالى. فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي. فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه ـ أعني به الشهوات المتعلقة بها ـ ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات، ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا، ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه، وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرئاسة، وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأساً وتمسك من الدين بما فيه الرئاسة وغلب عليه الغرور.

فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب إن شاء الله تعالى: كتاب في كسر شهوة البطن والفرج، وكتاب في آفات اللسان، وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد، وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها، وكتاب في كسر حب المال وذم البخل، وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه، وكتاب في ذم الكبر والعجب،

لقاء الله تعالى أما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي بيانه فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعني به الشهوات المتعلقة بها) اعلم أن النفس كما تقدم مجبولة على صحبة العاجل وإيثاره على الآجل، ولها قوّتان جالبة ودافعة فالجالبة الشهوة وأعظمها ما تعلق بالبطن والفرج واللسان، وأما الدافعة فأشار لها بقوله: **(ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات)** وله ثمرات مذمومة يأتي بيانها، **(ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بها)** بحيث استولت على قلبه **(أحب الدنيا)** وآثرها لنفسه، وهكذا شأن المحب للشيء يؤثره على غيره **(لا يتمكن منها إلا بالمال والجاه)** وهما ركنان عظيمان، **(وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرئاسة)** والعلو وأصناف الشهوة العقلية وظهر من سياق المصنف أن ظهور هذه الأوصاف في المريدين نتائج القوّة الجالبة وهو ظاهر، ولكن هذه القوّة بنفسها لا تحدث هذه الأصناف إلا بمجاورتها العقل فإنه الذي يكسبها محبة تلك الأصناف لما تقدم أن العقل له وجهان وجه إلى النفس ووجه إلى الروح، كما أن بمجاورة النفس الشيطان تحدث صفات أخر كالمكر والحيلة والخداع وأصناف ذلك، وهذه هي الأصول الأربعة وما عدا ذلك فروع تتشعب منها فتأمل. **(وإذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدين رأساً تمسك من الدين بما فيه الرئاسة وغلب عليه الغرور)**.

(فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين) أعني شرح عجائب القلب ورياضة النفس **(أن تستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب)** فيكون المجموع عشرة كتب ثم سردها فقال: **(كتاب في كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد، وكتاب في كسر شره الكلام)** أي حدته وسورته، **(وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها)** وتلبيسات الشيطان فيها، **(وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه، وكتاب في كسر حب**

وكتاب في مواقع الغرور . وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى ، فإن ما ذكرناه في الكتاب الأوّل هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات ، وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب . أما تفصيلها فإنه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى .

تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المال وذم البخل ، وكتاب في ذم الكبر والعجب ، وكتاب في مواقع الغرور ، وبذكر هذه المهلكات وتعليم طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربع) الذي هو الثالث **(إن شاء الله تعالى ، فإن ما ذكرناه في الكتاب الأوّل)** من هذه الكتب العشرة **(هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني)** الذي بعده **(هو إشارة كلية إلى تهذيب طريق الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فإنما يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى)** وهذا آخر كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، وقد عن لي أن أختمه بفوائد نافعة تتعلق بآداب المريدين مما اقتطفتها من كتب القوم وجعلتها في فصول هي مهمة ولهذا الكتاب تتمة .

فصل

إذا أحكم بينه وبين الله عقده فيجب ان يحصل من علم الشريعة إما بالتحقيق وإما بالسؤال من الائمة ما يؤدي به فرضه ، وإن اختلفت عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط ويقصد أبداً الخروج عن الخلاف ، وهل يجوز له تقليد المفضول؟ فقيل : نعم . ورجّحه ابن الحاجب ، وقيل : لا . والمختار عند التاج السبكي جوازه لمن اعتقده أفضل من غيره أو مساوياً له بخلاف من اعتقد مفضولاً ولا يتبع الرخص في المذاهب بأن يأخذ من كل منها ما هو الأسهل فيما يقع من المسائل ، فإن الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال . وهذه الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، ولهذا قيل : إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله ونقض عهده فيما بينه وبين الله ، فالمحمود ملازمته من الأفضل ما يجد من نفسه القدرة على الدوام عليه وإن كان فيه بعض مشقة .

فصل

إذا وقعت للمريد مخالفة فيما أشار إليه شيخه فيجب عليه أن يقر له بما وقع له بين يديه ، ثم

....

يستسلم لما يحكم عليه به شيخه عقوبة له على مخالفته وجنايته إما بسفر بكلفة أو أمر ما يراه صلاحاً في حقه ووظيفته معه كالعليل مع الطبيب لا يخرج عما يأمره به من الأدوية والأغذية والحمية ولا ينبغي لنشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله المطلوبة من الطرفين.

فصل

إذا شهد قلب الشيخ للمريد بصحة العزم، فيشترط عليه أن يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل والفقر والأسقام والآلام، وأن يجنح بقلبه إلى السهولة، وأن لا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات، وأن لا يؤثر الدعة، وأن لا يستشعر الكسل.

فصل

يأمر الشيخ المريد أن يكون أبداً في الظاهر على الطهارة وأن لا يكون نومه إلا غلبة وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء حتى يقوى على ذلك، ولا يأمره أن يترك عادته بمرة، فإن ذلك يغير مزاجه وأحواله ففي الخبر: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

فصل

لا يذكر المريد لشيخه كل ما يهجس في خاطره بل يزيله باستدامة الذكر على بساط الصدق أو المراقبة، فإن لم يندفع به المرة بعد المرة عرض ذلك على شيخه في محل خلوته وما يقع لكثير من المنتسبين لهذه العصابة من شكاية الخواطر بمعنى ذكر الانسان شيخه جميع ما يرد عليه وما يخطر في نفسه من أي شيء كان، فهذا أمر ما عهد عند أئمة هذا الشأن بل ربما يكون هذا باعثاً لإبليس على الولع بالقلب ووازعاً يغير الباطن ويهيئه للخواطر فيعوّد ذلك بنقيض المقصود.

فصل

ومن آداب المريد بل من حاله أن يلازم موضع إرادته وهو الخلوة وأن لا يسافر قبل أن يقبل الطريق وقبل الوصول بالقلب إلى الرب سبحانه، فإن السفر للمريد في غير وقته سم قاتل، ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر في وقته لأنه إذا سافر بغير إذنه فظاهر، وإن سافر بإذنه دل على أنه عنده لم يصلح لهذا الشأن، وقد امتحنه فلم يره أهلاً لما رغب فيه فاعرض عنه وتركه. نعم إن تمكن في حاله وصار يأنس بربه في خلوته كان سفره زيادة في تحقيق أحواله بكل حال لما في بعده عن الأوطان حينئذ من التوكل والرضا بما يجريه الله تعالى.

فصل

إذا أراد الله بمريد خيراً ثبته وقوّاه في أوّل إرادته، وإذا أراد به شراً ردّه إلى ما خرج منه من

حرفته أو حالته، وإذا أراد الله بمريد محنة وابتلاء شرده في مطارح غربته، هذا إذا كان المريد يصلح للوصول، فأما إذا كان شاباً طريقته الخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء وزيارة الصالحين والاقتداء بأعمالهم وهو أدونهم في هذه الطريقة رتبة، فهو وأمثاله يكتفون بالترسم في الظاهر فينقطعون في الأسفار وغاية نصيبهم في هذه الطريقة حجب يحصلونها وزيارات لمواضع يرتحلون إليها ولقاء الشيوخ بظاهر سلام، فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما في هذا الباب من السير، فهؤلاء الواجب عليهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة إلى ارتكاب محظور، فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة تعرض للفتنة بميل نفسه إلى الشهوات.

فصل

إذا توسط المريد جمع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً فإن امتحن بذلك بأن دعته الضرورة للخلطة، فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للأصحاب والقيام بما فيه راحة فقير، والجهد في أن لا يستوحش منه قلب شيخ، ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمتهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم، فيقبل عذرهم ولا يقبل عذر نفسه لما يعرف من سوء أدبه وأن يرى لكل واحد عليه حقاً واجباً ولا يرى لنفسه واجباً ولا مندوباً على أحد لئلا يطلب المكافاة عليه، وأن لا يخالف أحداً. وإن علم أن الحق معه يسكت لئلا يخجل من بحث معه ويظهر الوفاق لكل أحد فيما يجوز فيه الوفاق، وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فإنه لا يجيء منه شيء، وإذا كان في جمع من الفقراء إما في سفر أو حضر، فينبغي أن لا يخالفهم في الظاهر لا في أكل ولا شرب ولا صوم ولا سكون ولا حركة بل يخالفهم بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله تعالى، وإذا أشير إليه بالأكل مثلاً يأكل لقمة أو لقمتين ولا يعطي النفس شهوتها.

فصل

رأس مال المريد الاحتمال على كل أحد بطيبة النفس وتلقي ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة في القليل والكثير فيما هو حظ له، ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فإن من اشتهى ما يشتهيه الناس، فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كدّ اليمين وعرق الجبين.

فصل

إذا التزم مريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته ما لم يجده قلبه إما في النوم أو في اليقظة أو بينهما من خطاب يسمعه أو معنى يشاهده مما يكون نقضاً للعادة، فينبغي أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن إليه، ولا ينبغي له أن ينظر حصول أمثال ذلك، فإن هذه كلها شواغل عن الحق سبحانه ولا بدّ له في هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه إن لم يندفع بالذكر حتى يصير

قلبه فارغاً من ذلك ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره ويكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك في عينه ويأمره بالإعراض عنه، فإن ذلك كله اختبارات له والمساكنة إليها مكر. فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك.

فصل

ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريد، ثم يقيم عليه ولا يبرح سدته إلى وقت الاذن.

فصل

تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب، فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت، وأما الشباب الذي يخرجون إلى الحج من هؤلاء من غير إشارة الشيوخ، فإنما هي بدلالات نشاط النفس فهم مترسمون بهذه الطريقة وليس سفرهم مبنياً على أصل، والذي يدل على ذلك أنه لا يزداد سفرهم بهذا الوجه إلا وتزداد تفرقة قلوبهم، ولو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى من ألف سفرة.

فصل

من شرط المريد إذا زار شيخاً أن يدخل إليه بالحرمة والأدب وينظر إليه بالحشمة، فإن أهّله الشيخ لشيء من الخدمة عدّ ذلك من جزيل النعمة فليغتنمه فإنه أتاه على وجه الفتح من الله تعالى.

فصل

ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة وإن كانوا محفوظين لأن ذلك يخالف الواقع ولأنه يؤدي إلى نفرته منهم وعدم انتفاعه بهم إذا صدر منهم الذنب، والفرق بين العصمة والحفظ أن العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب والحفظ لا يمنع منه، لكن الله تعالى يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لأن الأولياء لا يقدح زللهم في قواعد الدين بخلاف الانبياء، فإن المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى وفيما يفعلونه بياناً للتكاليف، بل الواجب عليه أن يذرهم وأحوالهم ليحسن بهم الظن فيما يراه حقاً ويمسك عما يراه خطأ، فإن أراد أن يزيله من صدره فليسألهم عنه وليورده على وجه السؤال لا على وجه الاعتراض. وكذا إذا أجابوه بجواب لا يسعه فإما سلم له وهو الأسلم وإما سأل قائلاً أحب التصدق علي ببيانه وهو مطمئن القلب سالم من أدنى تردد ما لم يكن ذلك في مبادىء إرادته فلا يسوغ له أدباً أن يسأل لا باشارة ولا غيرها، بل يكون على أعدل الاستسلام ويراعي مع الله حده فيما يتوجه عليه من الأمر والنهي والعلم بأحكام الله كافية في التفرقة بين ما هو محمود وبين ما هو معلول.

....

فصل

من شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى ، فإن نقض العهد في طريق الإرادة كالردة عن الدين لأهل الظاهر ولا يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه فإن في لوازم الشرع ما يستوفي منه كل وسع .

فصل

من شأن المريد قصر الامل فإن الفقير ابن وقته فإذا كان له تدبير في المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء .

فصل

ومن شان المريد أن لا يكون له معلوم وإن قلّ لاسيما إذا كان بين الفقراء فإن ظلمة المعلوم تطفيء نور الوقت .

فصل

ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإن صحبتهم سم مجرب لا ينتفعون به وهو ينقص بهم . قال الله تعالى : ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ [الكهف : ٢٨] الآية . وإن الزهاد يخرجون المال من الكيّس تقرباً إلى الله تعالى ، وأهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققاً بالله عز وجل .

فصل

ومن آداب المريد مع شيخه اعتقاده أنه لا أكمل منه من حيث علمه في البشر بزمانه وحفظ حرمته حسب الإمكان ، فلا يجهر له بالقول كجهر الإنسان لصاحبه ، ولا يرفع صوته على صوته وعدم محادثة من بجانبه في حضرته إلا في أمر يلزم به الشرع ، بل يكون موجه الفكر والظاهر لما يرد في حضرته وأن لا يضحك في حضرته إلا تبسماً من مقتض ، وأن لا يكون في مجالسته له إلا على طهارة وعدم مسابقته قوله إلا أن ينتهي في كلامه ، وأن يكون جلوسه بين يديه كهيئة المتشهد في الصلاة كان على رأسه الطير غاض الطرف يسارق وجهه النظر ، وأن لا يخاصم أحداً من أتباعه احتراماً لحق شيخه ، وأن يراعي منصبه في حرمه وآل بيته وأن يراعيه في غيبته كمراعاته في الحضور في جميع الأحوال والأقوال والأفعال ، وأن يحفظ متعلقاته عن الجرأة عليها ، فلا يلبس ثوبه ولا نعله ولا يركب دابته ولا يجلس على سجادته ولا يشرب من الإناء الذي أعد له ونحو ذلك ، وإنما يحاسب نفسه على ما فتح له من صحبته فإن وجد تأخراً نسب التقصير إلى نفسه ، وأن يكون أحب إليه من ولده ووالده وماله والناس أجمعين .

....

فصل

قال الشيخ الأكبر قدّس سره في التدبيرات الإلهية في المملكة الإنسانية، ينبغي للمريد أن لا يكثر الحركة فإنها تفرقة، ولهذا منعناه من السفر إلا في طلب شيخ يرشده، فإذا خرج إلى المساجد أو إلى ضرورة فلا يلتفت يميناً ولا شمالاً وليجعل بصره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الأولى ويكون مشتغلاً بالذكر في مشيه ويرد السلام على من يسلم عليه، ولا يقف مع أحد ولا يقل لأحد كيف حالك، وليحذر من هذا فإنه صعب عندنا ويزيل من طريقه كل ما يجده من أذى من حجر أو شوك أو عذرة ولا يجد رقعة في الأرض إلا يرفعها في كوّة ولا يتركها تدنس بالأرجل ويرشد الضال ويعين الضعيف ويحمل عنه الثقل هذا كله واجب عليه، وإياك والسعي في مشيك، ولكن بالتأني من غير عجب، فإنه أوفر لهمتك فإذا كنت حاملاً شيئاً فأردت الراحة فتعدل عن طريق الناس ولا تضيق عليهم وإياك وحضور مجالس السماع، فإن أشار عليك شيخك بحضورها فاحضر معهم ولا تسمع واشتغل بالذكر فإن سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر، ولاسيما والقوّال قلما ينشد إلا في باب المحبة والشوق والنفس تهتز عند ذلك وتورث الدعوى عندك، فإن انشد القوال في الموت وما يردك إلى الخوف والقبض والحزن والبكاء في ذكر جهنم أو ذهاب العمر أو الموت وكرباته والحساب والقصاص ومواقف القيامة، فاصغ إلى ذلك فيما جاء فإن عليك حالاً يغنيك عن إحساسك وإذا قمت فليس قيامك لك، وإنما أقامك واردك فمتى ما رجعت عنه إلى احساسك فاقعد من حينك وارجع إلى هيئة اعتدالك فإن الحركة في السماع انحراف عن مجرى الاعتدال وتتنوّع بحسب القصد، وإن اضطررت الى الصحبة ولا بدّ فصاحب العباد والمجتهدين من أهل المعاملة حتى تجد الشيخ، فإن لم تجدهم في المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فإنهم يطرقونها وقمم الجبال وبطون الأودية، وإذا عزمت على أن تكون منهم فإياك أن يدخل عليك وقت الصلاة إلا وأنت في المسجد والمفرط من المريدين من يصلي والصلاة تقام، فإن جئت المسجد والصلاة تقام فقد فرطت غاية التفريط ولست منهم، وأما أن تفوتك تكبيرة الإحرام أو ركعة مع الإمام فلا يتكلم على هذا، فإن هذا من حكم العامة فتب إلى الله تعالى واستأنف، وإياك وملازمة مسجد واحد ولا صف واحد ولا موضع واحد في المسجد.

وبهذا ختمت شرح هذا الكتاب بحمد الله تعالى، وحسن توفيقه وأسأله الإعانة على اتمام ما بقي منه. كان ذلك على يد مسوده أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به بعد العشاء من ليلة الأحد ثالث محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠٠ أرانا الله خيرها وكفانا ضرها حامداً لله مصلياً مسلماً.

(تم الجزء الثامن ويليه إن شاء الله الجزء التاسع
وأوله كتاب كسر الشهوتين)